

رَسَائِلُ الْعَلَامَةِ

ابن حبيب الجنبالي

زَيْنِ الدِّينِ أَبِي الْمَرْجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبٍ الْبَغْدَادِيِّ الدِّمَشْقِيِّ  
(٧٣٦-٧٩٥هـ)

يَخْوِي (٤٨) مُؤَلَّفًا فِي مُخْتَلَفِ أَبْوَابِ الْعِلْمِ  
نُطْبَعُ مَقْدَمُهُ عَلَى عَرَّةِ نَسْرِ خُطْبَةٍ

حَسْبُكَ مَا وَفَّرَ عَلَيْنَا وَخَرَجَ أَحَادُ بَشَائِقِ دَمِ لَهَا  
الذِّكْرُ مُحَمَّدٌ رُبَّمَا خَطِيبٌ أَحْسَنِي

المجلد الثالث

كتاب اللغات



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤ م

دار اللباب

للدراسات وتحقيق التراث

**DAR-ALLOBAB**

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmî Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان

009615813966

0096170112990

دمشق - سوريا

00963993151546

info@allobab.com

Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا

00902125255551

00905454729850



İskenderpaşa mh. Kızıtaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

يطلب هذا الكتاب داخل المملكة حصراً من

دار الأطلس للدراسات

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض



00٩٦٦٥٤٤٨٩٦٦٥٤

Daratlas.sa

Dar-atlas

dar-atlas@hotmail.com

مجموع

رسائل العلامة

ابن رجب الحنبلي

زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الحسن البغدادي الدمشقي

(٧٣٦-٧٩٥ هـ)

يخوي (٤٨) مؤلفاً في مختلف أبواب العلم  
نُطِعَ محققاً على عدة نسخ خطية

حَقَّقَهَا وَعَلَّقَ عَلَيْهَا وَخَرَجَ أَحَادِيثَهَا وَقَدَّمَ لَهَا  
الدكتور محمد رفيع الخطيب الحسني

المجلد الثالث

كتاب اللبائ

## فِي هَذَا الْمَجْلَدِ

- الرسالة رقم (١٨): شَرْحُ حَدِيثٍ: «مَا ذُتْبَانِ جَائِعَانِ» - ذُمُّ الْمَالِ وَالْجَاهِ ..... ٥
- الرسالة رقم (١٩): شَرْحُ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ يَعْلَمُكَ الْغَيْبُ» ..... ٨٣
- الرسالة رقم (٢٠): جُزْءٌ فِيهِ الْكَلَامُ عَلَى حَدِيثٍ: «يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثُ» ..... ١٤٥
- الرسالة رقم (٢١): شَرْحُ حَدِيثٍ: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لَمُؤْمِنٌ خَفِيفُ الْحَاذِ» ..... ١٦٩
- الرسالة رقم (٢٢): جُزْءٌ فِيهِ شَرْحُ مَثَلِ الْإِسْلَامِ الَّذِي صَرَّبَهُ النَّبِيُّ ﷺ ..... ٢١٣
- الرسالة رقم (٢٣): شَرْحُ حَدِيثٍ «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ» ..... ٢٤٣
- الرسالة رقم (٢٤): كَشَفُ الْكُرْبَةِ فِي وَصْفِ أَهْلِ الْغُرْبَةِ ..... ٣١٣
- الرسالة رقم (٢٥): شَرْحُ التَّرْمِذِيِّ - قِطْعَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّبَاسِ ..... ٣٦٣
- الرسالة رقم (٢٦): الدُّلُّ وَالْإِنْكِسَارُ لِلْعَزِيزِ الْجَبَّارِ ..... ٤١٧
- الرسالة رقم (٢٧): اسْتِنْشَاقُ نَسِيمِ الْأَنْسِ مِنْ نَفَحَاتِ رِيَاضِ الْقُدْسِ ..... ٤٦٧
- الرسالة رقم (٢٨): تَسْلِيَةُ نُفُوسِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ عَنْ فَقْدِ الْأَطْفَالِ ..... ٦٢٩

\*\*\*



## شَرْحُ حَدِيثِ

« مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ  
حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدَيْنِهِ »  
- ذَمُّ الْمَالِ وَالْجَاهِ -











1  
2  
3  
4  
5  
6  
7  
8  
9  
10  
11  
12  
13  
14  
15  
16  
17  
18  
19  
20  
21  
22  
23  
24  
25  
26  
27  
28  
29  
30  
31  
32  
33  
34  
35  
36  
37  
38  
39  
40  
41  
42  
43  
44  
45  
46  
47  
48  
49  
50  
51  
52  
53  
54  
55  
56  
57  
58  
59  
60  
61  
62  
63  
64  
65  
66  
67  
68  
69  
70  
71  
72  
73  
74  
75  
76  
77  
78  
79  
80  
81  
82  
83  
84  
85  
86  
87  
88  
89  
90  
91  
92  
93  
94  
95  
96  
97  
98  
99  
100



## بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل القناعة بالإيمان أغلى من الجاه والأموال، والزهد في الدنيا مفتاح الصلاح للأحوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أكمل الرجال، وعلى الصحب والتابعين لهم والآل.

أما بعد:

فإن قواطع الخلق عن الحق كثيرة، ومن أشدها تسلطاً على القلوب: الحرص على المال وما يتبعه من مظاهر الدنيا، وكذلك الحرص على الجاه والمكانة في قلوب الناس، وما يوصل إلى ذلك من الوسائل والأسباب. فالحرص على جمع المال قد يخرج بالإنسان إلى دائرة الحرام، من ارتكاب السرقة، والربا والغصب، وأكل أموال الناس بالباطل بالمعاملات المشبهة، والامتناع عن أداء الزكاة وسداد الدين وبذل الحقوق لأصحابها؛ وذلك كله بعد اجتياز دائرة المكروه وخلاف الأولى، وذلك بعد اجتياز دائرة المباح من طلب المال للعيش.

وتلك المعاصي المتعلقة بالمال: واضحٌ تحريمُها وذمُّها وضوحاً شديداً من الدين، ولو أعمى الإنسانُ بصره وبصيرته عن النظر فيما يقع فيه منها!

وأما الحرص على الشرف والمكانة والسمعة والشهرة والجاه، فإنه قد يقع الإنسان في دائرة الحرام من الكذب، والرياء، والتشبع بما لم يُعط، والمنافسة، والحسد، والبغي والظلم.

لكنَّ الأسوءَ من ذلك كله: ما قد يجامعه من تلبس إبليس؛ فيتوهم العبدُ أنَّ ذلك الباطل إنما هو في سبيل الحق! وأنه ينصر بذلك الخير والهدى، رغم أن حقيقته أنه يقع في مهاوي الضلال والشر والردى!

\*\*\*

وقد تناول الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى هذه القضية في شرحه هذا على حديث كعب بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسدَ لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه» بأسلوبه المشوق في سرد الدلائل من الكتاب والسنة، وأقوال السلف الصالح وأحوالهم وقصصهم وعبرهم، والاستطرادات اللطيفة إلى بعض المسائل الفقهية.

فجدير بكل طالب علم أن يقف على هذا الشرح مستفيداً منه، ليجتنب تلك الآفات، ولئلا يدخل في تلك الشبهات، فيسلم له دينه، ويصفو له توجهه في سلوكه إلى الله جل جلاله.

وهو الهادي سبحانه إلى سواء السبيل.

\*\*\*

ذكرَ هذا الكتاب للمصنف: يوسف بن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٤٢).  
وسمياه: «ذم الجاه».

وقد توفر لدي عدد من نسخه الخطية:

النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها: (ت).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (١٥٧) - وقد سبق وصفه في المقدمات - لكنها مخرومة الأول، والتي قبلها - شرح حديث زيد بن ثابت «ليكن اللهم ليكن» - مخرومة الآخر، ولا يظهر ذلك في ترقيم أوراق النسخة.

ويقع الموجود منها في (٦) لوحات (من ٢٣/ب إلى ٢٨/ب).

وهي مقابلة كما في آخرها، وجاء عنوانها في فهرسة المجموع بأوله: «شرح حديث ما ذُئِبَانَ جَائِعَانَ أَرْسَلَا فِي غَنَمٍ».

لم يُذكر اسم النسخ، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى سنة ٨٥٢هـ.

النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (٥٣١٨) - وقد سبق وصفه في المقدمات - وتقع في (١٧) لوحة، (من ٤٣/أ إلى ٥٩/ب).

وجاء العنوان في فهرسة المجموع بأوله: «شرح حديث ما ذُئِبَانَ جَائِعَانَ أَرْسَلَا فِي غَنَمٍ».

ناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي في سنة ٨٩٣هـ.

النسخة الثالثة: نسخة دار الكتب المصرية، ورمزها (ك).

رقمها: خصوصية (١٥٠٩ حديث)، عمومية (٤٠٨٣٧).

وتقع في ٢٠ لوحة، جاء العنوان في أولها: «شرح حديث ما ذُئِبَانَ جَائِعَانَ أَرْسَلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدِهَا مِنْ حَرَصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لَدِينِهِ».

ومسطرتها ١٥ سطراً.



وعليها ختم الكتبخانة الخديوية المصرية، وخطها مغربي جيد، كتبت فيها الآيات وضبطت بقراءة نافع.

لم يكتب اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها، ولعلها ترجع إلى القرن العاشر تقديراً، والله أعلم.

النسخة الرابعة: النسخة الأزهرية، ورمزها (ز).

وهي في ضمن مجموع (من ٥٧/ ب إلى ٧٤/ أ).

وتقع في (١٨) لوحة، مسطرتها ١٧ سطراً، جمعت ورُتبت من الدشت<sup>(١)</sup>. كُتبت أوائل الأحاديث والفقر بالحمرة.

وجاء العنوان فيها: تأليف للإمام العارف بالله تعالى ابن رجب على قوله ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلاني غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

وكتب بخط إفريقي: والأنسب باسم هذا الكتاب أن يقال: «منهج السلف والخلف في ذم الحرص على المال والشرف».

وكاتب هذا هو أحد من تملك الكتاب، وعلّق عليه بعض تعليقات بقلم إفريقي، وهو: محمد بن خالد العنابي المغربي، نزيل تونس ثم مصر ثم بيت المقدس رحمه الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

ناسخها: أحمد بن منصور البرلسي المالكي، في أواخر رمضان ١٠٢٢ هـ

(١) الأوراق الكثيرة المختلطة المتناثرة.

(٢) وهو ممن أخذ عن السيد محمد مرتضى الزبيدي، فذكره في «المعجم المختص» (٦١٤). كان حياً في أول القرن الثالث عشر الهجري. رحمه الله تعالى.

ويليها في المجموع: «مختصر المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة» للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني.

النسخة الخامسة: نسخة عاشر أفندي، ورمزها (ع).

وهي في مكتبة عاشر أفندي في اصطنبول، في ضمن مجموع (٢٧٧)، وهي الرسالة الثالثة منه وقبلها: «أخلاق العلماء» و«أخلاق حملة القرآن» للأجري.

والعنوان في أول المجموع: «وفيه أحاديث ما ذُبحان جائعان أرسلوا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه».

وتقع في (١٦) لوحة، مسطرتها ١٥ سطراً. بخط فارسي جميل متقن، وعلى حواشيتها إثبات فروق نسخ قوبلت بها، وشرح لبعض ما يحتاج إلى شرح، مما يدل على عناية ناسخها.

وناسخها هو: خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مرادخان<sup>(١)</sup>. وتم نسخها يوم الأحد ١١ من جمادى الآخرة سنة ١١١٨ هـ، وقرأها مرة ثانية وأثبت مطالعته وتصحيحه.

النسخة السادسة: نسخة جامعة الرياض، ورمزها (ض).

وهي برقم (١٨٩٠)، وتقع في ١٢ ورقة، مسطرتها ٢٤ سطراً، جاء العنوان فيها: «ذم المال والجاه».

وما كتب في أولها يدل على أنها منسوخة من نسخة كتبت في زمان المصنف - وقد أثبتته في أول الرسالة -.

---

(١) البولوي، الرومي، الحنفي، وهو عالم فاضل، فقيه متقن، من تلاميذ عبد الله بن سالم البصري، وأبي الطاهر الكوراني، معتن بالكتب نسخاً ومطالعة وتصحيحاً وضبطاً. له ترجمة مقتضبة في «سلك الدرر» للمرادي (٢/ ١٠٦).

ليس فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكن خطها من خطوط القرن الثالث عشر أو أول الرابع عشر.

وعليها ختم: «المكتبة العمرية، لصاحبها محمد الحمد العمري وأولاده. الرياض».

النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة، ورمزها (ر).

وهي الرسالة الثانية في ضمن المجموع برقم (٦٨٦ / ٨٦)، وتقع في (١١) لوحة (من ٥/ب إلى ١٥/ب).

جاء العنوان فيها: «شرح حديث ما ذُبان جائعان».

وهي بخط: إبراهيم بن حمد بن محمد بن حمد بن عيسى<sup>(١)</sup>، وتاريخ تمام نسخها: شهر ربيع الأول سنة ١٢٥٤.

وفي أولها تملك باسم: محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن.

لم تقابل هذه النسخة بتمامها، وإنما رجعت إليها في بعض المواضع.

النسخة الثامنة: نسخة الربيعي.

وهي في جامعة الرياض، في ضمن المجموع رقم (١٦٣٧)، وهي الرسالة السادسة منه، تقع في ٢٠ صفحة (من ١٣٩ إلى ١٥٨) وهي بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي، تمت كتابتها بتاريخ ١٧ رجب ١٣٣٣ ونُقلت من خط محمد بن علي بن زامل سنة ١٢١١. ولم أرجع إليها لتأخرها.

\*\*\*

(١) القاضي النجدي الحنبلي، توفي في شقراء، يوم عرفة سنة ١٢٨١ رحمه الله تعالى. له ترجمة في «تسهيل السابلة» لصالح آل عثيمين (٣/ ١٧٠١).

وللكتاب طبعات كثيرة جداً، من أقدمها طبعة لاهور سنة ١٣٢٠ مع مختصر «قيام الليل» للمروذي، وطبعة مجموعة الرسائل المنيرية، وغيرها مما تأخر عنها، وهو مما يزيد على عشر طبعات.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

\*\*\*



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[رَبِّ يَسِّرْ يَا كَرِيم]

[قال الشيخ، الإمام، العالم، العلامة، شيخ الإسلام، بقية السلف الكرام، زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الشيخ الإمام، العالم العلامة، شهاب الدين بن الشيخ الإمام العالم العلامة رجب البغدادي الحنبلي، زاده الله علماً وعملاً<sup>(١)</sup> الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين<sup>(٢)</sup>.

خَرَجَ<sup>(٣)</sup> الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في «صحيحه» من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا ذُتْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». قَالَ الترمذي: حَسَنٌ صَحِيحٌ<sup>(٤)</sup>.

وَرُويَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍ،<sup>(٥)</sup>.....

(١) هذا من (ض) وحدها.

(٢) سقطت هذه المقدمة من (ف)، وجاء بدلها: «فصل».

(٣) من (ف) و(ض)، وفي سائر النسخ: «أخرج».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٧٨٤) (١٥٧٩٤)، والنسائي (١١٧٩٦)، والترمذي (٢٣٧٦)، وابن حبان (٣٢٢٨)، وغيرهم.

(٥) أخرجه البزار في «المسند» (٦١٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٤). قلت: ولعله يرجع إلى حديث أبي هريرة، والله أعلم.



وابن عباس<sup>(١)</sup>، وأبي هريرة<sup>(٢)</sup>، وأسامة بن زيد<sup>(٣)</sup>، وجابر<sup>(٤)</sup>، وأبي سعيد الخدري<sup>(٥)</sup>، وعاصم بن عدي الأنصاري<sup>(٦)</sup>، رضي الله عنهم<sup>(٧)</sup>، وقد ذكرتها<sup>(٨)</sup> كلها مع الكلام عليها في كتاب «شرح الترمذي»<sup>(٩)</sup>، ولفظ حديث جابر: «ما ذئبان ضاريان<sup>(١٠)</sup> باتا في غنم غاب رعاؤها<sup>(١١)</sup> بأفسد من التماس الشرف والمال لدين المؤمن»<sup>(١٢)</sup>. وفي حديث ابن عباس: «حب المال والشرف»<sup>(١٣)</sup> بدل «الحرص»<sup>(١٤)</sup>.

- (١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٧٧٨)، وفي «الأوسط» (٨٥١).
- (٢) أخرجه أبو يعلى (٦٤٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (٧٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٥، ٩٧٨٦، ٩٧٨٩، ٩٧٩٠).
- (٣) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٩٤٣)، ومن طريقه المقدسي في «المختارة» (١٣٢٣).
- (٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٧، ٩٧٨٨).
- (٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٢٧٩).
- (٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٣١٧)، (٨١٦٦)، وفي «الكبير» ١٧ (٤٥٩)، والحاكم في «المستدرک» (٤٢٠ / ٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٩١).
- (٧) زاد هنا في (ف): «قال الشيخ زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب».
- (٨) في (ك): «ذكرناها».
- (٩) سقطت هذه الجملة من (ز). وشرح ابن رجب على «سنن الترمذي» فقد قديماً، ولم يصل منه إلا قطعة من كتاب اللباس، وشرح كتاب العلل.
- (١٠) في حاشية (ع): «من ضري بالصيد - بالكسر - إذا لهج به، وتعوده. كذا في «النهاية». «النهاية»، لابن الأثير (ضرا).
- (١١) في (ع) و(ز): «راعوها».
- (١٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٧)، ولفظه: «ما ذئبان جائعان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها بأفسد فيها من التماس الشرف والمال لدين المؤمن».
- (١٣) لفظ حديث ابن عباس عند الطبراني: «حب ابن آدم الشرف والمال».
- (١٤) في (ز) زيادة في هذا الموضع، وهو قوله: «في الدنيا، وإن فساد الدين بذلك»، وهي زيادة تنافي السياق، =

فهذا مَثَلٌ عَظِيمٌ جَدًّا ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِفَسَادِ دِينِ الْمُسْلِمِ<sup>(١)</sup> بِالْحَرَصِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّ فِسَادَ الدِّينِ بِذَلِكَ لَيْسَ بِدُونَ فِسَادِ الْغَنَمِ بِذُتْبَيْنِ جَائِعَيْنِ ضَارِيَيْنِ بَاتَا فِي الْغَنَمِ وَقَدْ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا لَيْلًا، فَهُمَا يَأْكُلَانِ فِي الْغَنَمِ وَيَفْتَرِسَانِ<sup>(٢)</sup> فِيهَا.

ومعلومٌ أَنَّهُ لَا يَنْجُو مِنَ الْغَنَمِ مِنْ إِفْسَادِ الذُّتْبَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ وَالْحَالَةُ هَذِهِ إِلَّا الْقَلِيلُ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ حِرْصَ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لَيْسَ إِفْسَادُهُ لِدِينِهِ بِأَقْلَى مِنْ إِفْسَادِ هَذَيْنِ الذُّتْبَيْنِ لِهَذِهِ الْغَنَمِ، بَلْ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُسَاوِيًّا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ أَزِيدَ<sup>(٣)</sup>، يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنْ دِينِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ مَعَ حَرَصِهِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْقَلِيلُ؛ كَمَا أَنَّهُ لَا يَسْلَمُ مِنَ الْغَنَمِ مَعَ إِفْسَادِ الذُّتْبَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ فِيهَا إِلَّا الْقَلِيلُ، فَهَذَا الْمَثَلُ الْعَظِيمُ يَتَضَمَّنُ غَايَةَ التَّحْذِيرِ مِنْ شُرِّ الْحَرَصِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِي الدُّنْيَا.

### [الحرص على المال نوعان]

فأما الحرص على المال فهو نوعان:

أحدهما: شِدَّةُ مَحَبَّةِ الْمَالِ مَعَ شِدَّةِ طَلْبِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْمُبَاحَةِ، وَالْمُبَالِغَةُ فِي طَلْبِهِ، وَالْجِدُّ فِي تَحْصِيلِهِ وَاكْتِسَابِهِ مِنْ وَجْهِهِ مَعَ الْجُهِدِ وَالْمَشَقَّةِ.

وقَدْ وَرَدَ أَنَّ سَبَبَ الْحَدِيثِ كَانَ وَقُوعَ بَعْضِ أَفْرَادِ هَذَا النَّوعِ؛ كَمَا خَرَّجَهُ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: اشْتَرَيْتُ مِائَةَ سَهْمٍ مِنْ سَهَامِ خَيْبَرَ، فَبَلَغَ

= ولعل الناسخ سبق نظره إلى ما سيأتي بعده من كلام. وكذلك في (ع) لكن ضرب عليها.

(١) في (ف): «المؤمن»، وأشير إليها في حاشية (ع).

(٢) في (ف): «يفترسان».

(٣) في (ف) و(ض): «وإما أكثر»، وأشير إليها في حاشية (ع).

ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا ذُبَانٍ ضَارِيَانِ»<sup>(١)</sup> ظَلًّا فِي غَنَمٍ أَضَاعَهَا رَبُّهَا بِأَفْسَدَ مِنْ طَلَبِ الْمُسْلِمِ الْمَالِ وَالشَّرَفَ لِدِينِهِ»<sup>(٢)</sup>.

قُلْتُ<sup>(٣)</sup>: وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَرَصِ عَلَى الْمَالِ إِلَّا تَضْيِيعُ الْعُمْرِ الشَّرِيفِ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ كَانَ يُمْكِنُ صَاحِبَهُ<sup>(٥)</sup> فِيهِ اكْتِسَابُ دَرَجَاتِ الْخَيْرِ، وَلَوْ فَعَلَ فَازَ<sup>(٦)</sup> بِالْعُلَى وَالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ، فَضَيَّعَهُ بِالْحَرَصِ<sup>(٧)</sup> فِي طَلَبِ رِزْقٍ مُضْمُونٍ مَقْسُومٍ لَا يَأْتِي مِنْهُ إِلَّا مَا قُدِّرَ وَقُسِمَ، ثُمَّ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ، بَلْ يَتْرُكُهُ لغيرِهِ وَيَرْتَجِلُ عَنْهُ، فَيَقْبِي حَسَابُهُ عَلَيْهِ وَنَفْعُهُ لغيرِهِ، فَيَجْمَعُ لِمَنْ لَا يَحْمَدُهُ، وَيَقْدَمُ عَلَى مَنْ لَا يَعْذُرُهُ.. لَكْفَى<sup>(٨)</sup> بِذَلِكَ ذِمًّا لِلْحَرَصِ، فَالْحَرِصُ يَضْيِيعُ زَمَانَهُ الشَّرِيفَ، وَيَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ الَّتِي لَا قِيمَةَ لَهَا فِي الْأَسْفَارِ وَرُكُوبِ الْأَخْطَارِ، لَجَمْعِ مَالٍ يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ<sup>(٩)</sup>؛ كَمَا قِيلَ:

وَمَنْ يُنْفِقِ الْأَيَّامَ<sup>(١٠)</sup> فِي جَمْعِ مَالِهِ      مخافةً فقيرٍ فالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ<sup>(١١)</sup>

(١) فِي مَصَادِرِ التَّخْرِيجِ: «عَادِيَانِ» لَا «ضَارِيَانِ».

(٢) تَقْدِمُ تَخْرِيجَهُ.

(٣) سَقَطَتْ مِنْ (ز)، وَاسْتَدْرَكَتْ فِي (ع).

(٤) فِي حَاشِيَةِ (ع): «بِمَعْنَى لَا تَوْجُدُ لَهُ قِيمَةٌ لِنَفَاسَتِهِ، لَا بِمَعْنَى لَا يَسُودُ شَيْئًا».

(٥) فِي حَاشِيَةِ (ع): «لَعَلَّهُ: لِصَاحِبِهِ».

(٦) فِي (ز): «اِكْتِسَابُ الْفَوْزِ بِالْعُلَى» وَكَانَ كَذَلِكَ فِي (ك) وَ(ع)، وَذَكَرَ التَّصْوِيبُ فِي حَاشِيَتَيْهِمَا.

(٧) فِي (ف) وَ(ض): «الْحَرِصُ».

(٨) فِي حَاشِيَةِ (ع): «جَوَابُ لَوْ» أَيِ الَّتِي جَاءَتْ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٩) فِي (ز): «يَجْمَعُ مَا لَا يَنْتَفِعُ لغيرِهِ».

(١٠) فِي (ف): «الْأَعْمَارُ»، وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي حَاشِيَةِ (ع)، وَالَّذِي فِي «دِيَوَانِ الْمُتَنَبِّي»: «السَّاعَاتُ».

(١١) الْبَيْتُ لِأَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي؛ كَمَا فِي دِيَوَانِهِ (١/ ٤٨٤) بِشَرْحِ الْعَكْبَرِيِّ.

ولا تحسبنَّ الفقرَ فَقْرًا<sup>(١)</sup> مِنَ الْغِنَى وَلَكِنَّ فَقْرَ الدِّينِ حَقًّا هُوَ الْفَقْرُ<sup>(٢)</sup>  
 قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: إِنَّ فَلَانًا جَمَعَ مَالًا، فَقَالَ: فَهَلْ جَمَعَ أَيَّامًا يَنْفَقُهُ فِيهَا؟  
 قِيلَ: لَا، قَالَ: مَا جَمَعَ شَيْئًا<sup>(٣)</sup>.

وفي بعض الآثار الإسرائيلية: الرِّزْقُ مَقْسُومٌ، والحريصُ محرومٌ<sup>(٤)</sup>.

ابن آدم! إذا أفنيت عُمرَكَ في طَلَبِ الدُّنْيَا فمتى تَطْلُبُ الآخِرَةَ؟!!

يا جامعاً مانعاً والدَّهْرُ يَرْمُقُهُ	مفكراً أيَّ بابٍ منه يُغْلِقُهُ
جمعتَ مالا ففكرتَ هل جمعتَ له	يا جامعَ المالِ أيَّاماً تفرِّقُهُ
المالَ عندكَ مخزونٌ لوارثه	ما المالُ مالَكَ إلا يومَ تنفِقُهُ
إنَّ القناعةَ مَنْ يحلُّ بساحتِها	لَمْ يَلَقْ فِي ظِلِّهَا همّاً يؤرِّقُهُ <sup>(٥)</sup>

(١) في (ف) و(ع) و(ك): «فقرٌ» وعلى ذلك يكون خبراً لمبتدأ محذوف، والجملة في محل نصب مفعول ثانٍ لتحسين.

(٢) هذا البيت سقط من (ز) وهو لاحق في (ع).

وجاء في (ف) و(ض): «ولكن فقر الدين من أعظم الفقر». وفي (ر): «ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى ولكن فقر الدين من أعظم الفقر» ولم أصل لمعرفة قائل البيت.

(٣) أخرج نحوه البخاري في «الديباج» (٧) مما حكاه أبو محمد النميري، وفي «القناعة والتعفف»، لابن أبي الدنيا (١٣٦) نحوه، والنسخة منه محذوفة الأسانيد.

(٤) نسبة البلاذري في «أنساب الأشراف» (٨٤ / ١٣) إلى أكثم بن صيفي المخضرم، ونسب إلى كتاب جعفر بن يحيى في «البصائر والذخائر» (١٧١ / ٤)، و«التمثيل والمحاضرة» للثعالبي (١ / ١٤٦)، وغيرهما. ولعل الأثر الإسرائيلي هو ما يليه.

(٥) سقطت الأبيات من (ز). والأبيات أنشدها أبو بكر بن خراش كما في «الديباج» للبخاري (٨)، وأوردها ابن أبي الدنيا في «القناعة والتعفف» (١٣٧) من غير نسبة. ونسبت في كتب الأدب إلى عِدَّة. وفي حاشية (ك) و(ع): «يؤرقه: أي يمنع من النوم».

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: الْيَقِينُ<sup>(١)</sup> أَنْ لَا تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ، وَلَا تَحْسَدَ<sup>(٢)</sup> أَحَدًا عَلَى رِزْقِ اللَّهِ، وَلَا تَلُمَ أَحَدًا عَلَى مَا لَمْ يُوْتِكَ اللَّهُ، فَإِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَسُوقُهُ<sup>(٣)</sup> حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كِرَاهَةُ كَارِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ بِقِسْطِهِ وَعَدْلِهِ<sup>(٤)</sup> جَعَلَ الرُّوحَ وَالْفَرْحَ فِي الْيَقِينِ وَالرِّضَا، وَجَعَلَ الْهَمَّ وَالْحَزْنَ فِي الشَّكِّ وَالسُّخْطِ<sup>(٥)</sup>.

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ السَّلَفِ: إِذَا كَانَ الْقَدَرُ حَقًّا فَالْحِرْصُ بَاطِلٌ، وَإِذَا كَانَ الْغَدْرُ فِي النَّاسِ طِبَاعًا<sup>(٦)</sup>، فَالثَّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ عَجْزٌ، وَإِذَا كَانَ الْمَوْتُ لِكُلِّ أَحَدٍ رَاصِدًا، فَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى الدُّنْيَا حُمُقٌ<sup>(٧)</sup>.

(١) سقطت الكلمة من (ف)، وفي بعض المصادر: «الرضا».

(٢) «تحسد»: هكذا في النسخ جميعاً، وفي المصادر: «تحمد».

(٣) في (ف) ونسخة في حاشية (ك) و(ع): «فإن الرزق لا يجره».

(٤) في (ف) و(ض): «وعلمه».

(٥) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٥٣٥) وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣١)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٥) موقوفاً على ابن مسعود رضي الله عنه وروى عنه مرفوعاً أيضاً.

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «طباعاً في الناس». والمثبت من (ف) موافقاً للمصدر.

(٧) هذا مما وجد مكتوباً في كيس رجل من أهل الإيمان أمر بصلبه ملك كافر....

أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٥٧)، وفي «ذم الدنيا» (٢٢٨)، والدينوري في «المجالسة» (١١٢١) مما قصه هشام بن إسماعيل.

وأخرج الخطابي في «العزلة» (ص: ٦٠) أن عبد الملك بن مروان وجد حجراً مكتوباً فيه بالعبرانية، فبعث به إلى وهب بن منبه، فإذا فيه: «إذا كان الغدر في الناس طباعاً، فالثقة بكل إنسان عجز».

ونسبه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٣/ ٢١٣)، وابن العربي في «المسالك» (٧/ ٢١٦) إلى كسرى بزرجمهر.

وجاء ذكر الثقة ضمن كلام طويل للأحنف بن قيس في «تاريخ دمشق»، لابن عساكر (٢٤/ ٣٣٣).

وهذا الشرط ليس بشك، لكنه إلزام للمخاطب بصحة القول.

كَانَ عَبْدُ الْوَاحِدِ<sup>(١)</sup> بْنُ زَيْدٍ يَحْلِفُ بِاللَّهِ: لِحِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الدُّنْيَا أَخَوْفُ عَلَيْهِ عِنْدِي مِنْ أَعْدَى أَعْدَائِهِ.

وَكَانَ يَقُولُ: يَا إِخْوَتَاهُ! لَا تَغْبِطُوا حَرِيصاً عَلَى ثَرْوَةٍ وَلَا سَعَةٍ فِي مَكْسَبٍ<sup>(٢)</sup> وَلَا مَالٍ، وَانْظُرُوا إِلَيْهِ بَعِينَ الْمَقْتِ لَهُ<sup>(٣)</sup>، وَبَعِينَ الرَّحْمَةِ لَهُ<sup>(٤)</sup> فِي اشْتِغَالِهِ الْيَوْمَ بِمَا يُرِيدُهُ<sup>(٥)</sup> غَدًا فِي الْمَعَادِ. ثُمَّ يَبْكِي وَيَقُولُ: الْحِرْصُ حِرْصَانٍ: فَحِرْصٌ فَاجِعٌ، وَحِرْصٌ نَافِعٌ، فَأَمَّا النَّافِعُ؛ فَحِرْصُ الْمَرْءِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الْفَاجِعُ؛ فَحِرْصُ الْمَرْءِ عَلَى الدُّنْيَا، فَالْحَرِيصُ عَلَى الدُّنْيَا مُعَذِّبٌ، صَاحِبُهُ مَشْغُولٌ، لَا يُسَرُّ وَلَا يَلْدُ بِجَمْعِهِ لَشُغْلِهِ، وَلَا يَفْرُغُ مِنْ مُحَبَّتِهِ<sup>(٦)</sup> الدُّنْيَا لِآخِرَتِهِ؛ كَدًّا كَدًّا لِمَا يَفْنَى<sup>(٧)</sup>، وَغَفْلَتِهِ عَمَّا يَدُومُ وَيَبْقَى<sup>(٨)</sup>.

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْمَعْنَى:

لَا تَغْبِطَنَّ أَخَا حِرْصٍ عَلَى سَعَةٍ      وَانْظُرْ إِلَيْهِ بَعِينَ الْمَاقَتِ الْقَالِي  
إِنَّ الْحَرِيصَ لَمَشْغُولٌ بِشِقْوَتِهِ      عَنِ السُّرُورِ بِمَا يَحْوِي مِنَ الْمَالِ<sup>(٩)</sup>

(١) فِي (ز): «عَبْدُ اللَّهِ»، وَهُوَ سَبَقَ قَلَمٌ. وَعَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ: هُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْبَصْرِيُّ الزَّاهِدُ الْعَابِدُ، يَرْوِي عَنْ التَّابِعِينَ، وَكَانَ قَاصّاً لَكِنِّهِ مَتْرُوكُ الْحَدِيثِ.

(٢) فِي (ك) وَ(ز): «تَكْسَبُ».

(٣) فِي الْمَصَادِرِ: «بَعِينَ الْمَقْتِ لَهُ فِي فَعْلِهِ».

(٤) «وَبَعِينَ الرَّحْمَةِ لَهُ»: سَقَطَتْ مِنْ (ف) وَ(ك) وَ(ض).

(٥) بَيْنَ سَطْرِي (ع): «يَهْلِكُهُ» تَفْسِيرٌ.

(٦) فِي (ك) وَ(ز) وَ(ع): «مُحَبَّةٌ».

(٧) فِي (ك) وَ(ز) وَ(ع): «لِلتَّفَاتِهِ لِمَا يَفْنَى» بَدَلًا مِمَّا جَاءَ فِي (ف): «كَدًّا كَدًّا» وَفِي (ض) وَ(ر): «لِآخِرَتِهِ كَذَلِكَ وَغَفْلَتِهِ» وَالْمَثْبُتُ مُوَافِقٌ لِلْمَصَادِرِ.

(٨) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الزَّهْدِ» (٢١٢)، وَفِي «ذَمِّ الدُّنْيَا» (١٤٩).

(٩) الْبَيْتَانِ أَنْشَدَهُمَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ الْجَمْحِيُّ، عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الزَّهْدِ» (٢١٢)، وَفِي «ذَمِّ الدُّنْيَا» =



وكتب بعض الحكماء إلى أخ له كان حريصاً على الدنيا:

أما بعد، فإنك أصبحت تخدم الدنيا<sup>(١)</sup> وهي تزجرك عن نفسها بالإعراض والأمراض والآفات والعِلل، كأنك لم تر حريصاً محروماً، وزاهداً مرزوقاً، ولا ميتاً عن كثير، ولا متبلاً من الدنيا باليسير<sup>(٢)</sup>.

عاب أعرابي أخاه على الحرص فقال له: يا أخي! أنت طالب ومطلوب، يطلبك من لا تفوته، وتطلب أنت ما قد كُفيتَه، كأنك يا أخي لم تر<sup>(٣)</sup> حريصاً محروماً، وزاهداً مرزوقاً<sup>(٤)</sup>.

وقال بعض الحكماء: أطول الناس غمّاً الحسود، وأهتوهم<sup>(٥)</sup> عيشاً القنوع، وأصبرهم على الأذى الحريص، وأخفصهم عيشاً أرقتهم للدنيا، وأعظمهم ندامة العالم المفرط<sup>(٦)</sup>.

= (١٥٠)، ونسبه ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٢٩/١) إلى محمود بن الحسن الوراق.

(١) في (ف) و(ض): «حريصاً على الدنيا تخدمها».

(٢) كتب في حاشية (ع): «موعظة بليغة».

والأثر في «القناعة والتعفف» لابن أبي الدنيا (١٣٤).

(٣) في (ف) و(ض): «يا أخي ألم تر»، وهو موافق لما في «شعب الإيمان»، والمثبت موافق لما عند ابن أبي الدنيا.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٣٠)، و«الزهد» (٣١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(١٢٧٠) من كلام رجل من العرب، وجاء من كلام إبراهيم بن أدهم ينصح به إبراهيم بن بشار عند

أبي نعيم في «الحلية» (١٣/٨)، والخطيب البغدادي في «الزهد والرفائق» (١٣).

(٥) في النسخ، والمصادر: «أهناهم» لأن في أصل الخبر: «وجدت...».

(٦) مما وجدته أبو بكر محمد بن جعفر السامري، أخرجه ابن بشران في «أماله» (١٢٩٩).

ولبعضهم<sup>(١)</sup> في هذا المعنى:

الْحِرْصُ دَاءٌ قَدْ أَضُرَّ بِمَنْ تَرَى إِلَّا قَلِيلاً

كَمْ مِنْ عَزِيزٍ قَدْ رَأَى سَتَ الْحِرْصِ صَيَّرَهُ ذَلِيلًا<sup>(٢)</sup>

غيره<sup>(٣)</sup>:

كَمْ إِلَى كَمْ أَنْتَ لِلْحَرِّ صِ وَالْأَمَانِي عَبْدُ

لَيْسَ يُجْدِي الْحِرْصُ وَالسَّعْيَ إِذَا لَمْ يَكُ جِدُّ

مَا لِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ مِنَ الْأَمْرِ بَدُّ<sup>(٤)</sup>

ولأبي العتاهية يُخَاطَبُ سَلْمًا<sup>(٥)</sup> الخاسر:

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ<sup>(٦)</sup>

وَمِنْ كَلَامِ الْمَأْمُونِ: الْحِرْصُ مَفْسَدَةٌ<sup>(٧)</sup> لِلدِّينِ وَالْمَرْوَةِ<sup>(٨)</sup>.

(١) في (ك) و(ع): «قال بعضهم».

(٢) البيتان لأبي العتاهية كما في «ديوانه» (٣٥٢) وفي (ف): «رَأَيْتَ صَيَّرَ الْحِرْصُ ذَلِيلًا».

(٣) هذا الشعر من (ف) و(ض) ولا يوجد في النسخ الأخرى.

وتحرفت «غيره» في (ف) إلى: «عزيز»! وسقطت من (ض).

(٤) أنشده أبو العباس المبرد، كما في «أُمَالِي ابن بشران» (٣٩١). وفيه: «لِلْحِرْصِ وَلِلْأَمَالِ عَبْدٌ». وهو

الصواب. ونسبه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» (٣ / ١٥٩) إلى ابن أبي حازم. وذكره ابن عبد البر

في «بهجة المجالس» (١ / ١٥٦).

(٥) في (ك) و(ز) و(ع): «سلم».

(٦) «ديوان أبي العتاهية» (٣٣٧) وسَلَمٌ هو شاعر معاصر له.

(٧) في (ك) و(ز) و(ع): «مفسد».

(٨) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣ / ٣١٦)، قاله المأمون تعقيماً على بيت أبي العتاهية.

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ<sup>(١)</sup>:

حِرْصُ الحَرِصِ جُنُونٌ      وَالصَّبْرُ حَصْنٌ حَصِينٌ  
إِنْ<sup>(٢)</sup> قَدَّرَ اللَّهُ شَيْئاً      فَإِنَّهُ<sup>(٣)</sup> سَيَكُونُ<sup>(٤)</sup>

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ<sup>(٥)</sup>:

حَتَّى مَتَى أَنَا فِي حُلٍّ وَتَرَحَالٍ      وَطُولِ سَعْيٍ وَإِدْبَارِ وَإِقْبَالٍ  
وَنَازِحٍ<sup>(٦)</sup> الدَّارِ لَا أَنْفُكَ مُغْتَرِباً      عَنِ الْأُجْبَةِ لَا يَدْرُونَ مَا حَالِي  
بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ طَوْرًا ثُمَّ مَغْرِبِهَا      لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصِي<sup>(٧)</sup> عَلَى بَالِي  
وَلَوْ قَنَعْتُ أَتَانِي الرِّزْقُ فِي دَعَةٍ      إِنَّ الْقُنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةُ الْمَالِ<sup>(٨)</sup>

(١) سقطت هذه الكلمة من (ف) و(ز) و(ض).

(٢) في (ف): «إِذَا»، وفي (ع) و(ك): «إِذَا».

(٣) في (ز): «لَا بَدَأَن».

(٤) لم يوجد عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) سقطت الجملة من (ف).

(٦) في حاشية (ع): «أَيَّ بَعِيدٍ عَنْ أَهْلِي وَوَطْنِي بِسَبَبِ الْإِغْتِرَابِ».

(٧) في (ك) و(ع): «حِرْص».

(٨) الأبيات في «المجالسة» للدينوري (٣١١/٥) من قول الخليفة المأمون، ونسبها ابن عبد ربه في

«العقد الفريد» (٣/ ١٦٠) إلى كلثوم بن عمرو العتابي. وهي في «تاريخ دمشق»، لابن عساكر

(٢٧/ ١٧٧) مما أنشده المبرد. وفي ترجمة (هارون الرشيد) منه أنها له. ونسبها ابن العديم

في «بغية الطلب» (٤/ ١٧٩٩) إلى أبي العتاهية، وأوردها من غير نسبة ابن عبد البر في «بهجة

المجالس» (١/ ٢٣١).

ولمحمودٍ الورَّاقِ<sup>(١)</sup>:

أَيُّهَا الْمَتَعِبُ جُهِدْ نَفْسَهُ      يَطْلُبُ الدُّنْيَا حَرِيصاً جَاهِداً  
لَا لَكَ الدُّنْيَا وَلَا أَنْتَ لَهَا      فَاجْعَلِ الْهَمَّيْنِ هَمّاً وَاحِداً<sup>(٢)</sup>

[النوع الثاني من الحرص على المال، وتطلبه من الوجوه المحرمة]

النَّوعُ الثَّانِي مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الْمَالِ: أَنْ يَزِيدَ عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي النَّوعِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَطْلُبَ الْمَالَ مِنَ الْوُجُوهِ الْمَحْرَمَةِ، وَيَمْنَعَ حَقْوَهُ الْوَاجِبَةَ، فَهَذَا مِنَ الشُّحِّ الْمَذْمُومِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].  
وَفِي «سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ<sup>(٣)</sup> أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفَجْرِ فَفَجَرُوا»<sup>(٤)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مُحَارِمَتَهُمْ»<sup>(٥)</sup>.

[الشح]

قَالَ طَائِفَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ: الشُّحُّ: هُوَ الْحِرْصُ الشَّدِيدُ الَّذِي يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ الْأَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهَا، وَيَمْنَعَهَا مِنْ حَقْوِهَا.

(١) سقطت الجملة من (ف) و(ض).

(٢) لم يوجد البيتان عند غير المصنف رحمه الله.

(٣) فِي (ك) و(ع): «فإنه».

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٩٥) بِلَفْظٍ: «يَاكُم وَالشُّحَّ».

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٨).

وحقيقته: شره النفس إلى ما حرم الله ومنع منه، وأن لا يقنع الإنسان بما أحل الله له من مالٍ أو فرجٍ أو غيرهما، فإن الله تعالى أحل لنا الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح، وأباح تناولها لنا من وجوه حلها، وأباح لنا دماء الكفار المحاربين وأموالهم، وحرم علينا ما عدا ذلك من الخبائث من المطاعم والمشارب والمناكح، وحرم علينا تناول هذه الأشياء من غير وجوه حلها، وحرم علينا أخذ الأموال وسفك الدماء بغير حلها، فمن اقتصر على ما أبيض له من ذلك فهو مؤمن، ومن تعدى ذلك إلى ما منع الله منه فهو الشح المذموم<sup>(١)</sup>، وهو منافي للإيمان، ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الشح يأمر بالقطيعة وبالفجور وبالبخل.

والبخل: هو إمساك الإنسان ما في يده.

والشح: تناول ما ليس له ظلماً وعدواناً من مالٍ أو غيره، حتى قيل: إن المعاصي كلها من الشح، وبهذا فسر ابن مسعود وغيره من السلف: الشح والبخل<sup>(٢)</sup>.  
ومن هنا يُعلم<sup>(٣)</sup> معنى حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب مؤمن»<sup>(٤)</sup>.

(١) في حاشية (ع): «أي فهو الشحيح المذموم وفيه مبالغة».

(٢) في (ف) و(ك): «بالبخل». و(ع) كانت موافقة لما أثبتناه، ثم ضرب الناسخ على الواو وأثبت الباء. ولا يستقيم إثباتها.

وقد وردت الآثار بهذا المعنى عن عبد الله بن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وابن عمر، وابن عمرو، من الصحابة رضي الله عنهم، وعن الحسن، وطاوس، وسعيد بن جبير من التابعين رحمهم الله. وينظر تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] في «الدر المنثور» للسيوطي (١٤ / ٣٧١) وسائر كتب التفسير بالمأثور.

(٣) في (ف): «نعلم»، وفي (ز): «نعلم».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «مسلم».

والحديثُ الآخرُ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ»<sup>(١)</sup>.

وُفُسِّرَ الصَّبْرُ بالصَّبْرِ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالسَّمَاحَةُ بِأَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ.

وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الشَّحُّ بِمَعْنَى الْبُخْلِ وَبِالْعَكْسِ، لَكِنَّ الْأَصْلَ هُوَ التَّفْرِيقُ بَيْنَهُمَا

عَلَى مَا ذَكَرْنَا<sup>(٢)</sup>.

وَمَتَى وَصَلَ الْحِرْصُ عَلَى الْمَالِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ نَقَصَ بِذَلِكَ الدِّينُ وَالْإِيمَانُ

نَقْصًا بَيِّنًا، فَإِنَّ مَنَعَ الْوَاجِبَاتِ وَتَنَاوَلَ الْمَحْرَمَاتِ يَنْقُصُ بِهِمَا الدِّينُ وَالْإِيمَانُ بِلَا

رَيْبٍ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا الْقَلِيلُ جَدًّا.

[الحرص على الشرف والجاه]

## فصل

وَأَمَّا حِرْصُ الْمَرْءِ عَلَى الشَّرَفِ فَهُوَ أَشَدُّ إِهْلَاكًا مِنَ الْحِرْصِ عَلَى الْمَالِ، فَإِنَّ

طَلَبَ شَرَفِ الدُّنْيَا وَالرَّفْعَةَ فِيهَا وَالرِّيَاسَةَ عَلَى النَّاسِ وَالْعُلُوَّ فِي الْأَرْضِ أَضَرُّ عَلَى

الْعَبْدِ مِنْ طَلَبِ الْمَالِ، وَضَرُّهُ أَعْظَمُ، وَالزُّهْدُ فِيهِ أَصْعَبُ، فَإِنَّ الْمَالَ يُنْذَلُ فِي طَلَبِ

الرِّيَاسَةِ وَالشَّرَفِ.

= والحديث باللفظ المثبت هو من رواية أبي سلمة عن أبي هريرة عند الطبراني في «الأوسط» (٥٨٧٨).

ورواه غير أبي سلمة عن أبي هريرة بلفظ: «عبد» عند النسائي (٣١١٠)، ويلفظ «في جوف رجل مسلم» عند أحمد (٩٦٩٣).

والإيمان في هذا الحديث يراد به الإيمان الكامل.

(١) هذا اللفظ أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٣٤٤) من حديث الحسن مرسلًا.

(٢) في (ك): «الأصل التفريق بينهما على ما ذكرناه».



### [طلب الشرف بالدنيا]

والحرصُ على الشَّرَفِ قِسْمَانِ:

أحدهما: طَلَبُ الشَّرَفِ بالولاية والسلطان والمال، وهذا خطرٌ جدًّا، وهو في الغالب يمنعُ خيرَ الآخرةِ وشرفَها وكرامتها وعزَّها.

قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

### [النهى عن طلب الإمارة]

وقُل: مَنْ حَرَصَ على رياسة الدنيا بطلبِ الولاياتِ أن<sup>(١)</sup> يُوفَّقَ، بل يُوكَّلُ إلى نفسه؛ كما قال النبي ﷺ لعبدِ الرَّحْمَنِ بنِ سُمْرَةَ: «يا عبدَ الرَّحْمَنِ! لا تَسْأَلِ الإمارةَ، فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيَتْهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيَتْهَا عَنْ<sup>(٢)</sup> غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا»<sup>(٣)</sup>.  
قال بعضُ السَّلَفِ: ما حَرَصَ أحدٌ على ولايةٍ فعدَّلَ فيها<sup>(٤)</sup>.

وكانَ يزيدُ بنُ عبدِ الله بنِ مَوْهَبٍ مِنْ قُضَاةِ العَدْلِ والصَّالِحِينَ، وكانَ يَقُولُ: مَنْ أَحَبَّ المَالَ والشَّرَفَ وخافَ الدَّوَائِرَ<sup>(٥)</sup> لَمْ يَعْدِلْ<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ك) و(ز) و(ع): «وقيل من حرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات لم يوفق». وأشير إلى ما أثبتناه في حواشي (ك) و(ع).

(٢) في سائر النسخ «من»، والمثبت من (ز)، وهو الأوفق الموافق لمصادر التخريج.

(٣) أخرجه البخاري في عدة مواضع، وهذا اللفظ في (٧١٤٦)، ومسلم (١٦٥٢).

(٤) أخرج نحوه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢١٥)، والخلال في «السنة» (٧٤) من كلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥) الدوائر: نوائب الدهر وتقلباته.

(٦) أخرجه أبو زرعة في «تاريخه» (١/ ٢٠٦)، ووكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٥٩)، ومن طريق =

وفي «صحيح البخاري» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّكُمْ ستَحْرِصُونَ على الإمارة، وستكونُ ندامةً يومَ القيامةِ، فيَنعَمَ المرُضِعةُ، وبشَتِ الفاطمةُ»<sup>(١)</sup>.

وفيه أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رجلين قالَا للنبي ﷺ: يا رسولَ الله! أَمَرْنَا، فقال: «إِنَّا لَا نُوَلِّي أَمْرَنَا هَذَا مَنْ سَأَلَهُ، وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup>.

واعلم أن الحِرْصَ على الشَّرَفِ بطَلَبِ الولاياتِ يستلزمُ شراً<sup>(٣)</sup> عظيماً قبل وقوعه بالسَّعي في أسبابه، وبعد وقوعه بالخطرِ العظيم الذي يقع فيه صاحبُ الولاية من الظُّلم والتَّكَبُّر وغير ذلك من المفاوِِدِ.

### [من أوصاف عالم السوء]

وقد صَنَّفَ أبو بكرٍ الأَجْرِيُّ - وكان من العلماءِ الرَّبَّانِيِّينَ في أوائلِ المائَةِ الرَّابِعَةِ - مُصَنَّفاً في أخلاقِ العلماءِ وآدابِهِمْ<sup>(٤)</sup>، وهو من أجل ما صُنِّفَ في ذلك، ومن تأمَّله عَلِمَ<sup>(٥)</sup> منه طريقةَ السَّلَفِ مِنَ العلماءِ، والطَّرَائِقَ الَّتِي حَدَّثَتْ<sup>(٦)</sup> بعدهم المخالفةَ لطرائِقِهِمْ، فوصَفَ فيه عالمَ السُّوءِ بأوصافٍ طويلةٍ:

= الأول ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧٢/٦٥). وكان يزيد قاضياً بفلسطين في زمان بني أمية.

(١) أخرجه البخاري في «الأحكام» (٧١٤٨). وفي حاشية (ع): «ضرب المرصعة مثلاً للإمامة، وما توصله إلى صاحبها من المنافع، وضرب الفاطمة مثلاً للموت الذي يهدم عليه لذاته، ويقطع منافعها دونه. نهاية».

(٢) أخرجه البخاري (٧١٤٩)، ومسلم (١٧٣٣).

(٣) في (ف): «ضرراً». وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع).

(٤) وهو كتاب «أخلاق العلماء»، مطبوع متداول.

(٥) في (ك) و(ع): «تعلّم»، وفي (ز): «يعلم».

(٦) في (ف): «أحدثت».

منها: أَنَّهُ قَالَ: «قَدْ فَتَنَهُ حُبُّ الْمَالِ»<sup>(١)</sup> وَالشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا، يَتَجَمَّلُ بِالْعِلْمِ كَمَا يَتَجَمَّلُ بِالْحُلَّةِ الْحَسَنَاءِ لِلدُّنْيَا، وَلَا يُجَمَّلُ عِلْمُهُ بِالْعَمَلِ بِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَذَكَرَ كَلَاماً طَوِيلاً إِلَى أَنْ قَالَ: فَهَذِهِ الْأَخْلَاقُ وَمَا يُشَبِّهُهَا تَغْلِبُ عَلَى قَلْبِ مَنْ لَمْ يَتَنَفَّعْ بِالْعِلْمِ، فَبَيْنَا هُوَ مُقَارِنٌ<sup>(٣)</sup> لِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ إِذْ رَغَّبَتْهُ نَفْسُهُ فِي حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ، فَأَحَبَّ مَجَالِسَةَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَأَحَبَّ أَنْ يُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ رَخِيٍّ عَيْشِهِمْ؛ مِنْ مَنْزِلٍ بَهِيٍّ، وَمَرْكَبٍ هَنِيٍّ، وَخَادِمٍ سَرِيٍّ<sup>(٤)</sup>، وَلِبَاسٍ لَيِّنٍ، وَفِرَاشٍ نَاعِمٍ، وَطَعَامٍ شَهِيٍّ، وَأَحَبَّ أَنْ يُغْشَى<sup>(٥)</sup> بِأَبْنِهِ، وَأَنْ يُسْمَعَ<sup>(٦)</sup> قَوْلُهُ، وَيُطَاعَ أَمْرُهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ فَطَلَبَهُ، فَلَمْ يُمَكِّنْهُ إِلَّا بِبَذْلِ دِينِهِ، فَتَذَلَّلَ لِلْمُلُوكِ وَأَتْبَاعِهِمْ، فَخَدَمَهُمْ<sup>(٧)</sup> بِنَفْسِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِمَالِهِ، وَسَكَتَ عَنْ قَبِيحِ مَا ظَهَرَ مِنْ مَنَاقِرِهِمْ عَلَى أَبْوَابِهِمْ وَفِي مَنَازِلِهِمْ وَمِنْ<sup>(٨)</sup> قَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ.

(١) فِي (ف)، وَأَشِيرُ إِلَيْهِ فِي حَاشِيَةِ (ك) وَ(ع): «حُبُّ الثَّأْنِ».

وَفِي «أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ»: «حُبُّ الدُّنْيَا وَالثَّأْنِ وَالشَّرَفِ».

(٢) «أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ» لِلْأَجْرِيِّ (ص: ١٠٠) مِنْ طَبْعَةِ الشَّيْخِ إِسْمَاعِيلِ الْأَنْصَارِيِّ. اللَّوْحَةُ ٢٨ مِنْ نَسْخَةِ عَاشِرِ أَفْنَدِيٍّ.

(٣) مِنْ (ك) مُوَافِقاً لِمَا فِي «أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ».

وَفِي (ف) وَ(ع) وَ(ض): «مُقَارِبٍ»، وَفِي (ز): «مُقَارِفٍ».

(٤) فِي حَوَاشِي (ع): «مَرْكَبٍ هَنِيٍّ: أَيُّ لَا يَتَعَبُ رَاكِبُهُ، قَالَ فِي النِّهَايَةِ: كُلُّ أَمْرٍ يَأْتِيكَ مِنْ غَيْرِ تَعَبٍ فَهُوَ هَنِيٌّ». هَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ، وَنَقَلَ فِيهِ وَجْهًا. «سَرِيٍّ: نَفِيسٍ».

(٥) هُنَا يَتَدَيُّ الْمَوْجُودُ مِنَ النِّسْخَةِ (ت).

(٦) فِي حَاشِيَةِ (ع): يَغْشَى «أَيُّ يُوْتِي».

(٧) فِي (ك) وَ(ز): «يُسْمَعُ».

(٨) فِي (ز): «وَوَخَدَامِهِمْ».

(٩) «مِنْ» لَا تَوْجَدُ فِي (ف)، وَكَذَلِكَ لَيْسَتْ فِي «أَخْلَاقِ الْعُلَمَاءِ».

ثُمَّ زَيْنَ لَهُمْ كَثِيرًا مِنْ قَبِيحِ أفعالِهِمْ بِتَأْوِيلِهِ<sup>(١)</sup> الْخَطَأَ؛ لِيَحْسِنَ مَوْقِعَهُ عِنْدَهُمْ، فَلَمَّا فَعَلَ هَذَا مُدَّةً طَوِيلَةً، وَاسْتَحْكَمَ فِيهِ الْفَسَادُ وَلَوُّهُ الْقَضَاءَ، فَذُبِحَ بِغَيْرِ سِكِّينٍ، فَصَارَتْ لَهُمْ عَلَيْهِ مَنَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُمْ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ ذَلِكَ؛ لئَلَّا يَغْضِبَهُمْ<sup>(٢)</sup> عَلَيْهِ، فَيَعْزِلُوهُ عَنِ الْقَضَاءِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى غَضَبِ مَوْلَاهُ، فَاقْتَطَعَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى وَالْأَرَامِلِ وَالْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَأَمْوَالَ الْوَقْفِ<sup>(٣)</sup> عَلَى الْمَجَاهِدِينَ وَأَهْلِ الشَّرَفِ وَبِالْحَرَمِينَ<sup>(٤)</sup>، وَأَمْوَالَ يَتَعَوَّدُ نَفْعُهَا عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْضَى بِهَا الْكَاتِبَ وَالْحَاجِبَ وَالْخَادِمَ، فَأَكَلَ الْحَرَامَ، وَأَطْعَمَ الْحَرَامَ، وَكَثُرَ الدَّاعِي عَلَيْهِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَوْرَثَهُ عِلْمُهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ.

هَذَا الْعِلْمُ<sup>(٥)</sup> الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَمَرَ أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْهُ، وَهَذَا الْعَالَمُ<sup>(٦)</sup> الَّذِي قَالَ فِيهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالَمٌ لَمْ يَنْفَعَهُ اللَّهُ بِعِلْمِهِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) من (ك)، وهو الموافق لما في «أخلاق العلماء»، وفي سائر النسخ: «بتأوله».

(٢) في (ك) و(ز) و(ع): «يغضبهم».

(٣) في حاشية (ك) موافقاً لما في «أخلاق العلماء»: «الوقوف».

(٤) سقطت الواو من النسخ إلا (ك)، والمعنى: وأموال الوقوف بالحرمين.

(٥) في (ك): «العالم» موافقاً لما في «أخلاق العلماء»، وما أثبتناه من سائر النسخ هو الأوفق للسياق.

(٦) تصحفت في النسخ إلى «العلم» إلا في (ك).

(٧) أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٥٠٧)، والأجري في «أخلاق العلماء» (ص: ٨٦)،

والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٤٢) باللفظ الذي أورده ابن رجب، وابن عبد البر في «جامع بيان

العلم وفضله» (ص: ٢١٤) وقال: «وهو حديث انفرد به عثمان البري لم يرفعه غيره، وهو ضعيف

الحديث معتزلي المذهب فيما ذكره، ليس حديثه بشيء».

وكانَ ﷺ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَتَّعِبُ، وَمِنْ دَعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»<sup>(١)</sup>.

وكانَ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ يقولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْماً نافعاً، وأعوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»<sup>(٢)</sup>.

هذا كُلُّهُ كلامُ الإمامِ أبي بكرٍ الآجُرِّي رَحِمَهُ اللهُ تعالى، وكانَ في أوائل<sup>(٣)</sup> الثلاثمائة<sup>(٤)</sup>، ولمْ يَزَلِ الفسادُ بعده يتزايدُ على ما ذكرَه أضعافاً مُضاعفةً، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ.

وَمِنْ دَقِيقِ آفَاتِ حُبِّ الشَّرَفِ: [حُبُّ الشَّرَفِ] بَطْلِبُ<sup>(٥)</sup> الولاياتِ والحرصِ عليها، وهوَ بابٌ غامِضٌ لا يَعْرِفُهُ إلَّا العُلَمَاءُ باللهِ تعالى، العارِفونَ به، المحبُّونَ له،

(١) أخرجه الآجري بسنده في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٣). وهو عند النسائي (٥٥٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الآجري بسنده في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٣ - ١٢٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٨١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

إلى هنا ينتهي كلام الإمام الآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٢٤) من مطبوعة الشيخ إسماعيل الأنصاري، وهذا خاتمة كتابه.

(٣) في (ت) و(ف) و(ك): «أواخر»، وفي (ز) و(ض): «أوائل»، وفي (ع): «أوائل» ثم ضرب عليها، وأثبت لاحقاً: «أواخر». وما أثبتناه هو الواقع، فإنه عاش في النصف الأول من القرن الرابع بعد الثلاث مئة.

(٤) وهو الإمام الحافظ صاحب التصانيف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، البغدادي، نزيل مكة المشرفة، المتوفى بها سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى.

(٥) «بطلب»: هكذا في جميع النسخ، وهو مشكل، لذلك كتب في حاشية (ع): «هذا خبر مقدَّم يُنظر مبتدؤه». لذلك أضفت قبله ما بين معقوفين ليستقيم الكلام.

الَّذِينَ يَغَارُونَ لَهُ مِنْ جِهَالَةٍ<sup>(١)</sup> خَلَقَهُ الْمَزَاحِمِينَ لِرَبِيبَتِهِ وَالْهَيْتَةَ مَعَ حَقَارَتِهِمْ وَسَقَطِ<sup>(٢)</sup> مَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَ خَوَاصِّ عِبَادِهِ الْعَارِفِينَ بِهِ.

كَمَا كَانَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ فِيهِمْ<sup>(٣)</sup>: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقَقَتْ<sup>(٤)</sup> بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمَلَجَتْ<sup>(٥)</sup> بِهِمُ الْبَرَاذِينُ<sup>(٦)</sup>، فَإِنَّ ذَلِكَ الْمَعْصِيَةَ فِي رِقَابِهِمْ، أَيْ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ<sup>(٧)</sup>.

وَأَعْلَمُ<sup>(٨)</sup> أَنَّ حُبَّ الشَّرَفِ بِالْحِرْصِ عَلَى نَفْوِذِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَتَدْبِيرِ أُمُورِ<sup>(٩)</sup> النَّاسِ

(١) فِي (ت) وَ(ف) وَ(ض) وَأَشِيرُ إِلَيْهِ فِي حَاشِيَةِ (ك) وَ(ع): «يَعَادُونَ». وَفِي (ت) وَ(ف) وَأَشِيرُ إِلَيْهِ فِي حَاشِيَةِ (ك) وَ(ع): «جُهَالٌ».

(٢) فِي (ك): «سَقُوطٌ».

(٣) فِي (ز) وَ(ض): «كَمَا قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ».

(٤) فِي حَاشِيَةِ (ع): «أَيَّ صَوْتٍ نَعَالُ الْبِغَالِ إِذَا مَشَتْ مَعَ صَاحِبِهَا».

(٥) فِي حَاشِيَةِ (ع): «أَيَّ سَارَتْ بِهِمُ السَّيْرَ الْمَعْبَرُ عَنْهُ بِالْهَمْلَجَةِ، وَهِيَ مَشْيٌ سَهْلٌ كَالرَّهْوَجَةِ»، كَمَا فِي «الْمَغْرِبِ». «الْمُغْرِبُ فِي تَرْتِيبِ الْمَغْرِبِ»، لِنَاصِرِ الدِّينِ الْمَطْرُزِيِّ (٢ / ٣٨٨).

(٦) فِي حَاشِيَةِ (ع): «جَمْعُ بَرْدُونٍ وَهُوَ مَعْرُوفٌ وَهُوَ مَا لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ».

(٧) بِهَذَا اللَّفْظَ ذَكَرَهُ الْمَصْنَفُ أَيْضاً فِي «شَرْحِ حَدِيثِ بَعَثَ بِالسَّيْفِ». وَذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ وَكَذَلِكَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى فِي عِدَدٍ مِنْ مَصْنَفَاتِهِمَا.

وَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢ / ١٤٩) نَحْوَهُ عَنِ الْحَسَنِ بِلَفْظٍ: «أَمَّا وَاللَّهِ لَشَنَ تَدَقَّدْتُ بِهِمُ الْهَمَالِجَ، وَوُطِّتَ الرِّجَالُ أَعْقَابَهُمْ، إِنْ ذَلَّ الْمَعَاصِي لَفِي قُلُوبِهِمْ، وَلَقَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ يَعْصِيَهُ عَبْدٌ إِلَّا أَذَلَهُ».

وَذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ نَحْواً مِنْهُ فِي «الْعَقْدِ الْفَرِيدِ» (٣ / ١٥٣)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ» (١ / ٣٩٤) بِنَحْوِ آخِرِ.

(٨) «وَأَعْلَمُ» سَقَطَتْ مِنْ (ز) وَ(ض) وَأَلْحَقْتُ فِي (ع).

(٩) فِي (ت) وَ(ف) وَ(ض): «أَمْرٌ».



إِذَا كَانَ الْقَصْدُ بِذَلِكَ مَجَرَّدَ غُلُوِّ الْمَنْزِلَةِ عَلَى الْخَلْقِ، وَالتَّعَاضُطِ عَلَيْهِمْ، وَإِظْهَارِ صَاحِبِ هَذَا الشَّرَفِ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَيْهِ وَافْتِقَارِهِمْ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>، وَذُلَّهُمْ لَهُ فِي طَلَبِ حَوَائِجِهِمْ مِنْهُ، فَهَذَا نَفْسُهُ مَزَاحِمَةٌ لِرُبُوبِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْهَيْئَةِ، وَرُبَّمَا تَسَبَّبَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ إِلَى إِيقَاعِ النَّاسِ فِي أَمْرِ يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَيْهِ؛ لِيُضْطَرَّ هُمْ بِذَلِكَ إِلَى رَفْعِ حَاجَاتِهِمْ إِلَيْهِ، وَظُهُورِ فَقْرِهِمْ وَاحْتِيَاجِهِمْ إِلَيْهِ، وَتَتَعَاضَطُ بِذَلِكَ وَتَتَكَبَّرُ بِهِ، وَهَذَا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

[التضرع خاص بالله لا ينبغي للخلق أن يلجأ إليه]

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٤].

وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيَتَلَي عَبْدَهُ بِالْبَلَاءِ لِيَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ<sup>(٢)</sup>.

(١) «وافْتِقَارِهِمْ إِلَيْهِ» سَقَطَتْ مِنْ (ز) وَأَلْحَقَتْ فِي (ع).

(٢) رَوَاهُ أَبُو وَائِلٍ عَنْ كَرْدُوسِ بْنِ عَمْرٍو التَّغْلِبِيِّ، وَكَانَ يَقْرَأُ الْكُتُبَ السَّابِقَةَ، وَيَحْكِي عَنِ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَهُوَ مِنَ الْمُخَضَّرِينَ.

أَخْرَجَهُ الْبَغَوِيُّ فِي «الْجَعْدِيَّاتِ» (٧٩)، وَأَبُو حَاتِمٍ فِي «الزَّهْدِ» (٣٤)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْأَوْلِيَاءِ» (٤٠)، وَ«الْفَرَجُ بَعْدَ الشَّدَةِ» (٢٣)، وَابْنُ أَبِي حَتِمٍ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٩٣٣٠)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ» (٥٩٠٧).

وَمِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَبِي وَائِلٍ: ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْمَرَضِ وَالْكَفَارَاتِ» (٩٣) وَابْنُ أَبِي حَتِمٍ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٩٥٥٧).

وَقَصَّرَ بِهِ بَعْضُهُمْ فَوْقَهُ عَلَى عَمْرٍو بْنِ مَرَّةٍ - أَحَدِ رَوَاتِهِ عَنْ أَبِي وَائِلٍ - عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الْأَوْسَطِ» (١٢٤٥).

وَسَلَّكَ بَعْضُهُمُ الْجَادَةَ، فَرَوَاهُ عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ فِي «الْأَوْسَطِ» (١٢٤٦)، وَابْنُ أَبِي حَتِمٍ (٩٣٢٩).

وَالْأَوَّلَى قَالَ عَنْهَا الْبَيْهَقِيُّ: «هَذَا أَصَحُّ».

وفي بعض الآثار أيضاً: أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا دَعَا اللَّهَ تَعَالَى وَهُوَ يَحِبُّهُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:  
يا جبريلُ! لا تَعْجَلْ بِقَضَاءِ حَاجَتِهِ، فَإِنِّي أَحَبُّ أَنْ أَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ<sup>(١)</sup>.

فهذه الأمورُ أصعبُ وأخطرُ مِنْ مَجَرَّدِ الظُّلْمِ، وأدهى مِنْ<sup>(٢)</sup> الشُّرْكِ، والشُّرْكِ  
أعظمُ الظُّلْمِ عِنْدَ اللَّهِ.

وفي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: [يقول الله تعالى]<sup>(٣)</sup> «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي،  
وَالْعِظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِيهِمَا»<sup>(٤)</sup> عَذَّبْتُهُ»<sup>(٥)</sup>.

= وروى عن شقيق عن كردوس. أخرجه أبو نعيم في «معركة الصحابة» (٥٩٠٦)، وفي «الحلية»  
(٤ / ١٨٠)، ولعله راجع إلى حديث أبي وائل.

وقد روي هذا المعنى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً. أخرجه هناد بن السري في  
«الزهد» (٤٠٥)، والبيهقي في «الجامع لشعب الإيمان» (٩٣٣١).

تنبيه: وقع في مطبوعة «الجامع لشعب الإيمان» (مكتبة الرشد) (١٢ / ٢٣٧)، «وكان يقرأ الكتب  
فلا يجد فيما نقرأ من الكتب» وصوابه: «وكان يقرأ الكتب، قال: نجد فيما نقرأ من الكتب».

(١) ذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٤٠٣) دون عزو.

أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢ / ٣٢٧) موقوفاً على ثابت البناني.

وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٨٧)، وفي «الأوسط» (٨٤٤٢) من حديث جابر بن عبد الله.

وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨ / ٢٤٤)، وعبد الغني المقدسي في «الترغيب في الدعاء»  
(٥١) من حديث جابر بن عبد الله وأنس بن مالك.

كلهم من طريق إسحاق بن أبي فروة وهو متروك، فلعله سرقه ورفع. وفي حاشية (ع): «يفهم من  
الآثر أن جبريل موكل بقضاء الحاجات، وأن التأخير قد يكون لمحبة الله ذا الحاجة».

(٢) في (ز): «مواقع»، وكانت كذلك في (ع) فضرب عليها، وأثبت «من».

(٣) من (ر) وحدها، وفي (ض): قال الله.

(٤) في (ت) و(ف): «في واحد منهما».

(٥) هذا اللفظ لا يوجد في الصحيح، وإنما هو من حديث أبي سعيد وأبي هريرة في «مستخرج أبي =

كَانَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ قَاضِيًا، فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ: أَنْتَ قَاضٍ، وَاللَّهُ قَاضٍ! فَاسْتَيْقِظَ مُتَرْعِبًا، وَخَرَجَ عَنِ الْقَضَاءِ، وَتَرَكَهُ<sup>(١)</sup>.

[المنع من عبارة قاضي القضاة وحاكم المحاكم]

وَكَانَ طَائِفَةٌ مِنَ الْقُضَاةِ الْوَرَعِينَ يَمْنَعُونَ النَّاسَ أَنْ يَدْعُوهُمْ بِ«قَاضِي الْقُضَاةِ»، فَإِنَّ هَذَا الْاسْمَ يُشَبِّهُ «مَلِكَ الْمُلُوكِ» الَّذِي ذَمَّ النَّبِيُّ ﷺ التَّسْمِيَةَ بِهِ<sup>(٢)</sup>

= عَوَانَةُ عَلَى «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» (١١٤٤١) حَدِيثٌ قَدْسِي، وَالَّذِي فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (٢٦٢٠) قَالَ ﷺ: «الْعَزْ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَذْبَتَهُ». وَمَخْرَجُ اللَّفْظَيْنِ وَاحِدًا وَهُوَ فِي السَّنَنِ مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ.

(١) فِي (ك) وَ(ع) وَ(ز): «وَتَرَكَ الْقَضَاءَ».

ذَكَرَ الْقُرْشِيُّ فِي «الْجَوَاهِرِ الْمُضِيَّةِ فِي طَبَقَاتِ الْحَنْفِيَّةِ» (٢/ ٣٨٨) عَنِ الْقَاضِي أَبِي مُسْلِمٍ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرِو التَّمِيمِيِّ السَّمْنَانِيِّ أَنَّهُ خَرَجَ إِلَى الْمَوْصِلِ، قَالَ: «فَاقَمْتُ بِهَا أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَوَلِيتُ الْقَضَاءَ بِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثُمَّ تَبَتْ عَنْهُ نَوْبَةٌ، وَذَلِكَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ قَائِلًا يَقُولُ لِي: «اللَّهُ قَاضٍ وَأَنْتَ قَاضٍ! فَاسْتَعْفَيْتُ». تَوَفَّى سَنَةَ ٤٩٧ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٢) قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَرْجُمَةِ الْإِمَامِ أَبِي مُحَمَّدٍ رَزَقِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ التَّمِيمِيِّ الْبَغْدَادِيِّ، الْمَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٨ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، مِنْ كِتَابِهِ «ذِيلُ طَبَقَاتِ الْحَنْبَلَةِ» (١/ ١٩١ - ١٩٣): «وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «تَارِيخِهِ» أَنَّ جَلَالَ الدَّوْلَةِ أَمْرُهُ: أَنْ يَكْتُبَ: «شَاهِنشَاهُ الْأَعْظَمُ»، «مَلِكُ الْمُلُوكِ»، وَخُطِّبَ لَهُ بِذَلِكَ. فَتَفَرَّ الْعَامَّةُ، وَرَجَمُوا الْخُطْبَاءَ، وَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ، وَذَلِكَ سَنَةَ تِسْعٍ وَعِشْرِينَ وَأَرْبَعِمِئَةَ.

فَاسْتَفْتَى الْفُقَهَاءُ:

فَكُتِبَ الصِّمْرِيُّ: أَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ يَعْتَبَرُ فِيهَا الْقَصْدُ وَالنِّيَّةُ.

وَكُتِبَ أَبُو الطَّيِّبِ الطَّبْرِيُّ: أَنَّ إِطْلَاقَ «مَلِكِ الْمُلُوكِ» جَائِزٌ، وَيَكُونُ مَعْنَاهُ: مَلِكُ مُلُوكِ الْأَرْضِ، وَإِذَا جَازَ أَنْ يُقَالَ: «قَاضِي الْقَضَاةِ»، وَ«وَكَافِي الْكَفَاةِ» جَازَ أَنْ يُقَالَ: «مَلِكُ الْمُلُوكِ».

وَكُتِبَ التَّمِيمِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ.

= وذكر محمد بن عبد الملك الهمداني أن القاضي الماوردي منع من جواز ذلك.

قال ابن الجوزي: والذي ذكره الأكثرون هو القياس إذا قصد به ملوك الدنيا، إلا أنني لا أرى إلا ما رآه الماوردي، لأنه قد صح في الحديث ما يدل على المنع، لكنهم عن النقل بمعزل!

ثم ساق حديث أبي هريرة الذي في الصحيحين.

وابنُ الجوزي وافق على جواز التسمية بـ«قاضي القضاة» ونحوه، وقد ذكر شيخنا أبو عبد الله ابن القيم قال: وقال بعض العلماء: وفي معنى ذلك - يعني ملك الملوك - كراهية التسمية بـ«قاضي القضاة»، و«حاكم الحكام» فإن حاكم الحكام في الحقيقة هو الله تعالى.

وقد كان جماعة من أهل الدين والفضل يتورعون عن إطلاق لفظ «قاضي القضاة» و«حاكم الحكام» قياساً على ما يبغضه الله ورسوله من التسمية بـ«ملك الأملاك» وهذا محض القياس.

قلت: وكان شيخنا أبو عمر عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن جماعة الكتاني الشافعي - قاضي قضاة الديار المصرية، وابن قاضيها - يمنع الناس أن يخاطبوه بـ«قاضي القضاة» أو يكتبوا له ذلك، وأمرهم أن يبدلوا ذلك بـ«قاضي المسلمين» وقال: إن هذا اللفظ مأثور عن علي رضي الله عنه.

يوضح ذلك: أن التلقب بـ«ملك الملوك» إنما كان من شعائر ملوك الفرس من الأعاجم المجوس ونحوهم، وكذلك كان المجوس يسمون قاضيهم «موبدُ موبدان» يعنون بذلك: «قاضي القضاة» فالكلمتان من شعائرهم، ولا ينبغي التسمية بهما، والله أعلم. اهـ.

انظر: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» لابن الجوزي «حوادث سنة ٤٢٩»، وقد لخص المصنف ابن رجب ما ذكره ابن الجوزي.

وكلام ابن القيم في «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص: ١١٥)، و«زاد المعاد في هدي خير العباد» (٢/ ٣١١).

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه «أخنع اسم عند الله - أو أخنع الأسماء عند الله - رجل تسمى بملك الأملاك». أخرجه البخاري (٦٢٠٦) ومسلم (٢١٤٣)، وقال ابن حجر في شرحه:

«ومن النوادر أن القاضي عز الدين ابن جماعة قال: إنه رأى أباه في المنام فسأله عن حاله؟ فقال: ما كان عليّ أضر من هذا الاسم. فأمر الموقعين أن لا يكتبوا له في السجلات قاضي القضاة بل قاضي المسلمين. وفهم من قول أبيه أنه أشار إلى هذه التسمية مع احتمال أنه أشار إلى الوظيفة، بل =

وقال: «لَا مَلِكَ إِلَّا اللَّهُ»<sup>(١)</sup>، و«حَاكُمُ الْحُكَّامُ» مثله أو أشد منه.

[ذم طلب الحمد على الفعل الجميل]

ومن هذا الباب أيضاً: أَنْ يُحِبَّ ذُو الشَّرَفِ والولاية أَنْ يُحْمَدَ على أفعاله ويثنى عليه بها<sup>(٢)</sup>، ويطلب من الناس ذلك، ويتسبب في أذى<sup>(٣)</sup> مَنْ لا يجيبه إليه<sup>(٤)</sup>، وربما كان ذلك الفعل إلى الذم أقرب منه إلى المدح، وربما أظهر أمراً حسناً في الظاهر وأحب المدح عليه، وقصد به في الباطن شراً، وفرح<sup>(٥)</sup> بتمويه ذلك وترويعه على الخلق، وهذا يدخل في قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، فإن هذه الآية إنما نزلت فيمن هذه صفته، وهذه الصفة<sup>(٦)</sup> - أعني: طلب المدح من الخلق ومحبة والعقوبة على تركه - لا تصلح إلا لله وحده لا شريك له.

= هو الذي يترجح عندي، فإن النسية بقاضي القضاة وجدت في العصر القديم من عهد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة. وقد منع الماوردي من جواز تلقيب الملك الذي كان في عصره بملك الملوك مع أن الماوردي كان يقال له: أفضى القضاة! وكان وجه التفرقة بينهما الوقوف مع الخير، وظهور إرادة العهد الزماني في القضاة. اهـ

ولخص ابن حجر كلام ابن أبي جمرة في «بهجة النفوس» (٤ / ١٨٥): «يلتحق بملك الأملاك: قاضي القضاة، وإن كان أشهر في بلاد الشرق من قديم الزمان إطلاق ذلك على كبير القضاة. وقد سلم أهل المغرب من ذلك، فاسم كبير القضاة عندهم: «قاضي الجماعة». اهـ

(١) هذه الزيادة عند مسلم (٢١٤٣).

(٢) في (ت) و(ف): «ويثنى عليها».

(٣) في (ز) و(ع) و(ك): «إلى أذى».

(٤) في (ز): «من لم يجبه إليه».

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «وفصد». سبق نظر.

(٦) في (ز): «صفة».

وَمِنْ هُنَا كَانَ أَثْمَةُ الْهَدْيِ يَنْهَوْنَ عَنْ حَمْدِهِمْ<sup>(١)</sup> عَلَى عَدْلِهِمْ وَمَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَيَأْمُرُونَ بِإِضَافَةِ الْحَمْدِ عَلَى ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ<sup>(٢)</sup>، فَإِنَّ النَّعَمَ كُلَّهَا مِنْهُ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ شَدِيدَ الْعَنَاءِ بِذَلِكَ، وَكَتَبَ مَرَّةً إِلَى أَهْلِ الْمَوْسِمِ كِتَاباً يُقْرَأُ عَلَيْهِمْ، وَفِيهِ الْأَمْرُ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَإِزَالَةِ مِظَالِمَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ. وَفِي الْكِتَابِ: وَلَا تَحْمَدُوا عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا اللَّهَ، فَإِنَّهُ لَوْ وَكَّلَنِي إِلَى نَفْسِي كُنْتُ كَغَيْرِي<sup>(٣)</sup>.

### [قصة عمر بن عبد العزيز مع المرأة]

وَحِكَايَتُهُ مَعَ الْمَرْأَةِ الَّتِي طَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَفْرِضَ لِبَنَاتِهَا الْيَتَامَى مَشْهُورَةً، فَإِنَّهَا كَانَتْ لَهَا أَرْبَعُ بَنَاتٍ، فَفَرَضَ لَابْتَيْنِ مِنْهُنَّ وَهِيَ تَحْمَدُ اللَّهَ، ثُمَّ فَرَضَ لِلثَّلَاثَةِ فَشَكَرَتْهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا كُنَّا نَفْرِضُ لَهُنَّ حَيْثُ كُنْتَ تُولِينِ الْحَمْدَ أَهْلَهُ، فَمُرِّي هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَ يُوَاسِينَ الرَّابِعَةَ. أَوْ كَمَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>.

وَحَاصِلُ الْأَمْرِ<sup>(٥)</sup>: أَنْ يُعْرَفَ أَنَّ ذَا الْوِلَايَةِ إِنَّمَا هُوَ مُتَنَصِّبٌ لَتَنْفِيزِ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَمْرِ الْعِبَادِ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَنَاهٍ لَهُمْ عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، نَاصِحٌ لِعِبَادِ اللَّهِ بِدُعَائِهِمْ

(١) فِي (ع): «مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ».

(٢) «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» مِنْ (ف) وَ(ض) وَ(ر).

(٣) أَخْرَجَهُ بِتَمَامِهِ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٢٩٢/٥).

(٤) قِصَّةُ مَشْهُورَةٍ ذَكَرَهَا ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ فِي «سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» (ص: ١٤٩) وَفِيهِ أَنَّ الْبَنَاتَ كَرَّ خَمْسًا.

(٥) فِي (ت) وَ(ف): «وَالْمَقْصُودُ».

إلى الله، فهو يقصد أن يكون الدين كله لله، وأن تكون العزة لله<sup>(١)</sup>، وهو مع ذلك خائف من التقصير في حقوق الله.

وأيضاً فالمحبون<sup>(٢)</sup> لله غاية مقاصدهم من الخلق أن يحبوا الله ويطيعوه ويفردوه<sup>(٣)</sup> بالعبودية والإلهية، فكيف يُزاحمونه في شيء من ذلك؟ فهو لا يريد من الخلق جزاء ولا شكوراً، وإنما يرجو ثواب عمله<sup>(٤)</sup> من الله؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠].

وقال النبي ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح عيسى<sup>(٥)</sup> ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله<sup>(٦)</sup>».

وكان ﷺ يُنكرُ على من لا يتأدب معه في الخطاب بهذا الأدب؛ كما قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء محمد، بل قولوا: ما شاء الله ثم شاء محمد<sup>(٧)</sup>».

(١) سقط من (ف) و(ض) من قوله: «وناه لهم» إلى هنا.

(٢) في (ك) و(ز): «فإن المحبين».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «ويعرفوه».

(٤) تصحفت في (ف) و(ض) إلى: «علمه».

(٥) لم تذكر «عيسى» في (ت) و(ف) و(ض)، وليس في البخاري «المسيح».

(٦) أخرجه مختصراً البخاري في «أحاديث الأنبياء» (٣٤٤٥)، ومطولاً في «الحدود» (٦٨٣٠) من حديث

عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي حاشية (ع): «الإطراء في المدح: الغلو فيه وتجاوز حده».

(٧) هذا اللفظ أخرجه الدارمي (٢٧٤١) وأخرجه بنحوه الإمام أحمد (٢٠٦٩٤)، وابن ماجه في

«الكفارات» (٢١١٨) وغيرهما من حديث طفيل بن سخبرة رضي الله عنه.

وَقَالَ لِمَنْ قَالَ لَهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ: «أَجْعَلَنِي وَاللَّهِ عَدْلًا»<sup>(١)</sup>، بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فَمِنْ هُنَا كَانَ خُلَفَاءُ الرُّسُلِ وَأَتْبَاعُهُمْ مِنْ أَمْرَاءِ الْعَدْلِ وَقُضَاتِهِمْ لَا يَدْعُونَ إِلَى تَعْظِيمِ نَفْسِهِمْ أَلْبَتَّةَ، بَلْ إِلَى تَعْظِيمِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِفْرَادِهِ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ. وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ لَا يُرِيدُ الْوِلَايَةَ إِلَّا لِلْإِسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ. فَكَانَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ يَتَوَلَّى الْقَضَاءَ وَيَقُولُ: أَنَا أَتَوَلَّاهُ لِأُسْتَعِينَ بِهِ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ<sup>(٣)</sup>.

وَلِهَذَا كَانَتْ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَأَتْبَاعُهُمْ يَصْبِرُونَ عَلَى الْأَذَى فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَحَمَّلُونَ فِي تَنْفِيدِ أَوْامِرِ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ غَايَةَ الْمَشَقَّةِ وَهُمْ صَابِرُونَ، بَلْ رَاضُونَ بِذَلِكَ، فَإِنَّ الْمُحِبَّ رُبَّمَا يَتَلَذَّذُ<sup>(٤)</sup> بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْأَذَى فِي رِضَى مَحْبُوبِهِ.

كَمَا<sup>(٥)</sup> كَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ لِأَبِيهِ فِي خِلَافَتِهِ إِذَا

(١) سبق نظر ناسخ (ك) فلم يكتب الحديث، والمثبت من (ز)، وفي (ت): «جعلني لله عدلاً»، وفي

(ف) و(ع): «أجعلني لله عدلاً»، وفي (ض): «أجعلني لله عدلاً».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٣) ومن هؤلاء الإمام القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي، المتوفى ٥٤٣ رحمه الله تعالى قال في

كتابه «العواصم من القواصم» (ص: ٢٩٧): «ولقد حكمت بين الناس، فألزمتهم الصلاة والأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى لم يكن يرى في الأرض منكر».

(٤) في (ك) و(ز) و(ع): «يلتذذ».

(٥) «كما»: من (ف) و(ض).



حَرَّضَهُ عَلَى تَنْفِيزِ الْحَقِّ وَإِقَامَةِ الْعَدْلِ: يَا أَبَتِ! لَوَدِدْتُ أَنَّهُ لَوْ غَلَتْ بِي وَبَكَ الْقُدُورُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: وَدِدْتُ أَنَّ جَسْمِي قُرِضَ بِالْمَقَارِضِ وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَطَاعُوا اللَّهَ تَعَالَى<sup>(٢)</sup>. فَعُرِضَ قَوْلُهُ عَلَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ<sup>(٣)</sup> أَرَادَ بِذَلِكَ النَّصِيحَةَ لِلْخَلْقِ وَالْأَفْلا أَدْرِي.  
ثُمَّ غُشِيَ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

وَمَعْنَى هَذَا: أَنَّ صَاحِبَ هَذَا الْقَوْلِ قَدْ يَكُونُ لِحَظِّ نُصْحِ الْخَلْقِ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَأَحَبَّ أَنْ يَفْدِيَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ بِأَذَى نَفْسِهِ، وَقَدْ يَكُونُ لِحَظِّ جَلَالِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهِ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْإِجْلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَحَبَّةِ،

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٦٢٣٩)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٦ / ٣٧). وَمِنْ وَجْهِ آخَرَ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٥٤ / ٥).

وَذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (٢٥٥ / ٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الدِّبْنَورِيُّ فِي «الْمَجَالِسَةِ» (٤٧٧)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٥٠ / ١٠) مِنْ كَلَامِ زُهَيْرِ بْنِ نَعِيمِ الْبَابِيِّ أَحَدِ الزُّهَادِ الْعَابِدِينَ. وَذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (٢٢٣ / ١) وَ(٢٥٥ / ٢).

(٣) «كَانَ»: مِنْ (ف) وَ(ض) وَلَا تَوْجِدُ فِي سَائِرِ النُّسخِ.

(٤) سَأَلَ الرَّوْذِبَارِيُّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَلَاءِ الدِّمَشْقِيَّ عَنْ كَلَامِ زُهَيْرٍ، مَا مَعْنَاهُ؟ فَأَجَابَ: إِنْ كَانَ مِنْ طَرِيقِ الْإِشْفَاقِ عَلَى الْخَلْقِ وَالنَّصْحِ فَأَعْرَفَ، وَإِنْ كَانَ مِنْ طَرِيقِ التَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ فَلَا أَعْرَفَ. أَخْرَجَهُ أَبُو طَالِبِ الْمَكِّيِّ فِي «قُوَّةِ الْقُلُوبِ» (٧٠ / ٢). وَنَقَلَهُ الْغَزَالِيُّ فِي كِتَابِ الْمَحَبَّةِ مِنْ «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» (١٠٧ / ٦) وَقَالَ: «لَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْتَنْكَرَ الضَّعِيفُ الْمَحْرُومُ أَحْوَالِ الْأَقْوِيَاءِ: وَيُظَنُّ أَنَّ مَا هُوَ عَاجِزٌ عَنْهُ يَعْجِزُ عَنْهُ الْأَوْلِيَاءُ».

فَوَدَّ أَنَّ الْخَلْقَ قَامُوا لَهُ بِذَلِكَ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُ فِي نَفْسِهِ غَايَةُ الضَّرَرِ<sup>(١)</sup>.  
وهذا هو مَشْهُدُ خَوَاصِّ الْمُحِبِّينَ الْعَارِفِينَ، وبملاحظة عُشِيِّ عَلَى هَذَا الرَّجُلِ  
الْعَارِفِ بِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  
وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الْمُحِبِّينَ لَهُ فِي كِتَابِهِ بِأَنَّهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>، وَلَا  
يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمَةً<sup>(٣)</sup>.

وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ بَعْضُهُمْ:  
أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي اللَّوْمُ<sup>(٤)</sup>

(١) قَالَ الْمَصْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكْمِ» (٢/ ٢٥٥):

«وَأَعْلَمُ أَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ:

- تَارَةً يَحْمِلُ عَلَيْهِ رَجَاءُ ثَوَابِهِ.

- وَتَارَةً خَوْفُ الْعِقَابِ فِي تَرْكِهِ.

- وَتَارَةً الْغَضَبُ لِلَّهِ عَلَى انْتِهَاكِ مَحَارِمِهِ.

- وَتَارَةً النَّصِيحَةُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالرَّحْمَةُ لَهُمْ، وَرَجَاءُ إِنْقَازِهِمْ مِمَّا أَوْقَعُوا أَنْفُسَهُمْ فِيهِ مِنَ التَّعَرُّضِ

لِغَضَبِ اللَّهِ وَعَقُوبَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

- وَتَارَةً يَحْمِلُ عَلَيْهِ إِجْلَالُ اللَّهِ وَإِعْظَامُهُ وَمَحَبَّتُهُ، وَأَنَّهُ أَهْلٌ أَنْ يَطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيُذَكَّرُ فَلَا يُنْسَى،

وَيُشْكِرُ فَلَا يُكْفَرُ، وَأَنْ يَفْتَدِيَ مِنْ انْتِهَاكِ مَحَارِمِهِ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: - وَذَكَرَ

قَوْلَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَرَ، وَقَوْلَ زُهَيْرِ الْبَابِيِّ -.

(٢) فِي (ز) وَ(ض): «فِي كِتَابِهِ الْمُحِبِّينَ لَهُ» وَفِي (ت) وَ(ف) وَ(ض): «فِي سَبِيلِهِ».

(٣) قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى

الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمَةً﴾ [المائدة: ٥٤].

(٤) الْبَيْتُ لِأَبِي الشَّيْبِصِ الْخَزَاعِيِّ الشَّاعِرِ الْمَتَوَفَى سَنَةَ ١٩٦ هـ كَمَا فِي دِيَوَانِهِ (ص: ١٠٢). وَفِي (ف):

«وَلْيَلْمَنِي».

### [ طلب الشرف بالدين ]

القِسْمُ الثَّانِي: طَلَبُ الشَّرَفِ وَالْعُلُوِّ عَلَى النَّاسِ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ؛ كَالْعِلْمِ وَالْعَمَلِ وَالزُّهْدِ، فَهَذَا أَفْحَشُ مِنَ الْأَوَّلِ، وَأَقْبَحُ وَأَشَدُّ فُسَاداً وَخَطَرًا، فَإِنَّ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَالزُّهْدَ إِنَّمَا يُطَلَّبُ بِهَا الشَّرَفُ عِنْدَ اللَّهِ، وَالْقُرْبُ مِنْهُ، وَالزُّلْفَى لَدَيْهِ، وَيُطَلَّبُ بِهَا مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ لَدَيْهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ الثَّوْرِيُّ: إِنَّمَا فَضِّلَ الْعِلْمُ؛ لِأَنَّهُ يُتَّقَى بِهِ اللَّهُ، وَإِلَّا كَانَ كَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ<sup>(٢)</sup>.

وَإِذَا طُلِبَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا عَرَضَ الدُّنْيَا الْفَانِي، فَهُوَ أَيْضًا نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: أَنْ يُطَلَّبَ بِهِ الْمَالُ، فَهَذَا مِنْ نَوْعِ الْحِرْصِ عَلَى الْمَالِ، وَطَلِبُهُ بِالْأَسْبَابِ الْمَحْرَمَةِ.

وَفِي هَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ<sup>(٣)</sup> الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرَفَ<sup>(٤)</sup> الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٥)</sup>». يَعْنِي: رِيحَهَا<sup>(٦)</sup>.

(١) وَقَعَ فِي النِّسْخِ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَاخْتِلَافٌ فِي الضَّمَاثِرِ، وَالْمُثَبِّتِ مِنْ (ك) وَ(ع).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٦ / ٣٦٢) بِنَحْوِهِ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ» (١١٥٢). وَعِنْدَهُ: «إِنَّمَا يُطَلَّبُ الْحَدِيثُ». وَضَبَطْتُ فِي (ت): «إِنَّمَا فَضِّلَ الْعِلْمُ».

(٣) فِي (ف) وَ(ض): «عَرَضَ الدُّنْيَا».

(٤) فِي حَاشِيَةِ (ز): «الْعَرَفُ - بَفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ - أَيْ الرِّيحُ، قِيلَ: وَمِنْهُ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ، لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ عَرَفَ الْجَنَّةِ هـ مِنْ شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، لِلْبِرْمَاوِيِّ.

(٥) فِي حَاشِيَةِ (ع): «أَيُّ مَنْ شَأْنُهُ ذَلِكَ كَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، احْتَرَزَ بِهِ عَنِ الْعُلُومِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالصَّنَائِعِ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّ أَنْ يُطَلَّبَ بِهَا الدُّنْيَا». لِذَلِكَ فَإِنَّ التَّكَاثُرَ وَالتَّبَاهِيَّ بِالشَّهَادَاتِ الْجَامِعِيَّةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ بِعَرَضٍ فَاعْلَهُ إِلَى خَطَرٍ شَدِيدٍ!

(٦) قَوْلُهُ: يَعْنِي: رِيحَهَا، تَفْسِيرٌ مِنْ كَلَامِ سَرِيحِ بْنِ النُّعْمَانِ أَحَدِ رَوَاةِ الْحَدِيثِ.

خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(١)</sup>.

### [الجنة المعجلة في الدنيا]

وَسَبَبُ هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مُعَجَّلَةً، وَهِيَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّتُهُ، وَالْأَنْسُ<sup>(٢)</sup> بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَخَشْيَتُهُ، وَطَاعَتُهُ. وَالْعِلْمُ النَّافِعُ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، فَمَنْ ذَلَّهِ عِلْمُهُ عَلَى دُخُولِ هَذِهِ الْجَنَّةِ الْمُعَجَّلَةِ فِي الدُّنْيَا دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٣)</sup>، وَمَنْ لَمْ يَشْمَ رَائِحَتَهَا لَمْ يَرُخْ<sup>(٤)</sup> رَائِحَةَ الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٥)</sup>.

وَلِهَذَا كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا فِي الْآخِرَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٦)</sup>، حَيْثُ كَانَ مَعَهُ آلَةٌ يَتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ وَأَرْفَعِ الْمَقَامَاتِ، فَلَمْ يَسْتَعْمِلْهَا إِلَّا فِي التَّوَصُّلِ إِلَى أَخْسَرِ الْأُمُورِ وَأَدْنَاهَا قِيَمَةً وَأَحَقَرِهَا؛

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٨٤٥٧)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «الْعِلْمِ» (٣٦٥٦)، وَابْنُ مَاجَةَ (٢٥٢)، وَابْنُ حِبَّانَ (٧٨).

(٢) فِي (ف) وَ(ك) وَ(ع): «وَمَحَبَّةُ الْأَنْسِ بِهِ» وَالْمُثَبِّتُ مِنْ (ز) وَ(ض).

(٣) فِي (ت) وَ(ف)، وَأَشِيرُ إِلَيْهَا فِي حَاشِيَةِ (ك) وَ(ع): «فَازَ بِالْجَنَّةِ الْآخِرَةِ».

(٤) فِي (ت) وَ(ف)، وَأَشِيرُ إِلَيْهَا فِي حَاشِيَةِ (ك) وَ(ع): «لَمْ يَشْمَ».

(٥) نَقَلَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «ذِيلِ طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ» (٤ / ٥١٩)، عَنْ شَيْخِهِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْقَيْمِ قَالَ: «سَمِعْتُ شَيْخَنَا شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنُورَ ضَرْيَحِهِ يَقُولُ: إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ».

قَالَ: وَقَالَ لِي مَرَّةً: مَا يَصْنَعُ أَعْدَائِي بِي؟ أَنَا جَتِي وَبِسْتَانِي فِي صَدْرِي، أَيْنَ رَحْتَ فِهِي مَعِي لَا تَفَارِقْنِي، أَنَا حَبْسِي خُلُوءَ، وَقَتْلِي شَهَادَةَ، وَإِخْرَاجِي مِنْ بَلَدِي سِيَاحَةً. رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (١ / ٣٤٤).

(٦) فِي (ك) وَ(ز) وَ(ع): «حَسْرَةُ فِي الْآخِرَةِ».

كَمَنْ كَانَتْ مَعَهُ جَوَاهِرُ نَفْسِهِ لَهَا قِيَمَةٌ عَظِيمَةٌ فَبَاعَهَا بِبَعْرِ أَوْ شَيْءٍ مُسْتَقْدَرٍ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ، بَلْ حَالُ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بَعْلِمِهِ أَقْبَحُ وَأَقْبَحُ، وَكَذَلِكَ مَنْ يَطْلُبُهَا بِإِظْهَارِ الزُّهْدِ فِيهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ خِدَاعٌ قَبِيحٌ جَدًّا.

وَكَانَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ يَعِيبُ عَلَى مَنْ لَيْسَ عِبَادَةً وَفِي قَلْبِهِ شَهْوَةٌ مِنْ شَهَوَاتِ الدُّنْيَا تُسَاوِي أَكْثَرَ مِنْ قِيَمَةِ الْعِبَادَةِ<sup>(١)</sup>.

يُشِيرُ إِلَى أَنَّ إِظْهَارَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا بِاللِّبَاسِ الدَّنِيِّ<sup>(٢)</sup> إِنَّمَا يَصْلُحُ لِمَنْ<sup>(٣)</sup> فَرَّغَ قَلْبُهُ مِنَ التَّعَلُّقِ بِهَا، بِحَيْثُ لَا يَتَعَلَّقُ قَلْبُهُ مِنْهَا بِأَكْثَرَ مِنْ قِيَمَةِ مَا لَيْسَ فِي الظَّاهِرِ، حَتَّى يَسْتَوِيَ ظَاهِرُهُ وَبَاطِنُهُ فِي الْفَرَاغِ مِنَ الدُّنْيَا.

### [تعريف الصوفي]

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الْعَارِفِينَ - وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الصُّوفِيِّ -: فَقَالَ: الصُّوفِيُّ مَنْ لَيْسَ الصُّوفَ عَلَى الصِّفَاءِ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الْمُصْطَفَى، وَذَاقَ الْهَوَى بَعْدَ الْجَفَا<sup>(٤)</sup>، وَكَانَتِ الدُّنْيَا مِنْهُ خَلْفَ الْقَفَا<sup>(٥)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الزُّهْدِ» (١٣٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٩/ ٢٦٠)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٤٨ / ٣٤)، قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ: «أَمَا يَسْتَحْيِ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْبِسَ عِبَادَةً بِثَلَاثَةِ دَرَاهِمٍ وَفِي قَلْبِهِ شَهْوَةٌ بِخَمْسَةِ دَرَاهِمٍ».

وَنَسَبَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ» (ص: ٩٠) إِلَى حَاتِمِ الْأَصَمِ.

(٢) فِي (ك): «الْبَذِيءُ». وَأَشَارَ إِلَيْهِ فِي حَاشِيَةِ (ع)، وَمَعْنَاهُ: «الْمَحْتَقَرُ». مِنْ قَوْلِهِمْ: بِذَاتِهِ عَيْنِي: احْتَقَرْتَهُ.

(٣) فِي (ك) وَ(ع): «إِنْ».

(٤) فِي (ك) وَ(ز) وَ(ع): «وَأَذَاقَ الْهَوَى طَعْمَ الْجَفَا»، فِي الْمَصَادِرِ: «وَأَطْعَمَ الْهَوَى ذَوْقَ الْجَفَا».

(٥) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١٨٢ / ٢)، وَذَكَرَهُ السَّمْعَانِيُّ فِي «الْأَنْسَابِ»

(٦ / ١٨١) مِنْ كَلَامِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ الْقَاسِمِ الرُّوَدَبَارِيِّ الزَّاهِدِ الصُّوفِيِّ، الْمَتَوَفَى

## [طلب العلم للرياسة]

النَّوعُ الثَّانِي: مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ وَالزُّهْدَ لِلرِّيَاسَةِ<sup>(١)</sup> عَلَى الْخَلْقِ وَالتَّعَاضُطِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يَنْقَادَ الْخَلْقُ وَيَخْضَعُوا لَهُ وَيَصْرِفُوا وَجُوهَهُمْ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup>، وَأَنْ يُظْهَرَ لِلنَّاسِ زِيَادَةُ عِلْمِهِ<sup>(٣)</sup> عَلَى الْعُلَمَاءِ؛ لِيَعْلَمُوا فَضْلَهُ<sup>(٤)</sup> عَلَيْهِمْ وَنَحْوِ ذَلِكَ، فَهَذَا وَعِيدُهُ النَّارُ؛ لِأَنَّ قَصْدَهُ التَّكَبُّرَ عَلَى الْخَلْقِ، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ مُحَرَّمٌ، فَإِذَا اسْتَعْمَلَ فِيهِ آلَةَ الْآخِرَةِ كَانَ أَقْبَحَ وَأَفْحَشَ مِنْ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِيهِ آلَاتِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَالِ وَالسُّلْطَانِ.

وَفِي «السُّنَنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ». خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ<sup>(٥)</sup>، وَخَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمرَ وَحذيفة، وَعِنْدَهُ: «فَهُوَ فِي النَّارِ»<sup>(٦)</sup>.

## [الرياء بالعلم]

وَخَرَّجَ ابْنُ مَاجَةَ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَعْلَمُوا الْعِلْمَ لِيُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءُ، وَلَا لِيُتَمَارَوْا بِهِ السُّفَهَاءُ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (ت) وَ(ف) وَ(ض): «يَطْلُبُ بِالْعَمَلِ وَالْعِلْمِ وَالزُّهْدِ الرِّيَاسَةَ».

(٢) فِي (ت) وَ(ف): «إِلَيْهِ وَجُوهَهُمْ».

(٣) فِي (ز): «عِلْمٌ».

(٤) فِي (ت) وَ(ف): «أَوْ لِيَعْلُو بِهِ عَلَيْهِمْ»، وَفِي (ض): «وَلِيَعْلُو بِهِ عَلَيْهِمْ».

(٥) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «الْعِلْمِ» (٢٦٥٤) وَفِي (ك) وَ(ز) وَ(ع): «وَيُجَارِي»، وَيَصْرِفُ. وَفِي التِّرْمِذِيِّ تَقْدِيمَ لِيُجَارِيَ عَلَى لِيُمَارِيَ.

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٢٥٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَ(٢٥٩) مِنْ حَدِيثِ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٢٥٤)، وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٧٧). وَفِي (ف): «فَالنَّارَ فَالنَّارَ».

وَفِي حَاشِيَةِ (ت): «لَعَلَّهُ تُخَبَّرُوا».

وخرَّجَه ابنُ عَدِيٍّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ بِنَحْوِهِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَلَكِنْ تَعَلَّمُوهُ لَوَجْهِ اللَّهِ وَالْدَّارِ»<sup>(١)</sup> الْآخِرَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لثَلَاثٍ<sup>(٣)</sup>: لِتُمَارَوْا بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِتُجَادِلُوا بِهِ الْفُقَهَاءَ<sup>(٤)</sup>، أَوْ لِتَصْرِفُوا<sup>(٥)</sup> بِهِ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، وَابْتَغُوا بِقَوْلِكُمْ وَفِعْلِكُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَبْقَى، وَيَذْهَبُ مَا سِوَاهُ<sup>(٦)</sup>.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ خَلْقِ اللَّهِ تَسْعِرُهُ بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: مِنْهُمْ الْعَالَمُ الَّذِي قرَأَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: قَارِئٌ، وَتَعَلَّمَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَأَنَّهُ يُقَالَ لَهُ: قَدْ قِيلَ ذَلِكَ، وَأُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ<sup>(٧)</sup> عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.

وَذَكَرَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْمُتَصَدِّقِ لِيُقَالَ: إِنَّهُ جَوَادٌ، وَفِي الْمُجَاهِدِ لِيُقَالَ: إِنَّهُ شَجَاعٌ»<sup>(٨)</sup>.

(١) فِي (ك) وَ(ع): «وَاللِّدَارِ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ» (٨٠٩)، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَدِيٍّ وَلَمْ أَجِدْهُ فِي «الْكَامِلِ».

(٣) «ثَلَاثٌ»: سَقَطَتْ مِنْ (ك) وَ(ع) - وَأَشِيرُ إِلَيْهَا فِي حَوَاشِيهَا - وَ(ز).

(٤) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ت) وَ(ف) وَ(ض) مُوَافِقًا لِمَا فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ»، وَفِي (ك) وَ(ز) وَ(ع): «لِتُجَادِلُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ». وَعِنْدَ الدَّارِمِيِّ: «وَتُجَادِلُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ».

(٥) فِي (ض): «لِتَصْرِفُوا».

(٦) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ» (٨١٠)، وَاللَّفْظُ لَهُ وَالِدَارِمِيِّ فِي «السَّنَنِ» (٢٦١)، إِلَّا أَنَّ فِيهِ: «وَتُجَادِلُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ».

(٧) مِنْ (ت) وَ(ف)، وَفِي سَائِرِ النُّسخِ: «فَيُسْحَبُ».

(٨) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مَطْوُولًا (١٩٠٥).

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا حَمَلَةَ الْعِلْمِ! اَعْمَلُوا بِهِ، فَإِنَّمَا الْعَالِمُ مَنْ عَمِلَ بِمَا عِلْمٌ، فَوَافَقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ، وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ<sup>(١)</sup>، يُخَالِفُ عِلْمُهُمْ عَمَلُهُمْ، وَتُخَالِفُ سِرِّيَّتُهُمْ عَلَانِيَتُهُمْ، يَجْلِسُونَ حِلَقًا حِلَقًا<sup>(٢)</sup>، فَيُباهي بَعْضُهُمْ بَعْضًا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَغْضَبُ عَلَى جَلِيسِهِ أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ وَيَدَّعُهُ، أُولَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي<sup>(٣)</sup> مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الْحَسَنُ: لَا يَكُونُ حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لَهُ النَّاسُ: عَالِمٌ<sup>(٥)</sup>.  
وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ: أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَيْفَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ مَنْ يَطْلُبُ الْعِلْمَ<sup>(٦)</sup> لِيُحَدِّثَ بِهِ، وَلَا يَطْلُبُهُ لِيَعْمَلَ بِهِ<sup>(٧)</sup>؟!

= وليس أول اللفظ الذي أورده المصنف في «صحيح مسلم» وإنما هو عند الترمذي (٢٣٨٢) ووقع

في (ك) و(ز) و(ع): «تستعربه»، ولم ترد هذه الصيغة في ما أعلم من الحديث.

(١) حاشية (ع): «تراقبيهم: جمع ترقية» والترقوة: عظم يربط مفصل الكتف مع عظم القص.

(٢) لم تكرر هذه اللفظة في المصادر، وهي مكررة في نسخنا عدا (ز).

(٣) من (ت) و(ف) و(ض)، وفي سائر النسخ: «من».

(٤) أخرجه الدارمي (٣٩٤)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣١)، وابن عساكر في

«تاريخ دمشق» (٥٠٩/٤٢)، وعنده: «يا حملة القرآن».

ولا تصعد أعمالهم لكونهم مرانين فيها.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٦) في (ت) و(ف): «من يطلبه ليحدث به». وفي «الزهد» لأحمد: «من طلب الكلام». ولأبي داود:

«يطلب الكلام».

(٧) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩٢)، والدارمي في «السنن» (٣٨٠)، وأبو داود في «الزهد»

(١)، وغيرهم من خبر هشام الدستوائي أنه قرأ في كتاب بلغه عن عيسى ابن مريم.



وقال بعض السلف: بلغنا أن الذي يطلب الأحاديث ليحدث بها لا يجد ربح<sup>(١)</sup> الجنة<sup>(٢)</sup>.

يعني: من ليس له غرض في طلبها إلا ليحدث<sup>(٣)</sup> بها دون العمل بها.  
ذمُّ الفُتَيَّا<sup>(٤)</sup>

ومن هذا الباب كَرِهَ<sup>(٥)</sup> السلف الصالح الجزأة على الفتيا، والحرص عليها،  
والمسارعة إليها، والإكثار منها.

(١) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) هو الموافق للمصادر، وفي سائر النسخ: «رائحة».  
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٦٤٩)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٣١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٢٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩٨ / ٧٣) من كلام التابعي الجليل أبي إدريس عائذ الله الخولاني، ولفظه: الذي يتبع الأحاديث ليحدث بها لا يجد ربح الجنة. وأخرج نحوه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢٥) من حديث معاوية بن حيدة مرفوعاً، و(٢٦) من كلام عبد الله بن المبارك رحمه الله.  
قال الإمام الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى موصياً طالب الحديث في كتابه «الجامع لأخلاق الراوي» (٨٧ / ١): «وليجعل حفظه للحديث حفظ رعاية، لا حفظ رواية، فإن رواية العلوم كثير، ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء».

وهذه الأدواء الظاهرة التي يحذر منها الخطيب البغدادي رحمه الله تعالى تدل على أدواء باطنة من سوء الغرض بتحصيل الروايات والأسانيد والإجازات استعجالاً للتصدر والرياسة، وتحصيل الجاه والمكانة، والرضا عن النفس بادعاء العلم ونشره مع أنها في إसार الجهل والغفلة. وذلك كله مما يقطع الطريق إلى مرضاة الله تعالى. فليحذر طلبة العلم من ذلك.

(٣) في (ت) و(ف): «الحديث».

(٤) هذا العنوان لا يوجد في (ف) و(ض).

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «ومن هذا القبيل كراهة السلف».

وروى ابنُ لهيعة، عن عُبَيْدِ اللَّهِ<sup>(١)</sup> بنِ أَبِي جَعْفَرٍ مُرْسَلًا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَجْرُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرُكُمْ عَلَى النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ عَلْقَمَةُ: كَانُوا يَقُولُونَ: أَجْرُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَقْلُهُمْ عِلْمًا<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى<sup>(٤)</sup> قَالَ: أَدْرَكْتُ مِائَةَ وَعَشْرِينَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ<sup>(٥)</sup> أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسْأَلُ أَحَدُهُمْ عَنِ الْمَسْأَلَةِ مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَدَّ أَنْ أَخَاهُ كَفَاهُ<sup>(٦)</sup>.

وفي رواية: فِيرُدُّهَا هَذَا إِلَى هَذَا، وَهَذَا إِلَى هَذَا حَتَّى تَرْجَعَ إِلَى الْأَوَّلِ<sup>(٧)</sup>.

وعن ابنِ مسعودٍ قَالَ: إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ مَا يَسْتَفْتُونَهُ بِهِ لَمَجْنُونٌ<sup>(٨)</sup>.

(١) من (ت) و(ف)، وهو الصواب، وفي سائر النسخ: «عبد الله».

وعبيد الله بن أبي جعفر أبو بكر المصري الفقيه، رأى صحابياً، وحديثه عن التابعين. توفي ١٣٥ رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه الدارمي في «السنن» (١٥٩).

(٣) أخرجه الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٥٣٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢٤ / ٢).

(٤) في (ز): «وعن البراء». والذي ورد من قول البراء: ما أخرجه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٧١ - ١٠٧٢) قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ ثَلَاثَةَ مَنْ أَهْلُ بَدْرٍ مَا مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَحِبُّ أَنْ يَكْفِيَهُ صَاحِبُهُ الْفُتُوى».

(٥) في (ف) و(ض): «ومن» من عطف الصفات.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٦ / ١١٠)، وأبو زرعة في «تاريخه» (٢٠٣١)، والدارمي في «السنن» (١٣٧)، وغيرهم.

(٧) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٨٨٤، ١٨٨٥)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢٣ / ٢).

(٨) أخرجه أبو يوسف في «الآثار» (٩٠٣)، والدارمي (١٧٦)، والهروي في «ذم الكلام وأهله» (٥٢٦)، والبيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٨٨٢)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢ / ٤١٧)، وغيرهم.

وُسَيْلُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقَالَ: مَا أَنَا عَلَى الْفُتْيَا بِجَرِيٍّ<sup>(١)</sup>.

وَكُتِبَ إِلَيَّ بَعْضُ عُمَالِهِ: إِنِّي وَاللَّهِ مَا<sup>(٢)</sup> أَنَا بِحَرِيصٍ عَلَى الْفُتْيَا<sup>(٣)</sup> مَا وَجَدْتُ مِنْهُ بُدًّا<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ<sup>(٥)</sup>: لَيْسَ هَذَا الْأَمْرُ لِمَنْ وَدَّ أَنْ النَّاسَ احتاجوا إليه، إِنَّمَا هَذَا الْأَمْرُ لِمَنْ وَدَّ أَنَّهُ وَجَدَ مَنْ يَكْفِيهِ<sup>(٦)</sup>.

وَعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْفُتُوى أَسْكُتُهُمْ، وَأَجْهَلُهُمْ بِهَا أَنْطَقُهُمْ<sup>(٧)</sup>.

وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ: أَدْرَكْنَا الْفُقَهَاءَ وَهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يُجِيبُوا فِي الْمَسَائِلِ وَالْفُتْيَا، حَتَّى لَا يَجِدُوا بُدًّا مِنْ أَنْ يُفْتَوْا، وَإِذَا أُعْفُوا مِنْهَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ<sup>(٨)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْفُتْيَا فَقَدْ عَرَّضَهَا لِأَمْرِ عَظِيمٍ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ<sup>(٩)</sup> تَلَجَّى الضَّرُورَةُ.

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٢) في حاشية (ع): دوامية.

(٣) سقطت هذه اللفظة من (ت) و(ف).

(٤) أورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١٦١٧)، ونقله ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٥٢).

والعامل هو: عروة بن محمد السعدي، استعمله على اليمن. واللفظ: «ما أنا بالنشيط على الفتيا».

(٥) ما بين معقوفين لا يوجد في (ت) و(ف) و(ض)، وكذلك في بعض مطبوعات هذه الرسالة، فجاء

متصلاً بكلام عمر بن عبد العزيز، فنسب إليه جماعة ممن نقل من هذه الرسالة من المعاصرين، وليس الأمر كذلك.

(٦) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفيح والمتفق» (١٠٧٩).

(٨) أخرجه الآجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٠٢)، والخطيب البغدادي في «الفيح والمتفق» (٦٤٩).

(٩) في (ك) و(ز) و(ع): «إلا أن تلجى».

قِيلَ: فَأَيُّمَا أَفْضَلُ: الْكَلَامُ أَمْ السُّكُوتُ؟ قَالَ: الْإِمْسَاكَ أَحَبُّ إِلَيَّ.  
قِيلَ لَهُ: فَإِذَا كَانَتِ الضَّرُورَةُ، فَجَعَلَ يَقُولُ: الضَّرُورَةُ الضَّرُورَةُ! <sup>(١)</sup>، وَقَالَ:  
الْإِمْسَاكَ أَسْلَمَ لَهُ <sup>(٢)</sup>.

وَلِيَعْلَمَ الْمُفْتِي أَنَّهُ يُوقَّعُ عَنِ اللَّهِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَأَنَّهُ مَوْقَفٌ وَمَسْئُولٌ عَنْ ذَلِكَ.  
قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ: أَيُّهَا الْمُفْتُونَ! انْظُرُوا كَيْفَ تُفْتُونَ <sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ <sup>(٤)</sup> لِقَتَادَةَ لَمَّا جَلَسَ لِلْفُتْيَا: أَتَدْرِي فِي أَيِّ عِلْمٍ <sup>(٥)</sup> وَقَعْتَ؟  
قَمَتَ <sup>(٦)</sup> بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَقَلْتُ <sup>(٧)</sup>: هَذَا يَصْلُحُ، وَهَذَا لَا يَصْلُحُ <sup>(٨)</sup>.  
وَعَنِ ابْنِ الْمُكَدِّرِ قَالَ: إِنَّ الْعَالِمَ دَاخِلٌ <sup>(٩)</sup> بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ  
يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ <sup>(١٠)</sup>.

(١) لم تكرر إلا في (ض)، وهو الموافق للمصادر.

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٦٥٠).

(٣) أخرجه مطولاً الهروي في «ذم الكلام وأهله» (٨٢٨)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٥٧١).

(٤) كذا في نسخنا جميعاً، وهو سبق قلم من الأصل، والقصة لمالك بن دينار رحمه الله.

(٥) في (ت) و(ف): «عمل» وهو سبق قلم.

(٦) من (ت) و(ف) موافقاً لمصادر التخريج، وفي سائر النسخ: «وقعت».

(٧) في (ز) و(ع) و(ض): «فقلت».

(٨) أخرجه الخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٩٠)، وأورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢٠٧٤).

(٩) هذه اللفظة ليست في (ت) و(ف) و(ض) والمصادر.

(١٠) «عليهم»: من (ت) و(ف) و(ض)، وسقطت من سائر النسخ، وهي موجودة في المصادر. أخرجه الدارمي بنحوه (١٣٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٥٣/٣)، والبيهقي في «المدخل» (١٩٠٣)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٨ - ١٠٨٩).

وكان ابن سيرين إذا سُئِلَ عن الشيء من الحلال والحرام تغيّر لونه وتبدّل حتّى كأنّه ليس بالذي كان<sup>(١)</sup>.

وكان النخعي يُسأل فتظهر عليه الكراهة<sup>(٢)</sup>، ويقول: ما وجدت أحداً تسأله<sup>(٣)</sup> غيري؟!<sup>(٤)</sup>

وقال: قد تكلمت ولو وجدتُ بدءاً ما تكلمتُ، وإنّ زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمانٌ سوء<sup>(٥)</sup>.

وروي عن ابن عمر قال: إنكم لتستفتونا استفتاء قوم كأننا لا نسأل عمّا نفتيكم به<sup>(٦)</sup>.

وعن محمد بن واسع قال: أوّل من يُدعى للحساب الفقهاء<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٦٤)،

والخطيب البغدادي في «الفتية والمتفق» (١٠٨٦).

(٢) في (ت) و(ف): «الكراهية».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «يُسأل» «تُسأل».

(٤) أخرجه زهير بن حرب في «العلم» (١٣١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/٢٢٦)، والخطيب

البغدادي في «الفتية والمتفق» (٦٤٣).

(٥) أخرجه الدارمي (٢٠٢)، والأجري في «أخلاق العلماء» (ص: ١٤٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»

(٤/٢٢٣)، والخطيب البغدادي في «الفتية والمتفق» (١١٣٢).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (٢٠٦)، ومن طريقه الفسوي في «المعرفة والتاريخ»

(١/٤٩٠). والخطيب البغدادي في «الفتية والمتفق» (١٠٩١)، وسقط هذا الأثر من (ز).

(٧) في (ض): «إلى الحساب»، وأخرجه الخطيب البغدادي في «الفتية والمتفق» (١٠٩٤) بهذا اللفظ،

وأخرجه وكيع في «أخبار القضاة» (ص: ٢٧) بلفظ: «القضاة»، ولعله الصواب.

وعَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ كَانَتْهَ وَاقِفٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ<sup>(١)</sup>.  
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَعْضِ الْمُفْتِينَ: إِذَا سُئِلْتَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَا يَكُنْ هُمُكَ  
 تَخْلِيصَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ تَخْلِيصَ نَفْسِكَ أَوْ لَا<sup>(٢)</sup>.  
 وَقَالَ لِآخَرَ: إِذَا سُئِلْتَ عَنْ شَيْءٍ فَتَفَكَّرْ، فَإِذَا وَجَدْتَ لِنَفْسِكَ مَخْرَجًا فَتَكَلَّمْ،  
 وَإِلَّا فَاسْكُتْ<sup>(٣)</sup>.

وَكَلَامُ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - فِي هَذَا الْمَعْنَى<sup>(٤)</sup> كَثِيرٌ جَدًّا، وَيَطُولُ ذِكْرُهُ وَاسْتِقْصَاؤُهُ.

### [ذم الدخول على الملوك]

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا: كَرَاهَةُ<sup>(٥)</sup> الدُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ، وَالدُّنُوٌّ مِنْهُمْ، وَهُوَ  
 الْبَابُ<sup>(٦)</sup> الَّذِي يَدْخُلُ مِنْهُ عُلَمَاءُ الدُّنْيَا إِلَى تَيْلِ الشَّرَفِ وَالرِّيَاسَاتِ فِيهَا.

وَخَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَكَنَ الْبَادِيَةَ جَفَا، وَمَنْ اتَّبَعَ الصَّيْدَ  
 غَفَلَ، وَمَنْ أَتَى أَبْوَابَ السُّلْطَانِ افْتِنَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ» (١٠٨٧).

(٢) أَخْرَجَهُ وَكَيْعٌ فِي «أَخْبَارِ الْقَضَاءِ» (ص: ٩١)، وَابْنُ بَطَّةٍ فِي «إِبْطَالِ الْحِيلِ» (ص: ٦٣)، وَأَبُو نَعِيمٍ  
 فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣/ ٢٦١)، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ» (١٠٩٦). قَالَ قَاضِي  
 الْمَدِينَةِ عَمْرُ بْنُ خُلْدَةَ لِلْإِمَامِ رِبْعَةَ الرَّأْيِ. وَضَبَطَ مَا فِي «الْحَلِيَةِ»: «وَقَفَّ عَلَيَّ ابْنُ خُلْدَةَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الْفَقِيهِ وَالْمُتَفَقِّهِ» (١٠٩٩) قَالَ قَاضِي الْمَدِينَةِ عَمْرُ بْنُ خُلْدَةَ لِلْإِمَامِ  
 مَالِكٍ، وَكَانَ حَدِيثُ السَّنَنِ.

(٤) فِي (ك) وَ(ع): «الْبَاب».

(٥) فِي (ك): «كَرَاهِيَةٌ».

(٦) فِي (ز): «الْعِلْمُ».

(٧) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٣٣٦٢)، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٨٥٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٢٥٦) وَقَالَ: «حَسَنٌ صَحِيحٌ =

وخرَجَ أحمدُ وأبو داودَ نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، وفي حديثه: «وما ازداد أحد من السُّلطانِ دُنُوًّا إلَّا ازداد من الله بُعْدًا»<sup>(١)</sup>.

وخرَجَ ابنُ ماجه من حديث ابنِ عباسٍ، عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ نَاسًا<sup>(٢)</sup> مِنْ أُمَّتِي سَيَفْقَهُونَ فِي الدِّينِ، وَيَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَقُولُونَ: نَأْتِي الْأَمْرَاءَ فَنُصِيبُ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَنَعْتَزِلُهُمْ بِدِينِنَا، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَادِ<sup>(٣)</sup> إِلَّا الشُّوكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ - يَعْنِي: إِلَّا الْخَطَايَا -»<sup>(٤)</sup>.

وخرَجَه الطَّبْرَانِيُّ، وَلَفْظُهُ: «إِنَّ نَاسًا<sup>(٥)</sup> مِنْ أُمَّتِي سَيَقْرَءُونَ<sup>(٦)</sup> الْقُرْآنَ، وَيَتَعَمَّقُونَ<sup>(٧)</sup> فِي الدِّينِ، يَأْتِيهِمُ الشَّيْطَانُ يَقُولُ<sup>(٨)</sup>: لَوْ أَتَيْتُمُ الْمُلُوكَ فَأَصْبَحْتُمْ مِنْ دُنْيَاهُمْ، وَاعْتَزَلْتُمُوهُمْ بِدِينِكُمْ، أَلَّا وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ. كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الْقِتَادِ إِلَّا الشُّوكُ، كَذَلِكَ لَا يُجْتَنَى مِنْ قُرْبِهِمْ إِلَّا الْخَطَايَا»<sup>(٩)</sup>.

= غريب من حديث ابن عباس، لا نعرفه إلا من حديث الثوري، والنسائي (٤٣٠٩).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٨٣٦)، وأبو داود في رواية ابن داسة (٢٨٦٠). واللفظ له.

(٢) في (ز) و(ض): «أناساً».

(٣) في حاشية (ز): «القتاد، كحباب، شجر صلب شوكه كالإبر. قاموس».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٥٥).

(٥) في (ز) و(ض): «أناساً».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «يقرءون»، وهو الموافق لطبعة الطحان من «المعجم الأوسط»، وما أثبت

من سائر النسخ موافق لطبعة دار الحرمين.

(٧) لا اختلاف في نسخنا، وهي موافقة لطبعة دار الحرمين من الطبراني، لكن في طبعة الطحان:

«ويتفقهون»!

(٨) في (ك) و(ز): «فيقول».

(٩) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٢٣٦) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

وخرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جُبِّ الْحَزَنِ»، قالوا: وما جُبُّ الْحَزَنِ<sup>(١)</sup>؟ قَالَ: «وَادٍ فِي جَهَنَّمَ تَتَعَوَّذُ مِنْهُ جَهَنَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ»، قيل: يا رسولَ اللهِ! مَنْ يَدْخُلُهُ؟ قَالَ: «الْقُرَاءُ الْمُرَاوُونَ بِأَعْمَالِهِمْ»<sup>(٢)</sup>. وخرَجَ ابْنُ مَاجَةَ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: «وَأَنَّ مِنْ أَبْغَضِ الْقُرَاءِ إِلَى اللهِ الَّذِينَ يَزُورُونَ الْأُمَرَاءَ»<sup>(٣)</sup>. الْجَوْرَةُ<sup>(٤)</sup>.

وَيُرْوَى مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ<sup>(٥)</sup>.

### [تصديق الملوك الظلمة وإعانتهم]

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُخْشَى عَلَى مَنْ دَخَلَ عَلَى الْمُلُوكِ الظَّلْمَةِ أَنْ يُصَدِّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَيُعِينَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَوْ بِالسُّكُوتِ عَنِ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ مَنْ يُرِيدُ بِدُخُولِهِ عَلَيْهِمُ الشَّرْفَ وَالرِّيَاسَةَ وَهُوَ حَرِيصٌ عَلَيْهِمَا لَا يُقَدِّمُ عَلَى الْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، بَلْ رُبَّمَا حَسَّنَ لَهُمْ بَعْضُ أَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةَ تَقَرُّبًا إِلَيْهِمْ؛ لِيَحْسُنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُمْ، وَيُسَاعِدُوهُ عَلَى غَرَضِهِ.

وَقَدْ خَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ: فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ

(١) فِي الْمَصَادِر: «يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا جِبُّ الْحَزَنِ».

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٨٣) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٢٥٦).

(٤) «الْجَوْرَةُ» مِنْ كَلَامِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمُحَاوِي أَحَدِ رَوَاةِ الْحَدِيثِ. وَصَفَ الْأُمَرَاءَ الَّذِي ذَمَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَزُورُهُمْ مِنَ الْقُرَاءِ. فَالْأُمَرَاءُ فِي الْحَدِيثِ عَامٌ مُخْصُوصٌ.

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الدَّعَاءِ» (١٣٩٠)، وَالْعَقِيلِيُّ فِي «الضَّعْفَاءِ الْكَبِيرِ» (٦٣٤ / ٢)، وَالْيَهْتِيُّ فِي

«الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ» (٤٨١).



الْحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُعْنَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الْحَوْضَ»<sup>(١)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ معنى هذا الحديثِ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ<sup>(٢)</sup>، وابنِ عُمَرَ<sup>(٣)</sup>، وَخَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِ<sup>(٤)</sup>، وَأَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ<sup>(٥)</sup>، وَالنُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ<sup>(٦)</sup>. وَقَدْ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَنْهَوْنَ عَنِ الدُّخُولِ عَلَى الْمُلُوكِ لِمَنْ أَرَادَ أَمْرَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ أَيْضاً، وَمِمَّنْ نَهَى عَنْ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ<sup>(٧)</sup>، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَالثَّوْرِيُّ<sup>(٨)</sup> وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَثَمَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٨١٢٦)، والترمذي (٢٢٥٩) وقال: «صحيح غريب»، واللفظ له، والنسائي (٤٢٠٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٢٦٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥٧٠٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٠٧٤) وابن حبان (٢٨٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١١١٩٢) (١١٨٧٣)، وابن حبان (٢٨٦).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٥٣).

(٧) أخرج ابن عساكر في ترجمة همام بن محمد بن سعيد [مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور (٢٧ / ١٤٢)] عن ميمون بن مهران قال: قال لي عمر بن عبد العزيز:

«يا ميمون احفظ عني أربعاً: لا تصحب سلطاناً وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر، ولا تخلون بامرأة وإن أقرأتها القرآن، ولا تصل من قطع رحمه فإنه لك أقطع، ولا تكلمن بكلام اليوم تعتذر منه غداً».

(٨) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧ / ٧٩) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١١٠٧) عن سفيان الثوري قال «كان خيار الناس - فيما مضى - وأشرافهم المنظور إليه منهم في الدين: الذين يقومون إلى هؤلاء، فيأمرونهم وينهونهم.

وكان آخرون ملازمين لبيوتهم عندهم، ليس لهم ذلك، فكانوا ليس يُرفعون ولا يُذكرون.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: لَيْسَ الْأَمْرُ النَّاهِي عِنْدَنَا مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَأَمَرَهُمْ وَنَهَاَهُمْ،  
إِنَّمَا الْأَمْرُ النَّاهِي مَنْ اعْتَرَلَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وسببُ هذا: ما يُخْشَى مِنْ فِتْنَةِ الدُّخُولِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ النَّفْسَ قَدْ تُخَيِّلُ لِلْإِنْسَانِ إِذَا  
كَانَ بَعِيداً عَنْهُمْ أَنَّهُ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ وَيُغْلِظُ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا شَاهَدَهُمْ فَرُبَّمَا مَالَتِ النَّفْسُ  
إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ مُحِبَّةَ الشَّرَفِ كَامِنَةٌ فِي النَّفْسِ، فَحَبِيبَتْ<sup>(٢)</sup> لَهُ بِذَلِكَ مُدَاهَنَتَهُمْ وَمُلَاطَفَتَهُمْ،  
وَرُبَّمَا مَالَ إِلَيْهِمْ وَأَحْبَهُمْ، وَلَا سِيَّماً إِنْ لَا طَفْوَهُ وَأَكْرَمُوهُ، وَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ.

وَقَدْ جَرَى ذَلِكَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاوُسٍ<sup>(٣)</sup> مَعَ بَعْضِ الْأُمَرَاءِ بِحَضْرَةِ أَبِيهِ طَاوُسٍ،  
فَوَبَّخَهُ طَاوُسٌ عَلَى فِعْلِهِ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

وَكَتَبَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ إِلَى عَبَّادِ بْنِ عَبَّادٍ، وَكَانَ فِي كِتَابِهِ<sup>(٥)</sup> وَإِيَّاكَ وَالْأُمَرَاءَ أَنْ تَذُنُوا

= ثم بقينا حتى صار الذين يأتونهم فيأمرونهم وينهونهم شرار الناس، والذين لزموا بيوتهم ولا يأتونهم  
خيار الناس.

وأخرج أبو نعيم أيضاً في «الحلية» (٦/ ٣٨٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٧١): قال الثوري  
أيضاً لرجل: «إن دعوك لتقرأ عليهم قل هو الله أحد» فلا تأتهم يعني السلاطين.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في مقدمة المعرفة لكتاب «الجرح والتعديل» (١/ ٢٨٠).

(٢) في (ت) و(ف) وأشير إليه في حاشية (ك) و(ع): «فحسنت».

(٣) في (ت) و(ف) و(ض): «لابن طاوس».

(٤) أخرجه المروزي في «أخبار الشيوخ» (ص: ٥٦). قال ابن طاوس: قلت لأبي: لو أن ناساً اجتمعوا  
حتى يكلموا السلطان قال: فينا نحن في منزل نزلناه إذ جاء الوالي فدخل فسلم، قال: فما كلمه  
أبو عبد الرحمن - يعني طاوساً - ولا رفع رأسه إليه. فخرج فاتبعته، فقلت: إن أبا عبد الرحمن لم  
يعرفك! فقال: بلى، معرفته بي فعلت بي هذا. قال: فلما رجعت إلى أبي قال: أي لكع! أنت تقول  
بالأمر ما تقول، لم تستطع أن تمسك لسانك حتى كلمته بما كلمته!

(٥) من (ت) و(ف) و(ض)، وسقطت: «وكان في كتابه» من سائر النسخ.

منهم أو تُخَالِطُهُمْ<sup>(١)</sup> في شيءٍ من الأشياءِ، وإِيَّاكَ أَنْ تُخَدَعَ ويُقَالَ لَكَ: تَشْفَعُ وَتَذَرُ عَنْ مَظْلُومٍ، أَوْ تُرَدُّ مَظْلَمَةً، فَإِنَّ ذَلِكَ خَدِيعَةُ إِبْلِيسَ، وَإِنَّمَا اتَّخَذَهَا فُجَّارُ الْقُرَاءِ سُلْمًا، وَمَا كُفِّيتَ مِنَ الْمَسْأَلَةِ وَالْفُتْيَا فَاعْتَنِمَ ذَلِكَ، وَلَا تُتَنَافِسُهُمْ فِيهِ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ كَمَنْ يُحِبُّ أَنْ يُعْمَلَ بِقَوْلِهِ، أَوْ يُنْشَرَ قَوْلُهُ، أَوْ يُسْمَعَ مِنْ قَوْلِهِ فَإِذَا تَرَكَ ذَلِكَ مِنْهُ عَرَفَ فِيهِ<sup>(٢)</sup>، وَإِيَّاكَ وَحُبَّ الرِّيَاسَةِ، فَإِنَّ الرَّجُلَ تَكُونُ الرِّيَاسَةُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَهُوَ بَابٌ غَامِضٌ لَا يُبْصِرُهُ إِلَّا الْبَصِيرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ السَّمَّاسَةِ<sup>(٣)</sup>، فَتَفْقَدُ<sup>(٤)</sup> نَفْسَكَ، وَاعْمَلْ بِنِيَّةٍ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ دَنَا مِنَ النَّاسِ أَمْرٌ يَشْتَهِي الرَّجُلُ أَنْ يَمُوتَ، وَالسَّلَامُ<sup>(٥)</sup>.

### [كراهة الشهرة]

وَمِنْ هَذَا الْبَابِ أَيْضًا: أَنْ يَشْهَرَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ<sup>(٦)</sup> لِلنَّاسِ بِالْعِلْمِ وَالزُّهْدِ وَالذِّينِ، أَوْ بِإِظْهَارِ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ وَالْكَرَامَاتِ؛ حَتَّى يُزَارَ<sup>(٧)</sup>، وَتُلْتَمَسَ بَرَكَتُهُ وَدُعَاؤُهُ، وَتُقَبَّلَ يَدُهُ وَهُوَ مُجِيبٌ<sup>(٨)</sup> إِلَى ذَلِكَ، وَيُقِيمُ عَلَيْهِ، أَوْ يَفْرَحُ بِهِ، أَوْ يَسْعَى فِي أَسْبَابِهِ. وَمِنْ هُنَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ يَكْرَهُونَ الشُّهْرَةَ غَايَةَ الْكَرَاهَةِ؛ مِنْهُمْ: أَيُّوبُ<sup>(٩)</sup>

(١) في (ت) و(ف) و(ض): «تخاطبهم».

(٢) سقطت هذه الجملة من النسخ عدا (ت) و(ف).

(٣) في حاشية (ع): «جمع سمسار: في الأصل من يدخل بين البائع والمشتري. أريد به هاهنا العالم الحافظ للأمر والقيم له».

(٤) تحرفت في (ز) إلى: «فتقل».

(٥) أخرجه مطولاً المروزي في «أخبار الشيوخ» (ص: ١٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧٦). وأخرج نحوه البيهقي من كلام الثوري ليوسف بن أسباط (٨٩٧٢).

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «كراهة أن يشهر الإنسان نفسه».

(٧) في (ت) و(ف): «حتى يُراد» فيكون معناه: أن يكون له مريدون وأتباع.

(٨) في (ت) و(ف): «يجيب»، وفي (ض): «محب ذلك»، وفي (ر): «محب لذلك».

(٩) هو السخثاني رحمه الله، ومن كلامه: ما صدق عبد قط فأحب الشهرة. أخرجه في «الجمديات» (١٢٤٨).

وَالنَّخَعِيُّ<sup>(١)</sup> وَسَفِيَانُ<sup>(٢)</sup> وَأَحْمَدُ<sup>(٣)</sup>، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، وَكَذَلِكَ فَضِيلُ<sup>(٤)</sup>  
وِدَاوُدُ الطَّائِيُّ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الزُّهَّادِ وَالْعَارِفِينَ، وَكَانُوا يَذْمُونَ أَنْفُسَهُمْ غَايَةَ الذَّمِّ،  
وَيَسْتُرُونَ أَعْمَالَهُمْ غَايَةَ السَّتْرِ.

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى دَاوُدَ الطَّائِيِّ فَسَأَلَهُ مَا جَاءَ بِهِ؟ فَقَالَ: جِئْتُ أَزُورُكَ، فَقَالَ:  
أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَصَبْتَ خَيْراً حَيْثُ زُرْتَ فِي اللَّهِ، وَلَكِنْ أَنَا أَنْظُرُ مَاذَا لَقِيتُ إِذَا قِيلَ لِي  
غَدًا: مَنْ أَنْتَ حَتَّى تُزَارَ؟! مِنَ الزُّهَّادِ أَنْتَ؟! لَا وَاللَّهِ. مِنَ الْعِبَادِ أَنْتَ؟! لَا وَاللَّهِ. مِنَ  
الصَّالِحِينَ أَنْتَ؟! لَا وَاللَّهِ... وَعَدَدَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يُوبِّخُ  
نَفْسَهُ، فَيَقُولُ: يَا دَاوُدُ! كُنْتَ فِي الشَّبِيهَةِ فَاسِقًا، فَلَمَّا شَبِتَ صِرْتَ مُرَائِيًا، وَالْمُرَائِي  
شَرٌّ مِنَ الْفَاسِقِ<sup>(٥)</sup>.

(١) هُوَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ. قَالَ الْأَعْمَشُ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَتَوَقَّى الشَّهْرَةَ، فَكَانَ لَا يَجْلِسُ إِلَى

الْأَسْطُوَانَةِ. أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٤ / ٢١٩).

(٢) مِنْ كَلَامِ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ: إِيَّاكَ وَالشَّهْرَةَ! فَمَا أَنْتَ أَحَدًا إِلَّا وَقَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّهْرَةِ. أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ  
فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٧ / ٢٣).

(٣) قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ لِأَبِي بَكْرٍ الْمُرُوزِيِّ: قُلْ لِعَبْدِ الْوَهَابِ أَخْمَلُ ذَكَرَكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَيْتُ بِالشَّهْرَةِ. أَخْرَجَهُ ابْنُ  
الْجَوْزِيِّ فِي «مَنَاقِبِ أَحْمَدَ» (ص: ٣٧٧) وَمِنْ كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَرِيدُ أَنْ أَكُونَ فِي شَعْبٍ بِمَكَّةَ حَتَّى  
لَا أَعْرِفَ، قَدْ بَلَيْتُ بِالشَّهْرَةِ، إِنِّي أَتَمْنَى الْمَوْتَ صَبَاحًا وَمَاءً. ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «سِيرِ أَعْلَامِ النُّبَلَاءِ»  
(١١ / ٢١٦).

(٤) مِنْ كَلَامِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ: كَانَ بَعْضُهُمْ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ أَرْبَعَةً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعَةٍ قَامَ؛ مَخَافَةَ الشَّهْرَةِ. أَخْرَجَهُ  
ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ»، - أَخْبَارُ الْمَكِينِ - (٤٦٧).

(٥) أَوْرَدَ الْقِصَّةَ بِنَحْوِهَا ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي «الْعَقْدِ الْفَرِيدِ» (٣ / ١٦٧) وَالزَّائِرُ هُوَ ثَابِتُ الْبَنَانِيِّ،  
وَالْغَزَالِيُّ فِي «إِحْيَاءِ عُلُومِ الدِّينِ» فِي أَوَّلِ كِتَابِ آدَابِ الْأَلْفَةِ وَالْأَخْوَةِ، وَابْنُ الْمَلْقَنِ فِي  
«طَبَقَاتِ الْأَوْلِيَاءِ» (ص: ٢٠١).

وكانَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِلذُّنُوبِ رَائِحَةً مَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ أَنْ يُجَالِسَنِي<sup>(١)</sup>.  
وكانَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ أَحَدٌ وَهُوَ يَقْرَأُ فِي الْمَصْحَفِ غَطَّاهُ<sup>(٢)</sup>.  
وكانَ أُوَيْسٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الزُّهَّادِ إِذَا عُرِفُوا فِي مَكَانٍ ارْتَحَلُوا مِنْهُ<sup>(٣)</sup>.

[كثير من السلف يكرهون أن يطلب منهم الدعاء]

وكانَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ يَكْرَهُ أَنْ يُطَلَّبَ مِنْهُ الدُّعَاءُ، وَيَقُولُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ الدُّعَاءُ:  
أَنْبِيُّ أَنَا؟!

وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ<sup>(٤)</sup> وحذيفة بن اليمان<sup>(٥)</sup> رضي الله عنهما،

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ١٦٣ و ١٦٤)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٩) بلفظ: لو كان يوجد للذنوب ريح ما قدرتم أن تدنوا مني من تن ريحي.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٨٠٧)، وتتمته: وقال: لا يرى هذا أني أقرأ فيه كل ساعة.

(٣) انظر خبره في: «العزلة والانفراد» لابن أبي الدنيا (١١٤) و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢/ ٨٠) وذهابه عنهم.

(٤) نقل الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٣٣١ طبعة دار ابن الجوزي) من «تهذيب الآثار» للطبري [وليس في المطبوع منه] عن مدرك بن عمران قال: كتب رجل إلى عمر رضي الله عنه: إني أصبت ذنباً فادع الله لي. فكتب إليه عمر: إني لست بنبي، ولكن إذا أقيمت الصلاة فاستغفر الله لذنبك. وتوجيه الشاطبي لهذا الأثر أن إياية عمر رضي الله عنه ليس من جهة أصل الدعاء، ولكن كأنه فهم من السائل أمراً زائداً على الدعاء، وهو أن يعتقد فيه أنه مثل النبي ﷺ أو أنه وسيلة إلى أن يعتقد ذلك أو يعتقد أنه سنة تلزم، أو يجري في الناس مجرى السنن الملتزمة.

ونقل الشاطبي أيضاً (٢/ ٣٣٢) من «تهذيب الآثار»، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه لما قدم الشام أتاه رجل، فقال: استغفر لي، فقال: غفر الله لك، ثم أتاه آخر فقال: استغفر لي. فقال: لا غفر الله لك ولا لذلك. أنبي أنا؟!

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٢٧٧): جاء رجل إلى حذيفة، فقال: استغفر لي. فقال: لا

وكذلك مالك بن دينار<sup>(١)</sup>.

وكان النخعي يكره أن يُسأل الدعاء<sup>(٢)</sup>.

وكتب رجل إلى أحمد - رحمه الله - يسأله الدعاء، فقال أحمد: إذا دعونا نحن

لهذا فمن يدعو لنا<sup>(٣)</sup>.

= إني لو استغفرت لهذا [لأتى بنسائه] فقال: استغفر لي حذيفة!، أتحب أن يجعلك الله مع حذيفة؟! اللهم اجعله مع حذيفة. انتهى مع تصحيح ما بين معقوفين. والأثر نقله الشاطبي (٢/ ٣٣٣) أيضاً من «تهذيب الآثار».

قلت: ثم دعا له حذيفة رضي الله عنه بعد إيبائه. والأثر في «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٦/ ٢٧٦) استشهد به إبراهيم النخعي رحمه الله.

(١) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ١٩٣):

وجاء رجل إلى مالك بن دينار فقال: أنا أسألك بالله أن تدعو لي فأنا مضطر. قال: إذا فأسأله [أنت] فإنه يجيب المضطر إذا دعاه.

(٢) عن ابن عون قال: كنا عند إبراهيم فجاء رجل فقال: يا أبا عمران، ادع الله أن يشفيني فرأيت أنه كرهه كراهية شديدة حتى رأيتنا عرفنا كراهة ذلك في وجهه. وذكر الأثر السابق عن حذيفة رضي الله عنه. أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ٢٧٦ دار صادر) ونقله الشاطبي (٢/ ٣٣٣) من «تهذيب الآثار».

(٣) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١٨٦) أن علي بن أبي حرة قال: كانت أمي مقعدة نحو عشرين سنة، فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل فأسأله أن يدعو الله لي، فسرت إليه، فدققت عليه الباب وهو في دهليزه فلم يفتح لي، وقال: من هذا؟ فقلت: أنا رجل من أهل ذلك الجانب، سألني أمي وهي زمنة مقعدة أن أسألك أن تدعو الله لها، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب فقال: نحن أحوج إلى أن تدعو الله لنا. فوليت منصرفاً، فخرجت امرأة عجوز من داره، فقالت: أنت الذي كلمت أبا عبد الله؟ قلت: نعم، قالت: قد تركته يدعو الله لها. قال: فجئت من فوري إلى البيت، فدققت الباب، فخرجت أمي على رجلها تمشي حتى فتحت الباب، فقالت: قد وهب الله لي العافية.

وُوصِفَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ واجتهاده في العبادة لبعض الملوك، فعزَمَ على زيارته، فبلغه ذلك، فجلس على قارعة الطريق يأكل، فوافاه المَلِكُ وهو على تلك الحالة، فسَلَّمَ عليه، فردَّ عليه السَّلامَ، وجعل يأكل أكلاً كثيراً ولا يلتفت إلى المَلِكِ، فقال المَلِكُ: ما في هذا خيرٍ. ورجع، فقال الرَّجُلُ: الحمد لله الذي ردَّه عني وهو لائم<sup>(١)</sup>. وهذا بابٌ واسعٌ جداً<sup>(٢)</sup>.

وها هنا نُكْتَةُ دقيقةٌ: وهي أنَّ الإنسانَ قد يذُمُّ نفسه بينَ النَّاسِ يُريدُ بذلك أن يُري النَّاسَ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ عِنْدَ نَفْسِهِ، فيرتفعُ بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا مِنْ دقائق أبوابِ الرِّياءِ، وقد نبَّهَ عليه السَّلَفُ الصَّالح. فقال مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ: كفى بالنَّفْسِ إِطْرَاءً أَنْ تَذُمَّهَا عَلَى الْمَلَأِ، كَأَنَّكَ أَرَدْتَ بِذَمِّهَا زَيْنَهَا، وذلكَ عِنْدَ اللَّهِ سَفَهٌ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

## فَصْلٌ

وقد تبَيَّنَ بما ذَكَرْنَا أَنَّ حُبَّ الْمَالِ وَالرِّيَاسَةِ وَالْحِرْصَ عَلَيْهِمَا يُفْسِدُ دِينَ الْمَرْءِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ؛ كما أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ<sup>(٤)</sup>، وَأَصْلُ مُحِبَّةِ الْمَالِ وَالشَّرَفِ مِنْ حُبِّ الدُّنْيَا، وَأَصْلُ حُبِّ الدُّنْيَا اتِّبَاعُ الْهَوَى.

(١) أخرجه من كلام وهب بن منبه مطولاً أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/٤٨). وفي (ت) و(ف) و(ض): «الحمد لله الذي رد هذا عني وهو لائم».

(٢) سقطت الجملة من (ز).

(٣) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٠٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٨/٣٠١). وعندهما: «وذلك عند الله شينها».

(٤) في (ك) و(ع) و(ز): «أخبر عليه الصلاة والسلام».

قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنْبِهٍ: مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَمِنْ الرَّغْبَةِ فِيهَا حُبُّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ، وَمِنْ حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ اسْتِحْلَالُ الْمَحَارِمِ<sup>(١)</sup>.

وهذا كلامٌ حسنٌ، فإنه إنما يَحْمِلُ على حُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ: الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا تَحْصُلُ الرَّغْبَةُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى؛ لِأَنَّ الْهَوَى دَاعٍ إِلَى الرَّغْبَةِ فِي الدُّنْيَا وَحُبِّ الْمَالِ وَالشَّرَفِ فِيهَا، وَالتَّقْوَى تَمْنَعُ مِنْ أَتْبَاعِ الْهَوَى، وَتَرُدُّ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى<sup>(٣٧)</sup> وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا<sup>(٣٨)</sup> فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى<sup>(٣٩)</sup> وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى<sup>(٤٠)</sup> فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٣٧ - ٤١].

وقد وصفَ اللهُ أَهْلَ النَّارِ بِالْمَالِ وَالسُّلْطَانِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كَيْدَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَأُوتِيَ كَنْيَةً<sup>(٤٥)</sup> وَلَرَأْدِرَ مَا حَسْبِيَ<sup>(٤٦)</sup> يَلَيِّنَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ<sup>(٤٧)</sup> مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي<sup>(٤٨)</sup> هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٩].

وَعَلِمَ: أَنَّ النَّفْسَ تُحِبُّ الرُّفْعَةَ وَالْعُلُوَّ عَلَى أَبْنَاءِ جَنْسِهَا، وَمِنْ هُنَا نَشَأُ الْكِبَرُ وَالْحَسَدُ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ يُنَافِسُ فِي الْعُلُوِّ الدَّائِمِ الْبَاقِي الَّذِي فِيهِ رِضْوَانُ اللَّهِ وَقُرْبُهُ وَجَوَارُهُ، وَيَرْغَبُ عَنِ الْعُلُوِّ الْفَانِي الزَّائِلِ الَّذِي يَعْقِبُهُ غَضَبُ اللَّهِ وَسُخْطُهُ، وَانْحِطَاطُ الْعَبْدِ وَسُفُولُهُ<sup>(٢)</sup>، وَبُعْدُهُ عَنِ اللَّهِ، وَطَرْدُهُ عَنْهُ، فَهَذَا الْعُلُوُّ الْفَانِي<sup>(٣)</sup> هُوَ الَّذِي يُدَمِّمُ، وَهُوَ الْعَتُوُّ وَالتَّكَبُّرُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ.

وَأَمَّا الْعُلُوُّ الْأَوَّلُ وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ فَهُوَ مَحْمُودٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

(١) فِي (ت) وَ(ف): «الْحَرَامُ» أَخْرَجَهُ مَطْوَلًا: الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (٢١٧٧) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَابْنُ أَبِي

الدُّنْيَا فِي «الزَّهْدِ» (١٠٤)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ» (٤١/٤).

(٢) فِي (ك) وَ(ع) وَ(ز): «سُفُولَتُهُ».

(٣) يَتَصَحَّفُ إِلَى: «الثَّانِي».



وقال الحسن: إذا رأيت الرجل يُنافِسُكَ في الدُّنيا فنافِسْهُ في الآخرة<sup>(١)</sup>.  
وقال وهيب بنُ الورد: إن استطعت أن لا يسبقَكَ إلى الله عز وجل أحدٌ فافعل<sup>(٢)</sup>.  
وقال محمد بنُ يوسف الأصبهاني العابد: لو أن رجلاً سمعَ برجلٍ أطوعَ لله منه  
أو عرفه كان ينبغي له أن يُحزِنَه ذلك<sup>(٣)</sup>.  
وقال غيره: لو أن رجلاً سمعَ برجلٍ أو عرفَ رجلاً أطوعَ لله منه فانصدعَ قلبه،  
لم يكن ذلك بعَجَبٍ<sup>(٤)</sup>.

وقال رجلٌ لمالك بن دينار: رأيتُ في المنام مُنادياً يُنادي: أَيُّهَا النَّاسُ! الرَّحِيلُ  
الرَّحِيلُ، فما رأيتُ أحداً يَرتحلُ<sup>(٥)</sup> إلاَّ محمد بنَ واسعٍ. فصاح مالك، وغشي عليه<sup>(٦)</sup>.  
ففي درجات الآخرة الباقية يُشرعُ التَّنَافُسُ وطلبُ العُلُوِّ في منازلها، والحِرْصُ  
على ذلك بالسَّعي في أسبابه، وأن لا يَقْنَعَ الإنسانُ فيها بالدُّونِ مع قُدْرَتِهِ على العُلُوِّ.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٣٥١)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٢١٥، ١٥٢٥، ١٦٣٤)،  
وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٥٣٥)، وفي «ذم الدنيا» (٤٦٥).

(٢) في (ف): «لا يسبقك أحد إلى الله عز وجل». أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ١٤٠)،  
وفيه: «إن استطعت أن لا يشغلك عن الله تعالى أحد فافعل» ونقله المزي في «تهذيب الكمال»  
(٣١/ ١٧٢) والذهبي في «تاريخ الإسلام» (٤/ ٢٤٩) بمثل نقل المصنف. وقال: «هذا على سبيل  
المبالغة في الاجتهاد ولا فقد سبق والله السابقون الأولون فضلاً عن الأنبياء المستحيل سبقهم».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٣).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٣٣) من نقل محمد بن يوسف عن رجل من أهل البصرة.

(٥) في (ك) و(ع): «يرحل» وفي (ز): «ترحل». والمثبت من (ت) و(ف) موافق للمصدر.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٩٠٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٦)، وابن عساكر  
في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ١٥٣، ١٥٤)، والذي رأى المنام هو حوشب بن مسلم أحد العباد الزهاد،  
ومحمد بن واسع هو أبو عبد الله الأزدي البصري أحد أعلام التابعين رحمهم الله تعالى.

وَأَمَّا الْعُلُوُّ الْفَانِي الْمُنْقَطِعُ الَّذِي يُعْقِبُ صَاحِبَهُ غَدًا حَسْرَةً وَنَدَامَةً وَذِلَّةً وَهَوَانًا وَصَغَارًا، فَهُوَ الَّذِي يُشْرَعُ الزُّهْدُ فِيهِ وَالْإِعْرَاضُ عَنْهُ.

[أسباب الزهد في العلو الفاني]

وللزهد فيه أسباب عديدة:

منها: نظرُ العبدِ إلى سُوءِ عَاقِبَةِ الشَّرَفِ فِي الدُّنْيَا بِالْوِلَايَةِ وَالْإِمَارَةِ لِمَنْ لَا يُوْدِي<sup>(١)</sup> حَقَّهَا فِي الْآخِرَةِ.

ومنها: نظرُ العبدِ إلى عُقُوبَةِ<sup>(٢)</sup> الظَّالِمِينَ وَالمُتَكَبِّرِينَ، وَمَنْ يُنَازِعُ اللَّهَ رِدَاءَ الْكِبْرِيَاءِ<sup>(٣)</sup>.

[وعيد المتكبرين]

وَفِي «السُّنَنِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ»<sup>(٤)</sup> فِي صُورِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، يُسَاقُونَ إِلَى سِجْنٍ فِي جَهَنَّمَ يُسَمَّى: «بُولَسُ»<sup>(٥)</sup>، تَعْلُوهُمْ نَارُ الْأَنْبَارِ<sup>(٦)</sup>، يُسْقَوْنَ مِنْ عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ طِينَةَ الْخَبَالِ<sup>(٧)</sup>. وَخَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٨)</sup>.

(١) فِي (ك) وَ(ز) وَ(ع): «يُؤْتِي».

(٢) فِي (ك) وَ(ع): «عَاقِبَةُ».

(٣) فِي (ت): «يُنَازِعُ الْكِبْرَ ذَا الْكِبْرِيَاءِ».

(٤) فِي حَاشِيَةِ (ع): «صَغَارُ النَّمْلِ».

(٥) فِي حَاشِيَةِ (ك) وَ(ع): «بُضْمُ الْبَاءِ وَفَتْحُ اللَّامِ. كَذَا ضَبَطَهُ الْقَامُوسُ».

(٦) فِي حَاشِيَةِ (ك) وَ(ع): «كَانَ جَمْعُ نَارٍ، وَالْقِيَاسُ يَقْتَضِي أَنْ يُقَالَ: الْأَنْوَارُ، لِأَنَّهُ وَادِي، لَكِنْ هَكَذَا جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ».

(٧) فِي حَاشِيَةِ (ع): «بَيَانٌ لِلْعُصَارَةِ». وَضَبَطَهَا فِي (ت): «طِينَةٌ».

(٨) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٦٦٧٧)، وَابْنُ خَالٍ فِي «الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ» (٥٥٧)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٩٢)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكِبْرِيِّ» (١١٨٢٧)، وَغَيْرُهُمْ.

وفي رواية لغيره مِنْ وَجْهِ آخَرَ: تَطَوُّهُمْ النَّاسُ بِأَقْدَامِهِمْ<sup>(١)</sup>.

وفي أخرى: يطوُّهم الإنسُ والجنُّ والدَّوَابُّ بِأَرْجُلِهَا حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنَ عِبَادِهِ<sup>(٢)</sup>.

واستأذَنَ رَجُلٌ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْقَصَصِ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي أَخَافُ أَنْ تُقْصَرَ عَلَيْهِمْ، فَتَرْتَفِعَ عَلَيْهِمْ فِي نَفْسِكَ حَتَّى يَضَعَكَ اللَّهُ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٣)</sup>.

ومنها: نَظَرَ الْعَبْدُ إِلَى ثَوَابِ الْمَتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا بِالرَّفْعَةِ فِي الْآخِرَةِ، فَإِنَّهُ «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ»<sup>(٤)</sup>.

ومنها: وَلَيْسَ هُوَ فِي قُدْرَةِ الْعَبْدِ، وَلَكِنَّهُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ مَا يُعَوِّضُ اللَّهُ عِبَادَهُ الْعَارِفِينَ بِهِ، الزَّاهِدِينَ فِيمَا يَفْنَى مِنَ الْمَالِ وَالشَّرَفِ<sup>(٥)</sup> بِمَا<sup>(٦)</sup> يُعَجِّلُهُ اللَّهُ لَهُمْ

(١) أخرجه البزار (٣٤٢٩ - كشف الاستار) من حديث جابر رضي الله عنه ولفظه: يطوُّهم الناس. قال البزار: لا نعلمه يُروى عن جابر إلا بهذا الإسناد، والقاسم - يعني ابن عبد الله العمري أحد رجاله - فليس بالقوي، وقد حدث عنه أهل العلم.

(٢) أخرجه من حديث عوف بن مالك الأشجعي ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٢٠)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٤٦)، وفي (ك) وغيرها: «تطوُّهم».

(٣) أخرج نحوه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٨٠ - ٨١)، من روايات متعددة، في استئذان تميم الداري له رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه بهذا اللفظ البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٧٩٠)، والطبراني في «الأوسط» (٨٣٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً. وقال ذو النون في تفسيره: «من تذلل بالمسكنة والفقر إلى الله رفعه الله يعني بالانقطاع إليه» رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٨٧٩).

(٥) في حاشية (ع): «يتعلق بيعوض، وهو للبدل أو بيان لما يفنى».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «مما».

في الدُّنْيَا مِنْ شَرَفِ التَّقْوَى وَهَيْبَةِ الْخَلْقِ لَهُمْ<sup>(١)</sup> في الظَّاهِرِ، وَمِنْ حِلَاوَةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ فِي الْبَاطِنِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي وَعَدَهَا اللَّهُ لِمَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ<sup>(٢)</sup>، وَهَذِهِ الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ لَمْ يَذُقْهَا الْمُلُوكُ فِي الدُّنْيَا وَلَا أَهْلُ الرِّيَاسَاتِ وَالْحِرْصِ عَلَى الشَّرَفِ؛ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ: لَوْ يَعْلَمُ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ لَجَالَدُونَا<sup>(٣)</sup> عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ<sup>(٤)</sup>.

وَمَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ ذَلِكَ اشْتَغَلَ بِهِ عَنْ طَلَبِ الشَّرَفِ الزَّائِلِ وَالرِّيَاسَةِ الْفَانِيَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَأْسَ الْتَقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وَفِي بَعْضِ الْأَثَارِ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا الْعَزِيزُ، فَمَنْ أَرَادَ الْعِزَّ فَلْيُطِيعِ الْعَزِيزَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) «لَهُمْ» سَقَطَتْ مِنْ (ك) وَ(ع) وَ(ز).

(٢) قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

(٣) فِي (ت) وَ(ف): «مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالِدُونَا»، وَفِي حَاشِيَةِ (ع): «أَيُّ ضَارِبُونَا بِالسَّيْفِ، مِنَ الْجِلَادِ وَهُوَ الضَّرْبُ بِالسَّيْفِ فِي الْقِتَالِ».

(٤) أَخْرَجَهُ فِي قِصَّةِ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٧/ ٣٧٠)، وَالْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ فِي «الزَّهْدِ وَالرَّقَاقِ» (١١٥)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٦/ ٣٠٣، ٣٦٦).

(٥) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (٦/ ٥٦٨) وَفِي «الْمُتَّفَقِ وَالْمُفْتَرَقِ» (١٢٩٣)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمَوْضُوعَاتِ» (١/ ١١٩) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ لَا يَصَحُّ، وَسَرَقَ بَعْضُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَرَوَاهُ بِإِسْنَادٍ آخَرَ، وَهُوَ عِنْدَ الْخَلِيلِيِّ فِي «الْإِرْشَادِ» (٣/ ٩٢١)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمَوْضُوعَاتِ» (١/ ١٢٠)، وَالرَّافِعِيُّ فِي «التَّدْوِينِ» (٢/ ٨٦). وَذَكَرَهُ الْمَصْنُفُ فِي «لَطَائِفِ الْمَعَارِفِ» فِي الْمَجْلَسِ الثَّالِثِ فِي وَظَائِفِ الْمُحَرَّمِ، وَفِي «شَرْحِ حَدِيثِ بَعَثَ بِالسَّيْفِ».

فمن<sup>(١)</sup> أَرَادَ عِزَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَشَرَفَهُمَا فَعَلِيهِ بِالتَّقْوَى.

كَانَ حَجَّاجُ بْنُ أَرْطَاةَ يَقُولُ: قَتَلَنِي حُبُّ الشَّرَفِ، فَقَالَ لَهُ سَوَّازٌ: لَوْ اتَّقَيْتَ اللَّهَ شَرُفْتَ<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ      وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمُ  
وَلَيْسَ عَلَى عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ      إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَى وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمَ<sup>(٣)</sup>

قَالَ صَالِحُ النَّاجِي: الطَّاعَةُ إِمْرَةٌ، وَالْمَطِيعُ لِلَّهِ أَمِيرٌ مُؤَمَّرٌ عَلَى الْأَمْرَاءِ، أَلَا تَرَى هَيْبَتَهُ<sup>(٤)</sup> فِي صُدُورِهِمْ، إِنْ قَالَ قَبِلُوا، وَإِنْ أَمَرَ أَطَاعُوا.

ثُمَّ<sup>(٥)</sup> قَالَ صَالِحٌ: يَحِقُّ لِمَنْ أَحْسَنَ<sup>(٦)</sup> خِدْمَتَكَ وَمَنَنْتَ<sup>(٧)</sup> عَلَيْهِ بِمَحَبَّتِكَ أَنْ تُذَلَّلَ<sup>(٨)</sup> لَهُ الْجَبَابِرَةُ حَتَّى يَهَابُوهُ، لَهَيْبَتِهِ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ هَيْبَتِكَ فِي قَلْبِهِ، وَكُلُّ الْخَيْرِ مِنْ عِنْدِكَ لِأَوْلِيائِكَ<sup>(٩)</sup>.

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «ومن».

(٢) ذكره عن حجاج: الإمام أحمد في رواية الميموني «العلل» (٤٩٢)، والعقيلي في «الضعفاء»

(١/ ٢٨٢). وقول سوار له في «أخبار القضاة» لوكيع (٢/ ٥٠ المكتبة التجارية الكبرى).

وضبط في (ت): «شُرُفْتَ».

(٣) البيتان لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (٣٩٤)، إلا أن فيهما: «العدم» بدل «السقم»، و«صحح» بدل

«حقق».

(٤) المثبت من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً للمصدر، وفي سائر النسخ: «هبة الله».

(٥) في (ت) و(ف) و(ض): «يقول».

(٦) في (ك) و(ز) و(ع): «أنحسن».

(٧) في حاشية (ف): «وَبُئْتُ». وهي في صلب (ت)، وكتب في حاشيتها: لعله: «وَمَنَنْتَ».

(٨) في (ف): «تَذَلَّلَ».

(٩) في (ت) و(ف) و(ك) و(ض): «بأوليائك»، والأثر: أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٧٢).

وقال بعض السلف الصالح: مَنْ أَسْعَدَ بالطَّاعَةِ مِنْ مُطِيعٍ؟! أَلَا وَكُلُّ الْخَيْرِ فِي الطَّاعَةِ، أَلَا وَإِنَّ الْمُطِيعَ لِلَّهِ مَلِكٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ<sup>(١)</sup>.

وقال ذو النون: مَنْ أَكْرَمُ وَأَعَزُّ<sup>(٢)</sup> مِمَّنْ انْقَطَعَ إِلَى مَنْ مُلِكَ الْأَشْيَاءُ بِيَدِهِ؟!<sup>(٣)</sup>

دَخَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ أَمِيرُ الْبَصْرَةِ عَلَى حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، فَقَعَدَ<sup>(٤)</sup> بَيْنَ يَدَيْهِ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا سَلَمَةَ! مَا لِي كُلَّمَا نَظَرْتُ إِلَيْكَ ارْتَعَدْتُ فَرَقًا<sup>(٥)</sup> مِنْكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ<sup>(٦)</sup> الْعَالِمَ إِذَا أَرَادَ بَعْلِمَهُ وَجَهَ اللَّهِ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتَبِرَ بِهِ الْكَنُوزَ خَافَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ<sup>(٧)</sup>.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ: عَلَى قَدْرِ هَيْبَتِكَ لِلَّهِ يَهَابُكَ<sup>(٨)</sup> الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ مُحِبَّتِكَ لِلَّهِ يُحِبُّكَ الْخَلْقُ، وَعَلَى قَدْرِ اشْتِغَالِكَ بِاللَّهِ يَشْتَغِلُ الْخَلْقُ بِأَشْغَالِكَ<sup>(٩)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقعة والبكاء» (٢٤٨) من كلام رجل من أهل الشام اسمه: أمية، وكان يدخل الطواف، فيأخذ في النجيب والبكاء، وربما سقط مغشياً عليه.

(٢) من (ت) و(ف) و(ض) موافقاً للمصدر، وفي سائر النسخ: «أعز وأكرم».

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢١/١٧).

(٤) في (ت) و(ف) و(ض): «وقعد».

(٥) في حاشية (ع): «أي خوفاً».

(٦) في (ت) و(ف) و(ض): «قال لأن».

(٧) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي» (٣٦٢/١)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣٣/٥٣). وجواب السؤال عندهما مرفوع من حديث أنس رضي الله عنه، وفيه:

«هابه» بدل «خافه» و«هاب» بدل «خاف».

(٨) في (ت) و(ف) و(ض): «يخافك».

(٩) ورد هذا المعنى عن جماعة من السلف:

أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٨)، والسلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١١١) من =

وكانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ رضي الله عنه يوماً يمشي ووراءه قومٌ من أكابرِ المهاجرين، فالتفتَ فرأهم، فخرُّوا على رُكبتِهِمْ هَيَّيَّةً له<sup>(١)</sup>، فبكى عمرُ وقال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أَخَوْفُ لَكَ مِنْهُمْ لِي<sup>(٢)</sup>.

وكانَ العُمَرِيُّ الرَّاهِدُ قد خَرَجَ إِلَى الكوفةِ إِلَى الرَّشِيدِ لِيَعِظَهُ وَينهاه، فَوَقَعَ الرُّعْبُ فِي عَسْكَرِ الرَّشِيدِ لَمَّا سَمِعُوا بِنزوله حَتَّى لَوْ نَزَلَ بِهِمْ عَدُوٌّ مائَةٌ أَلْفِ نَفْسٍ لَمَّا زَادُوا عَلَى ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

وكانَ الحَسَنُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْأَلَهُ مِنْ هَيَّيَّتِهِ، وَكانَ خَوَاصُّ أَصْحَابِهِ يَجْتَمِعُونَ، وَيَطْلُبُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ أَنْ يَسْأَلُوهُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَإِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ

= كلام يحيى بن معاذ الرازي، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣٠ / ٧٤)، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٣٥)، من كلام يوسف بن الحسين الرازي، والقطعة الأولى منه أخرجها أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٠ / ٨) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٠٦ / ٤٨) من كلام الفضيل بن عياض.

(١) في حاشية (ك) و(ع): «جواز الخور على الرُّكْب».

قلت: ليس في هذا الأثر أنه كان اختياراً حتى يكون جائزاً، وإنما هو اضطرار حصل معهم للهيئة، والله أعلم.

(٢) عن القاسم بن محمد قال: بينما عمر يمشي وخلفه عدة من أصحاب رسول الله ﷺ إذ بدا له، فالتفت، فإن بقي منهم أحد إلا وجب لركبتيه ساقطاً. قال: فأرسل عينيه، فبكى، ثم قال: «اللهم تعلم أنني منك أشد فرقا منهم مني».

أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٢ / ٦٨١). ونقله ابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص: ١٢٩).

(٣) أورده ابن الجوزي في «المتنظم» (٩ / ١٠٠). والعمرى هو عبد الله بن عبد العزيز العمرى، المتوفى سنة ١٨٤ رحمه الله تعالى.

لم يجترؤا على سُؤَالِهِ حَتَّى رُبَّمَا مَكَّثُوا عَلَى ذَلِكَ سَنَةً كَامِلَةً هَيِّبَةً لَهُ<sup>(١)</sup>.  
وكذلك كَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يُهَابُ أَنْ يُسَالَ، حَتَّى قَالَ فِيهِ الْقَائِلُ:  
يَدْعُ الْجَوَابَ فَلَا<sup>(٢)</sup> يُرَاجِعُ هَيِّبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاصِيسَ الْأَذْقَانِ  
نُورُ الْوَقَارِ وَعِزُّ سُلْطَانِ التُّقَى فَهُوَ الْمَهِيْبُ<sup>(٣)</sup> وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانٍ<sup>(٤)</sup>  
قَالَ بُدَيْلُ الْعُقَيْلِيِّ: مَنْ أَرَادَ بَعْمَلِهِ<sup>(٥)</sup> وَجْهَ اللَّهِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ، وَأَقْبَلَ بِقُلُوبِ  
الْعِبَادِ إِلَيْهِ، وَمَنْ عَمِلَ لِغَيْرِ اللَّهِ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنْهُ، وَصَرَفَ قُلُوبَ الْعِبَادِ عَنْهُ<sup>(٦)</sup>.  
وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَاسِعٍ: إِذَا أَقْبَلَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ عَلَى اللَّهِ أَقْبَلَ اللَّهُ بِقُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ  
إِلَيْهِ<sup>(٧)</sup>.

(١) قال أيوب السخيتاني: لقد جالست الحسن أربع سنين فما سألته هيبه له. «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١١/٣).

(٢) في (ع) و(ز) و(ض): «ولا».

(٣) في (ع): «المهاب».

(٤) بيتان مشهوران في وصف إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله.

ينسبان لبعض المدنيين كما في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٣١٨/٦).

ونسب لعبد الله بن سالم الخياط في «الأخبار الموقفيات» للزبير بن بكار، و«الانتقاء» لابن عبد البر (ص: ٤٥)، و«الجامع لأخلاق الراوي» (١/١٨٤) وغيرها.

ولسعيد بن وهب في «المحدث الفاصل» (ص: ٢٤٧) للرامهرمزي.

ولمصعب بن عبد الله في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١٣/٨).

ولعبد الله بن المبارك في «منازل الأئمة الأربعة» للسلماسي (ص: ١٨٢).

ولسفيان الثوري في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٢/٣٤).

(٥) في (ز): «بعلمه». وهي كذلك في المطبوع من «حلية الأولياء».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٦٢).

(٧) المثبت من (ز) وحدها، وهو الموافق للمصادر. وفي سائر النسخ: «أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين».



وقال أبو يزيد البسطامي: طَلَقْتُ الدُّنْيَا ثَلَاثًا بَتَاتًا<sup>(١)</sup> لَا رَجْعَةَ لِي فِيهَا، وَصِرْتُ إِلَى رَبِّي وَخُدي، فَنَادَيْتُهُ بِالِاسْتِغَاثَةِ: إِلَهِي! أَدْعُوكَ دُعَاءَ مَنْ لَمْ يَبْقَ لَهُ غَيْرُكَ. فَلَمَّا عَرَفَ صِدْقَ الدُّعَاءِ مِنْ قَلْبِي، وَالْيَأْسَ مِنْ نَفْسِي كَانَ أَوَّلَ مَا وَرَدَ عَلَيَّ مِنْ إِجَابَةِ هَذَا الدُّعَاءِ أَنْ أَنْسَانِي نَفْسِي بِالْكُلِّيَّةِ، وَنَصَبَ الْخَلَائِقَ بَيْنَ يَدَيَّ مَعَ إِعْرَاضِي عَنْهُمْ<sup>(٢)</sup>.

وكان يُزارُ مِنَ الْبُلْدَانِ، فَلَمَّا رَأَى ازْدِحَامَ النَّاسِ عَلَيْهِ قَالَ:

وَالْيَتَنِي صِرْتُ شَيْئًا      مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أُعَدُّ  
أَصْبَحْتُ لِلْكَُلِّ مَوْلَى      لِأَنِّي لَكَ عَبْدُ  
وَفِي الْفُؤَادِ أُمُورٌ      مَا تُسْتَطَاعُ تُعَدُّ  
لَكِنْ كَيْثَمَانِ حَالِي      أَحَقُّ بِي وَأَسَدُ<sup>(٣)</sup>

كَتَبَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ<sup>(٤)</sup> إِلَى مَكْحُولٍ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ قَدْ أَصْبَتَ بظَاهِرِ عِلْمِكَ عِنْدَ النَّاسِ شَرَفًا وَمَنْزِلَةً، فَاطْلُبْ بِبَاطِنِ عِلْمِكَ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً وَزُلْفَى، وَاعْلَمْ أَنَّ إِحْدَى الْمَنْزِلَتَيْنِ تَمْنَعُ مِنَ الْآخَرَى<sup>(٥)</sup>.

= أخرجَه الختلي في «المحبة لله» (ص: ٧٣)، وابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (١٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٤٥)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٧٩٨).

(١) في (ك) و(ع) و(ز): «بتًا».

(٢) أخرجَه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠ / ٣٦).

(٣) ذكر المصنف بيتين من هذه الأبيات في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملائع الأعلى»، ولم أجد هُما عند غيره.

(٤) الذي في «الحلية»: وهيب بن الورد.

(٥) أخرجَه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨ / ١٥٩) من كلام وهيب لأخ له، وفي «البصائر والذخائر»

(٥ / ١٢) مما كتب طاوس إلى مكحول، وأورده الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٤ / ٢٩)، مما كتبه

وهب لمكحول، وذكر المصنف نحوه في «شرح حديث أبي الدرداء».

ومعنى هذا:

أَنَّ الْعِلْمَ الظَّاهِرَ مِنْ تَعَلُّمِ<sup>(١)</sup> الشَّرَائِعِ وَالْأَحْكَامِ وَالْفَتَاوَى وَالْقَصَصِ وَالْوَعْظِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَظْهَرُ لِلنَّاسِ: يَحْصُلُ بِهِ لِمُصَاحِبِهِ عِنْدَهُمْ مَنَزَلَةٌ وَشَرَفٌ، وَالْعِلْمُ الْبَاطِنُ الْمَوْدَعُ فِي الْقُلُوبِ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَخَشْيَتِهِ وَمُحِبَّتِهِ وَمُرَاقَبَتِهِ، وَالْأُنْسُ بِهِ، وَالشَّوْقُ إِلَى لِقَائِهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ، وَالرِّضَى بِقَضَائِهِ، وَالْإِعْرَاضُ عَنْ عَرَضِ الدُّنْيَا الْفَانِي، وَالْإِقْبَالُ عَلَى جَوْهَرِ الْآخِرَةِ الْبَاقِي: كُلُّ هَذَا يُوجِبُ لِمُصَاحِبِهِ عِنْدَ اللَّهِ مَنَزَلَةً وَزُلْفَى، وَإِحْدَى الْمَنَزَلَتَيْنِ تَمْنَعُ مِنَ الْآخَرَى، فَمَنْ وَقَفَ مَعَ مَنَزَلَتِهِ عِنْدَ الْخَلْقِ وَاشْتَغَلَ بِمَا حَصَلَ لَهُ عِنْدَهُمْ بِعِلْمِهِ<sup>(٢)</sup> الظَّاهِرِ مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا، وَكَانَ هُمُّهُ حِفْظَ هَذِهِ الْمَنَزَلَةِ عِنْدَ الْخَلْقِ وَمُدَارَاتِهَا<sup>(٣)</sup> وَتَرْبِيئِهَا<sup>(٤)</sup> وَالْخَوْفَ مِنْ زَوَالِهَا، كَانَ ذَلِكَ حِظُّهُ مِنَ اللَّهِ، وَانْقَطَعَ بِهِ عَنْهُ، فَهُوَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: وَيَلُ لِمَنْ كَانَ حِظُّهُ مِنَ اللَّهِ الدُّنْيَا<sup>(٥)</sup>.

وَكَانَ سَرِي السَّقَطِي يُعْجَبُ مِمَّا<sup>(٦)</sup> يَرَى مِنْ عِلْمِ الْجَنِيدِ، وَحُسْنِ خِطَابِهِ، وَسُرْعَةِ جَوَابِهِ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا وَقَدْ سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَأَجَابَ وَأَصَابَ: أَخْشَى أَنْ يَكُونَ حِظُّكَ مِنَ اللَّهِ لِسَانَكَ، فَكَانَ الْجَنِيدُ لَا يَزَالُ يَبْكِي خَوْفًا<sup>(٧)</sup> مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ<sup>(٨)</sup>.

(١) فِي (ت) وَ(ف): «مَنْ يَعْلَمُ».

(٢) فِي (ت) وَ(ف) وَ(ض): «بِعِلْمِهِ».

(٣) فِي (ت) وَ(ف) وَ(ك): «وَمُرَاتِبِهَا».

(٤) فِي (ت) وَ(ف): «وَتَرْبِيئِهَا».

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي «طَبَقَاتِ الْمُحَدِّثِينَ بِأَصْبَهَانَ» (٢/ ٢٣، ٢٤، ٢١٨)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/ ٢٣١) (١٠/ ٣٨٩)، وَفِي «أَخْبَارِ أَصْبَهَانَ» (٢/ ١٤٣) وَلَفْظُهُمْ: «لَقَدْ خَابَ...»، وَالشَّجَرِيُّ فِي «تَرْتِيبِ الْأَمْوَالِي الْخَمِيسِيَّةِ» (٢/ ٢٣٠) مِنْ كَلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْأَصْبَهَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٦) فِي (ز): «بِمَا».

(٧) سَقَطَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ (ت) وَ(ف) وَ(ض).

(٨) أَخْرَجَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «الرَّسَالَةِ الْقَشِيرِيَّةِ» (١/ ٣١٣). وَأَبُو عَثْمَانَ الْبَحِيرِيُّ فِي «التَّاسِعِ مِنْ فَوَائِدِهِ» =

وَمَنْ اشْتَغَلَ بِتَرْبِيَةٍ<sup>(١)</sup> مَنْزَلَتْهُ عِنْدَ اللَّهِ بِمَا ذَكَرْنَا مِنَ الْعِلْمِ الْبَاطِنِ وَصَلَّ إِلَى اللَّهِ، فَاشْتَغَلَ بِهِ عَمَّا سِوَاهُ، وَكَانَ لَهُ فِي ذَلِكَ شُغْلٌ عَنْ طَلَبِ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ الْخَلْقِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ اللَّهَ يُعْطِيهِ الْمَنْزِلَةَ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، وَالشَّرَفَ عِنْدَهُمْ، وَإِنْ كَانَ لَا يُرِيدُ ذَلِكَ، وَلَا يَقِفُ مَعَهُ، بَلْ يَهْرُبُ مِنْهُ أَشَدَّ الْهَرَبِ، وَيَفِرُّ أَشَدَّ الْفِرَارِ؛ خَشْيَةً أَنْ يَقْطَعَهُ الْخَلْقُ عَنِ الْحَقِّ جَلِّ جَلَالِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ اللَّهُ رَحْمَةً وَذَاتًا﴾ [مريم: ٩٦]، أَيُّ: فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ.

وَحَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جَبْرِيلَ<sup>(٢)</sup>: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأُحِبُّهُ<sup>(٣)</sup>». فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. مَعْرُوفٌ، وَهُوَ مُخَرَّجٌ فِي «الصَّحِيحِ»<sup>(٤)</sup>.

وَبِكُلِّ حَالٍ، فَطَلَبُ الْآخِرَةِ يَحْصُلُ مَعَهُ شَرَفُ الدُّنْيَا وَإِنْ لَمْ يُرِدْهُ صَاحِبُهُ وَلَمْ يَطْلُبْهُ، وَطَلَبُ شَرَفِ الدُّنْيَا يَمْنَعُ شَرَفَ الْآخِرَةِ، وَلَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ<sup>(٥)</sup>، وَالسَّعِيدُ مَنْ أَتَرَ الْبَاقِيَ عَلَى الْفَانِي؛ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَأَثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى». خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ<sup>(٦)</sup>.

= (مخطوط)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٨ / ١٦٨). والجند كان في السابعة من عمره!

(١) فِي (ت) وَ(ف): «بِتَرْبِيَتِهِ».

(٢) فِي (ت) وَ(ف): «يَا جَبْرِيلُ».

(٣) «فَأُحِبُّهُ»: لَا تَوْجِدُ فِي (ت) وَ(ف) وَ(ض).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٨٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٣٧) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) فِي (ف) وَ(ض): «وَطَلَبُ شَرَفِ الدُّنْيَا مَعَ شَرَفِ الْآخِرَةِ، لَا يَجْتَمِعُ مَعَهُ».

(٦) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٩٦٩٧)، وَابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ» (٧٠٩)، وَالْحَاكِمُ (٤ / ٣١٩) وَصَحَّحَهُ.

وما أحسنَ ما قالَ أبو الفتحِ البُستِيُّ الشَّاعِرُ<sup>(١)</sup>:

أمرانِ مُفْتَرِقَانِ لستَ تراهما      يَتَشَوَّفَانِ<sup>(٢)</sup> لَخِلْطَةٍ وتلاقِ

طَلَبُ المعادِ معَ الرِّياسَةِ والعُلَى      فدَعَ الَّذي يفنى لِمَا هوَ باقٍ<sup>(٣)</sup>

وهذا آخِرُ الكلامِ على حديثِ: «ما ذُتْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا في غنمٍ بأفسدَ لها مِنْ جِرْصِ المرءِ على المَالِ والشَّرَفِ لدينه» لأبي الفرجِ عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ أحمدَ بنِ رجبِ البَغْدَادِيِّ الحنبليِّ نزيلِ دمشقَ رضي الله عنه، ونفعنا والمسلمينَ بعلومه وبركته<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) سقط هذا الوصف من (ك) و(ع) و(ض).

(٢) في (ز): «يتشوقان».

(٣) أورد البيهقي ابن الصلاح في «طبقات الفقهاء الشافعية» (٢/٦٤٦)، وهما مما يُستدرك على ديوانه، كما ذكر محقق الطبقات.

(٤) لا توجد هذه الخاتمة في (ف) و(ض) وهي ثابتة في (ك) و(ز) و(ع).

وفي (ت): «وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين. سبحان رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله وعونه». وفي (ف) مثل ما في (ت) بزيادة أوله: «تم والحمد لله وحده».

وفي (ز): آمين، وكان الفراغ من نسخه في أواخر شهر رمضان المعظم قَدْرُهُ وَخُرْمَتُهُ مِنْ شَهْرِ سَنَةِ اثْنَيْنِ وَعَشْرَيْنَ وَالْف، على يد العبد الفقير أحمد بن المرحوم منصور المعروف بابن حيّون البرلسي المالكي، غفر الله لوالديه، ولجميع المسلمين. آمين.

وفي (ع): «وقع الفراغ من نسخه على يد الفقير خير الله محمد بن عثمان بن سفيان بن مراد خان خصه الله وأسلافه بالرغد والإحسان في ١١ يوم الأحد من جمادى الآخرة لسنة ١١١٨.

ثم بعد برهة طالعه ثانياً وصححته، فصَحَّ إن شاء الله تعالى. كتبه العبد خير الله محمد».

وفي (ض): «والحمد لله وحده، وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».



شرح حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه  
«اللَّهُمَّ بعلمك الغيب»









[illegible]



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة التحقيق

الحمد لله عالم الغيب والشهادة، المنعم على المؤمنين بالحسنى وزيادة، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الهادي إلى التوحيد وحسن العباداة، وعلى آله وصحبه ذوي الشرف والسيادة، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم اللقاء في دار السعادة.

أما بعد:

فهذا الشرح للدعاء الذي تضمنه حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه هو صنو «شرح حديث زيد بن ثابت» و«شرح حديث شداد بن أوس»، وقد تضمنت هذه الأحاديث الشريفة جملاً من الأدعية الجامعة، فمعرفة معاني الدعاء معينة على حضور القلب فيه.

وقد استفتح الحافظ ابن رجب رحمه الله شرحه هذا ببيان نوعين للدعاء:

- فمنه دعاء العبد بخير محض، كسؤاله الخير في أمر دينه وآخرته، فهذا يجزئ العبد بطلبه وسؤاله بدون تردد أو تعليق.

- ومنه دعاء العبد بما لا يعلم حقيقة الخير فيه من شؤون الدنيا وأحوالها التي تُجهل عواقبها، فهذا ينبغي للعبد أن يدعو الله تعالى بما يعلم سبحانه الخير فيه.

وهذا مستفاد من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي تضمن النوعين،

ففيه: «أحيني ما علمت الحياة خيراً لي»، وفيه «اللهم إني أسألك خشيتك».

فسأل الخير الذي يعلمه الله تعالى في الأول، وجزم بالدعاء في الثاني.  
فلذلك لا ينبغي للعبد أن يدعو على نفسه بالموت لأنه لا يعلم وجه الخير فيه  
أو في الحياة.

وإذا كان العبد يتحرى في دعائه أن يطلب الخيرة من الله فيما لا يعلم العبدُ  
الخير فيه، فمن باب أولى أن لا يدعو الإنسان بما يعلم الشر والسوء فيه.

كما قال الحق عز وجل ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾  
[الإسراء: ١١] فيدعو الإنسان عند الغضب على نفسه بالموت أو الهلاك، أو  
يدعو على ولده بالشر واللعن، وهو نفسه عند رضاه يدعو لنفسه بما طال فيه  
أمله من الدنيا، ويدعو لولده وماله.

فلو استجيب للعبد في الشر كما يأمل أن يستجاب له في الخير لهلك،  
قال سبحانه: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ﴾  
[يونس: ١١].

اللهم: إنا نسألك من خير ما تعلم، ونعوذ بك من شر ما تعلم، إنك أنت الأعز  
الأكرم.

\*\*\*

ذكر هذا الشرح للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)،  
وذكره الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)، والسفاريني في «شرح ثلاثيات  
الإمام أحمد» (١ / ٤٧٠)، ونقل منه أول كلامه في هذا الجزء، وذكره الكتاني في  
«فهرس الفهارس» (٢ / ٦٣٦).

\*\*\*

واعتمدت في إخراجها على خمس نسخ خطية:

النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي في ضمن مجموع (١٥٧) وقد تقدم وصفه في المقدمات، وهي الرسالة الثالثة عشرة منه، وهي في (١٠) لوحات (من ١٣٣/ب إلى ١٤٢/أ) وفيها خرم نهت عليه في موضعه في اللوحة (١٣٦) بين [أ] و[ب] منها.

لم يذكر اسم النسخ. وإحدى رسائل المجموع نسخت سنة ٨٥٢.

النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي في ضمن المجموع (٥٣١٨) وقد تقدم وصفه في المقدمات وهي الرسالة السابعة منه، وتقع في (١٩) لوحة، (من ١٢١/أ إلى ١٣٩/أ).

ناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي في سنة ٨٩٣.

النسخة الثالثة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية، ورمزها (س).

وهي في ضمن مجموع برقم (٥٢٧ / ٨٦) من وقف الشيخ محمد بن عبد اللطيف، وهي الرسالة الأولى منه، وهي ملفقة من نسختين بخطين مختلفين، وآخرها مكرر بين النسخة الأولى والثانية، وفيها أخطاء كثيرة، وتقع في (٨) لوحات من أول المجموع.

لم يذكر اسم النسخ ولا تاريخ النسخ، وهي من خطوط القرن الرابع عشر، بإحدى رسائل المجموع مؤرخة بـ ١٣٣٣، وأخرى مؤرخة بـ ١٣٥٦.

النسخة الرابعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (ر).

وهي في ضمن مجموع برقم (١٨١٧)، وهي الرسالة الثانية منه، وتقع في (١١)

لوحة (من ١١/أ إلى ٢١/ب)، وهي بخط: عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن في سنة ١٣٦١، وقد نقلها من خط أبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم.

النسخة الخامسة: نسخة رئاسة الشؤون الدينية التركية، ورمزها (ك).

وهي في ضمن مجموع (١٩٢٠)، وهي مختصر للكتاب في صفحتين ونصف صفحة.

وثمة نسخة في جامعة ييل - لم تقابل بها - لتأخرها، فعلينا قيد مقابلة مؤرخ برجب ١٢٥٥، وهي يمانية، (١٣) لوحة ضمن مجموع فيه رسائل لابن رجب وبعض الرسائل للشوكاني بخطه.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

\*\*\*

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الكلام على حديثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ

خَرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو بِهِؤَلَاءِ الدَّعَوَاتِ <sup>(١)</sup>: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبَ، وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرَ أَلِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرَ أَلِي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا» <sup>(٢)</sup>، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَا، وَبِرَدِّ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ <sup>(٣)</sup> إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي <sup>(٤)</sup> غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» <sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ك): «الْكَلِمَاتِ».

(٢) فِي (ك): «الرِّضَا وَالْغَضَبِ». وَفِي (س): «وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ».

(٣) فِي (س): «وَلَذَّةَ».

(٤) فِي (س) وَ(ك): «مِنْ»، وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»: «وَأَعُوذُ بِكَ».

(٥) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٨٣٢٥)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الصَّغَرَى» (١٣٠٥) (١٣٠٦)، وَفِي «الْكَبَرَى»

(١٢٢٩) (١٢٣٠). وَسَبَبُ رَوَايَةِ الْحَدِيثِ أَنَّ عَمَّارًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَّى بِالْقَوْمِ صَلَاةَ أَخْفَهَا،

فَكَانَهُمْ أَنْكَرُوهَا، قَالَ: أَلَمْ أَتِمَّ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ أَمَا إِنِّي دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَاءِ

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو بِهِ.



اعْلَمْ أَنَّ الْحَاجَاتِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَا عُلِمَ<sup>(١)</sup> أَنَّهُ خَيْرٌ مُحَضَّضٌ، كَسُؤَالِهِ خَشْيَتَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتَهُ وَتَقْوَاهُ، أَوْ سُؤَالِهِ الْجَنَّةَ، وَالِاسْتِعَاذَةَ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَهَذَا يُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ وَلَا تَعْلِيقٍ بِالْعِلْمِ بِالْمَصْلَحَةِ، لِأَنَّهُ خَيْرٌ مُحَضَّضٌ وَمَصْلَحَةٌ خَالِصَةٌ، فَلَا وَجْهَ لَتَعْلِيقِهِ بِشَرْطٍ هُوَ مَعْلُومُ الْحُصُولِ، وَكَذَلِكَ لَا يُعَلَّقُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا يَشَاءُ وَلَا مُكْرَهَ لَهُ<sup>(٢)</sup>، فَلَا فَائِدَةَ فِي تَعْلِيقِهِ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَكِنْ لِيَجْزِمَ الْمَسْأَلَةَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ» خَرَّجَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ<sup>(٣)</sup> وَأَبِي هُرَيْرَةَ<sup>(٤)</sup> بِمَعْنَاهُ.

وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلِيُعْظِمَ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاضَمُهُ شَيْءٌ»<sup>(٥)</sup>.

وَفِي رَوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَا مُكْرَهَ لَهُ»<sup>(٦)</sup>.

النَّوعُ الثَّانِي: مَا لَا يَعْلَمُ هَلْ هُوَ خَيْرٌ لِلْعَبْدِ أَمْ لَا كَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرَ، وَالْوَلَدَ وَالْأَهْلَ، وَكَسَائِرِ حَوَائِجِ الدُّنْيَا الَّتِي تُجْهَلُ عَوَاقِبُهَا، فَهَذِهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْأَلَ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ فِيهِ الْخَيْرَ لِلْعَبْدِ فَإِنَّ الْعَبْدَ جَاهِلٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَهُوَ مَعَ هَذَا عَاجِزٌ عَنْ تَحْصِيلِ مَصَالِحِهِ وَدَفْعِ مَضَارِّهِ، فَيَتَعَيَّنُّ عَلَيْهِ أَنْ يُسْأَلَ حَوَائِجَهُ مَنْ

(١) فِي (ف): «أَعْلَمَ بِهِ».

(٢) فِي (س): «لَا أَنْ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣٣٨)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٨).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٣٣٩)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٩).

(٥) وَهِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ السَّابِقِ ذَكَرَهُ.

(٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ (٧٤٧٧).

هو عالمٌ قادرٌ، ولهذا شُرِعَتِ الاستخارةُ في الأمورِ الدُّنيويَّةِ كُلِّها، وشرعَ أن يقولَ الدَّاعي في استخارته: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَتَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، ثُمَّ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَيُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ - خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَدُنْيَايَ...»<sup>(١)</sup> وكذلك في هذا الدُّعاءِ يسألُ اللهَ بِعِلْمِهِ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْخَلْقِ مَا يَعْلَمُ لَهُ فِيهِ الْخَيْرَةُ مِنْ مَوْتٍ أَوْ حَيَاةٍ.

وقد تَضَمَّنَ الدُّعاءُ الَّذِي فِي هَذَا الْحَدِيثِ النَّوعَيْنِ معاً؛ فَإِنَّهُ لَمَّا سَأَلَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ قَيَّدَ ذَلِكَ بِمَا يَعْلَمُ اللهُ فِيهِ الْخَيْرَةَ لِعَبْدِهِ، وَلَمَّا سَأَلَ الْخَشْيَةَ وَمَا بَعْدَهَا مِمَّا هُوَ خَيْرٌ صِرَفُ جَزَمَ بِهِ وَلَمْ يُقَيِّدْهُ بِشَيْءٍ.

وفي «الصَّحِيحَيْنِ»، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ لَضَرِّ نَزَلٍ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بَدَّ فَاعْلَأْ فَلْيُقَلِّ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْراً لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْراً لِي»<sup>(٢)</sup>.

وَلِلْبُخَارِيِّ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ<sup>(٣)</sup> أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِناً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ، وَإِمَّا مُسِيئاً فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتَبَ»<sup>(٤)</sup>.

وَلِمُسْلِمٍ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عَمْرُهُ إِلَّا خَيْراً»<sup>(٥)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي مَوَاضِعَ (١١٦٢) (٦٣٨٢) (٧٣٩٠) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٦٧١) وَمُسْلِمٌ (٢٦٨٠) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَفِي النُّسخَةِ (س): «إِذَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ».

(٣) فِي (س): «يَتَمَنَّى».

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٦٧٣) (٧٢٣٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) مُسْلِمٌ (٢٦٨٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وزاد الإمام أحمد في رواية له: «إلا أن يكون قد وثق بعمله»<sup>(١)</sup>.

وله أيضاً: «لا تتمنوا»<sup>(٢)</sup> الموت؛ فإنَّ هَوْلَ المَطْلَعِ شديداً، وإنَّ مِنَ السَّعَادَةِ أن يطولَ عمرُ العبدِ ويرزقه اللهُ الإنابة»<sup>(٣)</sup>.

ففي هذه الأحاديثِ التَّعليلُ للنَّهي عن تَمَنِّي الموتِ؛ فإنَّ العبدَ إن كان مُحْسِناً فحياته يرجو أن يزدادَ بها<sup>(٤)</sup> إحساناً، وإن كان مُسيئاً فإنه يرجو أن يستعْتَبَ، يعني: يُزِيلَ العَتَبَ عنه بالتَّوْبَةِ والإنابة قبل الموتِ.

وقد جاءتِ الأحاديثُ عن النَّبِيِّ ﷺ بفضيلةِ طولِ العَمْرِ في الطَّاعَةِ.

ففي التِّرْمِذِيِّ أَنَّهُ ﷺ سُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عَمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»، وَسُئِلَ: أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عَمْرُهُ، وَسَاءَ عَمَلُهُ»<sup>(٥)</sup>.

وفي «المُسْنَدِ»: إِنَّ نَفَرًا ثَلَاثَةً أَسْلَمُوا، فَكَانُوا عِنْدَ طَلْحَةَ، فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْثًا فَخَرَجَ فِيهِ أَحَدُهُمْ فَاسْتَشْهَدَ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْثًا آخَرَ فَخَرَجَ فِيهِ آخَرُ فَاسْتَشْهَدَ، ثُمَّ مَاتَ الثَّالِثُ عَلَى فَرَّاشِهِ، قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُهُمْ فِي الْمَنَامِ فِي الْجَنَّةِ، فَرَأَيْتُ الْمَيِّتَ عَلَى فَرَّاشِهِ أَمَامَهُمْ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتَشْهَدَ آخِرًا يَلِيهِ، وَرَأَيْتُ الَّذِي اسْتَشْهَدَ أَوَّلَهُمْ آخِرَهُمْ، قَالَ: فَاتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «وَمَا أَنْكَرْتَ مِنْ ذَلِكَ؟ لَيْسَ أَحَدٌ أَفْضَلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مُؤْمِنٍ يُعَمِّرُ فِي الْإِسْلَامِ لَتَسِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) «مسند الإمام أحمد» (٨٦٠٧).

(٢) في (س): «تمنوا».

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٤٥٦٤).

(٤) في (ف): «فيها».

(٥) أخرجه الترمذي (٢٣٣٠) من حديث أبي بكره رضي الله عنه، وقال: حسن صحيح.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (١٤٠١) من حديث عبد الله بن شداد.

وفي رواية: «أليس قد مكثَ هذا بعده سنة؟ قالوا: بلى، قال: وأدركَ رمضانَ فصامه؟ قالوا: بلى، قال: وصلىَ كذا وكذا سجدةً في السنة؟ قالوا: بلى، قال: فلمَّا بينهما أبعدُ ما<sup>(١)</sup> بين السماء والأرضِ<sup>(٢)</sup>».

قيل لبعض السلف: طابَ الموتُ، فقال: يا ابنَ أخي! لا تفعلْ، كساعةٍ تعيشُ فيها تستغفرُ اللهَ خيرٌ لك من موتِ الدهرِ<sup>(٣)</sup>.

وقيلَ لشيخٍ كبيرٍ منهم: تحبُّ الموتَ<sup>(٤)</sup>؟، فقال: لا، قد ذهبَ السَّبابُ وشرُّه، وجاءَ الكبيرُ وخيرُه، فإذا قمتُ قلتُ: بِسْمِ اللَّهِ، وإذا قعدتُ قلتُ: الحمدُ لله، فأنا أحبُّ أن يبقى لي هذا<sup>(٥)</sup>.

وقيلَ لشيخٍ آخر: ما بقيَ منك ممَّا تحبُّ له الحياة؟ قال: البكاءُ على الذُّنوبِ<sup>(٦)</sup>. ولهذا كان كثيرٌ من السلفِ يبكي عند موتِهِ تأسفاً على انقطاعِ أعمالِهِ الصَّالحةِ<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ت): «مما».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٠٣)، وابن ماجه (٣٩٢٥) من حديث طلحة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٦/٥٥). قاله عراك بن خالد لمحمد بن كامل العبي.

(٤) في (س): «أتحب الموت»، وفي حاشية (ف): «فضل طول العمر».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٩)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٠٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧٤/٦٨).

والسائل هو: سليمان بن عبد الملك.

وفي حاشية (ف): «مدة مديدة».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٢٨).

وفي حاشية (ف): «والمناجاة إلى علام الغيوب وهو ستار العيوب».

(٧) أورد جملة من ذلك ابن الجوزي في «النبصرة» (٢١٧/١).

وكان يزيد الرقاشي يقول عند موته: يا يزيد! مَنْ يَصَلِّيْ لَكَ بَعْدَكَ؟ ومن يصوم، ومن يتوب لك من الذنوب السَّالِفَةِ<sup>(١)</sup>؟

ولهذا يتحسّر الموتى على انقطاع أعمالهم الصَّالحة<sup>(٢)</sup>.

ففي الترمذي، عن النبي ﷺ: «ما أحدٌ يموتُ إلَّا نِدَمٌ، إن كان مُحْسِنًا أن لا يكون ازداد، وإن كان مُسِيئًا أن لا يكون استعَبَ»<sup>(٣)</sup>.

ورئي بعض الموتى من السَّلفِ في المنام<sup>(٤)</sup> فسُئِلَ عن حاله فقال: قدمنا<sup>(٥)</sup> على أمرٍ عظيم، نعلم ولا نعمل، وتعملون ولا تعلمون، والله لتسيحة أو تسيحتان أو ركعة أو ركعتان في نسخة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها<sup>(٦)</sup>.

وصلّى بعض السَّلفِ ركعتين خفيفتين بقرب من المقابر ولم يرَ ضهُما لتخفيفهما<sup>(٧)</sup> ثم غلبته عينه فرأى صاحب القبر الذي هو بقربه يقول له: صليت

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٩١)، و«الركة والبكاء» (٢٤٨).

وفي حاشية (ف): «ومن يذكر الله تعالى بلسانك».

(٢) في حاشية (ف): «فهو جاه عظيم كثير الفائدة جداً. فافهم ترشد».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٣)، ولفظه: «ندم أن لا يكون نزع».

وفي حاشية (ف): «استعَب: أي أتوب».

(٤) في (ت) و(ف): «منامه». والمثبت من (س).

(٥) في (ت): «قد قدمنا».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٨٦).

وفي (س): «صحيفة عملي».

وفي حاشية (ف): «من أعظم المهمات، فافهم واعمل».

(٧) في (س): «وصلّى بعضهم إلى جانب قبر ركعتين خفيفتين لم يرَ ضهُما».

ركعتين ولم ترَضهما؟ قال: نعم، قال: لأن يكون لي<sup>(١)</sup> مثل ركعتيك أحبُّ إليَّ من الدنيا بحذافيرها<sup>(٢)</sup>.

وأما الرواية التي في «المسند»: «لا يتمنى أحدكم الموتَ إلَّا مَنْ وثقَ بعمله»<sup>(٣)</sup>، فبدلُ على أن مَنْ له عملٌ صالحٌ يثقُ به فإنَّ له أن يتمنى الموتَ.

وكان كثيرٌ من السلفِ يتمنى الموتَ، وهم أقسامٌ:

منهم مَنْ يحمله حُسْنُ الظَّنِّ باللهِ على حبِّ لقاءه إمَّا لِمَا عندهم<sup>(٤)</sup> من كثرة الطاعاتِ، أو لِمَا عنده من محبةِ الله عزَّ وجلَّ، فيُحسِنُ ظَنَّهُ به، كما قال بعضُ السلفِ: لقد سئمتُ من الحياةِ حتَّى لو وجدتُ الموتَ يُباعُ لا شترتُهُ شوقاً إلى اللهِ وحُبًّا لِقائِهِ، فقلَّ له: أفعلَى ثقةٍ أنت من عمليكَ؟ قال: لا، ولكن لحُبِّي إيَّاه، وحُسْنِ ظَنِّي به، أفترأه يُعذِّبُنِي وأنا أحبه<sup>(٥)</sup>؟

وكان بعضهم يُنشدُ في هذا المعنى:

وزادي قليلٌ ما أراه مُبلَّغي      الزَّادِ أبكي أم لَطُولِ مَسَافَتِي  
أُحَرِّقُنِي بِالنَّارِ يا غَايَةَ المُنى      فأين رجائي فيكَ أينَ محبَّتِي<sup>(٦)</sup>

(١) «لي» سقطت من (ت) و(ف).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه: البيهقي في «الشعب» (٩٧١١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»

(٥٨ / ٣٣٠). والمصلي هو: مطرف بن عبد الله بن الشخير.

وروى ابن عبد البر في «التمهيد» (٧٩ / ١٣) طبعة بشار) نحوه عن رجل آخر.

(٣) سبق تخريجه قبل ثلاث صفحات.

(٤) في (س): «له».

(٥) ذكره الغزالي في «الإحياء» في آخر كتاب المحبة (٣٦١ / ٤) من كلام امرأة من المتعبدات.

(٦) في (س): «أين مخافتي» وهو كذلك في المصادر.

ومنهم مَنْ يَتَمَنَّى الموتَ شوقاً إلى لقاءِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وسندكُرُ أخبارَهم في الكلامِ على آخرِ الحديثِ إن شاء اللهُ تعالى.

وَتَمَنَّى الموتَ له أحوالٌ:

تارةً يَتَمَنَّى الموتَ لضرٍّ نزلَ به، وهذا منهيٌّ عنه، وصاحبُه إذا لم يثق بعملِه كالمستجيرِ مِنَ الرَّمضاءِ بالنَّارِ، لأنَّه<sup>(١)</sup> لا يَدْرِي لعلَّه يهجمُ<sup>(٢)</sup> بعدَ الموتِ على ما هو أعظمُ وأشدُّ ممَّا هو فيه، فإن وثق بعملِه فقد تمنَّاه للضرِّ<sup>(٣)</sup> بعضُ السَّلفِ.

وتارةً يَتَمَنَّى خشيَةً فتنةً في الدِّينِ: فهذا جائزٌ عند أكثرِ العُلَماءِ، وقد تمنَّاه عَمْرُ بْنُ الخطَّابِ رضي اللهُ عنه في آخرِ حجةٍ حجَّها، فإنَّه قال: اللهمَّ إِنَّه قد كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَانْتَشَرَتْ رَعِيَّتِي، فاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مُضَيِّعٍ وَلَا مَفْتُونٍ. فَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الشَّهْرِ<sup>(٤)</sup>.

وَتَمَنَّاهُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ رضي اللهُ عنها لَمَّا جاءها عطاءُ عمرَ، فاستكثرته وقالت: اللهمَّ لا يُدِرْ كُنِي عطاءً لعمرَ بعدها، فماتت قبل أن يُدِرْ كُها عطاءً ثانٍ لعمرَ<sup>(٥)</sup>.

= أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥٩/٤١). عن الأصمعي، للحسن بن الحسن بن علي عليهم السلام. وأنشده كذلك (١١٨/٦٩) لرابعة بنت إسماعيل، وهي الشامية.

(١) في (ف): «ولأنه».

(٢) في (ف): «لا يهجم»، وفي (س): «إذا يهجم».

(٣) في (ف): «للضرر» وسقطت من (س).

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٤٧٤)، وابن أبي الدنيا في «مجايب الدعوة» (٢٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥٤/١).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠٦/١٠).

وَسَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَنْ ظَنَّ بِهِ إِجَابَةَ الدُّعَاءِ، أَنْ يَدْعُوَ لَهُ بِالْمَوْتِ لَمَّا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ الرَّعِيَّةُ، وَخَشِيَ الْعَجْزَ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ<sup>(١)</sup>.

وَطُلِبَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ إِلَى بَعْضِ الْوَلَايَاتِ فَدَعَوْا لَأَنْفُسِهِمْ بِالْمَوْتِ فَمَاتُوا<sup>(٢)</sup>. وَاشْتَهَرَ بَعْضُهُمْ وَاطَّلَعَ عَلَى بَعْضِ أَحْوَالِهِ مَعَ اللَّهِ فَدَعَا لِنَفْسِهِ بِالْمَوْتِ فَمَاتَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَفِي «الْمُسْنَدِ»، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَبِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اِثْنَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قَلَّةَ الْمَالِ وَقَلَّةُ الْمَالِ أَقْلٌ لِلْحِسَابِ»<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ: مَا مِنْ بَرٍّ وَلَا فَاجِرٍ إِلَّا وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ، إِنْ كَانَ بَرًّا فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَإِنَّمَا تُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا<sup>(٥)</sup>.

وَتَارَةً يَتَمَنَّاهُ مِنْ غَيْرِ ضَرٍّ وَلَا فِتْنَةٍ، فَإِنْ كَانَ مَمَّنْ وَثِقَ بِعَمَلِهِ حَبًّا لِلَّهِ وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِهِ جَارًا، وَسَنَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

(١) وَهُوَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي زَكْرِيَا. وَالْخَبَرُ فِي «سِيرَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ» لابْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ الْمِصْرِيِّ (ص: ٩٩).

(٢) وَمِنْهُمْ الْإِمَامُ الْجَلِيلُ قَاسِمُ بْنُ ثَابِتِ السَّرْقَسْطِيِّ الْأَنْدَلُسِيِّ.

انْظُرْ: «بَغِيَّةُ الْمُلْتَمِسِ فِي تَارِيخِ رِجَالِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ» لِلْضَبِيِّ (١٣٠٠).

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٦١٢)، وَأَحْمَدُ (٣٤٨٤)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٣٣) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَيُرْوَى مِنْ حَدِيثِ غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٣٦٢٥).

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنُفِ» (٣٥٧١٤) وَالْاِقْتِبَاسُ فِيهِ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ. الْآيَةُ



وكذلك تمنّيه عند حضور أسباب الشهادة اغتناماً لها، كتمنّيه عند حضور القتال في سبيل الله أو الطّاعون.

فإن كان إحساناً للظنّ به ففيه اختلاف بين السلف.

وقد ورد تعليل النهي عن تمنّي الموت بأنّ هول المطلق شديد، فتمنّيه من نوع تمنّي وقوع البلاء قبل نُزوله، ولا ينبغي ذلك<sup>(١)</sup> كما قال [رحمته الله]: «لا تتمنّوا لقاء العدو، ولكن سلّوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا»<sup>(٢)</sup>.

وسمع ابن عمر رجلاً يتمنّي الموت، فقال: لا تتمنّ الموت فإنّك ميّت، ولكن سلّ الله العافية<sup>(٣)</sup>.

فإنّ الميت يُكشّف له عن هول عظيم هو هول المطلق، ويرى عالماً آخر لا عهد له به، فلا ينبغي للإنسان أن يستعجل ذلك.

وقد قال عمر عند موته: لو أنّ لي ما في الأرض لافتديت به من هول المطلق<sup>(٤)</sup>.  
وجزّع الحسن بن عليّ عند موته، وقال: إنّني أريد أن أشرف على ما لم أشرف عليه قطّ<sup>(٥)</sup>.

(١) في (س): «ولا ينبغي تمنّيه في ذلك».

(٢) أخرجه الدارمي (٢٤٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرج البخاري (٢٩٦٦) ومسلم (١٧٤٢) نحوه من حديث عبد الله بن أبي أوفى، وفيه: «فإذا لقيتموهم فاصبروا».

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٧٦)، وابن أبي الدنيا في «المتمين» (١٠٨).

وفي حاشية (ف): «والسؤال إظهار عجز وذلة من العبد لسيده ومولاه».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٦٣٥)، وابن حبان (٦٨٩١)، والحاكم (٩٢/٣).

وفي (ت) و(ف): «لو كان»، والمثبت من (س).

(٥) أخرجه عنه نحو هذا المعنى بإسناد معضل. أبو الحسين الكلّابي في «أحاديثه» خ (٤٩). وأخرجه أيضاً بسند آخر: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٦/١٣) بنحوه.

وكان الحسنُ البصريُّ يقولُ عند موتِه: نُفَيْسَةُ ضَعِيفَةٌ، وأمرٌ هولٍ عظيمٌ، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون<sup>(١)</sup>.

وجزَع حبيبٌ أبو محمَّدٍ عند موتِه وجعلَ يقولُ: إنِّي أريدُ أن أسافرَ سَفَرًا ما سافرْتُه قطُّ!، أريدُ أن أسلكَ طَرِيقًا ما سلكته قطُّ!، أريدُ أن أزورَ سيِّدي ومولاي وما رأيته قطُّ!، أريدُ أن أشرفَ على أهوالٍ ما شاهدتُ مثلها قطُّ<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً فالموتُ نفسه أشدُّ ما يلقاه الآدميُّ في الدُّنيا، ولا يعلمُ النَّاسُ في الدُّنيا حقيقةَ شدِّته.

قال بعضُ السَّلَفِ: لو أنَّ ميتاً نُشِرَ فأخبرَ أهلَ الدُّنيا بحقيقةِ الموتِ ما انتفعوا بعيشٍ ولا استلذُّوا بنومٍ<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان كثيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ يَتَمَنَّى الموتَ في صحَّتِه، فلمَّا نزلَ به كَرِهَهُ لشدِّته، ومنهم: أبو الدَّرْداءِ<sup>(٤)</sup> وسفيانُ الثَّوريُّ<sup>(٥)</sup>، فما الظَّنُّ بغيرِهما؟!

وكان بعضُ الصَّالِحِينَ يَتَمَنَّى الموتَ، فرأى في منامِه قائلاً يقولُ له: أَتَتَمَنَّى الموتَ؟ قال: قد كان ذاكُ<sup>(٦)</sup> فقطَّبَ في وجهه، ثمَّ قال: لو عرفتَ شِدَّةَ الموتِ وكربَه

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٥٨)، وفي المطبوع منه: «وأمرٌ هَوُولٌ عظيمٌ».

(٢) حبيب هو الفارسي العجمي، أخرجه عنه الدينوري في «المجالسة» (١٥٩٤)، وأبو نعيم مختصراً في «الحلية» (١٥٤/٦).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١٦/٢٢) من كلام شداد بن أوس رضي الله عنه. وقدم ناسخ (س) هنا خبرين سياًتياً.

(٤) انظر: كتاب «المحتضرين» لابن أبي الدنيا (١٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩٦/٤٧).

(٥) هو في مسند «بن الجعد» (١٧٩٨).

(٦) في (ف): «إنَّ ذاكُ».

حتى يخالط قلبك معرفته لطارَ نومك أيام حياتك، ولذهل عقلك حتى تمشي في الناس وإليها، فكان إذا ذكرَ منامه هذا بكى، وقال: طوبى لمن نفعه عيشه، وكان طول عمره زيادةً في عمله، والله ما أراني كذلك<sup>(١)</sup>.

قال إبراهيم بن أدهم: إنَّ للموتِ كأسًا لا يقوى على تجرُّعها إلا خائفٌ وجلُّ طائعٌ كان يتوقعُها<sup>(٢)</sup>، ولأبي العتاهية:

ألا للمَوتِ كأسٌ أيُّ كأسٍ      وأنتَ لكأسِه لا بدَّ حاسِي  
إلى كم والمَماتِ إلى قَريبٍ      تُذكِّرُ بالمَماتِ وأنتَ ناسِي<sup>(٣)</sup>  
وفي الجملة، فينبغي للمؤمن أن يكون طولُ عمره زيادةً في عمله.

كما في<sup>(٤)</sup> «صحيح مسلم»<sup>(٥)</sup> عن النبي ﷺ أنه كان يدعو: «واجعل الحياةَ زيادةً لي في كلِّ خيرٍ»<sup>(٦)</sup>.

قال بعضهم: مَنْ لا خيرَ له في الموتِ لا خيرَ له في الحياة<sup>(٧)</sup>. يعني مَنْ لا تكونُ حياته زيادةً في حسناته فلا خيرَ له في الموتِ ولا في الحياة.

(١) الرائي هو عطاء السلمي رحمه الله.

أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٢٣).

وفي (س): «لو رأيت شدة الموت».

(٢) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٥٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/١٣)، وابن عساكر في

«تاريخ دمشق» (٦/٣٣١).

(٣) ديوان أبي العتاهية (ص: ١٣٠) وفيه: «والمعاد إلى قريب» «تذكر بالمعاد».

(٤) في (ف) و(س): «وفي».

(٥) هنا يبدأ خرم في (ت) مقدار ورقتين.

(٦) أخرجه مسلم (٢٧٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) عزاه السيوطي في «شرح الصدور» (ص: ٢٢) إلى أبي الدنيا من كلام جعفر الأحمر.

وقد رأى بعضهم النَّبِيَّ ﷺ في منامه، فقال له: «مَنْ اسْتَوَى يَوْمَاهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ، وَمَنْ كَانَ يَوْمُهُ شَرًّا مِنْ أَمْسِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ، وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّدِ الزَّيَادَةَ فِي عَمَلِهِ فَهُوَ فِي نَقْصَانٍ، وَمَنْ كَانَ فِي نَقْصَانٍ فَالْمَوْتُ خَيْرٌ لَهُ»<sup>(١)</sup>.

وإنما كان الموتُ خيراً للعاصي، لأنَّه كلما طالَ عمرُه زادتْ ذنوبُه فزادَ عقابُه، وهذا كما قال ابنُ مسعودٍ: إِنْ كَانَ مُسِيئًا، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «لَئِنَّمَا نَمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا» [آل عمران: ١٧٨]<sup>(٢)</sup>.

وكان بعضُ الصَّالِحِينَ يَقُولُ: قَدْ سَيِّئْنَا مِنَ الْحَيَاةِ لكَثْرَةِ مَا نَقْتَرِفُ مِنَ الذُّنُوبِ<sup>(٣)</sup>.

هذا مع كثرة أعمالهم الصَّالحة، فكيف يقول مَنْ عمرُه كلُّه ضائعٌ؟

صفوةٌ لذاتٍ أثمرت لي كدري      كم قد أبصرت ما يغطي بصري  
مالي زادٌ وقد تدانى سفري      قد ضاع العمرُ فأنتى لي عمري<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٤٣)، والرائي شيخ من بني سليم. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥ / ٨) والرائي: الحسن البصري. وأخرجه الخطيب في «اقتضاء العلم العمل» (١٩٦) والرائي رجل مبهم، وذكره السبكي في «الطبقات الكبرى» (٣٧٦ / ٦) في الأحاديث التي لم يجد لها إسناداً وذكرها الغزالي في «الإحياء» وعزاه لليهقي في «الزهد الكبير»، والرائي: عبد العزيز بن أبي رواد.  
(٢) سبق تخريجه قبل قليل. وهذا الأثر والذي يليه والشعر قدمها ناسخ (س) كما سبق ذكره.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المتمين» (١٠٢) من كلام داود الطائي.

وفي (س): «بعض السلف».

(٤) لم أجد هذه الأبيات عند غير المصنف رحمه الله، والمثبت من (ر). وفي (ف): «صفوة اللذات»  
«قد ضاع فإنه يوالي عمري»، وفي (س):

«صفوة اللذات إن أثمرت لي كدري      كم أبصرت ما يعطي بصري  
زادي قليل قد تدانى سفري      عمري ضاع فاندبوا لي عمري».

قال ميمونُ بنُ مهران: لا خيرَ في الحياةِ إلَّا لتائبٍ أو لرجُلٍ يعملُ في الدَّرَجَاتِ<sup>(١)</sup>.

يعني أنَّ التَّائِبَ يَمْحُو بِتَوْبَتِهِ ما سَلَفَ مِنَ السَّيِّئَاتِ، والعاملُ في الدَّرَجَاتِ تَعْلُو درجَتُهُ بما يَعْمَلُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، فهذا يَزِيدُ حَسَنَاتِهِ، والأوَّلُ يَمْحُو سَيِّئَاتِهِ، فما عدا هَٰذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فلا خيرَ لهما في الحياةِ، ولهذا يُقَالُ: بَقِيَّةُ عَمْرِ الْمُؤْمِنِ لَا قِيَمَةَ لَهُ، يَتَوَبُّ فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَيَسْتَدْرِكُ فِيهِ ما فَاتَ<sup>(٢)</sup>.

رُفِعَ إِلَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ رُقْعَةً فِي مَنَامِهِ فَإِذَا فِيهَا مَكْتُوبٌ:

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَرْتَابُ أَنَّكَ مَيِّتٌ      وَلَسْتَ لَبَعْدِ الْمَوْتِ مَا أَنْتَ تَعْمَلُ  
فَعَمْرُكَ مَا يُغْنِي وَأَنْتَ مُفَرِّطٌ      وَإِسْمُكَ فِي الْمَوْتِ مَعْدٌ مُحْصَلٌ<sup>(٣)</sup>  
وَرَأَى آخَرُ فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ قَائِلًا يُنْشِدُهُ:

يَا خَدُّ إِنَّكَ إِنْ تُوسِّدَ لَيْنًا      وَوَسَّدْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ صُمَّ الْجَنْدَلِ  
فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ فِي حَيَاتِكَ صَالِحًا      فَلَتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلْ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨٣/٤).

(٢) «لا قيمة له» يعني أن قيمته عالية جداً لا تقدر بثمان أبداً. وعزاه ابن قدامة في «المغني» (١٩٢/١٤) إلى عمر رضي الله عنه.

(٣) أنشده ابن أبي الدنيا في «المناجات» (١٥٢).

(٤) في (س): «لم تعمل». أنشده ابن أبي الدنيا في «المناجات» (١٤٤) وفي مطبوعه: «يا حبيب». ونسبه المبرد في «التعازي والمراثي» (ص: ٢٨٨) إلى أسماء بن خارجة الفزاري.

قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشِيَّتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى»:

هذه الثلاثُ المُنْجِيَّاتُ التي رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «ثَلَاثُ مُنْجِيَّاتٍ وَثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ»، فَذَكَرَ الْمُنْجِيَّاتِ هَذِهِ الْخَصَالَ الثَّلَاثَ، وَالْمُهْلِكَاتِ: «شَحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابٌ كُلُّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَرُوِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أُوتِينَا مِمَّا أُوتِيَ النَّاسُ وَمِمَّا لَمْ يُؤْتَوْا، وَعُلِّمْنَا مِمَّا عَلَّمَ النَّاسُ وَمِمَّا لَمْ يُعَلِّمُوا، فَلَمْ نَجِدْ شَيْئاً أَفْضَلَ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ خَصَالٍ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ نَافِعُ بْنُ سُلَيْمَانَ: قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ بَلَغَ مَا بَلَغْتُ: تَقْوَى اللَّهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا، وَالْقَصْدُ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ<sup>(٣)</sup>.

فَأَمَّا خَشْيَةُ اللَّهِ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ: فَالْمَعْنَى بِهَا<sup>(٤)</sup> أَنَّ الْعَبْدَ يَخْشَى اللَّهَ سِرّاً وَإِعْلَاناً<sup>(٥)</sup> وَظَاهِراً وَبَاطِناً؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يُرَى أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَفِي الشَّهَادَةِ، وَلَكِنَّ الشَّانَ فِي خَشْيَتِهِ فِي الْغَيْبِ إِذَا غَابَ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٨٦٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٢٥٩٩)، وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (٢١٤)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي

«إِصْلَاحِ الْمَالِ» (٣٢٧) وَفِي «الْعُقُوبَاتِ» (١٩٩).

(٣) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْأَثَرَ إِلَّا عِنْدَ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) فِي (ف): «فَالْمَعْنَى بِهَا».

(٥) فِي (س): «وَعَلَانِيَةً».

بِالْغَيْبِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [المائدة: ٩٤]، وَقَالَ: ﴿لَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ مَنْ يُخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [ق: ٣٣]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وقد فُسر الغيبُ في هذه الآياتِ بالدُّنيا؛ لأنَّ أهلها في غيبٍ عمَّا وُعدوا به من أمرِ الآخرة<sup>(١)</sup>، وأمَّا في هذا الحديثِ فلا يتأتَّى ذلك كما ترى لِمُقَابِلَتِهِ بِالشَّهادةِ.

كان بعضُ السَّلَفِ يقولُ لِإِخْوَانِهِ: زَهَّدْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ فِي الْحَرَامِ، زَهَادَةٌ مَن قَدَرَ عَلَيْهِ فِي الْخُلُوةِ فَعَلِمَ أَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ فَتَرَكَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ بَعْضِهِمْ: لَيْسَ الْخَائِفُ مَن بَكَى وَعَصَرَ عَيْنَيْهِ؛ إِنَّمَا الْخَائِفُ مَن تَرَكَ مَا يَشْتَهِي مِنَ الْحَرَامِ إِذَا قَدَرَ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ هُنَا عَظْمُ ثَوَابٍ مَن أَطَاعَ اللَّهَ سِرًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، وَمَن تَرَكَ الْمَحْرَمَاتِ الَّتِي يَقْدِرُ عَلَيْهَا سِرًّا.

فَأَمَّا الْأَوَّلُ: فَمِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَسْجَأْنَ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧].

(١) فِي (س): «وَعَدُوا بِهِ فِي الْآخِرَةِ». وَفِي «تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ» (٤٥٣/٢١) فِي تَفْسِيرِ ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: «مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَلْقَاهُ، فَاطَاعَهُ وَاتَّبَعَ أَمْرَهُ».

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الزَّهْدِ» (١٣٧)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٠٣/٦) مِنْ كَلَامِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْزُوقِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ الدِّينُورِيُّ فِي «الْمَجَالَةِ» (١٧٦)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٢٠٦/٨) بِنَحْوِهِ مِنْ كَلَامِ إِسْحَاقَ بْنِ خُلْفٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفِي (س): «مَا اشْتَهَى».

قال بعضُ السَّلَفِ: أَخَفُوا لِلَّهِ الْعَمَلَ فَأَخَفَى لَهُمُ الْجَزَاءَ<sup>(١)</sup>.

وفي حديثِ السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: «رَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عيناه، وَرَجُلٌ تصدَّقَ بِصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُهُ ما تُنفِقُ يمينُهُ»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديثِ: «إِذَا صَلَّى الْعَبْدُ فِي الْعَلَانِيَةِ فَأَحْسَنَ، وَصَلَّى فِي السِّرِّ فَأَحْسَنَ قَالَ اللَّهُ: هَذَا عَبْدِي حَقًّا»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديثٍ آخَرَ: «مَنْ أَحْسَنَ صَلَاتَهُ حَيْثُ يَرَاهُ النَّاسُ، وَأَسَاءَهَا حَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ فَتِلْكَ اسْتِهَانَةٌ يَسْتَهِينُ الْعَبْدُ بِهَا رَبَّهُ»<sup>(٤)</sup>.

وَأَمَّا الثَّانِي: فَمِثْلُ قَوْلِهِ ﷺ فِي السَّبْعَةِ الَّذِينَ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ: «وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ<sup>(٥)</sup> حُسْنٍ وَجَمَالٍ: فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ»<sup>(٦)</sup>.

وَمِثْلُ الْحَدِيثِ الَّذِي جَاءَ فِيْمَنْ أَدَّى دِينَاً خَفِيّاً أَنَّهُ<sup>(٧)</sup> يُخَيَّرُ فِي أَيِّ الْحُورِ الْعِينِ شَاءَ<sup>(٨)</sup>.

(١) من كلام محمد بن كعب القرظي رحمه الله. أخرجه محمد بن نصر المروزي في «قيام الليل» (مختصره ص: ٣٧)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (١٢٢)، والحاكم في «المستدرک» (٤١٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) والسياق له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في حاشية (ف): «من أعظم المبشرات».

والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣٧٣٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٥٥/٢) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥) هنا انتهى خرم في (ت).

(٦) سبق تخريجه من الصحيحين، وهذا اللفظ «ذات حسن وجمال» عند أحمد في «الزهد» (٨١٩).

(٧) في (ف): «في أنه».

(٨) أخرجه أبو يعلى (١٧٩٤) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.



والموجبُ لخشية الله في السرِّ والعلانية أمورًا:

منها: قوَّةُ الإيمانِ بوَعْدِهِ ووَعِيدِهِ على المعاصي<sup>(١)</sup>.

ومنها: النَّظَرُ في شِدَّةِ بَطْشِهِ وانتقامِهِ<sup>(٢)</sup> وقوَّتِهِ وقَهْرِهِ، وذلك يوجبُ للعبدِ تركَ التَّعَرُّضِ لِمُخَالَفَتِهِ، كما قال الحسنُ: ابنُ آدمَ، هل لك طاقةٌ بمُحَارَبَةِ اللَّهِ؟!، فإنَّ مَنْ عَصَاهُ فَقَدْ حَارَبَهُ<sup>(٣)</sup>، وقال بعضهم: عَجِبْتُ مِنْ ضَعِيفٍ يَعْصِي قَوِيًّا<sup>(٤)</sup>.

ومنها: قوَّةُ المُرَاقَبَةِ لَهُ، والعلمُ بأنَّه شاهدٌ رقيبٌ على قُلُوبِ عِبَادِهِ وأَعْمَالِهِمْ، وأنَّه مع عِبَادِهِ حيث كانوا، كما دَلَّ القرآنُ على ذلك في مواضعَ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ الآية [المجادلة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ﴾ الآية [يونس: ٦١]، وقوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٨]، وكما في الحديثِ الذي خرَّجَه الطَّبْرَانِيُّ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ يَعْلَمَ الْعَبْدُ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»<sup>(٥)</sup>. فيوجبُ ذلك الحياءَ منه في السرِّ والعلانية.

(١) في حاشية (ف): «فائدة اتقاء من المعاصي».

(٢) في (س): «وسطوته».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٣٤/٢).

(٤) في حاشية (ف): «غريبة».

قاله السري السقطي في مجلس وعظه، فتاب سامعه. كما في «التواوين» لابن قدامة (ص: ٢٦٠).

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٤/٦) من حديث عبادة بن

الصامت، ولفظه: «إن أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت».

وأخرج الطبراني في «الصغير» (٥٥٥) من حديث عبد الله الغاضري مرفوعاً في حديث: وسئل ﷺ

عن تزكية النفس، فقال: «أن يعلم أن الله معه حيث كان».

وقال بعضهم لِمَنْ استوصاهُ: اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ أَهْوَنَ النَّاظِرِينَ إِلَيْكَ<sup>(١)</sup>.

وقال بعضهم: خَفِ اللَّهَ عَلَى قَدَرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ، وَاسْتَحْيِ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ قُرْبِهِ مِنْكَ<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

يَا مُدْمِنَ الذَّنْبِ أَمَا تَسْتَحْيِ      وَاللَّهُ فِي الْخَلْوَةِ ثَانِيكََا  
غَرَّكَ مِنْ رَبِّكَ إِمَهَالُهُ      وَسِتْرُهُ طَوَّلَ مَسَاوِيكََا<sup>(٣)</sup>

وفي حديث أبي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ لِقْرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَرَجُلٌ كَانَ مَعَ قَوْمٍ سَارُوا لَيْلَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يَعْدُلُ بِهِ فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهَزِمُوا فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ»<sup>(٤)</sup>.

فهؤلاء الثلاثة اجتمع<sup>(٥)</sup> لهم معاملة الله سِرًّا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ حَيْثُ غَفَلَ النَّاسُ عَنْهُمْ،

(١) قاله وهيب بن الورد، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٢).

(٢) هو هاتف سمعه وهيب بن الورد.

أخرجه ابن أبي خيثمة في «التاريخ الكبير» (السفر الثالث (١/ ٢٤٥))، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٤٠).

(٣) أنشده ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٠) مما كان ابن السماك يتمثل به.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (٢١٣٥٥)، والترمذي (٢٥٦٨) وقال: صحيح، والنسائي (١٦١٤).

وفي (س): «لقراءة كانت بينه وبينهم». وفيها: «وقوم ساروا ليلهم». وفيها «فقام رجل يتملقني ويتلو كتابي».

(٥) في (س): «قد اجتمع».

فهو تعالى يحبُّ مَنْ يُعَامِلُهُ سِرًّا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حَيْثُ لَا يُعَامِلُهُ<sup>(١)</sup> حينئذٍ أحدٌ، ولهذا فضلُ قيامِ وسطِ اللَّيْلِ على ما سواه من أوقاتِ اللَّيْلِ، والمحبُّونَ لله يحبُّونَ ذلكَ أيضاً علماً منهم باطلاعه عليهم ومُشاهدته لهم، فهم يكتفونَ بذلكَ لأنَّهم عرَّفوه فاكْتَفَوْا به مِنْ بَيْنِ خَلْقِهِ<sup>(٢)</sup> وعاملوه فيما بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ معاملةَ الشَّاهِدِ غَيْرِ الغَائِبِ، وهذا مقامُ الإحسانِ.

قال بعضُ العارفينَ: مَنْ عَرَفَ اللهَ اكْتَفَى بِهِ مِنْ خَلْقِهِ<sup>(٣)</sup>.

وكان بعضُ المُخلصينَ يقولُ: لَا أَعْتَدُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ عَمَلِي<sup>(٤)</sup>.

اطَّلَعَ على بعضِ أحوالِ بعضهم، فدعا لنفسِهِ بالموتِ، وقال: إِنَّمَا كَانَتْ تَطْيِبُ الْحَيَاةَ إِذْ<sup>(٥)</sup> كَانَتِ الْمُعَامَلَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ سِرًّا<sup>(٦)</sup>.

قيل لبعضهم: أَلَا تَسْتَوْحِشُ وَحْدَكَ؟ قال: كَيْفَ أَسْتَوْحِشُ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا جَلِيسٌ مَنْ ذَكَرَنِي<sup>(٧)</sup>. (شعر)<sup>(٨)</sup>:

(١) في (س): «يعلم».

(٢) في (س): «به دون خلقه».

(٣) أخرجه ابن الجنيْد الختلي في «المحبة» (١٣٣). وفي (س): «عن خلقه».

(٤) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/٢٦٤)، والغزالي في «الإحياء» (٤/٣٨٦) من كلام سفيان الثوري.

(٥) في (ف): «إذا».

(٦) في (س): «بيني وبين الله».

وهذا القول قاله عبد أسود كان بمكة رضي الله عنه، في قصة طويلة أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢٩٩٢) عن عبد الله بن المبارك.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/٢١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٧) من كلام محمد بن النضر الحارثي رحمه الله.

(٨) «شعر» من (ف).

أَنْسَتْنِي خَلَوَاتِي      بِكَ مِنْ<sup>(١)</sup> كُلِّ أُنَيْسٍ  
وَتَفَرَّدْتَ فَعَايِنَا      تُكَ<sup>(٢)</sup> فِي الْغَيْبِ جَلِيسِي<sup>(٣)</sup>

وَأَمَّا كَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا، فَعَزِيزٌ جَدًّا، وَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ مَنْ يَغْفِرُ عِنْدَ غَضَبِهِ، فَقَالَ: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، لِأَنَّ الْغَضَبَ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ غَيْرَ الْحَقِّ وَيَفْعَلَ غَيْرَ الْعَدْلِ، فَمَنْ كَانَ لَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ<sup>(٤)</sup> فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى شِدَّةِ إِيْمَانِهِ<sup>(٥)</sup> وَأَنَّهُ يَمْلِكُ نَفْسَهُ، فَهَذَا هُوَ الشَّدِيدُ حَقًّا.

[وخرَّج الطبرانيُّ من حديث أنسٍ مرفوعاً: «ثَلَاثٌ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِيْمَانِ: مَنْ إِذَا غَضِبَ لَا يُدْخِلُهُ غَضَبُهُ فِي بَاطِلٍ، وَمَنْ إِذَا رَضِيَ لَا يُخْرِجُهُ رِضَاؤُهُ مِنْ حَقٍّ، وَمَنْ إِذَا قَدَرَ لَمْ يَتَعَاطَ مَا لَيْسَ لَهُ»<sup>(٦)</sup>، وَهَذَا هُوَ الشَّدِيدُ حَقًّا]<sup>(٧)</sup>، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرْعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». خرَّجَاهُ<sup>(٨)</sup>.

وَلِمُسْلِمٍ: «مَنْ تَعُدُّونَ الصُّرْعَةَ فَيْكُمْ؟» قُلْنَا: الَّذِي لَا تَصْرَعُهُ الرِّجَالُ، قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»<sup>(٩)</sup>.

(١) فِي (س): «عَنْ».

(٢) فِي (ت) وَ(ف): «فَعَايِنْتُكَ».

(٣) فِي (ت): «جَلِيسٌ». وَلَمْ أَجِدْ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ عِنْدَ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) فِي (س): «غَيْرَ الْحَقِّ».

(٥) فِي (س): «قُوَّةُ إِيْمَانِهِ».

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الصَّغِيرِ» (١٦٤).

(٧) مَا بَيْنَ مَعْقُوفَيْنِ مِنْ (س)، وَسَقَطَ مِنْ (ت) وَ(ف).

(٨) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦١١٤)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٠٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٩) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٦٠٨) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال رجلٌ للنبي ﷺ: أوصني، قال: «لا تغضب» فردّد مراراً قال: «لا تغضب» خرّجه البخاري<sup>(١)</sup>.

وفي «المسند» أن رجلاً قال: يا رسول الله! ما يُبعدني من غضب الله؟ قال: «لا تغضب»<sup>(٢)</sup>.

قال مورّق العجلي: ما قلتُ في الغضب شيئاً ندمتُ عليه في الرضا<sup>(٣)</sup>.

قال عطاء<sup>(٤)</sup>: ما أبكى العلماء بكاء آخر العمر من غصبة<sup>(٥)</sup> يغضبها أحدهم فتهدمُ عملَ خمسين سنة<sup>(٦)</sup> أو ستين سنة، ورُبَّ غصبة قد أقحمت صاحبها مقحماً ما استقاله<sup>(٧)</sup>.

كان الشعبيُّ ينشد:

ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب<sup>(٨)</sup>  
كان ابنُ عونٍ إذا اشتدَّ غضبه على أحدٍ قال: بارك الله فيك، ولم يزد<sup>(٩)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٣٥) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٧٦١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/٢٣٥) وغيرهما.

(٤) في (ت) و(ف): «فقال عطاء».

(٥) في (س): «إلا من غصبة» ولا يحتاج الكلام إلى استثناء.

(٦) في (ت) و(ف): «عشرين سنة».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا كما في «جامع العلوم والحكم» للمصنف رحمه الله (١/٣٧٤) وعطاء هو ابن أبي رياح.

(٨) أنشده أبو علي الفشيري بسنده إلى الشعبي في «تاريخ الرقة» (٣٣٥)، وإسماعيل الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٣/١٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/٣٨٢).

(٩) انظر: ترجمة ابن عون في «الثقات» للعجلي (٢/٤٩). وفي حاشية (ف): «فائدة مهمة».

قال الفضيل: أنا منذُ خمسين سنة أطلبُ صديقاً إذا غضبَ لا يكذبُ عليَّ ما أجده<sup>(١)</sup>؛ فإنَّ مَنْ لا يملكُ نفسه عند الغضبِ إذا غضبَ يقولُ فيمَن غضبَ عليه [ما ليس فيه من] <sup>(٢)</sup>العظائم وهو يعلمُ أنَّه كاذبٌ، وربَّما علِمَ النَّاسُ بذلك ويحمِلُهُ حقُّه وهوى نفسه على الإصرارِ على ذلك.

قال جعفر بنُ محمَّدٍ: الغضبُ مفتاحُ كلِّ شرٍّ<sup>(٣)</sup>.

وقيل لابنِ المُباركِ: اجمَعْ لنا حُسنَ الخلقِ في كلمة، قال: تركُ الغضبِ<sup>(٤)</sup>.  
قال مالك بنُ دينارٍ: منذُ عرفتُ النَّاسَ لم أبالِ بِمَدَحِهِمْ وَذَمِّهِمْ، لأنِّي لم أرَ إلَّا مادِحاً غالياً أو ذامّاً غالياً<sup>(٥)</sup>، أو كما قال، يعني أنَّه لم يرَ مَنْ يقتصدُ في ما يقولُ في رضاه وغيظه<sup>(٦)</sup>.

وأما القصدُ في الفقرِ والغنى فهو عزيزٌ أيضاً، وهو حالُ الرَّسولِ ﷺ، كان مُقتصداً في حالِ فقره وغيته، والقصدُ هو التَّوسُّطُ في الإنفاقِ، فإن كان فقيراً لم يَقْتَرْ خوفاً من نفاذِ الرِّزْقِ، ولم يُسْرِفْ فيحملَ<sup>(٧)</sup> ما لا طاقةَ له به، وكما<sup>(٨)</sup> أدبَ اللهُ تعالى

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مدارة الناس» (١٣٣)، وفيه: «منذ عشرين سنة».

(٢) ما بين معقوفين من (س).

(٣) ذكره الغزالي في «الإحياء» (١٦٦/٣).

(٤) ذكره المصنف رحمه الله أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (٣٦٣/١).

(٥) أخرجه الخطابي في «العزلة» (ص: ٦١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧٢/٢)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٥٤)(١٥٥).

(٦) سقط قول مالك بن دينار وما بعده إلى هنا من (س) وزاد ناسخ (ف): «رضاه» بعد قوله: «من يقتصد في» وقد ضرب عليها ناسخ (ت).

(٧) في (س): «من إنفاذ الرزق فيتحمل».

(٨) في (س): «كما أدب».

نَبِيَّهَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]، وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا لَمْ يَحْمِلْهُ غِنَاهُ عَلَى السَّرَفِ وَالطُّغْيَانِ، بَلْ يَكُونُ مُقْتَصِدًا أَيْضًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وَإِنْ كَانَ الْمُؤْمِنُ فِي حَالِ غِنَاهُ يَزِيدُ عَلَى نَفَقَتِهِ فِي حَالِ فَقْرِهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَخَذَ مِنَ اللَّهِ أَدْبًا حَسَنًا إِذَا وَسَّعَ عَلَيْهِ وَسَّعَ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِذَا ضَيَّقَ عَلَيْهِ ضَيَّقَ عَلَى نَفْسِهِ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفْسِقْ فَمَاءً إِنَّهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]<sup>(١)</sup>، لَكِن يَكُونُ فِي حَالِ غِنَاهُ مُقْتَصِدًا غَيْرَ مُسْرِفٍ كَمَا يَفْعَلُهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْغِنَى الَّذِينَ يُخْرِجُهُمُ الْغِنَى إِلَى الطُّغْيَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَ طَافٍ﴾ [العلق: ٦ - ٧].

كَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعَاتِبُ عَلَى اقْتِنَادِهِ فِي لِبَاسِهِ فِي خِلَافَتِهِ فَيَقُولُ: هُوَ أَبْعَدُ عَنِ الْكِبَرِ وَأَجْدَرُ أَنْ يَقْتَدِيَ بِي الْمُسْلِمُ<sup>(٢)</sup>.

وَعُوتِبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي خِلَافَتِهِ عَلَى تَضْيِيقِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ الْقَصْدِ عِنْدَ الْجِدَّةِ، وَأَفْضَلَ الْعَفْوِ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ<sup>(٣)</sup>. يَعْنِي: أَفْضَلُ مَا اقْتَصَدَ الْإِنْسَانُ فِي عَيْشِهِ<sup>(٤)</sup> وَهُوَ وَاجِدٌ قَادِرٌ، وَهَذِهِ حَالُ النَّبِيِّ ﷺ وَخُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ لَمْ تُغَيِّرْهُمْ سَعَةُ الدُّنْيَا وَالْمَلِكُ وَلَمْ يَتَنَعَّمُوا فِي الدُّنْيَا.

(١) هُوَ مِنْ كَلَامِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزهد» (١٥٢٤)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «إصلاح المال» (١٦٨)، وَالتَّطَبُّعِيُّ فِي «تهذيب الآثار» مسند عمر (٢١٧)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الشعب» (٦١٦٧)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الحلية» (٣١٥/٦).

(٢) فِي (س): «مَنْ الْكِبَرِ» أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِهِ عَلَى «المسند» (٧٠٣) وَغَيْرُهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الخمول والتواضع» (١٥٦)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الحلية» (٢٦١/٥).

(٤) فِي (ف): «عَيْشَتِهِ».

وقد رُوِيَ عن سليمان عليه السَّلامُ أَنَّهُ كان يأكلُ خبزَ الشَّعِيرِ ويلبَسُ الصُّوفَ<sup>(١)</sup>.  
 وسُئِلَ الحسنُ عن رجلٍ آتاهُ اللهُ ما لا فهو يحجُّ منه ويتصدَّقُ ألَّهُ أن يتنعمَ منه<sup>(٢)</sup>؟  
 قال: لا، لو كانت له الدُّنيا ما كان له إِلَّا الكفافُ<sup>(٣)</sup>، ويقدمُ فضلَ ذلك ليومٍ فقرِه  
 وفاقته، إِنما كان أصحابُ رسولِ اللهِ ﷺ ومَن أخذَ عنهم مِنَ التَّابعين ما آتاهم اللهُ مِن  
 رزقٍ أخذوا منه الكفافَ وقَدَّموا فضلَ ذلك ليومٍ فقرِههم وفاقتهُم<sup>(٤)</sup>.

وقال ابنُ عمرَ لبعضِ ولَدِه: لا تكن<sup>(٥)</sup> مِنَ الذين يجعلون ما أنعمَ اللهُ عليهم  
 به في بَطونهم وعلى ظُهورهم<sup>(٦)</sup>. إشارةً إلى أَنَّ المالَ لا يُنفَقُ كُلُّه في شَهواتِ  
 النَّفوسِ وإن كانت مباحةً، بل يجعلُ صاحبُه منه نصيباً لدارِه الباقية؛ فَإِنَّه لا يبقى  
 له منه غيرُ ذلك.

وفي الجملة، فالإقتصادُ في كُلِّ الأمورِ حَسَنٌ حتَّى في العبادة، ولهذا نُهيَ  
 عَنِ التَّشديدِ في العبادةِ على النَّفسِ، وأُمِرَ فيها بالإقتصادِ، وقالَ ﷺ: «عليكم هَذِياً  
 قاصِداً»<sup>(٧)</sup>، فَإِنَّ، «اللهَ لَن يَمَلَّ حتَّى تَمَلُّوا»<sup>(٨)</sup>.

(١) ذكر ذلك ابن قتيبة في «تأويل مختلف الحديث» (ص: ٤٤١).

ونقل هذا عن سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام.

(٢) في (س): «أفله أن يتنعم فيه منه».

(٣) في (س): «ما كان له منها إلا الكفاف».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/١٩٨).

(٥) في (س): «إياك أن تكون».

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٥٣) (١٠٠٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٧٧٢)، وأبو

نعيم في «الحلية» (٣٠١/١).

(٧) أخرجه الإمام أحمد من حديث بريدة الأسلمي (٢٣٠٥٣) (٢٢٩٦٣).

(٨) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها (٧٨٢).



وفي «مسند البزار» عن حذيفة، عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا أَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ فِي الْعِبَادَةِ»<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

قوله: «وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ».

النَّعِيمُ الَّذِي لَا يَنْفَدُ هُوَ نَعِيمُ الْآخِرَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَاعِندَكَزُيْنَفَدُومَاعِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَالُهُ مِنْ تَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وَفِي الدُّعَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَسْأَلُكَ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى»<sup>(٢)</sup>، «وَالنَّعِيمَ الْمُقِيمَ»<sup>(٣)</sup>.

وَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ ابْنَ مَسْعُودٍ لَيْلَةً يَقُولُ: أَسْأَلُكَ إِيْمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةً لِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ، فَقَالَ: «سَلْ تُعْطَهُ»<sup>(٤)</sup>.

وَلَمَّا سَمِعَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ لَبِيدًا يَنْشُدُ:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ

= وفي (س): «لا يمل» أخرجه كذلك البخاري (١١٥١) عن عائشة رضي الله عنها.

تنبيه: ورد في ابن ماجه (٤٢٤١) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في قصة مرفوعاً: «يا أيها الناس عليكم بالقصد - ثلاثاً - فإن الله لا يمل حتى تملوا».

(١) أخرجه البزار (٢٩٤٦).

(٢) قطعة من حديث أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٤٢٢)، وفي «الأوسط» (٦٢١٨) من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٣) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد (١٥٤٩٢)، والبزار (٣٧٢٤) من حديث رفاعه بن رافع الزرقعي رضي الله عنه.

(٤) في حاشية (ت): «بلغ». والحديث أخرجه الإمام أحمد (٣٧٩٧) (٤٢٥٥) (٤٣٤٠)، وأخرجه الترمذي (٥٩٣) مختصراً.

قال: صدقت، فقال لييد:

وكلُّ نعيمٍ لا محالةً زائلٌ

فقال له: كذبت، نعيمُ الجنة لا ينفد<sup>(١)</sup>.

فنعيمُ الجنة مُقيمٌ، كما قال تعالى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]، وأمَّا نعيمُ الدنيا فهو نافذٌ كما أنَّ الدنيا كلها نافذة، فلو نعيمُ الإنسان فيها ما نعيم<sup>(٢)</sup> فإن ذلك ينفد، وكأنه حين ينزلُ به الموتُ وسكرته لم يذق نعيمًا من نعيمِ الدنيا قط كما قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ (٣٠) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ ﴿ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وقال بعضُ السلف: إذا جاء الموتُ لم يُغنِ عن الإنسانِ ما كان فيه من النعيمِ واللذة<sup>(٣)</sup>، ثم تلا هذه الآية<sup>(٤)</sup>.

وكان الرشيدُ قد بنى قصرًا، فلما فرغ منه نجده وفرشه، واستدعى إليه أنواعَ الأطعمة والأشربة، وجلسَ فيه مع ندمائه، ثم استدعى إليه أبا العتاهية، فأمره أن يصفَ ما هم فيه من العيش<sup>(٥)</sup>، فقال أبو العتاهية:

عِشْ مَا بَدَا لَكَ سَالِمًا      فِي ظِلِّ شَاهِقَةِ الْقُصُورِ  
يُسْعَى عَلَيْكَ بِمَا اشْتَهَى      سَتَ لَدَى الرِّوَاكِ وَفِي الْبُكُورِ

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٣١٦) من حديث عروة مطولاً، وذكره ابن إسحاق وابن هشام (١٤/٢) في «السيرة».

(٢) في (س): «في الدنيا ما عسى أن ينعم».

(٣) سقطت هذه اللفظة من (ت) و(ف).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر والثواب عليه» (٦١) من كلام الحسن بن صالح رحمه الله.

(٥) في (س): «ثم أمره»، «من النعيم والعيش».

فَإِذَا النُّفُوسُ تَقَفَّعَتْ      فِي ضَيْقٍ حَشْرَجِ الصُّدُورِ

فَهَنَّاكَ<sup>(١)</sup> تَعْلَمُ مَوْقِنًا      مَا كُنْتَ إِلَّا فِي غُرُورٍ<sup>(٢)</sup>

فبكى الرشيد واشتدَّ بكاؤه، فقال الوزير لأبي العتاهية: دعاك أمير المؤمنين لتُسَرَّهُ<sup>(٣)</sup> فأحزنته!، فقال: دَعُهُ، فَإِنَّهُ رَأَى فِي عَمَى، فِكْرَهُ أَنْ يَزِيدَنَا عَمَى<sup>(٤)</sup>.

قال مالك بن دينار: رأيتُ بالبحرين قَصْرًا مشيداً [ظريفاً]<sup>(٥)</sup>، وعلى بابِه مكتوبٌ:

طَلَبْتُ الْعَيْشَ أَسْعَدَ نَاعِمِيهِ      وَعَشْتُ مِنَ الْمَعَايِشِ فِي النَّعِيمِ

فَلَمْ أَلْبَثْ وَرَبَّ النَّاسِ طُرًّا      سُلِبْتُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَالْحَمِيمِ

فقلتُ: ما هذا القصرُ؟ قالوا: هذا أنعمُ أهلِ البحرين، مات فأوصى أن يدفنَ في قصرِه، وأن يكتبَ على بابِه هذا الكلامُ، قال مالكٌ: فعجبتُ من معرفته! فهلاً يستقبلُ الموتَ بتوبةٍ؟! ثم بكى مالكٌ<sup>(٦)</sup>.

إِذَا غَمَسَ أَنْعَمُ النَّاسِ كَانَ فِي الدُّنْيَا فِي الْعَذَابِ غَمْسَةً قِيلَ لَهُ: هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ، فيقولُ: لَا يَا رَبُّ<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ت): «فهنا لك».

(٢) هنا يبدأ خرم مقداره ورقة من النسخة (ت).

(٣) في (ف): «للمسرة».

(٤) أخرجه من طريق ابن أبي الدنيا: الدينوري في «المجالسة» (١٦٢١).

(٥) في (ف) و(ر): «طرياً» وسقطت الكلمة من (س). وأثبت ما جاء في المصدر.

(٦) في (س): «لا سعد ناعماً».

أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٢٠٩).

(٧) في (س): «غمسة في العذاب» والمعنى في «صحيح مسلم» (٢٨٠٧)، وابن ماجه (٤٣٢١) من

حديث أنس رضي الله عنه.

وفي الحقيقة: إن النعيم الذي لا ينفد هو طاعة الله وذكره ومحبته والأنس به والشوق إلى لقائه، فإن هذا نعيم لأهله في الدنيا.

قال مالك بن دينار: في بعض الكتب: يقول الله تعالى: أيها الصديقون! تنعموا بذكرى فإنه لكم في الدنيا نعيم وفي الآخرة جزاء<sup>(١)</sup>.

وقال: ما تنعم المتنعمون بمثل ذكر الله عز وجل<sup>(٢)</sup>.

وقال إبراهيم بن أدهم: لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف<sup>(٣)</sup>.

قال أبو سليمان: أهل الليل في ليهم ألد من أهل اللّهُ في لهوهم، ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا، وإنه ليمر على القلب أوقات يضحك فيه ضحكاً<sup>(٤)</sup>.

وكان بعض العارفين يقول إنه ليمر بي أوقات أقول: إن كان أهل الجنة في مثل ما أنا فيه إنهم لفي عيش طيب<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٥٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٣٥٨) من طريق الإمام أحمد. وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/٣٧٠)، والخطيب في «الزهد والرقائق» (١١٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/٣٠٣، ٣٦٦).

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٥٥) (٥٤٣) (١٥٦٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٧٥)، والخطيب في «المنتخب من كتاب الزهد والرقائق» (٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/١٤٦-١٤٧).

(٥) أصل الكلام لعابد من أهل طرسوس، وهو أبو سليمان المغربي، كما ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٤٢٣).

أَهْلُ الْمَحَبَّةِ قَوْمٌ شَأْنُهُمْ عَجَبٌ يَقُودُهُمْ حَزَنٌ يَهْزُهُمْ طَرَبٌ  
الْعَيْشُ عَيْشُهُمْ وَالْمُلْكُ مُلْكُهُمْ مَا النَّاسُ إِلَّا هُمْ بَانُوا أَمْ اقْتَرَبُوا<sup>(١)</sup>  
فهذا نعيمٌ في الدنيا، فإذا انتقلوا<sup>(٢)</sup> إلى البرزخ فهم في نعيمٍ أزيدَ من  
ذلك، كما قال بعضُ السَّلفِ: أُنعمُ النَّاسِ: أجسادٌ في التُّرابِ، أُمِنَتِ العذابَ،  
وانتظرتِ الثَّوابَ<sup>(٣)</sup>.

وقال عمرُ بنُ عبدِ العزيز: ما أعلمُ أحداً أُنعمَ ممَّن صارَ إلى هذه القبورِ، وأمنَ  
من عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ<sup>(٤)</sup>.

وإذا بُعِثوا للجزاء فلهم حينئذٍ<sup>(٥)</sup> النِّعَمُ الأعظمُ في جنَّاتِ النِّعيمِ، ويُنادي مُنادٍ:  
إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ  
تَشَبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) ذكر المصنف رحمه الله نحوهما في «شرح حديث زيد بن ثابت: لييك اللهم لييك».

(٢) في (س): «انقلبوا».

(٣) أخرج نحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٥٣/٥) من كلام صفوان بن عمرو قاله لبقية بن الوليد في قصة.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا، وعنه الدُّولابي في «الكنى والأسماء» (٥٥٩)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٩/٥).

(٥) في (ف): «إلى الجزاء حينئذٍ فلهم».

(٦) في حاشية (س): «بلغ».

وهذا من حديث أخرجه مسلم (٢٨٣٧) من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ: «وقرة عين لا تنقطع»:

قرّة العين من جملة النعيم، فمنه ما هو مُنقطع، ومنه ما لا ينقطع، فمن قرّت عينه بالدنيا فقرّة عينه مُنقطعةً وأيضاً فسُرورها لا يدوم؛ لأنّ لذاتها مشوبة بالفجائع والنقص، وكيف تقرّ عين المؤمن في الدنيا وهو يعلمُ سرعة انقضائها ومفارقة ما له فيها من أهلٍ وولَدٍ ومالٍ؟، ويعلمُ ما يعالجه عند مفارقتها من سكرات الموت، وما يلقاه في البرزخ من الوحشة والوحدة والضيق، ثمّ ما يخشاه يوم القيامة من العذاب<sup>(١)</sup>. قال بعض السلف: ما ترك الموت للمؤمن من قرّة عين في أهلٍ ولا مالٍ ولا ولَدٍ<sup>(٢)</sup>.

وقال مُطرّف: إنّ هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فالتمسوا نعيماً لا موت فيه<sup>(٣)</sup>.

وقال بعض السلف: عجبا لمن يُوقن بالموت كيف تقرّ بالدنيا عينه؟، أم كيف يطيبُ فيها عيشه<sup>(٤)</sup>؟.

ونظر بعضهم إلى دار له حسنة فبكى، وقال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً، ولولا ما نصيرُ إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا، ثمّ بكى حتى ارتفع صوته<sup>(٥)</sup>.

(١) في (س): «العقاب».

(٢) نقل المصنف رحمه الله نحوه عن يونس بن عبيد في «لطائف المعارف» (ص: ٧١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٢٩١)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٣٢٢).

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١٦/٥٦) من كلام مالك بن دينار.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (٢٧٢) عن وهيب بن الورد قال: نظر ابن مطيع...

والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٨٣).

رَأَى بَعْضُ السَّلَفِ فِي الْمَنَامِ قَائِلًا وَهُوَ يَقُولُ لَهُ:

وَكَيْفَ تَنَامُ الْعَيْنُ وَهِيَ قَرِيرَةٌ وَلَمْ تَدْرِ فِي أَيِّ الْمَحَلِّينِ تَنْزِلُ<sup>(١)</sup>  
فَلَا تَقْرَأُ عَيْنُ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِاللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ وَذِكْرِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالْأَنْسِ بِهِ،  
وَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ قَرَّةُ الْعَيْنِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي  
الْبَرْزَخِ وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَقَرَّتْ بِهِ عَيُونُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ  
بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ حَبِيبُ الْعَجَمِيِّ يَخْلُو فِي بَيْتِهِ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ لَمْ تَقْرَأْ عَيْنُهُ بِكَ فَلَا قَرَّتْ، وَمَنْ  
لَمْ يَأْنَسْ بِكَ فَلَا أُنْسَ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: لَا قَرَّتْ عَيْنٌ لِمَنْ لَمْ تَقْرَأْ عَيْنُهُ بِكَ، وَلَا فَرَحَ لِمَنْ لَمْ  
يَفْرَحْ بِكَ، وَعِزَّتْكَ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ حَبِيبٌ لِيَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ: بَأَيِّ شَيْءٍ تَقْرَأُ عَيُونُ الْعَابِدِينَ فِي الدُّنْيَا؟ وَبَأَيِّ  
شَيْءٍ تَقْرَأُ أَعْيُنُهُمْ فِي الْآخِرَةِ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَقْرَ لِعَيُونِ الْعَابِدِينَ فِي الدُّنْيَا<sup>(٥)</sup>

(١) أَنَشَدَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْمَنَامَاتِ» (١٤٥) عَنْ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ: التَّمَامُ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الْحَيِّ. وَذَكَرَهُ  
أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٣٤٣/٩) فِي قِصَّتِهِ لَذِي النُّونِ سَمِعَهُ مِنْ امْرَأَةٍ سَوْدَاءَ. وَذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي  
«الشَّعْبِ» (٩٥٨) عَنْ أَبِي الْفَتْحِ الْبَغْدَادِيِّ سَمِعَهُ هَاتِفًا.

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّلْمِيُّ فِي «الْفَتْوَةِ» (ص: ٣٥)، وَفِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَةِ» (ص: ١٠٢)،  
وَمِنْ طَرِيقِهِ: الْبَيْهَقِيُّ فِي «الزُّهْدِ الْكَبِيرِ» (٧٢٦) مِنْ كَلَامِ يَحْيَى بْنِ مَعَاذٍ الرَّازِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْعِزَّةِ وَالْإِنْفِرَادِ» (١٠٣). وَتَصَحَّفَتْ الْعَجَمِيُّ فِي (س) إِلَى: «الْعَجَلِيِّ».

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (١٥٤/٦)، وَفِي (س): «عَيْنٌ مِنْ لَمْ»، «وَلَا فَرَحَ مَنْ».

(٥) سَقَطَتِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ سَوْأَلِ حَبِيبٍ وَأَوَّلُ جَوَابِ يَزِيدَ مِنْ (ف)، فَوَقَعَ فِيهَا: «فَقَالَ: بِالْإِكْتَارِ

مِنَ التَّهَجُّدِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَأَمَّا الَّذِي تَقَرُّ بِهِ عَيُونُهُمْ فِي الْآخِرَةِ فَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَانِ وَسُرُورِهَا أَلَدَّ عِنْدَ الْعَابِدِينَ وَلَا أَقَرَّ لِعَيُونِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى ذِي الْكِبَرِيَاءِ الْعَظِيمِ إِذَا رُفِعَتْ تِلْكَ الْحُجُبُ وَتَجَلَّى لَهُمُ الْكَرِيمُ، فَصَاحَ حَبِيبٌ عِنْدَ ذَلِكَ صَبِيحَةً خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

كَانَ كَهَمْسُ بْنُ حَسَنٍ يَقُولُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ<sup>(٢)</sup>: أَتَرَكَ مُعَذِّبِي وَأَنْتَ قَرَّةُ عَيْنِي يَا حَبِيبَ قَلْبَاهُ<sup>(٣)</sup>.

كَانَ بَعْضُ الْعَابِدِينَ يُصَلِّي فَنَامَ فِي سُجُودِهِ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَقُولُ لِمَلَائِكَتِهِ: انظُرُوا إِلَيَّ عَبْدِي، بَدَنُهُ فِي طَاعَتِي وَرُوحُهُ عِنْدِي، فَاسْتَيْقَظَ، فَقَالَ: أَنْتَ قَرَّةُ عَيْنِي فِي نَوْمِي وَأَنْتَ قَرَّةُ عَيْنِي فِي يَقْظَتِي<sup>(٤)</sup>.

كَانَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ الرَّازِي يُنْشِدُ:

قَرَّةُ عَيْنِي لَا بَدَلَ لِي مِنْكَ وَإِنْ      أَوْحَشَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ الزَّلَلُ

قَرَّةُ عَيْنِي أَنَا الْغَرِيقُ فَخُذْ      كَفًّا غَرِيقِي عَلَيْكَ يَتَّكِلُ<sup>(٥)</sup>

كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ: أَنْتَ قَرَّةُ عَيْنِ الْمُطِيعِينَ، وَقَرَّةُ عَيْنِ الْعَاصِينَ، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ قَرَّةُ عَيْنِ الْمُطِيعِينَ وَأَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيْهِمُ بِالطَّاعَةِ؟، وَكَيْفَ لَا تَكُونُ قَرَّةُ عَيْنِ الْعَاصِينَ وَأَنْتَ مَنَنْتَ عَلَيْهِمُ بِالتَّوْبَةِ<sup>(٦)</sup>؟

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٣٥٠).

(٢) هنا ينتهي خرم مقداره ورقة في (ت).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٣/٦).

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٥٩) عن أبي بكر المحلمي.

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وأورده في «لطائف المعارف» (ص: ٤٩٦).

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٧٧/١٦) من كلام يحيى بن أيوب المقابري.



مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِمُنَاجَاةِ اللَّهِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سِرًّا، أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَهُ بِمَا لَمْ يُطْلِعْ عَلَيْهِ بِشَرًّا،  
كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ  
يُنْفِقُونَ﴾ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[السجدة: ١٦-١٧].

وفي الأثر عن فضيل بن عياض: يقول الله: كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مُحِبِّي فَإِذَا جَنَّهُ  
اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي، أَلَيْسَ كُلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ خُلُوةَ حَبِيبِهِ؟، فَإِذَا جَنَّ اللَّيْلُ جَعَلْتُ أَبْصَارَهُمْ  
فِي قُلُوبِهِمْ، وَكَلَّمُونِي عَلَى الْمَشَاهِدَةِ، وَخَاطَبُونِي عَلَى حُضُورِي، غَدَاً أُقِرُّ أَعْيُنَ  
أَحِبَّائِي فِي جَنَانِي<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

قَوْلُهُ ﷺ: «وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَا»:

الرِّضَا مَقَامٌ عَظِيمٌ<sup>(٢)</sup> مَن حَصَلَ لَهُ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢، والبيّنة: ٨]، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا  
وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ بَعْضُهُمْ: لَنْ يَرِدَ الْقِيَامَةُ أَعْظَمُ دَرَجَةٍ مِنَ الرَّاظِينَ بِقَضَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٤)</sup>.  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَن وَهَبَ لَهُ الرِّضَا فَقَدْ بَلَغَ أَفْضَلَ الدَّرَجَاتِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٩٩).

(٢) في (س): «الرضا بالقضا مقام عظيم».

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٤٠٣١).

(٤) ذكره الأصبهاني في «سير السلف الصالحين» (٤/١٢٦١) من كلام أبي عبد الله البرائي، وأبو نعيم  
في «الحلية» (١٠/١٣٨) مع الذي يليه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٣١) من كلام أبي عبد الله البرائي، وأبو نعيم في  
«الحلية» (١٠/١٣٨) مع الذي قبله. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٤٩) من كلام بشر الحافي

وقال بعضهم: في قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قال: الرضا والقناعة<sup>(١)</sup>.

قال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومُستراح العابدين<sup>(٢)</sup>.

قالت أم الدرداء: إن الراضين بقضاء الله، الذين ما قضى الله لهم رضوا به، لهم في الجنة منازل يغبطهم بها الشهداء<sup>(٣)</sup>.

يا أيها الراضي بأحكامنا لا بد أن تحمد عقبى الرضا  
فوض إلينا وارض مستسلماً فالراحة العظمى لمن فوضا  
وإن تعرضت لأسبابنا فلا تكن عن بابنا معرضا  
فإن فينا خلقاً باقياً من كل مافات وما قد مضى<sup>(٤)</sup>  
وإنما قال: «الرضا بعد القضاء»؛ لأن الرضا قبل القضاء عزم على الرضا، فإذا وقع القضاء فقد تنفسح العزائم، كما قال بعضهم:

وليس لي في سواك حظ فكيف ما شئت فامتحنني<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٤٢) (٧١) من كلام أبي معاوية الأسود.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٦/٦).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٨)، وفي مطبوعه: «منازل يغبطهم»؛ ولعله تصحيف.

(٤) هذه الأبيات سقطت من (ت) و(ف) و(س) والمثبت من (ر)، وانظر عنها: «آداب الدعاء»

ليوسف بن عبد الهادي الحبلي (ص: ١٦٥)، و«الضوء اللامع» للسخاوي (١٦/٢) (١١٢/٦).

(٥) في (س) و(ك): «فاختبرني».

فَابْتَلِي بِعُسْرِ الْبَوْلِ فَلَمْ يَصِيرْ وَجَعَلْ يَطُوفُ عَلَى الْمَكَاتِبِ وَيَقُولُ لِلصَّبِيَّانِ:  
ادْعُوا لِعَمَّكُمْ الْكَذَّابِ<sup>(١)</sup>.

وكذا قول مَنْ قَالَ<sup>(٢)</sup>: لو أَدْخَلَنِي النَّارَ كُنْتُ رَاضِيًا<sup>(٣)</sup>. هو أَيْضًا عَزَمَ عَلَى الرَّضَا،  
وَلَا يَدْرِي هَلْ يَثْبُتُ أَوْ يَنْفَسِخُ، فَلَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِلْبَلَاءِ، وَلَكِنْ يَسْأَلُ اللَّهَ  
الْعَافِيَةَ وَأَنْ يَرْزُقَهُ الرِّضَا بِالْبَلَاءِ إِنْ قَدَّرَ لَهُ الْبَلَاءُ<sup>(٤)</sup>.

كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقُولُ: مَا تَرَكْتَنِي هَذِهِ الدَّعَوَاتُ وَلِي سُرُورٌ فِي غَيْرِ  
مَوَاقِعِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ: اللَّهُمَّ رَضِّنِي بِقَضَائِكَ وَبَارِكْ لِي فِي قَدْرِكَ حَتَّى لَا أُحِبَّ  
تَأْخِيرَ مَا عَجَّلْتَ وَلَا تَعْجِيلَ مَا أَخَّرْتَ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ بَعْضُهُمْ: الرَّاضِي لَا يَتَمَنَّى غَيْرَ مَنَزَلَتِهِ<sup>(٦)</sup>، الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا لِأَنَّهُ قَدْ رَضِيَ بِهَا.  
وَقَدْ يَسْتَغْرِقُ الْمَحَبُّ فِي الرِّضَا عَنْ حَبِيْبِهِ، حَتَّى لَا يَحْسَ بِالْمِ الْبَلَاءِ لِمُلاحَظَتِهِ  
عَظَمَةُ الْمُبْتَلَى وَكَمَالَهُ وَحِكْمَتَهُ وَرَحْمَتَهُ، وَأَنَّهُ غَيْرُ مُتَّهِمٍ فِي قَضَائِهِ، وَقَدْ وَصَّى النَّبِيُّ  
ﷺ رَجُلًا فَقَالَ: «لَا تَتَّهِمِ اللَّهَ فِيمَا قَضَاهُ لَكَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) ذكره القشيري في «رسالته» عن سمنون بن حمزة (٩١ / ١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣١٠ / ١٠).

(٢) في (ف): «يقول».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٣ / ٩) عن أبي سليمان الداراني.

(٤) «إن قدر له البلاء» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٦٣ / ٧)، وابن عبد الحكم في «سيرة عمر بن عبد العزيز»

(ص: ٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله» (٤٦، ١٠) بألفاظ مقاربة.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (١٦) (٢٣) من كلام الفضيل بن عياض

رحمه الله.

(٧) في (س): «فيما قضى». والحديث أخرجه الإمام أحمد (٢٢٧١٧) من حديث عبادة بن الصامت

رضي الله عنه.

كان بعضُ أهلِ البلاءِ يقولُ:

لو قَطَّعَنِي إِرْبَاءٌ إِرْبَاءٌ      ما ازْدَدْتُ لَهُ إِلَّا حُبًّا<sup>(١)</sup>

[لو قطعني الغرام إرباءاً إرباءاً      ما ازددت لكم على الملام إلا حباً

لا زلت بكم أسير وجد صبا      حتى أقضي على هواكم نجبا]<sup>(٢)</sup>

كان بعضُ العارفينَ يطوفُ بالبيتِ، فهَجَمَ القرامطةُ على النَّاسِ فقتَلُوهم بالسُّيُوفِ، وهو يَطُوفُ فأخَذَتْهُ السُّيُوفُ، فلم يقطعْ طوافه حتَّى سقطَ، فتمثَّلَ:

تَرَى الْمُحِبِّينَ صَرَعَى فِي دِيَارِهِمْ      كَفِتَةِ الْكَهْفِ لَا يَذْرُونَ كَمْ لَبِثُوا<sup>(٣)</sup>

قَتَلَ لِرَجُلٍ مِنَ الصَّالِحِينَ ابْنَانِ فِي الْجِهَادِ، فَجَاءَ النَّاسُ يُعْزُونَ بِهِمَا، فَبَكَى وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَبْكِي عَلَى قَتْلِهِمَا وَلَكِنْ أَبْكِي كَيْفَ كَانَ رِضَاهُمَا عَنِ اللَّهِ حِينَ أَخَذَتْهُمَا السُّيُوفُ<sup>(٤)</sup>.

إِنْ كَانَ سُكَّانُ الْغَضَى      رَضُوا بِقَتْلِي فَرَضَا

وَاللَّهِ لَا كُنْتُ<sup>(٥)</sup> لِمَا      يَهْوَى الْحَبِيبُ مُبْغِضَا

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٩٣).

(٢) هذان البيتان سقطا من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ر). وذكر هذين البيتين: ابن الجوزي في «المدحش» (ص: ١٨٢).

(٣) وكان ذلك سنة ٣١٧، والخبر ذكره ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص: ١٧٥)، وفي «المنتظم» (٢٨١/١٣) والقائل: علي بن بابويه رحمه الله تعالى.

(٤) ذكره المصنف في عدد من كتبه، وذكر ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه القصة.

(٥) في (ف): «لا كنت».

صِرْتُ لَهُمْ عَبْدًا وَمَا لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْتَرِضَا  
مَنْ لِمَرِيضٍ لَا يَرَى إِلَّا الطَّبِيبَ الْمُرِضَا<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَبَرَدَ الْعَيْشُ بَعْدَ الْمَوْتِ»:

هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَيْشَ وَطِيبَهُ وَبَرْدَهُ إِنَّمَا هُوَ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنَّ الْعَيْشَ قَبْلَ الْمَوْتِ مَنْغَصٌ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَنْغَصٌ سِوَى الْمَوْتِ، كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ:

إِنَّ عَيْشًا يَكُونُ آخِرَهُ الْمَوْتُ لَعَيْشٌ مَعْجَلُ التَّنْغِيسِ<sup>(٢)</sup>

فَكَيْفَ وَمَعَ ذَلِكَ لَهُ مَنْغَصَاتٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْأَسْقَامِ وَالْهَرَمِ وَمُفَارَقَةِ الْأَحْبَابِ، وَآخِرُ الدُّنْيَا كُلُّهَا الْمَوْتُ.

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَيْفَ يَلْذُ الْعَيْشُ لِمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَمُوتُ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: ثَتَانِ قَطَعَتَا عَنِي لِدَاتِ الدُّنْيَا: ذِكْرُ الْمَوْتِ الْمَنْغَصِ، وَالْوُقُوفُ

بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ<sup>(٤)</sup>.

(١) ذَكَرَ الْأَبْيَاتُ ابْنَ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمَدْهَشِ» (ص: ٢٧٧)، وَالْعِمَادُ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي «خُرَيْدَةِ الْقَصْرِ»

(٢/٦٦) وَهِيَ مِنْ قَصِيدَةِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَارِعِ النَّحْوِيِّ الشَّاعِرِ، الْمَتَوَفَى سَنَةَ

٥٢٤ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) تَمَثَّلَ بِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ يَعْقُوبَ فِي يَوْمِ مَوْتِهِ، كَمَا فِي «الْمَحْتَضَرِينَ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (٣٠٣). وَالْبَيْتُ

لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ وَأَوْصَى أَنْ يَكْتُبَ عَلَى قَبْرِهِ كَمَا فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٧/٥٩).

(٣) أَيُّ خَيْرٍ فِي لَذَّةِ وَهَذَا الْمَوْتِ يَقْفُوها. انْظُرْ: «الْوَجَلَ وَالتَّوَثَّقَ بِالْعَمَلِ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا (ص: ٣٨).

(٤) سَقَطَ الْأَثَرُ مِنْ (ت) وَ(ف) وَ(س)، وَالْمَثْبُوتُ مِنْ (ز).

أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٥/٨٨) مِنْ كَلَامِ عَبْدِ الْأَعْلَى التِّيمِيِّ.

وكيف يلد العيش من كان موقناً      بأن المنايا بغتة ستعاجله  
وكيف يلد العيش من كان موقناً      بأن إله الخلق لا بد سائله<sup>(١)</sup>  
ولبعضهم:

وكيف قَرَّتْ لأهل العلم أعينهم      أو استلذوا لذيق النّوم أو هَجَعُوا  
والموت يُنذرهم جَهراً علانيةً      لو كان للقوم أسمعُ لقد سَمِعُوا  
والنَّارُ ضاحيةٌ لا بُدَّ موردُهم      وليس يدرون مَنْ ينجو وَمَنْ يَقَعُ<sup>(٢)</sup>  
فحينئذ فلا يطيبُ العيش إلا بعد الموتِ، وهو عيشٌ مَنْ آمَنَ مِنْ عذابِ الله  
ووصلَ إلى ثوابه، فلذلك سألَ بردَ العيشِ بعده.

وكان النبي ﷺ يقولُ لَمَّا حَفَرَ الخندقَ، وجهَدَ هو وأصحابُه في حَفْرِه: «اللَّهُمَّ  
لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة، فاغفرِ للأَنصارِ والمُهَاجِرَةِ»<sup>(٣)</sup>.

كان يزيدُ الرَّقاشيُّ يقولُ: آمِنَ أهلُ الجنةِ مِنَ الموتِ فطابَ لهم العيشُ، وأمِنُوا  
مِنَ الأسقامِ فهنئاً لهم في جوارِ الله طوُلُ المقامِ<sup>(٤)</sup>.

وعن وهبٍ قالَ: أوحى اللهُ إلى عيسى عليه السَّلامُ: يا عيسى! ما خيرُ عيشٍ عن  
صاحبه يزولُ، وما خيرُ لذاعةٍ لا تدومُ<sup>(٥)؟</sup>

(١) سقط البيتان من (ت) و(ف) و(س)، والمثبت من (ر).

وانظر: «القبور» لابن أبي الدنيا (٢١٨) و«تاريخ دمشق» (٣٥٤/٢٨).

(٢) أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٧٤/٣٢) لابن المبارك رحمه الله.

وفي (س): «واستلذوا بلذيق النّوم إذ هَجَعُوا».

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٥) ومسلم (١٨٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٧/٦٥).

(٥) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

تَنْقُضِي الدُّنْيَا وَتَفْنِي	وَالْفَتَى فِيهَا مُعْنَى
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ	لَا وَلَا عَيْشٌ مُهْنًا
يَا غَنِيًّا بِالذَّنَانِي	رَ مُجِبُّ اللَّهِ أَغْنَى <sup>(١)</sup>

وَلِبَعْضِهِمْ:

إِنَّمَا الدُّنْيَا وَإِنْ سَرُ	رَتْ قَلِيلٌ مِنْ قَلِيلٍ
لَيْسَ تَعْدُو أَنْ تَبْدَى	لَكَ فِي زِيٍّ جَمِيلٍ
ثُمَّ تَرْمِيكَ مِنَ الْمَاءِ	مَنْ بِالْخَطْبِ الْجَلِيلِ
إِنَّمَا الْعَيْشُ فِي جَوَارِ الْ	لِهِ فِي ظِلِّ ظَلِيلٍ
حَيْثُ لَا تَسْمَعُ مَا يُو	ذِيكَ مِنْ قَالٍ وَقِيلِ <sup>(٢)</sup>

\*\*\*

قَوْلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ»:

هَذَانِ الْأَمْرَانِ هُمَا سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَأَعْظَمُ لَذَاتُهُمَا<sup>(٣)</sup>، وَأَعْلَى مَا يَحْصُلُ لِلْمُؤْمِنِ فِيهِمَا؛ فَإِنَّ أَعْلَى مَا<sup>(٤)</sup> فِي الْآخِرَةِ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْجَنَّةِ وَكُلِّ مَا فِيهَا.

(١) أَنَشَدَهُ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ بَشَارٍ، ذَكَرَهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ فِي «اللِّطَائِفِ مِنْ دِفَاقِ الْمَعَارِفِ» (ص: ٣٩).

(٢) أَنَشَدَهَا ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا لِرَجُلٍ يَشْكُرِي فِي «ذَمِّ الدُّنْيَا» (٨١)، وَفِي «الزُّهْدِ» (١٧٠). وَهِيَ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢١٧/١٠).

(٣) فِي (ف): «لَذَاتُهَا».

(٤) فِي (ف): «مَنَازِلُ».

وفي «الصَّحِيحِ»: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ نَادَى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ يُثَقِّلْ مَوَازِينَنَا؟ أَلَمْ يُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَيُزَحِّزْنَا عَنِ النَّارِ<sup>(١)</sup>؟ فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ يَنْظُرُونَ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ شَيْئًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ».

وفي رواية: «وَلَا أَقَرَّ لَأَعْيُنِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ، وَهُوَ الزِّيَادَةُ»، ثُمَّ تَلَا: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ» [يونس: ٢٦] (٣).

وفي «مُسْنَدِ الْبَزَارِ» مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ يَكْشَفُ الْحِجَابَ<sup>(٤)</sup>، وَيَتَجَلَّى لَهُمْ، فَيَغْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ شَيْءٌ لَوْ لَا قَضِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَحْتَرِقُوا لَا حَتَرَقُوا<sup>(٥)</sup> مِمَّا غَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ، فَإِذَا رَجَعُوا إِلَى مَنَازِلِهِمْ خَفُوا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ مِمَّا غَشِيَهُمْ مِنْ نُورِهِ، حَتَّى يَعُودُوا إِلَى صُورِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا<sup>(٦)</sup>.

قَالَ الْحَسَنُ: إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ نَسُوا نَعِيمَ الْجَنَّةِ<sup>(٧)</sup>.  
وَقَالَ ابْنُ أَبِي لَيْلَى: إِذَا تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّهُمْ فَلَا يَكُونُ مَا أُعْطُوا<sup>(٨)</sup> عِنْدَ ذَلِكَ

(١) فِي (س): «وَتَجَرْنَا مِنَ النَّارِ» وَقَدْ جَاءَتْ فِيهَا الْأَفْعَالُ قَبْلَهُ بَتَاءَ الْخَطَابِ.

(٢) فِي (س): «فَيَنْظُرُونَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٨٩٣٥) (١٨٩٣٦) (٢٣٩٢٥)، وَمُسْلِمٌ (١٨١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٥٥٢).

وَالرَّوَايَةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا هِيَ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (١٨٩٤١)، وَهَنَادٍ فِي «الزَّهْدِ» (١٧١)، وَابْنُ مَاجَهٍ (١٨٧).

(٤) فِي (س): «الْحِجَابِ».

(٥) فِي (س): «لَوْ قَضِيَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَحْتَرِقُوا مِنْ نُورِهِ لَا حَتَرَقُوا».

(٦) هَذَا مُخْتَصَرُ أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ (٢٨٨١) فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ. قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْمَدِينِيِّ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٧) أَخْرَجَهُ الْأَجْرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (٥٧٢).

(٨) فِي (س): «أَعْطَوْهُ».



بشيء، ولا يرهق وجوههم قترٌ ولا ذلةٌ بعد نظرهم إلى ربهم عز وجل<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: لو عَلِمَ العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لماتوا، وفي رواية قال: لذابت أنفسهم<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو سليمان يقول: أي شيء أراد أهل المعرفة؟ ما أرادوا كلهم إلا ما سأل موسى عليه السلام<sup>(٣)</sup>.

وقال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره، ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته<sup>(٤)</sup>.

وقال بعضهم: لو أن الله احتجب عن أهل الجنة، لاستغاث أهل الجنة من الجنة كما يستغيث أهل النار من النار<sup>(٥)</sup>.

كان بعض العابدين<sup>(٦)</sup> يقول: ليت ربي جعل ثوابي من عملي نظرة إليه، ثم يقول: كن ثراباً<sup>(٧)</sup>.

وكان علي بن الموفق يقول كثيراً: اللهم إن كنت تعلم أنني أعبدك خوفاً من نارِكَ فعذبني بها، وإن كنت تعلم أنني إنما أعبدك شوقاً إلى جنتِكَ فاحرمنيها، وإن كنت

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٩٣).

(٢) في (س): «لو يعلم». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٥٩/٢)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٨٦٩)، والأجري في «الشريعة» (٥٧١).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٤/٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٢/٩).

(٥) هذا من كلام أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (٣٤/١٠).

(٦) في (س): «العارفين».

(٧) ذكره المصنف في «استنشاق نسيم الأنس» منسوباً إلى نافع من عباد الجزيرة.

تَعْلَمُ أَنِّي إِنَّمَا أَعْبُدُكَ حُبًّا لَكَ وَشَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فَأَبْخُنِيهِ وَافْعَلْ بِي مَا شِئْتَ<sup>(١)</sup>.  
العارفون في شغلٍ عن الجنة، فكيف يَلْتَفِتُونَ إلى الدنيا؟ وأنشد بعض العارفين  
في هذا المعنى:

يا حبيبَ القلوبِ مَنْ لي سِوَاكَ      فارحَمِ اليومَ مُذْنِبًا قَدْ أَتَاكَ  
أَنْتَ سُؤْلِي وَمُنِيَّتِي وَسُرُورِي      قَدْ أَبَى الْقَلْبُ أَنْ يُحِبَّ سِوَاكَ  
أَنْتَ مُرَادِي وَسَيِّدِي وَاعْتِمَادِي      طَالَ شَوْقِي مَتَى يَكُونُ لِقَاكَ  
لَيْسَ سُؤْلِي مِنَ الْجَنَانِ نَعِيمًا      غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وَأَمَّا الشَّوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ أَعْظَمُ لَذَّةٍ تَحْصُلُ لِلْعَارِفِينَ فِي الدُّنْيَا،  
فَمَنْ أُنْسَ بِاللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَاشْتَاقَ إِلَى لِقَائِهِ فَقَدْ فَازَ بِأَعْظَمِ لَذَّةٍ يُمَكِّنُ الْبَشَرَ الْوَصُولَ<sup>(٣)</sup>  
إِلَيْهَا فِي هَذِهِ الدَّارِ.

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: أَحَبُّ الْمَوْتِ اشْتِيَاقًا إِلَى رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ أَبُو عِنَبَةَ الْخَوْلَانِيُّ: كَانَ إِخْوَانُكُمْ لِقَاءُ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنَ الشَّهْدِ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (س): «عَبَدْتُكَ» بَدَلًا مِنْ «أَعْبُدُكَ» فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثِ، وَفِي (س): «وَاصْنَعْ بِي مَا شِئْتَ».  
أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٤٢٧)، وَذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (١/٥٠٣).  
وَذَكَرَهُ الْمَصْنَفُ فِي «شَرْحِ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ: لِيكَ اللَّهُمَّ لِيكَ» وَقَالَ عَقِبَهُ: «لَمَّا غَلَبَ الشَّوْقُ  
عَلَى قُلُوبِ الْمُحِبِّينَ اسْتَرْوَحُوا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَمَا تَخْفِي صُدُورَهُمْ أَكْبَرُ».  
(٢) مِمَّا سَمِعَهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُبَارَكِ الصُّورِيُّ مِنْ عَبَّاسِ الْمَجْنُونِ رَحِمَهُمَا اللَّهُ فِي جَبَلِ لُبْنَانَ. أَخْرَجَهُ أَبُو  
نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (١٠/١٤٥).

(٣) فِي (ك): «لَذَّةٌ تَحْصُلُ لِلْعَارِفِينَ وَيُمْكِنُ الْبَشَرَ» وَفِي (ف): «مِنْ الْوَصُولِ».

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (٨١١)، وَأَبُو دَاوُدَ فِي «الزَّهْدِ» (٢٣٧) وَغَيْرُهُمَا.

(٥) «عِنَبَةٌ»: تَصْحَفُ إِلَى عَتَبَةٍ فِي النُّسخِ، وَهُوَ صَحَابِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي =

وكان بعضهم يقول: إذا ذكرتُ القُدومَ على الله كنتُ أشدَّ اشتياقاً إلى الموتِ مِنَ الظَّمآنِ الشَّدِيدِ ظمؤُهُ، في اليومِ الحارِّ الشَّدِيدِ حرِّهِ، إلى الشَّرابِ الباردِ الشَّدِيدِ بَرْدُهُ<sup>(١)</sup>.

كانت رابعة تقول: قد طالَت عليَّ الأيامُ والليالي بالشَّوقِ إلى لقاءِ الله عزَّ وجلَّ<sup>(٢)</sup>. وبقيَ فتحُ بنُ سُخْرُفٍ ثلاثينَ سنَّةً لم يرفع رأسَهُ إلى السَّماءِ، ثم رفع رأسَهُ إلى السماء<sup>(٣)</sup>، وقال: طالَ شوقي إليك فعَجَّلْ قُدومي عليك<sup>(٤)</sup>.

قال بعضهم: اخدموه شوقاً إلى لقاءِهِ، فإنَّ له يوماً يتجلى فيه لأوليائِهِ<sup>(٥)</sup>.

وأهلُ الشَّوقِ إلى الله عزَّ وجلَّ، على طبقتين:

أحدهما: مَنْ يُفْضِي بِهِمُ الشَّوقُ إلى القلقِ والأرقِ، ويقلُّ صبرُهُم عن طلبِ اللِّقا. طلبِ اللِّقا.

كان أبو عُبيدة الخَوَّاصُ يمشي في الأسواقِ، ويضربُ على صدرِهِ، ويقول: واشوقاهُ إلى مَنْ يراني ولا أراه<sup>(٦)</sup>.

= «الزهد» (٥٢٤)، وفي «الجهاد» (١٢٨).

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله. وقد ذكره في «لطائف المعارف» (ص: ٥١١)، وفي «شرح حديث ليك اللهم ليك».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/١٩٣) في سياق قصة.

(٣) هذه الجملة من (س) وحدها، وسقطت من (ت) و(ف).

(٤) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/٥١١).

(٥) أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٩٩) من كلام عابدة في بيت المقدس و(١٠/٢٢٧) من

كلام عابد بجبل اللُّكَّام - أحد الجبال في ناحية الشام -.

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٥٨).

وعن إبراهيم بن أدهم أنه قال يوماً: اللهم إن كنت أعطيت أحداً من المحبين ما سكنت به قلوبهم قبل لقائك فأعطني ذلك، فلقد أضرب بي القلق، قال: فتمت فرأيتك تعالى في النوم، فوقفت بين يديه وقال: يا إبراهيم! أما استحييت مني تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي، وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيب؟ أم يستريح المحب إلى غير من اشتاق إليه؟ فقلت: يا رب تهت في حبك، فلم أدر ما أقول<sup>(١)</sup>.

أَنَّ مِنَ الشَّوْقِ فَلَوْلَا دَمْعُهُ أَحْرَقَ مَا بَيْنَ الْعُذِيبِ وَالنَّقَا  
وَاسْتَعَرَتْ أَنْفَاسُهُ وَإِنَّمَا<sup>(٢)</sup> تَلَهَّبُ الْأَنْفَاسُ مِنْ حَرِّ الْجَوَى  
مُرُّوا عَلَى وَادِي الْغَضَا فَقَلَّبُوا مِنْ الْجَوَى قَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَى<sup>(٣)</sup>  
الطَّبَقَةُ الثَّانِيَةُ: مَنْ أَعْطَاهُ اللَّهُ بَعْدَ بُلُوغِهِ إِلَى دَرَجَةِ الشَّوْقِ إِلَيْهِ الْإِنْسَ  
بِهِ وَالطَّمَأْنِينَةَ إِلَيْهِ، فَسَكَنَتْ قُلُوبُهُمْ بِمَا كَشَفَ لَهَا مِنْ آثَارِ قُرْبِهِ وَمُشَاهَدَتِهِ،  
وَوَجَدُوا لَذَّةَ الْإِنْسِ بِهِ فِي الذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ، وَصَارَ عَيْشُهُمْ مَعَ اللَّهِ فِي نَعِيمٍ  
سَرْمَدِيٍّ، وَطَابَ لَهُمُ السَّيْرُ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيَا بِالطَّاعَاتِ، وَهَذِهِ كَانَتْ حَالُ نَبِيِّنَا  
مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَهِيَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ الْعَارِفِينَ كَأَبِي سُلَيْمَانَ، وَأَحْمَدَ بْنِ  
أَبِي الْخَوَارِثِيِّ، وَذِي النُّونِ، وَالْجُنَيْدِ وَغَيْرِهِمْ.

(١) أخرجه السراج القاري في «مصارع العشاق» (١/ ٢٧٨).

وفي حاشية (ف): «تمة من الإحياء»: فاغفر لي وعلمي ما أقول، فقال: قل: اللهم رضى بقضائك، وصبرني على بلائك، وأوزعني شكر نعمائك، فإذا هذا الشوق يسكن في الآخرة».

(٢) سقطت الواو من (ت) و(ف)، وألحقت كاف قبلها في (ف).

(٣) لم أجد الأبيات عند غير المصنف رحمه الله، وقد أوردها أيضاً في «استشاق نسيم الأنس».

وَسُئِلَ الشُّبْلِيُّ: بِمَاذَا تَسْتَرِيحُ قُلُوبَ الْمُحِبِّينَ وَالْمُشْتَاقِينَ؟ فَقَالَ إِلَى سُرُورِهِمْ:  
بِمَنْ أَحْبَبُوهُ وَاشْتَاقُوا إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

فَهَؤُلَاءِ كُلَّمَا أَقْلَقَهُمُ الشَّوْقُ سَكَنَهُمُ الْإِنْسُ وَالْقُرْبُ وَالْمُشَاهَدَةُ، كَمَا كَانَ ﷺ  
إِذَا ذُكِرَ لَهُ تَرْكُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَاجْتِهَادُهُ فِي الطَّاعَاتِ فِي الصَّيَامِ يَقُولُ: «إِنِّي أَظَلُّ  
عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»<sup>(٢)</sup>.

سَاكِنٌ فِي الْقَلْبِ يَعْمرُهُ      لَسْتُ أَنْسَاهُ فَأَذْكُرُهُ  
غَابَ عَن سَمْعِي وَعَن بَصَرِي      فَسَوَّيْتُ الْقَلْبَ تَبَصَّرُهُ<sup>(٣)</sup>

قُلُوبُ الْمُحِبِّينَ كَالْجَمْرَةِ<sup>(٤)</sup> تَحْتَ فَحْمَةِ اللَّيْلِ، فَإِذَا هَبَّ عَلَيْهَا نَسِيمُ السَّحَرِ  
التَّهَبَّتْ بِالْأَشْوَاقِ، فَلَوْلَا أَنْ يُرَشَّ عَلَيْهَا مِنْ مَاءِ الْعُيُونِ وَتَعَدَّلَ بِرُودَةِ الذِّكْرِ لَسَرَى  
الْحَرِيقُ إِلَى أَجْسَادِهَا.

كَانَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ يُنَادِي بِاللَّيْلِ: هُمُكَ عَطَّلَ عَلَيَّ الْهُمُومَ، وَحَالَفَ بَيْنِي وَبَيْنَ  
الشُّهَادِ، وَشَوْقِي إِلَى النَّظَرِ إِلَيْكَ أَوْثَقَ مِنِّي اللَّذَاتِ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّهَوَاتِ، فَأَنَا  
فِي سِجْنِكَ أَيُّهَا الْكَرِيمُ مَطْلُوبٌ، ثُمَّ يَتَرَنَّمُ بِالْآيَةِ فَيُخَيِّلُ لِمَنْ سَمِعَهُ أَنَّ جَمِيعَ لَذَاتِ  
الدُّنْيَا وَنَعِيمِهَا جُمِعَ لَهُ فِي تَرَنُّمِهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) «إلى سرورهم» من (س) وسقطت من (ت) و(ف).

أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥٦٣/١٦).

(٢) أخرجه البخاري عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، منهم أنس (٧٢٤١) وهو عند مسلم  
(١١٠٤)، والسيدة عائشة عند البخاري (١٩٦٤)، وهو عند مسلم (١١٠٥).

(٣) في (ت) و(ف): «يبصره»، وفي (س): «تذكره». ذكر نحو هذين البيتين عن الجعيد، القشيري في  
«الرسالة» (٤٧٢/٢)، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (٦٢/١).

(٤) في (س): «أرواح المحبين جمرة».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٦/٧). ووقع في (ت) و(ف) «أوبق مني اللذات».

أَجْبَايَ أَمَّا جَفَنُ عَيْنِي فَمَقْرُوحُ      وَأَمَّا فُؤَادِي فَهُوَ بِالشَّوْقِ مَجْرُوحُ  
يُذَكِّرُنِي مَرُّ النَّسِيمِ عُهْدَكُمْ      فَأَزْدَادُ شَوْقًا كُلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ  
أَرَانِي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَشْرَقْتُ      بِقَلْبِي مِنْ نَارِ الْغَرَامِ مَصَابِيحُ  
أُصَلِّي بِذِكْرَاكُمْ إِذَا كُنْتُ خَالِيًا      أَلَا إِنَّ تَذَكَارَ الْأَحْبَةِ تَسْبِيحُ  
يَشْحُ فُؤَادِي أَنْ يُخَامِرَ سِرَّهُ      سِوَاكُمْ وَبَعْضُ الشَّحِّ فِي الْمَرْءِ مَمْدُوحُ  
وَلِنْ لَاحَ بَرَقَ بِالْغُيُورِ تَقَطَّعَ الْـ      فُؤَادُ عَلَيَّ وَإِذْ بِهِ الْبَانُ وَالشَّيْخُ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ زِينًا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مَهْدِيِّينَ»:

أَمَّا زِينَةُ الْإِيمَانِ: فَالْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، فَزِينَةُ الْإِيمَانِ تَشْمَلُ زِينَةَ الْقَلْبِ بِتَحْقِيقِ الْإِيمَانِ، وَزِينَةَ اللِّسَانِ بِأَقْوَالِ الْإِيمَانِ، وَزِينَةَ الْجَوَارِحِ بِأَعْمَالِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ التَّقْوَى لِبَاسًا، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ لِبَاسِ الْأَبْدَانِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال وهبٌ: أوحى الله إلى عيسى بن مريم عليه السلام: يا عيسى! تزين لي بالدين وأحب المساكين<sup>(٢)</sup>.

وعنه: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا بَعَثَ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلَامَ قَالَ لَهُمَا: إِنَّمَا

(١) الأبيات في «المدھش» لابن الجوزي (ص: ٥٠٢) إلا البيت الأخير، وقد ذكره المصنف في مقدمة

«استنشاق نسيم الأنس». وفي (س): «يشح فؤادي أن يسكن سره».

(٢) في (س): «وهب بن منبه»، وفي (ف): «تزین لي بالدنيا»!! وهي غير واضحة في تصوير (ت)، والمثبت من (س).

والأثر لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

يَتَزَيَّنُ لِي أَوْلِيَائِي بِالذِّكْرِ وَالْخُشُوعِ وَالْخَوْفِ وَالتَّقْوَى، تَنْبُتُ<sup>(١)</sup> فِي قُلُوبِهِمْ فَتُظْهِرُ عَلَى أَجْسَادِهِمْ، فَهِيَ ثِيَابُهُمُ الَّتِي يَلْبَسُونَ، وَدِثَارُهُمُ الَّذِي يَظْهَرُونَ، وَضَمِيرُهُمُ الَّذِي يَسْتَشْعِرُونَ، وَنَجَاتُهُمُ الَّتِي بِهَا يَفُوزُونَ، وَرَجَاؤُهُمُ الَّذِي إِيَّاهُ يَأْمُلُونَ، وَمَجْدُهُمُ الَّذِي بِهِ يَفْتَخِرُونَ، وَسِيَمَاهُمُ الَّتِي بِهَا يُعَرَفُونَ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» قَالَ: يُحِبُّ أَنْ يَتَجَمَّلَ لَهُ بِالطَّاعَةِ<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْهُ قَالَ: لِبَاسُ الْمُؤْمِنِ التَّقْوَى وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ<sup>(٤)</sup>.

فَالزَّيْنَةُ النَّافِعَةُ الدَّائِمَةُ الْبَاقِيَةُ هِيَ زِينَةُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى إِذَا شَمِلَتْ الْقَلْبَ وَالْجَوَارِحَ، فَإِنْ أَظْهَرَ التَّزْيِينَ بِذَلِكَ ظَاهِرًا وَقَلْبُهُ فَارِغٌ عَادَ ذَلِكَ عَلَيْهِ شَيْنًا.

قَالَ بَعْضُهُمْ: مَنْ تَزَيَّنَ لِلنَّاسِ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُ خِلَافَهُ شَانَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِمَنْ أَظْهَرَ التَّزْيِينَ بِالْعِلْمِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ بِهِ: تَزَيَّنُوا بِمَا شِئْتُمْ فَلَنْ يَزِيدَكُمْ اللَّهُ إِلَّا اتِّضَاعًا<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (س): «يُثْبِت».

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْأَوْلِيَاءِ» (١١٥)، وَ«ذَمُّ الدُّنْيَا» (١١٧)، وَ«التَّوَاضُّعُ وَالْخُمُولُ» (٩)، وَ«الزُّهْدُ» (٦٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (١ / ١١).

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٩١) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ. وَلَمْ أَظْفَرْ بِقَوْلِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٤) «عَنْهُ»: أَيُّ وَهَبِ ابْنِ مِنْبِهِ. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنَفِ» (٣٦٣٨٣)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ» (٩٧) بِنَحْوِهِ.

(٥) رَوَى مَرْفُوعًا وَمَوْقُوفًا وَمَقْطُوعًا.

أَخْرَجَهُ هُنَادُ بْنُ السَّرِيِّ فِي «الزُّهْدِ» (٤٣٦ / ٢) بِنَحْوِهِ مِنْ كَلَامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) مِنْ كَلَامِ سَفْيَانَ وَقَدْ نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ وَفِي يَدِهِ دَفْتَرٌ.

ذَكَرَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٨ / ٢٣٩).

وقال بعضهم: لا تقوم الساعةُ حتى يتزَيَّنَ الرَّجُلُ بِالْعِلْمِ كما يتزَيَّنُ الرَّجُلُ بثَوْبِهِ<sup>(١)</sup>، يعني: يُظْهِرُ<sup>(٢)</sup> للنَّاسِ تَزَيُّناً به عندهم من غيرِ أن يُزَيَّنَ قلبه<sup>(٣)</sup> وجوارحه بالعملِ به.

وكان الفضيلُ يقولُ: تَزَيَّنْتَ لَهُمَ بِالصُّوْفِ فلم تَرَهُم يرفعون بك رأساً، تَزَيَّنْتَ لَهُمَ بِالْقُرْآنِ ولم تَزَلْ تَتَزَيَّنُ لَهُمَ بِشَيْءٍ بعد شيءٍ كُلُّ ذَلِكَ لِحُبِّ الدُّنْيَا<sup>(٤)</sup>. ومراده توبيخُ مَنْ يُزَيَّنُ ظَاهِرُهُ بِالْأَعْمَالِ وباطنه خالٍ منها، وَمَنْ زَيَّنَ لِلَّهِ جَوَارِحَهُ بِالْأَعْمَالِ وقلبه بحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ زَيَّنَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»<sup>(٥)</sup>، فَمَنْ عَلِمَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ الصَّدَقَ زَيَّنَهُ اللَّهُ عِنْدَ عِبَادِهِ، وبالعكس.

وما أحسنَ قولَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ:

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَلْبَسْ ثِيَاباً مِنَ التَّقَى      تَقَلَّبَ عُريَاناً وَإِنْ كَانَ كَاسِيَاً<sup>(٦)</sup>

\*\*\*

= ونقل أيضاً عن يوسف بن أسباط أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٧٠ / ١٠).

وتصحفت «اتضاعاً» في (ت) و(ف) إلى: «إيضاعاً».

(١) لم أجده عنه غير المصنف رحمه الله.

(٢) في (س): «يظهره».

(٣) في (س): «يتزَيَّن قلبه».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨ / ٨).

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) «ديوان أبي العتاهية» (ص: ٣٠١).



وقوله ﷺ: «واجعلنا هداةً مهتدين»:

يعني نهدي<sup>(١)</sup> غيرنا ونهتدي في أنفسنا، وهذه أفضل الدرجات أن يكون العبد هادياً مهدياً، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، وقال ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً أحب إليك<sup>(٢)</sup> من حُمير النعم»<sup>(٣)</sup>.

وقال: «مَن دعا إلى هدى كان له مثل أجر مَن تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء»<sup>(٤)</sup>.

ويدخل فيمن دعا إلى الهدى: مَن دعا إلى التوحيد من الشرك، وإلى السنة من البدعة، وإلى العلم من الجهل، وإلى الطاعة من المعصية، وإلى اليقظة من الغفلة، فمَن استجيب له إلى شيء من هذه الدعوات فله مثل أجر مَن اتبعه.

أفضل الصدقة: تعليم جاهل أو<sup>(٥)</sup> إيقاظ غافل.

ما وُصِّلَ المُستثقل<sup>(٦)</sup> في نوم الغفلة بأفضل من ضربه بسياطِ الموعدة لِيَسْتَيْقِظَ. المواعظ كالسيّاطِ تقَعُ على نياطِ القلوبِ، فمَن أَلَمَّهُ فصاح فلا جُنَاحَ، ومَن زادَ بها أَلَمَهُ فماتَ فدُمُهُ مُبَاحٌ<sup>(٧)</sup>:

(١) في (ف): «فنهدي».

(٢) هكذا في (ت) و(ف) وفي (س): «خير لك».

(٣) أخرجه بلفظ «خير لك»: البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٤) في (س): «شيئاً». أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله، (٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) في (س): «أو».

(٦) في (س): «ما وُصِّلَ إلى المستثقل».

(٧) ذكر هذا المصنف أيضاً في «الطائف المعارف» (ص: ٥١).

قَضَى اللَّهُ فِي الْقَتْلَى قِصَاصَ دِمَائِهِمْ وَلَكِنْ دِمَاءُ الْعَاشِقِينَ تُبَاحُ<sup>(١)</sup>  
وَعَظَّ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ يَوْمَافِصَاحَ بِهِ رَجُلٌ: يَا أَبَا عُبَيْدَةَ! كَفَّ فَقَدْ كَشَفَتْ  
الْمَوْعِظَةُ قِنَاعَ قَلْبِي، فَمَا دَى عَبْدُ الْوَاحِدِ فِي وَعَظِهِ فَمَاتَ الرَّجُلُ<sup>(٢)</sup>.  
صَاحَ رَجُلٌ فِي حَلَقَةِ الشُّبْلِيِّ فَمَاتَ، فَاسْتَعْدَى أَهْلُهُ عَلَى الشُّبْلِيِّ فَقَالَ: نَفْسُ  
رَنْتُ فَحَنْتُ، فَدُعِيتُ فَأَجَابْتُ، فَمَا ذَنْبُ الشُّبْلِيِّ<sup>(٣)</sup>؟  
فَكَّرَ فِي أَفْعَالِهِ<sup>(٤)</sup> ثُمَّ صَاحَ لَا خَيْرَ فِي الْحُبِّ بَغَيْرِ افْتِضَاحٍ  
قَدْ جِئْتُكُمْ مُسْتَأْمِنًا فَارْحَمُوا لَا تَقْتُلُونِي قَدْ رَمَيْتُ السَّلَاحَ<sup>(٥)</sup>  
وَعَظَّ أَبُو عَامِرٍ الْوَاعِظُ بِالْمَدِينَةِ رَجُلًا وَوَلَدَهُ، فَأَخَذَ وَعَظَّهُ فِيهِمَا فَمَاتَا،  
قَالَ أَبُو عَامِرٍ: فَمَا زِلْتُ جَزِعًا مِمَّا جَنَيْتُ عَلَيْهِمَا، حَتَّى رَأَيْتُهُمَا فِي الْمَنَامِ  
عَلَيْهِمَا حُلَّتَانِ خَضِرَاوَتَانِ، فَقُلْتُ لَهُمَا: مَرْحَبًا بِكُمَا وَأَهْلًا، فَمَا زِلْتُ حَذِرًا مِنْ  
وَعَظِي لَكُمَا فَمَا صَنَعَ اللَّهُ بِكُمَا؟ فَقَالَ الشَّيْخُ:

(١) أنشده ابن عساكر (٧٥/٦٦) للشُّبْلِيِّ رحمه الله وآخره: «دماء العاشقين جُبار».

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٥٩/٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣٥/٣٧).

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/٦٦) في قصة أطول من هذا.

والرنين: الصوت. وفي مطبوع «تاريخ دمشق»: «جَنَّتْ فَرَنْتُ» والصواب بالحاء في الكلمة الأولى، وهذا السياق أنسب مما أورده المصنف رحمه الله.

(٤) في (ف): «أفعالهم».

(٥) ذكر البيتين ابن الجوزي في أول كتاب «المتنور».

أنت شريكى في الذي نلتُهُ      مستأهلاً ذاك أبا عامرٍ  
وكلُّ مَنْ أيقظَ ذا غفلةٍ      فنصفُ ما يُعطاهُ للآمرِ  
مَنْ رَدَّ عَبْدًا أَبْقَا مُذْنِبًا      كان كَمَنْ راقبَ للقاهرِ  
واجتمعَا في دارِ عدنٍ وفي      جوارِ ربِّ سيِّدٍ غافِرٍ<sup>(١)</sup>  
آخرُهُ، واللهُ أعلمُ بالصَّوابِ.

والحمدُ لله وحده، وصلى الله على سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أصلُ القصة في «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١٨٦/١٠)، وأوردها بأطول من ذلك: ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٠٦/١).

(٢) في (ت): «والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً يا رب العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإليه المصير».

وفي الحاشية: «بلغ مقابلة حسب الطاقة بحمد الله تعالى وعونه».

وفي (ر): «آخر الكلام على حديث عمار. والحمد لله العزيز الغفار. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي المختار. وعلى آله وأصحابه الطيبين الأخيار. غفر الله لمؤلفه وكتابه وقارئه وسامعه. آمين».

ونقلته من خط الشيخ الجليل الفاضل النبيل أبي عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن سليم كتبه سنة ١٢٦٧ رحمة الله علينا وعليه آمين.

جُزْءٌ فِيهِ  
الْكَلَامُ عَلَى حَدِيثِ  
«يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثُ»







بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي جعل العمل الصالح ميراث المرء من دنياه، والصلاة والسلام على البشير النذير المبعوث بأشرف كتاب وأعلاه، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فلا ينفك الإنسان في حياته عن علائق الدنيا، وهي كثيرة شاغلة أسرة، فابتلاء العبد: عدم الوقوف عندها، والركون إليها، وإنما يأخذ منها زاد الآخرة، أو يزرع فيها ما يثمر أجراً وثواباً دائماً بعد انتهاء أجله، وانقطاع أنفاسه.

وقد نصح النبي ﷺ أمته وذكرها وأرشدوا إلى إحسان العمل، كي يكون مرافقاً للمرء بعد حلول الأجل، فيكون مؤنساً له في وحشة قبره، شافعاً له عند ربه، سبباً له في رفع درجاته.

فروى أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «يتبع الميت ثلاث، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

وعلى ما هو المعتاد من الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله، فقد تناول هذا الحديث بالشرح مستدلاً بالآيات والأحاديث والآثار كي يكون عظة وذكرى يتتبع بها المؤمن، ويتعاهد هذا المعنى في نفسه؛ ليكثر من العمل الذي يتبعه بعد وفاته.

وفقنا الله للعمل الصالح، وثبتنا عليه، وجعله سائقاً لنا إلى جنات النعيم بمنه وكرمه. آمين.



ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)،  
وسماه «شرح حديث يتبع الموتى ثلاث»، وقد جاء مصحفاً في المطبوع منه: «ينفع  
الموتى»!

وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف»، (ص: ٢٧٦)، وسماه: «شرح  
حديث يتبع الميت ثلاث».

وقد اعتمدت في إخراجها على نسختين:

١- النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي الرسالة الثامنة من المجموع (١٥٧) - وقد سبق وصفه في المقدمات -  
وتقع في (٥) لوحات (من ٦٣ / أ إلى ٦٧ / أ).

وجاء العنوان فيها: «جزء فيه الكلام على حديث يتبع الميت ثلاث».

لم يُذكر اسم الناسخ، لكنه وصف المؤلف بشيخنا، ويرجع تاريخ نسخ  
المجموع إلى سنة ٨٥٢هـ.

٢- نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة الحادية عشرة من المجموع (٥٣١٨) - وقد سبق وصفه في  
المقدمات - وتقع في (٨) لوحات (من ١٧٣ / أ إلى ١٨٠ / ب).

وجاء العنوان فيها: «جزء فيه الكلام على حديث يتبع الميت ثلاث».

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
أجمعين.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسَّرْ وَأَعِنْ<sup>(١)</sup> يَا كَرِيمُ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

في «الصحيحين» من رواية عبد الله بن أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «يَتَّبِعُ<sup>(٢)</sup> المَيِّتَ ثلاث<sup>(٣)</sup>»، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله<sup>(٤)</sup>.

ورواه عمران القطان وحجاج بن حجاج، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد إلا له ثلاثة أخلاء، فأما خليل فيقول: ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك، فذلك ماله، وأما خليل فيقول: أنا معك فإذا أتيت باب الملك رجعت وتركتك، فذلك أهله وحشمه، وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت، فذاك عمله، فيقول: إن كنت لأهون الثلاثة عليَّ<sup>(٥)</sup>».

(١) «وأعين»: من (ت).

(٢) ضبطها القسطلاني في «إرشاد الساري» (٢٩٩/٩) كذلك، وذكر أن رواية أبي ذر: يَتَّبِعُ.

(٣) كذا في النسختين، وفي الصحيحين: «ثلاثة»، والمثبت موافق لما في «المسند».

(٤) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠)، والإمام أحمد (١٢٠٨٠)، وغيرهم.

(٥) أخرجه الطيالسي (٢١٢٥)، والبخاري (٧٢٦٥)، وابن حبان (٣١٠٨)، والطبراني في «الأوسط»

(٢٥١٨)، والحاكم (٣٧١/١) وصححه، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٦٩).

وفي حديث حجاج في «مشيخة ابن طهمان» (١٨٦)، وعند الحاكم في «المستدرک» (٧٤/١)

وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد احتجا جميعاً بالحجاج بن الحجاج، ولا =

وَيُرَوَّى نَحْوُ هَذَا مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً<sup>(١)</sup>.

وتفسيرُ هذا: أَنَّ ابْنَ آدَمَ فِي الدُّنْيَا لَا بَدَّ لَهُ مِنْ أَهْلِ يُعَاشِرُهُمْ، وَمَالٍ يَعِيشُ بِهِ، فَهَذَانِ صَاحِبَانِ يُفَارِقَانِهِ وَيُفَارِقُهُمَا، فَالسَّعِيدُ مَنْ اتَّخَذَ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعِينُهُ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَيَنْفَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، فَيَأْخُذُ مِنَ الْمَالِ مَا يَبْلُغُ بِهِ إِلَى الْآخِرَةِ، وَيَتَّخِذُ زَوْجَةً صَالِحَةً تَعِينُهُ عَلَى إِيْمَانِهِ، فَأَمَّا مَنْ اتَّخَذَ أَهْلًا وَمَالًا يَشْغَلُهُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ خَاسِرٌ، كَمَا قَالَتِ الْأَعْرَابُ: ﴿شَغَلْتَنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [سبا: ٣٧].

قال الحسنُ وهو في جنازة: ابن آدم! لئن رجعتَ إلى أهلٍ، ومالٍ فإنَّ الثَّوْبِيَّ فيهم قليلٌ<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث: «ابن آدم! عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مُلَاقِيهِ، وَكُنْ كَيْفَ شِئْتَ فَكَمَا تَدِينُ تَدَانُ»<sup>(٣)</sup>.

= أَعْرِفْ لَهُ عِلَّةً، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهَذِهِ السِّيَاقَةَ. وَفِي حَاشِيَةِ (ف): «فَافْهَمْ تَرَشُدًا».

(١) أَخْرَجَ الْمَرْفُوعُ: الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/ ٧٤-٧٥) وَقَالَ إِنَّهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَأَخْرَجَ الْمَرْفُوعُ وَأَشَارَ إِلَى الْمَوْقُوفِ الْبَزَارِ (٣٢٧٢) وَأَخْرَجَ الْمَوْقُوفُ: ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٥٨٦٨).

(٢) لَمْ أَجِدْ أَوَّلَهُ، وَآخِرَهُ: أَخْرَجَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زِيَادَاتِ «الزَّهْدِ» (١٥٤٩) نَحْوَهُ عَنِ الْحَسَنِ.

(٣) هَذَا الْحَدِيثُ وَقَعَ فِيهِ إِدْرَاجٌ، وَتَلَفِيقٌ مِنْ أَحَادِيثَ مُتَعَدِّدَةٍ، أَمَّا «ابْنُ آدَمَ» فَلَا يَوْجَدُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَفَظَالِ، بَلْ فِي بَعْضِهَا: «يَا مُحَمَّدُ»، وَمَا يَلِيهِ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٤٨٤٥) وَفِي «الصَّغِيرِ» (٧٠٤)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣/ ٢٠٢) مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَآخِرُهُ: «كُنْ كَيْفَ شِئْتَ...» أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «جَامِعِ مُعْمَرٍ» (٢٠٢٦٢) عَنْ أَبِي قَلَابَةَ مَرْسَلًا.

فَإِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ، وَانْتَقَلَ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ لَمْ يَنْتَفِعْ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِشَيْءٍ إِلَّا بِدُعَاءِ أَهْلِهِ لَهُ وَاسْتِغْفَارِهِمْ، وَبِمَا قَدَّمَهُ مِنْ مَالِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

فَأَمَّا إِنْ خَلَّفَ مَنْ يَدْعُو لَهُ مِنْ أَهْلِهِ، أَوْ قَدَّمَ شَيْئاً مِنْ مَالِهِ فَإِنَّهُ يَنْتَفِعُ بِهِ، كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ، أَوْ عِلْمٍ نَافِعٍ»<sup>(١)</sup>.

فَأَهْلُهُ لَا يَنْفَعُهُ مِنْهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ إِلَّا مَنْ اسْتَغْفَرَ لَهُ وَدَعَا لَهُ، وَقَدْ لَا يَفْعَلُ، وَقَدْ يَكُونُ الْأَجْنَبِيُّ أَنْفَعَ لِلْمَيِّتِ مِنْ أَهْلِهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ: وَأَيْنَ مِثْلُ الْأَخِ الصَّالِحِ؟ أَهْلُكَ يَقْتَسِمُونَ مِيرَاثَكَ، وَهُوَ قَدْ تَفَرَّدَ بِحُزْنِكَ يَدْعُو لَكَ، وَأَنْتَ بَيْنَ أَطْبَاقِ الْأَرْضِ<sup>(٢)</sup>.

فَمِنْ الْأَهْلِ مَنْ هُوَ عَدُوٌّ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْتَغِلُ عَنِ الْمَيِّتِ بِحُصُولِ مِيرَاثِهِ، كَمَا قِيلَ:

تَمُرُّ أَقَارِبِي جَنَابَاتِ قَبْرِي      كَأَنَّ أَقَارِبِي لَا يَعْرِفُونِي  
وَذُو الْمِيرَاثِ يَقْتَسِمُونَ مَالِي      وَلَا يَأْلُونَ إِنْ جَحَدُوا دُيُونِي

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٦٣١) وَلَفْظُهُ: «أَوْ عِلْمٌ يَنْفَعُ بِهِ».

(٢) مِنْ كَلَامِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ الْأَصْبَهَانِيِّ، أَخْرَجَهُ عَنْهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢٣١ / ٨)، وَتَصَحَّفَتْ فِي

وقد أَخَذُوا سِهَامَهُمْ وَعَاشُوا      فَيَا لِهَذَا أَسْرَعَ مَا نُسُونِي<sup>(١)</sup>  
قال الحسن: أَزْهَدُ النَّاسِ فِي عَالَمٍ جِيرَانُهُ، وَشَرُّ النَّاسِ لِمَيِّتٍ أَهْلُهُ، يَبْكُونَ عَلَيْهِ  
وَلَا يَقْضُونَ دَيْنَهُ<sup>(٢)</sup>!

يَشِيرُ إِلَى أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ مَا يَضُرُّهُ وَيَتْرَكُونَ مَا يَنْفَعُهُ، فَالْبَكَاءُ إِذَا كَانَ مَعَهُ نَدْبٌ أَوْ  
نَوْحٌ أَوْ تَسَخُّطٌ يَعْدَبُ بِهِ الْمَيِّتُ، وَإِنَّمَا يَبْكُونَ لِفَقْدِ حُظُوظِهِمْ مِنْهُ، فَبَكَاءُ هُمْ عَلَى  
أَنْفُسِهِمْ لَا عَلَى مَيِّتِهِمْ.

احْتَضَرَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ فَبَكَى أَبَوَاهُ وَوَلَدَهُ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ بُكَائِهِمْ، فَذَكَرَ أَبَوَاهُ مَا  
يَتَعَجَّلَانِهِ مِنْ فَقْدِهِ وَوَحْشَتِهِمْ بَعْدَهُ، وَذَكَرَ وَلَدَهُ مَا يَتَعَجَّلُونَ مِنْ فَقْدِهِ وَتُتْمِهِمْ بَعْدَهُ،  
فَقَالَ: كُلُّكُمْ يَبْكِي لِدُنْيَايَ، أَمَّا مِنْكُمْ مَنْ يَبْكِي لِآخِرَتِي؟ أَمَّا مِنْكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمَا يَلْقَاهُ  
فِي التُّرَابِ وَجْهِي؟ أَمَّا مِنْكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمُسَائِلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ إِيَّايَ؟ أَمَّا مِنْكُمْ مَنْ يَبْكِي  
لِمُقَامِي بَيْنَ يَدَي رَبِّي؟ ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى<sup>(٣)</sup>.

وَأَكْثَرُ الْوَرَثَةِ لَا يَوْفُونَ دِينَ مُورَثِهِمْ، فَيَتْرَكُونَهُ مُرْتَهَنًا مُحْتَسِبًا بِدَيْنِهِ، كَمَا قَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ لِقَوْمٍ مَاتَ مِنْهُمْ مَيِّتٌ: «إِنَّ صَاحِبَكُمْ يُحْتَسِبُ بِدَيْنِهِ، فَإِنْ شِئْتُمْ فَاسْلِمُوهُ أَوْ  
فُكُّوهُ»<sup>(٤)</sup> أَوْ كَمَا قَالَ.

(١) ذكر البيت الأول ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٦٥) وأنشده لابن السماك.

وذكر ابن الجوزي الأول والثالث في «مثير الغرام الساكن» (ص: ٥١٥) مما قرئ على قبر.

وذكر الأبيات الثلاثة لابن السماك: ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ١٩٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٣١) وذكر هذا الزهد في العالم من أهله كثير من السلف.

(٣) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٢٣٦) عن عابد بالبصرة.

(٤) شطر الحديث الأول قد ورد معناه عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، وأما هذا السياق، فهو من

حديث الشعبي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، وهذا اللفظ في شطره الثاني أخرجه الطيالسي =

وبكُلِّ حالٍ؛ فليُوطِنِ الإنسانُ في الدُّنيا نفسه على مُفارقةِ أهله، كما قيل:

أَيَا فُرْقَةَ الْأَحْبَابِ لَا بُدَّ لِي مِنْكَ      وَيَا دَارَ دُنْيَا إِنِّي رَا حِلٌّ عَنْكَ  
أَلَا أَيُّ حَيٍّ لَيْسَ بِالْمَوْتِ مُوقِنًا      وَأَيُّ يَقِينٍ مِنْهُ أَشْبَهَ بِالشَّكِّ<sup>(١)</sup>

وَلَا يَتَّبِعُ الْمَيِّتُ بَعْدَ مَوْتِهِ بِأَهْلِهِ وَلَا غَيْرِهِمْ إِلَّا بِاسْتِغْفَارِهِمْ<sup>(٢)</sup> لَهُ وَدُعَائِهِمْ وَتَرْحُمِهِمْ، أَوْ صَدَقَتِهِمْ عَنْهُ، وَيَتَّبِعُ بَزِيَارَةٍ مَنْ زَارَهُ وَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَيَسْتَأْنِسُ بِذَلِكَ، وَقَدْ وَصَّى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَنْ يُقِيمُوا عَلَى قَبْرِهِ بَعْدَ دَفْنِهِ بِقَدْرِ مَا تُنَحَّرُ جَزُورٌ وَيُقَسَّمُ لِحُمُّهَا، وَقَالَ: أَسْتَأْنِسُ بِكُمْ وَأَنْظُرُ مَا أَرَا جُعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي<sup>(٣)</sup>.

وَفِي «سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا دُفِنَ الْمَيِّتُ قَالَ: «سَلُّوا لَهُ التَّثِيثَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسَأَّلُ»<sup>(٤)</sup>.

وَأَمَّا إِقَامَتُهُمْ عِنْدَهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَا يَتَّبِعُ بِهِ.

ضَرَبَتْ امْرَأَةُ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ عَلِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ بِالْبَقِيعِ فُسْطَاطًا سَنَةً،

= فِي «مُسْنَدِهِ» (٩٣٤)، وَبَنَحُوهُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٦٧٥١) (٦٧٥٢) (٦٧٥٣)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٢٥ / ٢)، وَابَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٥١٥٦)، وَلَفْظُهُمْ: «فَإِنْ شَتَمَ فَافْدُوهُ، وَإِنْ شَتَمَ فَاسْلُمُوهُ إِلَى عَذَابِ اللَّهِ».

(١) أَنَشَدَهُ أَبُو الْفَتْوحِ الطَّائِي فِي «الْأَرْبَعِينَ فِي إِرْشَادِ السَّائِرِينَ»، مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا قَالَ: أَنَشَدَنَا أَبُو بَكْرٍ السَّعِيدِيُّ الزَّهْرِيُّ فَذَكَرَ آيَاتًا (ص: ٧٨)، وَهُوَ كَذَلِكَ فِي «التَّدْوِينِ لِأَخْبَارِ قَزْوِينَ» (٣١٢ / ٣).

(٢) فِي (ف): «بِالِاسْتِغْفَارِ».

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي آخِرِ حَدِيثِ طَوِيلٍ (١٢١).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٢١٣).

ثُمَّ نَزَعْتُهُ بَعْدَ السَّنَةِ وَانصَرَفْتُ، فَسَمِعُوا هَاتِفًا بِالْبَقِيْعِ يَقُولُ: هَلْ وَجَدُوا مَا فَقَدُوا؟ فَأَجَابَهُ مُجِيبٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الْآخَرَى: بَلْ يَسُؤُوا فَاَنْقَلَبُوا<sup>(١)</sup>.

لَمَّا دُفِنَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ حَضَرَ جَنَازَتَهُ أَهْلُ الْكُوفَةِ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ابْنُ السَّمَاكِ بِأَعْمَالِهِ الصَّالِحَةِ، وَالنَّاسُ يُصَدِّقُونَهُ عَلَى قَوْلِهِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ النَّهْشَلِيُّ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَا تَكِلْهُ إِلَى عَمَلِهِ، فَأَعْجَبَ النَّاسَ قَوْلُهُ<sup>(٢)</sup>، فَلَمَّا انصَرَفُوا قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: يَا دَاوُدُ! رَجَعْنَا وَتَرَكْنَاكَ، وَلَوْ أَقَمْنَا مَا نَفَعْنَاكَ<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

انصرفت الناس إلى دورهم	وغودر الميت في رمسه
مرتهن النفس بأعماله	لا يرتجي الإطلاق من حبه
لنفسه صالح أعماله	وما سواها فعلى نفسه <sup>(٤)</sup>

وَمَعَ هَذَا؛ فَالْمُؤْمِنُ يُبَشِّرُ فِي قَبْرِهِ بِصَلَاحٍ وَلَيْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ لَتَقَرَّ عَيْنُهُ، وَأَعْمَالُ الْأَحْيَاءِ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِهِمْ مِنَ الْمَوْتَى، فَيُسَرُّونَ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَيَدْعُونَ لِأَهْلِهَا بِالثَّبَاتِ<sup>(٥)</sup> وَالزِّيَادَةِ، وَتَسْوُوهُمْ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ وَيَدْعُونَ لِأَهْلِهَا بِالتَّوْبَةِ وَالْمُرَاجَعَةِ، وَفِي ذَلِكَ آثَارٌ وَأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، قَدْ ذُكِرَتْ فِي «أَهْوَالِ الْقُبُورِ» فِي مَوْضِعٍ آخَرَ، وَتَنْزُلُ

(١) علقه البخاري في الجنائز، قبل حديث (١٣٣٠)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٣١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣٩/٧ - ٣٤٠).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٠٩/٨) وليس فيه ذكر داود، وفي «تاريخ دمشق» (٤٥/٣٠ و ٣٣).

أنه قاله على قبر ابن لعمر بن ذر.

(٤) لم أجد من نسب الأبيات لابن السماك إلا المصنف رحمه الله تعالى، ومن نقل منه. ولم أجد هذا

السياق في القصة مجموعاً كما هنا. وهذه الأبيات الثلاثة ذكرها أسامة بن منقذ غير منسوبة في

«المنازل والديار» (ص: ٦٩). وذكر نحوها ابن الجوزي في «بستان الواعظين» (ص: ٩٦).

(٥) في (ف): «بالتوبة» سبق نظر.

الملائكة عند موت المؤمن بالبشرى له، ويُقال له: لا تخف ممّا أنت قادمٌ عليه، ولا تحزن على من خلفت من أهلك؛ فإن الله يتكفل بهم، فتقرّ عين المؤمن بذلك<sup>(١)</sup>.

فهذا أحدُ الأخلاء الثلاثة، وهو الأهل، يصلون مع خليلهم إلى باب الملك وهو اللحد، ثم يرجعون عنه.

\*\*\*

وأما الخليل الثاني، وهو المال؛ فهو يرجع<sup>(٢)</sup> عن صاحبه أولاً، ولا يدخل معه قبره، ورُجوؤه كناية عن عدم مصاحبته له في قبره ودخوله معه.

وقد فسّر بعضهم المال الرّاجع بمن يتبعه من رقيقه، ثم يرجعون مع الأهل<sup>(٣)</sup>، فلا يتنفّع الميت بشيء من ماله بعد موته إلا بما كان قدّمه بين يديه، فإنّه يقدم عليه وهو داخل في عمله الذي يصحبه في قبره، فأما ما خلفه وتركه فهو لورثته لا له، وإنما كان خازناً له<sup>(٤)</sup> لورثته.

وفي «صحيح مسلم» عن النبي ﷺ، قال: «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت»<sup>(٥)</sup>.

وفيه أيضاً عن النبي ﷺ قال: «يقول العبد: مالي مالي، إنما له من ماله

(١) روى ابن أبي شيبة (٣٦٤٠٤) نحوه عن زيد بن أسلم.

(٢) في (ف): «يرجع».

(٣) قال الداودي: «المراد بالمال: ما يلقي عليه من سريره، وما يلبسه أهله، وما يخرج وراءه من رقيقه» نقله ابن الملقن في «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٦١١/٢٩).

(٤) «له» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن الشخير رضي الله عنه (٢٩٥٨).



ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ، وتاركُه للنَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح البخاري» عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَيْكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: ما مِنَّا إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالٍ وَارِثُهُ، قال: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ»<sup>(٢)</sup>.

فلا يَنْتَفِعُ الْعَبْدُ مِنْ مَالِهِ إِلَّا بِمَا قَدَّمَهُ لِنَفْسِهِ وَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَمَّا مَا أَكَلَهُ وَلَبَسَهُ فَإِنَّهُ لَا لَهُ وَلَا عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ نِيَّةٌ صَالِحَةٌ، وَقِيلَ: بَلْ يُثَابُ عَلَيْهِ مُطْلَقًا، فَأَمَّا مَا أَنْفَقَهُ فِي الْمَعَاصِي فَهُوَ عَلَيْهِ لَا لَهُ، وَكَذَلِكَ مَا أَمْسَكَهُ وَلَمْ يُؤَدِّ حَقَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ فَإِنَّهُ يُمَثَّلُ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَتَّبِعُهُ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ، حَتَّى يَأْخُذَ بِلَهْزِمَتِهِ<sup>(٣)</sup> وَيَقُولُ: أَنَا مَالُكَ أَنَا كَنْزُكَ، وَيُلْقِمُهُ يَدَهُ فَيَقْضِمُهَا قَضَمَ الْفَحْلِ<sup>(٤)</sup>، وَإِنْ كَانَ الْمَكْنُوزُ ذَهَبًا أَوْ فَضَّةً جُعِلَ صَفَائِحَ صَفَائِحَ<sup>(٥)</sup> فَأَحْمِيَ عَلَيْهَا، ثُمَّ كُويَ بِهَا جَبِينُهُ وَجَبْهَتُهُ وَجَنْبُهُ<sup>(٦)</sup>:

لَا تَدْخِرُ غَيْرَ التَّقَى      فَاَلْمَالُ لَا يُدْخِرُ

فَأَخِرُ الْأَمْرِ بِنَا      اعْتَدِلُوا وَاعْتَبِرُوا<sup>(٧)</sup>

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٩٥٩).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (٦٤٤٢).

(٣) اللهازم: أصول الحنكين، وقيل هما العظمان تحت الأذنين. كما في «النهاية».

(٤) أخرج البخاري (١٤٠٣)، ومسلم (٩٨٨) هذا المعنى من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) لم يكررها في (ف).

(٦) روى هذا المعنى مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) في حاشية (ت): «بلغ». ولم أجد هذا الشعر عند غير المصنف رحمه الله.

فَمَنْ تَحَقَّقَ هَذَا، فَلْيُقَدِّمَ لِنَفْسِهِ مِنْ مَالِهِ مَا يُحِبُّ<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّهُ إِذَا قَدَّمَ لَهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ يَنْتَفِعُ بِهِ فِي دَارِ الْإِقَامَةِ، وَإِذَا خَلَّفَهُ كَانَ لغيرِهِ لَا لَهُ، وَقَدْ يَكُونُ هُوَ مِمَّنْ يَحْبِسُهُ عَنِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَرَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ، فَيَتَحَسَّرُ عَلَى ذَلِكَ فَيَدْخُلُ هُوَ بِمَالِهِ النَّارَ، وَيَدْخُلُ وَارِثُهُ بِهِ الْجَنَّةَ.

فَالْعَاقِلُ هُوَ مَنْ قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ مَا يُحِبُّه فَيَفُوزُ بِهِ فِي دَارِ الْإِقَامَةِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً اسْتَصْحَبَهُ مَعَهُ، وَلَا يَدْعُهُ لغيرِهِ فَيَنْدَمَ حِينَ لَا يَنْفَعُهُ النَّدَمُ.

ذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ مُرْسَلاً: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا لِي لَا أَحِبُّ الْمَوْتَ؟ قَالَ: «لَكَ مَالٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَقَدَّمَهُ، فَإِنَّ قَلْبَ الْمَرْءِ مَعَ مَالِهِ إِنْ قَدَّمَهُ أَحَبَّ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ، وَإِنْ أَخَّرَهُ أَحَبَّ أَنْ يَتَأَخَّرَ مَعَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ الْمُلُوكِ لِأَبِي حَازِمٍ الزَّاهِدِ: مَا بَالُنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ؟ قَالَ: لَتَعْظِيمِكَ الدُّنْيَا، جَعَلْتَ مَالَكَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ فَأَنْتَ تَكْرَهُ فِرَاقَهُ، وَلَوْ قَدَّمْتَهُ لَأَخْرَجْتَكَ لِأَحْبَبِ اللُّحُوقِ بِهِ<sup>(٣)</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

كَانَ ابْنُ عُمَرَ لَا يُعْجِبُهُ شَيْءٌ مِنْ مَالِهِ إِلَّا قَدَّمَهُ لِلَّهِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَوْمًا رَاكِبًا عَلَى نَاقَةٍ فَأَعْجَبَتْهُ، فَتَزَلَّ عَنْهَا فِي الْحَالِ، وَقَلَّدَهَا وَجَعَلَهَا هَذِيأً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٤)</sup>، وَكَانَ لَهُ جَارِيَةٌ يُحِبُّهَا حُبًّا شَدِيدًا فَأَعْتَقَهَا، وَزَوَّجَهَا بِمَوْلَاهُ نَافِعٍ، فَوَلَدَتْ لَنَافِعٍ

(١) فِي (ف): «يُحِبُّ».

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ» (٦٣٤)، وَالثَّلْبِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٨٧/٢٢)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٣/٣٥٩) هَكَذَا مُرْسَلاً.

(٣) أَبُو حَازِمٍ سَلَمَةُ بْنُ دِينَارٍ الزَّاهِدُ الْمَدِينِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَوْعِظَتُهُ لِسُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ أَخْرَجَهَا الدَّارِمِيُّ فِي «سُنَنِهِ» (٦٧٣). لَكِنْ جَوَابُهُ ثَمَّةٌ: «لَأَنْكُمْ أَخْرَبْتُمْ الْآخِرَةَ وَعَمَرْتُمْ الدُّنْيَا...».

(٤) انْظُرِ الرِّوَايَاتِ فِي هَذَا فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» لِأَبِي نَعِيمٍ (١/٢٩٤ - ٢٩٥).

أولاداً، فكان ابنُ عمرَ ربَّما أخذَ بعضَ أولادِها فشمَّه، وقال: واهاً لريحِ فلانة، يعني أمَّ ذلك الولد<sup>(١)</sup>.

(١) هذا الأثر أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤/١٥٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١/١٣١).

وذكره الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (الأصل الحادي عشر والمئة) (٢/٦٦). وقد انفرد بآخر القصة: محمد بن يزيد بن خنيس، وهو ليس ممن تلحقه التهمة في دينه. وإنما التهمة لاحقة بمفتون من طُرَّاح السُّنَّةِ وشانئي الصحابة، فاتخذ من هذا الأثر ذريعة إلى الوقعة في عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، واتهامه بالتولُّه في النساء، فشغله مرض قلبه به واهاً لريح فلانة عن أول الأثر، وهو أنها كانت جارية له تحل له بملك اليمين ويحبها حباً شديداً وتعجبه، لكنه لما سمع قول الله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آثر ما عند الله على لذة الدنيا التي كان متمكناً منها، فقدَّمها لله وأعتقها.

على أن محمد بن يزيد بن خنيس قد روى تلك اللفظة المنكرة عن عبد العزيز بن أبي رواد المكي، الذي انفرد بروايتها عن نافع، وقد قال فيه ابن حبان في «المجروحين» (٢/١١٩): «وكان ممن غلب عليه التقشف حتى كان لا يدري ما يحدث به، وروى عن نافع بأشياء لا يشك من الحديث صناعته إذا سمعها أنها موضوعة، كان يحدث بها توهماً لا تعمداً، ومن حدَّث على الحساب وروى على التوهم حتى كثر ذلك منه سقط الاحتجاج به، وإن كان فاضلاً في نفسه».

وقد روى البزار (كشف الأستار ٢١٩٤)، عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال عبد الله: حضرتني هذه الآية ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ فذكرت ما أعطاني الله عز وجل، فلم أجد شيئاً أحبَّ إليَّ من مرجانة - جارية لي رومية - فقال: هي حرة لوجه الله، فلو أني أعود في شيء جعلته الله لنكحتها. وعند عبد بن حميد (الدر المنثور - تفسير آل عمران/ ٩٢) مثله وزاد: فأنكحها نافعاً.

وأخرج أبو داود في «الزهد» (٣١٩) نحوه، وسماها رميثة، وزاد: ثم أنكحها نافعاً مولاه. فَنَقَطُ الكلام من سياقهِ للطعن في الصحابة شناعة في المكر ومرص في القلب، نعوذ بالله من الخذلان. وهذا من ابن عمر رضي الله عنه معدود في المناقب لا في المثالب

وروى أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/٢٩٥) عن عبد الله بن أبي عثمان، قال: كان عبد الله بن عمر أعتق جاريته التي يقال لها: رميثة، وقال: إني سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإني والله إن كنتُ لأحبُّك في الدنيا، اذهبي فانت حرة لوجه الله عز وجل. =

دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي ذَرٍّ، فَجَعَلَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ! أَيْنَ مَتَاعُكُمْ؟ قَالَ: إِنَّ لَنَا بَيْتًا نَوْجُهُ إِلَيْهِ صَالِحٌ مَتَاعِنَا، قَالَ: إِنَّهُ لَا بَدَّ لَكَ مِنْ مَتَاعٍ مَا دُمْتَ هَاهُنَا، قَالَ: إِنَّ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ لَا يَدْعُنَا فِيهِ<sup>(١)</sup>.

يَا جَامِعَ الْأَمْوَالِ بَادِرْ صَرْفَهَا      وَاعْلَمْ بِأَنَّ الطَّالِبِينَ حِثَاثُ  
خُذْ مِنْ تَرَاثِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا      شِرْكَائُكَ الْيَوْمُ وَالْأَحْدَاثُ  
لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعْشَرُ      نَظَرُوا الزَّمَانَ يَعْثُ فِيهِ فَعَاثُوا  
مَا كَانَ فِيهِ فَاضِلًا عَنْ قُوَّتِهِ      فَلْيَعْلَمَْنَّ بِأَنَّهُ مِيرَاثُ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ الْحَسَنُ: بُسْ الرِّفِيقَانِ الدَّرْهَمُ وَالِدِّينَارُ، لَا يَنْفَعَانِكَ حَتَّى يُفَارِقَانِكَ<sup>(٣)</sup>.

= وروى أبو نعيم كذلك، عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ﴾ دعا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما جارية له فأعتقها. وقد رواه الإمام أحمد في «الزهد» (١٠٧٨) عن مجاهد: قال كان ابن عمر قائماً يصلي فأتى على هذه الآية ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نَحِبُّونَ﴾ فأعتق جارية له، وهو يصلي قد أراد أن يتزوجها. أي أعتقها وهو يصلي: أشار إليها بيده.

وروى أبو داود في «الزهد» (٣٠٧) نحوه من وجه آخر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه. وكذلك روى أبو نعيم عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنه: أنه كان لا يعجبه شيء من ماله إلا خرج منه لله عز وجل.

فويلٌ لمُبْغِضٍ مِثْلِ هَؤُلَاءِ الْمَتْبَعِ لِمَا يَظُنُّ مِنْ عَثْرَاتِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ الْعَاثِرُ بِأَذْيَالِ خِيَّتِهِ. نَسَأَ اللَّهُ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ لَنَا وَلِلْمُؤْمِنِينَ.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٦٨).

(٢) الأبيات للشريف الرضي، وهي في «ديوانه» (ص: ١٧٨) من قصيدة في (١٣) بيتاً، وقد جاء أولها: «يا أَمَنَ الْأَقْدَارِ بَادِرْ صَرْفَهَا». «حِثَاثُ»: جمع حِثْثٍ: أي سريع.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/١٥٥).

وقيل لبعضهم: جمع فلان مالا، قال: هل جمع عمرأ ينفقه فيه، قالوا: لا، قال: ما جمع شيئا<sup>(١)</sup>.

جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال أياما تفرقه  
المال عندك مخزون لوارثه ما المال مالك إلا حين تنفقه<sup>(٢)</sup>  
من قدّم اليوم شيئا قدّم عليه غدا، ومن لم يقدّم شيئا قدّم على غير شيء، فطال  
فقره في دار الإقامة.

قال بعض<sup>(٣)</sup> السلف: ابن آدم! إنما تسكن يوم القيامة فيما بنيت، وتنزل يومئذ  
على ما نقلت في حياتك من متاعك<sup>(٤)</sup>.

دخلت امرأة على عائشة قد شلت يدها، فقالت: يا أم المؤمنين! بت البارحة  
صحيحة اليد فأصبحت سلاء، قالت عائشة: وما ذاك؟ قالت: كان لي أبوان مؤسران،  
كان أبي يعطي الزكاة، ويقرى الضيف، ويعطي السائل، ولا يحقر من الخير شيئا إلا  
فعله، وكانت أمي امرأة بخيلة ممسكة لا تصنع في مالها خيرا، فمات أبي، ثم ماتت  
أمي بعده بشهرين، فرأيت البارحة في منامي أبي، وعليه ثوبان أصفران بين يديه

(١) أخرج نحوه الختلي في «الديباج» (٧) مما ذكره أبو محمد النميري بلفظ آخر. وأخرجه ابن أبي الدنيا، ومن طريقه الخطيب البغدادي في «البخلاء» (٣١٠).

(٢) أنشدهما الختلي في «الديباج» (٨) لأبي بكر بن خراش من أبيات. ونسبهما الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٦٩/٢) لأبي بطل، وأنشدهما الخطيب البغدادي من طريق ابن أبي الدنيا عن الحسين بن عبد الرحمن في «البخلاء» (٣١١).

(٣) «بعض» سقطت من (ف).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٧١) من كلام خالد بن يزيد بن معاوية.

نهرٌ جارٍ، قلتُ: يا أبة! ما هذا؟ قال: يا بُنيَّة! مَنْ يعملُ في هذه الدُّنيا خيراً يَرَهُ، هذا أعطانيه اللهُ تعالى، قلتُ: فما فعلتُ أمِّي؟ قال: وقد ماتت أُمُّكِ؟ قلتُ: نعم، قال: هيهات، عدلتُ عنَّا، فاذهبي فالتمسيها ذات الشمال، فملتُ عن شمالي، فإذا أنا بأمِّي قائمةٌ عُريانةً، مُتَزَرَّةٌ بخِرقةٍ بيدها شُحيمَةً، تنادي: والَهفاه، واحسرتاه، واعطشاه، فإذا بلغها الجهدُ دَلَكْتُ تلكَ الشُّحيمَةَ براحتيها ثمَّ لحستها، وإذا بين يديها نهرٌ جارٍ، قلتُ: يا أُمَّة<sup>(١)</sup>! ما لكِ تُنادينَ العطشَ وبين يديكِ نهرٌ جارٍ؟ قالت: لا أتركُ أن أشربَ منه، قلتُ: أفلا أسقيكِ؟ قالت: ودِدْتُ أَنَّكِ فعلتِ، فغَرَفْتُ لها غَرَفَةً فسَقَيْتُها، فلمَّا شَرِبَتْ نادى مُنادٍ من ذاتِ اليمينِ: ألا مَنْ سَقَى هذه المرأةَ شَلَّتْ يمينُهُ، مرَّتينِ، فأصبحتُ سَلَاءَ اليمينِ، لا أستطيعُ أن أعملَ بيمينِي. قالت لها عائشةُ: وعَرَفْتَ الخِرقةَ؟ قالت: نعم يا أُمَّ المؤمنين، وهي التي رأيتها عليها، ما رأيتُ أمِّي تصدَّقتُ بشيءٍ قطُّ إلا أنَّ أبي نَحَرَ ذاتَ يومٍ ثوراً، فجاءَ سائلٌ، فعمدَتُ أمِّي إلى عَظْمٍ عليه شُحيمَةٌ فناولتها إِيَّاه، وما رأيتها تصدَّقتُ بشيءٍ إلا أنَّ سائلاً جاء يسألُ، فعمدَتُ أمِّي إلى خِرقةٍ فناولتها إِيَّاه، فكَبَّرَتْ عائشةُ رضي اللهُ عنها، وقالت: صدَّقَ اللهُ وبلغَ رسولُه ﷺ: «يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» [الزُّلْزَلَةُ: ٧-٨] خرَّجه الحافظُ أبو موسى المَدِينِيُّ في كتابهِ «الترغيب والترهيب» من طريق أبي الشَّيْخِ الأصبهانيِّ الحافظِ، بإسنادٍ حَسَنٍ<sup>(٢)</sup>.

مَنْ خَرَجَ إِلَى سَفَرٍ مِنْ أَسْفَارِ الدُّنْيَا بِغَيْرِ زَادٍ نَدِمَ حَيْثُ يَحْتَاجُ إِلَى الزَّادِ،

(١) «أُمَّة» سقطت من (ف).

(٢) كتاب الحافظ أبي موسى المَدِينِيِّ «الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية»، وهو مفقود. وقد روى هذا الأثر مختصراً: ابن أبي الدنيا في «مجايب الدعوة» (٧١) (٧٢)، والحاكم في «المستدرک» (٤/ ٤٧٢) بسند منقطع، قال الذهبي: «وأما المنام فسنده واه».

فلا ينفعه الندم، وربّما هلك، فكيف بمن رحل إلى سفرٍ آخرة مع طوله ومشقّته بغير زادٍ؟.

السُّقْمُ فِي جِسْمِي لَهُ تَزَادُ وَالْعُمُرُ يَنْقُصُ وَالذُّنُوبُ تُزَادُ  
مَا أَبْعَدَ سَفَرْتِي وَمَالِي زَادُ مَا أَكْثَرَ بَهْرَجِي وَلِي نَقَادُ<sup>(١)</sup>  
كَانَ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ فِي اللَّيْلِ: آه مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ وَبُعْدِ السَّفَرِ وَوَحْشَةِ  
الطَّرِيقِ<sup>(٢)</sup>.

وبكى أبو هريرة عند موته وقال: إِنَّمَا أَبْكِي عَلَى بُعْدِ سَفَرِي وَقَلَّةِ زَادِي<sup>(٣)</sup>.

إِذَا شَكَاهُ مِنْ قَلَّةِ الزَّادِ مَنْ زَادَهُ كَثِيرٌ، فَكَيْفَ يَقُولُ مَنْ لَا زَادَ لَهُ؟

يَا جَامِعَ الْمَالِ مَا أَعَدَدْتَ لِلْحُفَرِ هَلْ يُغْفَلُ الزَّادُ مَنْ أَضْحَى عَلَى سَفَرٍ<sup>(٤)</sup>  
قَالَ ابْنُ السَّمَّالِ: مَا بَكُوا لِسَكْرَةِ الْمَوْتِ، إِنَّمَا بَكُوا لِحَسْرَةِ الْفُوتِ، خَرَجُوا مِنْ  
دَارٍ لَمْ يَتَزَوَّدُوا مِنْهَا، وَقَدِمُوا عَلَى دَارٍ لَا زَادَ لَهُمْ فِيهَا<sup>(٥)</sup>.

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى وَأَبْصَرْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا  
نَدِمْتَ عَلَى أَنْ لَا تَكُونَ شَرِكْتَهُ وَأَرْصَدْتَ مَا قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلِ أَرْصَدَا<sup>(٦)</sup>

(١) ذكرهما ابن الجوزي في «المدح» (ص: ١٩٢) غير منسوبين.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مقتل علي رضي الله عنه» (١٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٨٥).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات نعيم) (ص: ٣٨)، ومن طريق ابن المبارك: عبد الله بن أحمد في زياداته على «الزهد» (٨٣١).

(٤) ذكره ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/ ١١٥٤) من أبيات، غير منسوب.

(٥) أخرجه أبو القاسم الحناني في «فوائده» (١٩٨).

(٦) البيتان للأعشى ميمون بن قيس من قصيدته التي يمدح بها النبي ﷺ - وهو لم يدخل في الإسلام - وهي في «ديوانه» (ص: ١٣٧).

وَأَمَّا الْخَلِيلُ الثَّلَاثُ: فَهُوَ الْعَمَلُ، وَهُوَ الْخَلِيلُ الَّذِي يَدْخُلُ مَعَ صَاحِبِهِ قَبْرَهُ  
فَيَكُونُ مَعَهُ فِيهِ، وَيَكُونُ مَعَهُ إِذَا بُعِثَ، وَيَكُونُ مَعَهُ فِي مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى الصُّرَاطِ،  
وَعِنْدَ الْمِيزَانِ، وَبِهِ تُقْتَسَمُ الْمَنَازِلُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: فِي الْقَبْرِ<sup>(١)</sup>. يَعْنِي أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَكُونُ مِهَادًا لَصَاحِبِهِ فِي  
الْقَبْرِ، حَيْثُ لَا يَكُونُ لِلْعَبْدِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا فِرَاشٌ وَلَا وِسَادٌ وَلَا مِهَادٌ، بَلْ كُلُّ عَامِلٍ  
يَفْتَرِشُ عَمَلَهُ وَيَتَوَسَّدُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

فَالْعَاقِلُ مَنْ عَمَّرَ بَيْتَهُ الَّذِي تَطَوَّلَ إِقَامَتُهُ فِيهِ، وَلَوْ عَمَرَهُ بِخَرَابٍ بَيْتَهُ الَّذِي يَرْتَحِلُ  
عَنْهُ قَرِيبًا لَمْ يَكُنْ مَغْبُونًا بَلْ كَانَ رَاحِبًا.

قَالَ وَهْبُ بْنُ مُنْبِهٍ: قَالَ لَقْمَانُ لِابْنِهِ: يَا بَنِيَّ! لِكُلِّ إِنْسَانٍ بَيْتَانِ؛ بَيْتٌ غَائِبٌ وَبَيْتٌ  
شَاهِدٌ، فَلَا يُلْهِئَنَّكَ بَيْتُكَ الشَّاهِدُ الَّذِي فِيهِ عُمُرُكَ الْقَلِيلُ عَنْ بَيْتِكَ الْغَائِبِ الَّذِي فِيهِ  
عُمُرُكَ الطَّوِيلُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: اْعْمَلْ لِلدُّنْيَا عَلَى قَدْرِ مُكْتِكَ فِيهَا، وَاعْمَلْ لِلْآخِرَةِ عَلَى  
قَدْرِ مُكْتِكَ فِيهَا<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لِابْنِ آدَمَ بَيْتَانِ؛ بَيْتٌ عَلَى ظَهْرِ<sup>(٤)</sup> الْأَرْضِ، وَبَيْتٌ فِي بَطْنِ

(١) هُوَ قَوْلُ مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٦٥٩١). أَيُّ يَمْهَدُونَ فِي الْقَبْرِ.

(٢) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مُرَافِقِ الْمَوَافِقِ» فِي الْوَعْظِ (ص: ٥٧).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «ذَمِّ الدُّنْيَا» (٣٨٦)، وَفِي «الزُّهْدِ» (٤٧٥) مِنْ قَوْلِ مَعْدَانَ.

(٤) «ظَهَرَ» سَقَطَتْ مِنْ (ف).



الأرض، فعمدَ إلى الذي على وجه الأرض فزخرَفه وزَيَّنَه، وجعلَ فيه أبواباً للشَّمالِ وأبواباً للجَنُوبِ، ووضعَ فيه ما يُصلِحُه لِشِئائِه وصَيِّفه، ثمَّ عمدَ إلى الذي في بطنِ الأرض فأخربَه، فإذا قيل: هذا البيتُ الذي أصلَحته كم تقيمُ فيه؟ قال: لا أدري، قيل له: والذي أخربته كم تقيمُ فيه؟ قال: فيه مُقامي، قال: تُقرُّ بهذا على نفسك وأنت رَجُلٌ تعقِلُ<sup>(١)</sup>!

كان عثمانُ بنُ أبي العاصِ رضيَ اللهُ عنه في المقابرِ في جنازةٍ ومعه شابٌّ من أقاربِه فيه بعضُ غفلةٍ، فقال له عثمانُ: اطلِّعْ إلى بيتك، فاطَّلَعَ في القبرِ، فقال له: ما ترى؟ قال: أرى بيتاً ضيقاً يابساً<sup>(٢)</sup> مُظْلِماً ليس فيه طعامٌ ولا شرابٌ ولا زوجةٌ، وقد تركتُ بيتاً فيه طعامٌ وشرابٌ وزوجةٌ، قال: فإنَّ هذا واللهِ بيتُك، قال: صدقتَ، أما واللهِ لو رجعتُ نقلتُ من ذلك إلى هذا<sup>(٣)</sup>.

قال الحسنُ: تبعَ رجلٌ من المسلمينَ جنازةَ أخيه، فلمَّا دُلِّيَ في قبرِه قالَ الرَّجُلُ: ما أرى تبعَكَ مِنَ الدُّنيا إلَّا ثلاثةُ أثوابٍ، أما واللهِ لقد تركتُ بيتي كثيرَ المتاعِ، أما واللهِ إن أقالني اللهُ حتَّى أرجعَ لأُقدِّمَنَّهُ بين يديَّ، قال: فرجعَ فقدمَه اللهُ بين يديه فكانوا يَرَوْنَ أَنَّهُ هو<sup>(٤)</sup>.

كان عمرُ بنُ عبدِ العزيز، يُنشدُ هذه الأبياتَ كثيراً:

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٤)، ومن طريقه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٣/٣٨).

(٢) «يابساً» سقطت من (ف).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١١٣٤) (٢٣٦٦)، وابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٥).

(٤) أي أنه هو الحسن رحمه الله تعالى. ولم أجد هذا الأثر عند غير المصنف رحمه الله، وقد وقع في

المطبوعات، ومن بعض من نقله عن المصنف في الغلط، حيث وصلوا به قوله: «كان عمر بن

عبد العزيز» في الخبر الآتي، ومنهم من زاد حروفاً ليست فيه.

مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ      أَوِ الْغَبَارُ يَخَافُ الشَّيْنَ وَالشَّعْنَ  
وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كِي تَبْقَى بِشَاشَتُهُ      فَسَوْفُ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدْنَا  
فِي ظِلِّ مُقْفِرَةٍ غُبراءِ مُظْلَمَةٍ      يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَى فِي غَمِّهَا اللَّبَا  
تَجْهَزِي بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ      يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخْلَقِي عَبَا<sup>(١)</sup>  
الْمُؤْمِنِ يَأْتِيهِ عَمَلُهُ الصَّالِحُ فِي قَبْرِهِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَيُشِيرُهُ بِالسَّعَادَةِ مِنَ اللَّهِ،  
وَالْكَافِرُ بِعَكْسِ ذَلِكَ.

وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ تُحِيطُ بِالْمُؤْمِنِ فِي قَبْرِهِ.

فِي «صَحِيحِ ابْنِ حِبَّانَ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُؤَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالصَّوْمُ عَنْ شِمَالِهِ، وَفَعَلَ الْخَيْرَاتِ وَالْمَعْرُوفُ وَالْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ مِنْ قَبْلِ رَجُلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قَبْلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: لَيْسَ قَبْلِي مَدْخَلٌ»، وَذَكَرَ سَائِرَ الْأَعْمَالِ كَذَلِكَ، وَقَالَ فِي الْكَافِرِ: «يُؤْتَى مِنْ هَذِهِ الْجِهَاتِ فَلَا يُوَجِّدُ شَيْءًا، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا»<sup>(٢)</sup>.

قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: إِذَا وُضِعَ الْمَيِّتُ فِي لَحْدِهِ، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَأْتِيهِ عَمَلُهُ، فَيَضْرِبُ فِخْذَهُ الشِّمَالِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ، فَيَقُولُ: فَأَيْنَ أَهْلِي وَوَلَدِي وَعَشِيرَتِي وَمَا خَوَّلَنِي اللَّهُ؟ فَيَقُولُ: تَرَكْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ وَعَشِيرَتَكَ وَمَا خَوَّلَكَ اللَّهُ وَرَاءَ ظَهْرِكَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مَعَكَ قَبْرَكَ غَيْرِي، فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي أَتَرْتُكَ عَلَى أَهْلِي وَوَلَدِي وَعَشِيرَتِي وَمَا خَوَّلَنِي اللَّهُ إِذْ لَمْ يَدْخُلْ مَعِيَ غَيْرُكَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أَنَشَدَهُ الْقَالِي فِي «أَمَالِيهِ» (٣١٩/٢) عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ شِعْرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الْقُرَشِيِّ. وَالرَّافِعِي فِي «تَارِيخِ قُزُوفِينَ» (١/١٨٠).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٣١١٣)، وَالْحَاكِمُ (٣٧٩/١ - ٣٨٠) وَصَحَّحَهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ.

(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْخَوْلَانِيُّ فِي «تَارِيخِ دَارِيَا» (ص: ٤٨).

قَالَ يَزِيدُ الرَّقَاشِيُّ: بَلَغَنِي أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ اِحْتَوَشَتْهُ أَعْمَالُهُ، ثُمَّ أَنْطَقَهَا اللَّهُ، فَقَالَتْ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الْمَنْفِرْدُ فِي حُفْرَتِهِ! انْقَطَعَ عَنْكَ الْأَخْلَاءُ وَالْأَهْلُونَ، فَلَا أُنِيسَ لَكَ الْيَوْمَ غَيْرُنَا، ثُمَّ بَكَى يَزِيدُ وَقَالَ: طُوبَى لِمَنْ كَانَ أُنِيسُهُ صَالِحًا، وَالْوَيْلُ لِمَنْ كَانَ أُنِيسُهُ وَبَالًا<sup>(١)</sup>.

تَزَوَّدَ قَرِينًا مِنْ فَعَالِكَ إِنَّمَا قَرِينُ الْفَتَى فِي الْقَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ  
وَإِنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بِشَيْءٍ فَلَا تَكُنْ بِغَيْرِ الَّذِي يَرْضَى بِهِ اللَّهُ تُشْغَلُ  
فَلَنْ يَصْحَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ إِلَى قَبْرِهِ إِلَّا الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ  
إِلَّا إِنَّمَا الْإِنْسَانُ ضَيْفٌ لِأَهْلِيهِ يُقِيمُ قَلِيلًا عِنْدَهُمْ ثُمَّ يَرَحُلُ<sup>(٢)</sup>  
انتهى.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ<sup>(٣)</sup>.

فَتَنَّبَهُ أَيُّهَا الْغَافِلُ لِأَمْرِكَ، قَبْلَ أَنْ تُرْهَنَ بِعَمَلِكَ فِي قَبْرِكَ، وَتَزَوَّدَ لَطُولِ سَفَرَتِكَ، فَكَأَنَّكَ بِكَ فِي حُفْرَتِكَ، وَتَاهَبْتَ بِتَحْوِيلِ عُذَّتِكَ، قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّتِكَ، قَبْلَ حُلُولِ النَّدَامَةِ، وَوُرُودِ الْأَهْوَالِ دُونَ الْقِيَامَةِ، قَبْلَ أَنْ تَخْلُوَ فِي قَبْرِكَ بِالْأَعْمَالِ، وَتَنْصَرِفَ مُشِيعُوكَ بِالْأَمَالِ، يَتَحَدَّثُونَ فِي قِسْمَةِ مَا خَلَقْتَ مِنَ الْعَقَارِ وَالْأَمْوَالِ.  
تم<sup>(٤)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَاد» (٤/ ٦٦٤)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْق» (٨٨/ ٦٥). اِحْتَوَشَتْهُ: أَحَاطَتْ بِهِ.

(٢) مِمَّا قَرِئَ عَلَى قَبْرِ ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مَثِيرِ الْغَرَامِ السَّاكِنِ إِلَى أَشْرَفِ الْأَمَاكِنِ» (ص: ٥١٥).

(٣) «إِلَى يَوْمِ الدِّينِ» لَيْسَ فِي (ف).

(٤) «تَم» مِنْ (ف)، وَفِي حَاشِيَتِهَا بِخَطِّ آخِرٍ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ طَالَعَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةَ الشَّرِيفَةَ، فَوَجَدْتُهَا نَافِعَةً مَفِيدَةً، رَحِمَ اللَّهُ لِمُؤَلِّفِهَا وَلِمَنْ طَالَعَهَا آمِينَ». وَرَحِمَنَا اللَّهُ، وَكُلٌّ مِنْ نَظَرٍ فِيهَا، آمِينَ.

شَرْحُ حَدِيثِ  
((إِنَّ أَعْظَمَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي  
لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَاذِ))







## بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي شرح قلوب أوليائه للانقطاع إليه، ودلهم بآياته وآلائه عليه، فانصرفوا عن علائق الخلائق، وأقبلوا على معادن الحقائق، وقنعوا من الدنيا بالقليل، وأيقنوا منها بالرحيل، فكان لهم الغبطة والابتهاج بالأجر الجزيل. والصلاة والسلام على معلم الناس الخير وهاديهم، السراج المنير سيدنا محمد البشير النذير، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن قلة العلائق والعوائق من مشاغل الدنيا وملهياتها، معينة على الانقطاع إلى خالق البريات، واستنفاد الأوقات بالقربات والطاعات، بعيداً عن هموم الحياة من طلب الأموال والحرص عليها وصيانتها والقيام بها، ومن كثرة الأهل والعيال وتحمل مسؤولياتهم.

وهذا ما عبّر عنه هذا الحديث الشريف الذي نحن بين يديه «مؤمن خفيف الحاذق»، وذلك من باب الاستعارة والكناية عن قلة المسؤوليات والتبعات التي تمنع الإنسان من الانصراف إلى عمارة آخرته.

فإذا اغتنم من كان حاله كذلك أوقاته، فكان له حظ من الصلاة وإحسان العبادة، بعيداً عن مراعاة الناس، ونظرهم والنظر إليهم، وصبر على ذلك، وأتته منيته، فسارع



إلى لقاء ربه غير تارك وراءه ميراثاً يختصم فيه الورثة، أو ذكراً يلهج به الناس بعده، كان في محل الغبطة والتهنئة على تلك الحال.

وقد شرح الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى هذا الحديث بأسلوبه المشوق، مكثراً من سرد القصص والحكايات التي تثبت الأفضة، وتشرح الصدور، وفيها جلاء القلوب من أحوال الصالحين الذين هدى الله.

والحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب أوليائه.

\*\*\*

ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠) بالاسم الذي أثبتناه، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦).

وقد اعتمدت في إخراجها على نسختين خطيتين:

١- النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي الرسالة السادسة عشرة من المجموع (١٥٧) - وقد سبق وصفه في المقدمات - وتقع في (٨) لوحات (من ١٥١ / ب إلى ١٥٨ / ب)، وهي مقابلة وعليها تصحيحات وبعض تعليقات، وإثبات مطالب في الحواشي.

لم يذكر اسم الناسخ، ويرجع تاريخ نسخ المجموع إلى ٨٥٢.

٢- نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة الخامسة عشرة من المجموع (٥٣١٨)، وقد سبق وصفه في المقدمات وتقع في (١٤) لوحة (من ١٩٩ / أ إلى ٢١٢ / أ).

ويوجد للكتاب مختصران مخطوطان:

وقفت على الأول في أحد المجاميع في اصطنبول، وهو في لوحتين. انتقاه مختصراً محمد بن النصيف الحنفي سنة ٨٩٣هـ، ولم أقف على ترجمته، لكنه عالم فاضل كما يبدو من مجموعته.

والثاني: «أمر حسنة منتخبة من شرح حديث: إن أغبط أوليائي عندي لمؤمن خفيف الحاذ» وهو في المكتبة المركزية بالرياض (٤٢٤).

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

\*\*\*



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنِ يَا كَرِيمٌ<sup>(١)</sup>

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا<sup>(٢)</sup> محمد وآله وصحبه أجمعين<sup>(٣)</sup> وسلم تسليماً.

خرَجَ الإمامُ أحمدُ، والترمذيُّ، وابنُ ماجَه من حديث أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لِمُؤْمِنٍ خَفِيفُ الْحَاذِ، ذُو حَظٍّ مِنَ الصَّلَاةِ، أَحْسَنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ، وَكَانَ غَامِضاً فِي النَّاسِ لَا يُشَارُ لَهُ بِالأَصَابِعِ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً فَصَبَرَ عَلَى ذَلِكَ». ثُمَّ نَقَرَ بِيَدِهِ فَقَالَ: «عُجِّلْتُ مَنِيَّتُهُ، قَلَّتْ بَوَاكِيهِ، قَلَّ ثَرَاؤُهُ». وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وَاللَّفْظُ لَهُ<sup>(٤)</sup>.

ولفظ ابن ماجه: «أَغْبَطُ النَّاسِ عِنْدِي»، والباقي بمعناه، ولم يذكر: نقر بيده.

(١) «يا كريم»: من (ف).

(٢) «سيدنا»: من (ف).

(٣) «أجمعين»: من (ت).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧). وهو عند الإمام أحمد (٢٢١٦٧)، (٢٢١٩٧)، (٢٢١٩٨)، وابن ماجه

(٤١١٧). وأخرجه الحاكم (١٢٣/٤)، وقال: «هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم، ولم يخرجاه»،

قال الذهبي: «لا بل إلى الضعف ما هو». ولم يتطرق المصنف رحمه الله مع حفظه وإمامته إلى

الخوض في حال الحديث، وكأنه اكتفى بتحسين الترمذي، فقد روي عن أبي أمامة رضي الله عنه

من طرق كلها ضعيفة فلمعله رآها تنهض بالحديث، والله أعلم.

قوله ﷺ: «أَغْبَطُ أَوْلِيَائِي عِنْدِي»:

الاجتباط هو: الفرحُ والشُّرورُ، والابتهاجُ بالنَّعمة، سواءً كانت على الإنسانِ أو على غيره محبةً لذلك الغير، وتهنئةً له بما وصلَ إليه، وسواءً كان المعبطُ له أعلى منزلةً من المعبوطِ أو مُساوياً أو دونَه.

فأمَّا مع علوِّ المنزلةِ فكما في هذا الحديث، وفي حديث: «إِنَّ اللَّهَ عِبَاداً لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»<sup>(١)</sup>، وفَسَّرَهُمَ بِالْمُتَحَابِّينَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وليس المرادُ أَنَّ الْأَنْبِيَاءَ يَتَمَنُّونَ أَنَّهُمْ بِمَنْزِلَتِهِمْ لِقُصُورِهِمْ عَنْ دَرَجَتِهِمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَتَهَيَّجُونَ وَيُسْرُونَ بِمَا لَهُمْ بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ مَنْ فَسَّرَ الْغِبْطَةَ بِتَمَنِّيٍّ مِثْلِ نِعْمَةِ الْمَغْبُوطِ مِنْ غَيْرِ زَوَالِهَا عَنْهُ بِخِلَافِ الْحَسَدِ فَإِنَّهُ تَمَنِّيٌّ زَوَالِ نِعْمَةِ الْمَحْسُودِ لَيْسَ ذَلِكَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، وَإِنَّمَا هِيَ<sup>(٢)</sup> فِي غِبْطَةِ الْأَدْنَى لِلْأَعْلَى خَاصَّةً.

(١) روي هذا المعنى من حديث عدد من الصحابة رضي الله عنهم: منها حديث عمر بن الخطاب، أخرجه أبو داود (بعد ٣٥٢١) وهو من رواية ابن داسة، ومنها حديث معاذ، أخرجه الترمذي (٢٣٩٠)، وقال: «حسن صحيح».

وجاء في حاشية (ت): «قف على معنى الغبطة، ومعنى حديث: «يغبطهم النبيون والشهداء» فإنه حسن جداً، لم أره لغيره، وقد فسره ابن عباد في «رسائله الكبرى»، والشهاب بحاشية «البيضاوي» في تفسير سورة يونس، وفيه ما فيه، وأما هذا التفسير الذي ذكر هذا السيد فما بعده في التحقيق مرقى، فاعرفه. رحمه الله رحمة واسعة أمين. لكاتبه أحمد بن عبد الله السوسي غفر الله له ولوالديه ولذريته آمين». وتفسير ابن عباد النفزي الرندي، المتوفى سنة ٧٩٢ رحمه الله، في الرسالة الأولى من رسائله المسماة: «نزهة الناظر المتأمل وقيد السائر المستعجل»، (١/ ١٢) دار الكتب العلمية. نقله عن أبي عبد الرحمن السلمي.

وكلام الشهاب في حاشيته على البيضاوي (٤٦/٥).

(٢) رسمت في (ت): «هذا»، ثم أصلحت إلى: «هي».

وقوله: «أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي» يشير ﷺ إلى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَهُوَ مِنْ خَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يُسَرُّ بِمَنْ كَانَ مِنْ أُمَّتِهِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَيَفْرَحُ بِهِ، وَيَهْنَأُ بِمَا حَصَلَ لَهُ مِنَ السَّعَادَةِ، وَلِذَلِكَ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَأَوْلِيَاءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

وصحَّ عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ وَلِيَّيَ اللَّهِ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»<sup>(١)</sup>.

وفي حديثٍ آخَرَ: «إِنَّ أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحِثُ كَانُوا»<sup>(٢)</sup>. وكذلك هم أَوْلِيَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [٦٢] الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يونس: ٦٢ - ٦٣].

فَمَنْ كَانَ أَعْظَمَ إِيْمَانًا وَتَقْوَى فَهُوَ أَعْظَمُ وَلَايَةِ اللَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَلِهَذَا قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَغْبَطَ أَوْلِيَائِي عِنْدِي لِمُؤْمِنٍ»، وَالْمُؤْمِنُ إِذَا أُطْلِقَ لَا سِيَّمَا فِي مَقَامِ الْمَدْحِ فَإِنَّمَا يَرَادُ بِهِ مَنْ كَمَلَ إِيْمَانُهُ بِفِعْلِ الْوَاجِبَاتِ وَتَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ، وَرَبَّمَا أُرِيدَ بِهِ مَنْ قَامَ بَعْدَ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ لِأَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ دَاخِلٌ فِي اسْمِ الْإِيْمَانِ.

وقوله: «خَفِيفُ الْحَاذِ» فَسَّرَهُ الْأَصْمَعِيُّ بِقِلَّةِ الْمَالِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَيُفْسَّرُ أَيْضًا بِقِلَّةِ الْعِيَالِ<sup>(٤)</sup>، وَيَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُ أَبِي ذَرٍّ: لِيَأْتِيَنَّ

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥٢) من حديث معاذ رضي الله عنه، ولفظه: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ

مَنْ كَانُوا وَحِثُ كَانُوا»، وأخرجه ابن حبان (٦٤٧)، والطبراني في «الكبير» ٢٠ (٢٤١).

(٣) «غريب الحديث» لإبراهيم الحربي (١١٨٩/٣).

(٤) لم أجد هذا في «غريب الحديث»، وإنما وجدت فيه (٧٦٥/٣) شرحاً لكلام أبي ذر الآتي: «معناه

إِنَّ الْأَنْمَةَ كَانَتْ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ يَرْزُقُونَ عِيَالَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَذُرَارِيَهُمْ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ، فَكَانَ أَبُو الْعَشْرَةِ مَغْبُوطاً بِكَثْرَةِ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ أَرْزَاقِهِمْ، ثُمَّ يَقْطَعُ السُّلْطَانُ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدَ، فَيَغْبُطُ الرَّجُلَ بِالرَّحْدَةِ، لَخَفَةِ الْمُؤُونَةِ وَيُرْثِي لِذِي الْعِيَالِ».

عليكم زمانٌ يُغَبِّطُ الرَّجُلُ فيه بخَفَّةِ الحاذِ، كما يُغَبِّطُ اليومَ فيكم أبو عَشْرَةٍ. خَرَّجَهُ أبو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ<sup>(١)</sup>.

وخرَّجَ ابنُ عَدِيٍّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ مَرْفُوعاً: «خَيْرُكُمْ فِي الْمَائَتِينَ كُلُّ خَفِيفِ الْحَاذِ» قَالُوا: وَمَا خَفِيفُ الْحَاذِ؟ قَالَ: «الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

وهو مِنْ بَابِ الاستعارة والكناية، لأنَّ أَصْلَ الْحَاذِ هو اللَّحْمُ، كما يقالُ: خَفِيفُ الظَّهْرِ.

فَأَمَّا قَلَّةُ الْمَالِ: فهو ممَّا<sup>(٣)</sup> يُغَبِّطُ به صاحِبُهُ في الدُّنْيَا إِذَا صَبَرَ على ذلك أو رَضِيَ به، وسنذكرُ ذلك في تفسِيرِ قَوْلِهِ: «وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافاً فَصَبَرَ عَلَيْهِ» إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا قَلَّةُ الْعِيَالِ: فهو ممَّا يُغَبِّطُ به الْمُؤْمِنُ أحياناً لاسِيَّما مع فَقْرِهِ وَحَاجَتِهِ، ولهذا يقالُ: قَلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارِينِ<sup>(٤)</sup>؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْعِيَالِ قَدْ يَحْمِلُ الْمُؤْمِنَ على طَلَبِ

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٦٣/١)، وأخرجه بطوله ابن أبي الدنيا في «المتمين» (١٠٩)، و«النفقة على العيال» (٤٤١)، والمعافى بن عمران في «الزهد» (٥٠).

(٢) مدار هذا الحديث على أبي عصام رَوَّاد بن الجراح وقد أنكر عليه، وهو أيضاً قد اختلط. رواه عنه عباس الترقفي في حديثه (٢) وعن عباس أخرجه: ابن الأعرابي في «معجمه» (١٨٣٠)، وابن المقرئ في «معجمه» (١١٠٦)، وابن عدي في «الكامل» في ترجمة رواد، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٤٩/٧٧) (٧٤/١٣) وغيرهم. وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٦٩/٢) من طريق آخر عن رَوَّاد، قال أبو حاتم في «علل الحديث» (١٨٩٠): حديث باطل، وقال أيضاً: (٢٧٦٥): منكر.

تنبيه: ورد في بعض المصادر بلفظ «لا أهل له ولا مال» وهو تصحيف.

(٣) في (ف): «ما».

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١٣٦/٧) وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (١٠٣) من كلام سعيد بن المسيب رحمه الله. ويروى مرفوعاً بسند ضعيف.

الرِّزْقِ لَهُمْ مِنَ الْوُجُوهِ الْمَكْرُوهَةِ، وَلِهَذَا وَقَعَ فِي كَلَامٍ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ ذَمُّ الْعِيَالِ.  
فَكَانَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ يَقُولُ: لَا يُعْبَأُ بِصَاحِبِ عِيَالٍ، فَقَلَّمَا رَأَيْتُ صَاحِبَ عِيَالٍ  
إِلَّا خَلَطَ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ يَقُولُ: لَا أَعْتَدُ بِعِبَادَةِ رَجُلٍ لَهُ عِيَالٌ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ: لَوْ حَدَّثْتُ عَنْ ذِي الْعِيَالِ أَنَّهُ كَفَرَ مَا أَبْعَدْتُ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ: صَاحِبُ الْعِيَالِ لَا يَكُونُ وَرِعًا أَبَدًا<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ: مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ رَكِبَ الْبَحْرَ، فَإِنْ وَلَدَ لَهُ فَقَدْ كَسِرَ بِهِ<sup>(٥)</sup> الْمَرْكَبُ<sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ: كَانَتْ لَنَا هِرَّةٌ لَا تُؤْذِنُنَا فَلَمَّا وَلَدَتْ كَشَفَتِ الْقُدُورَ<sup>(٧)</sup>.

وَعَاتَبَ سَفِيَانُ رَجُلًا مِنْ كُتَّابِ الْأَمْرَاءِ عَلَى كِتَابَتِهِ مَعَهُمْ<sup>(٨)</sup>، وَقَالَ لَهُ سَفِيَانُ:  
كَلَّمَا دُعِيَ بِأَمِيرٍ مِمَّنْ كَتَبْتَ لَهُ دُعِيتَ أَنْتَ مَعَهُ، فَسُئِلْتَ عَمَّا جَرَى عَلَى يَدِكَ، فَأَنْتَ  
أَسْوَأُهُمْ حَالًا، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: فَكَيْفَ أَصْنَعُ بِعِيَالِي؟ فَقَالَ سَفِيَانُ: اسْمَعُوا هَذَا!

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣٨١ / ٦)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الزَّهْدِ» (٤٤٠)، وَفِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٩٣١٢).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣٨٨ / ٦).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (١٩ / ٧).

(٤) نَسَبَهُ الثَّعَالِبِيُّ فِي «الَلَطَائِفِ وَالظَّرَائِفِ» (ص: ١٧٤) إِلَى سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ، وَفِي «الزَّهْدِ» لِلْبَيْهَقِيِّ (٤٤٠)، مِنْ كَلَامِ سَفِيَانَ الثَّوْرِيِّ: صَاحِبُ الْعِيَالِ لَا يَكُونُ رَجُلًا صَالِحًا.

(٥) «بِهِ» سَقَطَتْ مِنْ (ف).

(٦) أَخْرَجَهُ الدِّينُورِيُّ فِي «الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ» (٣٦٦)، وَالْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الْجَامِعِ لِأَخْلَاقِ الرَّائِي وَآدَابِ السَّامِعِ» (٦٦).

(٧) أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الزَّهْدِ» (٤٤١) لَكِنْ عَنْ سَفِيَانَ بْنِ عَيْنَةَ.

(٨) فِي حَاشِيَةِ (ت): «قَفَ عَلَى كُتَّابِ الْأَمْرَاءِ وَمَا عَلَيْهِمْ».



يقول: إذا عصى الله رزق عياله، وإذا أطاع الله ضيع عياله! ثم قال سفيان: لا تعتدوا بصاحب عيال، فما كان عذر من عوتب إلا أن قال: عيالي<sup>(١)</sup>.

وقال: يؤمر بالرجل إلى النار يوم القيامة فيقال: هذا عياله أكلوا حسناته<sup>(٢)</sup>.

ولما ولي شريك قضاء الكوفة هجره سفيان، وقال: أي رجل أفسدوه! فقال شريك: لو كان لسفيان بنات أفسدوه أكثر مما أفسدوني<sup>(٣)</sup>.

وقد<sup>(٤)</sup> يستدل على فضل قلة العيال بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُعِدُّوا فَوْجَدهً أَوْ مَملَكَةً آمَنَكُمُ ذَلِكَ أَذَىٌّ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣] على تفسير من فسره بكثرة العيال<sup>(٥)</sup>، ولكن الجمهور على تفسيره بالجور والخياف<sup>(٦)</sup>؛ فإن ملك اليمين قد تكثر به الأولاد أكثر من الزوجات الأربع، فإنه لا ينحصر في عدد.

وكان الإمام أحمد يكثر على من كره كثرة الأزواج والعيال<sup>(٧)</sup>، ويستدل بحال النبي ﷺ وأصحابه من كثرة أزواجهم وعيالهم، وبمثل قوله: «تزوجوا الودود»

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٣٨٠) وسفيان هو الثوري.

(٢) أخرجه ابن الجعد في «مسنده» (١٩٠٧) وابن أبي الدنيا في «النفقة على العيال» (٤٥١)، وابن أبي

حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٩٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٨١).

(٣) نقله الذهبي في «تاريخ الإسلام» (١٠/ ٢٣٩ - ط تدمري). وقد كان سفيان متزوجاً ومات له ولد

في حياته. انظر: «الحلية» (٦/ ٣٨١).

(٤) في (ف): «ومما».

(٥) وهو المشهور عن الإمام الشافعي رحمه الله.

(٦) وهو قول ابن عباس والجمهور. انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٣٧٥ - ٣٧٩).

(٧) انظر: «الورع» للإمام أحمد (ص: ١٢٤ - ١٢٧).

الولود، فإني أكاثُرُ بكم الأمم يومَ القيامة»<sup>(١)</sup>، ولكنه يأمرُ مع هذا بطلبِ الحلالِ والكسبِ والصَّبرِ على الفقرِ وإن شقَّ.

فالإمامُ أحمدُ أمرَ بما جاءَ الأمرُ به في الشرعِ، وسفيانُ نظرَ إلى قلةِ صبرِ النَّاسِ، و<sup>(٢)</sup> إلى ما يؤوُلُ إليه حالُّهم عند كثرةِ عيالِهم من تركِ الورعِ والتَّكسُّبِ من الوجوهِ المكروهةِ، وهذا هو الغالبُ على النَّاسِ لاسيَّما مع قلةِ العِلْمِ والصَّبرِ، وأمَّا حالُ الصَّابرينَ على العيالِ المحافظينَ على الورعِ معهم فعزیزٌ جدًّا، كحالِ الفضيلِ لَمَّا دخلَ عليه الرَّشيدُ فأعطاه ألفَ دينارٍ، فأبى أن يأخذَها، فخرَجَ عنه، فجاءَ إليه<sup>(٣)</sup> عياله فقالوا له: لو قَبِلْتَ هذا المالَ ففرَّجْتَ به عَنَّا<sup>(٤)</sup>، قال: مثلي ومثلكم كمثلي رجُلٍ<sup>(٥)</sup> كان لهم جملٌ يستَقُون<sup>(٦)</sup> عليه، فلمَّا كَبِرَ نَحْرُوهُ فَأَكَلُوا لَحْمَهُ<sup>(٧)</sup>.

وكان الإمامُ أحمدُ له عيالٌ، وكان يومَ لا يكونُ عنده شيءٌ يفرحُ بذلك<sup>(٨)</sup>، وقال: أَسْرُ أَيَّامِي إِلَيَّ<sup>(٩)</sup> يومَ أَصْبَحُ وليس عندي شيءٌ، فجاءه ولدٌ له صغيرٌ عَقَبَ

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٠٣٤٣) عن ابن سيرين مرسلًا. ولفظه: «السوداء الولود».

(٢) «و» سقطت من (ف).

(٣) في (ف): «بعض» وعليها علامة كأنها إلغاء.

(٤) في حاشية (ف) كتب أحدهم: «فافهم ترشد».

(٥) في حاشية (ت): «لعله قوم».

(٦) في حاشية (ت): «يَسْتُون» نسخة.

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» في خبر طويل (٨/ ١٠٧)، والخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق

الراوي وآداب السامع» (٨٤١) (٨٤٢).

(٨) «بذلك» سقطت من (ف).

(٩) «إلي» سقطت من (ف).

هذا الكلام، وطلب منه شيئاً، فقال له: ليس عندي أية قطعة ولا عندي شيء<sup>(١)</sup>.  
وأرسل يوماً إليه عياله يقولون له<sup>(٢)</sup>: ليس عندنا اليوم دقيق أو قالوا خبز، فقال  
لهم: الساعة، ثم أبطأ عليهم، فعاودوه فقال: الساعة، فدق عليه رجل الباب، فإذا هو  
رجل من خراسان قد أرسل معه إليه بخمسة آلاف درهم، فأبى أن يأخذها وردّها<sup>(٣)</sup>.  
كان فتح الموصل يجمع عياله في ليالي الشتاء، ويمدّ كساءه عليهم ويقول:  
أجعتني وأجعت عيالي، وأعرتني وأعرت عيالي، فبأي وسيلة توصلت بها إليك  
حتى تفعل هذا بي، وإنما تفعل هذا بأوليائك وأحبائك، فهل أنا منهم حتى أفرح<sup>(٤)</sup>.  
وعرّيت ابنة له، فقيل له: لو طلبت من أحد أن يكسوها، فقال: أدعها حتى  
يرى الله عريتها، وصبري على ذلك<sup>(٥)</sup>.

وجيء إلى عبد الصمد الزاهد بمال، فأبى أن يقبله، فقالوا له: تصدّق به،  
فقال لأصحابه: من كانت له حاجة إلى شيء فليأخذ، فتوزّع أصحابه بقدر  
حاجاتهم، فجاء إليه بُني له صغير يكي، فقال: أنا جائع، فقال: اذهب فخذ عليّ  
من البقال ربع رطل تمر<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٦٤-٣٦٥) و(ص: ٣٣٤).

(٢) «له» سقطت من (ت).

(٣) أخرجه مطولاً ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣١٩).

(٤) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/٣٦١). وفي حاشية (ف): «مهم: نظر دقيق وسر عظيم».

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/٣٦١). وفي حاشية (ت): «وعريت: بفتح العين قیده

الجوباري». ومعنى عريت: لم يبق لها ثياب لفقرها.

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/٣١١)، وابن الجوزي في «القصاص والمذكرين»

(١٦٠). وليس فيه ذكر البكاء والجوع.

إخواني! الطَّعُّ إِلَى التَّوَسُّعِ فِي الدُّنْيَا يَحِنُّ، وَالْوَلَدُ يَطْلُبُ مَا يَشْتَهِي،  
وَالزَّوْجَةُ تَطْلُبُ سَعَةَ النَّفَقَةِ، وَالْوَرَعُ يَمْنَعُ مِنَ التَّوَسُّعِ، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ  
وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا.

كَانَ<sup>(١)</sup> الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَدْ امْتَنَعَ أَنْ يَأْخُذَ مِنَ الْخَلِيفَةِ شَيْئًا مِنْ مَالِ بَيْتِ الْمَالِ،  
وَاقْتَنَعَ بِكَرِّي حَوَانِيتَ لَهُ، كَانَتْ تَغْلُ فِي الشَّهْرِ عِشْرِينَ دِرْهَمًا أَوْ أَقَلَّ، فَأَخَذَ أَوْلَادُهُ  
مِنَ الْخَلِيفَةِ، فَهَجَرَهُمْ لِذَلِكَ<sup>(٢)</sup>، فَكَانَتْ أُمُّ وَلَدِهِ تُعَاتِبُهُ، وَتَقُولُ لَهُ<sup>(٣)</sup>: أَنَا مَعَكَ فِي  
ضَيْقٍ وَأَوْلَادُكَ يَأْكُلُونَ وَيَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ، فَيَقُولُ لَهَا: قُولِي خَيْرًا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ صَبِيٌّ لَهُ  
صَغِيرٌ يَبْكِي، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ؟ قَالَ: زَيْبٌ، قَالَ: اذْهَبْ فَخُذْ مِنَ الْبَقَالِ بَحْبَةً<sup>(٤)</sup>.

كَمْ أَحْمَلُ فِي هَوَاكَ كَلًّا وَعَنًا      كَمْ أَصْبِرُ فَيْكَ تَحْتَ سُقْمٍ<sup>(٥)</sup> وَضَنَا  
لَا تَطْرُدْنِي فَلَيْسَ لِي عَنْكَ غِنَى      هَذَا حَالِي فَإِنْ رَحِمْتُمْ فَأَنَا<sup>(٦)</sup>  
غَيْرُهُ:

مِنْ أَجْلِ هَوَاكُمُ هَجَرْتُ<sup>(٧)</sup> الْخَلْقَ      لَمْ يُبَقِ حَقُّكُمْ لِنَفْسِي حَقًّا

(١) فِي (ف): «فَإِنْ كَانَ»، وَالزِّيَادَةُ لَعَلَّهَا سَبَقَ قَلَمٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَد» (ص: ٥١٣-٥١٨)، وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْحَوَانِيتِ.  
وَفِي حَاشِيَةِ (ف): «وَرَعٌ عَظِيمٌ مِنْ إِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ نَفَعَنَا اللَّهُ تَعَالَى  
بِشِفَاعَتِهِ».

(٣) فِي (ت): «تَقُولُ».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مَنَاقِبِ الْإِمَامِ أَحْمَد» (ص: ٣٣٢).

(٥) بَيْنَ الْأَسْطَرِ فِي (ف) وَ(ت): «ضَرٌّ».

(٦) ذَكَرَهُمَا ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْمَدْهَش» (ص: ١٥٧) بِاخْتِلَافٍ طَفِيفٍ.

(٧) فِي (ت): «جَفَوْتُ» وَفَوْقَهَا بَيْنَ الْأَسْطَرِ «هَجَرْتُ».

فِي حُبِّكُمْ يَهُونُ مَا قَدْ أَلْقَى مَا يَسْعَدُ بِالنَّعِيمِ مَنْ لَا يَشْقَى<sup>(١)</sup>  
وأيضاً: فكثرُ العيالِ ممَّا يُوجِبُ تعلقَ القلبِ بهم، فيشغلُ ذلك عن محبته  
وخدمته لله، وقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا لِهَکْزِ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ  
ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

قال أبو حازم: كلُّ ما شغلك عن الله من مالٍ أو ولدٍ فهو عليك مشؤوم<sup>(٢)</sup>.

وقد روى أبو نعيم بإسنادٍ ضعيفٍ، من حديثِ ابنِ مسعودٍ مرفوعاً: «إذا  
أحبَّ الله عبداً اقتناه لنفسه، ولم يشغله بزوجةٍ ولا ولدٍ»<sup>(٣)</sup>.

ومن كلامِ الشيخ عبد القادر: وكم تقولُ كلُّ من أحبه لا يدومُ لي، بل يحالُ بيني  
وبينه بموتٍ أو غيره، فيقالُ لك: يا محبوبَ الحقِّ، المعنيُّ به، المنظورُ إليه، المغارَ  
عليه، أما علمتَ أنَّ الله غيورٌ، خلَقَكَ له، وترومُ أن تكونَ لغيره؟ أما سمعتَ قوله عزَّ  
وجلَّ: ﴿مُحِبُّهُمْ وَمُحِبُّوهُمْ﴾ [المائدة: ٥٤] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾  
[الذاريات: ٥٦] وقوله ﷺ: «إذا أحبَّ الله عبداً ابتلاه، فإذا صبرَ اقتناه فلم يذُرْ له مالاَ  
ولا ولداً»<sup>(٤)</sup>، انتهى.

(١) ذكرهما ابن الجوزي في «المدش» (ص: ١٥٨) باختلاف في البيت الأول.

(٢) هو من كلام أبي سليمان الداراني - ولم أقف عليه لأبي حازم - أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»  
(٩/ ٢٦٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٤/ ١٢٧) (٣٣/ ٣٦٢)، وذكره المصنف عن أبي حازم  
في «لطائف المعارف» (ص: ١٥٣ السواس)، لكنه ذكره على الصواب عن أبي سليمان في «جامع  
العلوم والحكم» (٢/ ١٩٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٢٧٨).

(٤) «فتوح الغيب»، للشيخ عبد القادر الجيلاني (ص: ٥٤ - ٥٥).

والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في «الأحاد والمثاني» (٢٤٩٩) من حديث أبي عتبة الخولاني، =

ومن هذا المعنى الأثر الإسرائيلي: يا ابن آدم! خلقت كل شيء لك، وخلقْتُك لنفسِي فلا تشتغل بما خلقتُه لك عما خلقتُك له<sup>(١)</sup>.

وقد قيل<sup>(٢)</sup>: إن إبراهيم الخليل عليه السلام إنما أمر بذبْح ولده لتعلق قلبه به، فلما فرَّغَه منه وقَدَّم محبَّة الله على محبَّة ولده، وأسلمَا وتلَّه للجِيسِ، حصلَ الفداء بحُصولِ المقصودِ منه، وهو تفرُّغ القلب، فلم يبق لإِراقَةِ الدِّم معنى<sup>(٣)</sup>، وكذلك<sup>(٤)</sup> الخليل الأكبر لَمَّا اشتدَّت محبَّتُه لعائشة وقعَ تنغيصُها عليه بما جرى من حديث الإفك.

كان بعضُ العارفين له زوجة، هي ابنةُ عمِّه، وكان يحبُّها حبًّا شديدًا، فقال لنفسِه يوماً: كيف ألقى الله بهذا الحال؟ فسأل الله، فمرَّضت ثلاثة أيام، ثم ماتت، فخرج من فورِه إلى مكَّة<sup>(٥)</sup>.

مرَّ بعضُ الفقراءِ بامرأة فأعجبته، فتزوَّجها، فلَمَّا دخل بها البيت نزعوا خُلُقانه وألبسوه ثياباً جدِّداً، فلَمَّا جنَّ عليه الليل طلب قلبه فلم يجده، فصاح: خُلُقاني خُلُقاني، فأخذها ورجع<sup>(٦)</sup>.

نَقْلُ فَوَادِكْ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحَبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ

= ولفظه: «إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً ابتلاه، فإذا ابتلاه اقتناه» قالوا: يا رسول الله وما اقتناه؟ قال: «لا يترك له مالا ولا ولداً».

(١) لم أجده إلا في كلام للإمام ابن تيمية رحمه الله «مجموع الفتاوى» (١/٢٣).

(٢) في حاشية (ف): «عبرة».

(٣) لعله مستفاد من كلام ابن القيم شيخ المصنف رحمهما الله في «مدارج السالكين» (٣/٤٠١).

(٤) في حاشية (ف): «قف».

(٥) في حاشية (ف): «عجبة»، والقصة لم أهد إلى مصدرها.

(٦) ذكرها ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٣١).

كم منزلٍ للمرء<sup>(١)</sup> يَأْلُفُه الفتى وحينئذٍ أبداً لأوّل منزلٍ<sup>(٢)</sup>  
دخلوا على أبي سليمان الدارانيّ بيته، فقال بعضهم: ما أحوجّه إلى زوجة  
تؤنسّه، فقال: لا آنسني الله إلّا به أبداً<sup>(٣)</sup>.

كان إبراهيم بن أدهم قد خرج من أهله وولده وحشمه، وأقام في بلاد الغرب،  
فحبّ مرّةً، فرأى ولده وحشمه في الطواف، فجعل يسارقهم النظر ويكي، فأخبر  
ولده به، فجاء إليه فاعتنقه وبكى، ثم صرّفه وودّعه، وأنشد<sup>(٤)</sup>:

هَجَرْتُ الخلق طُرّاً في هواكَا وَأَيْتَمْتُ العِيَال لَكَيّ أَرَاكَا

فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الحُبِّ إِرْبَاً لَمَّا حَنَّ الفؤَادُ إِلَى سِوَاكَا<sup>(٥)</sup>

قوله: «ذو حظٍّ من الصّلاة».

يشير إلى أن المؤمن الخفيّ التقيّ لا بدّ أن يكون له نصيبٌ من التَّنْفُلِ  
بالصّلاة، يكون<sup>(٦)</sup> هو لذّته وقوّته وغذاؤه، كما قال ﷺ: «جُعِلَتْ قَرَّةٌ عيني في  
الصّلاة» خرّجه النسائي<sup>(٧)</sup>.

(١) في حاشية (ف): «في القلب».

(٢) لأبي تمام. انظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ٤٠).

(٣) أورده الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٠١ - ط دار المعرفة)، وذكره المصنف أيضاً في  
«جامع العلوم والحكم» (١/ ١٣٤)، وفي «استشاق نسيم الأنس» الباب السادس.

(٤) زاد في (ف): «بعضهم»، وهو سبق قلم.

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٦). وجاء في (ف): «ولو قطعني...».

(٦) في (ف): «فيكون».

(٧) من حديث أنس رضي الله عنه (٣٩٤٠) (٣٩٣٩)، وفي «الكبرى» (٨٨٣٦) (٨٨٣٧).

وفي «سنن أبي داود» عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَا بِلَالُ! أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأَرِحْنَا بِهَا»<sup>(١)</sup>.  
وفي «المسند» عن ابن عباسٍ قال: قَالَ جَبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَبَّبَ إِلَيْكَ الصَّلَاةَ، فَخُذْ مِنْهَا مَا شِئْتَ<sup>(٢)</sup>.  
وفي «مسند» البزار والطبراني، عن أنسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَعْجَبَهُ نَحْوُ الرَّجُلِ أَمَرَهُ بِالصَّلَاةِ<sup>(٣)</sup>.  
وقال ثابتٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاةِ<sup>(٤)</sup>.  
وفي رواية عن أنسٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «الْجَائِعُ يَشْبَعُ، وَالظَّمْآنُ يَرَوَى، وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنْ حُبِّ الصَّلَاةِ» خَرَّجَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي «الزهد»<sup>(٥)</sup>.  
وعن أبي هريرة قَالَ: كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَثِيرَ الصَّلَاةِ لَا يَفْتُرُ<sup>(٦)</sup>.  
وكان ثابتُ البُنَانِيُّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَفْتُرَ<sup>(٧)</sup> مِنَ الصَّلَاةِ حَبًّا لَهَا، وَكَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤٦) من حديث رجل من خزاعة.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٥) (٢٣٠١).

(٣) مداره على يحيى بن عباد، عن محمد بن عثمان الأنصاري الواسطي، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه.

روي عن يحيى من أربعة أوجه: أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٨٠)، ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٢٩١٣)، وأخرجه البزار (٦٩٣٩)، وأخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٣٣٢)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٧)، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٣) عن الطبراني، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٦). «نحو الرجل»: هَذِيهٌ وَسَمْتُهُ.

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٧٧) مرسلًا.

(٥) ليس في المطبوع من «الزهد»، وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٤٨٨)، وهو في «الفردوس» (٢٦٢٢).

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٧٦).

(٧) في (ف): «يقر» تصحيف.



أربعين سنة، ويدعو في السَّحَرِ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَذِنْتَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ أَنْ يُصَلِّيَ فِي قَبْرِهَ فَاجْعَلْنِي مِنْهُمْ، فَلَمَّا مَاتَ وَسُويَ اللَّبْنُ عَلَى لَحْدِهِ سَقَطَتْ مِنْهُ لَبَنَةٌ، فَنَظَرُوا إِلَيْهِ قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهَ<sup>(١)</sup>.

كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ النَّضْرِ الْحَارِثِيُّ لَا يَفْتَرُ مِنَ الصَّلَاةِ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ حَاجًّا فَنَزَلَ النَّاسُ قَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ إِذَا قَرُبَ ارْتَحَالُهُمْ تَقَدَّمَ عَلَى رَأْسِ مِيلٍ يُصَلِّي حَتَّى يَدْرِكَهَ الْإِبِلُ، فَإِذَا أَدْرَكَتْهُ تَقَدَّمَ عَلَيْهَا يُصَلِّي حَتَّى تَلْحَقَهُ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُصَلِّي الْعَصْرَ، ثُمَّ يَرْكَبُ فِي وَقْتِ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ كُرْزُ بْنُ وَبَرَةَ لَا يَفْتَرُ عَنِ الصَّلَاةِ، وَكَانَ إِذَا حَجَّ وَنَزَلَ النَّاسُ مَنَزِلًا تَوَارَى عَنِ النَّاسِ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ لَا يَرَوْنَهُ، فَإِذَا سَمِعَ حَرَكَةَ النَّاسِ لِلسَّيْرِ جَاءَ إِلَى رُفْقَتِهِ، فَاحْتَبَسَ عَنْهُمْ يَوْمًا عِنْدَ الرَّحِيلِ، فَطَلَبَهُ بَعْضُ رُفْقَتِهِ فَوَجَدَهُ قَائِمًا يُصَلِّي فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الْحَرِّ وَغَمَامَةٍ تُظِلُّهُ، فَاجْتَهَدَ بِهِ حَتَّى حَلَفَ لَهُ أَنْ لَا يُخْبِرَ بِمَا رَأَى مِنْهُ أَحَدًا حَتَّى يَمُوتَ<sup>(٣)</sup>.

كَمْ أَكْتُمُ حَبَّكُمُ عَنِ الْأَغْيَارِ وَالْوَجْدُ يُذِيعُ فِي الْهَوَى أَسْرَارِي  
كَمْ أَسْتُرْكُمْ هَتَكُتُمُ أَسْرَارِي مَنْ يُخْفِي فِي الْهَوَى لَهَيْبَ النَّارِ<sup>(٤)</sup>  
قَوْلُهُ: «أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ».

إِحْسَانُ الْعِبَادَةِ إِتْقَانُهَا وَإِكْمَالُهَا، وَالْإِتْيَانُ بِهَا عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَالْحَامِلُ

(١) أَخْرَجَ ذَلِكَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٢/ ٣١٩).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/ ٢١٩).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٥/ ٨٠).

(٤) ذَكَرَهُمَا الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الطَائِفِ الْمَعَارِفِ» (ص: ٢٥٣).

على ذلك: أَنْ يَعْبُدَ الْعَبْدُ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، كَمَا فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الْإِحْسَانَ بِذَلِكَ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «أَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ<sup>(٢)</sup>، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ<sup>(٣)</sup>».

وَعَلَّمَ مَعَاذَ بَنِ جَبَلٍ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ أَعْنِي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ<sup>(٤)</sup>».

قَوْلُهُ: «وَأَطَاعَهُ فِي السِّرِّ».

طَاعَةُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ فِي السِّرِّ دَلِيلٌ عَلَى قُوَّةِ إِيْمَانِهِ وَإِخْلَاصِهِ لِرَبِّهِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ خَشْيَتَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ<sup>(٥)</sup>.

وَأَفْضَلُ النَّوَافِلِ إِسْرَارُهَا، وَلِذَلِكَ فَضَّلَتْ صَلَاةُ اللَّيْلِ عَلَى نَوَافِلِ الصَّلَاةِ، وَفُضِّلَتْ صَدَقَةُ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالْمُسِرُّ بِالْقُرْآنِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ<sup>(٦)</sup>».

قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: مَا أَعْتَدْتُ بِمَا ظَهَرَ مِنْ عَمَلِي<sup>(٧)</sup>.

(١) فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ الْمَشْهُورِ.

(٢) فِي (ت): «نِعْمَتِكَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٧١١٤) (١٧١٣٣)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٤٠٧) مِنْ حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٢١١٩)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٥١٧)، وَالنَّسَائِيُّ (١٣٠٣)، وَفِي «الْكَبْرِ» (٩٨٥٧).

(٥) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٨٣٢٥)، وَالنَّسَائِيُّ (١٣٠٦) مِنْ حَدِيثِ عِمَارِ بْنِ يَاسِرٍ.

(٦) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٧٣٦٨)، وَأَبُو دَاوُدَ (١٣٢٧)، وَالنَّسَائِيُّ (٢٥٦١)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٩١٩) وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَهُوَ مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) أَوْرَدَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي «قُوتِ الْقُلُوبِ» (٢ / ٢٦٤)، وَالغَزَالِيُّ فِي «الْإِحْيَاءِ» (٤ / ٣٨٦) مِنْ كَلَامِ سَفْيَانَ الثَّوْرِيِّ.

وَحُبُّ الْإِسْرَارِ بِالطَّاعَةِ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُحِبِّينَ لِمَوْلَاهُمْ. قَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:  
مَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا فَأَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ مَكَانَهُ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَا يَحِبُّ أَنْ يُرَى خِدْمَتَهُ  
سِوَى مَحْبُوبِهِ<sup>(٢)</sup>.

وَاطَّلَعَ عَلَى بَعْضِ أَسْرَارِ الْمُحِبِّينَ مَعَ اللَّهِ، فَعَلِمَ بِذَلِكَ فَدَعَا لِنَفْسِهِ بِالْمَوْتِ،  
وَقَالَ: إِنَّمَا كَانَتْ الْمَعَامَلَةُ تَطِيبُ حَيْثُ كَانَتْ سِرًّا بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فَمَاتَ<sup>(٣)</sup>.

سُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ مَعَ مَوْلَاهُ، فَأَنْشَدَ:

مَنْ سَارَرُوهُ فَأَبْدَى السِّرَّ مُجْتَهِدًا      لَمْ يَأْمُنُوهُ عَلَى الْأَسْرَارِ مَا عَاشَا  
وَجَانِبُوهُ فَلَمْ يَظْفَرْ بِوُدِّهِمْ      وَأَبْدَلُوهُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِحْشَاشَا  
لَا يَصْطَفُونَ مُذِيعًا بَعْضَ سِرِّهِمْ      حَاشَا وَدَادَهُمْ مِنْ ذَاكُمُ حَاشَا<sup>(٤)</sup>  
الْمُحِبُّونَ يَغَارُونَ عَلَى الْأَسْرَارِ مِنْ أَطْلَاعِ الْأَغْيَارِ.

نَسِيمَ صَبَا نَجِدَ مَتَى جِثَّتْ حَامِلًا      تَحِيَّتَهُمْ فَاطُوا الْحَدِيثَ عَنِ الرِّكْبِ  
وَلَا تُذِيعِ السِّرَّ الْمَصُونِ فَإِنِّي      أَغَارُ عَلَى ذِكْرِ الْأَحَبِّ مِنْ صَخْبِي<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٣/ ٥١٨) من طريق ابن أبي الدنيا.

(٢) كتب أحدهم في حاشية (ت): «قف على إسرار الطاعة خير». والأثر أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٩٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٢).

(٣) ورد في قصة طويلة أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢٩٩٢) عن ابن المبارك، ذكر هذا فيها عن عبد أسود كان بمكة رضي الله عنه، وذكر المصنف ما هنا أيضاً في «لطائف المعارف» (ص: ٢٩٠).

(٤) السائل هو ذو النون رحمه الله تعالى لشاب متعبد. أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد» (٥٠).

(٥) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٢٩٠).

قوله: «وكان غامضاً في الناس لا يشار إليه بالأصابع» يدل على فضل العبد التقي الخفي.

وفي حديث سعد، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَبْدَ الْغَنِيَّ التَّقِيَّ الْخَفِيَّ»<sup>(١)</sup>.

وفي حديثه أيضاً: «خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي، وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث معاذ المرفوع: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِنْ حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا، مَصَابِيحُ الْهُدَى يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ» خَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَهَ<sup>(٣)</sup>.

وخرَّجَ مِنْ حَدِيثِهِ مَرْفُوعاً أَيْضاً: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنْ مَلُوكِ الْجَنَّةِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «رَجُلٌ ضَعِيفٌ مُسْتَضْعَفٌ ذُو طِمْرَيْنِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث آخر: «رَبِّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ»<sup>(٥)</sup>.

قال ابن مسعود: كونوا يتابع العلم، مصابيح الظلام، جدد القلوب، خلقان الثياب، تُعْرَفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَتَخْفُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البزار (١١٨٨).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٤٧٧) (١٤٧٨) (١٥٥٩) (١٥٦٠) (١٦٢٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١١٥).

(٥) أخرجه أبو عوانة (١٢٤٥١) من حديث أبي هريرة، وأصله في «صحيح مسلم» (٢٨٥٤) دون قوله

«أغبر ذي طمرين».

(٦) أخرجه الدارمي (٢٦٢)، وغيره.

كَانَ قَاسِمُ الْجَوْعِيِّ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: اغْتَنِمُوا مِنْ زَمَانِكُمْ خَمْسًا: إِنْ حَضَرْتُمْ لَمْ تُعْرِفُوا، وَإِنْ غِبْتُمْ لَمْ تُفْتَقِدُوا<sup>(١)</sup>، وَإِنْ شَهِدْتُمْ لَمْ تُشَاوِرُوا، وَإِنْ قُلْتُمْ شَيْئًا لَمْ يُقْبَلْ قَوْلُكُمْ، وَإِنْ عَمِلْتُمْ شَيْئًا لَمْ تُعْطَوْا بِهِ، وَأَوْصِيَكُمْ بِخَمْسٍ أَيْضًا: إِنْ ظَلِمْتُمْ لَمْ تَظْلِمُوا، وَإِنْ مُدِحْتُمْ لَمْ تَفْرَحُوا، وَإِنْ ذُمِمْتُمْ لَمْ تَجْزَعُوا، وَإِنْ كُذِّبْتُمْ فَلَا تَغْضَبُوا، وَإِنْ خَانَكُمْ فَلَا تَخُونُوا<sup>(٢)</sup>.

طوبى لعبداً بحبل الله مُتَّصِماً      على صراطٍ سَوِيٍّ ثَابِتٍ قَدَمُهُ  
رَثَّ اللَّبَاسِ جَدِيدِ الْقَلْبِ مُسْتَتِرٍ      فِي الْأَرْضِ مُشْتَهَرٌ فَوْقَ السَّمَاءِ سِمُهُ  
مَا زَالَ يَحْتَقِرُ الْأُولَى بِهِمَّتِهِ      حَتَّى تَرَقَّتْ إِلَى الْأُخْرَى بِهِ هِمَّتُهُ  
فَذَاكَ أَعْظَمُ مِنْ ذِي النَّجَاحِ مُتَّكِئاً      عَلَى النَّمَارِقِ مُحْتَقِفاً بِهِ خَدَمُهُ<sup>(٣)</sup>  
مَا زَالَ الصَّادِقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالصَّالِحِينَ يَكْرَهُونَ الشُّهْرَةَ وَيَتَبَاعَدُونَ عَنْ  
أَسْبَابِهَا، وَيُحِبُّونَ الْخُمُولَ وَيَجْتَهِدُونَ عَلَى حُصُولِهِ.  
وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَا اتَّقَى اللَّهُ مَنْ أَحَبَّ الشُّهْرَةَ<sup>(٤)</sup>.  
وَكَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ يَقُولُ: مَا صَدَقَ عَبْدٌ إِلَّا أَحَبَّ أَنْ لَا يُشْعَرَ بِمَكَانِهِ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ف): «تَفْتَقِدُوا».

(٢) فِي حَاشِيَةِ (ت): «الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ لِعَشْرٍ خِصَالٍ». أَخْرَجَهُ ابْنُ حَمَّكَانَ فِي «الْفَوَائِدِ وَالْأَخْبَارِ» (١٠)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٩/١٢٠) وَهِيَ فَائِدَةُ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ دِمَشْقَ، سَمِعَهُ مِنَ الْجَوْعِيِّ.

(٣) الْآيَاتُ فِي «مَقَامَاتِ الزَّمْخَشَرِيِّ» (ص: ٣٦).

(٤) مِنْ كَلَامِ بَشْرِ الْحَافِي رَحِمَهُ اللَّهُ أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/٣٤٦).

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوَاضُّعِ وَالْخُمُولِ» (٣٥)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/٣).

ولَمَّا اشْتَهَرَ بالبصرة كان إذا خرجَ إلى موضعٍ يتحرَّى المشيَ في الطُّرقاتِ الخالية، ويجتنبُ سلوكَ الأسواقِ والمواضعِ التي يُعرَفُ فيها<sup>(١)</sup>.

وكان سُفيانُ الثوريُّ لَمَّا اشْتَهَرَ يقولُ: وَدِدْتُ أَنْ يَدِيَ قُطِعَتْ مِنْ إِبْطِي وَأَنْي لَمْ أَشْتَهَرْ وَلَمْ أُعْرِفْ<sup>(٢)</sup>.

ولَمَّا اشْتَهَرَ ذَكَرُ الإمامِ أحمدَ، اشْتَدَّ غَمُّهُ وَحُزْنُهُ، وَكَثُرَ لُزُومُهُ لِمَنْزِلِهِ، وَقَلَّ خُرُوجُهُ فِي الْجَنَائِزِ وَغَيْرِهَا خَشِيَ اجْتِمَاعَ النَّاسِ عَلَيْهِ، وَكَانَ يَقُولُ: طَوْبِي لِمَنْ أَخْمَلَ اللَّهُ ذِكْرَهُ.

وكان يقولُ: لو قَدَرْتُ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْ هَذِهِ الْمَدِينَةِ - يعني بغدادَ - لَفَعَلْتُ، حَتَّى لَا أَذْكَرَ عِنْدَ هَؤُلَاءِ - يعني الملوكةَ - فَكَانَ إِذَا مَشَى مَعَهُ أَحَدٌ مِنْ أَقَارِبِهِ يَعْرِفُهُ النَّاسُ أَبْعَدَهُ عَنْهُ لئَلَّا يُعْرِفَ بِهِ، وَكَانَ لَا يَدْعُ أَحَدًا يَمْشِي مَعَهُ فِي طَرِيقٍ وَلَا يَتَّبِعُهُ، فَإِنْ تَبِعَهُ أَحَدٌ وَقَفَ حَتَّى يَنْصَرِفَ الَّذِي مَعَهُ<sup>(٣)</sup>.

وكان ابنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ لِمَنْ تَبِعَهُ: لو تَعْلَمُونَ مَا أُغْلِقُ عَلَيْهِ بَابِي لَمْ يَتَّبِعْنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ<sup>(٤)</sup>.

ورأى عمرُ قوماً يتبعونَ رجلاً، فعَلَّاهُم بِالذَّرَّةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرج هذا المعنى أبو نعيم في «الحلية» (٦/٣).

(٢) الذي وقفت عليه، أنه قال: «وددت أن يدي قطعت ولم أكتب الحديث»، (صيد الخاطر، لابن الجوزي (ص: ٥٧)، ومثله أخبار عدة في «شرف أصحاب الحديث». ولم أجد ما أورده المصنف رحمه الله. وفي حاشية (ف): «ذم الشهرة».

(٣) هذه الأخبار أخرجها ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٧٥-٣٧٧). وجاء في حاشية (ت): «المشي مع الرجل في الطرقات»، وفي حاشية (ف): «مدح الخمول».

(٤) أخرجه الدارمي (٥٤٩).

(٥) أخرجه البيهقي في «المدخل إلى علم السنن» (١٦٠٥).

وَقَالَ: إِنَّ خَفَقَ النَّعَالِ خَلْفَ الْأَحْمَقِ قَلَّ مَا يُبْقِي مِنْ دِينِهِ<sup>(١)</sup>.

مَشَى قَوْمٌ مَعَ مَعْرُوفٍ إِلَى بَيْتِهِ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُمْ: مَشِينَا هَذَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّقِيَهُ، أَلَيْسَ جَاءَ فِي الْخَبَرِ: إِنَّهُ فِتْنَةٌ لِلْمَتَّبِعِ مِثْلُهَا لِلتَّابِعِ<sup>(٢)</sup>؟

وَكَانَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَامَ فَاتَّبَعَهُ جَمَاعَةٌ، فَأَعْجَبَهُ ذَلِكَ، فَرَأَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي مَنَامِهِ قَائِلًا يَقُولُ: سَيَعْلَمُ مَنْ يَحِبُّ أَنْ يُمَشَى خَلْفَهُ غَدًا.

وَرُئِيَ سَفِيَانٌ فِي النَّوْمِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، قِيلَ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ شَيْئًا تَكَرَّهُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، يَعْنِي قَوْلَ النَّاسِ: هَذَا سَفِيَانٌ<sup>(٣)</sup>.

الْإِشَارَةُ إِلَى الرَّجُلِ بِالْأَصَابِعِ فِتْنَةٌ، وَإِنْ كَانَ فِي الْخَيْرِ<sup>(٤)</sup>.

وَفِي الْحَدِيثِ: «كَفَى بِالْمَرْءِ شَرًّا أَنْ يُشَارَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فِي دِينِهِ أَوْ دُنْيَاهُ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ»<sup>(٥)</sup>.

كَانَ بَعْضُ التَّابِعِينَ إِذَا جَلَسَ إِلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَنْفُسٍ قَامَ خَوْفَ الشُّهْرَةِ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي حَاشِيَةِ (ت): «قَفَّ عَلَى فَعَلَ سَيَدُنَا عَمْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي نَهْيِهِ عَنِ الْمَشْيِ خَلْفَ الرَّجُلِ». وَالْأَثَرُ

أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (١٢/٩)، وَلَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الدَّرَةِ.

(٢) مَعْرُوفٌ هُوَ الْكَرْخِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَالْخَبَرُ فِي «حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/٣٦٥).

(٣) فِي (ت) تَكَرَّرَتْ: «هَذَا سَفِيَانٌ». وَالْخَبَرُ فِي «الْحَلِيَّةِ» لِأَبِي نَعِيمٍ (٦/٣٨٥).

(٤) فِي حَاشِيَةِ (ت): «قَفَّ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ فِتْنَةٌ عَلَى الرَّجُلِ».

(٥) أَخْرَجَهُ بَنُحُوهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» ١٨ (٥٦٧)، وَالْعَقِيلِيُّ فِي «الضَّعْفَاءِ الْكَبِيرِ» (٧/٤)، وَالْبَيْهَقِيُّ

مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ بْنِ حَصِينٍ مَرْفُوعًا. وَأَخْرَجَهُ بِمِثْلِ اللَّفْظِ هُنَا أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٤/٢٣٢) مِنْ

كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ وَالْحَسَنِ.

(٦) هُوَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوَاضُّعِ وَالْخُمُولِ» (٤٧).

وكان علقمة يُكثِّرُ الجُلوسَ في بيته، فقيل له: ألا تخرجُ فتُحدِّثُ النَّاسَ؟ فقال: أكره أن يوطأ عَقْبِي، ويقال: هذا علقمة، هذا علقمة<sup>(١)</sup>.

كان كثيرٌ من الصَّادِقِينَ مِنَ السَّلَفِ يَجْتَنِبُ لِبَاسَ الثِّيَابِ الَّتِي يُظَنُّ بِأَصْحَابِهَا الْخَيْرُ، إِبْعَاداً لِهَذَا الظَّنِّ عَنْ أَنْفُسِهِمْ<sup>(٢)</sup>.

وكان ابنُ مُحَيْرِيزٍ يدعو فيقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ ذِكْرًا خَامِلًا<sup>(٣)</sup>.

وقال مُطَرِّفٌ: انظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِّرُوا بِالْقِرَاءَةِ، فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ، وَانظُرُوا قَوْمًا إِذَا ذُكِرُوا ذُكِّرُوا بِالْفُجُورِ، فَلَا تَكُونُوا مِنْهُمْ وَكُونُوا بَيْنَ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

وهذا هو الذِّكْرُ الْخَفِيُّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي حَدِيثِ سَعْدٍ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي رَزَقَهُ نَصِيباً مِنْ ذَوْقِ الْإِيمَانِ، فَهُوَ يَعِيشُ بِهِ مَعَ رَبِّهِ عَيْشاً طَيِّباً، وَيَحْجُبُهُ عَنْ خَلْقِهِ حَتَّى لَا يُفْسِدُوا عَلَيْهِ حَالَهُ مَعَ رَبِّهِ، فَهَذِهِ هِيَ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ، فَمَنْ عَرَفَ قَدَرَهَا وَشَكَرَ عَلَيْهَا فَقَدْ تَمَّتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ.

وقد وردَ في بعضِ الآثارِ: أَنَّ الْعَبْدَ يُسْأَلُ عَنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أبو خيثمة في «العلم» (٢٤)، والدارمي (٥٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٠) وغيرهما.

(٢) فكان أيوب يطيل قميصه، وقال: إن الشهرة فيما مضى كانت في تذيل القميص وإنها اليوم في تشميره. انظر: «المجالسة» للدينوري (١٩١٩).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٨)، والدولابي في «الكنى» (١٧٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٤٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣/ ١٨).

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢١٦٦).

(٥) هل يقصد: «الذكر نعمة من الله فأدوا شكرها»؟ من نسخة نبيط بن شريط الموضوعة.



تَوَارَيْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ      فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
فَلَوْ تَسَأَلَ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرَتْ      وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي<sup>(١)</sup>  
كَمْ بَيْنَ حَالٍ هَؤُلَاءِ الصَّادِقِينَ وَبَيْنَ مَنْ يَسْعَى فِي ظُهُورِ نَفْسِهِ<sup>(٢)</sup> بِكُلِّ  
طَرِيقٍ بِاسْتِجْلَابِ قُلُوبِ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، لَكِنْ إِذَا حَقَّتِ الْحَقَائِقُ تَبَيَّنَ الْخَالِصُ  
مِنَ الْبَهْرَجِ:

إِذَا اشْتَبَكْتَ دَمَوْعٌ فِي خُدُودٍ      تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى<sup>(٣)</sup>  
رَائِحَةُ الْإِخْلَاصِ كَرَائِحَةِ الْبَخُورِ الْخَالِصِ، كُلَّمَا قَوِيَ سِتْرُهُ بِالشَّيَابِ فَاحَ  
وَعَبَقَ بِهَا، وَرَائِحَةُ الرِّيَاءِ كَذُخَانِ الْحَطَبِ يعلو إلى الْجَوْثِمِ يَضْمَحِلُّ، وَتَبْقَى  
رَائِحَتُهُ الْكَرِيهَةُ<sup>(٤)</sup>.

كُلَّمَا بَلَّيْتَ أَجْسَامَ الصَّادِقِينَ فِي التُّرَابِ فَاحَتْ رَائِحَةُ صِدْقِهِمْ فَاسْتَنْشَقَهَا  
الْخَلْقُ.

كَمْ اجْتَهِدَ الْمُخْلِصُونَ فِي إِخْفَاءِ أَحْوَالِهِمْ عَنِ الْخَلْقِ، وَرِيحُ الصَّدْقِ تَنْمُ عَلَيْهِمْ،  
كَمْ يَقُولُ لِسَانُ الصَّادِقِ: لَا لَا، وَحَالُهُ يُنَادِي: نَعَمْ نَعَمْ، وَلِسَانُ الْكَاذِبِ يَقُولُ: نَعَمْ  
نَعَمْ، وَحَالُهُ يُنَادِي عَلَيْهِ: لَا لَا<sup>(٥)</sup>.

كَمْ اجْتَهِدَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَلَى أَنْ لَا يُذَكَّرَ، وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَشْهَرَهُ، وَيَقْرَنَ الْإِمَامَةَ

(١) البیتان لابی نواس، ذکرهما المعافی بن زکریا فی «الجلس الصالح الکافی» (ص: ٢٣٤).

(٢) فی (ف): «ظهوره».

(٣) من قصيدة للمتنبي، وهي فی «دیوانه بشرح العکبری» (٢/ ٣٨٥-٣٩٧).

(٤) فی حاشية (ف): «مدح الإخلاص» ثم «ذم الرياء».

(٥) فی حاشية (ف): «الطيف».

باسمِهِ على ألسنة الخلق، شأؤوا أم<sup>(١)</sup> أبوا، وكانَ في زمانِهِ مَنْ يُعْطِي الأموالَ لِمَنْ يُنادي باسمِهِ في الأسواقِ لِيَشْتَهَرَ، فما ذَكَرَ بعدَ ذلك ولا عُرِفَ.

خمولُ المحبِّينَ لِمَولاهم شُهرةٌ، وذُلُّهم بين يديه عِزٌّ، وفقرُهم<sup>(٢)</sup> إليه الغنى الأكبرُ.

تذُلُّ أربابِ الهوى في الهوى عِزٌّ وفقرُهم نحو الحبيبِ هو الكنزُ  
وسُترُهم فيه السَّرائرُ شهرةٌ وغيرُ تلافٍ النَّفسِ فيه هو العَجْزُ<sup>(٣)</sup>  
قوله: «وكان رِزْقُه كَفاً فصبرَ على ذلك».

هذا خيرُ الرِّزْقِ كما سبقَ في<sup>(٤)</sup> حديث: «خيرُ الرِّزْقِ ما يكفي».

وفي الصَّحيح: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً»<sup>(٥)</sup>.

وقد فسَّرَ طائفةٌ مِنَ المفسِّرينَ قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١] بهذا، وقالوا: المرادُ رِزْقُ يومِ بَيومٍ<sup>(٦)</sup>.

في «صحيح مسلم» عن عبدِ اللهِ بنِ عمرو، عنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «قد أفلحَ مَنْ هُدِيَ إلى الإسلامِ، وكانَ عيشُهُ كَفاً، وقنَّه اللهُ به»<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ف): «أو».

(٢) في (ف): «وفقر».

(٣) ذكرهما المصنف رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٣٠٢).

(٤) «في» سقطت من (ف).

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) واللفظ له من حديث أبي هريرة.

(٦) ذكر هذا عن الإمام أحمد بن حنبل في كتاب «الورع» (٤٠٨).

(٧) أخرجه مسلم (١٠٥٤)، لكن لفظ مسلم: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفاً، وقنَّه الله بما آتاه».

واللفظ الذي أورده المصنف هو أشبه بحديث فضالة بن عبيد الآتي.

وخرَجَ التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ فُضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ لِلْإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كِفَافاً، وَقِنَعٌ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي «الْمُسْنَدِ» وَ«سَنَنِ ابْنِ مَاجَهَ» عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً: «مَا مِنْ غَنِيٍّ وَلَا فَقِيرٍ إِلَّا وَدَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ أُوتِيَ قُوتاً»<sup>(٢)</sup>.

وَفِي «التِّرْمِذِيِّ» عَنْ أَبِي أَمَامَةَ مَرْفُوعاً: «عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، فَقُلْتُ: لَا يَا رَبِّ، وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْماً وَأَشْبَعُ يَوْماً، فَإِذَا جَعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَدَعَوْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ حَمَدْتُكَ وَشَكَرْتُكَ»<sup>(٣)</sup>.

وَفِي «سَنَنِ ابْنِ مَاجَهَ»: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ إِلَى رَجُلٍ يَسْتَمْنِحُهُ نَاقَةً، فَرَدَّهَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَى آخَرَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِنَاقَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَ فُلَانٍ - لِلْمَانِعِ الْأَوَّلِ - وَاجْعَلْ رِزْقَ فُلَانٍ يَوْماً بِيَوْمٍ - لِلَّذِي بَعَثَ بِالنَّاقَةِ -»<sup>(٤)</sup>.

وخرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً: «اللَّهُمَّ مَنْ أَحْبَبَنِي فَارْزُقْهُ الْعِفَافَ وَالْكَفَافَ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَأَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ»<sup>(٥)</sup>.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ وَابْنِ مَاجَهَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِناً فِي سِرِّهِ، مُعَافًى فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٩)، وقال: صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢١٦٣) (١٢٧١٠)، وابن ماجه (٤١٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٤٧)، وقال حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٣٤) من حديث نُقَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وفي حاشية (ف): «عجيب».

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (٢٩٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٤٠٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٥/٤).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١) من حديث عبيد الله بن محصن الخطمي رضي الله عنه. قال الترمذي: حسن غريب. في (ف) بين الأسطر عند: «حيزت»: «جُمِعَتْ».

وخرَّجه الطبراني وزاده في أوله: «ابن آدم! عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يُطغيك، لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع» وزاده في آخره: «فعلى الدنيا العفا»<sup>(١)</sup>.  
وقال عمر: كونوا أوعية الكتاب<sup>(٢)</sup>، يناعي للعلم، وسلوا الله رزق يوم بيوم، وعُدوا أنفسكم في الموتى، ولا يضركم أن لا يكثر لكم<sup>(٣)</sup>.

والكفاف من الرزق: هو ما ليس فيه فضل، بل يكتفي به صاحبه من غير فضل.  
وجاء من حديث ابن عباس مرفوعاً: «إنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه»  
خرَّجه ابن أبي الدنيا<sup>(٤)</sup>.

والمراد: أن من اكتفى من الدنيا باليسير، وقنعت به نفسه، فقد كفاه ذلك واستغنى به وإن كان يسيراً.

قال أبو حازم: إن كان يُغنيك ما يكفيك فإن أدنى ما في الدنيا يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يكفيك<sup>(٥)</sup>.

قال بكر المزي: يكفيك من الدنيا ما قنعت به، ولو كف تمر وشربة ماء<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٨٧٥) من حديث عمر رضي الله عنه. في (ف): «العفا»: «التراب».

(٢) في (ت): «للكتاب».

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٦٣٢)، وفي «العلل» (٤٧١٩)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥١/١) من كلام عمر رضي الله عنه. وفي «الحلية» (٢٧٤/٧) من كلام عيسى عليه الصلاة والسلام. وفي حاشية (ف): «لطيف».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١١٨).

(٥) أخرجه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٣٨٩/٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٣٢/٣).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (٢٣٧).

وقال الإمام أحمد: قليل الدنيا يكفي، وكثيرها<sup>(١)</sup> ما يكفي<sup>(٢)</sup>. يعني أن من اكتفى من الدنيا كفاها منها القليل، ومن لم يكتف لم يكفه الكثير، كما قال بعضهم:

حقيق بالتواضع من يموت ويكفي المرء من دُنياه قوت<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

يكفي الفتى خلق وقوت ما أكثر القوت لمن يموت<sup>(٤)</sup>

وقد مُدِّح في هذا الحديث من صبر على كفاف عيشه وقنع به، فأما الرّاضي بذلك فهو أعلى منزلة من الصّابر القانع، وقد قيل: إنّ الفقير الرّاضي أفضل من الفقير الصّابر والغني الشّاكر بالاتّفاق.

وفي الحديث أنّه عليه السّلام كان يقول في دُعائه: «رضّني بما قسمت لي»<sup>(٥)</sup>.

وفي حديث آخر: «إذا أراد بعبيده خيراً رضّاه بما قسم له، وبارك له فيه»<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ف): «وكثير».

(٢) في «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/٢٣): «قليل الدنيا يجزي وكثيرها لا يجزي».

(٣) أنشده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢/٥٢٨) لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٤) نسب إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، أنشده البيهقي في «الزهد الكبير» (١٠٨)، وأوله عنده:

«حسبك من دهرك هذا القوت».

(٥) أخرج البزار (٥٣٨٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما نحوه، ولفظه: «... ورضاً من المعيشة

بما قسمت لي». أما اللفظ الذي أورده المصنف، فأخرجه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٦٢)

من حديث بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ حاكياً عن آدم عليه السلام دعاءه عند البيت العتيق.

ومنه هذا الدعاء.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات رواية نعيم) (ص: ٣٢)، وابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله

بقضائه» (٥٥) عن أبي العلاء بن الشخير مرفوعاً.

إِذَا رَضِيتَ بِمَيْسُورٍ مِنَ الْقُوتِ أَصْبَحْتَ فِي النَّاسِ حُرًّا غَيْرَ مُمَقُوتٍ  
يَا قُوتَ نَفْسِي إِذَا مَا تَمَّ عَفْوُكَ لِي<sup>(١)</sup> فَلَسْتُ أَسَى عَلَى دُرٍّ وَيَا قُوتَ<sup>(٢)</sup>  
قَوْلُهُ: «عَجَلْتُ مِنْيَّه»، قُلْتُ بِوَاكِيه، قُلْتُ تَرَاهُ.

يعني أنه يعجل له الموت على هذه الصفة، وهي أن يكون من يبكي عليه قليلاً،  
وذلك لقلّة عياله كما سبق، وأن يكون ترائه قليلاً، ويعني بترائه: ميراثه<sup>(٣)</sup> الذي  
يخلفه من الدنيا، وبذلك فسره الإمام أحمد وغيره<sup>(٤)</sup>.

وهذا الكلام يحتمل أن يكون إخباراً عن حال هذا المؤمن، ويحتمل أن يكون  
دُعَاءً له من النبي ﷺ، فافتضى هذا الكلام أن المؤمن إذا كان على حالة حسنة من  
حُسن عبادَةٍ وخمولٍ وقناعة باليسير فإنه يُغَبَطُ بتعجيل<sup>(٥)</sup> موته على هذه الحالة،  
خشية أن يفتن في دينه، ويتغير عما هو عليه، ولهذا المعنى شرع تمنّي الموت وطلبه  
خشية الفتن في الدين.

وفي «المسند» مرفوعاً: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا مَنْ وَثَقَ بِعَمَلِهِ»<sup>(٦)</sup>، فَمَنْ كَانَ  
عَلَى حَالَةٍ حَسَنَةٍ فِي دِينِهِ فَإِنَّهُ يُغَبَطُ بِمَوْتِهِ قَبْلَ تَغْيِيرِ حَالِهِ.

(١) في حاشية (ف) و(ت): «لطفك بي» نسخة.

(٢) البيتان لأبي الفتح البستي، نسبهما له سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٤٥٦/١٧) وفيهما بعض  
اختلاف عما هنا.

(٣) «ميراثه» سقطت من (ف).

(٤) مسند الإمام أحمد، عقب الحديث (٢٢١٩٧).

(٥) في (ت): «بتعجل».

(٦) وقع في النسختين: «ووثق به بعمله» وهو غلط، والحديث أخرجه الإمام أحمد (٨٦٠٧) بأطول  
مما هنا.

كان أبو الدرداء إذا مات الرجل على الحالة الصالحة قال: هنيئاً لك، يا ليتني كنت<sup>(١)</sup> مكانك، فقالت له أم الدرداء في ذلك، فقال: هل تعلمين يا حمقاء أن الرجل يُصبح مؤمناً ويُمسي مُنافقاً، يُسلبُ إيمانه وهو لا يشعر؟! فأنا لهذا الميِّت أغبطُ مني لهذا بالبقاء في الصلاة والصوم<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ما تحبُّ لمن تحبُّ؟ قال: الموت، قيل له: فإن لم يمُت؟ قال: قلّة المال والولَد<sup>(٣)</sup>.

وكان ابنُ مسعودٍ يتمنى الموت، فقيل له؟ فقال: لو أنّي أعلمُ أنّي أبقي على ما أنا عليه لتمنيتُ البقاءَ عشرين سنةً<sup>(٤)</sup>.

ورأى أبو هريرة شباباً يتعبّدون فقال: ليت الموت ذهب بهؤلاء<sup>(٥)</sup>.

وكان داودُ الطائيُّ يبكي ويقول: أخافُ أن يطولَ عمري<sup>(٦)</sup>.

وسببُ هذا: أن من أطاع الله أحبَّ لقاءه، كما قال الصديقُ في وصيّته لعمري: إن أنتَ حفظتَ وصيّتي لم يكن غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، ولا بدُّ لك منه<sup>(٧)</sup>.

(١) «كنت» سقطت من (ف).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٩٦)، والفرّايي في «صفة المنافقين» (١٠٧) (١٠٨).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٩٧٧)، وسائر أصحاب كتب الزهد.

(٤) أخرجه بنحوه: ابن الجعد في «مسنده» (٨٩).

(٥) يعني قبل أن يفتنوا بالدنيا. نسبة الغزي في «حسن التنبه لما ورد في التشبه» (٢٧٤ / ١٠) لعبد الله بن

الإمام أحمد في «زوائد الزهد» ولم أجده في المطبوع منه.

(٦) وهو بمعنى ما رواه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣٦ / ٧) أن داود كان يقول: «سبقني العابدون، وقطع بي،

والهفاه».

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٢١١).

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤]، وقوله: ﴿قُلْ يَتَايَأُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦].  
«وَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا عَسَلَهُ، فَاسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلٍ صَالِحٍ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَيَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>،  
«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ»<sup>(٢)</sup>.

وقوله: «قُلْتُ بَوَاكِيهِ».

لَمَّا كَانَ هَذَا الْمُؤْمِنُ خَفِيفَ الْحَاذِ قَلِيلَ الْعِيَالِ لَمْ يَكُنْ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ كَبِيرٌ أَحَدٌ يَبْكِي عَلَيْهِ، بِخِلَافِ مَنْ لَهُ أَهْلٌ وَوَلَدٌ وَخَدَمٌ وَحَشَمٌ وَعَشِيرَةٌ، فَإِنَّهُ تَكَثَّرَ بَوَاكِيهِ مَعَ قَلَّةِ غِنَاهُمْ عَنْهُ، بَلْ يَزِيدُ بَكَاءُهُمْ فِي عَذَابِهِ كَمَا فِي الصَّحِيحِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»<sup>(٣)</sup>، فَإِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَفْعَلُونَ مَا لَا يَجُوزُ مِنَ النِّيَاحَةِ وَاللَّطَمِ وَتَخْرِيقِ الثِّيَابِ وَإِتْلَافِ الْأَمْوَالِ وَالتَّسْخِطِ لِقَضَاءِ اللَّهِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ يُعَذَّبُ بِهِ الْمَيِّتُ وَيَتَأَلَّمُ بِهِ، وَلِهَذَا أَوْصَى<sup>(٤)</sup> كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ أَهْلَهُمْ أَنْ لَا يَبْكُوا عَلَيْهِمْ»<sup>(٥)</sup>.

لَمَّا احْتَضَرَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَحَدُ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ بَكَى أَهْلُهُ، فَقَالَ لَهُمْ: جَادَ عَلَيْكُمْ هِشَامٌ بِالدُّنْيَا وَجُدْتُمْ عَلَيْهِ بِالْبُكَاءِ؟! تَرَكَ لَكُمْ مَا جَمَعَ وَتَرَكْتُمْ عَلَيْهِ مَا حَمَلَ؟! مَا أَعْظَمَ مُنْقَلَبَ هِشَامٍ إِنْ لَمْ يُغْفَرَ لَهُ»<sup>(٦)</sup>.

(١) هو حديث أبي عتبة الخولاني، أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧٨٤)، وغيره.

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٠٧) من حديث سهل رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (١٢٨٦)، ومسلم (٩٢٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) في (ت): «وصى».

(٥) كذا في النسخ، والوجه: «أَنْ لَا يَبْكُوا عَلَيْهِمْ».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٩٤).



وَقَالَ الْحَسَنُ: شَرُّ النَّاسِ لِمَيَّتٍ: أَهْلُهُ يَكُونُ عَلَيْهِ وَلَا يَقْضُونَ دَيْنَهُ<sup>(١)</sup>. فَهُمْ يَفْعَلُونَ مَعَهُ مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَفْعَلُونَ مَا يَنْفَعُهُ فِي قَبْرِهِ، وَأَكْثَرُ مَنْ يَبْكِي عَلَى الْمَيِّتِ عِنْدَ مَوْتِهِ: إِنَّمَا يَبْكِي لِفَقْدِ حَظِّهِ مِنْهُ، إِمَّا مِنْ نَفْعِهِ الْحَاصِلِ لَهُ بِهِ مِنْ مَالٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ لِفَقْدِهِ الْأَنْسَ بِهِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ حُظُوظِ الْبَاكِينَ، وَلَا يَكُونُ رَحْمَةً لِمَا هُوَ فِيهِ، وَبُكَاءُ الرَّحْمَةِ هُوَ بُكَاءُ الْعَارِفِينَ دُونَ بُكَاءِ الْحُزَنِ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا بَكَى: «إِنَّمَا هَذِهِ رَحْمَةٌ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

اِحْتَضَرَ بَعْضُ الصَّالِحِينَ، فَبَكَى أَبَوَاهُ وَوَلَدَهُ وَأَهْلَهُ وَصِيبَانَهُ، فَسَأَلَهُمْ: مَا الَّذِي أَبْكَاهُمْ؟ قَالَ أَبَوَاهُ: نَبْكِي لِفِرَاقِكَ وَمَا نَتَعَجَّلُ مِنَ الْوَحْشَةِ بَعْدَكَ، وَقَالَ وَلَدُهُ: نَبْكِي لِفِرَاقِكَ<sup>(٣)</sup> وَمَا نَتَعَجَّلُ مِنَ الْيَتَمِ بَعْدَكَ، فَقَالَ: كُلُّكُمْ يَبْكِي لِدُنْيَايَ، أَمَّا فَيْكُمْ مَنْ يَبْكِي لِآخِرَتِي؟ أَمَّا فَيْكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمَا يَلْقَى فِي التُّرَابِ وَجْهِي؟ أَمَّا فَيْكُمْ مَنْ يَبْكِي لِمُسَائِلَةِ مُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ؟ أَمَّا فَيْكُمْ مَنْ يَبْكِي لَوْ قُوفِي بَيْنَ يَدَيِ رَبِّي؟ ثُمَّ صَرَخَ صَرْخَةً فَمَاتَ رَحِمَهُ اللَّهُ<sup>(٤)</sup>. فَمَنْ قَلَّتْ بَوَاكِيهِ كَانَ ذَلِكَ أَقْرَبَ إِلَى رَحْمَتِهِ.

وَقَدْ رَوَى صَالِحُ الْمُرِّيُّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا تَوَفَّى الْمُؤْمِنَ بِيَلَادِ غُرْبَةٍ لَمْ يَعْذِبْهُ رَحْمَةً لَغُرْبَتِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَبَكَتْهُ لَغِيْبَةِ بَوَاكِيهِ عَنْهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي حَاشِيَةِ (ت): «قَفَّ عَلَى: أَشْرَ النَّاسِ مَنْ يَبْكِي عَلَى مَيِّتِهِ وَلَا يَقْضِي عَلَيْهِ دَيْنَهُ». وَالْأَثَرُ أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ» (٢٢٤٩).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (١٢٨٤)، وَمُسْلِمٌ (٩٢٣) مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) فِي (ت): «عَلَى فِرَاقِكَ».

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٢/٢٣٦) عَنْ عَابِدٍ بِالْبَصْرَةِ.

(٥) عَزَاهُ السَّيُوطِيُّ فِي «شَرْحِ الصَّدُورِ بِشَرْحِ حَالِ الْمَوْتِ وَالْقُبُورِ» (١٥) إِلَى ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، وَلَمْ أَقِفْ

وفي الحديث: إِنَّ مَنْ مَاتَ فِي غَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ لَهُ إِلَى مُنْتَهَى أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ<sup>(١)</sup>.  
وقد تبكي السَّمَاءُ والأَرْضُ على المؤمنِ لفقدِ عمله الصَّالحِ، وقد قَالَ طائفةٌ  
مِنَ السَّلَفِ فِي قَوْلِهِ: عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ [الدخان: ٢٩] قالوا:  
إِنَّ السَّمَاءَ والأَرْضَ تبكي على المؤمنِ<sup>(٢)</sup>، فقالَ عليٌّ: يبكي على المؤمنِ مُصَلَّاهُ  
الذي كَانَ يُصَلِّي فِيهِ مِنَ الأَرْضِ، وبَابُهُ الذي كَانَ يَصْعَدُ فِيهِ قَوْلُهُ وَعَمَلُهُ، وَلَمْ يَكُنْ  
ذَلِكَ لِآلِ فِرْعَوْنَ، فَلِذَلِكَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ<sup>(٣)</sup>.

وقيل إِنَّ فِي التَّوْرَةِ: أَنَّ الأَرْضَ تبكي على المؤمنِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً<sup>(٤)</sup>، فَكَلَّمَا  
قَلَّتْ بَوَاكِي المَيِّتِ المؤمنِ مِنْ بَنِي آدَمَ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى بُكَاءِ غَيْرِهِمْ عَلَيْهِ.

وقد سَمِعَ نِيَاحَةَ الجَنِّ وَبِكَاءَهُمْ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ سَلَفِ الأُمَّةِ، مِنْهُمْ عَمْرُ بْنُ  
الْخَطَّابِ<sup>(٥)</sup>، وَالحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ<sup>(٦)</sup>، وَعَمْرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ<sup>(٧)</sup> رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

كَانَ لِلْمَأْمُونِ وَلَدٌ يُسَمَّى عَلِيًّا، وَكَانَ شَدِيدَ التَّرَفِّ، فَأَلْقَى اللهُ فِي قَلْبِهِ الزُّهْدَ فِي

(١) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ (٦٦٥٦)، وَالنَّسَائِيُّ (١٨٣٢)، وَابْنُ مَاجَهَ (١٦١٤) مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ  
عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وَمَا هُنَا لَيْسَ بِاللَّفْظِ، وَلَفْظُ أَحْمَدَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا تَوَفَّى فِي غَيْرِ مَوْلِدِهِ قِيسَ  
لَهُ مِنْ مَوْلِدِهِ إِلَى مَنْقَطَعِ أَثَرِهِ فِي الْجَنَّةِ».

(٢) انْظُرِ الآثارَ فِي ذَلِكَ فِي «الدَّرِ الْمَثُورِ» لِلْسَّيُوطِيِّ، فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ مِنْ سُورَةِ الدِّخَانِ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ كَمَا عَزَاهُ إِلَيْهِ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِ الآيَةِ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» (٣٣٦)، وَأَبُو  
دَاوُدَ فِي «الزُّهْدِ» (١٠٧)، وَابْنُ الْجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ» (٢٣٠٥).

(٤) وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزُّهْدِ» (٣٣٨) وَغَيْرُهُ.

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْهُوَاتِفِ» (١٦١).

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْهُوَاتِفِ» (١١٥).

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْهُوَاتِفِ» (٣٢).

الدُّنْيَا، فَهَرَبَ مِنْ أَبِيهِ، وَخَرَجَ إِلَى الْبَصْرَةِ، وَتَنَكَّرَ وَلَبَسَ الْخَشِينَ، وَكَانَ يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ، وَيَحْمِلُ عَلَى رَأْسِهِ لِلنَّاسِ بِالْأَجْرَةِ مَا يَتَقَوَّتُ بِهِ، وَيَبِيتُ فِي الْمَسَاجِدِ يَتَخَلَّلُهَا حَتَّى لَا يَفْطَنَ بِهِ، فَمَرَّضَ فِي بَعْضِ الْمَسَاجِدِ، فَلَمَّا اشْتَدَّ مَرَضُهُ دَخَلَ خَانًا بِالْبَصْرَةِ، فَكَتَرَى فِيهِ بَيْتًا وَأَلْقَى نَفْسَهُ عَلَى بَارِيَّةٍ، فَلَمَّا آيَسَ مِنْ نَفْسِهِ دَعَا صَاحِبَ الْخَانِ، فَنَاولَهُ خَاتَمَهُ وَرُقْعَةً مَخْتُومَةً، فَقَالَ لَهُ: إِذَا مِتُّ فَأَخْرِجْ إِلَى صَاحِبِكُمْ - يَعْنِي الْأَمِيرَ بِالْبَصْرَةِ<sup>(١)</sup> - فَأَرَاهُ خَاتَمِي وَعَرَّفَهُ مَوْضِعِي وَنَاولَهُ هَذِهِ الرُّقْعَةَ، فَلَمَّا مَاتَ خَرَجَ الرَّجُلُ إِلَى بَابِ الْأَمِيرِ فَنَادَى<sup>(٢)</sup> النَّصِيحَةَ، فَأَدْخَلَهُ فَأَرَاهُ الْخَاتَمَ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عَرَفَهُ فَقَالَ: وَبَلَّكَ أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا الْخَاتَمِ؟ قَالَ: فِي الْخَانِ مَيِّتٌ، وَنَاولَهُ الرُّقْعَةَ مَخْتُومَةً مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: لَا يَفْكُهَا إِلَّا الْمَأْمُونُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَرْسَلَهُ الْأَمِيرُ مَيِّتًا فِي دِجْلَةٍ إِلَى الْمَأْمُونِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يُعَرِّفُهُ قِصَّتَهُ وَأَنَّهُ وَجَدَهُ فِي غُرْفَةٍ عَلَى بَارِيَّةٍ فِي بَعْضِ الْخَانَاتِ، مَا تَحْتَهُ مِهَادٌ وَلَا عِنْدَهُ بَاكِيَّةٌ، مُسَجَّى مَغْمَضٍ الْعَيْنِينَ مُسْتَنِيرَ الْوَجْهِ طَيِّبَ الرَّائِحَةِ، وَبَعَثَ مَعَهُ الْخَاتَمَ وَالرُّقْعَةَ، فَفَكَّهَا الْمَأْمُونُ فَإِذَا فِيهَا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، اقْرَأْ سُورَةَ الْفَجْرِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٣٤] فَاعْتَبِرْ بِهَا، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ<sup>(٣)</sup>.

(١) فِي (ت): «أَمِيرُ الْبَصْرَةِ».

(٢) تَصَحَّفَتْ فِي (ف) إِلَى: «فَادَى».

(٣) أَخْرَجَهَا بِطُولِهَا: ابْنُ قِدَامَةَ الْمَقْدِسِي فِي «التَّوَابِينِ» (ص: ١٧٤ - ١٨٢). الْبَارِيَّةُ: التَّحْصِيرُ.

وَفِي حَاشِيَةِ (ت): «قَفَّ عَلَى حِكَايَةِ وَلَدِ الْمَأْمُونِ وَمَا وَصَى وَالِدُهُ بِهِ». وَفِي حَاشِيَةِ (ف): «وَمِثْلُ

هَذِهِ الْحِكَايَةِ وَقَعَ لَوْلَدِ الرَّشِيدِ كَمَا فِي «سِيرِ السَّالِكِ» يُقَالُ لَهُ: أَحْمَدُ السَّبْتِيُّ». اهـ.

قُلْتُ: قِيلَ لَهُ السَّبْتِيُّ لِأَنَّهُ كَانَ يَكْتَسِبُ يَوْمَ السَّبْتِ مَا يَنْفَقُ مِنْهُ بَقِيَّةَ الْأُسْبُوعِ كَمَا فِي «وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ»

لَا بَنَ خُلُكَانَ (١/١٦٨).

قوله: «قَلَّ ثُرَاؤُهُ»:

فَسَّرَهُ الإمامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ بِقَلَّةِ<sup>(١)</sup> مِيرَاثِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ<sup>(٢)</sup>، يَعْنِي أَنَّ مَا يَخْلُفُ مِنْ الدُّنْيَا بَعْدَهُ يَكُونُ قَلِيلًا نَزْرًا يَسِيرًا، هَذِهِ سُنَّةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَالنَّبِيُّ ﷺ لَمْ يُخْلَفْ إِلَّا آلَاتِ الْجِهَادِ.

فَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ أَنَّهُ لَمْ يُخْلَفْ إِلَّا سِلَاحُهُ وَبَغْلَتُهُ وَأَرْضًا جَعَلَهَا صَدَقَةً<sup>(٤)</sup>.

وَلَمَّا احْتَضَرَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا بُنَيَّةُ! إِنَّا وَلَيْنَا أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ فَلَمْ نَأْخُذْ لَهُمْ دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنَّا أَكَلْنَا مِنْ جَرِيشِ طَعَامِهِمْ فِي بُطُونِنَا، وَلِسْنَا مِنْ خَشَنِ ثِيَابِهِمْ عَلَى ظُهُورِنَا، وَإِنَّهُ لَمْ يَبْقَ عِنْدَنَا مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ إِلَّا هَذَا الْعَبْدَ الْحَبَشِيُّ وَهَذَا الْبَعِيرَ النَّاضِحَ، وَجَرَدَ هَذِهِ الْقَطِيفَةَ، فَإِذَا مِتُّ فَابْعَثِي بِهِنَّ إِلَى عُمَرَ. فَلَمَّا جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى عُمَرَ بِذَلِكَ بَكَى عُمَرُ وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ، لَقَدْ أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ<sup>(٥)</sup>.

وَلَمَّا احْتَضَرَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: لَا تَتَّهِمُوا الْخَازِنَ فَإِنِّي لَا أَدْعُ إِلَّا إِحْدَى

(١) «بقلة»: سقط من (ف).

(٢) كما في «المسند» عقب الحديث (٢٢١٩٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٣٦)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في مواضع منها (٢٧٣٩) (٢٨٧٣) من حديث عمرو بن الحارث رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٧٩/٣). جرد القطيفة: الثوب الذي لان قماشه، وذهبت

وعشرين ديناراً<sup>(١)</sup>، وصّى منها بوفاء ديون، فلم يبقَ لورثته سوى أربعة عشر ديناراً<sup>(٢)</sup>، هذا وجميع مملكة الإسلام تحت يديه.

ودخلوا عليه في مرض موته وعليه قميص قد اتسخ جيبه وتخرق فقال مسلمة ابن عبد الملك لأخته وهي زوجة عمر: ناوليني قميصاً سوى هذا حتى يلبسه أمير المؤمنين؛ فإن الناس يدخلون عليه، فقال عمر: دعها يا مسلمة، فما أمسى ولا أصبح لأمر المؤمنين ثوب سوى الذي ترى عليه<sup>(٣)</sup>.

وكان يحيى بن أبي كثير من العلماء الربانيين، وكان حسن اللباس حسن الهيئة، فمات ولم يخلف سوى ثلاثين درهماً كفنوه بها<sup>(٤)</sup>.

وكان الأوزاعي قد وصل إليه في حياته من ملوك بني أمية وبني العباس أكثر من سبعين ألف دينار، فأنفقها كلها في سبيل الله وفي الفقراء، فمات ولم يخلف سوى سبعة دنانير<sup>(٥)</sup>.

ومات الإمام أحمد ولم يخلف سوى قطعاً في خرقة له<sup>(٦)</sup> كان وزنها دون نصف درهم<sup>(٧)</sup>، وترك ديناً عليه وفي من أجرة عقار خلفه<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٨/٥).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣٤/٥).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٨/٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦٧/٣).

(٥) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩٨/٣٥).

(٦) «له» سقطت من (ف).

(٧) وهي ست قطع أو سبع. أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٥٦٤).

(٨) انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ٣٠٦). و(ص: ٥٠٠).

وكان محمد بن أسلم الطوسي من العلماء الربانيين، فمات ولم يُخلف سوى كسائه وإناء لوضوئه فتصدقوا به<sup>(١)</sup>.

ووصى معروف أن يُصدق عند موته بقميصه الذي عليه، وقال: أحب أن أخرج من الدنيا عرياناً<sup>(٢)</sup> كما دخلت إليها عرياناً<sup>(٣)</sup>.

وقال سفيان: يُعجبني أن يموت الرجل ولا يُخلف كفناً<sup>(٤)</sup>.

مات بعض الفقراء ولم يُخلف كفناً، فقالت له زوجته: تفتضح إذا لم تُخلف كفناً، فقال: لو خلفت كفناً لا فتضحت<sup>(٥)</sup>.

قال يحيى بن معاذ: لا تكن ممن يفضح في الدنيا ميراثه وفي الآخرة ميزانه<sup>(٦)</sup>.

لابن آدم في ماله عند مماته مُصبيتان عظيمتان: يُسلبه كله، ويُسأل عنه كله<sup>(٧)</sup>.

فهو حينئذ يجمع لمن لا يحمده، ويقدم على من لا يعذره<sup>(٨)</sup>.

يا نفس توبي فإن الموت قد حانا      واعصي الهوى فالهوى ما زال فتانا

أما ترين المنايا كيف تلقطنها      لقطاً وتلحق أخرانا بأولانا

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٤١ / ٩).

(٢) «عرياناً» سقطت من (ف).

(٣) أخرج ذلك عن معروف الكرخي رحمه الله: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٦٢ / ٨).

(٤) لم أجده إلا عند الزمخشري في «ربيع الأبرار» (٩١ / ٥) مهملًا دون إسناد.

(٥) هو عبد الرزاق الغزنوي الصوفي، المتوفى سنة (٤٩٣) رحمه الله تعالى. ذكر ذلك ابن كثير في

«البدية والنهاية» في وفیات تلك السنة.

(٦) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٦٠٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦٣ / ١٠).

(٧) من كلام يحيى بن معاذ الرازي. أخرجه الخطيب في «الزهد والرقائق» (١١).

(٨) مقتبس من كلام بكر بن عبد الله، وهو في «حلية الأولياء» (٩٨ / ٨).

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَنَا مَيِّتٌ نُشِيعُهُ      نَرَى بِمَصْرَعِهِ آثَارَ مَوْتَانَا  
 يَا نَفْسُ مَالِي وَلِلْأَمْوَالِ أَتْرُكُهَا      خَلْفِي وَأَخْرُجُ مِنْ دُنْيَايَ عُرْيَانَا  
 أَبْعَدَ خَمْسِينَ قَدْ قَضَيْتُهَا لِعِبَاءٍ      قَدْ آَنَّ أَنْ تُقْصِرِي قَدْ آَنَّ قَدْ آَنَا  
 مَا بَالُنَا نَتَعَامَى عَنْ مَصَائِرِنَا      نَنْسَى بِغَفْلَتِنَا مَنْ لَيْسَ يَنْسَانَا  
 نَزْدَادُ حِرْصًا وَهَذَا الدَّهْرُ يَزْجُرُنَا      كَأَنَّ زَاغِرْنَا بِالْحَرْصِ أَغْرَانَا  
 أَيْنَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ وَمَنْ      كَانَتْ تَخِرُّ لَهُ الْأَذْقَانُ إِذْعَانَا  
 صَاخَتْ بِهِمْ حَادِثَاتُ الدَّهْرِ فَانْقَلَبُوا      مُسْتَبْدِلِينَ مِنَ الْأَوْطَانِ أَوْطَانَا  
 خَلَّوْا مَدَائِنَ كَانَ الْعِزُّ مَفْرَشَهَا      وَاسْتَفْرَشُوا حُفْرًا غُبْرًا وَقِيعَانَا  
 يَا رَاكِضًا فِي مِيَادِينِ الْهَوَى مَرِحًا      وَرَافِلًا فِي ثِيَابِ الْغَيِّ نَشْوَانَا  
 مَضَى الزَّمَانُ وَوَلَّى الْعَمْرُ فِي لَعِبٍ      يَكْفِيكَ مَا قَدْ مَضَى قَدْ كَانَ مَا كَانَا<sup>(١)</sup>  
 تَمَّ<sup>(٢)</sup>.

آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم  
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٣٧٥).

(٢) «تم» من (ف).

(٣) في (ت): «أبدًا». وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه».

# جُزْءٌ فِيهِ

شَرْحُ مَثَلِ الْإِسْلَامِ الَّذِي ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ





الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه أجمعين  
 قد خرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي من حديث العبد المذنب  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان من أول ما خلق الله خلقا خلقا  
 إمامهم قال خلقهم الله وحط من مسيرهم خلق من شماله وقال هذه القبلة  
 ثم وضع في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية وأن هذا صراطي مستقيما فأنه عود الإله  
 روى عن ابن شهاب عن شريك عن الصراط المستقيم قال روى عن علي بن أبي حمزة  
 قاله أنما أذنوا وطردوا في الجبل ومن بعدهم جراد ومن بعدهم جراد ومن بعدهم جراد  
 يجر من منبرهم فمن خلقه تلك الجراد التي تسمى إلى النار ومن أحد خلق  
 الصراط المستقيم إلى الجنة ثم قال إن من شعور أن هذا صراطي مستقيما فأنه عود الإله  
 حبه من منبره وخلقهم وأما في الصراط المستقيم لا يظن من واقع شغل في صراط  
 المقصود وهذا مثل دين الإسلام في تبارك الأديان فأنه مثل إلى الله وإلى داره  
 وهوارة مع شغل من شغل وبه الطريق وإن كان كثرة ما كانها مع شغلها  
 وعشره لا تحمل إلى الله بل يطلع عنه وتوصل إلى داره بغير شغل وعشره  
 أعداء وأعداء لا تعلق من يفتح غير الإسلام دينا لمن نزل منه وهو في  
 الأجر من الحاشية والآن تعلق من الذين عنده الإسلام والاعتماد العام  
 هو دين الله الذي كان عليه جميع الرسل قال نوح وأمر أن يكون من  
 المسلمين من يعلق على كل شيء من أرواحهم هو تارك المسلمين من قبل  
 تعالى من يعلق على كل شيء من أرواحهم هو تارك المسلمين من قبل  
 الآية التي تسمى في القرآن من يعلق على كل شيء من أرواحهم هو تارك المسلمين من قبل  
 في الدنيا والآخرة توفيقا لخلقهم بالصلح بين المؤمنين والمؤمنات والذين  
 واستلم مع شغلهم لله رب العالمين وأما في الصراط المستقيم لا يظن من واقع شغل في صراط  
 بأنا مسلمون وقد وصف الله في صوره العاصم الصراط بأنا مسلمون الذين آمنوا  
 عليهم نزلت من الدين أنهم عود عليهم في تبارك التنا وحصلهم أرواحه أصناف  
 النبيين والصديقين والشهداء والصالحين روى علي بن أبي حمزة عن علي بن أبي حمزة  
 على هذا الصراط المستقيم لا يصرح عنهم إلا أنا مغفوب عليهم من وجوه  
 صرف الصراط وتلك غير هذا كالمهود والمنكرين والآن أنا جاهل بتلك

دار الكتب الوطنية بتونس (ت)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
 الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه  
 محمد وآله وصحبه أجمعين قد خرج الإمام  
 والنسائي والترمذي من حديث العبد المذنب  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا  
 مستقيما وعلي خبيثي المراط من دان فيها أبواب  
 وعلى أبواب شتور من حاة وعلى باب الصراط فلي يفتح  
 إله الناس لخلق الصراط جميعا ولا تعوجوا وراع  
 يدعو من جوف المراط فأنه إذا أراد أن يفتح شام  
 تلك الأبواب فأنه لا يفتحها فأنه لا يفتحها  
 تلخه والصراط للإسلام والسور إن حدوده الله  
 الأبواب المفتحة محارم الله وذلك الداعي على رأس  
 الصراط كتاب الله عز وجل والداعي من فوق وأعط  
 الله في قلب كل مسلم وهذا لنظر الإمام أحمد  
 وعند الترمذي زياده والله يدعو إلى دار السلام  
 ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم وحسبه الترمذي  
 وخبره الحكام وقال صحيح على شرط من لا أمل له  
 من ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث العظيم  
 الذي يحكمه من ربه عز وجل مثل الإسلام بالصراط

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي هدانا إلى دين الإسلام وأوضح لنا معالم الحلال والحرام، وجعلنا من أتباع خاتم الرسل الكرام، سيدنا محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي عليه أفضل الصلاة والسلام، وعلى آله وأصحابه وأتباعه ومن اهتدى بهديه واستقام. أما بعد:

فإن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وقد صَوَّرَ لنا النبي ﷺ في هذا المثل الذي ذكره فيما رواه النواس بن سمعان رضي الله عنه: الإسلام، وحدود الله وشرائعه من الحلال والحرام، ودعوة القرآن، ووجدان المؤمن الواعظ له في قلبه. وضربُ الأمثال أسلوب قرآني، وسنة نبوية، ﴿وَلَا تَكُنْ أَكْأَمَلُ النَّاسِ﴾ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿[العنكبوت: ٤٣].

ومن الربانيّة في التعليم: عرض الكليات وتعليمها وحسن تصويرها والجمع بينها قبل الدخول في مضائق الجزئيات والتعمق في معرفة وجوه الاختلاف فيها.

وعَرَّضَ الإسلام بجملته أقرب إلى إدراك مقاصده وفهم كماله والتنعم بجماله مِنْ تعليم الجزئيات دون ما يربط بينها.

وقد بيّن الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى تلك المعالم الكلية في شرحه لهذا الحديث الشريف بأسلوبه الشائق اللطيف، وهو شرح جدير أن يعتمد في

الحلقات العلمية للمبتدئين في تعلم الدين، لترسيخ مبادئه ووكلياته. والله الهادي إلى سواء السبيل.

\*\*\*

ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)،  
وسماه: «مثل الإسلام»، وهو مما يرويه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)،  
وسماه: «شرح حديث مثل الإسلام».

واعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسختين خطيتين:

١- النسخة التونسية، ورمزها (ت):

وهي الرسالة العاشرة من المجموع (١٥٧) - وقد سبق وصفه في  
المقدمات - وتقع في (٨) لوحات (من ٧٠ / ب إلى ٧٧ / أ) وهي مقابلة، وفي  
ضمنها بياض أشرت إليه.

لم يذكر اسم الناسخ، لكنه وصف المؤلف بشيخنا، وتاريخ نسخ المجموع  
سنة ٨٥٢.

٢- نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف):

وهي الرسالة الثالثة عشرة من المجموع (٥٣١٨) - وقد سبق وصفه في  
المقدمات - وتقع في ١٢ لوحة، (من ١٨٨ / ب إلى ١٩٨ / أ) وفيها البياض  
نفسه الذي في (ت) وهي مخرومة من آخرها مقدار صفحة.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم تسليماً كثيراً.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنِّ يَا كَرِيمُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه  
أجمعين.

وبعد:

فقد خرَّج الإمام أحمد<sup>(١)</sup>، والنسائي، والترمذي [من حديث النّوّاس بن  
سَمْعَانَ]<sup>(٢)</sup>، عن النبي ﷺ قال: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَيْ  
الصَّارِطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَتٌ، وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ  
الصَّارِطِ دَاعٍ يَقُولُ: يَا<sup>(٣)</sup> أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصَّارِطَ جَمِيعًا، وَلَا تَعَوَّجُوا<sup>(٤)</sup>،  
وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ<sup>(٥)</sup> الصَّارِطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ:

(١) «أحمد» سقطت من (ف).

(٢) جاء في النسختين (ت) و(ف)، وكذلك في موضعين من كتاب المصنف «جامع العلوم والحكم»  
(١٠١/١)، و(٤٣٥/١): «من حديث العرياض بن سارية»، ولعله من سبق الذهن. فالوهم ليس  
من النَّسَاح، وأثبت الصواب بين معكوفتين ليتنبه له.

(٣) «يا» زيادة من (ت). ولا توجد في مطبوعة المسند.

(٤) من (ف)، وفي (ت): «ولا تعرجوا». وفي مطبوعة الرسالة من المسند: «ولا تعرجوا». قال  
الناجي في «عجالة الإملاء»: «ولا تعوّجوا» أصلها تعوجوا بتائين فحذفت إحداهما تخفيفاً، ولفظ  
الأصبهاني في ترغيه: «تعوجوا» وكذا الإمام أحمد في أحد لفظي حديث النّوّاس.

(٥) هي هكذا في «المسند»، ولم يحسن ناشر طبعة الرسالة بإثباتها من مصادر التخريج: «فوق».

وَيَحْكُ لَا تَفْتَحُهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحَهُ تَلِجُهُ، وَالصُّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ حَدُودُ اللَّهِ،  
وَالْأَبْوَابُ الْمَفْتَحَةُ مُحَارِمُ اللَّهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصُّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،  
وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقٍ وَاعْظُ اللَّهُ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ ﴿فَهَذَا لَفْظُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ<sup>(١)</sup>﴾.

وعند الترمذي زيادة: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾  
[يونس: ٢٥] وحسنه الترمذي<sup>(٢)</sup>، وخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط  
مسلم لا أعلم له علة<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ الَّذِي حَكَاهُ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَثَلُ  
الْإِسْلَامِ بِالصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَقَدْ سَمَّى اللَّهُ دِينَهُ الَّذِي هُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً  
فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنْ كِتَابِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>(٤)</sup> صِرَاطَ الَّذِينَ  
أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦-٧].

وَقَدْ فُسِّرَ الصُّرَاطُ هُنَا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَكِتَابُ اللَّهِ فِيهِ شَرْحُ دِينِ الْإِسْلَامِ وَبَيَانُهُ،  
وَتَفْضِيلُهُ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ.

وعن جابر قال: الصُّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ هُوَ الْإِسْلَامُ، وَهُوَ أَوْسَعُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧٦٣٤). وفي موضع آخر من «المسند» (١٧٦٣٦). وكتب أحدهم  
في حاشية (ف): «تمثيلات عجيبة».

(٢) أخرجه الترمذي (٢٨٥٩) وقال: «حديث حسن غريب»، وسقطت (حسن) من بعض طبعاته.  
والنسائي (١١١٦٩).

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٧٣/١).

(٤) أخرجه الطبري (١٧٣/١).

وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ، والنَّسائيُّ في «تفسيره»، والحاكِمُ من حديثِ ابنِ مسعودٍ قال: خطَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ خطًّا بيده، ثمَّ قال: «هذا سبيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا»، وخطَّ عن يمينه وشماله ثمَّ قال: «هذه السُّبُلُ ليسَ منها سبيلٌ إلَّا عليه شيطانٌ يدعو إليه»، ثمَّ قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] <sup>(١)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ، وابنُ ماجه من حديثِ مجالد <sup>(٢)</sup>، عنِ الشَّعْبِيِّ، عن جابرٍ قال: كنَّا جُلوسًا عند النَّبِيِّ ﷺ فخطَّ خطًّا هكذا أمامهم، قال: «هذا سبيلُ اللَّهِ»، وخطَّين عن يمينه وخطَّين عن شماله، وقال: «هذه سبيلُ (٣) الشَّيْطَانِ»، ثمَّ وضع يده في الخطَّ الأوسط، ثمَّ تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] <sup>(٤)</sup> الآية.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤٤٣٧)، والنسائي في «الكبرى» (١١١١٠)، والحاكم (٣١٨/٢) وقال:

صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) كتبت في (ت): «مجاهد» ثم أصلحت إلى «مجالد»، وهي في (ف): «مجاهد».

(٣) في (ت): «سبل».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٢٧٧)، وابن ماجه (١١) بنحوه.



وقد رُوِيَ عن ابن مسعودٍ أَنَّهُ سُئِلَ عن الصُّرَاطِ المستقيمِ فقال: تَرَكَنا مُحَمَّدٌ ﷺ في أَذْناهِ، وطَرَفُهُ في الجَنَّةِ، وعن يمينِهِ جِوَادٌ وعن يسارِهِ جِوَادٌ<sup>(١)</sup>، وَثُمَّ رِجَالٌ يَدْعُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ<sup>(٢)</sup>، فَمَنْ أَخَذَ في تلكَ الجِوَادِ انتَهَتْ بِهِ إلى النَّارِ، وَمَنْ أَخَذَ على الصُّرَاطِ انتَهَى بِهِ إلى الجَنَّةِ. ثُمَّ قرَأَ ابنُ مسعودٍ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾. خَرَّجَهُ ابنُ جريرٍ وغيرُهُ<sup>(٣)</sup>.

وإنَّما سُمِّيَ الصُّرَاطُ صِرَاطًا: لِأَنَّهُ طَرِيقٌ وَاسِعٌ سَهْلٌ يُوَصِّلُ إلى المقصودِ، وهذا مِثْلُ دينِ الإسلامِ في سائرِ الأديانِ؛ فَإِنَّهُ يُوَصِّلُ إلى اللَّهِ، وإلى دارِهِ وجِوارِهِ، مع سُهولَتِهِ وَسَعَتِهِ.

وبَقِيَّةُ الطَّرِيقِ وإنْ كَانَتْ كَثِيرَةً فَإِنَّهَا كُلُّهَا مع ضيقِها وعُسْرِها لا تُوصِلُ إلى اللَّهِ، بل تَقْطَعُ عَنْهُ، وتُوصِلُ إلى دارِ سَخَطِهِ وَغَضَبِهِ ومجاورةِ أَعْدائِهِ، ولهذا قالَ تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا﴾ [آل عمران: ١٩].

والإسلامُ العامُّ: هو دينُ اللَّهِ الذي كانَ عليه جميعُ الرُّسُلِ، كما قالَ نوحٌ: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧٢]، وقالَ تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَكَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، وقالَ تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبُ يَنْبَغِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]، وقالَ عن يوسفَ إِنَّهُ قالَ: ﴿فَاطِرَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

(١) «وعن يساره جواد» زيادة من (ت).

(٢) في (ف): «يدعون ربهم» وهو تصحيف عجيب.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٨٨٢)، وابن وهب في التفسير من «جامعه» (٨١)، والطبري

وَالْحَقِّي بِالصَّالِحِينَ ﴿ [يوسف: ١٠١]، وَقَالَ تَعَالَى عَنْ مَلِكَةٍ سَيِّئَةٍ: ﴿وَأَسَلْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ [النمل: ٤٤]، وَقَالَ عَنِ الْحَوَارِيِّينَ إِنَّهُمْ قَالُوا: ﴿ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿ [المائدة: ١١١].

وقد وصفَ اللهُ في سورة الفاتحة الصُّرَاطَ بِأَنَّهُ: صراط الذين أنعم<sup>(١)</sup> عليهم، ثُمَّ سَمَّى الذين أنعمَ عليهم في سورة النساء، وجعلهم أربعة أصنافٍ: النَّبِيِّينَ، وَالصَّادِقِينَ، وَالشُّهَدَاءَ، وَالصَّالِحِينَ<sup>(٢)</sup>، فدلَّ على أَنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى هَذَا الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَلَا يَخْرُجُ عَنْهُمْ إِلَّا إِمَّا مَغْضُوبٌ عَلَيْهِ، وَهُوَ مَنْ عَرَفَ الصُّرَاطَ وَسَلَكَ غَيْرَهُ عَمْدًا كَالْيَهُودِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَإِمَّا ضَالٌّ جَاهِلٌ، يَسْلُكُ غَيْرَ الصُّرَاطِ جَهْلًا وَيُظَنُّ أَنَّهُ الصُّرَاطُ.

وحقيقة الإسلام: الاستسلامُ لله تعالى والانقيادُ لطاوعته.

\*\*\*

وَأَمَّا الْإِسْلَامُ الْخَاصُّ فَهُوَ دِينُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمِنْذُ بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ لَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ دِينًا غَيْرَ دِينِهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْخَاصُّ، وَصَارَتْ بَقِيَّةُ الْأَدْيَانِ كُفْرًا لِمَا تَضَمَّنَ اتِّبَاعُهَا مِنَ الْكُفْرِ بِدِينِ مُحَمَّدٍ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلَّهِ فِي الْأَمْرِ بِاتِّبَاعِهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَّا أَحَدُ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا الْإِسْلَامُ لِلَّهِ وَالْإِنْقِيَادُ لَطَاعَتِهِ وَأُؤْمَرِهِ، وَهُوَ دِينُ الْإِسْلَامِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ.

(١) في (ف): «أنعمت».

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿ [النساء: ٦٩].

وإِذَا الْمَعْصِيَةُ لِلَّهِ وَالْمُخَالَفَةُ لِأَوَامِرِهِ، وَذَلِكَ يَسْتَلْزِمُ طَاعَةَ الشَّيْطَانِ؛ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَأْمُرُ بِسُلُوكِ الطُّرُقِ الَّتِي عَنْ يَمِينِ الصُّرَاطِ وَشِمَالِهِ، وَيَصُدُّ عَنْ سُلُوكِ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي آغَايَاكُمْ إِلَيْكُمْ يَنْبِيءُ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠) وَأَنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿[يس: ٦٠ - ٦١].

قَالَ تَعَالَى حَاكِيًا عَنِ الشَّيْطَانِ: ﴿قَالَ فِيمَا آغَايَاكُمْ لَأَقْعُدَنَّ لَكُمْ صِرَاطَكُمْ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (١١) ثُمَّ لَا تَتَّبِعُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿[الأعراف: ١٦ - ١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا آغَايَاكُمْ لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿[الحجر: ٣٩ - ٤٢].

وَصَحَّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ هَذَا الصُّرَاطَ مُحْتَضَرٌّ تَحْضَرُهُ الشَّيَاطِينُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! هَذَا الطَّرِيقُ هَلَمَّ إِلَى الطَّرِيقِ، فَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ حَبْلَ اللَّهِ هُوَ الْقُرْآنُ<sup>(١)</sup>.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ الْكُتُبَ الْمُنْزَلَةَ وَالرُّسُلَ الْمُرْسَلَةَ وَأَتْبَاعَهُمْ يَدْعُونَ إِلَى اتِّبَاعِ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَالشَّيْطَانُ وَأَعْوَانُهُ وَأَتْبَاعُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ يَدْعُونَ إِلَى بَقْيَةِ الطُّرُقِ الْخَارِجَةِ عَنِ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَأَنِّي أَسْتَهْوَتُهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ، أَصْحَبٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أَفَتَنَا قُلُوبُ هَذِهِ أَلَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرَنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]. وَالْإِسْلَامُ لَهُ هُوَ الْإِسْلَامُ وَالْإِذْعَانُ وَالْإِنْقِيَادُ وَالطَّاعَةُ.

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارِمِيُّ (٢٣٦٠)، وَالطَّبْرِيُّ (٦٤٥/٥).

والإسلام قد فسره النبي ﷺ في حديث جبريل بالشهادتين مع إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج والصيام<sup>(١)</sup>.

وأخبر ﷺ في حديث آخر أن الإسلام بُني على هذه الخمس<sup>(٢)</sup>، يعني أنه أركانُ بنيته التي لا يقوم البناء إلا عليها، وبقية الأعمال داخلة في مُسمّاه أيضًا.

وروي من حديث أبي هريرة مرفوعاً أنه عدّ من سهام الإسلام: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والسلام على من لقي وعلى أهل بيته إذا دخل إليهم<sup>(٣)</sup>.

وروي من حديث أبي الدرداء مرفوعاً<sup>(٤)</sup>، ومن حديث حذيفة مرفوعاً وموقوفاً، وعدّ من سهامه الجهاد<sup>(٥)</sup>.

وأفضل الإسلام: أن يسلم المسلمون من لسانه ويده<sup>(٦)</sup>، ومن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه<sup>(٧)</sup>.

ومن «صحيح مسلم» عن عبد الله بن سلام قال: بينما أنا نائم إذ أتاني رجل فقال

(١) حديث جبريل المشهور في الإسلام والإيمان والإحسان وهو أول حديث في صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) حديث ابن عمر رضي الله عنه: «بني الإسلام على خمس» في صحيح البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٣) سقط هذا الحديث من (ف). أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢١ / ١).

(٤) عزاه المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١ / ١٠٠) إلى ابن مردويه. وقال: «وفي إسناده ضعف ولعله موقوف».

(٥) أخرجه البزار (٢٩٢٧) مرفوعاً و(٢٩٢٨) موقوفاً.

(٦) كما في حديث أبي موسى الأشعري مرفوعاً أخرجه البخاري (١١)، ومسلم (٤٢).

(٧) كما في حديث أخرجه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

لي: قم، فأخذ بيدي، فانطلقت معه، فإذا أنا بجواد<sup>(١)</sup> عن شمالي. قال: فأخذت لأخذ فيها، فقال: لا تأخذ فيها فإنها طرُق أصحاب الشمال. فإذا جواد<sup>(٢)</sup> منهج عن يميني، فقال لي: خذ هاهنا، قال: فأتى بي جبلاً فقال لي: اصعد، قال: فجعلت إذا أردت أن أصعد خرزت على استي، قال: حتى فعلت ذلك مراراً، قال: ثم انطلق حتى أتى عموداً رأسه في السماء وأسفله في الأرض في أعلاه حلقة، قال لي: اصعد فوق هذا، قلت: كيف أصعد هذا ورأسه في السماء، قال: فأخذ بيدي فرحل بي، فإذا أنا متعلقاً بالحلقة، ثم ضرب العمود فخر وبقيت متعلقاً بالحلقة حتى أصبحت، قال: فأتيت النبي ﷺ فقصصتها عليه، قال: «أما الطريق التي رأيت عن يسارك: طريق أصحاب الشمال، وأما الطريق التي رأيت عن يمينك فهي طريق أصحاب اليمين، وأما الجبل فهو منزل الشهداء ولن تناله، وأما العمود فهو عمود الإسلام، وأما العروة فهي عروة الإسلام، ولن تزال متمسكاً به<sup>(٣)</sup> حتى تموت<sup>(٤)</sup>».

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[النحل: ٩].

فأخبر أن قصد السبيل، وهو الطريق القاصد عليه يعني أنه يوصل إليه، وأن من السبيل ما هو جائز عن القصد غير موصول، فالسبيل القاصد هو الصراط المستقيم، والسبيل الجائر هو سبيل الشيطان<sup>(١)</sup>، وقد وُحِدَ طريقه في أكثر المواضع. وجمع طرق الضلال لأن طريق الحق أصله شيء واحد وهو دين الإسلام العام كما سبق، وهو توحيد الله وطاعته، وطرق الضلالة كثيرة متبوعة وإن جمعها الشرك والمعصية.

(١) في (ف): «من».

(٢) في (ف): «تمسكاً بها» وفوق بها بين الأسطر: «به».

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٨٤).

(٤) في (ف): «الشيطان الرجيم» وفوق الكلمة الثانية علامة إلغاء.

قوله: «وعلى جنبتي الصراطِ سُورانِ»، ثم فسّرهما بحدودِ الله.

والمرادُ أن الله تعالى حدَّ حدودًا ونهى عن تعدّيها، فمن تعدّاها فقد ظلم نفسه، وخرجَ عن الصراطِ المُستقيم الذي أمر بالثبوتِ عليه.

ولمّا كان السُّورُ يمنعُ مَنْ وراءَهُ من تعدّيه ومُجاوَزته: سَمِيَ حدودَ اللهِ سُورًا لأنّه يمنعُ مَنْ دَخَلَهُ من مُجاوَزته وتعدّي حدودِهِ. قال اللهُ تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] <sup>(١)</sup> وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ <sup>(٢)</sup> إلى قوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٣ - ١٤]، وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢٩]، وقال: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [الطلاق: ١].

وفي حديثِ أبي ثعلبة الخشني عن النبي ﷺ: «إن الله فرضَ فرائضَ فلا تضيّعوها، وحرّمَ أشياءَ فلا تنتهكوها وحدَّ حدودًا فلا تعتدوها» <sup>(٣)</sup>.

فحدودُ اللهِ تُطلقُ ويرادُ بها غالبًا ما أذنَ فيه وأباحَ، فمن تعدّى هذه الحدودَ فقد خرجَ ممّا أحلّه اللهُ إلى ما حرّمه، فلهذا نُهي عن تعدّي حدودِ اللهِ، لأنَّ تعدّيها بهذا المعنى مُحَرَّمٌ.

ويرادُ بها تارةً ما حرّمه اللهُ ونهى عنه، وبهذا المعنى يقالُ: لا تقربوا حدودَ اللهِ،

(١) في (ف): «تعتدوها».

(٢) «يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار» ليست في (ت).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٢٢ (٥٨٩) (٦٧٧)، والدارقطني في «السنن» (٤٣٩٦) مرفوعاً،

والطبري (٢٤/٩) موقوفاً.

كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ [البقرة: ١٨٧] بعد أن نهى عن ارتكاب المفطرات في نهار الصَّيَامِ، وعن مباشرة النساء في الاعتكاف في المساجد.

فأرادَ بِحُدُودِهِ هاهنا ما نهى عنه، فلذلك نهى عن قربانه. فإنه تعالى جعل لكل شيء حدًّا، فجعلَ للمُبَاحِ حدًّا، وللحَرَامِ حدًّا، وأمرَ بالاعتصامِ على حدِّ المباح وأن لا يُتعدَّى، ونهى عن قربانِ حدِّ الحَرَامِ.

ومِمَّا سُمِّيَ فِيهِ الْمَحْرَمَاتُ حُدُودًا قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْمُدْهِنِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اقْتَسَمُوا سَفِينَةً...»<sup>(١)</sup> الحديثُ المعروفُ. والمرادُ بالقائمِ على حدودِ [الله] <sup>(٢)</sup> المنكِرُ للمُحْرَمَاتِ ونَاهِي <sup>(٣)</sup> عنها.

وفي حديثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ، أَنْتَقُوا النَّارَ، أَنْتَقُوا الْحُدُودَ» قالها ثلاثاً. خَرَّجَهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالبَزَارُ<sup>(٤)</sup>.

ومراده بِالْحُدُودِ: مُحَارِمُ اللَّهِ وَمَعَاصِيهِ.

وقد تُطْلَقُ الْحُدُودُ بِاعْتِبَارِ الْعُقُوبَاتِ الْمَقْدَرَةِ الرَّادِعَةِ عَنِ الْجَرَائِمِ الْمُغْلَظَةِ، فيقالُ: حَدُّ الزَّنا، حَدُّ السَّرِقَةِ، حَدُّ شُرْبِ الْخَمْرِ.

وهو هذا المعروفُ مِنْ اسْمِ الْحُدُودِ فِي اصْطِلَاحِ الْفُقَهَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِأَسَامَةَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ» لَمَّا شَفَعَ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي سَرَقَتْ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٢٦٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما. والمدمن: قال القسطلاني: «أي الذي يراني».

(٢) لم يرد اللفظ الجليل في النسختين، ولا بد منه.

(٣) كذا في النسختين، وصوابه: «والناهي».

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٩٥٣)، وفي الأوسط (٢٨٧٤)، والبزار (كشف الأستار ٣٤٨٠).

(٥) أخرجه البخاري (٦٧٨٨)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها.

وفي حديث: «أقيموا الحدودَ في الحضرِ والسَّفرِ، على القريبِ والبعيدِ»<sup>(١)</sup>.

وقال عليٌّ: أقيموا الحدودَ على ما ملكت أيمانكم<sup>(٢)</sup>.

وأما قوله ﷺ في حديث أبي بردة: «لا يُجلدُ فوقَ عشرِ جلداتٍ إلَّا في حدٍّ من حدودِ الله عزَّ وجلَّ»<sup>(٣)</sup>، فقد اختلفوا في المراد بالحدِّ هنا: هل هو الحدودُ المُقدَّرةُ شرعًا، أم المراد بالحدِّ ما حدَّه الله ونهى عن قربانه فيدخل فيه سائر المعاصي ويكون المراد: النهي عن تجاوزِ العشرِ جلداتٍ بالتأديبِ ونحوه ممَّا ليس عقوبةً على محرمٍ؟ هذا فيه اختلافٌ مشهورٌ بين العلماء.

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٠]. وقال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدَّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [التوبة: ٩٧]. والمراد بحدودِ الله هاهنا ما يفصلُ بين الحلالِ والحرامِ ويتميِّزُ به أحدهما من الآخر.

وقد مدحَ الله الحافظينَ لحدوده في قوله: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢].

وفي الحديثِ المرفوعِ من حديثِ عمرو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جدِّه: «يُمَثَّلُ القرآنُ رجلاً يومَ القيامةِ، فيؤتى بالرجلِ قد حمَّله فخالفَ أمره»<sup>(٤)</sup>، فيُمَثَّلُ له خصمًا، فيقول: يا ربَّ حمَّلتَه إِيَّاي، فبشَّسَ حاملٌ، تعدَّى حُدُودي وضَيَّعَ فرائِضي ورَكِبَ مَعْصِيَتِي، وقال: ويؤتى بالرجلِ الصَّالحِ كان قد حمَّله فيُمَثَّلُ خصمًا دونَه فيقول:

(١) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٢٤١) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

(٢) هو حديث مرفوع. أخرجه الإمام أحمد (٧٣٦) وغيره من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٤٨)، ومسلم (١٧٠٨) من حديث أبي بردة رضي الله عنه.

(٤) في (ف): «أمره ونهيه» وفوق «نهي» (علامة إلغاء)، ولا توجد اللفظة في مصادر التخريج.



يَا رَبِّ حَمَلْتَهُ إِيَّايَ، فَخَيْرُ حَامِلٍ، حَفِظَ حُدُودِي وَعَمِلَ بِفَرَائِضِي وَاجْتَنَبَ مَعْصِيَتِي»<sup>(١)</sup>.  
والمرادُ بحفظِ الحُدُودِ هنا: المحافظةُ على الواجباتِ، والانتهاؤُ عن المُحرَّماتِ.  
وفي حديثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْحَلَالُ بَيْنَ وَالْحَرَامِ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا  
أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ، لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ،  
وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَزْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ  
يُخَالِطَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مِلْكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ»<sup>(٢)</sup> مَحَارِمُهُ»<sup>(٣)</sup> وهو  
حديثٌ مُتَّفَقٌ عَلَى صَحَّتِهِ.

فمَثَلُ الْمُحَرَّمَاتِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِالْحِمَى، وَهُوَ مَا تَحْمِيهِ الْمُلُوكُ وَيُمنَعُ<sup>(٤)</sup> مِنْ  
قُرْبَانِهِ، وَجَعَلَ الْحَلَالَ بَيْنًا وَالْحَرَامَ بَيْنًا، وَمُرَادُهُ الْحَلَالُ الْمَخْصُصُ وَالْحَرَامُ الْمَخْصُصُ؛  
فَإِنَّ لِكُلِّ مِنْهُمَا حُدُودًا مَعْرُوفَةً فِي الشَّرِيعَةِ، وَجُعِلَ بَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَةٌ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ  
النَّاسِ، لَا يَدْرُونَ هَلْ هِيَ مِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ، فَذَلَّ عَلَى أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا  
يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ حُكْمُهَا فَيَعْلَمُ أَنَّهَا حَلَالٌ أَوْ أَنَّهَا حَرَامٌ. فَأَمَّا مَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ حُكْمُهَا فَإِنَّ  
الْأُولَى لَهُ أَنْ يَتَّقِيَهَا وَيَجْتَنِبَهَا، كَمَا قَالَ عُمَرُ: ذَرُّوا الرِّبَا وَالرِّيبَةَ»<sup>(٥)</sup>.

وَأُخْبِرَ أَنَّهُ مَنْ وَقَعَ فِي الْأُمُورِ الْمُشْتَبِهَةِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، وَالْمُرَادُ أَنَّ نَفْسَهُ تَدْعُوهُ  
مِنْ ارْتِكَابِ الشُّبُهَاتِ إِلَى ارْتِكَابِ الْحَرَامِ.  
وَمِثْلُهُ بِالرَّاعِي حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، فَأَمَّا مَنْ بَعُدَ عَنِ الْحِمَى فَإِنَّهُ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمَصْنَفِ» (٣٠٦٦٧).

(٢) فِي (ت): «فِي حِمَى اللَّهِ مَحَارِمِهِ». وَلَعَلَّ «فِي» قَدْ ضُرِبَ عَلَيْهَا لَكِنْ لَمْ يَتَضَحَّ فِي الصُّورَةِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩).

(٤) فِي (ف): «وَيُمنَعُ».

(٥) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٤٦)، وَابْنُ مَاجَهَ (٢٢٧٦)، وَلَفْظُهُمَا: «فَدَعُوا الرِّبَا وَالرِّيبَةَ».

يَبْعُدُ وَقَوْعُهُ فِي الْحَرَامِ، وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنَ السَّلَفِ: «اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْحَرَامِ شَيْئًا مِنَ الْحَلَالِ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدْعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ»<sup>(٢)</sup>.

وَهَذِهِ الْأُمُورُ الْمُشْتَبِهَاتُ مِنْهَا مَا يَقْوَى شَبْهُهُ بِالْحَرَامِ، وَمِنْهَا مَا يَبْعُدُ شَبْهُهُ بِالْحَرَامِ، وَمِنْهَا مَا تَتَرَدَّدُ الشُّبْهَةُ بَيْنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.

فَالأَوَّلُ: يَقْوَى فِيهِ التَّحْرِيمُ.

وَالثَّانِي: يَقْوَى فِيهِ الْكِرَاهَةُ.

وَالثَّالِثُ: يُتَرَدَّدُ فِيهِ، وَاجْتِنَابُ الْكُلِّ حَسَنٌ وَهُوَ الْأَفْضَلُ وَالْأَوَّلَى.

\*\*\*

وَقَوْلُهُ: «فِيهِمَا» - يَعْنِي السُّورَيْنِ - أَبْوَابٌ مَفْتَحَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سِتُورٌ مُرَخَاةٌ.

ثُمَّ فَسَّرَ الْأَبْوَابَ الْمَفْتَحَةَ بِمَحَارِمِ اللَّهِ، لَمَّا شَبَّهَ حَدُودَ اللَّهِ بِالسُّورَيْنِ الْمَكْتَنِفَيْنِ لِلصَّرَاطِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً - وَالسُّورُ يَقْتَضِي الْمَنْعَ، وَأَصْلُ الْحَدِّ فِي اللُّغَةِ الْمَنْعُ - شَبَّهَ الْمَحَارِمَ بِالْأَبْوَابِ الْمَفْتَحَةِ فِي السُّورَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا حَدُّ الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ وَنَهَايَتُهُ، وَجَعَلَ الْأَبْوَابَ مَفْتَحَةً غَيْرَ مُغْلَقَةٍ وَلَا مُقْفَلَةٍ، وَجَعَلَ عَلَيْهَا سِتُورًا مُرَخَاةً بِحَيْثُ يَتِمَكَّنُ كُلُّ أَحَدٍ مِنْ رَفْعِ تِلْكَ السُّتُورِ وَوُلُوجِ تِلْكَ الْأَبْوَابِ.

(١) هُوَ أَحَدُ أَلْفَاظِ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا، أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ ٢١ (٢٠)، وَابْنُ

حِبَّانَ (٥٥٦٩)، وَابْنُ الْمُقَرَّرِ فِي مَعْجَمِهِ (٤٥) عَنِ النُّعْمَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَفْظُهُ: «اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ

وَبَيْنَ الْحَرَامِ سِتْرَةً مِنَ الْحَلَالِ».

(٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ عَطِيَّةِ السَّعْدِيِّ: التِّرْمِذِيُّ (٢٤٥١) وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا

الْوَجْهِ، وَابْنُ مَاجَهَ (٤٢١٥).

وهكذا الشهوات المحرمة، فإن النفوس متطلعة إليها وقادرة عليها، وإنما يمنع منها مانع الإيمان خاصة. والنفوس مولعة بمطالعة ما مُنعت منه، كما في الحديث: «لو يمنع الناس فت البعر، لقالوا: فيه الدر»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر مرفوع: «لو نهيت أحدهم أن يأتي الحجون لأوشك أن يأتيه مراراً، وليس له إليه حاجة»<sup>(٢)</sup>.

وحكاية ذي النون المصري مع يوسف بن الحسين الرازي في الطبّق الذي أرسله، وأمره أن لا يكشفه معروفة<sup>(٣)</sup>.

والمحرّمات أمانة من الله عند عبده، والسَّمْعُ أمانة، والبصرُ واللّسانُ أمانة، والفَرْجُ أمانة وهو أعظمها. وكذلك الواجبات كلّها أمانات، كالطّهارة والصّيام والصّلاة وأداء الحقوق إلى أهلها، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

(١) ذكره ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٤ / ٢) قولاً كان يقال، ولم يذكره حديثاً. ثم أورده الغزالي في «الإحياء» في الباب الخامس من كتاب العلم، ورفع إلى النبي ﷺ بلفظ: «لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه إلا وفيه شيء»، وهو من الأحاديث التي ذكر السبكي في «الطبقات الكبرى» (٢٨٩ / ٦) أنه لم يجد لها إسناداً، وقال العراقي: «لم أجده»، وفي «المقاصد الحسنة» (٨٣١) نقلاً عن العراقي: «لم أجده إلا من حديث الحسن مرسلًا، وهو ضعيف، رواه ابن شاهين».

(٢) أخرجه ابن الأعرابي في «معجمه» (٦٩)، والطبراني في «الكبير» ٢٢ (٣١٩) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٦ / ٩)، وخلاصتها: أن يوسف بن الحسين طلب من ذي النون أن يعلمه اسم الله الأعظم، فأرسل معه ذو النون طبقاً مغطى مشدوداً بمنديل إلى صديق له، وفي الطريق فتحه يوسف فإذا فيه فأرة قفزت ومرت، فقال له ذو النون: يا مجنون اتمسك في فأرة فختني!!..

ثم ذكر حكمه فقال: ﴿لِيُعَذَّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٢-٧٣].

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «حُجِبَتْ» بدل «حُفَّتِ»<sup>(٢)</sup>.

فإن الله سبحانه امتحن عباده في هذه الدار بهذه المحرمات من الشهوات والشبهات، وجعل في النفس داعياً إلى حبها مع تمكّن العبد منها وقدرته عليها.

فمن أدّى الأمانة وحفظ حدود الله ومنع نفسه ما يُحِبُّه من محارم الله كان عاقبته الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١] فلذلك يحتاج العبد في هذه الدار إلى مجاهدة عظيمة، يُجاهد نفسه في الله عز وجل، كما في الحديث: «المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل»<sup>(٣)</sup>. فمن كانت نفسه شريفة وهمة عالية لم يرض لها بالمعاصي فإنها خيانة، ولا يرضى بالخيانة إلا من لا نفس له.

قال بعض السلف: رأيت المعاصي نذالة، فتركها مروة، فاستحالت ديانة<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٣٩٥١) (٢٣٩٥٨) (٢٣٩٦٥) (٢٣٩٦٧)، والترمذي (١٦٢١) وقال: حسن صحيح، والنسائي في «الكبرى» (١١٧٩٤)، وابن ماجه (٣٩٣٤) من حديث فضالة بن عبيد رضي الله عنه.

(٤) في حاشية (ت): «قال في القاموس: النذل والنذيل: الخسيس من الناس، المحتقر في جميع أحواله، والجمع أنذال، ونذول». والأثر ذكره ابن المرزبان في «المروءة» (ص: ١١٠) ونسبه لابن سمعون، وأخرجه عن ابن سمعون: الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩٦/٢).

وقال آخر منهم: تركت الذنوب حياء أربعين سنة، ثم أدركني الورع<sup>(١)</sup>.

وقال آخر: من عمل في السرّ عملاً يستحي منه إذا ظهر عليه فليس لنفسه عنده قدر<sup>(٢)</sup>.

قال بعضهم: ما أكرم العباد أنفسهم بمثل طاعة الله، ولا أهانوها بمثل معاصي الله عز وجل<sup>(٣)</sup>. فمن ارتكب المحارم فقد أهان نفسه.

وفي المثل المضروب: أن الكلب قال للأسد: يا سيد السباع! غير اسمي فإنه قبيح، فقال له: أنت خائن، لا يصلح لك غير هذا الاسم، قال: فجرّني، فأعطاه شقة لحم، وقال: احفظ لي هذه إلى غد وأنا أغير اسمك، فجاع وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر. فلما غلبته نفسه قال: وأي شيء [أعمل]<sup>(٤)</sup> باسمي، وما كلب إلا اسم حسن، فأكل<sup>(٥)</sup>.

ولهذا المعنى شبه الله عالم السوء الذي لم يتفجع بعلمه بالكلب، فقال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنشَخْ مِنْهَا فٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِينَ ۝١٧٥ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَسَلهُ ٱلْكَلْبُ إِن تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتَرَكَّهُ يَلْهَث ذٰلِكَ مِثْلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِءَايٰتِنَا فَٱقْصِصْ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (١٣٥) من كلام الجراح بن عبد الله الحكمي، وكان فارس أهل الشام، ولفظه: «خشية» بدل: «حياء».

(٢) أخرجه الدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (١٠٠٠/٢) من كلام ذي النون رحمه الله.

(٣) أخرجه من كلام بعض التابعين ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٩٧)، و«مكارم الأخلاق» (٦٤)، و«التوبة» (٥٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦٨٥٢) (٦٨٥٣).

(٤) «أعمل» مضافة من حاشية (ف).

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صيد الخاطر» (٦١٥).

الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٧] <sup>(١)</sup>.

والمراد بهذا المثل: أَنَّ مَنْ لَمْ يَزْجُرْهُ عِلْمُهُ عَنِ الْقَبِيحِ صَارَ الْقَبِيحُ عَادَةً لَهُ وَلَمْ يُؤْثَرْ فِيهِ عِلْمُهُ شَيْئًا، فَيَصِيرُ حَالُهُ كَحَالِ الْكَلْبِ اللَّاهِثِ؛ فَإِنَّهُ إِنْ طُرِدَ لَهُتَ وَإِنْ تُرِكَ لَهُتَ، فَالْحَالَتَانِ عِنْدَهُ سَوَاءٌ، وَهَذَا أَخْسَرُ أَحْوَالِ الْكَلْبِ وَأَبْشَعُهَا، فَكَذَلِكَ مَنْ يَرْتَكِبُ الْقَبَائِحَ مَعَ جَهْلِهِ وَمَعَ عِلْمِهِ فَلَا يُؤْثَرُ عِلْمُهُ شَيْئًا، وَكَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ لَا يَرْتَدُّ عَنِ الْقَبِيحِ بوعظٍ وَلَا زَجْرٍ وَلَا غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ فِعْلَ الْقَبِيحِ يَصِيرُ عَادَةً وَلَا يَنْزَجِرُ عَنْهُ بوعظٍ وَلَا تَأْدِيبٍ وَلَا تَعْلِيمٍ، بَلْ هُوَ مُتَّبِعٌ لِلْهَوَى عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَهَذَا مَثَلُ كُلِّ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَلَمْ يَنْزَجِرْ عَنْهُ بوعظٍ وَلَا غَيْرِهِ، وَسَوَاءٌ كَانَ الْهَوَى الْمُتَّبَعُ دَاعِيًا إِلَى شَهْوَةِ حَسِيَّةٍ، كَالزُّنَا وَالسَّرَقَةِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ، أَوْ إِلَى غَضَبٍ وَحِقْدٍ وَكِبْرٍ وَحَسَدٍ، أَوْ إِلَى شُبْهَةِ مُضِلَّةٍ فِي الدِّينِ، وَأَشَدُّ ذَلِكَ حَالُ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ فِي شُبْهَةِ مُضِلَّةٍ، ثُمَّ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ فِي غَضَبٍ وَكِبْرٍ وَحِقْدٍ وَحَسَدٍ، ثُمَّ مَنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ فِي شَهْوَةِ حَسِيَّةٍ. وَلِهَذَا يَقَالُ: إِنَّ مَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي شَهْوَةٍ فَإِنَّهُ يُرْجَى لَهُ، وَمَنْ كَانَتْ مَعْصِيَتُهُ فِي كِبْرٍ لَمْ يُرْجَ <sup>(٢)</sup>.

ويقَالُ: إِنَّ الْبِدْعَ أَحَبُّ إِلَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَعَاصِي؛ لِأَنَّ الْمَعَاصِيَ يُتَابُ مِنْهَا، وَالْبِدْعَ يَعْتَقِدُهَا صَاحِبُهَا دِينًا فَلَا يَتُوبُ مِنْهَا <sup>(٣)</sup>.

والمقصود: أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ النَّفْسُ وَالْهَوَى دَاعِيَيْنِ إِلَى فَتْحِ أَبْوَابِ الْمُحَارِمِ

(١) فِي حَاشِيَةِ (ت): «بَلَّغ».

(٢) هَذَا مَعْنَى كَلَامِ لَابْنِ عَيْنَةَ، أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧٨٦٧).

(٣) وَهَذَا مِنْ كَلَامِ سَفْيَانَ بْنِ عَيْنَةَ، أَخْرَجَهُ عَنْهُ: ابْنُ الْجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٨٠٩)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ

الْأَوْلِيَاءِ» (٢٦/٧)، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشَّعْبِ» (١٠٠٩).

وكشف سُتُورَها وارْتِكابَها جعلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لها دَاعِيَيْنِ يَزْجُرَانِ مَنْ يَرِيدُ ارْتِكَابَ المحارِمِ وكشفَ سُتُورَهما<sup>(١)</sup>.

أحدهما: داعي القرآن، وهو الدَّاعي على رأسِ الصُّراطِ، يدعو النَّاسَ كُلَّهُمْ إلى الدُّخُولِ في الصُّراطِ والاستقامةِ عليه، وأن لا يُعْرِجُوا عنه يَمَنَةً ولا يَسْرَةً، ولا يَفْتَحُوا شَيْئًا مِنْ تلكَ الأبوابِ التي عليها السُّتُورُ المُرْخَاةُ، قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حاكِياً عن عبادِهِ المؤمنينَ أَنَّهُمْ قالُوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣]، والمرادُ به القرآنُ عندَ أَكْثَرِ السَّلَفِ<sup>(٢)</sup>.

وقالَ حاكِياً عن الجنِّ الذينَ اسْتَمَعُوا القرآنَ إِنَّهُمْ لَمَّا رَجَعُوا إلى قومِهِمْ قالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣٠ - ٣١].

وقد وصفَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بأنَّه يدعو الخلقَ بالكتابِ إلى الصُّراطِ المُسْتَقِيمِ، كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١] وقالَ تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُنَّ﴾ [المؤمنون: ٧٣ - ٧٤].

وقد كانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو الخلقَ بالقرآنِ إلى الدُّخُولِ في الإسلامِ الذي هو الصُّراطُ المُسْتَقِيمُ، وبذلك استجابَ له خواصُّ المؤمنينَ كأَكْبَرِ المُهاجرينَ والأنصارِ، ولهذا المعنى قالَ مالكٌ: فُتِحَتِ المدينَةُ بالقرآنِ<sup>(٣)</sup>.  
يعني أنَّ أهلَها إِنَّمَا دَخَلُوا في الإسلامِ بِسَماعِ القرآنِ.

(١) كذا تصحفت في النسختين، والصواب: «ستورها».

(٢) هو قول محمد بن كعب القرظي، واختاره ابن جرير الطبري (٣١٥/٦).

(٣) أخرجه ابن المقرئ في «معجمه» (٢٧) من كلام الإمام مالك. وقال يحيى بن معين (سؤالات ابن الجنيدي ٤٨٦): أصحاب مالك يروونه من كلام مالك. وكذب يحيى مَنْ رفعه إلى النبي ﷺ.

كما بعث النبي ﷺ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَعَا أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِمْ، فَأَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ<sup>(١)</sup>.

قال بعض السلف: مَنْ لَمْ يَرُدَّ الْقُرْآنَ وَالْمَوْتَ لَوْ تَنَاطَحَتِ الْجِبَالُ بَيْنَ يَدَيْهِ لَمْ يَرْتَدِّغْ<sup>(٢)</sup>.

وقال آخر: مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِثَلَاثٍ لَمْ يَتَّعِظْ بِشَيْءٍ: الْإِسْلَامُ، وَالْقُرْآنُ، وَالْمَشِيبُ<sup>(٣)</sup>، كما قيل:

..... كَفَى الشَّيْبُ وَالْإِسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيَا<sup>(٤)</sup>

قال يحيى بن مُعَاذٍ: الْإِسْلَامُ نَقِيٌّ فَلَا تُدْنِسُهُ بَأَثَامُكَ<sup>(٥)</sup>.

منع الهوى من كاعبٍ ومُدام<sup>(٦)</sup> [نور المشيب وواعظ الإسلام]<sup>(٧)</sup>

(١) السيرة النبوية، لابن هشام (٢/٧٦).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على «الزهد» (٩٤٢) من كلام يزيد بن تميم. وفي «تاريخ بغداد» (٨/٣١١) نسبته إلى الحسن بن عبد العزيز الجروي، وهو متأخر عن يزيد بن تميم، فلعله كان يردد ذلك القول فتسبب إليه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العمر والشيب» (٤٠) من كلام عبد العزيز بن أبي رواد، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (٨/١٩٤).

(٤) شطر بيت أوله: «وَدَّعْ سُلَيْمَى إِنْ تَجَهَّزْتَ غَازِيَا.....». وهو لسحيم مولى بني الحسحاس، وقد سمعه سيدنا عمر بن الخطاب. انظر الخبر في «الأدب المفرد» للبخاري (١٢٣٨).

(٥) نقله المصنف رحمه الله أيضًا في «فتح الباري» (١/٢٣٠)، وفي «لطائف المعارف» (ص: ٣٢٧) بهذا اللفظ. وهو في «صفة الصفوة» (٢/٢٩٤) بلفظ: «الليل طويل فلا تقصُرْه بمنامك، والنهار نقي فلا تدنسه بأثامك»!

(٦) بعده في (ف) و(ت): بياض بمقدار لوحة كاملة.

(٧) ما بين معقوفين هو تمة البيت ومحل الشاهد وقد سقط من النسختين. وهو أول أبيات أنشدها ابن أبي الدنيا عن صاحب له في «الزهد» (٢٧٣)، وفي «ذم الدنيا» (٢٨٣).

والبياض في النسختين دليل على فقدان ورقة من الكتاب قديماً. ولا بد أن فيها:



[وروى أبو الزعراء، عن ابن مسعود قال: يأمرُ الله بالصراط، فُيَضْرَبُ على جهنم، فيمرُّ الناسُ على قَدَرِ أعمالِهِمْ زُمرًا زُمرًا، أوائلُهم كَلَمَحِ البرق، ثم كَمَرُ الرِّيح، ثم كَمَرُ الطير، ثم كَمَرُ البهائم، حتى يمرُّ الرجلُ سعيًا، وحتى يمرُّ الرجلُ مشيًا، حتى يجيء آخرهم يتلبَّطُ على بطنه، فيقول: يا رب لم بطأت] <sup>(١)</sup> بي، فيقول: إنما بطأ بك عملك.

وَمَنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا قَدْ خَرَجَ عَنِ الاسْتِقَامَةِ عَلَى الصِّرَاطِ، فَفَتَحَ أَبْوَابَ الْمَحَارِمِ الَّتِي فِي سُورِي الصِّرَاطِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَدَخَلَ إِلَيْهَا سَوَاءٌ كَانَتِ الْمَحَارِمُ مِنَ الشَّهَوَاتِ أَوْ مِنَ الشُّبُهَاتِ أَخَذَتْهُ الْكَلَالِيْبُ الَّذِي عَلَى ذَلِكَ الصِّرَاطِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً بِحَسَبِ

= ذكر الداعي الثاني الذي يزجر عن ارتكاب المحارم وكشف ستورها، وهو الداعي من فوق: واعظ الله في قلب كل مسلم.

قال أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في «شرح مشكل الآثار» (٣٩١/٥) وقد روى حديث النواس بن سمعان بتمامه، ثم قال: «فتأملنا هذا الحديث فوجدنا كل ما فيه مكشوف المعنى، غير ما فيه من واعظ الله في قلب كل مسلم، فإننا احتجنا إلى الوقوف على حقيقته ما هو؟ فنظرنا في ذلك، فوجدنا الواعظ من الآدميين هو الذي ينهى الناس عن الوقوع فيما حرم الله عليهم، ففعلنا بذلك أن مثله في قلب المسلم، هي حجج الله عز وجل التي تنهاه عن الدخول فيما منعه الله عز وجل وحظره عليه، وإنها هي واعظ الله في قلبه من البصائر التي جعلها فيه، والعلوم التي أودعها إياها، فيكون نهياها إياه عن ذلك، وزجرها إياه عنه كنهى غيرها من الناس الذين في قلوبهم مثلها إياه عن ذلك، والله نسأله التوفيق».

(١) سقط الحديث من النسختين، وهو في آخر البياض منهما، وقد أثبتناه بقريته ما بقي منه. وقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٨٧٩٢)، والحاكم في «المستدرک» (٥٧/٢) (٥٩٨/٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (١١٨٠). وقد أورده المصنف في «التخويف من النار» (الباب السادس والعشرون) ومنه اللفظ المثبت.

ما فتح في الدنيا من أبواب المحارم ودخل إليها. فمنهم المكردس<sup>(١)</sup> في النار، ومنهم من تخذشه الكلاب وينجو<sup>(٢)</sup>.

رأى بعض السلف وكان شاباً في منامه كأن الناس حشروا، وإذا بنهر من لهب النار عليه جسر يجوز الناس عليه يدعون بأسمائهم، فمن دعي أجاب فناج وهالك، قال: فدعي باسمي فدخلت في الجسر فإذا كحد السيف يَمُورُ بي يمينا وشمالا، فأصبح الرجل أبيض الرأس واللحية ممّا رأى<sup>(٣)</sup>.

سمع بعضهم قائلًا يقول:

أمامي موقف قدام ربي يسألني وينكشف الغطاء<sup>(٤)</sup>

وحسبي أن أمر على صراط كحد السيف أسفله لظاء<sup>(٥)</sup>

فغشي عليه<sup>(٦)</sup>.

قال الفضيل لبشر: بلغني أن الصراط مسيرة خمسة عشر ألف فرسخ، فانظر كيف تكون عليه<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ف): «المكدوش».

(٢) كما في حديث أبي هريرة وحذيفة عند مسلم (١٩٥).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٩٥).

(٤) في (ت): «الغطاء».

(٥) في (ت): «الظا».

(٦) القصة في ترجمة أسود بن سالم في «تاريخ بغداد» (٤٩٩/٧).

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وقد أورده أيضاً في «التخويف من النار» في الباب السادس

قال بعضُ السَّلَفِ: بَلَّغْنَا أَنَّ الصُّرَاطَ يَكُونُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ،  
وعلى بَعْضِهِمْ كَالوَادِي الْوَاسِعِ<sup>(١)</sup>.

قال سَهْلُ التُّسْتَرِي: مَنْ دَقَّ عَلَيْهِ الصُّرَاطُ فِي الدُّنْيَا عَرُضَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ،  
وَمَنْ عَرُضَ لَهُ فِي الدُّنْيَا الصُّرَاطُ دَقَّ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>، والمعنى: أَنَّ مَنْ صَبَرَ  
نَفْسَهُ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ عَلَى الصُّرَاطِ، وَلَمْ يُعْرِجْ عَنْهُ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَلَا كَشَفَ شَيْئًا  
مِنَ السُّتُورِ الْمُرَخَّاةِ عَلَى جَانِبَيْهِ مِمَّا تَهَوَّاهُ النُّفُوسُ مِنَ الشَّهَوَاتِ أَوِ الشُّبُهَاتِ، بَلْ  
سَارَ عَلَى مَتْنِ الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ حَتَّى أَتَى رَبَّهُ، وَصَبَرَ عَلَى دَقَّةِ ذَلِكَ عَرُضَ لَهُ  
الصُّرَاطُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ وَسَّعَ عَلَى نَفْسِهِ الصُّرَاطَ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَسْتَقِمْ عَلَى  
جَادَّتِهِ بَلْ كَشَفَ سُتُورَهُ الْمُرَخَّاةَ مِنْ جَانِبَيْهِ يَمَنَةً وَيَسْرَةً، وَدَخَلَ مِمَّا شَاءَتْ نَفْسُهُ  
مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ دَقَّ عَلَيْهِ الصُّرَاطُ فِي الْآخِرَةِ، فَكَانَ عَلَيْهِ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ:

وَأَنْ تَتَنَاسَى الْهَوَى وَالْفُسُوقَا	أَمَّا أَنْ يَا صَاحِحَ أَنْ تَسْتَفِيقَا
وَصَارَ مَسَاوُكَ فِيهِ شُرُوقَا	وَقَدْ ضَحِكَ الشَّيْبُ فَاحْزَنَ لَهُ
عَسَاكَ تَجُوزُ الصُّرَاطَ الدَّقِيقَا	أَلَا فَازْجُرِ النَّفْسَ عَنْ غِيَّهَا
بِهِ يَتَنَاسَى الصَّدِيقُ الصَّدِيقَا	وَدُونَ الصُّرَاطِ لَنَا مَوْقِفُ
وَعَيْنَا تَسِحُّ وَقَلْبَا خَفُوقَا	فَتُبْصِرُ مَا شِئْتَ كَفَّا تُعْصُ

(١) قاله سعيد بن أبي هلال، أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات نعيم ص: ١٢٢)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٢٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/١٩٧).

إذا أطبقت فوقهم لم تكن      لتسمع إلا البكا والشهيقا  
 شرابهم المهل في قعرها      يقطع أوصالهم والعروفا<sup>(١)</sup>  
 آخره.

\*\*\*

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى  
 يوم الدين<sup>(٢)</sup>

قال إبراهيم بن أدهم: كل الحلال وادع بما شئت<sup>(٣)</sup>.  
 وقال لرجل: اعبد الله سراً حتى تخرج على الناس يوم القيامة كميناً<sup>(٤)</sup>  
 [وقال: لو غسلت وجهي ما كنت إلا مرئياً<sup>(٥)</sup>.  
 وقال: ما صدق الله عبدٌ أحب الشهرة<sup>(٦)</sup>.

(١) أوردها ابن الجوزي في «التبصرة» (١/ ٤٤٠) في قصيدة أطول مما هنا، بفروق يسيرة.

(٢) لم يأت هذا في (ف).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٩).

(٤) أخرجه البيهقي في «الزهد الكبير» (٤٩٦)، وفي «شعب الإيمان» (٦٥٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٢٩٩). وهنا خرم في النسخة (ف).

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٩٠) (٢٩٩٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣٠٠).

(٦) أورده البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٦٣)، وأخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٣٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٧٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/ ٣١٧).

وقال أشدُّ الجهادِ جهادُ الهوى، مَنْ منعَ نفسه هواها فقد استراحَ من الدنيا وبلاها، وكان محفوظاً معافىً من أذاها<sup>(١)</sup>.

وقال: إنك إن أدمتَ النظرَ في مرآةِ التوبةِ بان لك قُبْحُ شَيْنِ المعصية<sup>(٢)</sup>.

وقال: أنا مشغول بثلاث: بالشكر للنعمة، والاستغفار للذنوب، والاستعداد للموت<sup>(٣)</sup> [٤].

\*\*\*

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٨/٨)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٣٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٦/٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٣٥/٦).

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٥٦/٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩٢/٦).

(٤) ما بين معقوفين من (ت)، وهو مخروم من النسخة (ف). وفي حاشية (ت): «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه».

# شَرْحُ حَدِيثِ

((بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ))

1. The first part of the document is a list of the names of the members of the committee who have been appointed to study the problem of the





بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين  
فصل في خروج الامام احمد رضي الله عنه من مدينة بغداد  
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالسيوف مني الساعة حتى لا يبق في  
الارض من يشرك الله ولا يفلح ولا ينجي ولا يخلص ولا يفلح ولا ينجي ولا يخلص  
امري ومن تشبه بقوم فهو منهم وخرج ابو داود كعنه وهو قوله  
ومن تشبه بقوم فهو منهم نعم الله على من لم يفت بالسيف  
يعني ان الله تعالى بعثه داعيا الى توحيد الله بالسيف بعد دعائه  
بالحجة فمن استقبله بالوحيه بالان والحيه والبيان في السيف  
قال الله تعالى قد ارسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب والميزان  
ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس  
وليعلم الله بينه وبين الناس ان الله عز وجل في الكتب  
السابقة وصفا للنبي صلى الله عليه وسلم وان بعثت نقضت الايمان وهو  
السيف وهو بعض احوال الله وعنده من ياتى الله وقال انه  
يسئل الله ما يشي الاديان التي لا تمنعكم دله من ذور  
ان الله عليه السلام قال الحق اسراييلية وصف النبي صلى الله عليه وسلم  
انه يسئل السيف فيطوي رايه طوعا وكرها وانما السيف  
اسئل بالسيف بعد الهجرة لما صار له دار واتباع وقوة ونفوذ  
وقد كان يهدد اعداءه بالسيف قبل الهجرة كان صلى الله عليه وسلم يظفر  
بالسيف والاسرير فيخاطبهم بالحق وقالوا ما اياك شأنا

مكة

صراة هذا الرجل قد ستمه اعلانا وشتم امانا وعاب ديننا وفرق  
جناحتنا وسبب الهتنا لقد صبرنا الله على ما عظم فلما ترمهم اليه  
صلى الله عليه وسلم عزوه ببعض القول فعرف ذلك في وجهه صراة على  
فعل اذ لك به تلك مرات توقفت فقال لا تسمعون يا معشر قريش اياي ولا  
نفس محمد بن عبد الله جيتكم بالذي فاحذروا الفم كلمة حتى ما فيه كل  
المراد ما يثابره طرأته وحق في الحجة عليه فانه كذلك ليلقاها  
باحسن ما يجد من القواحي انه ليقول اني انما انا القم راسدا  
فواسه ما كنت جهولا وقال محمد بن كعب بن بلع النبي صلى الله عليه وسلم  
ان ابا جهل يقول اني جهرا زعم انكم انما جيتوه شتم ملوك فاذا انتم  
بشتم بعد موتكم وانا فيكم جنات خير من جنات الاراد ان وانكم ان  
خالقوه كان لكم منه ذبح ثم بغتم بعد موتكم وكان فيكم نار تعذبون  
بها بطلع النبي صلى الله عليه وسلم قوله فقال انا اقول ذلك ان لم يبق لذي الجناح  
وانه لا يهدم وقد امد الله اسفالي بالفتاوى في حوله كثيرة قال  
تعالى اقلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصوهم  
واقصدوا لهم كل ممد وقال فاذا انتم الذين كرهتموه بالحق  
حتى اذا اتهمتم فشدوا الوثاق فاما من اتهمتم واما قد اهدوا  
عوتبوا على اخذ الفدية منهم في قوله ان الله يوم يدرون اولئك  
ما كان ينبغي ان يكون لاسري حتى تخشوا الارض من ربكم وارضوا  
بما كنتم تعملون والله عز وجل حكيم وذا خافعا شاروا في النبي صلى الله عليه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِئْسَ مَا كُنَّا فِيهِ

احد من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال بعث بالسيف بين يدي الساعة حتى يعذبه الله وحده  
لا يشركه وجعل ربي تحت ظلي رحى وجعل الجنة والمصطفى  
على من خالفني ومن تشبه يوم فهو منهم وخرج ابو داود  
اخره وهو قوله من تشبه يعقوب فهو منهم بقوله صلى  
الله عليه وسلم يعقوب ان الله تعالى بعثه داعيا الى توحيد الله  
بعد دعائه بالحج فم لم يحج الى التوحيد بالقرآن والحجة  
والبيان دعي بالسيف قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا  
بآيات واترناهم الكتاب والميزان ليقوم الناس القسط  
واآرناهم آياتهم ما من دريد وشافع للناس ليعاينه  
من يحسن ورسله بالغاب ان الله قوي عزيز وفي الكتب  
الآتية وصف النبي صلى الله عليه وسلم وانديت فقص الادياب  
وهو السيف ودعي بعض اجاز اليهود عند موت بائنه وقولي  
انه يسفل العباد يبيح الذناري والنافلا منعك ذلك منه ورو  
المتبع عليه السلام قال لي ابراهيم في وصف النبي صلى الله عليه وسلم  
انه بيل السيف فيدخلون في دونه طوعا وكرها وانما امر صلى الله  
عليه وسلم بالسيف قبل الحج كان صلى الله عليه وسلم بطون بالياف

مجلس

واشراف فرس قد اجتمعوا الى و كانوا امانا شاميا صرنا  
عليه من هذا الرجل قد فعلنا ما نرغم امانا و اوب و ينسا  
و فرجوا غنا و اب الحسا لند صبرنا سة على اسر عظم فلما فرم  
اليه على الله عليه و لم عمر بن يعقوب القول ففرق ذلك بينه و  
على اسعليه و لم فعلوا ذلك ثلاث مرات فوقف فقال  
اسمعون يا محشر فرس ايا و الذي ينتر مجيئه لند جكم  
بالدخ فاخذنا القوم قلن حتى فافهم رجل الا كما ناعلى له  
طير و اقع و حتى اننا دم عليه قلن انك ليلفاء يا حسن يا محمد  
من القوم حتى انك ليقول انصر يا ابا القاسم و انشادوا له ما  
كث جهولا و و كل محمد بن كعب بلغ اليه على اسعليه و لم ان ابا  
جهل يقول ان مجهر و عمر بن يعقوب فتم سلوكا فاذا سمع  
يعقوب بعد موته و كانت لكونه خيرا من جان الى رد  
واكلهم ان خالفتمو كان لكم منه دمع ثم يقسم بعد موته و كان  
لكم نار بعدون بها فيكن النبي صلى الله عليه و لم قوله فقال  
وانا اقول ذلك لم حتى ليدعوا له لاحد هم و قد اس  
اس بالفعال في خواص كبري قال تعالى اقول الشركين حيث  
وجدتموه وخذوهم واحصوهم واقعدوهم كل حين  
و قال فاذا القسم الذي رجعت و انشربا لربا و حياذا  
اشحنوهم فقد و الوناق يا ما سابع و ما فدا و و لهذا



## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أيد القرآن بالسيف والسنان، ونصر الحجة والبرهان بوازع السلطان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث للعالمين رحمة بين يدي الساعة، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله يأذنه وسراجاً منيراً، فهدى الله به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغواية، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غُلْفاً، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حقَّ الجهاد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه إلى يوم المعاد.

أما بعد:

ففي هذه الرسالة اللطيفة يشرح الإمام الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى واحداً من الأحاديث الشريفة التي تنص على مسائل من مُسَلِّمات دين الإسلام<sup>(١)</sup>. فقضية الجهاد في سبيل الله - وهو ذروة سنام الإسلام - التي ذُكرت في أول هذا الحديث الشريف: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة»، وقضية التبعية السلوكية التي ذُكرت في آخر هذا الحديث الشريف: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»: كلاهما من القضايا التي يدور حولها لغط كبير في الحياة الفكرية المعاصرة، التي أمسى

---

(١) ووجد من سفهاء الكتاب من ينكر تلك المُسَلِّمات ببذاءة وشناعة، ومنهم من خصَّ هذا الحديث الشريف بمقالة مלאها سباباً وشتاماً لعلماء المسلمين من رواة الحديث، ومن الفقهاء، وخصَّ المصنف رضي الله عنه بشيء من قبيح قائلته. وحسبنا الله ونعم الوكيل!

ميزان القياس مُعَايَرًا عَلَى وفق ما تفرضه سلطة الثقافة الغربية التي غلبت على حكم العالم.

وقد أعمل الغربيون ووكلاؤهم خلال عقود زادت على قرن آلاتهم العسكرية القتالية، التي أوغلت في دماء المسلمين تسفكها، وفي أرواحهم تقتلها، رجالهم، ونسائهم، وأطفالهم، قصفاً وتفجيراً، وقتلاً وجرحاً وتهجيراً.

في الوقت نفسه الذي كانت آلاتهم الثقافية والفكرية تعمل في عقول المسلمين وأفكارهم وآرائهم في التنفير من مفردات: الجهاد، والسيف، والسنان، والقتال، والجزية،...

وهذه المفردات لم تُستعمل في الإسلام إلا لتكون كلمة الله هي العليا!!

فوقع كثير ممن يُشار إليهم بالبنان من فضلاء الكتاب والمفكرين - بل بعض من لهم في الفقه باعٌ لا يُنكر - في الانزلاق إلى القول: إن الجهاد في الإسلام ما هو إلا عبارة عن حرب دفاعية يقوم بها المسلمون في حال اعتدى عليهم أعداؤهم أو خططوا لاعتداء متوقع!

متناسين أن غاية المسلمين من جهادهم «حتى يعبد الله وحده لا شريك له»، وأن تكون «كلمة الله هي العليا»، وأن يُخرجوا العباد من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد.

\*\*\*

لم يكن فهم الجهاد خلال تاريخ يمتد أربعة عشر قرناً موضوع اختلاف أو اجتهد، حتى دُهي العالم الإسلامي بدهية استعلاء ثقافة الأعداء، فرمّت الإسلام بدائها ثم انسَلَّت.

فزعموا أن الإسلام قد انتشر بالسيف!

فاستنفر فريق من الغُيُورِ على الإسلام يردُّون هذه التهمة، وكان الأولى بها الغرييون وثقاتهم.

نعم لقد انتشر الإسلام سياسياً وجغرافياً بالسيف، وما كان لكسرى ولا لقيصر أن ينزلا عن عرشهما إلا بالسيف.

لكن الإسلام عَقْدِيًّا وثقافياً واجتماعياً لم ينتشر بالسيف، والدليل على ذلك: نصارى الشام والعراق ومصر ما زالوا آمنين في بلدانهم منذ صدر الإسلام إلى اليوم لم يجبرهم أحد على ترك دينهم والدخول في الإسلام، ولو كان الأمر كما يُفترى لَمَا كان في حواضر الإسلام دمشق وبغداد والقاهرة في الشام والعراق ومصر أحد على غير دين الإسلام.

إن الخلط بين هاتين الحقيقتين في انتشار الإسلام بالسيف - بنفيهما معاً أو إثباتهما معاً، فذلك ظلم وحيف - أدى إلى تشوهات فكرية كثيرة عشعت في أذهان كثير من الخاصة فضلاً عن العامة! والحكم على الشيء فرع عن تصوره، وإذا كان التصور غير واضح فالحكم الناتج منه بعيد عن الحق.

أما الاستدلالات الفقهية التي أتى بها بعضهم ليثبت تلك المقالة في كون الجهاد في الإسلام حرباً دفاعية فهي مغالطة من بابها إلى محرابها، منشؤها رسالة تنسب لابن تيمية رحمه الله تعرف بـ «رسالة القتال»، وقع فيها لبس بين القتل والقتال، والتباس بين الجزئيات والكلليات.

والخلاصة: موضوع الرسالة: ما هي العلة في قتل كافر في أثناء الحرب أهى كونه كافراً أم كونه مقاتلاً؟ وذكرَ مذهب الجمهور - ناصراً له - أنه لكونه مقاتلاً، ومذهب الشافعي أنه لكونه كافراً!

وهي مسألة من فروع أبواب الجهاد نقلها العلامة محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه عن «ابن تيمية» إلى منحنى آخر، فنقلها من (القتل) إلى (القتال)، ومن الفروع الجزئية إلى الأصول الكلية، وجعلها كلاماً على أصل شرعية القتال وما الباعث عليه.

وعنه تلقفها تلميذه الدكتور وهبة الزحيلي رحمه الله في كتابه «آثار الحرب في الفقه الإسلامي»، ثم جاء من أخذ عنهم ذلك الفهم، فعبّر عنه بـ (علة الجهاد)<sup>(١)</sup>!!

\*\*\*

ودونك أخي القارئ هذه الرسالة يقرر فيها الحافظ ابن رجب رحمه الله ما يقرره جميع علماء المسلمين دون اختلاف بينهم، فاعتصم بحبل ذلك الاتفاق قبل أن تظهر عُقد النقص والافتراق، والله هو الموفق للصواب.

\*\*\*

ذكر هذه الرسالة للمصنف رحمه الله: ابن عبد الهادي في «الجواهر المنضدة» (ص: ٥٠)، وسماها: «شرح حديث نصرت بالسيف».

ورواها الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٢٧٦)، وسماها: «شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة».

(١) وتفصيل نقض ذلك كله في كتابي «نصر الجهادين بقهر العدوين» طبع بدمشق ١٤٢١.

واعتمدت في إخراجها على عدة نسخ خطية:

١- النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (١٥٧)، وتقع في (١٠) لوحات (من ٢/أ إلى ١١/ب)، عنوانها: «شرح حديث بعثت بالسيف».

لم يذكر اسم الناسخ، لكن تاريخ نسخ إحدى رسائل المجموع سنة ٨٥٢هـ. وجاء في آخر هذه الرسالة قيد مقابلة مؤرخ بـ ١٣ المحرم سنة ٨٥٣.

٢- النسخة الثانية: النسخة المقدسية، ورمزها (د).

وهي في ضمن مجموع بالجامعة في القدس، وهي الرسالة الأولى من رسائل ابن رجب فيه، وتقع في (١٦) لوحة (من ٩٣/أ إلى ١٠٨/أ)، وليس في أولها عنوان.

ناسخها: إبراهيم بن علي بن أحمد بن بريد الديري القادري، ويرجع تاريخ نسخ بعض رسائل المجموع إلى ما بين سني ٨٥٥ - ٨٦١.

٣- النسخة الثالثة: نسخة المسجد الأقصى المبارك، ورمزها (ق).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (١٤٦)، وتقع في (١٥) لوحة (من ٢/أ إلى ١٦/ب) عنوانها: «شرح حديث بعثت بالسيف».

لم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكنها من خطوط القرن التاسع الهجري.

٤- النسخة الرابعة: نسخة مكتبة الفاتح باصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٥٣١٨)، وتقع في (١٧) لوحة (من ٢/أ إلى ١٧/أ)، عنوانها: «الكتاب الأول بعثت بالسيف»، وفيها أسقاط كثيرة.



ناسخها: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، وتاريخ نسخ المجموع:  
٨٩٣هـ.

٥ - النسخة الخامسة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية، ورمزها (س):  
وهي الرسالة التاسعة من المجموع (٥٢٧ / ٨٦)، وتقع في (١٠) لوحات (من  
١٢٤ / ب إلى ١٣٤ / أ)، عنوانها: «شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة».  
وهي ملفقة بخطين في ورقة واحدة، ونصفها الثاني كأنه بخط الربيعي، ناسخ  
المجموع المشهور به من رسائل ابن رجب.  
ولم أقابل بها لتأخرها.

\* تنبيه:

عنوان الرسالة في (ت) و(ق) و(ف): «شرح حديث بعثت بالسيف»، وعنوانها  
في (س) و«صلة الخلف»: «شرح حديث بعثت بالسيف بين يدي الساعة» وهو  
الذي أثبتناه.

وقد وقع في النسخ المطبوعة سابقاً، وقد زادت على سبع: «الحكم الجديدة  
بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة»، وكل تلك الطبعات  
معتمدة على أقدمها، وهي طبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٩، ضمن مجموع  
سُمي (من دفائن الكنوز) وقف على طبعه محمد حامد الفقي، اعتمد على نسخة  
متأخرة كتبت سنة ١٢٩٩هـ. وكان (س) نُسخت عنها أيضاً، وفي مقال للشيخ عبد  
الفتاح أبو غدة رحمه الله نُشر في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بعنوان:  
«حول ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب» ذكر هذه الرسالة باسم «الحكم الجديدة

بالإذاعة...» ثم قال: «وأظن هذا الاسم من صنيع ناشره حامد الفقي»، وهو كما قال، فهذا الاسم لم يرد في كتب التراجم، ولم يرد في شيء من المخطوطات التي وقفنا عليها. والله تعالى أعلم.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

\*\*\*



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم  
قال الشيخ الإمام الحافظ المحقق الحجة، زين الدين عبد الرحمن ابن رجب  
الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى ورضي عنه. آمين<sup>(١)</sup>:

### فصل

خَرَجَ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه<sup>(٢)</sup> مِنْ حَدِيثِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما، عَنِ  
النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ<sup>(٣)</sup> حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

(١) بعد البسملة في (ت) و(ق): «رب يسر وأعن» وفي (ف): «وبه ثقتي، وهو حسبي» وفي (س): «وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وأرشد به من الغي، وفتح به أعينا عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. والمثبت من (د).

(٢) «رضي الله عنه» من (ق). وفي حاشية (ف): «مطلب، من أهم المهمات: غزوات».

(٣) الصواب في هذا الحديث: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف» كذلك جاء من كل طرق التي سنذكرها،

ولم يرد هذا اللفظ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة» إلا من حديث الأوزاعي، وليس هو في مسند =

وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمَحِي، وَجُعِلَ الذَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

وخرَجَ أبو داود آخره، وهو قوله: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

= أحمد. ولعل ذلك آت من الاعتماد على الحفظ دون الكتاب من الأئمة الذين لهجوا بهذا الحديث في كتبهم وتواردوا عليه بهذا اللفظ: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة»: ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وابن رجب رحمهم الله تعالى، وقع ذلك في مواطن كثيرة من كلامهم. وسقطت «بين يدي الساعة» من إحدى روايات المسند كما سيأتي.

(١) مدار حديث ابن عمر هذا على حسان بن عطية، وهو من ثقات التابعين، روى له الستة، روى هذا الحديث عن أبي المنيب الجرشي الدمشقي، وهو أيضاً من ثقات التابعين، ولم يتكلم فيه أحد - إلا التباساً. انظر «ذيل الميزان» للعراقي (ص: ٢١٩) - روى هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما. ورواه عن حسان بن عطية:

١ - عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان العنسي، وهو عدل في دينه، تُكَلِّم في ضبط حديثه، واختلفوا فيه لذلك. رواه عنه:

- محمد بن يزيد الواسطي، أخرجه الإمام أحمد (٥١١٤)، وأبو يعلى (كما في إتحاف الخيرة ٢/ ٤٥٣٤) وسقطت لفظة: «بين يدي الساعة» من مسند أحمد.

- أبو النصر هاشم بن القاسم، أخرجه الإمام أحمد (٥١١٥) (٥٦٦٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة (١٩٧٤٧) (٣٣٦٨٧)، وأبو داود (٤٠٢٧) بآخر جملة منه فحسب، وأبو يعلى (ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ٦٧ / ٢٥٨)، والبيهقي في «الشعب» (١١٥٤)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢ / ١٤٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٧ / ٢٥٨)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥ / ٥٠٩) وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣ / ٤٤٦).

- محمد بن يوسف الفريابي، أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٦)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١١٣٧) ومن طريقه: البيهقي في «الشعب» (١١٥٤)، وأخرجه تمام في «فوائده» (٧٧٠)، ومن طريقه ابن عساكر (٦٧ / ٢٥٧)، وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٤٦٧)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٧ / ٢١٨ طبعة بشار)، وابن عساكر (٦٧ / ٢٥٧).

= - سليمان بن داود الطيالسي، أخرجه عبد بن حميد (المنتخب ٨٤٨)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤٤٦ / ٣).

- موسى بن داود الضبي، أخرجه عبد بن حميد ومن طريقه ابن حجر في «تغليق التعليق» (٤٤٦ / ٣).  
- غسان بن الربيع، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٤١٠٩)، و«مسند الشاميين» (٢١٦)، والدينوري في «المجالسة» (١٤٧).

- علي بن عياش الحمصي، أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٢١٦)، ومحمد بن يونس المقرئ في جزء فيه تفسير القرآن برواية أبي جعفر الترمذي (٣٩٧)، والهروي في «ذم الكلام» (٤٦٧).

٢- ورواه أيضاً: الإمام الأوزاعي:

أخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٣١)، وابن حزم في «جزء من حديث الأوزاعي» (٣١).

من طرق عن الوليد بن مسلم قال: حدثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية، به.  
لكن:

رواه الأكابر عن الأوزاعي، فقالوا: عن الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، عن طاوس، عن النبي ﷺ.  
رواه الأوزاعي في الجهاد (١٠٥) بتمامه، ومن طريقه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣٩٠) بآخره فحسب.

ورواه سفيان الثوري، وعنه وكيع، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٦٨٢).

ورواه عيسى بن يونس، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٣٦٨١) (١٩٧٨٣).

وخالفهم: صدقة بن عبد الله السمين، فرواه عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً. أخرجه البزار (٨٦٠٦) بتمامه: دون ذكر السيف والساعة. وقال: «وهذا الحديث قد خولف صدقة في إسناده، فرواه غيره عن الأوزاعي بغير هذا الإسناد مرسلًا، ولم يتابع صدقة على روايته هذه عن الأوزاعي بهذا الإسناد».

وأخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٤٦٥)، ومن طريقه: الذهبي في «السير» (٢٤٢ / ١٦).

وهذه الرواية خطأ، مُعَلَّة لا يصلح أن تقوى ولا أن تتقوى.

نقل أبو حاتم عن دُحَيْم: «هذا الحديث ليس بشيء، الحديث حديث الأوزاعي، عن سعيد بن جبلة، =

= عن طاوس عن النبي ﷺ ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٩٥٦).

وقال الدارقطني في «العلل» (١٧٥٤) وقد سئل عن حديث أبي هريرة: «يروه الأوزاعي، واختلف عنه، فرواه صدقة بن عبد الله السمين، وهو ضعيف، عن الأوزاعي، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة.

وخالفه الوليد بن مسلم، رواه عن الأوزاعي، عن حسان بن عطية، عن أبي المنيب الجرشي، عن ابن عمر، وهو الصحيح».

فتلخص من هذا: ثبوت الحديث عن الأوزاعي وأنه حَدَّثَ به، مرسلاً من حديث طاوس وموصولاً من حديث ابن عمر، وأن حديث أبي هريرة خطأ.

وصَوَّبَ دحيم مرسل طاوس، وصَوَّبَ الدارقطني حديث ابن عمر. فيتج أنهما محفوظان عن الأوزاعي، وهذا كله يقوِّي رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وأنه مما حفظه وليس مما ينكر عليه تفرده به.

ولحديث ابن عمر هذا شواهد، هو أمثلُ منها، فلا نطيل بتبعها.

ويكفيه موافقة كتاب الله جل جلاله:

قال جل جلاله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وقال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا الْمَشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَتَرْبَّ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤].

وقال عز من قائل: ﴿قُلِِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقد احتج به أهل العلم في كلامهم فذكر الإمام محمد بن الحسن الشيباني مرسل طاوس في «السير الكبير» (١/ ١٦ مع شرحه للسرخسي)، واحتج به الإمام أحمد بن حنبل.

وعلق البخاري في «صحيحه» طرفاً منه قبل الحديث (٢٩١٤)، فقال: باب ما قيل في اتخاذ الرماح، ويذكر عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري».

= وقال ابن تيمية رحمه الله في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١ / ٢٦٩): «إسناد جيد»، وقال الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» (١٥ / ٥٠٩): «إسناده صالح».

وقال العراقي رحمه الله تعالى في «تخريج أحاديث الإحياء» (كتاب آداب الكسب والمعاش): «إسناده صحيح»، وحسّن ابن حجر رحمه الله مرسل طاوس في «فتح الباري» (قبل شرح حديث ٢٩١٤)، وفي «تغليق التعليق» (٢٩١٣).

أما قول الشيخ شعيب الأرناؤوط رحمه الله: «وكيف يُبعث ﷺ بالسيف، والله يقول في وصفه في محكم كتابه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]...» فغريبٌ من مثله، عجيبٌ في مغالطته!

ولأجل ذلك ضعّف الحديث في «سنن أبي داود» (٤٠٣١ من طبعته)، وفي تعليقه على «المسند» (٥١١٤) وأنكره على عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، ونقل عن أحمد أن له أحاديث منكّرة، لكنه أتبع ذلك بقوله: «وهذا منها!» وهذا غير سديد يفهم منه إدراج ذلك فيما نقل عن أحمد مع أن الإمام أحمد قد احتج بهذا الحديث، ثم كرّر على حديث الأوزاعي فأعله بثلاث علل لا تنهض منها واحدة، بل هي مردودة غير عائدة، بعد أن حكم على إسناد عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، بالحسن، وقوى حديث الأوزاعي في تعليقه على «شرح مشكل الآثار» (٢٣١) وتلك العلل:

١- تفرد الوليد بن مسلم بروايته عن الأوزاعي عن حسان، وأن الوليد مدلس فلعله سواه وأسقط عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان بين الأوزاعي وحسان فيرجع الحديث إلى عبد الرحمن بن ثابت! قلت: الوليد ثقة وصرح بالتحديث، وليس من شأن الأوزاعي أن يروي عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، ولو كان قد لقيه! ولم أظفر بحديث واحد فيه رواية الأوزاعي عن عبد الرحمن، وإنما كتب له ناصحاً في مسألة القَدَر!

٢- توهيم شيخ الطحاوي، وهذا لا معنى له بعد ثبوت الحديث من طرق عن الوليد بن مسلم كما سبق.

٣- الحكم على الروايات عن الأوزاعي بالاضطراب، وقد تقدم بيان راجحها من مرجوحها وأنه محفوظ عنه من وجهين، والثالث منها خطأ، فلا يسمى هذا اضطراباً.

والخلاصة: أن هذا الحديث ثابت، وأن معناه غير منكّر، والله تعالى أعلم.



فقوله ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ» يعني أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِهِ بِالسَّيْفِ، بَعْدَ دُعَائِهِ بِالْحُجَّةِ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَجِبْ إِلَى التَّوْحِيدِ بِالْقُرْآنِ وَالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ دُعِيَ بِالسَّيْفِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥].

وفي الكتب السابقة وَصِفَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَنَّهُ يُبْعَثُ بِقَضِيْبِ الْأَدَبِ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ السَّيْفُ.

وَوَصَّى بَعْضُ أَجْبَارِ الْيَهُودِ عِنْدَ مَوْتِهِ بِاتِّبَاعِهِ، وَقَالَ: إِنَّهُ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَسْبِي الذَّرَارِيَّ وَالنِّسَاءَ فَلَا يَمْنَعُكُمْ ذَلِكَ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

وَرُوي أَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ فِي وَصْفِ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّهُ يَسْلُ السَّيْفَ، فَيَدْخُلُونَ فِي دِينِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا<sup>(٣)</sup>.

وَأَمَّا أَمْرُ<sup>(٤)</sup> ﷺ بِالسَّيْفِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، لَمَّا<sup>(٥)</sup> صَارَ لَهُ دَارٌ وَأَتْبَاعٌ وَقُوَّةٌ وَمَنْعَةٌ، وَقَدْ كَانَ يَتَهَدَّدُ أَعْدَاءَهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ.

كَانَ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ قَدْ اجْتَمَعُوا بِالْحِجْرِ، وَقَالُوا: مَا رَأَيْنَا

(١) ذكره ابن تيمية رحمه الله في رسالته «القبرصية» (ضمن مجموع الفتاوى ٢٨ / ٦١٥)، وابن القيم في «أحكام أهل الذمة» (٢ / ٣٩٥).

(٢) وهو ابن الهيثبان. والخبر أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩ / ١١٤).

(٣) ذكره أيضاً ابن ناصر الدين الدمشقي في «جامع الآثار في مولد النبي المختار» (١ / ١٢٢)، وذكر أنه في «إنجيل يوحنا» الذي كتبه بالرومية.

(٤) في المطبوعات: «أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ».

(٥) في (د): «ولما».

مثل ما صَبَرْنَا عليه مِنْ هذا الرَّجُلِ، قد سَقَّه أَحْلَامُنَا<sup>(١)</sup> وَشَتَمَ آبَاءَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا، وَسَبَّ آلِهَتَنَا، لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ، فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ النَّبِيُّ ﷺ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ الْقَوْلِ، فَعُرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ﷺ، فَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَوَقَفَ، فَقَالَ: «أَتَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَمَّا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ»، فَأَخَذَتِ الْقَوْمَ كَلِمَتُهُ حَتَّى مَا فِيهِمْ رَجُلٌ إِلَّا كَانَتْما عَلَى رَأْسِهِ طَيْرٌ وَاقِعٌ، وَحَتَّى أَنْ أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ لِيَلْقَاهُ بِأَحْسَنِ مَا يَجِدُ مِنَ الْقَوْلِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ: انصَرِفْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ رَاشِدًا فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ جَهُولًا<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: بَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ يَقُولُ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَزْعُمُ أَنَّكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عِشْتُمْ مُلُوكًا، فَإِذَا مِتُّمْ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَكَانَتْ لَكُمْ جَنَّتٌ خَيْرٌ مِنْ جَنَّاتِ الْأُرْدُنِّ، وَأَنَّكُمْ إِنْ خَالَفْتُمُوهُ كَانَ لَكُمْ مِنْهُ ذَبْحٌ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ، وَكَانَ لَكُمْ نَارٌ تُعَذِّبُونَ بِهَا، فَبَلَغَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلُهُ، فَقَالَ: «وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ، إِنَّ لَكُمْ مِنْهُ لَذَبْحًا، وَإِنَّهُ لَأَحَدُهُمْ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ أَمَرَهُ<sup>(٤)</sup> اللَّهُ تَعَالَى بِالْقِتَالِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥]<sup>(٥)</sup>،

(١) فِي حَاشِيَةِ (ف): «السَّفَه: ضِدُّ الْجَلْم».

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٧٠٣٦) مَطْوَلًا، وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ طَرَفًا مِنْهُ، وَأَشَارَ إِلَى مُتَابَعَةِ الطَّرِيقِ الَّتِي أَخْرَجَهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ لَمَّا رَوَاهُ (٣٨٥٦) وَلَيْسَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ مَحَلُّ الشَّاهِدِ.

(٣) فِي (د): «جَنَاتِ الْأُرْدُنِّ»، وَالْخَبَرُ مِنْ «سِيرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ»، وَهُوَ فِي «سِيرَةِ ابْنِ هِشَامَ» (٢/ ٣٠٩) مَعَ الرُّوُضِ الْأَنْفِ.

(٤) فِي الْمَطْبُوعَاتِ: «أَمْرٌ!»

(٥) جَاءَ فِي نَسَخِنَا الْخَطِيَّةَ: «اقْتُلُوا».

وَقَالَ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوا فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْبَهُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد: ٤]، ولهذا عُوتِبُوا عَلَى اخْتِذِ الْفِدَاءِ مِنْهُمْ فِي أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلُوهُ يَوْمَ بَدْرٍ، وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَتْ لِيَنِّي أَنْ تَكُونَ﴾ (١) أَسْرَى حَتَّى يُشَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [الأنفال: ٦٧] وَكَانُوا قَدْ أَشَارُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِأَخْذِ الْفِدَاءِ مِنَ الْأَسَارَى (٢) وَإِطْلَاقِهِمْ (٣).

قَالَ ابْنُ عَيْنَةَ (٤): أَرْسَلَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِأَرْبَعَةِ سِوْفٍ: سِيفٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ حَتَّى يُسَلِّمُوا، وَسِيفٍ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مِنْ غَيْرِهِمْ حَتَّى يُسَلِّمُوا أَوْ يُسْتَرْقُوا أَوْ يُفَادَى بِهِمْ، وَسِيفٍ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ، وَسِيفٍ عَلَى أَهْلِ الْقَبْلَةِ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ (٥).

(١) هذه على قراءة أبي عمرو، وقراءة حفص: «يكون».

(٢) في (د): «الأسرى».

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢٠٨) (٢٢١)، ومسلم (١٧٦٣) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٤) تصحفت في (د) إلى: قتيبة!

(٥) لم أجد هذا السياق الذي أورده المصنف رحمه الله عن ابن عينة.

وإنما أخرج ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٩٠) نحوه عن ابن عينة، وذكر السيوف الأربعة، وقال: «نزل بها القرآن، ومضت بها السنة، وأجمعت عليها الأمة:

- سيف لمشركي العرب على يدي رسول الله ﷺ، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

- وسيف لأهل الردة على يدي أبي بكر رضي الله عنه، وهو قوله: ﴿نَقَاتِلُوهُمْ أَوْ بُيُوتُوهُمْ﴾ [الفتح: ١٦].

- وسيف لأهل الكتاب على يدي عمر رضي الله عنه، ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وفيما ذكره نزاع بين العلماء، فإنَّ منهم مَنْ يُجيزُ المفاداةَ والاستِرقاقَ في العربِ وغيرهم<sup>(١)</sup>، وكذلك منهم مَنْ يُجيزُ أخذَ الجزيةِ من الكفارِ جميعهم<sup>(٢)</sup>.

= - وسيف في أهل الصلاة على يد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴿وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، ولولا علي ما عُرف قتال أهل القبلة. انتهى.

- وذكره السرخسي في «المبسوط» (٣ / ١٠) و«شرح السير الكبير» (١ / ١٦) وزاد ذكر المجوس فيمن قاتلهم عمر رضي الله عنه، وذكر المارقين والناكثين والقاسطين فيمن قاتلهم علي رضي الله عنه.

وقد أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٢٥٤) عن سفيان بن عيينة: قال علي بن أبي طالب: «بُعِثَ النبي ﷺ بأربعة أسياف:

سيف في المشركين من العرب، قال الله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

هكذا علقه سفيان عن علي رضي الله عنه دون أن يسنده إليه، ولم يذكر السيوف الثلاثة الباقية. ونقله ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ١١٣) كذلك، ثم قال: «هكذا رواه مختصراً، وأظن أن السيف الثاني هو قتال أهل الكتاب في قوله: ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ الآية [التوبة: ٢٩]، والسيف الثالث: قتال المنافقين في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣، والتحريم: ٩]، والرابع: قتال الباغين في قوله: ﴿وَأَن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا...﴾ الآية [الحجرات: ٩]. انتهى.

وهو الذي ذكره المصنف ابن رجب رحمه الله بعد هذا.

(١) جواز استرقاق العرب هو قول الجمهور: المالكية والشافعية والحنابلة، ومنع منه الحنفية والشافعية في القديم، وهو الموافق لما قال ابن عيينة. انظر: «التبصرة» للخمّي (٣ / ١٤٤٩)، و«شرح النووي على مسلم» (١٢ / ٣٦)، و«كتاب الروايتين والوجهين» لأبي يعلى (٢ / ٣٥٦)، و«الاختيار لتعليل المختار» للموصلي (٤ / ١٣٧).

(٢) تؤخذ الجزية من جميع الكفار عند المالكية، وعند الحنفية تؤخذ من الجميع إلا من مشركي العرب ومجوسهم، وعند الشافعية والحنابلة لا تُقبل الجزية إلا من أهل الكتاب ومعهم المجوس، ولا تقبل من غيرهم.

والذي يظهر أنَّ في القرآن ذكر أربعة سُيوف:

سيفٌ على المُشركين حتَّى يُسَلِّمُوا، أو إن أُسِرُوا فإِمامًا مِنَّا بعدُ وإِمامًا فِدَاءً.

وسيفٌ على المنافقين وهو سيفٌ<sup>(١)</sup> الزنادقة، وقد أمر الله بِجِهَادِهِم والإِغْلَظِ عَلَيْهِم في سورة براءة وسورة التَّحْرِيمِ وآخرِ سورة الأحزاب<sup>(٢)</sup>.

وسيفٌ على أهلِ الكتابِ حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ.

وسيفٌ على أهلِ البغي، وهو المذكورُ في سورة الحجرات<sup>(٣)</sup>. ولم يسلِّ ﷺ هذا السَّيفَ في حياتِهِ، وإِنَّمَا سَلَّهُ عَلَيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في خلافتِهِ، وكان عَلَيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي عَلَّمْتُ النَّاسَ قِتَالَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ<sup>(٤)</sup>.

= انظر: «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» للقرطبي (٣ / ٥١٥)، و«الاختيار لتعليل المختار» للموصللي (٤ / ١٣٧)، و«البيان» للعمرائي (١٢ / ٢٤٩)، و«المغني» لابن قدامة (١٣ / ٢٠٣).

(١) في (ق): «المنافقين وهم الزنادقة».

(٢) سورة براءة (التوبة) الآية ٧٣، سورة التحريم الآية ٩، سورة الأحزاب الآية ٦٠ - ٦١.

(٣) سورة الحجرات: ٩.

(٤) قال علي رضي الله عنه: «أرايتم لو أني غبت عن الناس، من كان يسير فيهم بهذه السيرة؟» أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٥٩٣).

ومن كلام سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما: «لولا علي بن أبي طالب لم يعلم الناس كيف يقاتلون أهل القبلة» ذكره ابن بطال في «شرح البخاري» (١٠ / ١٧)، وقال إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «إن أول من علَّم قتال أهل القبلة علي بن أبي طالب» ذكره اليعقوبي في «تاريخه» (٢ / ٣٨٣).

وقال ابن عينة رحمه الله: «ولولا علي ما عُرف قتال أهل القبلة». أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٩٠).

= وهذا منقول أيضاً عن الأئمة أبي حنيفة والشافعي وأحمد رحمهم الله تعالى.

وله ﷺ سيفٌ آخرُ.

منها: سيفُهُ على أهلِ الرُّدَّةِ، وهو الذي قال: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»<sup>(١)</sup>، وقد سلَّه أبو بكر الصِّدِّيقُ رضي الله عنه مِنْ بَعْدِهِ في خِلافَتِهِ على مَنْ ارْتَدَّ مِنْ قِبَائِلِ الْعَرَبِ. ومنها: سيفُهُ على المارقين، وهم أهلُ البِدْعِ الخوارج<sup>(٢)</sup>، وقد ثَبَتَ عَنْهُ الْأَمْرُ بِقِتَالِهِمْ مع اختلافِ الْعُلَمَاءِ في كُفْرِهِمْ، وقد قَاتَلَهُمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه في خِلافَتِهِ مع قولِهِ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِكُفَّارٍ<sup>(٣)</sup>.

وقد رُوِيَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِقِتَالِ الْمَارِقِينَ وَالنَّاكِثِينَ وَالْقَاسِطِينَ<sup>(٤)</sup>، وقد حَرَّقَ عَلِيٌّ رضي الله عنه طَائِفَةً مِنَ الزَّنادِقَةِ، فَصَوَّبَ ابْنُ عَبَّاسٍ

= انظر: «درج الدرر في تفسير الآي والسور» للجرجاني (٤ / ١٥٦٠)، و«الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار» للعمرائي (٣ / ٨٩٩)، و«مناقب الشافعي» لليهقي (١ / ٤٥١). (١) أخرجه الإمام أحمد (١٨٧١)، (٢٥٥١ - ٢٥٥٢)، والبخاري (٣٠١٧) (٦٩٢٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ق): «والخوارج». وفي المطبوعات: «كالخوارج» وبدون الكاف يكون المعنى أوفق. (٣) كفر الخوارج من المسائل الصعبة، قال فيها المازري رحمه الله «وقد كادت هذه المسألة تكون أشد إشكالاً عند المتكلمين من سائر المسائل» كما في «المعلم بفوائد مسلم» (٢ / ٣٦). وقد سُئِلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: أكفارٌ هم؟ قال: من الكفر فُرُوا. أخرجه عبد الرزاق (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة (٣٩٠٩٧) بنحوه، ولفظه: «من الشرك فُرُوا».

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٩٠٧)، والبخاري (٦٠٤) (٧٧٤)، والطبراني في «الأوسط» (٨٤٣٣) من حديث علي رضي الله عنه.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٠٥٣) (١٠٠٥٤)، والأوسط (٩٤٣٤)، والخطيب في «تالي التلخيص» (٢٣٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في قضية علي رضي الله عنه. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٠٤٩) عن أبي أيوب رضي الله عنه في قضية نفسه، ولم يذكر علياً رضي الله عنه.

والرواية بتقديم الناكثين ثم القاسطين ثم المارقين. الجمل ثم صفين ثم النهراون.

رضي الله عنه قتلهم وأنكر عليه تحريقهم بالنار، فقال علي: ويح ابن عباس، إنه لبخّاث<sup>(١)</sup> عن الهنات<sup>(٢)</sup>.

قوله ﷺ: «بين يدي الساعة»، يعني أمامها، ومراده أنه بُعثَ قَدَامَ السَّاعَةِ قريباً منها، ومن أسمائه: الحاشِرُ والعاقِبُ، كما صحَّ عنه ﷺ أنه قال: «أنا محمّدٌ، وأحمدُ، والماحي الذي يمحو الله بي الكُفْرَ، والحاشِرُ الذي يُحشِرُ النَّاسَ على قَدَمَيَّ، والعاقِبُ» الذي ليس بعده نبيٌّ<sup>(٣)</sup>.

وقد جعل الله انشقاق القمر من علامات اقتراب الساعة كما قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وكان انشقاقه بمكة قبل الهجرة.

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال: «بُعثت أنا والسَّاعةُ كهاتين»، وأشار بإصبعه السَّبَابَةِ والوسطى. خرَّجَاهُ في الصَّحِيحَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

وخرَّجَ الإمامُ أحمدُ من حديث بُرَيْدَةَ: «بُعثت أنا والسَّاعةُ جميعاً إن كادت لتسبِقنِي»<sup>(٥)</sup>.

(١) تصحفت في جميع نسخنا إلى: «ليخات».

(٢) هو طرف من الحديث المتقدم: «من بدل دينه فاقتلوه»، وهذه الرواية أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥١٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٩٤٣)، ولفظه: «إنه لغَوَاصٌ على الهنات».

ولعل ما ذكره المصنف من النقل بالمعنى.

وفي حاشية (ت): «الهنات: الأخبار والأمور المستغربة من شر».

(٣) أخرجه البخاري (٤٨٩٦) (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه، وتفسير العاقب من الرواة.

(٤) أخرجه الشيخان عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم، منهم: أنس رضي الله عنه عند البخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١)، وسهل بن سعد عند البخاري (٦٥٠٣) ومسلم (٢٩٥٠).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٩٤٧).

وللترمذِيِّ: «بُعِثْتُ فِي نَفْسِ السَّاعَةِ، فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ لِهَذِهِ»<sup>(١)</sup> لِإِصْبَعِيهِ السَّبَابَةِ وَالْوُسْطَى.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ نَبِيٌّ آخَرُ، كَمَا أَنَّ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى لَيْسَ بَيْنَهُمَا إِصْبَعٌ أُخْرَى<sup>(٢)</sup>.

وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يَدُلُّ مَعَ ذَلِكَ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ السَّاعَةِ.

وَكَانَ قِتَادَةُ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّاعَةِ كَمِقْدَارِ فَضْلِ السَّبَابَةِ عَلَى الْوُسْطَى<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ بَيْنَهُمَا مِنَ الْفَضْلِ<sup>(٤)</sup> مِقْدَارَ نَصْفِ سُبْعٍ، وَأَخَذُوا مِنْ هَذَا أَنَّ بَقَاءَ أَمَّتِهِ أَلْفُ سَنَةٍ، وَهُوَ سُبْعُ الدُّنْيَا<sup>(٥)</sup>، وَفِيهِ وَرَدَ ذَلِكَ مَرْفُوعاً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ [زَيْمِلٍ]<sup>(٦)</sup>، وَلَكِنْ إِسْنَادُهُ لَا يَصِحُّ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٢١٣) مِنْ حَدِيثِ الْمُسْتَوْدِدِ بْنِ شَدَادٍ الْفَهْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ».

(٢) هَذَا التَّفْسِيرُ لَابْنِ حَبَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَهُ عَقِبَ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦٦٤٠).

(٣) هُوَ فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَقِبَ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٩٥١).

(٤) فِي (د): «الْمَفْصَلُ».

(٥) «تَارِيخُ الرِّسْلِ وَالْمُلُوكِ» لِلطَّبْرِيِّ (١ / ١٦).

وَفِي حَاشِيَةِ (ت): «أَصْلُ الْقَوْلِ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يُؤْلَفُ تَحْتَ الْأَرْضِ».

قُلْتُ: وَقَدْ ظَهَرَ الْقَطْعُ بِبَطْلَانِهِ.

(٦) جَاءَ فِي النُّسخِ الْخَطِيئةِ: «رَمِيلٌ»، وَهُوَ تَصْحِيفٌ صَوَابُهُ الْمَثَبُ، وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ

فِي «الْكَبِيرِ» (٨١٤٦)، وَابْنُ الْبَيْهَقِيِّ فِي «دَلَائِلِ النُّبُوَّةِ» (٧ / ٣٧). وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «الْعِلَلِ

الْمُتَنَاهِيَةِ» (١١٧١).



وقد رجّح ذلك ابنُ الجوزي<sup>(١)</sup> والسَّهيليُّ وقال: إن لم يصحَّ فيه الحديثُ المرفوعُ فقد صحَّ عن ابنِ عباسٍ وغيره<sup>(٢)</sup>، وهو عند أهلِ الكتابِ كذلك<sup>(٣)</sup>. وممَّا يدلُّ أن بعثةَ محمدٍ ﷺ من علاماتِ الساعةِ أن الدَّجَالَ سأل عن خروجه في حديثِ الجَسَّاسَةِ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

قوله ﷺ: «حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ».

هذا هو المقصودُ الأعظمُ من بعثته ﷺ، بل ومن بعثةِ الرُّسُلِ مِنْ قَبْلِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا يُوحِي<sup>(٥)</sup> إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، بل هذا هو المقصودُ من خلقِ الخلقِ وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فما خلَقهم إِلَّا لِيَأْمُرَهُمْ بعبادته، وأخذَ عليهم العهدَ لَمَّا استخرجَهُمْ مِنْ صُلْبِ آدَمَ عَلَى ذَلِكَ، كما قال

(١) في «المنتظم» (١/ ١٢٦ - ١٢٧).

(٢) في «الروض الأنف» (٤/ ٤١٩).

(٣) ما يروى عن ابن عباس: «الدنيا سبعة أيام كل يوم ألف سنة، وبعث رسول الله ﷺ في آخر يوم منها». أخرجه الطبري في «تاريخه»، (١/ ١٠) والأخبار عن أهل الكتاب ذكرها السيوطي في «الكشف عن مجاوزة الأمة الألف» (ص: ٣٠ - ٣٢) وقد ظهر بطلان هذا القول وعدم صحته عن ابن عباس بما قد غبر من السنين ولا يجليها لوقتها إلا هو سبحانه.

وقد أطنب المصنف رحمه الله في هذه المسألة في كتابه «فتح الباري» (٤/ ٣٣٢ - ٣٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٤٢) من حديث فاطمة بنت قيس.

(٥) «يوحى» على قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حفص: «نوحى».

تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ<sup>(١)</sup> وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ الآية [الأعراف: ١٧٢].

وقد تكاثرت الأحاديث المرفوعة والآثار الموقوفة في تفسير هذه الآية أنه تعالى استنطقهم حينئذ فآقروا كلهم بوحدانيته، وأشهدهم على أنفسهم، وأشهد عليهم أباهم آدم والملائكة، ثم إنه تعالى تعاقدهم في كل زمان بإرسال رسول<sup>(٢)</sup> وإنزال كتاب يذكّرهم بالعهد الأول، ويجدد عليهم العهد والميثاق على أن يؤخّذوه ويعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأشار إلى آدم وحواء عند هبوطهما من الجنة إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ<sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٨-٣٩] وفي سورة طه نحو هذا<sup>(٤)</sup>.

فما وفي بنو آدم كلهم بهذا العهد المأخوذ عليهم، بل نقضه أكثرهم وأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً، فبعث الله الرسل تُجدد ذلك العهد الأول، وتدعو إلى تجدد الإقرار بالوحدانية، فكان أول رسول بُعث إلى أهل الأرض يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشرك نوح عليه السلام؛ فإن الشرك كان قد فشا في الأرض في بني آدم قبل نوح، فبعث الله تعالى نوحاً فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعو إلى الله تعالى وإلى عبادته وحده لا شريك له، كما ذكره سبحانه وتعالى في سورة نوح أنه قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا<sup>(٥)</sup>﴾ [نوح: ٣]، وأخبر في موضع آخر عنه أنه قال لهم:

(١) «ذريّاتهم» على قراءة أبي عمرو، وفي قراءة حفص: «ذريّتهم».

(٢) في (ف): «الرسول».

(٣) الآية: ١٢٣.

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] فما استجاب له إِلَّا قَلِيلًا<sup>(١)</sup> منهم وأكثرهم أَصْرُوا على الشُّرِكِ، وقالوا: ﴿لَا نَذَرُنَّ الْهَتَكَ وَلَا نَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَاقُوتَ وَيَعُوقَ وَشُرًّا﴾ [نوح: ٢٣] فَلَمَّا أَصْرُوا على كُفْرِهِمْ أَغْرَقَهُم بِالطُّوفَانِ، وَنَجَّى نُوحًا وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ فِي الْفَلَكِ ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَعَا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحَدَّه لَا شَرِيكَ لَهُ، وَنَاطَرَ عَلَى ذَلِكَ أَحْسَنَ مُنَاطَرَةٍ، وَأَبْطَلَ شُبُهَةَ الْمُشْرِكِينَ<sup>(٢)</sup> بِالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، وَكَسَرَ أَصْنَامَ قَوْمِهِ حَتَّى جَعَلَهُمْ جُذَاذًا، فَأَرَادُوا حَرِيقَهُ فَنَجَّاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ وَجَعَلَهَا عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، وَوَهَبَ اللَّهُ لَهُ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، فَجَعَلَ عَامَّةَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْحَاقَ<sup>(٣)</sup>، فَإِنَّ إِسْرَائِيلَ هُوَ يَعْقُوبُ بْنُ إِسْحَاقَ، وَأَنْبِيَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّهُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ يَعْقُوبَ، كِيُوسُفَ وَمُوسَى وَدَاوُدَ وَسَلِيمَانَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَآخَرُهُمُ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّمَا دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ، كَمَا قَالَ: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٧].

ثُمَّ طَبَّقَ الشُّرِكُ الْأَرْضَ بَعْدَ الْمَسِيحِ، فَإِنَّ قَوْمَهُ الَّذِينَ ادَّعَوْا اتِّبَاعَهُ وَالْإِيمَانَ بِهِ أَشْرَكُوا بِهِ غَايَةَ الشُّرِكِ، فَجَعَلُوا الْمَسِيحَ هُوَ اللَّهُ أَوْ ابْنُ اللَّهِ وَجَعَلُوا أُمَّهُ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ.

وَأَمَّا الْيَهُودُ: فَإِنَّهُمْ وَإِنْ تَبَرَّؤُوا مِنَ الشُّرِكِ، فَالشُّرِكُ فِيهِمْ مَوْجُودٌ، فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ عَبْدَ الْعِجَلِ فِي حَيَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَالَ فِيهِ إِنَّهُ اللَّهُ وَإِنَّ مُوسَى نَسِيَ رَبَّهُ وَذَهَبَ يَطْلُبُهُ، وَلَا شِرْكَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا، وَمِنْهُمْ طَائِفَةٌ قَالُوا الْعَزِيرُ ابْنُ اللَّهِ، وَهَذَا مِنْ

(١) في حاشية (ت) و(ف): «قَلِيلًا منصوب على الاستثناء، وبالرفع يكون فاعل (ما استجاب) على الأصل، وهو أولى لأنه الراجح».

(٢) في حاشية (ت) إشارة إلى نسخة: «الشرك».

(٣) في حاشية (ف): «ما سوى نبينا ﷺ فإنه من نسل إسماعيل عليه السلام».

أَعْظَمَ الشَّرِكِ، وَأَكْثَرُهُمْ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ<sup>(١)</sup> أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ فَأَطَاعُوهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُمْ<sup>(٢)</sup> لِأَنَّ مَنْ أَطَاعَ مَخْلُوقًا فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَاعْتَقَدَ جَوَازَ طَاعَتِهِ أَوْ وُجُوبَهَا فَقَدْ أَشْرَكَ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ حَيْثُ جَعَلَ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ لِغَيْرِ اللَّهِ.

وَأَمَّا الْمَجُوسُ: فَشَرَكُوهُمْ ظَاهِرٌ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ بِالْهَيْنِ قَدِيمِينَ، أَحَدُهُمَا نُورٌ وَالْآخَرُ ظِلْمَةٌ، فَالنُّورُ خَالِقُ الْخَيْرِ، وَالظُّلْمَةُ خَالِقُ الشَّرِّ، وَكَانُوا يَعْبُدُونَ النَّيرَانَ. وَأَمَّا الْعَرَبُ وَالْهِنْدُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ فَكَانُوا أَظْهَرَ النَّاسِ شُرَكَاءَ، يَعْبُدُونَ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً<sup>(٣)</sup> كَثِيرَةً وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُقَرَّبُ إِلَيْهِ زُلْفَى.

فَلَمَّا طَبَّقَ الشَّرِكُ أَقْطَارَ الْأَرْضِ، وَاسْتَطَارَ شَرُّهُ فِي الْآفَاقِ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَنِيفِيَّةِ الْمَحْضَةِ وَالتَّوْحِيدِ الْخَالِصِ دِينَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُو الْخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَكَانَ يَدْعُو سِرًّا إِلَى ذَلِكَ نَحْوَ ثَلَاثِ سِنِينَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِعْلَانِ الدَّعْوَةِ وَإِظْهَارِهَا وَقِيلَ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] فَدَعَا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى تَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ جَهْرًا، وَأَعْلَنَ الدَّعْوَةَ، وَذَمَّ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَذَمَّ مَنْ عَبَدَهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَتَارَ عَلَيْهِ الْمَشْرُكُونَ،

(١) «ورهبانهم» زيادة من (ق) والمطبوعات، ولا توجد في سائر النسخ.

(٢) أخرج الترمذي (٣٠٩٥)، والطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا

مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] واللفظ للطبري (١١ / ٤١٨) من حديث عدي بن حاتم رضي الله

عنه أنه لما سمع هذه الآية قال: يا رسول الله! إنا لسنا نعبدهم! فقال: «أليس يحرمون ما أحل الله

فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟» قال: قلت: بلى قال: «فتلك عبادتهم».

(٣) زاد في (ف): «أخرى» ثم وضع فوقها علامة إلغاء.

واجتهدوا في إيصال الأذى إليه وإلى أتباعه، وفي إطفاء نور الله الذي بعثه به، وهو لا يزداد إلا إعلاناً بالدعوة وتضميماً على إظهارها وإشهارها والنداء بها في مجامع الناس، وكان يخرج بنفسه في مواسم الحج إلى من يقدم إلى مكة من قبائل العرب، فيعرض نفسه عليهم، ويدعوهم إلى التوحيد، وهم لا يستجيبون له بل يردون عليه قوله ويسمعونه ما يكره، وربما نالوه بالأذى، وبقي عشر سنين على ذلك يقول: «من يمنعني حتى أؤدّي رسالات ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ<sup>(١)</sup> رسالات ربي»<sup>(٢)</sup>.

وكان يشق أسواقهم في المواسم وهم مزدحمون بها كسوق ذي المجاز فينادي: «يا أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» ووراءه عمه أبو لهب يؤذيه ويرد عليه وينهى الناس عن أتباعه<sup>(٣)</sup>.

واجتمع المشركون مرة عند عمه أبي طالب يشكونه إليه ويقولون: شتم آلهتنا وسفّه أحلامنا وسب آبائنا، فمره فليكنف عن آلهتنا. فقال أبو طالب للنبي ﷺ: أجب قومك إلى ما سألوه، فقال: «أنا أدعوهم إلى خير من ذلك، أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويملكون بها العجم»، فقال أبو جهل: نعطيكها وعشر أمثالها، قال: «تقولون: لا إله إلا الله» فنفروا عند ذلك وتفرقوا وهم يقولون: ﴿أَجْعَلِ الْاِلَهَةَ اِلَٰهًا وَجِدًا اِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص: ٥]<sup>(٤)</sup>.

(١) في (ف): «أؤدي».

(٢) بنحوه حديث جابر رضي الله عنه عند أبي داود (٤٧٠١)، والترمذي (٢٩٢٥) وقال: «غريب صحيح»، وابن ماجه (٢٠١)، وهو في مسند أحمد (١٤٦٥٣) (١٤٤٥٦-١٤٤٥٨).

(٣) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (١١٦٤) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٧٢٠) من حديث طارق المحاربي، وأخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في زوائده على المسند (١٦٠٢٢-١٦٠٢٣) من حديث ربيعة بن عباد.

(٤) أخرجه من حديث ابن عباس: أحمد (٢٠٠٨) (٣٤١٩)، والترمذي (٣٢٣٢) وقال: حسن، =

وفي رواية أَنَّهُ ﷺ قَالَ لَعَمَّه: «يَا عَمَّ! لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ عَنْ يَمِينِي وَالْقَمَرَ عَنْ يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرَكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ مَا تَرَكْتُهُ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ ﷺ: «لَقَدْ أَخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُودِيتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ آتَتْ عَلَيَّ ثَلَاثُونَ مِنْ بَيْنِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَمَالِي طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلَالٍ»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية عَنْهُ ﷺ قَالَ: «مَا أُودِيَ فِي اللَّهِ أَحَدٌ مَا أُودِيتُ»<sup>(٣)</sup>.

كَانَ الْعَدُوُّ يَجْهَدُ لَهُ فِي نَيْلِ الْأَذَى، وَالصَّدِيقُ يَلُومُ عَلَى هَذَا الْإِحْتِمَالِ إِذَا كَانَ كَذًا، وَالْمَحَبَّةُ تَقُولُ: حَبَّذَا هَذَا الشَّقَاءُ إِذَا كَانَ فِي رِضَا الْحَبِيبِ وَالِدَّعْوَةِ إِلَى تَوْحِيدِهِ حَبَّذَا:

وَقَفَ الْهُوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي مُتَأَخِّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ  
أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةٌ حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمَنِي الْيَوْمَ<sup>(٤)</sup>  
ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا تُوفِّيَ وَتُوفِّيتَ بَعْدَهُ خَدِيجَةُ اشْتَدَّ الْمُشْرِكُونَ عَلَى

= والنسائي في «الكبرى» (١١٤٣٦)، وابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٣ / ٢٠) وعنده مثل ما ذكر المصنف: «ويملكون بها العجم» وعند الباقرين: «وتؤدي إليهم بها العجم الجزية».

(١) أخرجه ابن إسحاق وهو في «سيرة ابن هشام» (١ / ٢٦٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٢٢١٢)، والترمذي (٢٤٧٢)، وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (١٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢ / ٣٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦ / ٣٣٣) وقال: غريب من حديث مالك تفرد به وكيع.

وأخرج ابن عدي نحوه في ترجمة محمد بن يوسف بن المنكدر من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) البيتان لأبي الشيبص الخزاعي من أبيات في «ديوانه» - صنعة عبد الله الجبوري (ص: ١٠١).

رسول الله ﷺ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى أَنْ أَخْرَجُوهُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ وَقَابَلُوهُ بِغَايَةِ الْأَذَى، وَأَمَرُوهُ بِالْخُرُوجِ مِنْ أَرْضِهِمْ وَأَغْرَوْا بِهِ سُفْهَاءَهُمْ، فَاصْطَفَوْا لَهُ صَفَيْنِ، وَجَعَلُوا يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى أَذْمَوْهُ، فَخَرَجَ هُوَ وَمَعَهُ مَوْلَاهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَلَمْ يَمَكِّنْهُ دُخُولُ مَكَّةَ إِلَّا بِجَوَارٍ، وَطَلَبَ مِنْ جَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ قُرَيْشٍ أَنْ يُجِيرُوهُ حَتَّى يَدْخُلَ مَكَّةَ، فَلَمْ يَفْعَلُوا حَتَّى أَجَارَهُ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، فَدَخَلَ فِي جَوَارِهِ<sup>(١)</sup>، وَعَادَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الدُّعَاءِ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ، فَكَانَ يَقِفُ بِالْمَوْسِمِ عَلَى الْقَبَائِلِ، فَيَقُولُ لَهُمْ قَبِيلَةَ قَبِيلَةَ: «يَا بَنِي فَلَانِ!، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، يَا مُرْكُمُ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، وَأَبُو لَهُبٍ خَلْفَهُ يَقُولُ: لَا تُطِيعُوهُ<sup>(٢)</sup>.

وكان ﷺ يُنَادِي: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي؟ حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟» فَلَا يَجِيبُهُ أَحَدٌ<sup>(٣)</sup>، حَتَّى بُعِثَتْ لَهُ الْأَنْصَارُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَبَايَعُوهُ، هَذَا كُلُّهُ وَهُوَ ﷺ صَابِرٌ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ، رَاضٍ بِمَا يَحْصُلُ لَهُ فِيهَا مِنَ الْأَذَى، مُنْشَرِّحُ الصَّدْرِ بِذَلِكَ، غَيْرُ مُتَضَجِّرٍ مِنْهُ وَلَا جَزَعٍ، وَكَانَ إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ شَيْئًا يَقُولُ: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضِيعَنِي»<sup>(٤)</sup>.

صِرْتُ لَهُمْ عَبْدًا وَمَا لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْتَرِضَا

(١) كل هذا مذكور في «سيرة ابن هشام».

(٢) هذا السياق مدرج من حديثين:

حديث طارق المحاربي وحديث ربيعة بن عباد، وقد سبق قبل قليل العزو إليهما.

(٣) سبق عزو هذا المعنى إلى حديث جابر رضي الله عنه آنفاً.

(٤) قاله ﷺ يوم الحديبية، أخرجه البخاري (٣١٨٢) ومسلم (١٧٨٥) من حديث سهل بن حنيف

رضي الله عنه.

مَنْ لِمَرِيضٍ لَا يَسْرَى إِلَّا الطَّيِّبَ الْمُمْرِضًا<sup>(١)</sup>

وفي الصحيح، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله! هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ من يومٍ أُحُدٍ؟ فقال: «لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبة، إذ عرضتُ نفسي على ابنِ عبدِ يالِيلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فلم يُجِبْني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي فلم أستخِ إلا وأنا بقرنِ الثعالبِ، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ فناداني، فقال: إنَّ اللهَ قد سمِعَ قولَ قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعثَ إليك ملكَ الجبالِ لتأمرَه بما شئتَ فيهم، قال<sup>(٢)</sup>: فناداني ملكُ الجبالِ فسلمَ عليَّ ثمَّ قال: يا مُحَمَّدُ! إنَّ اللهَ قد سمِعَ قولَ قومك لك، وأنا ملكُ الجبالِ، وقد بعثني ربُّكَ إليك لتأمرني بأمرِكَ وما شئتَ، إن شئتَ أن أُطِيقَ عليهم الأخشبينَ، فقالَ له رسولُ الله ﷺ: بل أرجو أن يُخرجَ اللهُ من أَصْلَابِهِم مَن يَعْبُدُ اللهَ وحده لا يُشْرِكُ به شيئاً<sup>(٣)</sup>».

ما مقصودُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، وما يُيَالِي<sup>(٤)</sup> إذا حصلَ ذلك ما أصابه في الدَّعوةِ إليه، إذا وُحِّدَ معبودُه حصلَ مقصودُه، إذا عُبدَ محبوبُه حصلَ مطلوبُه، إذا ذُكِرَ ربُّه رضيَ قلبُه، وأمَّا جسدهُ فما يُيَالِي أصابه في سبيلِ ربِّه ما يؤلِّمُه أو ما يلائمُه.

(١) من شعر أبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة (٥٢٤هـ) رحمه الله من قصيدة له أوردها بتمامها العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٣/ ٦٦-٦٩)، وسبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان» (٢٠/ ٢٢٧).

(٢) في (ف): «فقال».

(٣) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥).

(٤) في (ق): «ولا ييالي».



إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَدْ بُلِيتُ بِهِ      فَمَا لِيُجْرِحَ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلَمْ<sup>(١)</sup>  
[آخِرُ]<sup>(٢)</sup>:

وَحَسْبُ سُلْطَانِ الْهَوَى أَنَّهُ      يَلْذُ فِيهِ كُلُّ مَا يُؤْلِمُ<sup>(٣)</sup>  
كَانَ كُلَّمَا آذَاهُ الْأَعْدَاءُ إِذَا دَعَاهُمْ إِلَى مَوْلَاهُمْ رَجَعَ إِلَى مَوْلَاهُ فَتَسَلَّى بِعِلْمِهِ  
وَنَظَرَهُ إِلَيْهِ وَقُرْبِهِ مِنْهُ، وَاشْتَغَلَ بِمَنَاجَاتِهِ وَذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَخِدْمَتِهِ، فَتَنَسَّى كُلَّ مَا أَصَابَهُ  
مِنَ الْأَلَمِ مِنْ أَجْلِهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ<sup>(٤)</sup> فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى:  
﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ<sup>(٥)</sup> وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ<sup>(٦)</sup>﴾  
[الطور: ٤٨-٤٩]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ<sup>(٧)</sup>﴾ [ق: ٣٩]،  
وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ<sup>(٨)</sup>﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ<sup>(٩)</sup>  
وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ<sup>(١٠)</sup> [الحجر: ٩٧-٩٩].

فَكَانَ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ<sup>(١١)</sup>، لِأَنَّ الصَّلَاةَ صَلَوةٌ، وَكَانَ يَقُولُ:  
«جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»<sup>(١٢)</sup>.

(١) البيت من قصيدة من مشهور شعر المتنبي في سيف الدولة، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٣٣) وصدوره:  
«إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا...».

(٢) «آخر» من (ف) وحدها.

(٣) البيت من أبيات لأبي الخطاب محمد بن علي البغدادي المعروف بالجبلي. أنشدها له ابن عساكر  
في «تاريخ دمشق» (٥٤ / ٣٨١).

(٤) في (ق): «وقد أمر بذلك القرآن».

(٥) في حاشية (ف): «حزبه أمر بالبلاء لا بالنون من باب قتل»: أصابه. مصباح. والحديث أخرجه  
الإمام أحمد (٢٣٢٩٩) وأبو داود (١٣١٣) من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مواضع منها (١٢٢٩٣)، والنسائي (٧ / ٦١) من حديث أنس  
رضي الله عنه.

سُروري مِنَ الدَّهْرِ لُقْيَاكُمْ      ودارُ سَلامِي مَغْنَاكُمْ  
 وَأَنْتُمْ مُنْتَهَى أَمَلِي مَا حَيِّتُ<sup>(١)</sup>      وما طابَ عَيْشِي لولاكُمْ  
 إِذَا ازدَحَمَتْ فِي فُؤادي الهموم      أروُّحُ قلبي بذكراكم  
 واستنشِقُ الرِّيحَ مِنْ أَرْضِكُمْ      لعلِّي أَخْطَى بُرُؤِيَاكُمْ  
 فلا تَنْسُوا العَهْدَ فيما مَضَى      فَلَسْنَا مَدَى الدَّهْرِ نَنْسَاكُمْ<sup>(٢)</sup>

فلم يزل ﷺ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وإلى تَوْحِيدِهِ وعبادَتِهِ وحده لا شريك له حتَّى ظَهَرَ دِينُ اللَّهِ، وأُعلنَ ذِكْرَهُ وتوحيده في المشارِقِ والمغاربِ، وصارتُ كلمةُ اللَّهِ هي العُلْيَا، ودينُهُ هو الظَّاهِرُ، وتوحيده هو الشَّائِعُ، وصارَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ والطَّاعَةُ كُلُّها له، ودخلَ النَّاسُ في دينِ اللَّهِ أفواجا، فجعلَ ذلك علامةً له على اقترابِ أَجَلِهِ، وأَمَرَ حينئذٍ بالتَّهَيُّؤِ لِلْقَا والنُّقْلَةِ إِلَى دارِ البقا، وكأنَّ المعنى أنْ قد حصلَ المقصودُ مِنْ إرساليكَ، وظهرَ توحيدِي في أَقطارِ الأرضِ وزالَ مِنْها ظلامُ الشُّركِ، وحصلَتِ عبادَتِي وحدي لا شريكَ لي، وصارَ الدِّينُ كُلُّهُ لي، فأنا أَسْتَدْعِيكَ إِلَى جِواري لِأَجْزِيكَ أعظمَ الجزاءِ، ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴿ [الضحى: ٤-٥].

وفي صِفَتِهِ ﷺ في التَّوراةِ: وَلَنْ أَقْبِضَهُ حَتَّى أَقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وأَفْتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمْيًا وَأَذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا<sup>(٣)</sup>.

(١) كذا في كل النسخ، ولا يستقيم الوزن، وصوابه: وَأَنْتُمْ مَدَى أَمَلِي...

(٢) هذه الأبيات من قصيدة لأبي القاسم الجميل التيسابوري، ذكرها ابن الجوزي في كتاب «المنتظم»

(١٧ / ٢٣٧)، وفي «المدحش» (ص: ٥٤٢). وفي حاشية (ق): «شعر لطيف».

(٣) أخرجه البخاري (٢١٢٥)، و(٤٨٣٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

وكان النبي ﷺ إنما يقاتل على دخول الناس في التوحيد، كما قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وكان إذا بعث سرية للغزو يوصي أميرهم بأن يدعو عدوه عند لقائهم إلى التوحيد<sup>(٣)</sup>، وكذلك أمر معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن أن يدعوهم إلى شهادة التوحيد<sup>(٤)</sup>، وكذلك أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين بعثه لقتال أهل خيبر<sup>(٥)</sup>.

وروي عنه ﷺ أنه كان إذا بعث بعثاً قال: «تألفوا الناس، وتأثروا بهم، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم، فما على الأرض من أهل بيت مدر ولا وبر إلا تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بنسائهم وأولادهم وتقتلوا رجالهم»<sup>(٦)</sup>.

\*\*\*

(١) «وحسابهم على الله» من (ف) فقط، وفوقها علامة إلغاء. وهي ثابتة في الحديث.

(٢) الحديث مشهور أو متواتر، روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن عمر رضي الله عنه في البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣١) في ذلك حديث بريدة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أخرجه البخاري (٢٩٤٢) ومسلم (٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

(٦) أخرجه الحارث (٦٣٧، بغية الباحث)، والبعثي في «معجم الصحابة» (١٩١٩)، وأبو نعيم في «معرفه الصحابة» (٤٦٨٢). وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٥٠ / ٣٤) من حديث عبد الرحمن

ابن عائد رضي الله عنه.

قوله ﷺ: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمَحِي».

إشارة إلى أن الله تعالى لم يبعثه بالسَّيْفِ في طلبِ الدُّنْيَا، وَلَا لَجَمْعِهَا وَاكْتِنَازِهَا، وَالاجْتِهَادِ بِالسَّيْفِ فِي أَسْبَابِهَا، وَإِنَّمَا بَعَثَهُ دَاعِيًا إِلَى تَوْحِيدِهِ بِالسَّيْفِ، وَمِنْ لَازِمِ ذَلِكَ: أَنْ يَقْتُلَ أَعْدَاءَهُ الْمُتَمَتِّعِينَ عَنْ قَبُولِ دَعْوَةِ التَّوْحِيدِ، وَيَسْتَبِيحَ أَمْوَالَهُمْ، وَيَسْبِي نِسَاءَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ، فَيَكُونَ رِزْقُهُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِ أَعْدَائِهِ؛ فَإِنَّ الْمَالَ إِنَّمَا خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِبَنِي آدَمَ لِيَسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى طَاعَتِهِ وَعِبَادَتِهِ، فَمَنْ اسْتَعَانَ بِهِ عَلَى الْكُفْرِ بِاللَّهِ وَالشُّرْكِ بِهِ سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ رَسُولَهُ ﷺ وَأَتْبَاعَهُ فَانْتَزَعُوهُ مِنْهُ، وَأَعَادُوهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْ أَهْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَطَاعَتِهِ.

ولهذا سُمِّيَ الْفَيْءُ فَيْئًا، لِرُجُوعِهِ إِلَى مَنْ كَانَ أَحَقُّ بِهِ وَلِأَجْلِهِ خُلِقَ، وَكَانَ فِي الْقُرْآنِ الْمَنْسُوحِ: «إِنَّمَا أَنْزَلْنَا الْمَالَ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ»<sup>(١)</sup>.

فَأَهْلُ التَّوْحِيدِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ أَحَقُّ بِالْمَالِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ بِهِ وَالشُّرْكِ، فَلِذَلِكَ سَلَطَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ وَأَتْبَاعَهُ عَلَى مَنْ كَفَرَ بِهِ وَأَشْرَكَ فَانْتَزَعَ أَمْوَالَهُمْ، وَجَعَلَ رِزْقَ رَسُولِهِ مِنْ هَذَا الْمَالِ؛ لِأَنَّهُ أَحَلَّ الْأَمْوَالَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩] وَهَذَا مِمَّا خَصَّ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا ﷺ وَأُمَّتَهُ، فَإِنَّهُ أَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَّمِ قَبْلَهُمْ<sup>(٢)</sup>. إِنَّمَا كَانُوا يَجْمَعُونَهَا فَتَأْتِي نَارٌ مِنْ

(١) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٢١٩٠٦).

وفي حاشية (ف) كتب أحدهم: «قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ الآية. فافهم. مع أن النبي ﷺ اختار الفقر، فقال: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتي مسكيناً واحشرنني في زمرة المساكين».

(٢) كما في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١)، وروي

هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم.

السَّمَاءِ فَتَأْكُلُهَا<sup>(١)</sup>، وَعَلِمَ اللَّهُ ضَعْفَ هَذِهِ الْأُمَّةِ فَأَحَلَّ لَهُمُ الْغَنَائِمَ<sup>(٢)</sup>.

وقد قيل إنَّ الذي خَصَّ بِحِلِّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ هُوَ الْغَنِيمَةُ الْمَأْخُودَةُ بِالْقِتَالِ دُونَ الْفَيْءِ الْمَأْخُودِ بِغَيْرِ قِتَالٍ؛ فَإِنَّهُ كَانَ مُبَاحاً لِمَنْ قَبْلُنَا<sup>(٣)</sup>، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ رِزْقَ رَسُولِهِ مِنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ أَحَلَّ مِنْ غَيْرِهِ لَوْجُوهَ:

مِنْهَا: أَنَّهُ انْتَرَاغَ مَالٍ مَمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ، لِأَنَّهُ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَالشَّرِكِ بِهِ، فَإِذَا انْتَرَعَهُ مِنْهُ وَأَعْطَاهُ لِمَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالِدَّعْوَةَ إِلَى عِبَادَتِهِ كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ الْأَمْوَالِ إِلَى اللَّهِ وَأَطْيَبَ وَجْوهَ اكْتِسَابِهَا عِنْدَهُ.

ومِنْهَا: أَنَّهُ ﷺ إِنَّمَا كَانَ يُجَاهِدُ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَدِينُهُ هُوَ الظَّاهِرَ، لَا لِأَجْلِ الْغَنِيمَةِ، فَيَحْصُلُ لَهُ الرِّزْقُ تَبَعاً لِعِبَادَتِهِ وَجِهَادِهِ فِي اللَّهِ، فَلَا يَكُونُ قَرَعٌ وَقْتاً مِنْ أَوْقَاتِهِ لَطَلَبِ الرِّزْقِ مَخْضاً، وَإِنَّمَا عَبْدُ اللَّهِ فِي جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ، وَوَحَّدَهُ فِيهَا وَأَخْلَصَ لَهُ، فَجَعَلَ لَهُ رِزْقَهُ مُيسِّراً لَهُ فِي ضَمَنِ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْصِدَهُ وَلَا يَسْعَى فِيهِ.

وَجَاءَ فِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «أَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ، أَنَا رَسُولُ الْمِلْحَمَةِ، إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالْجِهَادِ وَلَمْ يَبْعَثْنِي بِالزَّرْعِ»<sup>(٤)</sup>.

وخرَجَ الْبَغَوِيُّ فِي «مَعْجَمِهِ» حَدِيثاً مَرْفُوعاً: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ،

(١) أخرج الترمذي هذا المعنى (٣٠٨٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرج هذا المعنى من حديث طويل لأبي هريرة رضي الله عنه: البخاري (٣١٢٤)، ومسلم (١٧٤٧).

(٣) توسع المصنف رحمه الله في هذه المسألة في كتابه «فتح الباري» (٢/ ٢١٢-٢١٤).

(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٨٥)، وابن شُبَّه في «تاريخ المدينة» (٢/ ٦٣٢)، من حديث مجاهد مرسلًا.

وأخطأ من كتبه: «بالزرع».

ولم يجعلني زَرَّاعاً، ولا تاجِراً ولا سَحَّاباً بالأَسْوَاقِ، وجعل رِزْقِي في رُمَحِي»<sup>(١)</sup>،  
وإنَّما ذكر الرُّمَحَ ولم يذكر السَّيْفَ لثَلَا<sup>(٢)</sup> يقال إِنَّهُ كَانَ ﷺ يَرْتِزِقُ مِنْ مَالِ الْغَنِيمَةِ،  
إنَّما كان يَرْتِزِقُ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَفَدَاكَ.

والْفَيْءُ: ما هَرَبَ أَهْلُهُ مِنْهُ خَوْفاً و<sup>(٣)</sup> تَرْكوه، بخِلَافِ الْغَنِيمَةِ فَإِنَّهَا مَأْخُودَةٌ  
بِالْقِتَالِ بِالسَّيْفِ، وَذَكَرَ الرُّمَحَ أَقْرَبُ إِلَى حَصُولِ الْفَيْءِ، لِأَنَّ الرُّمَحَ يَرَاهُ الْعَدُوُّ مِنْ  
بُعْدٍ فَيَهْرُبُ، فَيَكُونُ هَرَبُ الْعَدُوِّ مِنْ ظِلِّ الرُّمَحِ، وَالْمَأْخُودُ بِهِ هُوَ مَالُ الْفَيْءِ، وَمِنْهُ  
كَانَ رِزْقُ النَّبِيِّ ﷺ، بِخِلَافِ مَالِ الْغَنِيمَةِ؛ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ مِنْ قِتَالِ السَّيْفِ<sup>(٤)</sup>، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.  
وقال عمرُ بنُ عبدِ العزیز: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا هَادِيًا وَلَمْ يَبْعَثْ جَائِبِيًا<sup>(٥)</sup>.

وكان ﷺ شَغْلُهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ، وَمَا يَحْصُلُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مِنَ  
الْأَمْوَالِ مِنَ الْفَيْءِ وَالْغَنَائِمِ فَيَحْصُلُ تَبَعاً لَا قَصْداً أَصْلِيًّا، وَلِهَذَا ذُمَّ مَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ  
وَاشْتَغَلَ عَنْهُ بِاِكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ، وَفِي ذَلِكَ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا  
تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] لَمَّا عَزَمَ الْأَنْصَارُ عَلَى تَرْكِ الْجِهَادِ وَالِاشْتِغَالِ  
بِإِصْلَاحِ أَمْوَالِهِمْ وَأَرْضِيهِمْ<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (١٩٤٥)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٢/ ١٧٤ - طبعة  
المصراحي) من حديث عبد الرحمن بن عتبة بن عويم بن ساعدة، وهو مرسل.

(٢) هنا في النسخ يياض مقدار ثلاث كلمات.

(٣) في (ف): «أو».

(٤) في (ق): «بالسيف».

(٥) أخرجه القاضي أبو يوسف في «الخراج» (ص: ١٤٤)، وأخرجه كذلك من وجه آخر: ابن سعد في  
«الطبقات الكبرى» (٧/ ٣٧٣).

(٦) أخرجه من حديث أبي أيوب الأنصاري: أبو داود (٢٥٠٤) والترمذي (٢٩٧٢)، وقال: حسن  
صحيح غريب.

وفي الحديث الذي خرَّجه أبو داود وغيره: «إذا تبايعتم بالعينة<sup>(١)</sup>، وتبعتم أذناب البقر، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه من رقابكم حتى تراجعوا دينكم»<sup>(٢)</sup>، ولهذا كره الصحابة رضي الله عنهم الدخول في أرض الخراج للزراعة فإنها تشغل عن الجهاد.

قال مكحول<sup>(٣)</sup>: إن المسلمين لما قدموا الشام ذكر لهم زكاء زرع الحولة فزرعوا<sup>(٤)</sup>، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبعث إلى زرعهم وقد ابيض وأدرك فحرقه بالنار، ثم كتب إليهم: إن الله تعالى، جعل أرزاق هذه الأمة في أسنة رماحها وتحت أزجتها، فإذا زرعوا كانوا كالناس. خرَّجه أسد بن موسى<sup>(٥)</sup>.

(١) بين الأسطر في (ف): «بالسلف». والعينة: أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل ثم يشتريه في المجلس بثمان حال.

(٢) أخرجه أبو داود (٣٤٥٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) في (ق): «وقال مكحول».

(٤) في (ف): «فزرعوها».

(٥) لم أجد هذا الأثر في «الزهد» لأسد بن موسى، فلعله من كتاب آخر. لكن ذكر كلام عمر بن الخطاب دون كلام مكحول: ابن يونس التميمي الصقلي في «الجامع لمسائل المدونة» (٦ / ٤٧). وروى سعيد بن منصور في «السنن» (٢٨٨٧) نحوه لكن من كلام كعب الأحبار. والله أعلم، وانظر التعليق التالي لزماماً.

و«الحولة» ناحيتان في بلاد الشام:

- الأولى: سهل زراعي في شمال بحيرة طبرية في فلسطين، مياهها وفيرة عذبة يمر بها نهر الأردن، وفيها بحيرة جففها اليهود بعد استيلائهم على تلك الأراضي.

- والثانية: منطقة زراعية خصبة بين مدينتي حمص وحماة في وسط بلاد الشام في الطرف الغربي من نهر العاصي.

«أزجتها» جمع زَج: وهي الحديد التي في أسفل الرمح.

وروى أيضاً بإسنادٍ له، عن عمر رضي الله عنه أنه كتب<sup>(١)</sup>: مَنْ زَرَعَ زَرْعاً، وَاتَّبَعَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيَ بِذَلِكَ وَأَقَرَّ بِهِ جَعَلْتُ عَلَيْهِ الْجِزْيَةَ<sup>(٢)</sup>.

وقيل لبعضهم: لَوْ اتَّخَذْتَ مَزْرَعَةً لِلْعِيَالِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا جِئْنَا زَارِعِينَ<sup>(٣)</sup> وَلَكِنْ جِئْنَا لِنَقْتُلَ أَهْلَ الزَّرْعِ وَنَأْكُلَ زَرْعَهُمْ<sup>(٤)</sup>.

فأكمل حالات المؤمنين أن يكون اشتغاله بطاعة الله والجهاد في سبيله والدعوة إلى طاعته لا بطلب<sup>(٥)</sup> الدنيا.

(١) في (ف): «قال».

(٢) هو من كتاب مفقود لأسد بن موسى.

ونقل أبو محمد ابن حزم رحمه الله هذين الأثرين، هذا الأثر والذي قبله من طريق أسد بن موسى في «المحلى» (٧/ ٤٣ - ط دار الفكر) ثم قال: «هذا مرسل، وأسد ضعيف، ويعيد الله أمير المؤمنين من أن يحرق زروع المسلمين، ويفسد أموالهم، ومن أن يضرب الجزية على المسلمين، والعجب ممن يحتج بهذا وهو أول مخالف له».

والخلاصة في فهم هذه الأقوال:

أن الزرع والغرس من المكاسب الطيبة، وفيه الأجر، لكن ما لم يشغل ذلك عن الجهاد، للحديث الذي أخرجه البخاري (٢٣٢٠) ومسلم (١٥٥٣) من حديث أنس بن مالك: «ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طائر أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة»، وقد كان الأنصار أهل زرع ورسول الله ﷺ بين أظهرهم.

أما الزرع المذموم، الذي يورث الذل، فهو الذي يتشاغل به أهله عن الجهاد في سبيل الله. وعلى هذا يحمل ما ورد عن الفاروق رضي الله عنه إذا صحَّ ذلك عنه.

(٣) في (ف): «زارعين».

(٤) لم أجد هذا الأثر.

وأهل الزرع: هم الروم، وأكل الزرع: كناية عن الغنمة في جهاد الروم. والله تعالى أعلم.

(٥) في (د): «يطلب».



ويأخذُ من مالِ الفَيءِ ونحوِه قدرَ الكِفَايَةِ<sup>(١)</sup>، كما كان النَّبِيُّ ﷺ يأخذُ لأهلِه قوتَ سنَّتِه<sup>(٢)</sup>، من مالِ الفَيءِ ثمَّ يقسمُ باقيه، وربما رأى مُحتاجاً بعد ذلك فيقسمُ عليه قوتَ أهلِه فيبقى أهلُه بلا شيءٍ.

وكذلك مَنْ يشتغلُ بالعلمِ<sup>(٣)</sup>؛ لأنَّه أحدُ نوعي الجهادِ، فيكونُ اشتغاله بالعلمِ للجهادِ في سبيلِ الله والدَّعوةِ إليه؛ فإن أخذَ من أموالِ الفَيءِ أو<sup>(٤)</sup> الوقفِ على العلمِ أخذَ منه قدرَ الكِفَايَةِ يتقوَّى به للاستعانةِ على جهادِه، ولا يَنبغي أن يأخذَ أكثرَ من قدرِ كفايَتِه من ذلك.

وقد نصَّ الإمامُ أحمدُ على أنَّ مالَ بيتِ المالِ كالخراجِ لا يُؤخذُ منه أكثرُ من الكِفَايَةِ<sup>(٥)</sup>، فمالُ الوقفِ أضيقُّ، ومَنْ اشتغلَ بطاعةِ الله فقد تكفَّلَ اللهُ برزقِه، كما في حديثِ زيدِ بنِ ثابتٍ المرفوعِ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللهُ عليه أمرَه، وجعلَ فقرَه بينَ عينيه، ولم يأتِه من الدُّنْيَا إلَّا ما كُتِبَ له، ومَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جمعَ اللهُ له أمرَه، وجعلَ غِنَاهُ في قلبِه، وآتاهُ الدُّنْيَا وهي راغمةٌ». خرَّجه الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجه<sup>(٦)</sup>.

وخرَّجه الترمذيُّ من حديثِ أنسٍ مرفوعاً: «إِنَّ اللهَ تعالى يقولُ: يا ابنَ آدمَ! تفرَّغْ لعبادتي آملاً صدركَ غنيًّا، وأسدَّ فقرَكَ، وإلَّا تفعلْ ملأتُ يديكَ شُغلاً ولم أسدَّ فقرَكَ»<sup>(٧)</sup>.

(١) في حاشية (ف): «مسألة مقدار الأخذ من مال الفَيء ونحوه».

(٢) في (د): «سنة».

(٣) في حاشية (ت): «أخذ العلماء من مال الأوقاف».

(٤) في (ف): «أو».

(٥) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٣٠٠-٣٠٣).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٩٠)، وابن ماجه (٤١٠٥)، واللفظ له.

(٧) إنما أخرجه الترمذي (٢٤٦٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أما حديث أنس عند الترمذي (٢٤٦٥) بنحو لفظ حديث زيد بن ثابت الذي قبله.

وخرَجَ ابنُ ماجَه من حديثِ ابنِ مسعودٍ مرفوعاً: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا هَمٌّ آخِرَتِهِ: كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا لَمْ يَبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ»<sup>(١)</sup>.

وفي الآثارِ الإسرائيلىَّة: يقولُ اللهُ تعالى: يا دُنْيَا اخْدُمِي مَنْ خَدَمَنِي، وَأَتَعِبِي مَنْ خَدَمَكَ<sup>(٢)(٣)</sup>.

\*\*\*

وقوله ﷺ: «وَجُعِلَ الدَّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».

هذا يدلُّ على أَنَّ العِزَّ والرَّفْعَةَ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِمُتَابَعَةِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لا مِثَالٍ مُتَابَعَةِ أَمْرِ اللَّهِ، كما قالَ تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقالَ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وقالَ تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

وفي بعضِ الآثارِ: يقولُ اللهُ تعالى: «أنا العزيزُ، فَمَنْ أَرَادَ العِزَّ فَلْيُطِيعِ العزيزَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧) (٤١٠٦).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٩٤) عن جعفر بن محمد.

وروي من حديث ابن مسعود مرفوعاً ولا يصح. أخرجه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ١٠١)، والقضاعي في «الشهاب» (١٤٥٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٥٧٧).

(٣) في هامش (ت): «بلغ».

(٤) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً: الخليلي في «الإرشاد» (٣/ ٩٢١)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٦/ ٥٦٩) (٩/ ٤١)، وفي «المتفق والمفترق» (١٢٩٣)، وذكر أن في سنده رجلين مجهولين. ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١١٩)، وذكره المصنف في شرح حديث «ما ذئبان جائعان».

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاتُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فَالذُّلُّ وَالصَّغَارُ يَحْصُلُ بِمُخَالَفَةِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ عَلَى قِسْمَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مُخَالَفَةُ مَنْ لَا يَعْتَقِدُ طَاعَةَ أَمْرِهِ، كَمُخَالَفَةِ الْكُفَّارِ وَأَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ لَا يَرَوْنَ طَاعَةَ الرَّسُولِ، فَهُمْ تَحْتَ الذُّلَّةِ وَالصَّغَارِ، وَلِهَذَا أَمَرَ اللَّهُ بِقِتَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ، عَلَى الْيَهُودِ الذُّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ لِأَنَّهُ كُفِّرَهُمْ بِالرَّسُولِ عِنَادًا.

وَالثَّانِي: مَنْ اعْتَقَدَ طَاعَتَهُ ثُمَّ يَخَالِفُ أَمْرَهُ، وَهَذَا نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ بِالْمَعَاصِي الَّتِي يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ، فَلَهُ نَصِيبٌ مِنَ الذُّلَّةِ وَالصَّغَارِ، قَالَ الْحَسَنُ: وَإِنْ طَقَقَتْ بِهِمُ الْبَغَالُ وَهَمَلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ؛ فَإِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ فِي رِقَابِهِمْ، أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ<sup>(١)</sup>.

كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يَدْعُو: اللَّهُمَّ أَعِزَّنَا بَعِزَّ الطَّاعَةِ، وَلَا تُذِلَّنَا بِذُلِّ الْمَعْصِيَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ:

أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هِيَ<sup>(٣)</sup> الْعِزُّ وَالْكَرَمُ وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمُ

(١) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ أَيْضًا فِي شَرْحِ حَدِيثِ «مَا ذُتُّ بَنَ جَانَعَانِ»، وَأَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢/ ١٤٩) نَحْوَهُ عَنِ الْحَسَنِ.

وَفِي حَاشِيَةِ (ف): «مَهْمٌ مِنْ أَعْظَمِ الْمَهْمَاتِ. فَافْهَمْ».

(٢) إِنَّمَا وَجَدْتُهُ مِنْ دَعَاءِ الْفَضِيلِ بْنِ عِيَّاضٍ. أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/ ١١٣).

(٣) فِي (ف): «هُوَ».

وليس على عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ إذا حَقَّقَ التَّقْوَى وإن حَاكَ أو حَجَمَ<sup>(١)</sup>  
فأهلُ هذا النوعِ خالفوا الرسولَ من أجلِ داعي الشهواتِ.

والنوعُ الثاني: مَنْ خالفَ أمرَه من أجلِ الشُّبُهَاتِ، وهم أهلُ الأهواءِ والبدعِ،  
فكلُّهم لهم نصيبٌ من الذِّلَّةِ والصَّغارِ بحسبِ مُخَالَفَتِهِمْ لأوامِرِهِ، قَالَ تعالى: ﴿إِنَّ  
الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾  
[الأعراف: ١٥٢].

وأهلُ الأهواءِ والبدعِ كلُّهم مُفْتَرُونَ على الله، وبيدعتهم تتغلَّظُ<sup>(٢)</sup> بحسبِ كثرةِ  
افتراءاتهم عليه، وقد جعلَ اللهُ تعالى مَنْ حَرَّمَ ما أحلَّهُ اللهُ وحلَّلَ ما حَرَّمَ اللهُ مُفْتَرِيًّا  
عليه الكذبِ، فَمَنْ قَالَ على اللهِ ما لا يعلمُ فقد افترى على اللهِ الكذبَ، وَمَنْ نسبَ  
إلى اللهِ ما لا يجوزُ نسبتهُ إليه مِنْ تمثيلٍ أو تعطيلٍ أو كَذَبٍ بأقداره فقد افترى عليه  
الكذبَ، وقد قَالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ  
يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

قال سفيان: الفِتْنَةُ أَنْ يَطْبَعَ اللهُ على قلوبِهِمْ<sup>(٣)</sup>.

فلهذا تغلَّظت عقوبةُ المبتدعِ على عقوبةِ العاصي؛ لأنَّ المبتدعَ مُفْتَرٍ على اللهِ،  
مُخَالَفٌ لأمرِ رسوله لأجلِ هواه.

فأما مُخَالَفَةُ بعضِ أوامرِ الرسولِ ﷺ خطأً مِنْ غيرِ عَمْدٍ مع الاجتهادِ على

(١) البیتان لأبي العتاهية، كما في «ديوانه» (٣٩٤)، إلا أن فيهما: «العدم» بدل «السقم»، و«صحح» بدل «حقق».

(٢) في (د): «تغلظ».

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١١ / ١٣٠ - ط دار هجر) إلى عبد بن حميد.

متابعته، فهذا يقع كثيراً من أعيان الأمة من علمائها وصلحائها ولا إثم فيه، بل صاحبه إذا اجتهد فله أجر على اجتهاذه، وخطؤه موضوع عنه، ومع هذا فلا يمنع ذلك من علم أمر رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup> الذي خالفه هذا أن يبين للأمة أن هذا مخالف لأمر الرسول نصيحة لله ولرسوله ولعامة المسلمين، ولا يمنع من ذلك عظمة من خالف أمره خطأ.

وهب أن هذا المخالف عظيم له قدر وجلالة، وهو محبوب للمؤمنين، إلا أن حق الرسول ﷺ مقدم على حقه، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

فالواجب<sup>(٢)</sup> على كل من بلغه أمر الرسول ﷺ وعرفه أن يبينه للأمة، وينصح لهم، ويأمرهم باتباع أمره، وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمة، فإن أمر رسول الله ﷺ أحق أن يعظم ويُقتدى به من رأي معظم قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأ.

ومن هنا<sup>(٣)</sup> رد الصحابة ومن بعدهم من العلماء على كل من خالف سنة صحيحة، وربما أغلظوا في الرد<sup>(٤)</sup>، لا بغضاً له بل هو محبوب عندهم معظم في نفوسهم، لكن رسول الله ﷺ أحب إليهم، وأمره فوق أمر كل مخلوق.

فإذا تعارض أمر الرسول وأمر غيره فأمر الرسول ﷺ أولى أن يقدم ويُتبع، ولا يمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره، وإن كان مغفوراً له، بل

(١) الميث من (ف)، وفي (ت) و(د) و(ق): «أمر الرسول».

(٢) في حاشية (ف): «مهم».

(٣) في (ق): «هذا».

(٤) في حاشية (ف): «مهم».

ذلك المخالفُ المغفورُ له لا يكره أن يُخالفَ أمرُهُ إذا ظهرَ أمرُ رسول الله ﷺ بخلافه، بل يَرْضَى بِمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ وِمَتَابَعَةِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إذا ظهرَ أمرُهُ بخلافه، كما أوصى الشافعي رضي الله عنه<sup>(١)</sup> إذا صحَّ الحديثُ في خلافِ قوله أن يُتَّبَعَ الحديثُ ويُتْرَكَ قوله<sup>(٢)</sup>.

وكان يقول: ما ناظرتُ أحداً فأحببتُ أن يُخطئَ، وما ناظرتُ أحداً فباليْتُ أظْهَرَ الحَقَّ على لسانِهِ أو لِسَانِي<sup>(٣)</sup>. لأنَّ تَنَازُلَهُمْ كانَ لظُهُورِ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لا لظُهُورِ نُفُوسِهِم وَالانْتِصَارِ لَهَا.

وكذلك المشايخُ العارفونَ كانوا يُوصونَ بِقَبُولِ الحَقِّ مِنْ كُلِّ مَنْ قَالَ الحَقَّ صغيراً أو كبيراً، وينقادون لقوله.

وقيل لحاتم الأصم: أنت رجلٌ أعجميٌّ لا تُفْصِحُ، وما ناظرتُ أحداً إلا قطعته، فبأيِّ شيءٍ تغلبُ خصمك؟ قال: بثلاثٍ، أفرحُ إذا أصابَ خصمي، وأحزنُ إذا أخطأ، وأحفظُ لِسَانِي عنه أن أقولَ له ما يَسُوؤُهُ. فذَكَرَ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، فَقَالَ: مَا كَانَ أَعْقَلَهُ مِنْ رَجُلٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) الترضي من (ف) وحدها.

(٢) هذا مشهور عن الشافعي رحمه الله تعالى، ونقل عنه بالفاظ متعددة، وأفرد التقي السبكي، المتوفى ٧٥٦ رحمه الله، لمعناه رسالة: «معنى قول الإمام المطلبي إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي»، وهي مطبوعة بتحقيق د. علي نايف بقاعي حفظه الله تعالى.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩ / ١١٨)، والبيهقي في «المدخل» (٢ / ٥٩٦)، وفي «مناقب الشافعي» (١ / ١٧٤ - ١٧٥).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨ / ٨٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩ / ١٤٩).

وقد رُوِيَ عن الإمام أحمد أنه قيل له: إنَّ عبد الوهاب الورَّاق يُنكِرُ كذا وكذا، فقال: لا نزال بخير ما دامَ فينا مَنْ يُنكِرُ<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الباب قولُ عمر رضي الله عنه لِمَنْ قالَ له: اتَّقِ الله يا أمير المؤمنين، فقال: لا خيرَ فيكم إذا لم تقولوها لنا، ولا خيرَ فينا إذا لم نقبلها منكم<sup>(٢)</sup>.

ورَدَّتْ عليه امرأةٌ مَقالته، فرَجَعَ إليها، وقال: رجلٌ أخطأ وامرأةٌ أصابت<sup>(٣)</sup>.

فلا يزالُ النَّاسُ بخير ما كانَ فيهم مَنْ يقولُ الحقَّ، ويُبيِّنُ أوامرَ الرَّسولِ ﷺ التي خالفها مَنْ خالفها وإن كانَ معذوراً مجتهداً مغفوراً له.

وهذا ممَّا خصَّ اللهُ به هذه الأُمَّةَ لحِفْظِ دينها، الذي بعث اللهُ به رسوله ﷺ، فإنَّها لا تجتمعُ على ضلالةٍ<sup>(٤)</sup>، بخلافِ الأُممِ السَّالفةِ.

فههنا أمران:

أحدهما: أنَّ مَنْ خالفَ أمرَ الرَّسولِ في شيءٍ خطأً معَ اجتهاده في طاعته ومتابعةٍ<sup>(٥)</sup> أوامره فإنَّه مغفورٌ له لا تنقصُ درجته بذلك.

(١) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١ / ٤٩٤).

(٢) أخرجه ابن شبه في «تاريخ المدينة» (٢ / ٧٧٣)، وأبو يوسف القاضي في «الخراج» (ص: ١٢)، وابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص: ٤٩٩).

(٣) أخرجه الزبير بن بكار في «الأخبار الموفقيات» (ص: ٢٥١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١ / ٥٣٠)، وابن الجوزي في «مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (ص: ٤٨٧).

(٤) كما في حديث أنس رضي الله عنه عند ابن ماجه (٣٩٥٠).

(٥) في (د): «ومتابعته».

والثاني: أَنَّهُ لَا يَمْنَعُنَا تَعْظِيمُهُ وَمَحَبَّتُهُ مِنْ تَبْيِينِ مُخَالَفَةِ قَوْلِهِ لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَنَصِيحَةِ الْأُمَّةِ تَبْيِينُ<sup>(١)</sup> أَمْرِ الرَّسُولِ لَهُمْ، وَنَفْسُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الْمَحْبُوبِ الْمُعْظَمِ لَوْ عَلِمَ أَنَّ قَوْلَهُ مُخَالَفٌ لِأَمْرِ الرَّسُولِ لِأَحَبِّ مَنْ يَبِينُ لِلْأُمَّةِ ذَلِكَ، وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى أَمْرِ الرَّسُولِ، وَيُرْدُهُمْ عَنْ قَوْلِهِ فِي نَفْسِهِ.

وهذه النُّكْتَةُ تَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْجَهَّالِ بِسَبَبِ [.....]<sup>(٢)</sup>، وَيُظَنُّ أَنَّ الرَّدَّ عَلَى مُعْظَمٍ مِنْ عَالِمٍ وَصَالِحٍ تَنْقُصُ<sup>(٣)</sup> بِهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ.

وَبِسَبَبِ الْغَفْلَةِ عَنْ ذَلِكَ تَبَدَّلَ دِينُ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ فَإِنَّهُمْ تَبِعُوا زَلَّاتِ عُلَمَائِهِمْ، وَأَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَائُهُمْ، حَتَّى تَبَدَّلَ دِينُهُمْ، وَاتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَأَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلَالَ فَأَطَاعُوهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ عِبَادَتَهُمْ إِيَّاهُمْ<sup>(٤)</sup>، فَكَانَ كُلَّمَا كَانَ فِيهِمْ رَئِيسٌ كَبِيرٌ مُعْظَمٌ مُطَاعٌ عِنْدَ الْمُلُوكِ

(١) فِي (ق): «بَتْبِين».

(٢) بَيَاضُ مَقْدَارِ كَلِمَتَيْنِ فِي جَمِيعِ النُّسخِ وَمَا أَثْبَتَهُ النَّاشِرُونَ لِلْكِتَابِ هُنَا تَصَرَّفَ مِنْهُمْ، وَتَقْدِيرُهُمَا عِنْدِي: «فَرَطُ الْعَصِيَّة».

وَعَلَّقَ أَحَدُهُمْ عَلَى حَاشِيَةِ (ف): «تَعْبِيرٌ غَرِيبٌ، لَعَلَّ مَرَادَهُ بِالْجَهَالِ: الْعُلَمَاءُ! يَزْعُمُ الْمُصَنِّفُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ جَهْلَهُمْ مَرْكَبٌ فَلِهَذَا أَتَى بِصَيِّغَةِ الْمُبَالَغَةِ، هَذَا مَشْرَبُ أَهْلِ الصِّلَفِ، وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٍ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ».

وَلَا تَثْرِيبَ عَلَى الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِيمَا قَالَهُ، وَوَاقِعَ الْحَالِ يَشْهَدُ قَدِيمًا وَحَدِيثًا بِوُجُودِ مَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهِمُ الْعَصَبِيَّةُ فَتُعْمِي بِصَائِرِهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيُظَنُّونَ أَنْفُسَهُمْ هُمْ أَهْلُ الْحَقِّ، فَذَلِكَ حَقِيقَةُ جَهْلِ مَرْكَبٍ!

(٣) فِي (ق): «أَوْ صَالِحٍ»، وَفِي (ف): «تَنْغُصُ» وَكُتِبَ النَّاسِخُ تَحْتَ الْغَيْنِ «غ» صَغِيرَةً!!

(٤) كَمَا فِي حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ.



قَبْلَ مِنْهُ مَا قَالَ، وَتَحْمِيلُ الْمُلُوكِ النَّاسَ عَلَى قَوْلِهِ، وَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَرُدُّ قَوْلَهُ وَلَا يُبَيِّنُ مُخَالَفَتَهُ الدِّينَ.

وَهَذِهِ الْأُمَّةُ عَصَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْاجْتِمَاعِ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهَا مَنْ يَبَيِّنُ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَلَوْ اجْتَهَدَتِ الْمُلُوكُ عَلَى جَمْعِ الْأُمَّةِ عَلَى خِلَافِهِ لَمْ يَتَمَّ لَهُمْ أَمْرُهُمْ، كَمَا جَرَى مَعَ الْمَأْمُونِ وَالْمُعْتَصِمِ وَالْوَاقِئِ، حَيْثُ اجْتَهَدُوا عَلَى إِظْهَارِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَقَتْلُوا النَّاسَ وَضَرَبَوْهُمْ وَحَبَسَوْهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَأَجَابَهُمُ الْعُلَمَاءُ تَقِيَّةً وَخَوْفًا، فَأَقَامَ اللَّهُ تَعَالَى إِمَامَ الْمُسْلِمِينَ فِي وَقْتِهِمْ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ فَرَدَّ بَاطِلَهُمْ حَتَّى اضْمَحَلَّ أَمْرُهُ، وَصَارَ الْحَقُّ هُوَ الظَّاهِرُ فِي جَمِيعِ بِلَادِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَّةِ.

وَلَمْ يَكُنِ الْإِمَامُ أَحْمَدُ يُحَابِي أَحَدًا فِي مُخَالَفَةِ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَإِنْ دَقَّ، وَلَوْ عَظُمَ مُخَالَفُهُ فِي نَفُوسِ الْخَلْقِ، فَقَدْ تَكَلَّمَ فِي بَعْضِ أَعْيَانِ مَشَايِخِ الْعِلْمِ وَالدِّينِ لِمَسْأَلَةٍ أَخْطَأَهَا، فَخَمَلَ أَمْرُهُ حَتَّى لَمَّا مَاتَ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ إِلَّا نَحْوُ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ كُلَّمَا تَكَلَّمَ فِي أَحَدٍ سَقَطَ، لِأَنَّ كَلَامَهُ كَانَ تَعْظِيمًا لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا لَهْوَى نَفْسِهِ.

وَلَقَدْ كَانَ بَشَرٌ الْحَافِي يَقُولُ لِمَنْ سَأَلَهُ عَنْ مَرَضِهِ: أَحْمَدُ اللَّهُ إِلَيْكُمْ، بِي كَذَا وَكَذَا، فَتَقَلَّ ذَلِكَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ<sup>(٢)</sup>، وَقَالُوا: هُوَ يَبْدَأُ بِالْحَمْدِ قَبْلَ أَنْ يَصِفَ مَرَضَهُ، فَقَالَ أَحْمَدُ: سَلُّوهُ عَمَّنْ أَخَذَ هَذَا، يَعْنِي إِنْ كَانَ هَذَا لَمْ يُنْقَلْ عَمَّنْ<sup>(٣)</sup>

(١) قَالَ الذَّهَبِيُّ: «وَهَذِهِ حِكَايَةٌ مَنْقُوعَةٌ».

(٢) فِي (د): «إِلَى الْإِمَامِ أَحْمَد».

(٣) فِي (ف): «عَنْ بَعْضٍ مِنْ».

سَلَفَ فَلَا يُقْبَلُ<sup>(١)</sup> منه، فقال بشرٌ: عندي فيه أثرٌ، ثُمَّ رَوَى بِإِسْنَادِهِ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ قَالَ: مَنْ بَدَأَ بِالْحَمْدِ قَبْلَ الشُّكْوَى لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ الشُّكْوَى، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَحْمَدَ<sup>(٢)</sup> فَقَبِلَ قَوْلَهُ<sup>(٣)</sup>.

وقد صحَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «كُلُّ عَمَلٍ لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٤)</sup>، فَأَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا يُتَلَقَّى إِلَّا عَمَّنْ عَرَفَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ وَخَبَرَهُ خَبْرَةً تَامَّةً.

قال بعضُ الأئمة: لَا يُوْخَذُ الْعِلْمُ إِلَّا عَمَّنْ عُرِفَ بِالطَّلَبِ<sup>(٥)</sup>.

وأمرُ الرَّسُولِ ﷺ نَوْعَانِ:

أمرٌ ظَاهِرٌ يُعْمَلُ بِالْجَوَارِحِ كَالصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ وَالْحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

(١) في (ف): «نقبل».

(٢) في (ق): «الإمام أحمد».

(٣) في حاشية (ت): «البدءُ بالحمد قبل الشكوى». وفي حاشية (ف): «مهم نادر».

والقصة أخرجها بتمامها ورونها: الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١ / ٥٦٧) في ترجمة عبد الرحمن طبيب أحمد بن حنبل وبشر الحافي، وتفسير بشر بسؤال أحمد: «أبو عبد الله لا يريد الشيء إلا بالإسناد».

والأثر هو عن ابن سيرين رحمه الله، وقد عمل به الإمام أحمد بعد تلك القصة.

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥) نُقِلَ هَذَا الْمَعْنَى عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ:

منهم مكحول، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥ / ١٧٩).

ومنهم: عبد الله بن عون أخرجه ابن شاهين في «تاريخ أسماء الضعفاء والكذابين» (ص: ٤٠).

ومنهم: عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، أخرجه الخطيب في «الكفاية» (ص: ١٦١).

وأمرٌ باطنٌ يقومُ بالقلوبِ، كالإيمانِ باللهِ، ومعرفةِ، ومحبةِ وخشيته، وإجلاله وتَعْظِيمِهِ، والرِّضا بقضائِهِ، والصَّبْرُ على بلائِهِ، فهذا كُلُّهُ لا يُؤْخَذُ إِلَّا مَمَّنْ عَرَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

فَمَنْ لَمْ يَقْرَأْ وَيَكْتُبِ الْحَدِيثَ لَا يُقْتَدَى<sup>(١)</sup> بِهِ فِي عِلْمِنَا، فَمَنْ تَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا مَعَ جَهْلِهِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَهُوَ دَاخِلٌ فِي مَنْ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ، وَفِي مَنْ يَقُولُ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، فَإِنْ كَانَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَقْبَلُ الْحَقُّ مَمَّنْ يُنْكِرُ عَلَيْهِ بَاطِلَهُ لِمَعْرِفَتِهِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ بَلْ يَنْتَقِصُ بِهِ، وَقَالَ: أَنَا وَارِثُ حَالِ الرَّسُولِ، وَالْعُلَمَاءُ وَارِثُونَ عِلْمِهِ، فَقَدْ جُمِعَ هَذَا بَيْنَ افْتِرَاءِ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [الصف: ٧]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ؟ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢] فَإِنَّ هَذَا مُتَكَبِّرٌ عَنِ الْحَقِّ وَالانْقِيَادِ لَهُ، مُنْقَادٌ لِهَوَاهُ وَجَهْلِهِ، ضَالٌّ مُضِلٌّ.

وَأِنَّمَا يَرِثُ حَالَ الرَّسُولِ مَنْ عِلِمَ حَالَهُ ثُمَّ اتَّبَعَهُ، فَأَمَّا مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِحَالِهِ فَمِنْ أَيْنَ يَكُونُ وَارِثُهُ؟!

وَمِثْلُ هَذَا لَمْ يَكُنْ ظَهَرَ فِي زَمَنِ السَّلَفِ الصَّالِحِ حَتَّى يَجَاهِدُوا فِيهِ حَقَّ الْجِهَادِ، وَإِنَّمَا ظَهَرَ هَذَا فِي زَمَنِ قُلِّ فِيهِ الْعِلْمُ وَكُثِرَ فِيهِ الْجَهْلُ، وَمَعَ هَذَا فَلَا بَدَّ أَنْ يَقِيمَ اللَّهُ مَنْ يُبَيِّنُ لِلْأُمَّةِ ضَلَالَهُ، وَلَهُ نَصِيبٌ مِنَ الذُّلِّ وَالصَّغَارِ بِحَسَبِ مُخَالَفَتِهِ لِأَمْرِ الرَّسُولِ ﷺ.

يَا اللَّهُ الْعَجَبُ، لَوْ ادَّعَى رَجُلٌ مَعْرِفَةَ صِنَاعَةِ مِنْ صِنَائِعِ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ

(١) فِي (د): «نَقْنَدِي».

بها ولا شاهدوا عنده آلتها لكذبوه في دعواه، ولم يأمنوه على أموالهم، ولم يمكنوه أن يعمل فيها ما يدعيه من تلك الصنعة، فكيف بمن يدعي معرفة أمر الرسول ﷺ، وما شوهه قط يكتب علم الرسول ولا يجالس أهله، ولا يدارسه؟! فله العجب، كيف يقبل أهل العقل دعواه، ويحكمونه في أديانهم يفسدونها بدعواه الكاذبة<sup>(١)</sup>؟!

إِنْ كُنْتَ تَنُوحُ يَا حَمَامَ الْبَانِ لِلْبَيْنِ فَأَيْنَ شَاهِدُ الْأَحْزَانِ  
أَجْفَانُكَ لِلذُّمُوعِ أَمْ أَجْفَانِي لَا يُقْبَلُ مُدَّعٍ بِلَا بُرْهَانٍ<sup>(٢)</sup>  
وَمِنْ أَعْظَمَ مَا حَصَلَ بِهِ الذُّلُّ مِنْ مُخَالَفَةِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرْكُ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ  
جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ، فَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْجِهَادِ عَزَّ، وَمَنْ تَرَكَ الْجِهَادَ  
مَعَ قَدْرَتِهِ عَلَيْهِ ذُلٌّ.

وقد سبق حديث: «إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعَيْنَةِ، وَتَبِعْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ مِنْ رِقَابِكُمْ حَتَّى تُرَاجِعُوا دِينَكُمْ»<sup>(٣)</sup>.  
ورأى النبي ﷺ سَكَّةَ الْحَرِثِ، فَقَالَ: «مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلَهَا الذُّلُّ»<sup>(٤)</sup>.

(١) في حاشية (ق): «مسألة: في منع التقليد والتحكيم إلى من ليس بأهل».

وقد عمَّ هذا البلاء الذي ذكره المصنف رحمه الله تعالى في أواخر القرن الثامن الهجري في زماننا في القرن الخامس عشر، وأمسى الرويضات أكثر الناس كلاماً. فإنا لله، والله المستعان.

(٢) ذكرهما ابن الجوزي في «المدھش» (ص: ٥٢٨). وذكره المصنف في «لطائف المعارف» (ص: ٣٢٣). ووقع في نسخنا هنا: «شواهد الأحزان» بدل «شاهد الأحزان»، وأثبتنا ما في المصدرين لانضباط الوزن به.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٤٥٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) أخرج البخاري (٢٣٢١) نحوه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قال القسطلاني في «إرشاد الساري» (٤ / ١٧٢) «أي لما يلزمهم من حقوق الأرض التي =

فَمَنْ تَرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْجِهَادِ مَعَ قُدْرَتِهِ، وَاشْتَغَلَ عَنْهُ بِتَحْصِيلِ الدُّنْيَا مِنْ وُجُوهِهَا الْمُبَاحَةِ حَصَلَ لَهُ الذُّلُّ، فَكَيْفَ إِذَا اشْتَغَلَ عَنِ الْجِهَادِ بِجَمْعِ<sup>(١)</sup> الدُّنْيَا مِنْ وُجُوهِهَا الْمَحْرَمَةِ؟!

\*\*\*

قَوْلُهُ ﷺ: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: النَّهْيُ عَنِ التَّشْبِيهِ<sup>(٢)</sup> بِأَهْلِ الشَّرِّ، مِثْلِ أَهْلِ الْكُفْرِ وَالْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ، وَقَدْ وَبَّخَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ قِبَائِحِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَسْتَمَعْتُمْ يَخْلَقَكُمْ كَمَا أَسْتَمَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يَخْلُقُهُمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

يَزْرَعُونَهَا، وَيَطَالِبُهُمْ بِهَا الْوَلَاةُ، بَلْ وَيَأْخُذُونَ مِنْهُمْ الْآنَ فَوْقَ مَا عَلَيْهِمْ بِالضَّرْبِ وَالْحَبْسِ، بَلْ وَيَجْعَلُونَهُمْ كَالْعَبِيدِ أَوْ أَسْوَأَ مِنَ الْعَبِيدِ، فَإِنْ مَاتَ أَحَدُ مِنْهُمْ أَخَذُوا وَلَدَهُ عَوْضَهُ بِالْغَضَبِ وَالظُّلْمِ، وَرَبِمَا أَخَذُوا الْكَثِيرَ مِنْ مِيرَاثِهِ، وَيَحْرَمُونَ وَرَثَتَهُ، بَلْ رَبِمَا أَخَذُوا مِنْ بَيْلِدِ الزَّرَّاعِ فَجَعَلُوهُ زَرَّاعاً، وَرَبِمَا أَخَذُوا مَالَهُ كَمَا شَاهَدْنَا فَلَاحُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، وَكَانَ الْعَمَلُ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ مَا افْتَتَحَتْ عَلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَكَانَ الصَّحَابَةُ يَكْرَهُونَ تَعَاطِي ذَلِكَ، قَالَ فِي «فَتْحِ الْبَارِي»: وَقَدْ أَشَارَ الْبُخَارِيُّ بِالترجمة إلى الجمع بين حديث أبي أمامة والحديث السابق في فضل الزرع والفرس، وذلك بأحد أمرين:

إِذَا أَنْ يَحْمَلَ مَا وَرَدَ مِنَ الدَّمِ عَلَى عَاقِبَةِ ذَلِكَ، وَمَحَلُّهُ إِذَا اشْتَغَلَ بِهِ، فَضِيعَ بِسَبِيهِ مَا أَمَرَ بِحِفْظِهِ.

وَأَمَّا أَنْ يَحْمَلَ عَلَى مَا إِذَا لَمْ يَضِيعَ إِلَّا أَنَّهُ جَاوَزَ الْحَدَّ فِيهِ.

(١) فِي (ق): «بِتَحْصِيلِ».

(٢) «التَّشْبِيهِ» الْمَثْبُوتُ مِنْ (د)، وَفِي سَائِرِ النُّسخ: «التَّشْبِيهِ».

وقد نهى النبي ﷺ عن التشبُّه بالمُشركين وأهل الكتاب، فنهى عن الصَّلَاةِ عند طُلُوعِ الشَّمْسِ وعند غُرُوبِهَا، وَعَلَّلَ بِأَنَّهُ حِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكَفَّارُ فَيَصِيرُ السُّجُودُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ شَبَهًا بِهِمْ فِي الصُّورَةِ الظَّاهِرَةِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ﷺ: «خَالِفُوا الْمَشْرِكِينَ، أَخْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَوْفُوا اللَّحَى»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية: «جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَزْخُوا اللَّحَى، خَالِفُوا الْمَجُوسَ»<sup>(٣)</sup>.

وَأَمَرَ ﷺ بِالصَّلَاةِ فِي النَّعَالِ مُخَالَفَةً لِأَهْلِ الْكِتَابِ<sup>(٤)</sup>.

وَرُويَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بغيرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ

(١) أخرجه الإمام مسلم (٨٣٢) من حديث عمرو بن عَبَسَةَ رضي الله عنه.

وفي المطبوعات بعد ذلك ما ليس في نسخنا الأربعة:

[وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبِغُونَ فَيُخَالِفُونَهُمْ»، وفي رواية عنه ﷺ: «غَيَّرُوا الشَّيْبَ، وَلَا

تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ».]

والحديث الأول: أخرجه البخاري (٥٨٩٩)، ومسلم (٢١٠٣) من حديث أبي هريرة.

والثاني: أخرجه الإمام أحمد (١٤١٥)، والنسائي (٥٠٧٤) من حديث الزبير بن العوام، وروي من

حديث غيره.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بهذا اللفظ.

وفي (ق): «وأعفوا»، وفي (ف) كما في سائر النسخ، وفي حاشيتها: «صوابه: وأعفوا». وهما روايتان للحديث نفسه كلاهما في صحيح مسلم.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بهذا اللفظ.

(٤) كما في حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، قال ﷺ: «خَالِفُوا الْيَهُودَ، فَإِنَّهُمْ لَا يَصْلُونَ فِي نَعَالِهِمْ

وَلَا خِفَانَهُمْ» أخرجه أبو داود (٦٥٢).

وَالنَّصَارَى؛ فَإِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ... <sup>(١)</sup> الْإِشَارَةُ بِالْكَفِّ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ <sup>(٢)</sup>.

وَنَهَى ﷺ عَنِ التَّشْبِهِ بِهِمْ فِي أَعْيَادِهِمْ <sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <sup>(٤)</sup>: مَنْ أَقَامَ بِأَرْضِ الْمُشْرِكِينَ يَصْنَعُ نِيرُوزَهُمْ وَمَهْرَجَانَهُمْ، وَيَتَشَبَّهُ بِهِمْ حَتَّى يَمُوتَ حُسْرًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَهُمْ <sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: أَكْرَهُ حَلْقَ الْقَفَا، هُوَ مِنْ فَعَلٍ الْمَجُوسِ، وَمَنْ تَشَبَّهُ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ <sup>(٦)</sup>.

فَالْتَّشَبُّ بِالْمُشْرِكِينَ وَالْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمِ وَالضَّالِّينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنَهًى عَنْهُ، وَلَا بَدَّ مِنْ وَقُوعِهِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ حَيْثُ قَالَ:

(١) فِي التِّرْمِذِيِّ: «إِنَّ تَسْلِيمَ الْيَهُودِ الْإِشَارَةُ بِالْأَصَابِعِ، وَتَسْلِيمَ النَّصَارَى الْإِشَارَةُ بِالْأَكْفِ» فَمَا ذَكَرَ فِي النِّسْخِ نَاقِصٌ؛ لِذَلِكَ وَضَعْتُ النِّقْطَ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٦٩٥)، وَقَالَ: «إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ».

(٣) أَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٢٠٠٦) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكَم بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَوْمَ النُّحْرِ» وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (١١٢٧)، وَالنَّسَائِيُّ (١٥٥٦).

(٤) كَذَا فِي جَمِيعِ النِّسْخِ، وَصَوَابُهُ: «عَمَرُو».

(٥) أَخْرَجَهُ الدُّوْلَابِيُّ فِي «الْكُنَى وَالْأَسْمَاءِ» (١٨٤٣)، وَابِيهَقِي فِي «السَّنَنِ الْكُبْرَى» بَابُ كِرَاهِيَةِ الدِّخُولِ عَلَى أَهْلِ الدِّمَةِ فِي كُنَائِسِهِمْ، وَالتَّشَبُّهُ بِهِمْ يَوْمَ نِيرُوزِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ (١٩ / ١٦٧ - ط دار هجر).

فَلْيَحْذَرِ مَنْ تَهَاوَنَ فِي دِينِهِ، وَأَطَاعَ الْهَوَى، وَشَارَكَ الْمُشْرِكِينَ وَالْكَفَّارَ وَأَهْلَ الْفَوَاحِشِ فِي أَعْيَادِهِمْ.

(٦) كِتَابُ «الْوَرَعِ» لِلْمُرُوزِيِّ (٥٨٥). وَقَدْ وَرَدَ النَّهْيُ عَنْ حَلْقِ الْقَفَا إِلَّا لِلْحِجَامَةِ مَرْفُوعًا عِنْدَ الطَّبْرَانِيِّ

فِي «الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ» (٢٦١).

«لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا بِشِيرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جَحَرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قالوا: [يا رسول الله!] اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ؟!»<sup>(١)</sup>.

قال ابنُ عُيَيْنَةَ: كَانَ يَقَالُ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فِيهِ شِبَّةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عَبَادِنَا فِيهِ شِبَّةٌ مِنَ النَّصَارَى<sup>(٢)</sup>.

ووجهُ هذا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ عُلَمَاءَ الْيَهُودِ بِأَكْلِ السُّحْتِ، وَأَكْلِ الْأَمْوَالِ بِالْبَاطِلِ، وَالصَّدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَبَقْتْلِ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَبَقْتْلِ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، وَبِالتَّكْبِيرِ عَنِ الْحَقِّ وَتَرْكِهِ عَمْدًا خَوْفًا مِنْ زَوَالِ الْمَأْكَلِ وَالرِّيَاسَاتِ، وَبِالْحَسَدِ، وَبِقَسْوَةِ الْقُلُوبِ<sup>(٣)</sup>، وَبِكُتْمَانِ الْحَقِّ، وَتَلْبِيسِ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَكُلُّ هَذِهِ الْخِصَالِ تَوَجَّدُ فِي عُلَمَاءِ الشُّوءِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَنَحْوِهِمْ، وَلِهَذَا أُشْبِهَتْ الرَّافِضَةُ الْيَهُودَ فِي نَحْوِ مِنْ سَبْعِينَ خَصْلَةً<sup>(٤)</sup>.

وَأَمَّا النَّصَارَى فَذَمَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَهْلِ وَالضَّلَالِ، وَبِالْغُلُوفِ فِي الدِّينِ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَرَفَعَ الْمَخْلُوقَ إِلَى دَرَجَةٍ لَا يَسْتَحِقُّهَا حَتَّىٰ تُدَّعَى فِيهِ الْإِلَهِيَّةُ، وَاتِّبَاعِ الْكُفَرَاءِ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ، وَكُلُّ هَذَا يَوْجَدُ فِي جَهَّالِ الْمُتَتَّبِعِينَ إِلَى الْعِبَادَةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ<sup>(٥)</sup>:

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وما بين معقوفين لا يوجد في نسخنا، ويوجد في المطبوعات، وهو في «الصحيحين».

(٢) لهج بهذا القول الإمام ابن تيمية رحمه الله في كثير من كتبه، وعنه أخذه ابن القيم وابن كثير وابن رجب، ولم أجده معزواً إلى سفيان بن عيينة عند أحد قبله.

(٣) في (ف): «القلب».

(٤) في حاشية (ف): «شبهت الرافضة اليهود في سبعين خصلة».

(٥) في حاشية (ف): «مهم». وفي (ت) و(د): «هذا الأمة».



فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَعَبَّدُ بِالْجَهْلِ بِغَيْرِ عِلْمٍ بَلْ يَذُمُّ الْعِلْمَ وَأَهْلَهُ.  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلُو فِي بَعْضِ الشُّيُوخِ فَيَدَّعِي فِيهِ الْحُلُولَ.  
وَمِنْهُمْ مَنْ يَدَّعِي الْحُلُولَ الْمُطْلَقَ وَالِاتِّحَادَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَغْلُو فِي مَنْ يَعْتَقِدُهُ مِنَ الْمَشَائِخِ كَمَا تَغْلُو<sup>(١)</sup> النَّصَارَى فِي رُهبَانِهِمْ،  
وَيَعْتَقِدُونَ لَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا فِي الدِّينِ مَا شَاؤُوا، وَأَنْ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ غُفِرَ لَهُ، وَلَا يُبَالِي  
بِمَا عَمِلَ مِنْ عَمَلٍ، وَأَنْ مُحِبَّتَهُمْ لَا يَضُرُّ مَعَهَا ذَنْبٌ.  
وَقَدْ كَانَ الشُّيُوخُ الْعَارِفُونَ يَنْهَوْنَ عَنْ صُحْبَةِ الْأَشْرَارِ، وَأَنْ يَنْقَطِعَ الْعَبْدُ عَنِ اللَّهِ  
بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ.

فَمَنْ صَحِبَ الْأَخْيَارَ بِمُجَرَّدِ التَّعْظِيمِ لَهُمْ - وَالْغُلُوِّ فِيهِمْ زَائِدٌ عَنِ الْحَدِّ - وَأَعْلَقَ  
قَلْبَهُ بِهِمْ فَقَدْ انْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ بِهِمْ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْ صُحْبَةِ الْأَخْيَارِ<sup>(٢)</sup> أَنْ يُوَصِّلُوا مَنْ  
صَحِبَهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَيُسَلِّكُوهُ طَرِيقَهُ، وَيُعَلِّمُوهُ دِينَهُ.

وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحُثُّ أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالطَّاعَةِ وَيَقُولُ: «اشْتَرُوا  
أَنْفُسَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ لِأَهْلِهِ: «إِنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُمْ الْمُتَّقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَأْتِي النَّاسُ بِالْأَعْمَالِ  
وَتَأْتُونَ بِالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا عَلَى رِقَابِكُمْ فَتَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَقُولُ: قَدْ بَلَغْتُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (ق): «يَغْلُو».

(٢) فِي (د): «بِصُحْبَةِ الْأَخْيَارِ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٧٥٣) (٤٧٧١) وَمُسْلِمٌ (٢٠٦) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ بِهَذَا اللَّفْظِ أَيْضاً فِي شَرْحِ الْحَدِيثِ (٣٦) مِنْ «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ» (٢ / ٣٠٩). =

وَلَمَّا سَأَلَهُ رِبِيعَةُ الْأَسْلَمِيُّ مُرَافَقَتَهُ فِي الْجَنَّةِ قَالَ لَهُ: «أَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»<sup>(١)</sup>.

فَإِنَّمَا يُرَادُ صُحْبَةُ الْأَخْيَارِ لِإِصْلَاحِ<sup>(٢)</sup> الْأَعْمَالِ وَالْأَحْوَالِ، وَالْاِقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي ذَلِكَ، وَالْإِنْتِقَالَ مِنَ الْغَفْلَةِ إِلَى الْيَقَظَةِ وَمِنَ الْبَطَالَةِ إِلَى الْعَمَلِ وَمِنَ التَّخْلِيطِ فِي التَّكْسِبِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ إِلَى الْوَرَعِ، وَمَعْرِفَةِ عُيُوبِ النَّفْسِ وَأَفَاتِهَا وَاحْتِقَارِهَا.

فَأَمَّا مَنْ صَحِبَهُمْ وَافْتَخَرَ بِصُحْبَتِهِمْ، وَادَّعَى بِذَلِكَ الدَّعَاوَى الْعَرِضَةَ، وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى غَفْلَتِهِ وَكَسَلِهِ وَبَطَالَتِهِ فَهُوَ مُنْقَطِعٌ عَنِ اللَّهِ مِنْ حَيْثُ ظَنَّ الْوَصُولَ إِلَيْهِ.

وكَذَلِكَ الْمَبَالِغَةُ فِي تَعْظِيمِ الشُّيُوخِ وَتَتَرِيلُهُمْ مَنْزِلَةَ الْأَنْبِيَاءِ هُوَ مِمَّا يُنْهَى عَنْهُ. وَقَدْ كَانَ عَمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَكْرَهُونَ أَنْ يُطَلَّبَ مِنْهُمْ الدَّعَاءُ، وَيَقُولُونَ: «أَنْبِيَاءُ نَحْنُ»<sup>(٣)</sup>!

= وهذا اللفظ كأنه مدرج من أحاديث متعددة، انظرها في «جامع العلوم والحكم». وأقرب الألفاظ حديث أبي هريرة، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩٧)، وحديث معاذ أخرجه ابن حجر في «زهر الفردوس» (٨٠٤). وليس عندهما «قد بلغت».

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩).

(٢) في (ت) و(ف) و(د): «إصلاح».

(٣) تصحفت «الدعاء» في (ق) إلى: «الدنيا». وفي حاشية (ف): «نادرة مما ينبه».

وقد توسع المصنف رحمه الله في ذكر هذه المسألة في شرح حديث «ما ذئبان جائعان» فليُنظر ثمة مع التعليق عليه.

فدَلَّ على أَنَّ هذه المنزلة لا تنبغي إِلَّا للأنبياء عليهم السَّلام<sup>(١)</sup>.

وكذلك التَّبرُّك بالآثار، إِنَّمَا كان يفعلُه الصَّحابةُ رضيَ اللهُ عنهم مع النَّبيِّ ﷺ<sup>(٢)</sup>، ولم يكونوا يفعلونه مع بعضهم ببعض، ولا يفعلُه التَّابعون مع الصَّحابة مع علوِّ قدرهم، فدَلَّ على أَنَّ هذا لا يُفعل إِلَّا مع الرَّسولِ ﷺ، مثل التَّبرُّك بوضوئه وفضلاته وشعره وشربِ فضلِ شرايه وطعامه.

وفي الجملة: هذه الأشياءُ فتنةٌ للمُعظم وللمُعظمِ لِمَا يُخشى عليه من الغلوِّ المُدْخِل في البدعة، وربَّما يترقَّى إلى نوعٍ من الشُّرك، كلُّ هذا إِنَّمَا جاء من التشبُّه بأهل الكتاب والمشرِّكين، الذي نُهيَّت هذه الأُمَّة عنه. —

= وأثر عمر رضي الله عنه، أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» كما نقله الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٣٣١ - طبعة دار ابن الجوزي).

(١) هذه المنزلة هي التعظيم فوق سائر الناس، وغاية التعظيم الجائز لا تنبغي إِلَّا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليس مقصود المصنف نفى طلب الدعاء من غير الأنبياء، فهذا باطل، بل قامت دلائل الشرع على استحباب طلب الدعاء من الصالحين، قال الإمام النووي رحمه الله في «الأذكار»: «باب استحباب طلب الدعاء من أهل الفضل، وإن كان الطالب أفضل من المطلوب منه، والدعاء في المواضع الشريفة: اعلم أن الأحاديث في هذا الباب أكثر من أن تحصر، وهو أمر مجمع عليه».

وقد أوصى النبي ﷺ عمر رضي الله عنه أن يسأل أويساً القرني أن يستغفر له أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

قال المصنف ابن رجب رحمه الله في «لطائف المعارف» (ص: ٤٢١ - ٤٢٢): «ينبغي للمنقطعين طلب الدعاء من الواصلين، لتحصل المشاركة».

(٢) وهو من المعلوم من الدين، مما تواتر معناه في أحاديث كثيرة لا تكاد تحصى.

وفي الحديث الذي في السُّنَنِ: «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ»<sup>(١)</sup>،  
وَالسُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ»<sup>(٢)</sup>.  
فَالْغُلُومِ مِنْ صِفَاتِ النَّصَارَى، وَالْجَفَاءِ مِنْ صِفَاتِ الْيَهُودِ، وَالْقَضْدُ هُوَ  
الْمَأْمُورُ بِهِ.

وقد كان السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْ تَعْظِيمِهِمْ غَايَةَ النَّهْيِ،  
كَالْحَسَنِ وَالثَّوْرِيِّ وَأَحْمَدَ<sup>(٣)</sup>.

وكان أحمدُ يقولُ: مَنْ أَنَا حَتَّى تَجِثُّونَ إِلَيَّ؟ اذْهَبُوا اكْتُبُوا الْحَدِيثَ<sup>(٤)</sup>.

وكان إذا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ يَقُولُ: سَلُوا الْعُلَمَاءَ<sup>(٥)</sup>.

وَإِذَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ مِنَ الْوَرَعِ يَقُولُ: أَنَا لَا يَحِلُّ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ فِي الْوَرَعِ، لَوْ كَانَ  
بِشْرٍ حَيًّا تَكَلَّمَ فِي هَذَا<sup>(٦)</sup>.

(١) «المسلم» سقطت من (ت) و(ق) و(د) و(ف) ثم أثبتت على حاشية (ف) وهي ثابتة في المصادر.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨١٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (٦ / ١١١) أن الحسن ذهب من المسجد الجامع إلى أهله، فاتبه

ناس، فالتفت إليهم فقال: إن خفق النعال حول الرجال قلما يلبث الحمقى...

وقد أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٩٢٧ - طبعة الطحان) دون

القصة أوله، وزاد آخره: «ويأمر من صحبه أن يمشي إلى جنبه».

وقول الحسن دون القصة أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (زيادات الزهد برواية نعيم ص ١٣)،

وغيره.

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٣٦٨).

(٥) ذكره عبد الله بن أحمد في «مسائل الإمام أحمد» (١٥٨٣).

(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١ / ٢٩٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠ / ١٩٤).

وُسئِلَ مرَّةً عَنِ الْإِخْلَاصِ، فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَى الزُّهَادِ، أَيُّ شَيْءٍ نَحْنُ حَتَّى تَجِيءَ إِلَيْنَا<sup>(١)</sup>.

وَجَاءَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَى ثِيَابِهِ، وَمَسَحَ بِهَا وَجْهَهُ، فغَضِبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَأَنْكَرَ ذَلِكَ أَشَدَّ الْإِنْكَارِ، وَقَالَ: عَمَّنْ أَخَذْتُمْ هَذَا<sup>(٢)</sup>.

الْأَمْرُ الثَّانِي: التَّشَبُّهُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ وَالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى وَالطَّاعَةِ فَهَذَا حَسَنٌ مَدُوبٌ إِلَيْهِ، وَلِهَذَا يَشْرَعُ الْاِقْتِدَاءُ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَحَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ وَآدَابِهِ وَأَخْلَاقِهِ، وَذَلِكَ مُقْتَضَى الْمَحَبَّةِ الصَّحِيحَةِ، «فَإِنَّ الْمَرْءَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»<sup>(٣)</sup>، وَلَا يَدَّ مِنْ مُشَارِكَتِهِ فِي أَصْلِ عَمَلِهِ، وَإِنْ قَصَّرَ الْمَحِبُّ عَنْ دَرَجَتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ: لَا تَغْتَرَّ بِقَوْلٍ مَنْ يَقُولُ لَكَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ! إِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا اتَّبَعَ آثَارَهُمْ، وَلَنْ تَلْحَقَ بِالْأَبْرَارِ حَتَّى تَتَّبِعَ آثَارَهُمْ، وَتَأْخُذَ بِهِدْيِهِمْ، وَتَقْتَدِيَ بِسُنَّتِهِمْ<sup>(٤)</sup>، وَتُصْبِحَ وَتُمْسِيَ وَأَنْتَ عَلَى مَنْهَاجِهِمْ حَرِيصًا أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ وَتَسْلُكَ سَبِيلَهُمْ وَتَأْخُذَ طَرِيقَهُمْ، وَإِنْ كُنْتَ مُقَصِّرًا فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّمَا مَلَكَ الْأَمْرِ أَنْ تَكُونَ عَلَى اسْتِقَامَةٍ، أَمَا رَأَيْتَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَأَهْلَ الْأَهْوَاءِ الْمَرْدِيَّةِ يُحِبُّونَ أَنْبِيََاءَهُمْ، وَلَيْسُوا مَعَهُمْ! لَأَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِي الْقَوْلِ

(١) نقل أبو طالب المكي في «قوت القلوب» في شرح مقام الزهد (١/ ٤٤٥) نحوه، ولفظه: «سلوا الزهاد».

(٢) أخرجه ابن الجوزي إلى «مناقب الإمام أحمد» (٣٦٨-٣٦٩). وهذا من ورعه وتواضعه رحمه الله تعالى، وهذا شأن هؤلاء العلماء الربانيين رضي الله عنه.

(٣) حديث مشهور بل متواتر.

(٤) في (د): «بسنتهم».

وَالْعَمَلِ وَسَلَكُوا غَيْرَ طَرِيقِهِمْ، فَصَارَ مَوْرَدُهُمُ النَّارَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ<sup>(١)</sup>.

كَانَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ يُنْشِدُ:

فَإِنَّكَ مَنْ يُعْجِبُكَ لَا تَكُ مِثْلَهُ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَصْنَعْ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ<sup>(٢)</sup>

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «ابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا»<sup>(٣)</sup>.

فَمَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الْخَيْرِ وَتَشَبَّهَ بِهِمْ جَهْدَهُ فَإِنَّهُ يَلْحَقُ بِهِمْ كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمَشْهُورِ: «مَنْ حَفِظَ أَرْبَعِينَ حَدِيثًا حُسِرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْعُلَمَاءِ»<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ أَحَبَّ أَهْلَ الطَّاعَةِ وَالذِّكْرِ عَلَى وَجْهِ السُّنَّةِ وَجَالَسَهُمْ فَإِنَّهُ يُغْفَرُ لَهُ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»<sup>(٥)</sup>.

فَأَمَّا السَّبَبُ بِأَهْلِ الْخَيْرِ فِي الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ بَعِيدٌ مِنْهُمْ، وَإِنَّمَا الْقَصْدُ بِالتَّشَبُّهِ بِهِمْ أَنْ يُقَالَ عَنِ الْمُتَشَبِّهِ بِهِمْ إِنَّهُ مِنْهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، فَهَذَا مِنْ خِصَالِ التَّفَاقُقِ

(١) أورده الغزالي رحمه الله في آداب الألفة من «إحياء علوم الدين»، وعزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٩٩) إلى العسكري.

قال الغزالي رحمه الله: «وهذا إشارة إلى أن مجرد ذلك [أي المحبة] من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع».

(٢) أنشده له ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٨٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣ / ١٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه (١٣٣٧) و(٤١٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) حديث مشهور لكنه ضعيف من كل طرفه كما ذكره الإمام النووي رحمه الله في مقدمة الأربعين.

(٥) جزء من حديث أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه.

كما قال بعضهم: استعيذوا بالله من خُشوعِ النِّفاقِ، أن يُرى الجَسَدُ خاشعاً والقلبُ ليس بخاشعٍ<sup>(١)</sup>.

كان السَّلَفُ الصَّالِحُ يَجْتَهِدُونَ فِي أَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَيَعْدُونَ أَنْفُسَهُمْ مِنَ الْمُقْصِرِينَ الْمُفَرِّطِينَ الْمُذْنِبِينَ، وَنَحْنُ مَعَ إِسَاءَتِنَا نَعُدُّ أَنْفُسَنَا مِنَ الْمُحْسِنِينَ!  
كان مالكُ بنُ دينارٍ يَقُولُ: إِذَا ذَكَرَ الصَّالِحُونَ فَلَأُفَّ لِي وَتُفَّ<sup>(٢)</sup>.  
وقال أَيُّوبُ: إِذَا ذَكَرَ الصَّالِحُونَ كُنْتُ عَنْهُمْ بِمَعَزِلٍ<sup>(٣)</sup>.

وقال يونسُ بنُ عُبيدٍ: أَعَدُّ مِئَةَ<sup>(٤)</sup> خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، لَيْسَ فِيَّ مِنْهَا خَصْلَةٌ<sup>(٥)</sup> وَاحِدَةٌ<sup>(٦)</sup>.

وقال مُحَمَّدُ بنُ وَاسِعٍ: لَوْ أَنَّ لِلذُّنُوبِ رَائِحَةً لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَجْلِسَ إِلَيَّ<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٦٣) من كلام أبي هريرة وأبي الدرداء رضي الله عنهما، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٨٦١)، وأحمد في «الزهد» (٧٦٢) من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه.  
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٢٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢ / ٣٦٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٠١).  
(٣) «سؤالات ابن طهمان لابن معين» (٢٣٧). وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣ / ٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٩٠٠).

(٤) في (ق): «عُدَّ».

(٥) «خصلة» من (ف)، وسقطت من سائر النسخ.

(٦) «سؤالات ابن طهمان لابن معين» (٢٣٨)، وأخرجه ابن الجعد في «مسنده» (١٣٣٥)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣ / ١٨).

(٧) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في «الورع» (ص: ١٦٣)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٧)، =

يَا مَنْ إِذَا شُبَّهَ بِالصَّالِحِينَ فَهُوَ عَنْهُمْ<sup>(١)</sup> مُتَبَاعِدٌ، وَإِذَا شُبَّهَ بِالْمُذْنِبِينَ فَحَالُهُ  
وَحَالُهُمْ وَاحِدٌ، يَا مَنْ يَسْمَعُ مَا تَلِينُ لَهُ الْجَوَامِدُ<sup>(٢)</sup>، وَطَرَفُهُ جَامِدٌ، وَقَلْبُهُ أَقْسَى  
مِنَ الْجَلَامِدِ، يَا مَنْ قَدْ بَرَدَ قَلْبُهُ عَنِ التَّقْوَى كَيْفَ يَنْفَعُ الضَّرْبُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ.

يَا نَفْسُ أَنْى تُؤْفِكِينَا حَتَّى مَتَى لَا تَرْغَوِينَا

حَتَّى مَتَى لَا تَعْقِلِينَا وَتُبْصِرِينَ وَتَسْمَعِينَا

يَا نَفْسُ إِنْ لَمْ تَصْلُحِي فَتَشَبَّهِي بِالصَّالِحِينَ<sup>(٣)</sup>

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً  
كثيراً أبداً سرمداً. وحسبنا الله تعالى ونعم الوكيل<sup>(٤)</sup>.

= وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٥ / ١٦٤).

(١) في (د): «منهم».

(٢) في (ق): «منه الجلامد».

(٣) الأبيات لأبي العتاهية من قصيدة في ديوانه (ص: ٢٦٤).

(٤) هذه الخاتمة من (ت)، وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه في الثالث

عشر من شهر الله المحرم الحرام سنة ثلاث وخمسين وثمانمئة».

وفي (ف): «تم».

ولا شيء في (ق) و(د).

وفي (س): «آخره والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وإمام المتقين

وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين عدد ما صلى عليه

المصلون وغفل عن الصلاة والسلام عليه الغافلون والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً».

وفي حاشيتها: «بلغ مقابلة وتصحيحاً».



### ملحق

قال الإمام السرخسي الحنفي، المتوفى آخر القرن الخامس، رحمه الله تعالى في إملائه على «شرح السير الكبير» للإمام محمد بن الحسن الشيباني (١٦/١):

«وذكر بعد هذا عن طاوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى بعثني بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت رمحي - أو تحت ظل رمحي - وجعل الذل والصغار على من خالفني، ومن تشبه بقوم فهو منهم».

والمراد بقوله: «بعثني بالسيف»: أي بعثني لأقاتل في سبيل الله، كما قال ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله»، ولأن القتال في حق غيره من الأنبياء لم يكن مأموراً به، وخصَّ به رسول الله ﷺ، وصفته في التوراة: «نبي الملحمة، عيناه حمراوان من شدة القتال»، وفي صفة هذه الأمة: «أناجيلهم في صدورهم، وسيفهم على عواتقهم»، وإليه أشار ﷺ في قوله: «السيف أودية الغزاة». وعن سفيان بن عيينة قال: بعث الله رسوله بأربعة سيوف: سيف لقتال المشركين بأمر به القتال بنفسه، وسيف لقتال أهل الردة كما قال تعالى: ﴿تَقَاتِلُوهُمْ أَوْ تُسَلِّمُوا﴾ [الفتح: ١٦]، فقاتل به أبو بكر رضي الله عنه بعده مانعي الزكاة، وسيف لقتال أهل الكتاب والمجوس، كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ إلى أن قال: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] فقاتل به عمر رضي الله عنه، وسيف لقتال المارقين، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ بَقِيَ إِسْدَهُمَا عَلَى الْآخَرِ فَقَاتِلُوا إِلَى تَبْيِ حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] فقاتل به علي رضي الله عنه، على ما روي عنه أنه قال: «أمرت بقتال المارقين والناكثين والقاسطين».

وقوله: «بين يدي الساعة» أي بالقرب من قيام الساعة. قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [القمر: ١]، قيل في معنى قوله: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِنَهَا﴾ [النازعات: ٤٣]: فيم السؤال عن الساعة وأنت من أشراطها؟

وقوله: «وجعل رزقي تحت ظل رمحي»: قيل هذا حكم كان في ابتداء الإسلام أن الغازي إذا جئ الليل، فركز رمحه عند قوم فعليهم أن يضيفوه، فإن لم يفعلوا ذلك حتى أصبح كان متمكناً من أن يغرهم، ثم انتسخ ذلك بقوله عليه السلام: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة نفس منه».

= وقيل: المراد به حل الغنائم لهذه الأمة، فإنها ما كانت تحل لأحد قبل مبعث رسول الله ﷺ، وبيان ذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٩]، وقال ﷺ: «أخصصت بخمس» وذكر في جملتها حل الغنائم. ولم يُرد بالظل حقيقة الظل، لكن أراد به الأمان، ومنه قوله ﷺ: «السلطان ظل الله في الأرض» يريد به الأمان.

ومعنى قوله: «وجعل الذل والصغار على من خالفني» أي ذل الشرك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، وفي هذا بيان أن الذل على من خالفهم.

وقيل: المراد من الصغار: صغار الجزية على ما قال تعالى: ﴿وَهُمْ صَغِيرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقوله: «ومن تشبه بقوم فهو منهم»: أي تشبه بالمجاهدين في الخروج معهم، والسعي في بعض حوائجهم وتكثير سوادهم، فيكون منهم في استحقاق الغنيمة في الدنيا، والثواب في الآخرة، وفي مثل هذا قال ﷺ: «هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» في حق العلماء. انتهى.

فهذا أحد معانيه، والمعنى الآخر: هو التشبه المذموم الذي تحدّث عنه المصنف ابن رجب رحمه الله تعالى.



كَشَفُ الْكُرْبَةِ  
فِي  
وَصْفِ أَهْلِ الْغُرْبَةِ





[illegible][illegible]

نسخة العطار (ط) - مكتبة جامعة الملك سعود





[illegible][illegible]

۱۰۰  
 ۱۰۱  
 ۱۰۲  
 ۱۰۳  
 ۱۰۴  
 ۱۰۵  
 ۱۰۶  
 ۱۰۷  
 ۱۰۸  
 ۱۰۹  
 ۱۱۰  
 ۱۱۱  
 ۱۱۲  
 ۱۱۳  
 ۱۱۴  
 ۱۱۵  
 ۱۱۶  
 ۱۱۷  
 ۱۱۸  
 ۱۱۹  
 ۱۲۰  
 ۱۲۱  
 ۱۲۲  
 ۱۲۳  
 ۱۲۴  
 ۱۲۵  
 ۱۲۶  
 ۱۲۷  
 ۱۲۸  
 ۱۲۹  
 ۱۳۰  
 ۱۳۱  
 ۱۳۲  
 ۱۳۳  
 ۱۳۴  
 ۱۳۵  
 ۱۳۶  
 ۱۳۷  
 ۱۳۸  
 ۱۳۹  
 ۱۴۰  
 ۱۴۱  
 ۱۴۲  
 ۱۴۳  
 ۱۴۴  
 ۱۴۵  
 ۱۴۶  
 ۱۴۷  
 ۱۴۸  
 ۱۴۹  
 ۱۵۰  
 ۱۵۱  
 ۱۵۲  
 ۱۵۳  
 ۱۵۴  
 ۱۵۵  
 ۱۵۶  
 ۱۵۷  
 ۱۵۸  
 ۱۵۹  
 ۱۶۰  
 ۱۶۱  
 ۱۶۲  
 ۱۶۳  
 ۱۶۴  
 ۱۶۵  
 ۱۶۶  
 ۱۶۷  
 ۱۶۸  
 ۱۶۹  
 ۱۷۰  
 ۱۷۱  
 ۱۷۲  
 ۱۷۳  
 ۱۷۴  
 ۱۷۵  
 ۱۷۶  
 ۱۷۷  
 ۱۷۸  
 ۱۷۹  
 ۱۸۰  
 ۱۸۱  
 ۱۸۲  
 ۱۸۳  
 ۱۸۴  
 ۱۸۵  
 ۱۸۶  
 ۱۸۷  
 ۱۸۸  
 ۱۸۹  
 ۱۹۰  
 ۱۹۱  
 ۱۹۲  
 ۱۹۳  
 ۱۹۴  
 ۱۹۵  
 ۱۹۶  
 ۱۹۷  
 ۱۹۸  
 ۱۹۹  
 ۲۰۰

## بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله مؤنسٍ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ مِنْ غُرْبَتِهِ، وكاشفٍ غَمٍّ مَنْ فَرَّ إِلَيْهِ مِنْ كُرْبَتِهِ،  
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير بريته، وعلى آله وصحبه وعِترته، وَمَنْ  
تبعهم على الهدى واستقام على شريعته.

أما بعد:

فإن من دلائل النبوة، ومعجزات صاحب الشريعة ﷺ إخباره عن الغيوب  
المستقبلّة حتى كأنها رأي عين، يراها أهل كل عصر بعده فتصدق على أحوالهم،  
ويروون تحقق مقالته ﷺ فيهم، فإذا انقضى عصرهم وجاء خَلْفُهُمْ رأوا أنهم أولى  
بوصف تلك الأحوال من أسلافهم، فإذا انقضى عصرهم وجاء خَلْفُهُمْ كان الأمر  
كذلك إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

وقد بدأ الإسلام غريباً في مكة، غربة الإيمان بين الكافرين، وغربة التوحيد بين  
المشركين، وغربة الحق بين المبطلين، إلى أن أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة  
إلى مدينته ودار سنته، فأعلى الله فيها منار الإيمان، وأفل منها نجم الشرك والكفران،  
وكانت كلمة الله هي العليا، ثم فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا،  
وأكمل الله تعالى دينه، وأتم نعمته، ورضي الإسلام لنا ديناً.

ثم انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى وأتمته على خير ما كانت، وجاء بعده خليفته

الصادق رضي الله عنه، فقام لله في وجه أهل الردة، ثم خلفه الفاروق رضي الله عنه فبسط الله له سلطان الإسلام في الأرض، ثم استشهد رضي الله عنه، فكُسِرَ على الأمة باب الفتن، كلما انقضت فتنة ظهرت فتنة بعدها تُرَفِّقُهَا.

كان الافتراق ثم الشقاق من أعظم الفتن وأشد المحن للأمة، وكانا سبباً لما أخبر عنه ﷺ من غربة الدين وأهله؛ فصار أهل السنة غرباء بين أهل البدع، وأهل الحق غرباء بين أهل الباطل، وأهل الهدى غرباء بين أهل الضلال.

وكتب العلماء الكتبَ وصنفوا التصانيفَ في ذلك، كأبي بكر الآجري، المتوفى سنة ٣٦٠ رحمه الله تعالى في جزئه «الغرباء»، ثم بعد قرون مترامية كتب ابن قيم الجوزية، المتوفى سنة ٧٥١ رحمه الله كلامه عن الغربة في «مدارج السالكين» (٤ / ٦٧ - ٨٦)، ثم الشاطبي المتوفى سنة ٧٩٥ رحمه الله في فواتح كتابه «الاعتصام»، وهو عَضْرِيُّ المؤلفِ الإمام ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى.

لكنهم رحمهم الله جميعاً رغم ما أوضحوا وبيّنوا، وفرّغوا وقسموا، وفصلوا وأجملوا: لم يَرَوْا ما نحن فيه اليوم في القرن الخامس عشر من الغربة!

فقد أوهنَ الضعفُ الأمة بعدهم فتسلط عليها أعداؤها وتَدَاعَوْا إليها تداعي الأكلة إلى قصعتها، فأَمَسَى الإسلام غريباً في أوطانه!!

وظهر من المبادئ الباطلة والأفكار المنحرفة ما يُناقض الإسلام بالكلية.

وكلما جاءت غُربةٌ نَسِيَ الناسُ الغربةَ التي قبلها، ولم يحذروا من الغربة التي

تليها، وما العصمة من ذلك إلا بالاعتصام بحبل الله ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُوا ﴿١﴾، والتمسك بسنة رسول الله ﷺ، وقد أشار الحافظ ابن رجب رحمه الله إلى قضية مهمة تتعلق بمفهوم (أهل السنة) يَغْفُلُ عنها كثير من الخاصة فضلاً عن العامة، فيقصر بعضهم التمسك بالسنة على مسائل خاصة في باب الاعتقاد، ويقصره آخرون على مظاهر خاصة في البدن والثياب.

والحق: أن السنة الكاملة الواجبة الاتباع هي طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات في الدين كله من الإيمان والإسلام والإحسان، أي في العقائد والشرائع والسلوك.

ومن الحيف والظلم زعم إقامة السنة في بعض ذلك، ثم مجافاة السنة - بل ترك الدين - في بعض آخر من ذلك.

قال الله جل جلاله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْخُلُوا فِي السِّلَ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال سبحانه في ذم بني إسرائيل: ﴿أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَوْمَ الْقَيْمَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْمَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥].

فليحذر المؤمن من الخزي في الحياة الدنيا، وليفرق بينه وبين الغربة.

فالغربة - وطوبى للغرباء - إنما تقع لمن كان على السنة الكاملة السالمة من الشبهات والشهوات في الدين كله إيماناً وإسلاماً وإحساناً.

وأما الخزي، فهو لمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض، فمثل هذا لا يدخل في مقام الغربة، ولا يُعَدُّ من الغرباء!

وبسطُ ذلك يضيق به هذا المقام.

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وثبتنا على ذلك، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وثبتنا على ذلك.

\*\*\*

\* ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابنُ عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠) باسم: «كشف الكربة»، وذكره في «معجم الكتب» (ص: ١١٣)، وسماه: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة».

ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ٣٤٧)، وسماه: «كشف الكربة عن أحكام الغربة».

\* وقد اعتمدت في إخراجه على تسع نسخ:

١ - النسخة الأولى: نسخة دار الكتب المصرية، ورمزها (ك).

وهي في (١٠) لوحات، مسطرتها (١٨) سطراً، لم يذكر اسم ناسخها، ولا تاريخ النسخ، لكنها كتبت في حياة المؤلف كما تفيد مقدمتها وخاتمتها، وهي مقابلة عن نسخة مقروءة على المصنف وعليها خطه.

جاء العنوان فيها: «الكلام على قوله ﷺ بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء» وفي أول النسخة تملك: «من نعم الله تعالى على عبده الفقير إلى رحمة ربه العلي جعفر الودبي الحنبلي».

وفي حاشية العنوان: «بدأ»: «روي بالهمز، وروي بدونه، أي: ظهر. عزيزي».

٢ - النسخة الثانية: نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، ورمزها (م).

وهي الرسالة الأولى من المجموع رقم (١٧٤٢) - وقد سبق وصفه في المقدمات - وهي تامة تقع في (١٨) لوحة (من ٢/أ إلى ٩/أ) لكن حصل اختلاط في الأوراق جعل بقيتها (من ١٣٨/ب إلى ١٤٨/أ).

وعنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

ناسخها: أحمد بن محمد بن خضر القطان، وفي المجموع طبقة سماع مؤرخة ٨٣٦هـ ويوجد في آخر الرسالة قيد قراءة سنة ١٢١٥.

٣ - النسخة الثالثة: نسخة لايزغ، ورمزها (ل).

وهي في ضمن المجموع رقم (٨٨١).

وتقع في (٦) لوحات (من ٨٣/ب إلى ٨٨/أ) وهي مخرومة الآخر. مسطرتها ٢٥ سطراً، وعنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

لم يذكر اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وخطها نسخي واضح من خطوط القرن التاسع الهجري.

٤ - النسخة الرابعة: نسخة العطار، ورمزها (ط).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٤٨٤٣) في مكتبة جامعة الملك سعود. وتقع في (٩) ورقات.

عنوانها: «كشف الكربة في وصف أهل الغربة».

ناسخها: محمد بن الشيخ محمد بن الحاج علي العطار، وهو حسن الخط.

تاريخ نسخها: ١١ صفر ١١٢٣.

وعليها تملك: «تشرف بها أحقر من أن يذكر وأفقر: أحمد وهبي».

٥ - النسخة الخامسة: نسخة جامعة ييل، ورمزها (ج).

وهي من مصورات مركز جمعة الماجد (٣٦٢٦١٣) ضمن مجموع يليها فيه: فصل عن الغربية من «مدارج السالكين» لابن القيم، وعنوانها: «كشف الكربة في وصف الغربية». وهي في (٩) لوحات مسطرتها ٢٦ سطراً.

وخطها يمان، ويبدو أن المجموع كان في ملك الشوكاني، وبعض رسائله بخطه. وعليها قيد مقابلة في رجب ١٢٥٥. ووصف الناسخ المصنف في أولها: «الشيخ الإمام العالم العامل، الزاهد العابد الورع، العارف المحقق الضابط، الداعي إلى الله بالكتاب والسنة، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مستقره ومأواه، وجمعنا وإياه ووالدينا وأصحابنا وجميع المسلمين في دار كرامته بفضله ورحمته مع الأنبياء والأولياء. آمين إنه قريب مجيب».

٦ - النسخة السادسة: نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد (ق).

وهي في ضمن (٦٦٨٥)، وتقع في (٦) لوحات (من ١٧٣/أ إلى ١٧٨/ب) مسطرتها ٢٤ سطراً، وهي كثيرة التصحيف والأخطاء.

ناسخها: عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن حميد.

بتاريخ: ١٤ من ذي القعدة سنة ١٢٨٦.

٧ - النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة السعودية (ض).

وهي الرسالة الثالثة من مجموع برقم (٦٢٣ / ٨٦) وتقع في (٥) لوحات (من ص: ١٦ إلى ص: ٢٣).

لم يذكر اسم الناسخ، وتاريخ نسخها: ١٢٨٧ هـ.

وفي آخرها قيد مقابلة وتصحيح.

٨ - النسخة الثامنة: نسخة الدحيان (د).

وهي في مكتبة الموسوعة الفقهية في الكويت، برقم: خ ٣١٠ (٣)، وتقع في (٦) ورقات، مسطرتها ٣٣ سطراً، وجاءت التسمية فيها: «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة»، وعليها بعض تعليقات وتصحيحات.

ناسخها: الشيخ العلامة عبد الله بن خلف بن دحيان الحنبلي.

وتاريخ نسخها: ٢٣ ربيع الثاني ١٣٢٠.

والعلامة القاضي الدحيان هو من كبار رجالات العلم في الكويت (١٢٩٢ - ١٣٤٩) رحمه الله تعالى.

٩ - النسخة التاسعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض (س).

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (١٦٣٧) وقد سبق وصفه في المقدمات.

وتقع في (٧) لوحات (من ص: ٩٧ إلى ص: ١٠٩)، وسميت فيه: «شرح حديث بدأ الإسلام غريباً».

وهي بخط عبد الله بن إبراهيم الربيعي، ولم يذكر تاريخ نسخها، لكن الرسالة التي قبلها في المجموع نسخت في ذي الحجة ١٣٣٣ هـ.



وطبع الكتاب طبعات كثيرة جداً زادت على عشرة لأهمية موضوعه ومن أشهرها: طبعة الشيخ أحمد الشرباصي، دار الكتاب العربي بمصر، ١٣٧٣ التي قدم لها بمقدمة وافية ضافية، وعلق على الكتاب، وأضاف إليه ملحقاتاً أورد فيه كلام الشاطبي، وعنون الكتاب بـ «غربة الإسلام».

وما كتبه فيه معبر عن حال الأمة في أواسط القرن الرابع عشر.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

\*\*\*

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم<sup>(١)</sup>

قال الشيخ الإمام، العالم العلامة، الحبر الكامل، شيخ الإسلام، قدوة الأنام، وحيد عصره، وفريد دهره، سيدنا وشيخنا أبو الفرج عبد الرحمن، ابن سيدنا وشيخنا الإمام شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي، فسح الله في مدته، ونفع به<sup>(٢)</sup>.

الحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا<sup>(٣)</sup> ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً<sup>(٤)</sup>.

خرَّج مُسْلِمٌ في «صحيحه» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء»<sup>(٥)</sup>.

---

(١) في (م): «وبه أستعين» في (ل): «رب يسر ولا تعسر يا كريم». وفي (ج): «ولا حول ولا قوة إلا بالله». وفي (ق): «وبه نستعين». وفي (ض): «وبه نستعين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين».

(٢) من (ك).

(٣) لا توجد اللفظة في (ك) و(ل) و(ط).

(٤) زاد في (ج): «وأزواجه وذريته وصحبه أجمعين، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين».

(٥) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٤٥).

وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ»<sup>(١)</sup>.

وخرَّجه الإمام أحمد وابن ماجه، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ بِزِيَادَةٍ فِي آخِرِهِ وَهِيَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «التَّرَاعُ مِنَ الْقِبَائِلِ»<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجه أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ، وَعِنْدَهُ: قِيلَ: وَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِينَ يُضْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»<sup>(٣)</sup>.

وخرَّجه غيره، وَعِنْدَهُ: قَالَ: «الَّذِينَ يَقْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ»<sup>(٤)</sup>.

وخرَّجه الترمذيُّ مِنْ حَدِيثِ كَثِيرٍ بَنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ»<sup>(٥)</sup> غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ بَعْدِي<sup>(٦)</sup> مِنْ سُتِّي»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٤٦)، وتمة الحديث: «وهو يَأْرُزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ كَمَا تَأْرُزُ الْحَيَّةُ إِلَى جَحْرِهَا». يَأْرُزُ: يَنْضُمُ وَيَجْتَمِعُ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣٧٨٤)، وابن ماجه (٣٩٨٨) بمثل حديث أبي هريرة، وفيه الزيادة.

والتَّرَاعُ: جَمْعُ نَازِعٍ وَنَزِيعٍ، وَهُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي نَزَعَ أَي: بَعْدَ وَغَابَ عَنْ أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ. وَالْغُرَبَاءُ: هُمُ الْمُهَاجِرُونَ الَّذِينَ هَجَرُوا أَوْطَانَهُمْ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(٣) أخرجه الآجُرِّيُّ فِي «الْغُرَبَاءِ» (١).

(٤) لَمْ أَجِدْ هَذِهِ اللَّفْظَةَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَلَعَلَّ الْمَصْنُفَ أَخَذَهَا مِنْ كِتَابٍ غَيْرِ مُسْنَدٍ، فَلَمْ يَعْزِهَا إِلَى أَحَدٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٥) فِي (ق): «وَسِيرَج»، وَفِي (ن): «وَسِعُود».

(٦) فِي التِّرْمِذِيِّ: «مَنْ بَعْدِي»، وَالْمُشْتَبَّهَاتُ مِنْ (ت) وَ(ل) وَ(ط) وَ(ج) وَ(س)، وَسَقَطَتِ اللَّفْظَةُ مِنْ (م) وَ(ق) وَ(د) وَ(ن) وَ(ض).

(٧) أخرجه الترمذي (٢٦٣٠) مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ» =

وخرَّجه الطَّبْرَانِيُّ، من حديث جابر، عن النبي ﷺ، وفي حديثه: قيل: و<sup>(١)</sup> مَنْ هم يا رسول الله؟ قال: «الذين يُصْلِحُونَ حين يفسد<sup>(٢)</sup> النَّاسُ»<sup>(٣)</sup>.

وخرَّجه أيضاً من حديث سهل بن سعد، بنحوه<sup>(٤)</sup>.

وخرَّجه الإمام أحمد، من حديث سعد بن أبي وقاص، عن النبي ﷺ، وفي حديثه: «فطوبى يومئذ للغرباء إذا فسد النَّاسُ»<sup>(٥)</sup>.

= وأوله: «إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها، وليعقلن الدِّين من الحجاز معقل الأروية من رأس الجبل، إن الدين بدأ غريباً...».

(١) «و»: سقطت من (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س).

(٢) المثبت من (ك) موافقاً للمطبوع من «المعجم الأوسط» في (ج) و(س): «إذا بدل حين، وفي (ض) و(د) و(س): «فسد»، وفي سائر النسخ «حين أفسد».

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» من ثلاثة طرق (٤٩١٥) (٨٧١٦) (٨٩٧٧)، وأوله: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء». قال: «ومن هم؟...».

(٤) المثبت من (ك) وتصحفت «سهل» إلى «شريك» جاء في ما عداها من النسخ، وهو خطأ، صوابه:

«سهل». والحديث أخرجه الطبراني من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه في «الكبير» (٥٨٦٧)،

و«الأوسط» (٣٠٥٦)، و«الصغير» (٢٩٠) من طريق بكر بن سليم الصواف المدني، عن أبي حازم،

عن سهل بن سعد، ولفظه في «الكبير»: «إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، فطوبى للغرباء» قالوا: يا

رسول الله، وما الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس». قال في «الأوسط»: «لم يروه عن أبي

حازم عن سهل إلا بكر». وبكر بن سليم: قال ابن عدي في ترجمته من «الكامل»: «يحدث عن أبي

حازم عن سهل بن سعد وعن غيره ما لا يوافقه أحد عليه. ثم ذكر رواية بكر له من حديث أبي هريرة

رضي الله عنه. فحديث سهل إذن رواية معلة أصلها حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٠٤)، ولفظه: «إن الإيمان بدأ غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى يومئذ

لـلـغـربـاء إذا فسد الناس، والذي نفس أبي القاسم بيده ليأرزن الإيمان بين هذين المسجدين كما تأرز

الحية في جحرها». وهو أيضاً من رواية أبي حازم.

وخرَج الإمامُ أحمدُ والطَّبْرانيُّ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو<sup>(١)</sup> رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قُلْنَا: وَمَا<sup>(٢)</sup> الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ<sup>(٣)</sup> صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي نَاسٍ سَوْءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعَصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وَرُويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو<sup>(٥)</sup> مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً فِي هَذَا الْحَدِيثِ: قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «الْفَرَارُونَ»<sup>(٦)</sup> بَدِينَهُمْ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

(١) فِي (ق) وَ(ن): «عُمَرُ» وَهُوَ خَطَأٌ، مَثَّتْ بِهِ بَعْضُ مَطْبُوعَاتِ الْكِتَابِ.

(٢) فِي (ج) وَ(ق): «وَمِنْ». وَفِي (د): «قُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَمَا الْغُرَبَاءُ».

(٣) هُنَا يَنْتَهِي الْقِسْمُ الْأَوَّلُ مِمَّا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ النُّسخَةِ (ن).

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٦٦٥٠) (٧٠٧٢) وَفِي أَوَّلِهِ زِيَادَةٌ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٨٩٨٦) وَاللَّفْظُ لَهُ.

(٥) فِي (ق): «عُمَرُ»، وَهُوَ خَطَأٌ.

(٦) فِي (ط): «الْفَارُونَ».

(٧) أَخْرَجَ الْمَرْفُوعَ، وَأَوَّلَهُ: «أَحَبُّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى: الْغُرَبَاءُ، قِيلَ: وَمَنْ الْغُرَبَاءُ؟...»: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي زَوَائِدِهِ عَلَى «الزَّهْدِ» (٨٠٩)، وَمِنْ طَرِيقِهِ: أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيقَةِ» (٢٥ / ١). وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الزَّهْدِ الْكَبِيرِ» (٢٠٤).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: سَمِعْتُ سَفْيَانَ بْنَ وَكَيْعٍ يَقُولُ: «إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ مِنْهُمْ». وَأَخْرَجَ الْمَوْقُوفَ: الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (٤٠٤)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوَاضُّعِ وَالْخُمُولِ» (١٦)، وَالْأَجَرِيُّ فِي «الْغُرَبَاءِ» (٣٧)، وَالدُّورَقِيُّ فِي «مُسْنَدِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ» (٩٤). فَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا الرِّوَايَةَ لِهَذَا الْحَدِيثِ عَنْ ثَمَانِيَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَلِلشَّيْخِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَوْسُفَ الْجَدِيدِ الْبَصْرِيِّ: «كَشَفُ الثَّامِ عَنْ طُرُقِ حَدِيثِ غُرَبَةِ الْإِسْلَامِ» طَبِعَ فِي الرِّيَاضِ (مَكْتَبَةُ الرُّشْدِ ١٤٠٩)، ذَكَرَ فِيهِ الرِّوَايَةَ عَنْ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ مِنَ الصَّحَابَةِ ثُمَّ سَبْعَةً مِنْ مَرَايِلِ التَّابِعِينَ.

وَبِهَذَا يَكُونُ أَصْلُ الْحَدِيثِ وَهُوَ غُرَبَةُ الْإِسْلَامِ مُتَوَاتِرًا، دُونَ الْأَلْفَاظِ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِهَا الْأَحَادِيثُ.

فَقَوْلُهُ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا»: يَرِيدُ بِهِ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا قَبْلَ مَبْعَاثِهِ ﷺ عَلَى ضَلَالَةٍ عَامَّةٍ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَدِيثِ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الَّذِي خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقَّتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ»<sup>(١)</sup>، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ وَدُعِيَ إِلَى الْإِسْلَامِ لَمْ يَسْتَجِبْ لَهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ، وَكَانَ الْمُسْتَجِيبُ لَهُ خَائِفًا مِنْ عَشِيرَتِهِ وَقَبِيلَتِهِ يُؤْذِي غَايَةَ الْأَذَى، وَيُنَالُ مِنْهُ وَهُوَ صَابِرٌ عَلَى ذَلِكَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ ذَلِكَ مُسْتَضْعَفِينَ يَشْرُدُونَ كُلَّ مُشْرَدٍ<sup>(٢)</sup>، وَيَهْرُبُونَ بِدِينِهِمْ إِلَى الْبِلَادِ النَّائِيَةِ كَمَا هَاجَرُوا إِلَى الْحَبَشَةِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يُعَذِّبُ فِي اللَّهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُقْتَلُ<sup>(٣)</sup>، فَكَانَ الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ حَيْثُ غُرَبَاءُ<sup>(٤)</sup>، ثُمَّ ظَهَرَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَزَّ وَصَارَ أَهْلُهُ ظَاهِرِينَ كُلِّ الظُّهُورِ، وَدَخَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، وَأَكْمَلَ اللَّهُ لَهُمُ الدِّينَ وَأَتَمَّ عَلَيْهِمُ النِّعْمَةَ، وَتَوَفَّى النَّبِيُّ ﷺ وَالْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، وَأَهْلُ الْإِسْلَامِ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِسْتِقَامَةِ فِي دِينِهِمْ وَهُمْ مُتَعَاوِدُونَ مُتَنَاصِرُونَ، وَكَانُوا عَلَى ذَلِكَ فِي زَمَنِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ثُمَّ أَعْمَلَ الشَّيْطَانُ مَكَائِدَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَأَلْقَى بِأَسْهُمِ بَيْنَهُمْ وَأَفْشَى فِيهِمْ فِتْنَةَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ<sup>(٥)</sup>، وَلَمْ تَزَلْ هَاتَانِ الْفِتْنَتَانِ تَتَرَاوَدُّ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى اسْتَحْكَمَتْ مَكِيدَةُ الشَّيْطَانِ وَأَطَاعَهُ أَكْثَرُ الْخَلْقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ فِي طَاعَتِهِ فِي فِتْنَةِ الشُّبُهَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَخَلَ فِي فِتْنَةِ الشَّهَوَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ بَيْنَهُمَا، وَكُلُّ ذَلِكَ مِمَّا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِوُقُوعِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٨٦٥) فِي ضَمَنِ خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

(٢) فِي (ض) وَ(د): «عَلَى كُلِّ مُشْرَدٍ». وَالضَّبْطُ فِي (م): «يُشْرَدُونَ كُلَّ مُشْرَدٍ».

(٣) فِي (ك): «قُتِلَ».

(٤) فِي (ج) وَ(س): «غُرَبَاءُ حَيْثُ».

(٥) فِي (ج) وَ(س): «الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ».

فَأَمَّا فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ؛ فَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ أُمَّتَهُ سَتَفْتَرُقُ عَلَى أَزِيدٍ مِنْ سَبْعِينَ فِرْقَةً عَلَى اخْتِلَافِ الرُّوَايَاتِ فِي عَدَدِ الزَّائِدِ <sup>(١)</sup> عَلَى السَّبْعِينَ، وَأَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الْفِرَقِ فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً، وَهِيَ مَا كَانَتْ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ <sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا فِتْنَةُ الشَّهَوَاتِ؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ خَزَائِنُ فَارِسَ وَالرُّومِ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ؟» قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ، قَالَ: «أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ، تَتَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ثُمَّ تَتَبَاغُضُونَ» <sup>(٣)</sup> <sup>(٤)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ»، عَنْ عَمْرٍو <sup>(٥)</sup> بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا يُبْسِطُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا» <sup>(٦)</sup> كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» <sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (ق): «الزِّيَادَاتِ».

(٢) فِي (ك): «وَهِيَ مَنْ كَانَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ». فِي (ج) وَ(س): «وَهُوَ مَا كَانَ عَلَيْهِ هُوَ وَأَصْحَابُهُ».

وَحَدِيثُ افْتِرَاقِ الْأَمَةِ ثَابِتٌ فِي الْجُمْلَةِ، رُوِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَمِنْهَا: حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ (٢٦٤١). قَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ مَفْسُورٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِثْلَ هَذَا إِلَّا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ». وَلَا يَقْتَضِي مَعْنَاهُ تَكْفِيرَ تِلْكَ الْفِرَقِ، كَمَا فَهَمَهُ بَعْضُ الْمَعَاصِرِينَ فَجَزَمُوا بِرَدِّهِ.

(٣) فِي (ك) وَ(ل) وَ(ط) وَ(ج): «تَتَضَاغُونَ».

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٦٢). وَقَوْلُهُ: «نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ»: أَيُّ نَسَبِ اللَّهِ وَنَسْتَفْرِهُ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝

(٥) فِي (ج) وَ(د) وَ(س): «عَبْدُ الرَّحْمَنِ» وَهُوَ خَطَا.

(٦) فِي (ك): «عَلَى مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوا كَمَا يَتَنَافَسُوهَا»، وَفِي (ق): «فَتَنَافَسُوهَا».

(٧) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠١٥) (٦٤٢٥) وَاللَّفْظُ لِلْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ.

وفي الصَّحِيحَيْنِ، مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَعْنَاهُ أَيْضاً<sup>(١)</sup>.  
وَلَمَّا فُتِحَتْ كَنْوَزُ كَسْرَى عَلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكَى، فَقَالَ: إِنَّ  
هَذَا لَمْ يُفْتَحْ عَلَى قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا جُعِلَ بِأُسْهُمَ بَيْنَهُمْ، أَوْ كَمَا قَالَ<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْشَى عَلَى أُمَّتِهِ هَاتَيْنِ الْفِتْنَتَيْنِ، كَمَا فِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»  
عَنْ أَبِي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ شَهَوَاتِ الْغِيِّ فِي  
بُطُونِكُمْ وَفُرُوجِكُمْ، وَمُضِلَّاتِ الْفِتَنِ»<sup>(٣)</sup>، وَفِي رَوَايَةٍ: «وَمُضِلَّاتِ الْهَوَى»<sup>(٤)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٠٤٢) وَمُسْلِمٌ (٢٢٩٦). وَهُوَ آخِرُ مَا رَأَى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى  
الْمَنْبَرِ. وَجَاءَ فِي حَاشِيَةِ (ج) وَهِيَ نَسْخَةُ الْقَاضِي الْعِمْرَانِيِّ:

«الْأَبُ يَخَافُ عَلَى وَلَدِهِ الْفَقْرَ، وَهُوَ ﷺ قَالَ: «مَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّكَاثُرَ،  
وَمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ الْخَطَأَ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ التَّعَمُّدَ» أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ [٢/٥٣٤]، وَقَالَ: عَلَى  
شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَأَقْرَبُهُ الذَّهَبِيُّ. وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بِالْأَصْلِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ [٨٠٧٤].

قَالَ الْمُنْذَرِيُّ [التَّوْبَةُ وَالتَّوْبَةُ (٤/١٨١)] وَالهَيْثَمِيُّ [مَجْمَعُ الزَّوَائِدِ (٤٦٧٣)]: «رَجَالُهُ رَجَالُ  
الصَّحِيحِ. فَتَأَمَّلْ حَالَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَخَالِفُ حَالَ الْمَوْلَدِ، فَإِنَّهُ لَا يَخْشَى عَلَيْهِمُ الْفَقْرَ كَمَا يَخَافُهُ الْوَالِدُ،  
بَلْ يَخْشَى عَلَيْهِمُ الْغِنَى، الَّذِي هُوَ مَطْلُوبُ الْوَالِدِ لَوْلَدِهِ، فَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ مَضَرَّةَ الْفَقْرِ دُونَ مَضَرَّةِ  
الْغِنَى لِأَنَّ ضَرَرَ الْفَقْرِ دُنْيَوِيٌّ، وَضَرَرُ الْغِنَى دِينِيٌّ غَالِبٌ».

(٢) أَخْرَجَ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ» (٧٦٨) أَنَّ عَمْرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَتَى بِكَنْوَزِ كَسْرَى، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ  
أَرْقَمٍ: أَتَجْعَلُهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ حَتَّى تَقْسَمَهَا؟ فَقَالَ عَمْرٌ: لَا وَاللَّهِ لَا أُوِيهِ إِلَى سَقْفٍ حَتَّى أَمْضِيهَا،  
فَوَضَعَهَا فِي وَسْطِ الْمَسْجِدِ فَبَاتُوا عَلَيْهَا يَحْرُسُونَهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ كَشَفَ عَنْهَا فَرَأَى مِنَ الْحُمْرَاءِ  
وَالْبَيْضَاءِ مَا يَكَادُ يَتَلَاأَلَا، فَبَكَى عَمْرٌ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَمَا يَبْكِيكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟  
فَوَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَيَوْمُ شُكْرٍ وَيَوْمُ سُرُورٍ وَيَوْمُ فَرَحٍ فَقَالَ عَمْرٌ: «وَيْحَكَ إِنَّ هَذَا لَمْ يَعْطِهِ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا الْفِتْنَةَ  
بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٩٧٧٢).

(٤) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٩٧٧٣) (١٩٧٨٧). وَفِي حَاشِيَةِ (س) إِشَارَةٌ إِلَى نَسْخَةِ: «الْأَهْوَاءِ».



فلَمَّا دَخَلَ أَكْثَرُ النَّاسِ فِي هَاتَيْنِ الْفِتَنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا، أَصْبَحُوا مُتَقَاطِعِينَ مُتَبَاغِضِينَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا مُتَحَابِّينَ مُتَوَاصِلِينَ؛ فَإِنَّ فِتْنَةَ الشَّهَوَاتِ عَمَّتْ غَالِبَ الْخَلْقِ فَافْتَتَنُوا<sup>(١)</sup> بِالْذُّنْيَا وَزَهَرَتْهَا وَصَارَتْ غَايَةَ قَصْدِهِمْ، لَهَا يَطْلُبُونَ وَبِهَا يَرْضَوْنَ وَلَهَا يَغْضَبُونَ وَلَهَا يُؤَالُونَ وَعَلَيْهَا يُعَادُونَ، فَقَطَّعُوا لِذَلِكَ أَرْحَامَهُمْ وَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَارْتَكَبُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا فِتْنَةُ الشُّبُهَاتِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ فَبَسْبِهَا تَفَرَّقَ أَهْلُ الْقِبْلَةِ وَصَارُوا شِيعَاءَ وَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَصْبَحُوا أَعْدَاءَ وَفِرْقًا وَأَحْزَابًا، بَعْدَ أَنْ كَانُوا إِخْوَانًا قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَلَمْ يَنْجُ مِنْ هَذِهِ الْفِرَقِ كُلُّهَا إِلَّا الْفِرْقَةُ الْوَاحِدَةُ النَّاجِيَةُ، وَهُمْ الْمَذْكُورُونَ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَهُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ الْغُرَبَاءُ الْمَذْكُورُونَ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: «الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»، «وَهُمُ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ مِنْ السُّنَّةِ»، «وَهُمُ الَّذِينَ يَفْرُونَ بِدِينِهِمْ مِنَ الْفِتَنِ»<sup>(٣)</sup>، «وَهُمُ النَّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»؛ لِأَنَّهُمْ قَلُّوا فَلَا يَوْجَدُ فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا الْوَاحِدُ أَوْ<sup>(٤)</sup> الْإِثْنَانِ، وَقَدْ لَا يَوْجَدُ فِي بَعْضِ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ أَحَدٌ كَمَا كَانَ الدَّاخِلُونَ فِي الْإِسْلَامِ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ كَذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ق): «افْتَتَنُوا»، وَفِي (ل): «وافتتنوا».

(٢) فِي (د): «وَلَا مِنْ». هَذَا اللَّفْظُ مُرَكَّبٌ مِنْ أَحَادِيثَ، أَقْرَبُهَا إِلَيْهِ حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا:

«لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ، وَهُمْ

ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (١٠٣٧).

(٣) فِي (ط) وَ(ج): «مِنَ الْفِتَنِ بِدِينِهِمْ».

(٤) فِي (ق) وَ(ض) وَ(د): «و».

(٥) فِي حَاشِيَةِ (س) عُنْوَانُ: «مَعْرِفَةُ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ».

وبهذا فسر الأئمة هذا الحديث.

قال الأوزاعي في قوله ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ»: أما إنه ما<sup>(١)</sup> يذهب الإسلام، ولكن يذهب أهل السنة حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد<sup>(٢)</sup>.

ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف كثيراً مدح السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلّة.

فكان الحسن البصري رحمه الله يقول لأصحابه: يا أهل السنة! ترفعوا رحمكم الله فإنكم من أقل الناس<sup>(٣)</sup>.

وقال يونس بن عبيد: ليس شيء أغرب من السنة، وأغرب منها من يعرفها<sup>(٤)(٥)</sup>. وروي عنه أنه قال: أصبح من إذا عرفت السنة<sup>(٦)</sup> فعرفها غريباً، وأغرب منه من يعرفها<sup>(٧)</sup>.

وعن سفيان الثوري أنه قال: استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء<sup>(٨)</sup>. ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة<sup>(٩)</sup>: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه،

(١) في (ج) و(س): «لا».

(٢) انفرد المصنف رحمه الله بهذا النقل عن الأوزاعي.

(٣) أخرجه اللالكاني في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٩).

(٤) في (ق): «من عرفها».

(٥) أخرجه اللالكاني في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢٣).

(٦) في (ق): «بالسنة».

(٧) سقط هذا الأثر من (ل). أخرجه اللالكاني (٢١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/٢١).

(٨) سقط هذا الأثر من (د) و(ض). أخرجه اللالكاني (٤٩).

(٩) في حاشية (ج) عنوان: «المراد بالسنة». وفي حاشية (س): «مطلب في معرفة السنة».

السَّالِمَةُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، ولهذا كان الفضيلُ بن عياضٍ رحمه الله يقولُ: أهلُ السُّنَّةِ مَنْ عَرَفَ مَا يُدْخِلُ بطنَهُ مِنْ حلالٍ<sup>(١)</sup>، وذلك لأنَّ أكلَ الحلالِ مِنْ أعظمِ خصالِ السُّنَّةِ التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابُهُ رضي الله عنهم.

ثمَّ صارَ في عُرْفِ كثيرٍ من العلماءِ المتأخِّرينَ مِنْ أهلِ الحديثِ وغيرِهِمُ السُّنَّةُ عبارةً عمَّا سَلِمَ مِنَ الشُّبُهَاتِ فِي الاعتقاداتِ، خَاصَّةً فِي مَسَائِلِ الإِيْمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وكذلك فِي<sup>(٢)</sup> مَسَائِلِ الْقَدَرِ وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، وَصَنَفُوا فِي هَذَا الْعِلْمِ تَصَانِيفَ، سَمَّوْهَا<sup>(٣)</sup> كُتُبَ السُّنَّةِ، وَإِنَّمَا خَصُّوا هَذَا الْعِلْمَ بِاسْمِ السُّنَّةِ لِأَنَّ خَطَرَهُ عَظِيمٌ وَالْمُخَالَفُ فِيهِ عَلَى شَفَا هَلَكَةٍ.

وَأَمَّا<sup>(٤)</sup> السُّنَّةُ الْكَامِلَةُ؛ فَهِيَ الطَّرِيقَةُ السَّالِمَةُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ كَمَا قَالَ<sup>(٥)</sup> الْحَسَنُ بْنُ يُونُسَ بْنِ عُبَيْدٍ وَسَفِيَانُ وَالْفُضَيْلُ وَغَيْرُهُمْ، وَلِهَذَا وَصَفَ أَهْلُهَا بِالْغُرَبَةِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ لِقَلَّتِهِمْ وَعِزَّتِهِمْ فِيهِ<sup>(٦)</sup>، وَلِهَذَا وَرَدَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ كَمَا سَبَقَ فِي تَفْسِيرِ الْغُرَبَاءِ: «قَوْمٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ فِي قَوْمٍ سُوءٍ كَثِيرٍ مَنْ يَعَصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ». وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى قِلَّةِ عَدَدِهِمْ وَقِلَّةِ الْمُسْتَجِيبِينَ لَهُمْ وَالْقَابِلِينَ مِنْهُمْ، وَكَثْرَةُ الْمُخَالَفِينَ لَهُمْ وَالْعَاصِينَ لَهُمْ.

(١) أَخْرَجَهُ اللَّالِكَايِي (٥١)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٨/ ١٠٤)، وَلَفْظُهُ: «إِنْ لَمْ يَكُنْ عِبَادًا يَحْيِي بِهِمُ الْبِلَادَ، وَهُمْ أَصْحَابُ السُّنَّةِ، وَمَنْ كَانَ يَعْقِلُ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ مِنْ حَلَالٍ كَانَ مِنْ حِزْبِ اللَّهِ».

(٢) سَقَطَتْ مِنْ (ك) وَ(ط) وَ(ج).

(٣) فِي (ق) وَ(ض) وَ(د): «وَسَمَّوْهَا».

(٤) فِي (ط) وَ(ج) وَ(س): «فَأَمَّا».

(٥) فِي (ك) وَ(ل) وَ(ج): «قَالَ».

(٦) فِي (ل) وَ(ق): «وَعِزَّتِهِمْ».

ولهذا جاء في أحاديث مُتَعَدِّدَةٍ مدحُ الْمُتَمَسِّكِ بدينه في آخرِ الزَّمانِ، وأنه كالقابضِ على الجَمْرِ<sup>(١)</sup>، وأنَّ للعاملِ منهم أَجرَ خمسينَ مَمَّنْ قبلَهُم لأنَّهُم لا يجدونَ أعواناً على الخير<sup>(٢)</sup>، وهؤلاءِ الغُرباءُ قِسمانَ<sup>(٣)</sup>:

أحدهما: مَنْ يَصْلُحُ بِنَفْسِهِ<sup>(٤)</sup> عندَ فسادِ النَّاسِ.

والثاني: مَنْ يُصْلِحُ ما أَفسَدَ النَّاسُ مِنَ السُّنَّةِ، وهو أعلى القِسمينِ وأفضَلُهُما.

وقد خرَّجَ الطَّبْرانِيُّ وغيرُه بإسنادٍ فيه نظرٌ، مِنْ حديثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ إِقْبَالًَ وَإِدْبَاراً، وَإِنَّ لِهَذَا الدِّينِ إِقْبَالًَ وَإِدْبَاراً، وَإِنَّ مِنْ إِقْبَالِ الدِّينِ<sup>(٥)</sup> مَا كُنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَى وَالْجَهَالَةِ وَمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، وَإِنَّ مِنْ إِقْبَالِ الدِّينِ

(١) أخرج الترمذي (٢٢٦٠) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر»، وله شواهد، وقال: حديث غريب من هذا الوجه.

(٢) أخرج أبو داود (٤٣٤١) واللفظ له، والترمذي (٣٠٥٨) وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (٤٠١٤) من حديث أبي أمية الشيباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥] قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «بل ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك - يعني - بنفسك - ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر، للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله»، وزاد في غيره قال: يا رسول الله أجر خمسين منهم؟ قال: «أجر خمسين منكم».

(٣) في حاشية (ج) عنوان: «غرباء الإسلام على قسمين».

(٤) في (ق): «نفسه».

(٥) في (ط) و(س): «إدبار»! وعلى هذا يشكل فهم ما بعده، فكتب ناسخ (س) في حاشيتها: «لعل هنا سَقَطَ بالأصل وهي: «ومخالفة ما بعثني الله به» لأنها ليست مكتوبة هنا كما ترى! والمثبت لا إشكال فيه فمن الإقبال: ما بعث الله به نبيه ﷺ بعدما كانوا عليه من العمى والجهالة.

أَنْ تَفْقَهَ الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا حَتَّى لَا يَوْجَدَ فِيهَا إِلَّا الْفَاسِقُ وَالْفَاسِقَانِ، فَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ إِنْ تَكَلَّمَا قُمِعَا وَقُهِرَا وَاضْطُهِدَا، أَلَا وَإِنَّ مِنْ إِدْبَارِ الدِّينِ أَنْ تَخْجَفَ الْقَبِيلَةُ بِأَسْرِهَا حَتَّى لَا يُرَى فِيهَا إِلَّا الْفَقِيهُ وَالْفَقِيهَانِ وَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ إِنْ تَكَلَّمَا فَأَمَرَا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَيَا عَنِ الْمُنْكَرِ قُمِعَا وَقُهِرَا وَاضْطُهِدَا فَهُمَا مَقْهُورَانِ ذَلِيلَانِ لَا يَجِدَانِ عَلَى ذَلِكَ أَعْوَانًا وَلَا أَنْصَارًا»<sup>(١)</sup>.

فَوَصَّفَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْمُؤْمِنَ الْعَالَمَ<sup>(٢)</sup> بِالسُّنَّةِ الْفَقِيهَةِ فِي الدِّينِ بِأَنَّهُ يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَ فُسَادِهِ مَقْهُورًا ذَلِيلًا لَا يَجِدُ أَعْوَانًا وَلَا أَنْصَارًا.

وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ أَيْضًا بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ فِي ذِكْرِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ قَالَ: «وإِنَّ مِنْ أَشْرَاطِهَا»<sup>(٣)</sup> أَنْ يَكُونَ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبِيلَةِ أَذَلَّ مِنَ النَّقْدِ<sup>(٤)</sup>، وَالنَّقْدُ هِيَ الْغَنَمُ الصَّغَارُ.

وَفِي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ<sup>(٥)</sup>:

(١) فِي حَاشِيَةِ (ط): «إِقْبَالَ الدِّينِ». وَالحديث أورده المصنف رحمه الله تعالى بألفاظ مدرجة من رواياته التي مدارها على علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه. وإسناده مسلسل بالضعفاء، ولم أجد هذا اللفظ الذي ساقه المصنف عند أحد ممن أخرج الحديث؛ كالحارث بن أبي أسامة «بغية الباحث» (٧٧١)، وابن منيع «المطالب العالية» (٣٣٤ / ٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٠٧) (٧٨٦٣). إلا أن أبا أحمد البخاري في جزء له (٢٣) روى هذا الحديث كما عند المصنف إلى قوله: «ما كنتم فيه من العمى والجهالة والضلالة» ثم قال: وذكر الحديث! فلم يكمله.

(٢) فِي (ق) وَ(س): «الْعَامِل».

(٣) فِي (ج) وَ(د): «أَشْرَاطُ السَّاعَةِ» وَفِي (ق): «قَالَ: وَمِنْ أَشْرَاطِهَا».

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٠٥٥٦)، وَفِي «الْأَوْسَطِ» (٤٨٦١).

(٥) فِي (ك): «عَنْ...» ثُمَّ بَعْدَهَا بَيَاضٌ مَقْدَارُ كَلِمَةٍ، وَلَا تَوْجَدُ هَذِهِ الْعِبَارَةُ كُلُّهَا. «لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ» لَا تَوْجَدُ فِي (ط) وَ(ج) وَ(س). وَفِي «الْمُسْنَدِ» هُمَا رَجُلَانِ: أَبُو الدَّرْدَاءِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ غَنَمٍ.

يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ<sup>(١)</sup> أَنْ تَرَى الرَّجُلَ قَدْ قَرَأَ الْقُرْآنَ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَأَعَادَهُ وَأَبْدَاهُ<sup>(٢)</sup>، فَأَحَلَّ حَلَالَهُ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ، وَنَزَلَ عِنْدَ مَنَازِلِهِ<sup>(٣)</sup>، لَا يَجُوزُ فِيكُمْ إِلَّا كَمَا يَجُوزُ<sup>(٤)</sup> رَأْسُ الْحِمَارِ الْمَيِّتِ<sup>(٥)</sup>.

ومنه قول ابن مسعود: سيأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه أذل من الأمة<sup>(٦)</sup>. وإنما ذل المؤمن في آخر الزمان لغريبته بين أهل الفساد من أهل الشبهات والشهوات، فكلهم يكرهه ويؤذيه لمخالفة طريقه لطريقهم<sup>(٧)</sup>، ومقصوده لمقصودهم<sup>(٨)</sup>، ومباينته لهم فيما هم عليه.

لَمَّا<sup>(٩)</sup> مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ قَالَ ابْنُ السَّمَاكِ: إِنَّ دَاوُدَ نَظَرَ بَقْلِهِ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ

(١) في (ج): «الحياة». وفي (ض) و(د): «إن طالت بكم حياة أن تروا».

(٢) في (ك) بدلاً من «فأعاده وأبداه»: «أوعلى من قرأه على لسان محمد».

(٣) لا توجد «ونزل عند منازل» في (ك).

(٤) هكذا في جميع النسخ بالجيم والزاي، وفي مطبوعة الرسالة من مسند أحمد (١٧١٤٠)، ومطبوعة

المنهاج (١٧٤١٤): «يجوز» بالحاء والراء، دون إشارة من المحققين إلى اختلاف النسخ.

قال البرهان الناجي في «عجالة الإملاء على الترغيب والترهيب»: «كذا وجد فيهما [يعني الموضوعين] بالجيم والزاي المعجمة في النسخ، وكان في نسختي، وهو الذي في مسند الإمام أحمد: يجوز فيكم. وأما ابن الأثير فإنما أورده في كتابه «نهاية الغريب» في مادة (حور) بالحاء والراء المهملتين من قول الله تعالى ﴿أَنْ لَّنْ يَحُورَ﴾ أي: يرجع!.

معنى: يجوز فيكم: يسيّر فيكم، أي لا يكون له منزلة عند الناس، وهو المناسب للغربة.

(٥) أخرجه أحمد في «المسند» (١٧١٤٠).

(٦) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٥٠١)، وأبو داود في «الزهد» (١٧٦).

(٧) في (ق): «لمخالفته طريقته لطريقتهم».

(٨) في (ك) «لمقاصدهم».

(٩) في حاشية (ط): «فائدة»، وفي سائر النسخ عدا (ك) و(ل) و(ط): «ولما».

فَأَعَشَى بَصَرَ قَلْبِهِ بَصَرُ الْعُيُونِ، فَكَأَنَّهُ<sup>(١)</sup> لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا أَنْتُمْ إِلَيْهِ<sup>(٢)</sup> تَنْظُرُونَ، وَكَأَنَّكُمْ لَا تَنْظُرُونَ إِلَى مَا إِلَيْهِ يَنْظُرُ، فَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجَبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ يَعْجَبُ، اسْتَوْحَشَ مِنْكُمْ أَنَّهُ كَانَ حَيًّا وَسَطَ مَوْتِي<sup>(٣)(٤)</sup>.

وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَكْرَهُهُ أَهْلُهُ وَوَلَدُهُ لَاسْتِنكَارِ حَالِهِ، سَمِعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ امْرَأَتَهُ مَرَّةً تَقُولُ: أَرَاخُنَا اللَّهُ مِنْكَ، فَقَالَ: آمِينَ<sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ كَانَ السَّلَفُ قَدِيمًا يَصِفُونَ الْمُؤْمِنَ بِالْغُرْبَةِ فِي زَمَانِهِمْ كَمَا سَبَقَ مِثْلُهُ عَنِ الْحَسَنِ وَالْأَوْزَاعِيِّ وَسَفِيَانَ وَغَيْرِهِمْ.

وَمِنْ كَلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَاصِمٍ الْأَنْطَاكِيِّ<sup>(٦)</sup> - وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الْعَارِفِينَ فِي زَمَانِ أَبِي سَلِيمَانَ الدَّارَانِيِّ - قَالَ: إِنِّي أُدْرِكُ مِنَ الْأُزْمَةِ زَمَانًا عَادَ فِيهِ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، وَعَادَ وَصْفُ الْحَقِّ فِيهِ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، إِنْ نَزَعْتَ<sup>(٧)</sup> فِيهِ إِلَى عَالَمٍ وَجَدْتَهُ مَفْتُونًا بِحُبِّ الدُّنْيَا، يَحُبُّ التَّعْظِيمَ وَالرِّيَاسَةَ، وَإِنْ نَزَعْتَ<sup>(٨)</sup> فِيهِ إِلَى عَابِدٍ وَجَدْتَهُ جَاهِلًا فِي

(١) فِي سَائِرِ النُّسخِ عَدَا (ك) وَ(ل) وَ(ط): «وَكَأَنَّهُ». وَمَعْنَاهُ فَأَعَشَى بَصَرَ قَلْبِهِ بَصَرَ عَيْنَيْهِ، وَعَلَى الضَّبْطِ الْآخَرِ: فَأَعَشَى بَصَرَ عِيُونِكُمْ عَنْكُمْ بَصَرَ قَلْبِهِ. وَتَصَحَّفَتْ فَأَعَشَى إِلَى فَأَعَشَى فِي النُّسخِ الْمَتَأَخَّرَةِ.  
(٢) فِي (ق): «عَلَيْهِ».

(٣) فِي (ل) وَ(ط): «وَسَطًا مِيتًا»، وَفِي (ج): «وَسَطَ مِيتًا»، وَفِي (س): «وَسَطَ أَمْوَاتٍ».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي «عِيُونِ الْأَخْبَارِ» (٢/٣٣٩)، وَالْدَيْنُورِيُّ فِي «الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ» (٥٤٧)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٧/٣٣٦)، وَاللَّفْظُ لَهُ، ضَمَّنَ كَلَامَ طَوِيلٍ.

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو زُرْعَةَ الدَّمَشْقِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» (ص: ١٩٥)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشقٍ» (٢٤٨/٤٥).

(٦) فِي حَاشِيَةِ (س): «كَلَامِ أَحْمَدَ بْنِ عَاصِمٍ».

(٧) تَصَحَّفَتْ فِي (ك) وَ(م) وَ(ق) وَ(ض) وَ(د) إِلَى: «تَرْغَبُ».

(٨) تَصَحَّفَتْ فِي (ك) وَ(ق) وَ(ض) وَ(د) إِلَى: «تَرْغَبُ».

عبادته مخدوعاً<sup>(١)</sup> صريعَ عدوّه<sup>(٢)</sup> إبليس، قد<sup>(٣)</sup> سعدَ به إلى أعلى درجة العبادة وهو جاهلٌ بأدناها فكيفَ له بأعلاها، وسائرُ ذلك من الرِّعَاعِ فُتِّجَ<sup>(٤)</sup> أَعْوَجُ وذئابٌ مُخْتَلِسَةٌ وسباعٌ ضاريةٌ وثعالبٌ [جوايزة]<sup>(٥)</sup>. هذا وصفُ عيون<sup>(٦)</sup> أهلِ زمانِكَ من حملةِ العلمِ<sup>(٧)</sup> والقرآنِ ورُعاةِ<sup>(٨)</sup> الحكمة، خرَّجه أبو نُعَيْمٍ في «الحلية»<sup>(٩)</sup>.

فهذا وصفُ أهلِ زمانه فكيفَ بما حدثَ بعده من العظائمِ والدَّواهي التي لم تخطر<sup>(١٠)</sup> بباله ولم تُدر في خياله<sup>(١١)</sup>.

(١) في (ط) وحدها: «مخدوعاً» وهو موافق لما في مطبوعة «الحلية» لكن في أحد مخطوطاته: «مخدوعاً». والمخدوع: الذي يُحبس على غير مرعى.

(٢) في (ق): «صريعاً، غَدَرَه».

(٣) في (ج) و(س): «وقد».

(٤) لم تنقط كاملة في (ل)، وفي (ط): «فُتِّجَ»، وفي (ج) و(س) ومطبوعة «الحلية»: «قبيح»، وفي (ق): «نتيح - لعله: همج»، وفي (ض): «فتيح»، والمثبت من (ك) و(م) و(د)، ومخطوطة «الحلية». والنتيح: هو الوَسَط. أي عامة الناس ومعظمهم.

(٥) اضطرب رسم هذه الكلمة في النسخ. في (ك) - وفوقها كذا - و(ل) و(ط): «ضراريرة»، وفي (ج): «ضرارة»، وفي (ق): «ضوائر»، وفي (م) و(ض) و(د): «ضوارير»، وفي (س): «صائلة»!! وفي مطبوعة «الحلية»: «جارية»، والمثبت من مخطوط «الحلية» - برنستون. ولعلها جمع جِيز، وهو اللثيم. كما في «القاموس».

(٦) في (ج) و(س): «عيوب».

(٧) في (ك) و(ل) و(ج): «أهل العلم». وفي (ط): «جملة أهل العلم».

(٨) في (ط) و(ق): «ودعاة» وهو كذلك في مطبوعة «الحلية»، والمثبت من سائر النسخ ومخطوطة «الحلية».

(٩) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٨٦/٩).

(١٠) في (ق) و(ض) و(س): «يخطر».

(١١) في (ل): «حياته».



وخرَجَ الطَّبْرَانِيُّ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:  
«الْمَتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فُسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ»<sup>(١)</sup>.

وخرَجَ أَبُو الشَّيْخِ الْأَصْبَهَانِيُّ بِإِسْنَادِهِ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الصَّدْرِ  
الْأَوَّلِ بَعِثَ الْيَوْمَ مَا عَرَفَ مِنَ الْإِسْلَامِ شَيْئًا إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةُ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ قَالَ: أَمَا<sup>(٣)</sup> وَاللَّهِ  
لَشَنَّ عَاشَ عَلَى هَذِهِ الْمُنْكَرَاتِ<sup>(٤)</sup> فَرَأَى صَاحِبَ بَدْعَةٍ يَدْعُو إِلَى بَدْعِيهِ، وَصَاحِبَ دُنْيَا  
يَدْعُو إِلَى دُنْيَاهُ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَلْبُهُ يَحْنُ إِلَى ذَلِكَ<sup>(٥)</sup> السَّلَفِ الصَّالِحِ فَيَتَّبِعُ  
آثَارَهُمْ وَيَسْتَنُّ بِسُنَّتِهِمْ وَيَتَّبِعُ سَبِيلَهُمْ<sup>(٦)</sup> كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ عَظِيمٌ<sup>(٧)</sup>.

وَرَوَى الْمُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ<sup>(٨)</sup>، عَنِ الْحَسَنِ أَنَّهُ ذَكَرَ الْغَنِيَّ الْمُتَرَفَّ الَّذِي لَهُ سُلْطَانٌ  
يَأْخُذُ الْمَالَ وَيَدَّعِي أَنَّهُ لَا عَفَافَ<sup>(٩)</sup> فِيهِ، وَذَكَرَ الْمُتَبَدِّعَ الضَّالَّ الَّذِي خَرَجَ بِسَيْفِهِ عَلَى  
الْمُسْلِمِينَ وَتَأَوَّلَ مَا أَنْزَلَهُ<sup>(١٠)</sup> اللَّهُ فِي الْكُفَّارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ<sup>(١١)</sup>.

ثُمَّ قَالَ: سُنَّتُكُمْ وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بَيْنَهُمَا<sup>(١٢)</sup> بَيْنَ الْغَالِي وَالْجَافِي، وَالْمُتَرَفِّ

(١) كتب بحاشية (ل) بخط مغاير: «مئة شهيد». وهو خطأ. والحديث أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤١٤).

(٢) في (ق): «الضلالة» وهو خطأ شنيع.

(٣) في (ج): «ألا».

(٤) في (ك) و(م): «النكرات».

(٥) في حاشية (م) بخط متأخر «لعله: ذكر».

(٦) في (ك) «سبلهم».

(٧) «عظيم» مكررة في (ك) و(ل) و(ط) فقط. والآخر أخرجه ابن وضاح في «البدع والنهي عنها» (١٧٨).

(٨) في (ق) و(ض) و(د): «وروى ابن المبارك عن فضالة». وهو خطأ.

(٩) المثبت من (ض) و(د)، ونصحفت في سائر النسخ إلى «عقاب»، وفي (س): «عقاب عليه».

(١٠) في (ق) و(ض) و(د) و(س): «أنزل».

(١١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(١٢) في (ل) و(ط) و(س): «بينها».

والجاهل، فاصبروا عليها، فَإِنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ كانوا أَقَلَّ النَّاسِ، الذين لم يأخذوا مع<sup>(١)</sup> أهل الإتراف إترافهم، ولا مع أهل البدع أهواءهم، وصبروا على سُنتهم حتى أتوا ربهم، فكَذَلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ فكونوا<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنْ رَجَلًا أدرك هذه المنكرات<sup>(٣)</sup>، يقول هذا: هَلُمَّ إِلَيَّ، ويقول هذا: هَلُمَّ إِلَيَّ، فيقول: لا أريد.

سُنَّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يطلبها وَيَسْأَلُ عنها، إِنْ هَذَا لِيَعْرُضَ<sup>(٤)</sup> له أَجْرٌ عَظِيمٌ، فكَذَاكَم<sup>(٥)</sup> فكونوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ<sup>(٦)</sup>.

وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى مَا رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ، عَنْ كَمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ<sup>(٨)</sup>: النَّاسُ ثَلَاثَةٌ؛ فَعَالِمٌ<sup>(٩)</sup> رَبَّانِي، وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ، وَهَمَّجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجِئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ.

(١) في (ج) و(س): «من».

(٢) في حاشية (س): «تعريف أهل السنة، واستخراجهم من الفرق المنحرفة ذكره ابن المبارك [كذا] عن الحسن».

والأثر: أخرجه الدارمي (٢٢٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٧٤٣).

(٣) في (ك) و(م): «النُّكْرَاتِ» والضبط من (ك).

(٤) المثبت من (ك) و(م) و(ل) وفي النسخ المتأخرة: «لا أريد إلا سنة محمد ﷺ».

(٥) في (ط) و(س): «ليعرض»، وفي (ك): «ليعرضي أجر عظيم».

(٦) في (ط) و(ق): «فكذلك».

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٨) في (د) وحدها زيادة: «أخذ بيدي، فأخرجني ناحية الجبانة، فلما أصحرت جعل يتنفس، ثم قال: يا كميل بن زياد: القلوب أوعى فخيرها أوعاها، احفظ عني ما أقول:...».

(٩) في (م) و(ق) و(ض) و(د): «عالم».

ثُمَّ ذَكَرَ كَلَاماً فِي فَضْلِ الْعِلْمِ إِلَى أَنْ قَالَ: آه، إِنْ هَاهُنَا<sup>(١)</sup> - وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ -  
عِلْماً لَوْ أَصَبْتُ<sup>(٢)</sup> لَهُ حَمَلَةً! بَلْ أَصَبْتُهُ<sup>(٣)</sup> لَقَيْنَا<sup>(٤)</sup> غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ، يَسْتَعْمِلُ آلَةَ الدِّينِ  
لِلدُّنْيَا، يَسْتَظْهَرُ بِحُجَجِ اللَّهِ عَلَى كِتَابِهِ، وَيَنْعِمُهُ<sup>(٥)</sup> عَلَى عِبَادِهِ.

أَوْ مُنْقَاداً لِأَهْلِ الْحَقِّ لَا بِصِيرَةٍ لَهُ فِي إِحْيَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشُّكُّ فِي قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ  
مِنْ شُبْهَةٍ لَا ذَا وَلَا ذَا.

أَوْ مَنُهِوْمٌ بِاللَّذَاتِ سَلِسُ الْقِيَادِ<sup>(٦)</sup> لِلشَّهَوَاتِ.

أَوْ مُغْرَى بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ<sup>(٧)</sup> وَالْأَذْخَارِ، وَلَيْسَا<sup>(٨)</sup> مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، أَقْرَبُ شَبْهًا بِهِمْ  
الْأَنْعَامُ<sup>(٩)</sup> السَّارِحَةُ.

كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ، اللَّهُمَّ بَلِّ، لَنْ<sup>(١٠)</sup> تَخْلُوَ الْأَرْضُ مِنْ<sup>(١١)</sup>  
قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَجِهِ<sup>(١٢)</sup> لِكَيْلَا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَيُنَائَتْهُ، أَوْلَئِكَ هُمُ الْأَقْلَوْنَ عِدْداً، الْأَعْظَمُونَ

(١) فِي (ك): «هَاهَا».

(٢) فِي (م) وَ(ق): «وَجَدْتُ».

(٣) فِي (م) وَ(ل) وَ(س) وَ(ط): «أَصِيه».

(٤) تَصَحَّفَ فِي بَعْضِ النُّسخِ إِلَى «الْفَتَى». وَاللَّيْنُ: الْفَاهِمُ.

(٥) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ل) وَ(ط) مُوَافِقاً لِلْحَلِيَّةِ وَفِي سَائِرِ النُّسخِ: «بِنِعْمَتِهِ».

(٦) فِي (ق) وَ(ط) وَ(ج): «مَهْمُومٌ» وَفِي (ق): «الْإِنْقِيَادُ».

(٧) فِي (ل) وَ(ج) وَ(ض) وَ(د): «الْمَالُ». وَفِي (ك): «بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ».

(٨) فِي (د) وَ(س): «وَلَيْسُو» وَفِي (س): «مِنْ رِعَاةٍ».

(٩) فِي (ق): «الْأَغْنَامُ» تَصْحِيفٌ.

(١٠) فِي (ق): «اللَّهُمَّ لَا».

(١١) فِي (ج): «عَنْ».

(١٢) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ك) وَ(م) وَ(ق)، وَفِي سَائِرِ النُّسخِ: «بِحُجَّةٍ».

عند الله قدراً، بهم يدفعُ الله عن حُجَجِهِ حتَّى يُوَدُّوها إلى نُظرائِهِم، ويَزِرعوها في قلوبِ أشباهِهِم، هَجَمَ بِهِمِ الْعِلْمُ على حَقِيقَةِ الْأَمْرِ فَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوَعَرَ مِنْهُ الْمَتَرَفُونَ، وَأَنَسُوا بما اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، صَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِ أَرْوَاحِهَا مُعَلَّقَةً بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، أَوْلَتْكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ، وَدُعَاتُهُ إِلَى <sup>(١)</sup> دِينِهِ، هَاهُ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَيْهِمْ <sup>(٢)</sup>.

فَقَسَمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَمَلَةَ الْعِلْمِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ <sup>(٣)</sup>:

قِسْمٌ هُمْ <sup>(٤)</sup> أَهْلُ الشُّبُهَاتِ، وَهُمْ مَنْ لَا بَصِيرَةَ لَهُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، بَلْ يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ بِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شَبْهَةٍ فَتَأْخُذُهُ الشُّبُهَةُ <sup>(٥)</sup> فَيَقَعُ فِي الْحَيْرَةِ وَالشُّكُوكِ، وَيَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ إِلَى الْبِدَعِ وَالضَّلَالَاتِ.

وَقِسْمٌ هُمْ أَهْلُ الشَّهَوَاتِ، وَجَعَلَهُمْ نَوْعَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِنَفْسِ الْعِلْمِ، فَيَجْعَلُ الْعِلْمَ آلَةً لِكَسْبِ الدُّنْيَا.

وَالثَّانِي: مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِغَيْرِ الْعِلْمِ <sup>(٦)</sup>، وَهَذَا النَّوعُ ضَرْبَانِ:

أَحَدُهُمَا: مَنْ هَمُّهُ مِنَ الدُّنْيَا لَذَائِهَا وَشَهَوَاتُهَا فَهُوَ مَنهُومٌ بِذَلِكَ سَرِيعُ الْانْقِيَادِ لَهُ.

وَالثَّانِي: مَنْ هَمُّهُ جَمْعُ الدُّنْيَا وَاكْتِنَازُهَا وَادِّخَارُهَا <sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (ق): «فِي».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلْيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١/٧٩)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٤/١٨).

(٣) فِي حَاشِيَةِ (ج): «تَفْسِيرُ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ» وَفِي حَاشِيَةِ (س): «فَائِدَةٌ».

(٤) فِي (ق): «فَسَمَاهُمْ» تَصْحِيفٌ.

(٥) فِي (ك): «الشَّيْبَةُ».

(٦) فِي (ق) وَ(ض) وَ(د): «عِلْمٌ».

(٧) فِي (ل): «وَادِّخَارُهَا».

وَكُلُّ هَؤُلَاءِ لَيْسُوا مِنْ دُعَاةِ الدِّينِ، وَإِنَّمَا هُمْ كَالْأَنْعَامِ، وَلِهَذَا شَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ حُمِّلَ التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلْهَا بِالْحِمَارِ الَّذِي يَحْمِلُ أَسْفَاراً<sup>(١)</sup>، وَشَبَّهَ عَالَمَ الشُّوءِ الَّذِي انْسَلَخَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَأَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ بِالْكَلْبِ<sup>(٢)</sup>، وَالْكَلْبُ وَالْحِمَارُ أَحْسَنُ مِنَ الْأَنْعَامِ وَأَضْلُ سَبِيلاً<sup>(٣)</sup>.

وَالْقِسْمُ الثَّلَاثُ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ: هُمْ أَهْلُهُ وَحَمَلَتُهُ وَرُعَاتُهُ وَالْقَائِمُونَ بِحُجَجِ اللَّهِ وَبَيِّنَاتِهِ، وَذَكَرَ أَنَّهُمُ الْأَقْلُونَ عَدداً الْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدراً إِشَارَةً إِلَى قَلَّةِ هَذَا الْقِسْمِ وَعِزَّتِهِ فِي حَمَلَةِ الْعِلْمِ وَغَرَابَتِهِ بَيْنَهُمْ.

وَقَدْ قَسَّمَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ حَمَلَةَ الْقُرْآنِ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ هَذَا التَّقْسِيمِ الَّذِي قَسَّمَهُ عَلَيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِحَمَلَةِ الْعِلْمِ، قَالَ الْحَسَنُ: قُرَاءَةُ الْقُرْآنِ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ اتَّخَذُوهُ بَضَاعَةً يَأْكُلُونَ<sup>(٤)</sup> بِهِ.

وَصِنْفٌ أَقَامُوا حُرُوفَهُ وَضَيَّعُوا حُدُودَهُ وَاسْتَطَالُوا بِهِ عَلَى أَهْلِ بِلَادِهِمْ وَاسْتَدْرُوا<sup>(٥)</sup>.....

(١) قَالَ جَلْ جَلَالَهُ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِِمَثَلِ الْفُؤَادِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا اللَّهُ﴾ [الجمعة: ٥].

(٢) قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٦﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَشَبَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْفُؤَادِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦].

(٣) فِي حَاشِيَةِ (ض): «بَلَّغَ».

(٤) فِي (م) وَ(ج) وَ(ض) وَ(د): «يَتَأْكُلُونَ»، وَفِي (س): «صَنَاعَةٌ يَأْكُلُونَ بِهِ».

(٥) تَحَرَّفَتْ فِي (م) وَ(ج) وَ(ض) وَ(د) إِلَى: «وَاسْتَدْنُوا» وَفِي (س): «وَسَدْنُوا». وَمَعْنَى «اسْتَدْرُوا بِهِ

الرَّوَاةُ: طَلَبُوا بِهِ دَرَّاهِمَ وَعَطَايَاهُمْ.

به الْوَلَاةُ<sup>(١)</sup>، كَثُرَ<sup>(٢)</sup> هذا الضَّرْبُ مِنْ حَمَلَةِ الْقُرْآنِ لَا كَثَرَهُمُ اللَّهُ. وَصِنْفُ<sup>(٣)</sup> عَمَدُوا إِلَى دَوَاءِ الْقُرْآنِ فَوَضَعُوهُ عَلَى دَاءِ قُلُوبِهِمْ وَكَدُّوا بِهِ<sup>(٤)</sup> فِي مُحَارِبِهِمْ وَخَنُوا بِهِ<sup>(٥)</sup> فِي بَرَانِسِهِمْ وَاسْتَشَعَرُوا الْخَوْفَ وَارْتَدَّوْا الْحَزْنَ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ يَسْقِي اللَّهُ بِهِمُ الْغَيْثَ وَيَنْصُرُهُمْ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَاللَّهُ<sup>(٦)</sup> لَهَؤُلَاءِ الضَّرْبُ فِي<sup>(٧)</sup> حَمَلَةِ الْقُرْآنِ أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ<sup>(٨)</sup>.

فَأَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ وَهُمْ الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ لِلَّهِ وَجَعَلُوهُ<sup>(٩)</sup> دَوَاءً لِقُلُوبِهِمْ فَأَثْمَرُ لَهُمْ<sup>(١٠)</sup> الْخَوْفَ وَالْحَزْنَ أَعَزُّ مِنَ الْكَبْرِيتِ الْأَحْمَرِ بَيْنَ قُرَاءِ الْقُرْآنِ.

ووصفَ أمير المؤمنين رضي الله عنه هذا القسمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِصِفَاتٍ: مِنْهَا أَنَّهُ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْعِلْمَ دَلَّاهُمْ عَلَى

(١) فِي (ق) وَ(ض) وَ(د): «الْوَلَاةُ».

(٢) فِي (ط): «كَثِيرًا»، وَفِي (ض): «وَقَدْ كَثُرَ»، وَفِي (س): «كَثْرَةٌ».

(٣) فِي (م) وَ(ل) وَ(ق) وَ(ض) وَ(د): «وَضَرَبَ».

(٤) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ك)، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ»: «فَوَكَّدُوا» فِي (ض) وَ(د): «فَذَكَّرُوا» وَهُوَ كَذَلِكَ فِي بَعْضِ الْمَصَادِرِ، وَتَصَحَّفَتْ فِي سَائِرِ النُّسخِ: «فَرَكَّدُوا بِهِ»، وَ«وَكَّدُوا» أَقَامُوا.

(٥) «وَحَنُوا» فِي جَمِيعِ النُّسخِ، وَكَذَلِكَ هُوَ فِي مَطْبُوعَاتِ بَعْضِ الْمَصَادِرِ. لَكِنْ أَخْرَجَهُ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي «إِعْرَابِ الْقُرْآنِ السَّيِّعِ وَعِلَلِهَا» (١/ ٦٤) ثُمَّ قَالَ: «سَمِعْتُ أَبَا عَمْرٍو يَقُولُ: خَنُوا: بَكَوْا حَتَّى سَمِعَ خَنِيْنَهُمْ. قَالَ ثَعْلَبُ: فَالْخَنِينُ صَوْتُ الْبَكَاءِ مِنَ الْأَنْفِ، وَيُقَالُ: الْأَنْفُ الْمَخْنُوءَةُ».

(٦) كَرَّرَ «وَاللَّهُ» فِي (ق) وَ(ض) وَ(د).

(٧) فِي (ج): «مِنْ».

(٨) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «فَضَائِلِ الْقُرْآنِ» (ص: ١٢٧)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْهَمِّ وَالْحَزَنِ» (١٥٢)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٢٣٨١).

(٩) فِي (ق): «وَهُمْ قَرَأُوا الْقُرْآنَ الَّذِينَ جَعَلُوهُ».

(١٠) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ك)، وَفِي (ج): «فَأَنْزَلَهُمْ»، وَفِي سَائِرِ النُّسخِ: «فَأَثَرُ لَهُمْ».

المقصودُ الأعظمُ منه، وهو معرفةُ الله عز وجل، فخافوه وأحبُّوه حتى سهَّلَ بذلك عليهم كلَّ ما تعسَّرَ على غيرهم ممَّن لم يصل إلى ما وصلوا إليه ممَّن وقفَ مع الدُّنيا وزينتها<sup>(١)</sup> وزهرتها واغترَّ بها ولم يُبَاشِرْ قلبه معرفةُ الله وعظمته وإجلاله، ولذلك قال: (فاسْتَلاُوا<sup>(٢)</sup>) ما استوعَرَ منه المترفون؛ فإنَّ المترفَ الواقفَ مع شهواتِ الدُّنيا ولذَّاتِها يصعبُ عليه تركُ لذَّاتِها وشهواتِها؛ لأنَّه<sup>(٣)</sup> لا عِوَضَ عنده من لذَّاتِ الدُّنيا إذا تركها فهو لا يصبرُ على تركها<sup>(٤)</sup>، وهؤلاء في قلوبهم العِوَضُ الأكبرُ بما وصلوا إليه من لذةِ معرفةِ الله ومحَبَّته وإجلاله كما كان الحسنُ يقولُ: «إِنَّ أَحَبَّاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ وَرِثُوا طَيْبَ الْحَيَاةِ وَذَاقُوا نَعِيمَهَا بِمَا وَصَلُوا إِلَيْهِ مِنْ مُنَاجَاةٍ حَبِيبَةٍ وَبِمَا وَجَدُوا مِنْ لَذَّةِ حُبِّهِ فِي قُلُوبِهِمْ»<sup>(٥)</sup>، في كلامٍ يطولُ ذكرُه ها هنا في هذا المعنى.

وإنَّما أنسَ هؤلاء بما استوحش منه الجاهلون؛ لأنَّ الجاهلين بالله يَسْتوحشون من تركِ الدُّنيا وشهواتِها لأنَّهم لا يعرفون سِوَاهَا فَهِيَ أَنْسُهُمْ، وهؤلاء يَسْتوحشون من ذلك وَيَسْتَأْنِسُونَ بالله وبذكره ومعرفته ومحَبَّته وتلاوةِ كتابه، والجاهلون بالله يَسْتوحشون من ذلك ولا يَجِدُونَ الْأَنْسَ بِهِ.

ومن صفاتهم التي وصفهم بها أميرُ المؤمنين عليُّ رضي الله عنه أنَّهم صَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى، وهذا إشارةٌ إلى أنَّهم لم يَتَّخِذُوا الدُّنْيَا وَطَنًا وَلَا رَضُوا بِهَا إِقَامَةً وَسَكَنًا<sup>(٦)</sup>، وإنَّما اتَّخَذُوهَا مَمَرًا وَلَمْ يَجْعَلُوهَا مُسْتَقَرًّا،

(١) سقطت اللفظة من (ك)، وفي (ل) وغيرها: «وقف على الدنيا وزهرتها».

(٢) في (ك) و(ط) و(ج) و(د) و(س): «استلأوا».

(٣) «لأنَّه»: زيادة من (ك) و(م) و(ق) و(ض) و(د)، وفي (ل): «إذ». ولا شيء في (ط) و(ج) و(س).

(٤) في (ك): «عن تركها».

(٥) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٧)، وعزاه المصنف في «استشاق نسيم الأنس» إلى ابن أبي الدنيا.

(٦) في (ق): «ولا سكنًا».

وجميع الكتب والرُّسُلِ أَوْصَتْ بهذا، وقد أَخْبَرَ اللهُ تعالى في كتابِهِ عَنْ مُؤْمِنِ آلِ فرعونَ أَنَّهُ قالَ لِقَوْمِهِ فِي جُمْلَةٍ وَعَظِهِ لَهُمْ: ﴿يَنْقُورُونَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩] الآية.

وقال النبي ﷺ لابنِ عمرَ رضي الله عنهما: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»<sup>(١)(٢)</sup>.

وفي رواية: «وَعُدَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِ الْقُبُورِ»<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ وَصَايَا الْمَسِيحِ الْمَرْوِيَّةِ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: اعْبُرُوهَا وَلَا تَعْمُرُوهَا<sup>(٤)</sup>.

وعنه عليه السَّلَامُ أَنَّهُ قالَ: مَنْ ذا الَّذِي يَبْنِي عَلَى مَوْجِ الْبَحْرِ دَاراً؟ تِلْكَ الدُّنْيَا فَلَا تَتَّخِذُوهَا قَرَاراً<sup>(٥)</sup>.

فَالْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا كَالْغَرِيبِ الْمُجْتَازِ بِبِلَدَةٍ غَيْرِ مُسْتَوِطِنٍ فِيهَا، فَهُوَ يَشْتَأِقُ

(١) زاد في حاشية (م) وفي (ق) و(ض) و(د): «فَكَأَنَّكَ بِالدُّنْيَا وَلَمْ تَكُنْ وَبِالْآخِرَةِ وَلَمْ تَزَلْ»: وهذا

إدراج في الحديث وليس منه، وهذه الجملة أوردها السخاوي في «المقاصد الحسنة» (٧٩٠)،

وقال «هو عند أبي نعيم من جهة عمر بن عبد العزيز». وهي في «الزهد» لأحمد بن حنبل (١٣٦٣)،

وابن أبي الدنيا في «الزهد» (٢٦٣) و«قصر الأمل» (٢٢٦) و«ذم الدنيا» (٢١٣)، ويعقوب بن سفيان

في «المعرفة والتاريخ» (٥٩٤/١) من مكاتبة بين الحسن البصري وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٣٣).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٥/٨) مما ذكره وهيب المكي.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٤٨١) مما ذكره إبراهيم، وفي (٣٢٥) مما ذكره مكحول،

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٣٤٧) مما ذكره سعيد بن عبد العزيز.



إلى بلده، وهمُّه الرجوعُ إليه والتزوُّدُ بما يوصلُه في طريقه إلى وطنه، ولا ينافسُ أهلَ ذلك البلدِ المستوطنين فيه في عزِّهم ولا يجزعُ ممَّا أصابه عندهم من الدُّلِّ.

قال فضيلُ بنُ عياضٍ: المؤمنُ في الدُّنيا مهمومٌ حزينٌ، همُّه مرَّةٌ جهازه<sup>(١)</sup>.  
وقال الحسنُ: المؤمنُ في الدُّنيا كالغريبِ لا يجزعُ من ذلِّها ولا يُنافسُ في عزِّها، له شأنٌ وللناسِ شأنٌ<sup>(٢)</sup>.

وفي الحقيقةِ فالمؤمنُ في الدُّنيا غريبٌ لأنَّ أباه إنَّما<sup>(٣)</sup> كان في دارِ البقاءِ ثمَّ أُخرجَ منها، فهمُّه الرجوعُ إلى مَسْكَنِهِ الأوَّلِ فهو أبداً يحنُّ إلى وطنه الذي أُخرجَ منه كما يقالُ: حبُّ الوطنِ من الإيمانِ<sup>(٤)</sup>.  
وكما قيلَ:

كم منزلٍ في الأرضِ يألفه الفتى      وحنينُهُ أبداً لأوَّلِ مَنَزَلٍ<sup>(٥)</sup>

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠٦/٥١).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٣٥٨).

(٣) في (ق): «لما».

(٤) هذا ليس بحديث، ولا أصل له في كتب الحديث المستندة ولم يقف عليه فيها كبار الحفاظ.

وفي حاشية (س): فائدة: ولبعضهم في هذا المعنى:

إنَّ الله عبادةً فطنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا إليها فلما علموا	أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا	صالح الأعمال فيها سفنا

(٥) البيت لأبي تمام الطائي. وجاء في نسخنا جميعاً: «وكم...»، وفي (م) و(ل) و(ط) و(ج) و(س):

«منزل للمرء يألفه». انظر: «أخبار أبي تمام» للصولي (ص: ٤٠).

ولبعضُ شيوخنا في هذا المعنى<sup>(١)</sup>:

فحيَّ على جناتٍ عدنٍ فإنَّها      مَنَازِلُكُ الأولى وفيها المُخِيَّمُ  
ولكُنَّا سَبِيَّ العَدُوِّ فَهَلْ تَرى      نَعُودُ إِلَى أوطَانِنَا ونُسَلِّمُ  
وقد زَعُمُوا أَنَّ الغَرِيبَ إِذَا نَأى      وشَطَّتْ بِهِ أوطَانُهُ فهو مُغْرَمُ  
وأَيُّ اغْتِرَابٍ فَوْقَ غُرْبَتِنَا التِي      لَهَا أَصْحَتِ الأَعْدَاءُ فِينَا تَحَكُّمُ<sup>(٢)</sup>  
والمُؤْمِنُونَ فِي هَذَا أَقْسَامٌ، مِنْهُمْ مَنْ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْجَنَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ  
عِنْدَ خَالِقِهِ وَهُمْ الْعَارِفُونَ.

ولعلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّمَا أَشَارَ إِلَى هَذَا الْقِسْمِ، فَالْعَارِفُونَ أَبْدَانُهُمْ  
فِي الدُّنْيَا وَقُلُوبُهُمْ عِنْدَ الْمَوْلَى.

وَفِي مَرَايِلِ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْوِي ذَلِكَ<sup>(٣)</sup> عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ:  
«عَلَامَةُ الطُّهْرِ أَنْ يَكُونَ قَلْبُ الْعَبْدِ<sup>(٤)</sup> عِنْدِي مُعَلَّقًا، فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَنْسَنِي عَلَى  
حَالٍ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ مَنَنْتُ عَلَيْهِ بِالِاسْتِغَالِ بِي كَيْ لَا يَنْسَانِي، فَإِذَا نَسِينِي<sup>(٥)</sup> حَرَكْتُ

(١) فِي (ق) زِيَادَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الْأَصْلِ «هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَام أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْمٍ الْجَوْزِيَّة»: وَفِي حَاشِيَةِ (ل) «وَهُوَ  
ابْنُ الْقَيْمِ». وَفِي (د): «قَوْلُهُ وَلِبَعْضِ شَيْوَخِنَا: هُوَ الْإِمَامُ الْمُحَقِّقُ، الْعَلَامَةُ الْمَدْقُقُ شَمْسُ الدِّينِ أَبُو  
عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ غَرَاءَ جَمِيلَةٍ جَدًّا أَهـ. الْآيَاتِ».

(٢) ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي عِدَدٍ مِنْ كُتُبِهِ، كـ «طَرِيقُ الْهَجْرَتَيْنِ» وَ«مَدَارِجُ السَّالِكِينَ» وَ«إِغَاثَةُ  
اللَّهْفَانِ» وَ«مِفْتَاحُ دَارِ السَّعَادَةِ» وَ«حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ» فِي أَوَّلِهِ.  
وَذَكَرَ الْقَصِيدَةَ بِتَمَامِهَا الْمُصَنَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَرْجُمَةِ شَيْخِهِ ابْنِ الْقَيْمِ مِنْ ذَيْلِهِ عَلَى «طَبَقَاتِ الْحَنَابِلَةِ»  
مِمَّا قَرَأَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْمَعُ.

(٣) فِي (ق): «يَرْوِيهِ».

(٤) فِي حَاشِيَةِ (س): «ن: الْمُؤْمِنُ».

(٥) فِي (ق) وَ(ض) وَ(د): «لَمْ يَنْسَنِي» وَهُوَ خَطَأٌ.

قلبه، فإن<sup>(١)</sup> تكلّم تكلم لي، وإن<sup>(٢)</sup> سكت سكت لي<sup>(٣)</sup>، فذلك الذي تأتيه المعونة من عندي<sup>(٤)</sup>.

وأهل هذا الشأن هم غرباء الغرباء، وغربتهم أعزّ الغربة؛ فإنّ الغربة عند أهل الطريقة غربتان: ظاهرة وباطنة.

فالظاهرة: غربة أهل الصّلاح بين الفسّاق، وغربة الصّادقين بين أهل الرّياء والنّفاق، وغربة العلماء بين أهل الجهل وسوء الأخلاق، وغربة علماء الآخرة بين علماء الدّنيا الذين سلّبوا الخشية والإشفاق، وغربة الزّاهدين بين الرّاغبين في كلّ ما<sup>(٥)</sup> ينفذ وليس هو بياق.

وأما الغربة الباطنة؛ فغربة الهمة، وهي غربة العارف<sup>(٦)</sup> بين الخلق كلّهم حتى العلماء والعباد والزّهّاد، فإنّ أولئك واقفون مع علمهم وعبادتهم<sup>(٧)</sup> وزهدهم، وهؤلاء واقفون مع معبودهم لا يعرجون بقلوبهم عنه.

كان<sup>(٨)</sup> أبو سليمان الدّاراني<sup>(٩)</sup> .....

(١) في (ق): «فلذا».

(٢) في (ل) و(ج) و(ض) و(د): «بي»، وفي (ق): «بي وإذا».

(٣) في (ج) و(ق): «بي».

(٤) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٣٧).

(٥) في (م) وفي حاشية (ج) وفي (ق) و(ض) و(د): «فيما».

(٦) في (ج) و(ق) و(س): «العارفين».

(٧) في (ك) و(ج) و(س): «عباداتهم».

(٨) في (ق): «فكان». وفي (ض) و(د): «وكان».

(٩) «الداراني» سقطت من (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س).

يقول في وَصْفِهِمْ<sup>(١)</sup>: هَمَّتْهُمْ غَيْرُ هَمَّةِ النَّاسِ، وَإِرَادَتُهُمْ مِنَ الْآخِرَةِ غَيْرُ إِرَادَةِ النَّاسِ، وَدَعَاؤُهُمْ غَيْرُ دُعَاءِ النَّاسِ مِنْهُ<sup>(٢)</sup>.

وُسئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ<sup>(٣)</sup> فَبَكَى، وَقَالَ: أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى قَلْبِكَ فَلَا يَرَى تَرِيدَ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ غَيْرَهُ<sup>(٤)</sup>.

قال<sup>(٥)</sup> يحيى بن معاذٍ: الزَّاهِدُ غَرِيبُ الدُّنْيَا، وَالْعَارِفُ غَرِيبُ الْآخِرَةِ<sup>(٦)</sup>.

يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الزَّاهِدَ غَرِيبٌ بَيْنَ أَهْلِ الدُّنْيَا، وَالْعَارِفَ غَرِيبٌ بَيْنَ أَهْلِ الْآخِرَةِ، لَا يَعْرِفُهُ الْعَبَادُ وَلَا الزُّهَّادُ، وَإِنَّمَا يَعْرِفُهُ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ وَهَمَّتْهُ كِهَمَّتِهِ، وَرَبِمَا اجْتَمَعَتْ لِلْعَارِفِ هَذِهِ الْغُرَبَاتُ كُلُّهَا أَوْ كَثِيرٌ مِنْهَا أَوْ بَعْضُهَا، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ غُرْبَتِهِ حِينَئِذٍ؛ فَالْعَابِدُونَ ظَاهِرُونَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْعَارِفُونَ مَسْتُورُونَ عَنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

قال يحيى بن معاذٍ: الْعَابِدُ مَشْهُورٌ وَالْعَارِفُ مَسْتُورٌ<sup>(٧)</sup>.

وَرَبِمَا خَفِيَ حَالُ الْعَارِفِ عَلَى نَفْسِهِ لَخَفَاءِ حَالَتِهِ<sup>(٨)</sup> وَإِسَاءَةِ الظَّنِّ بِنَفْسِهِ.

(١) في (ق): «صفتهم و».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية الأولياء» (٢٥٦/٩) دون ذكر الإرادة.

(٣) في (س): «وسئل أبو سليمان الداراني عن أفضل الإيمان».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٥٦/٩). وفي (س): «أن تريد». وزيدت (أن) أيضاً في حاشية (ل).

(٥) في (ك) و(ق) و(د): «وقال».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦٠/١٠) بلفظ: «الزاهدون...»، ورواه القشيري في «الرسالة»

(٢٤١/١) من كلام النصرأبادي.

(٧) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله. ولعله تلخيص لكلام له نقله أبو نعيم في «الحلية» (٥٩/١٠).

(٨) في (ط) و(ج) و(س): «حاله».

قال إبراهيم بن أدهم: ما أرى هذا الأمر إلا في رجل لا يعرف ذاك<sup>(١)</sup> من نفسه ولا يعرفه الناس منه<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث سعيد، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَبْدَ الْخَفِيَّ التَّقِيَّ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث معاذ، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الَّذِينَ إِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرَفُوا، وَإِنْ غَابُوا لَمْ يُفْقَدُوا»<sup>(٤)</sup> أولئك أئمة الهدى ومصابيح العلم<sup>(٥)</sup>.

وعن علي رضي الله عنه قال: طوبى لكل عبد نُومَةٍ عَرَفَ النَّاسَ وَلَمْ يَعْرِفْهُ النَّاسُ<sup>(٦)</sup> وعرفه الله منه برضوان، أولئك مصابيح الهدى تُجَلَّى عَنْهُمْ كُلُّ فِتْنَةٍ مَظْلَمَةٍ<sup>(٧)</sup>.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: كونوا جُودَ الْقُلُوبِ خُلُقَانَ الثِّيَابِ مَصَابِيحَ الظَّلَامِ، تَخْفُونَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَتُعْرَفُونَ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ<sup>(٨)</sup>.

(١) في (ج) و(ق) و(ض) و(د) و(س): «ذلك».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٦). «منه» من (ك)، وسقطت من سائر النسخ.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٥)، ولفظه: «إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ، الْغَنِيَّ، الْخَفِيَّ». والمراد بالغنى: غنى النفس.

(٤) المثبت من (ك) موافق لمصادر التخريج، وفي سائر النسخ: «لَمْ يَفْقَدُوا». وفي (م): «وَإِذَا غَابُوا».

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، والحاكم (٢٧٠/٣) وغيرهما. بنحو هذا اللفظ.

(٦) في (ل): «يَعْرِفُوهُ النَّاسُ»، وفي (ج): «وَلَمْ يَعْرِفْهُ أَحَدٌ».

(٧) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٤٣٧/٢)، والمعافى بن عمران في «الزهد» (٥٣)، وابن

أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧٦/١)، والبيهقي في «شعب

الإيمان» (٩٢٢٣). قال البيهقي: نُومَةٌ: «يعني الخامل الذكر الغامض في الناس الذي لا يعرف

الشر ولا أهله». والضبط في (م): «وَعَرَّفَهُ».

(٨) أخرجه المعافى بن عمران في «الزهد» (٥٤)، والدارمي (٢٦٢) وابن أبي الدنيا في «التواضع

والخمول» (١٤)، وفي «العزلة والانفراد» (٧٩) (١٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٦٠٠).

فهؤلاء هم أخصُّ أهل الغربة، وهم «الفرَّارونَ بدينهم من الفتن»، وهم «النَّزاعُ من القبائل» «الذين يُحشرون مع عيسى ابن مريم عليه السَّلام»، وهم «بين أهل الآخرة أعزُّ من الكبريت الأحمر»، فكيف يكون حالهم بين أهل الدنيا وتخفى أحوالهم<sup>(١)</sup> غالباً على الفريقين، كما قال القائل<sup>(٢)</sup>:

تَوَارَيْتُ مِنْ<sup>(٣)</sup> دَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ      فَعَيْنِي تَرَى دَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي  
فَلَوْ تُسْأَلِ الْأَيَّامُ مَا اسْمِي مَا دَرَّتْ      وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ ظَهَرَ مِنْهُمْ لِلنَّاسِ فَهُوَ بَيْنَهُمْ بِيَدَيْهِ وَقَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى<sup>(٥)</sup>      كَمَا قَالَ  
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِهِمْ، وَكَمَا قِيلَ:

جِسْمِي مَعِيَ غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمْ      فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ<sup>(٦)</sup>  
وكانت رابعةٌ رحمها الله تُنشدُ في هذا المعنى، وتقول<sup>(٧)</sup>:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي      وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي  
فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ      وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أَنْيْسِي<sup>(٨)</sup>

(١) في (ق): «حالهم».

(٢) في (ق): «الشاعر».

(٣) في (ج) و(س): «عن».

(٤) في (س): «عن اسمي». والبيتان لأبي النواس. ذكره المعافى بن زكريا في «الجلس الصالح الكافي والآنيس الصالح الشافي» (ص: ٢٣٤).

(٥) في (ك): «بالملا الأعلى».

(٦) ذكره المرزباني في «معجم الشعراء» (ص: ٤٣٨) لأبي عمارة المكي محمد بن أحمد بن أبي مرة، الملقب بشمروخ. ويذكر لغيره أيضاً.

(٧) «وتقول»: من (ق) و(د).

(٨) ذكره عن رابعة العدوية: ابن المقرئ في «معجمه» (٧٣)، وعن رابعة الشامية: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٨/٦٩).

وأكثرهم لا يقوى على مخالطة الخلق فهو يفر<sup>(١)</sup> إلى الخلوة بحبيبه<sup>(٢)</sup>، ولهذا كان أكثرهم يطيل الوحدة.

قيل<sup>(٣)</sup> لبعضهم: ألا تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني<sup>(٤)</sup>.

وقال آخر: وهل يستوحش مع الله أحد<sup>(٥)</sup>؟

وعن بعضهم: من استوحش من وحدته فذاك لقلّة أنسه بربه<sup>(٦)</sup>.

كان<sup>(٧)</sup> يحيى بن مُعَاذٍ كثير العزلة والانفراد، فعاتبه أخوه فقال له: إن كنت من الناس فلا بُدَّ لك من الناس، فقال يحيى: إن كنت من الناس فلا بُدَّ لك من الله<sup>(٨)</sup>.

وقيل له: إذا هجرت الخلق مع من تعيش؟ قال: مع من هجرتهم له<sup>(٩)</sup>.

وأنشد إبراهيم بن أدهم في هذا المعنى:

(١) في (ط): «يهرب».

(٢) في (ق) وحدها: «يستأنس بحبيبه».

(٣) في (ق) و(ض) و(د): «وقيل».

(٤) قاله عبيد الله بن محمد الكرمانى فأجابه محمد بن النضر الحارثي، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢١٧/٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦٩٧).

(٥) أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمراثي» (١٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٥٢)، والخطابي في «العزلة» (ص: ١٦).

(٦) قالت ذلك عائشة بنت أبي عثمان سعيد الحيري. ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات» (ص: ٤١٠).

(٧) في (ق) و(ض) و(د): «وقيل».

(٨) أخرجه ابن البناء في «الرسالة المغنية في السكوت ولزوم البيوت» (٣١).

(٩) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣١٠/١٦).

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طَرًّا فِي هَوَاكَ<sup>(١)</sup> وَأَيْتَمْتُ الْعِيَالَ لَكِي أَرَاكَ  
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحُبِّ إِرْبًا لَمَّا حَنَّ الْفَوَّادُ إِلَى سِوَاكَ<sup>(٢)</sup>  
وَعُوتَبَ غَزْوَانُ عَلَى خَلْوَتِهِ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ<sup>(٣)</sup> رَاحَةَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ مَنْ  
لَدَيْهِ حَاجَتِي<sup>(٤)</sup>.

وَلْغُرْبَتِهِمْ مِنْ<sup>(٥)</sup> النَّاسِ رَبِّمَا نُسِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى الْجَنُونِ لِيُعَدَّ حَالِهِ مِنْ  
أَحْوَالِ النَّاسِ، كَمَا كَانَ أُوَيْسُ يَقَالُ ذَلِكَ عَنْهُ<sup>(٦)</sup>.

وَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ الْخَوْلَانِيُّ كَثِيرَ اللَّهْجِ بِالذِّكْرِ لَا يَفْتَرُ لِسَانَهُ مِنْهُ<sup>(٧)</sup>، فَقَالَ رَجُلٌ  
لِجَلَسَائِهِ: أَمَجْنُونٌ صَاحِبُكُمْ؟ قَالَ أَبُو مُسْلِمٍ: لَا يَا ابْنَ أَخِي<sup>(٨)</sup>، وَلَكِنْ هَذَا دَوَاءُ الْجَنُونِ<sup>(٩)</sup>.  
وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «اذْكُرُوا اللَّهَ حَتَّى يَقُولُوا: مَجْنُونٌ»<sup>(١٠)</sup>.

(١) في (ل) و(ج) و(س): «رضاكا».

(٢) أخرجه في سياق قصة: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠٦/٦).

(٣) في (ج): «وجدت».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧٨). وهو غزوان الرقاشي.

(٥) في (ك): «بين».

(٦) أُوَيْسُ الْقُرْنِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر من ذلك: «الرقعة والبكاء» لابن أبي الدنيا (٥٠)، و«التاريخ الكبير»

لابن أبي خيثمة (٢١٩/٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٣٤/٩).

(٧) في (ط) و(س): «بالذكر بلسانه».

(٨) في (ك) و(ل) و(ط) و(ج) و(س): «لا يا أخي».

(٩) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٠٨/٢٧).

(١٠) أخرجه الإمام أحمد (١١٦٧٤) (١١٦٥٣) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري، ولفظه: «أكثرُوا

ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا مَجْنُونٌ»، وَلَمْ أَجِدِ اللَّفْظَ الَّذِي أوردَه المصنّف مستنداً إلا فيما ذكر من بعض  
الرؤى افعلى تسليم قبول الحديث - وفيه كلام - يكون معناه: الكثرة لا الهيئة، فلا يجوز الاحتجاج

به على الرقص!



وقال الحسنُ في وَصْفِهِمْ<sup>(١)</sup>: إِذَا نَظَرَ إِلَيْهِمُ الْجَاهِلُ<sup>(٢)</sup> حَسِبَهُمْ مَرَضَى وَمَا  
بِالْقَوْمِ<sup>(٣)</sup> مَرَضٌ، وَيَقُولُ: قَدْ خَوِلْتُوْا<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ خَالَطَ الْقَوْمَ أَمْرٌ عَظِيمٌ<sup>(٥)</sup>.

هِيَهَاتَ وَاللَّهِ، مَشْغُولُونَ عَنْ دُنْيَاكُمْ.

وفي هذا المعنى يَقُولُ الْقَائِلُ:

وَحُرْمَةِ الْوُدِّ مَالِي عَنْكُمْ عَوَضٌ      وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادَتِي غَرَضٌ  
وَقَدْ شَرِطْتُ عَلَى قَوْمٍ صَحْبَتَهُمْ      بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ فَرَضُوا<sup>(٦)</sup>  
وَمِنْ حَدِيثِي بَكُمْ قَالُوا: بِهِ مَرَضٌ      فَقُلْتُ: لَا زَالَ عَنِي ذَلِكَ الْمَرَضُ<sup>(٧)</sup>

وفي الحديث، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَوْصَى رَجُلًا فَقَالَ: «اسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِ  
مِنْ رَجُلَيْنِ مِنْ صَالِحِي عَشِيرَتِكَ لَا يُفَارِقَانِكَ»<sup>(٨)</sup>.

(١) في (ك) و(ل) و(س): «صفتهم».

(٢) هنا انتهت النسخة (ل).

(٣) في (ط): «بهم».

(٤) في (ق) و(ض) و(د): «خالطوا».

(٥) أصل الكلام مما ذكره وهب بن منبه بحضرة ابن عباس رضي الله عنهما من كلام فتى لأبيوب عليه  
السلام. أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٩٥ - ١٤٩٦). وكلام الحسن عند ابن أبي الدنيا في  
«الهم والحزن» (٩١)، و«الأولياء» (٩٣).

(٦) هذا البيت من (م) و(ق) وسقط من سائر النسخ.

(٧) ذكر البيتين الأول والثالث: ابن الجوزي في «المدح» (ص: ٢٥٥)، ولعله مما نقله من ابن عقيل  
في كتابه «السر المصون». انظر: «الأدب الشرعي» لابن مفلح (١/ ٢٢٢). والأبيات لأبي الحسن  
محمد بن علي بن أبي الصقر الشافعي الواسطي، المتوفى ٤٩٨ رحمه الله.  
ذكرها له العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (شعراء العراق ١/ ١٢٠).

(٨) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة جعفر بن الزبير (٢/ ٣٦٥)، وأشار البيهقي في  
«الشعب» (٧٣٤٣) إلى ضعفه. وفي (ك) و(ق): «استحيي» «تستحيي»، وفي (ط) و(ج): «صالح».

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ<sup>(١)</sup> أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُ مَا<sup>(٢)</sup> كُنْتَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث آخر، أَنَّهُ سُئِلَ عليه السلام: مَا تَرْكِيَةُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ»<sup>(٤)</sup>.

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال: «ثَلَاثَةٌ فِي ظِلِّ اللَّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» فَذَكَرَ مِنْهُمْ: «رَجُلٌ حَيْثُ<sup>(٥)</sup> تَوَجَّهَ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ»<sup>(٦)</sup>.

وَبُثِّنَ عَنْهُ عليه السلام أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْإِحْسَانِ فَقَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(٧)</sup>.

وَلَأَبَى عِبَادَةَ الْبُحْتَرِيِّ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَيْبَاتٌ حَسَنَةٌ، وَلَكِنَّهُ أَسَاءَ بِقَوْلِهَا فِي مَخْلُوقٍ، وَقَدْ أَصْلَحْتُ مِنْهَا كَلِمَاتٍ<sup>(٨)</sup> حَتَّى اسْتَقَامَتْ عَلَى الطَّرِيقَةِ<sup>(٩)</sup>:

(١) فِي (ق): «الْأَعْمَال».

(٢) سَقَطَتْ (مَا) مِنْ (ك) وَ(ط) وَ(ج) وَ(س).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٨٧٩٦) وَ«مُسْنَدُ الشَّامِيِّينَ» (٥٣٥) (١٤١٦)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيلَةِ» (١٢٤/٦) مِنْ حَدِيثِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (٣١/٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «السَّنَنِ الْكَبِيرِ» (٩٦/٤) وَ«شُعَبُ الْإِيمَانِ» (٣٠٢٦). وَأَصْلُهُ فِي «سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ» (١٥٧٧).

(٥) فِي (ق) وَ(ض) وَ(د): «رَجُلًا حَيْثُ»، وَفِي (ج): «أَيْنَ»، وَفِي (س): «رَجُلًا أَيْنَمَا».

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (٧٩٣٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٧) حَدِيثٌ مَشْهُورٌ، وَهُوَ أَوَّلُ حَدِيثٍ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ. مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٨) فِي (ق) وَنَسَخَهُ فِي (ض) وَ(د): «أَيْبَات».

(٩) زَادَ فِي (ق): «وَهِيَ» وَفِي (س): «وَهِيَ هَذِهِ».

كَأَنَّ رَقِيباً مِنْكَ يَرَعَى خَوَاطِرِي      وَآخِرُ يَرَعَى نَاضِرِي وَلِسَانِي  
فَمَا أَبْصَرْتَ عَيْنَايَ بَعْدَكَ مَنْظِراً      يَسُوءُكَ إِلَّا قَلْتُ: قَدْ رَمَقَانِي  
وَلَا بَدَرْتَ مِنْ فَيِّ بَعْدَكَ لَفْظَةً      لَغِيرِكَ إِلَّا قَلْتُ: قَدْ سَمِعَانِي  
وَلَا خَطَرْتَ مِنْ ذِكْرِ غَيْرِكَ خَطَرَةً      عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا عَرَّجَا بَعْنَانِي  
إِذَا مَا تَسَلَّى الْقَاعِدُونَ عَنِ الْهَوَى      بِذِكْرِ فُلَانٍ أَوْ كَلَامٍ<sup>(١)</sup> فُلَانٍ  
وَجَدْتُ الَّذِي يَسْلَى سِوَايَ يَشُوقُنِي<sup>(٢)</sup>      إِلَى قُرْبِكُمْ حَتَّى أَمْلَأَ مَكَانِي  
وَإِخْوَانِ صَدِيقٍ قَدْ سِئِمْتُ<sup>(٣)</sup> لِقَاءَهُمْ      وَغَضَضْتُ طَرْفِي عَنْهُمْ وَلِسَانِي  
وَمَا الْبَغْضُ أَسْلَى عَنْهُمْ غَيْرَ أَنَّنِي      أَرَاكَ عَلَى<sup>(٤)</sup> كُلِّ الْجِهَاتِ تَرَانِي<sup>(٥)</sup>.

انتهى ما ذكره الشيخ فسح الله في مدته من هذا الكلام، والحمد لله وحده،  
وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. حسبنا الله ونعم  
الوكيل<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ج) و(س): «بذكر».

(٢) في (ط) و(ج): «يسوقني».

(٣) في (د) وحدها: «يسّر». وفي (س): «أخلاء صدق».

(٤) في (ق): «كما».

(٥) الأبيات للبحري كما في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للتونسي (١٤٥/٦).

(٦) في حاشية (ك): «بلغ مقابلة على أصل مقروء على المؤلف وعليه خطه رحم الله سلفه».

وفي آخر (م): آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على خير خلقه محمد وخاتم

النبين وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه الفقير إلى عفوريه ومغفرته، الراجي رحمته: أحمد بن محمد بن خضر عفا الله عنه وعن

والديه آمين.

وفي الحاشية: بلغ قراءة على شيخنا الوالد أسعدنا الله وإياه بمنه وكرمه سنة ١٢١٥. في آخر (ط): «آخر الكتاب، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين، أنهاء كتابة الفقير في باب مولاه الغفار: السيد محمد بن الشيخ محمد بن الحاج علي العطار، نهار الثلاثاء بعد العصر يوم إحدى عشر مضي من شهر صفر المبارك سنة ١١٢٣ ثلاثة وعشرين ومئة وألف».

وفي آخر (ج): «قال في النسخة المنقول منها: آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، أفضل الصلوات عدد المعلومات، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين. الحمد لله، بلغ قراءة ومقابلة على الأصل بتاريخ شهر رجب سنة ١٢٤٤».

وفي آخر (ق): «وهذا آخر ما وجدنا من كلامه رحمه الله تعالى وعفى عنه والحمد لله وحده وكان الفراغ من نسخها على أصلها رابع عشر ذي القعدة أحد شهور سنة ١٢٨٦ هجرية بقلم الفقير إلى الله عبد العزيز بن محمد بن قاسم بن حميد غفر الله ولوالديه ولمشايقه وإخوانه والمسلمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم».

وفي آخر (ض): «تمت والله الحمد والمنة، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، آمين، في شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٨٧».

بلغ مقابلة وتصحيحاً بحسب الطاقة والاجتهاد والحمد لله رب العالمين، ١٥ رمضان سنة ١٢٨٨. وفي آخر (د): «تمت، والله الحمد والمنة، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، آمين».

وقد انتهت كتابتها بقلم الفقير، المتصف بالعجز والتقصير، الراجي رحمة ربه الغني عبد الله بن خلف ابن دحيان الحنبلي، لطف الله به، وغفر له ولوالديه، ولمشائخه وإخوانه، ولمن دعا له بالمغفرة، وجميع المسلمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من نسخها ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ربيع الثاني سنة ألف وثلاث مئة وعشرين، من هجرة من له مزيد الشرف وكامل الوصف.

انتهت الرسالة المسماة «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» للإمام الجليل، والعالم العامل النبيل، شيخ الإسلام، الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي رحمه الله تعالى.

= ويليهما كتاب «بيان العلم وانقسامه إلى علم نافع وغير نافع» للشيخ الإمام والحبر البحر الهمام عبد الرحمن بن رجب المذكور، ضوعفت لنا وله الأجور، أمين.

فائدة: قال الشافعي رحمه الله: «من تفقه من بطون الكتب ضيَّع الأحكام»، وكان بعضهم يقول: «من أعظم البلية تمشيخ الصحيفة» أي الذين يتعلمون من الصحيفة. اهـ آداب. [كذا: ولعلها الصحيفة].

وقال الشيخ عبد القادر التغلبي رحمه الله تعالى لتلميذه الشيخ محمد السفاريني: «رح طالع كثيراً وأقرأ قليلاً تكن عالماً جليلاً». وقال أيضاً في ذلك المجلس: «من قرأ في كل يوم مسألة صار عالماً في سنة، وقرأ في كل يوم مسألتين صار عالماً في سنتين» يشير إلى كثرة التكرار.

وفي آخر (س): «تم والحمد لله وحده، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم. بلغ».

# شرح الترمذي

- قِطْعَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّبَّاسِ -

المكتبة الظاهرية بدمشق (الأصل) وعليها تملك ابن عبد الهادي بخطه

المكتبة الظاهرية بدمشق (الأصل) وفيها أول القطعة المحققة

## بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.  
أما بعد:

فإنّ مما يميز تحقيق هذه القطعة عن غيرها من رسائل الإمام ابن رجب رحمه الله تعالى: أنّي لم أقف إلى الآن على شيء منها بخطّه إلا هذه الوريقات المتبقية من أعظم كتبه، وهو كتاب «شرح الترمذي»، الذي قدّر الله أن يفقد في فتنة تيمورلنك لما دخل دمشق (سنة ٨٠٣) بعد وفاة المصنف بثمانية أعوام.

ولم يسلم من هذا الشرح سوى وريقات، إضافة إلى شرح آخره، وهو الكتاب الجليل «شرح علل الترمذي»<sup>(١)</sup>.

وقد ذكر المصنف رحمه الله لنفسه هذا الكتاب «شرح الترمذي» في عددٍ من كتبه، وأشار إلى مواضع منه في ما تبقى منه في هذه الوريقات<sup>(٢)</sup>.

---

(١) وهو يُعدّ نموذجاً فريداً في التصنيف في علوم الحديث في العصور المتأخرة، التي دارت فيها المؤلفات في علوم الحديث حول فلك كتاب ابن الصلاح رحمه الله، إلا «شرح علل الترمذي»، فإنه أمة وحده.

وقد طبع بتحقيق شيخنا د. نور الدين عتر رحمه الله، وله طبعة بتحقيق د. همام عبد الرحيم سعيد، ودونهما طبعة الشيخ صبحي السامرائي.

(٢) فقال (٣/ ٣٧٩): سبق في كتاب الجمعة، وفي (٣/ ٣٨١): سبق في باب السجود على الثوب، وفي =



وكذلك في «شرح العلل» في مواضع كثيرة.

وأحال إليه كثيراً في شرحه على البخاري «فتح الباري»، وإحالات تدل بوضوح أن شرحه على الترمذي أكبر من شرحه على البخاري وأوسع<sup>(١)</sup>.

وذكره أيضاً في شروحه للأحاديث المفردة، مثل «الاعتباس»، و«شرح حديث ما ذئبان جائعان»، و«اختيار الأولي»، وفي «فضائل الشام»<sup>(٢)</sup>.

وذكره له ابن قاضي شُهبة في «تاريخه» قال: «وشرح الترمذي في نحو عشرين مجلداً، وقد احترق في الفتنة»<sup>(٣)</sup>.

وذكره له كذلك الحافظ ابن حجر في «الدرر الكامنة»<sup>(٤)</sup>، وفي «إنباء الغمر»، وقال فيه: «وصنف «شرح الترمذي» فأجاد فيه، في نحو عشرين مجلدة»<sup>(٥)</sup>.

---

= (٣/ ٣٩٤)، وفي (٣/ ٣٩٨): سبق في لبس المعصفر، وفي (٣/ ٤٠٧): وسيأتي في باب مفرد، وفي (٣/ ٤١٢) إحالات متعددة.

(١) انظر: «فتح الباري» (٣/ ١٩٦)، (٤/ ١٧٥)، (٦/ ١٨٥، ٣٣٤)، (٧/ ١١٦)، (٨/ ٩٧، ١٩١، ٢٩٤)، (٩/ ٨٦، ١٣٧، ٢٨٩).

(٢) وذلك في أول «الاعتباس»، وأول «شرح حديث ما ذئبان جائعان»، وأول «اختيار الأولي»، وأول الباب الثاني من «فضائل الشام» وأول الباب السابع منه. حيث أحال في تلك المواضع إلى «شرح الترمذي» الذي ذكر فيه طرق ووجوه الأحاديث.

وكثير من تلك الأحاديث التي أحال إلى شرحها في كتابه «شرح الترمذي» متأخرة عن أحاديث هذه القطعة التي أقدم لها.

(٣) «تاريخ ابن قاضي شُهبة» (٣/ ٤٨٨).

(٤) «الدرر الكامنة» لابن حجر (٣/ ١٠٩).

(٥) «إنباء الغمر في أنباء العمر» لابن حجر (١/ ٤٦٠)، وجاء في بعض نسخه: «في نحو عشرة أسفار»!

وذكره أيضاً ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد»، فيما نقله: «وقد احترق غالبُ ما عمله من «شرح الترمذي» في الفتنة»<sup>(١)</sup>. ووصفه بأنه كتاب جليل<sup>(٢)</sup>. وهذه الوريقات التي نعتد عليها في إخراج هذه القطعة من الكتاب كانت في ملك ابن عبد الهادي وكتب على طرفها: «وهو بخط ابن رجب». وذكره غيرهم ممن ترجم للحافظ ابن رجب ناقلاً عنهم. ونقل منه المَرْدَاوي في كتابه «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» مسألة واحدة، وفي كتابه «التحبير شرح التحرير» مسألتين<sup>(٣)</sup>. وقد كان بين الزينين الحافظ العراقي والحافظ ابن رجب رحمهما الله تعالى صلة علمية، ومن آثارها ما نقله السخاوي، عن علي بن محمد الطرسوسي: أنه سمع ابن رجب يقول: أرسل إليّ الزين العراقي يستعين بي في شرح الترمذي<sup>(٤)</sup>. وهذا مُشيرٌ إلى مكانة الإمام ابن رجب في معرفته بالترمذي حتى يستعين به مثل الحافظ العراقي رحمهما الله، ويشير أيضاً إلى سَبْقِ ابن رجب صاحبهِ العراقي في تصنيف ذلك<sup>(٥)</sup>.

\* \* \*

(١) «الجوهر المنضد» لابن عبد الهادي (ص: ٤٩).

(٢) «الجوهر المنضد» لابن عبد الهادي (ص: ٥٠).

(٣) وقد ألحقتها في آخر القطعة.

(٤) «الضوء اللامع» للسخاوي (٣٢٨ / ٥).

(٥) وقد شرع العراقي في تكملة شرح ابن سيد الناس «النفح الشذي» على الترمذي. وللعراقي أسلوب

يختلف عن أسلوب ابن رجب رحمهما الله تعالى.

مميزات «شرح الترمذي» لابن رجب:

شرح المصنف رحمه الله في كتابه هذا وفي سائر كتبه: شرح حديثي أثري، فهو يشرح الحديث بالحديث<sup>(١)</sup>.

فبعد أن يورد الحديث من «جامع الترمذي» يذكر مَنْ أخرج غيره، بمتنه وبعض سنده غالباً - وربما أتى بالسند بتمامه أحياناً -.

ثم يخرج الأحاديث التي يشير إليها الترمذي بقوله: «وفي الباب: ...»، ويضيف إليها ما لم يذكره الترمذي.

وهو في ذلك لا يُخلِي كلامه من بيان حال رجل أو إسناد، ناقلاً عن أئمة الجرح والتعديل، أو قائلاً بعبارته هو.

ثم يذكر أقوال السلف من الموقوفات والمقطوعات في ذلك كذلك، ويستخلص من ذاك كله المراد من الأحاديث.

ويعتني بالروايات عن الإمام أحمد مع عزوها لمن نقلها من تلامذته، وينقل الفقه عن متقدمي الأصحاب الحنابلة.

هذه القطعة أوضحت تلك الجوانب لكنها لم تَفِّ بمعرفة الجوانب الأخرى من الشرح اللغوي والفقهية وغير ذلك مما يتناوله الشراح.

وقد حَفِظْتُ لنا هذه الوريقات بِقَدَرِ الله متوناً من السُّنَّة والأحاديث قد انفردت

(١) وهذه الطريقة في شرح الأحاديث قال فيها الإمام أحمد بن حنبل: «الحديث إذا لم تجمع طُرُقَه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضاً» أخرجه الخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١٦٤٠).

وانظر ما سبق في مقدمات هذا المجموع، عند الكلام على طريقة المصنف في شرح الأحاديث.

بها ولا توجد في غيرها بحسب ما وصلت إليه في البحث والتقصي، وهذا من بدائع حكم الله تعالى في قضائه وقدره، وفي حفظه لسنة نبيه ﷺ عجائب من الأقدار.

وقد ذكرت في الحواشي عند التعليق على الأحاديث التي تفرد المصنف بنقلها سنداً أو متناً أنه قد تفرد بذلك<sup>(١)</sup>.

وكذلك قد تفرد رحمه الله بالنقل عن كُتُبٍ في عداد المفقود، كـ «أدب الكتاب» لابن شَبَّه، «والتفرد» لأبي داود السجستاني، و«اللباس» لابن أبي عاصم، و«العلل» لعلي بن المديني من رواية الباغندي.

وقد أسند ابن رجب رحمه الله في هذه القطعة حديثاً بسنده إلى النبي ﷺ<sup>(٢)</sup>. وكان أول مَنْ نَشَرَ شيئاً من هذه القطعة. د. همام سعيد في دراسته المستفيضة التي قدّمها بين يدي تحقيقه لشرح علل الترمذي، حيث أورد فيها «باب ما جاء في كراهية خاتم الذهب»<sup>(٣)</sup> من هذه القطعة وقع فيها بعض الأشياء في قراءة المخطوط. ثم نشرها بتمامها الأستاذ سامي بن محمد بن جاد الله، دار المحدث، الرياض ١٤٣٩.

### الأصل الخطي لهذه القطعة من «شرح الترمذي»:

هو من النفائس التي احتفظت بها المدرسة العمرية بصالحية دمشق، وكان في ملك العلامة يوسف ابن عبد الهادي الصالحي الحنبلي، المعروف بابن المبرّد، المتوفى سنة ٩٠٩ رحمه الله تعالى. وكتب في الطرف الأعلى من

(١) انظر: (٣/٣٨١، ٣٩٣، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٣).

(٢) انظر: (٣/٣٨٥).

(٣) انظر: «شرح علل الترمذي» تحقيق د. همام سعيد (١/ ٢٨٠).



ومما يلحظ نقصُ صورة الصلاة على سيدنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم دون السلام. والأَوْجَهُ أن ذلك ليس من أفرادها، بل من الاختصار الكتابي، فقد بدت بعض المواضع هكذا: «صلى الله علم» فمراده: صَلَّى الله عليه وسلّم. وقد أوردنا الصلاة والسلام بتمامهما في كُلِّ المواضع. والحمدُ لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

\*\*\*



## شرح الترمذي - قطعة من كتاب اللباس -

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله:

### باب ما جاء في لبس الصوف

(١٧٣٣) - نا أحمد بن منيع، نا إسماعيل بن إبراهيم، نا أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي بردة، قال:

أخرجت إلينا عائشة كساءً مُلبِّدًا وإزاراً غليظاً، فقالت:  
«قُبِضَ رسولُ الله ﷺ في هذين».

وفي الباب: عن علي، وابن مسعود.

وحديث عائشة حديثٌ حسنٌ صحيح.

(١٧٣٤) - نا علي بن حنبل، نا خلف بن خليفة، عن حميد الأعرج، عن عبد الله

ابن الحارث، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال:

«كان على موسى يومَ كلمه ربُّه كساءٌ صوفٍ، وجُبَّةٌ صوفٍ، وكُمَّةٌ صوفٍ،  
وسراويل صوفٍ، وكان نعلاه من جلد حمارٍ ميت».

هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حميد الأعرج، هو ابن علي الأعرج:

منكر الحديث، وحميد بن قيس الأعرج المكي صاحب مجاهد: ثقة.

الكمة: القَلَنْسُوة الصَّغيرة<sup>(١)</sup>.



[٨٤/ب] وَخَرَجَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ فَضِيلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا، فِيهِمْ مُوسَى - أَوْ مِنْهُمْ مُوسَى - كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ عَبَاءَتَانِ قَطَوَانِيَّتَانِ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَى بَعِيرٍ مَخْطُومٍ بِخِطَامٍ مِنْ لَيْفٍ، وَلَهُ ضَفْرَتَانِ»<sup>(١)</sup>.  
وَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَوْقُوفًا<sup>(٢)</sup>.

وَخَرَجَ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، مِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ رِيَّاحِ الْعَبْدِيِّ، عَنْ [ابْنِ] طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي فِي جَبَّةٍ صُوفٍ لَيْسَ عَلَيْهِ إِزَارٌ وَلَا رِدَاءٌ<sup>(٣)</sup>.

وَعُمَرُ بْنُ رِيَّاحٍ، قَالَ الْفَلَّاسُ: دَجَّالٌ<sup>(٤)</sup>، وَقَالَ الدَّارِقُطَنِيُّ: مَتْرُوكٌ<sup>(٥)</sup>.  
وَأَمَّا حَدِيثُ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ:

فَمِنْ طَرِيقِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالرَّوْحَاءِ قَالَ: «لَقَدْ صَلَّيْتُ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ سَبْعُونَ نَبِيًّا

(١) أَخْرَجَهُ الْفَاكْهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» (٢٥٩٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٢٢٨٣)، وَالْأَوْسَطُ (٥٤٠٧).  
وَالضَّفْرَتَانِ لِلْخِطَامِ. الْقَطَوَانِيَّةُ: عَبَاءَةٌ بِيضَاءٌ قَصِيرَةٌ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْفَاكْهِيُّ فِي «أَخْبَارِ مَكَّةَ» (٢٦٠٣).

(٣) سَقَطَ مِنَ الْأَصْلِ، وَلَا بَدَلَ مِنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي «أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ» (٣٢٠)، وَابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» فِي تَرْجُمَةِ عُمَرَ بْنِ رِيَّاحٍ، وَابْنُ الْبُغْوِيِّ فِي «الْأَنْوَارِ فِي شَمَائِلِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ» (٧٨٢).

(٥) نَقَلَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «التَّارِيخِ الْكَبِيرِ» (١٥٦ / ٦).

(٦) «السَّنَنُ» لِلدَّارِقُطَنِيِّ (٥٧٩).

قُبَلِي، وَلَقَدْ قَدِمَهَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ عِبَاءُ تَانِ قَطَوَانِيَّتَانِ، عَلَى نَاقَةٍ وَزَقَاءٍ، فِي سَبْعِينَ أَلْفٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي أَيُّوبَ:

فَمِنْ طَرِيقِ يَحْيَى بْنِ يَعْلَى الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ مُخْتَارِ التَّيْمِيِّ، عَنْ كُرْزٍ<sup>(٣)</sup> الْحَارِثِيِّ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَرْقُعُ الْقَمِيصَ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَخْصِفُ النَّعْلَ، وَيَقُولُ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُتِّي فَلَيْسَ مِنِّي»<sup>(٤)</sup>.

خَرَّجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَإِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ:

فَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عَمَّارِ الْمُؤَدِّينِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ الْمُقْبَرِيِّ،

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» ١٧ (ص: ١٦)، وَابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» فِي تَرْجُمَةِ كَثِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٢/ ١٠).

(٢) جَاءَ بَعْدَهُ مَضْرُوباً عَلَيْهِ: «وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي مُوسَى:

فَمِنْ طَرِيقِ شَيْبَانَ أَبِي مُعَاوِيَةَ، عَنْ أَشْعَثَ بْنِ أَبِي الشَّعْثَاءِ، عَنْ أَبِي بَرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيَلْبَسُ الصُّوفَ، وَيَعْتَثِلُ الشَّاةَ، وَيَأْتِي مَدْعَاةَ الضَّيْفِ، خَرَّجَهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَإِسْنَادُهُ جَيِّدٌ، وَلَعَلَّ الْمَصْنُفَ قَدَّمَهُ قَبْلَ هَذَا، وَضَرَبَ عَلَيْهِ هُنَا، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/ ٦١) وَقَالَ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يَخْرُجَاهُ.

(٣) فِي الْحَاشِيَةِ بِخَطِ الْمَصْنُفِ رَحِمَهُ اللَّهُ «..... رَوَايَةُ عُبَيْدِ اللَّهِ الْوَصَافِيِّ، عَنْ كُرْزٍ، وَكُرْزٌ لَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَبِي أَيُّوبَ...» يَرِيدُ بِهَذِهِ الْحَاشِيَةِ بَيَانُ أَنَّ كُرْزاً رَحِمَهُ اللَّهُ تَابِعٌ تَابِعِيٍّ وَلَيْسَ تَابِعِيّاً، وَرَوَايَتُهُ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ مَنْقُطَةٌ.

انْظُرْ: «تَارِيخُ جَرَجَانَ» لِلْسَّهْمِيِّ (ص: ٣٥٨)، وَالْإِصَابَةُ، لِابْنِ حَجَرٍ (كُرْزٌ).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو الشَّيْخِ فِي «أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ» (٣٢٦)، وَالسَّهْمِيُّ فِي «تَارِيخِ جَرَجَانَ» (ص: ٣٥٨)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤/ ٧٧).

عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ لَبَسَ الصُّوفَ، وحلب الشاة، وركب الأتان، فليس في جوفه من الكبر شيء»<sup>(١)</sup>.

خرجه ابن عدي، وهو إسناده ضعيف.

وخرجه ابن عدي أيضاً، من طريق عمر بن يزيد، عن عطاء، عن أبي هريرة: كان رسول الله ﷺ يلبس الصوف، ويجلس على الأرض، ويأكل عليها.

وقال: عمر بن يزيد هذا منكر الحديث، وأحاديثه غير محفوظة<sup>(٢)</sup>.

وروى الإمام أحمد، نا عبد الوهاب، نا سعيد، عن قتادة، نا صاحب لنا، عن أبي هريرة قال: إنما كان لباسنا مع رسول الله ﷺ الصوف<sup>(٣)</sup>.

وروى أسد بن موسى، نا سليمان بن أيوب<sup>(٤)</sup>، عن الزهري، عن ابن المسيب، والأعرج، عن أبي هريرة مرفوعاً قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيَلْبَسِ الصُّوفَ وَلْيَعْتَقِلْ شَاتَهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ترجمة (عبد الرحمن بن سعد بن عمار)، والبيهقي في «الشعب» (٥٧٥٣).

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة عمر بن يزيد.

(٣) لم أجد هذا الحديث. وأخشى أن يكون قد دخل حديث في حديث، وأن يكون صوابه حديث أبي موسى رضي الله عنه. فقد أخرج ابن جرير في «تفسيره» (١٤٨ / ٢١) من طريق سعيد عن قتادة قال: حدثنا صاحب لنا عن أبي هريرة قال: إنما كان طعامنا مع النبي ﷺ الأسودان، ثم روى من طريق سعيد عن قتادة عن أبي بردة عن أبيه حديثاً وفيه: إنما كان لباسنا الصوف.

وقد روى حديث أبي موسى من طريق عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن قتادة: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠١ / ٤)، والبيهقي في «الأدب» (٤٩٣)، وفي «السنن الكبرى» (٤٢٠ / ٢).

وأخرجه أصحاب السنن من حديث قتادة.

(٤) كذا بخط المصنف رحمه الله، وهو سبق قلم صوابه: «أرقم».

(٥) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (ترجمة سليمان بن أرقم).

وأما حديث جبير بن مطعم:

فمن طريق ابن أبي ذئب، عن القاسم بن العباس، عن نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: يلومونني في التيه، وقد لبست الصوف واعتقلت العنز، وقد قال رسول الله ﷺ: «مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ بَرَّءَ مِنَ الْكِبَرِ».

خرجه البزار في «مسنده»<sup>(١)</sup>.

ورواه غيره ولفظه: «وقد ركب الحمار، واعتقلت الشاة، ولبست الشملة».

وخرجه الترمذي بهذا اللفظ في كتاب البر والصلة من «كتابه» هذا<sup>(٢)</sup>.

وأما حديث جابر:

فمن طريق موسى بن عبيدة، عن زيد بن أسلم، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ: «سَأُنْبِتُكَ بِخِلَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ فَلَيْسَ بِمُتَكَبِّرٍ: اعتقل الشاة، وركوب الحمار، ولبس الصوف، ومجالسة فقراء المؤمنين، وليأكل أحدكم مع عياله».

خرجه حميد بن زنجويه<sup>(٣)</sup>.

وموسى بن عبيدة ضعيف جداً من قبل حفظه.

(١) أخرجه البزار (٣٤٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٠١) وقال: حسن غريب.

(٣) أخرجه من طريق ابن زنجويه: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٨٢ / ٦٢)، وأخرجه عبد بن حميد،

المتخب (١١٥١)، وابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (٢١٩) وابن حبان في «المجروحين»

ترجمة موسى بن عبيدة.

[٨٥/أ] وَأَمَّا حَدِيثُ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ:

فَخَرَجَهُ أَبُو دَوَادَ الطَّيَالِسِيُّ، نَا زَمْعَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: تُوَفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَهُ جَبَّةٌ صُوفٍ فِي الْحَيَاكَةِ<sup>(١)</sup>.

وَخَرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَامِرٍ، عَنْ زَمْعَةَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: حِيَكْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَبَّةً أُنْمَارٍ مِنْ صُوفٍ أَسْوَدَ، وَجُعِلَ لَهُ حَوَاشٍ مِنْ صُوفٍ أَيْضَ، فَخَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَسْجِدِ يَضْرِبُ عَلَى فَخْذِهِ، فَقَالَ: «أَلَا تَرَوْنَ مَا أَحْسَنَ هَذِهِ الْحُلَّةَ؟» فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اكْسُنِي هَذِهِ الْحُلَّةَ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَا يُسَأَلُ شَيْئًا قَطُّ فَيَقُولُ: لَا، فَقَالَ: «نَعَمْ»، فَدَعَا بِمِعْوَزَيْنِ<sup>(٢)</sup> لَهُ فَلَبَسَهُمَا، وَكَسَا الْحُلَّةَ الْأَعْرَابِيَّ، ثُمَّ أَمَرَ بِمِثْلِهِمَا تَحَاكَاكِ لَهُ، فَمَاتَ ﷺ وَهُمَا فِي الْمَحَاكِ<sup>(٣)</sup>.

وَخَرَجَهُ الْبُخَارِيُّ بِغَيْرِ هَذَا اللَّفْظِ، مِنْ طَرِيقِ أَبِي غَسَّانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِبُرْدَةٍ - قَالَ سَهْلٌ: تَدْرُونَ مَا الْبُرْدَةُ؟ قَالُوا: هِيَ الشَّمْلَةُ - قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْتُ أَكْسُوكَ هَذِهِ...، وَذَكَرَ مَعْنَى مَا تَقَدَّمَ سَوَى أَمْرِهِ بِمِثْلِهِمَا تَحَاكَاكِ لَهُ<sup>(٤)</sup>.

وَكَذَا رَوَاهُ النَّاسُ عَنْ أَبِي حَازِمٍ.

(١) أَخْرَجَهُ الطَّيَالِسِيُّ (١٠٤٥).

(٢) وَاحِدُهُ: مِعْوَزٌ أَيْ ثَوْبٌ خَلَقَ. وَنَصَحْتُ الْكَلِمَةَ فِي مَطْبُوعَةِ الطَّبْرَانِيِّ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرِيُّ فِي «تَهْذِيبِ الْأَثَارِ» مُسْنَدَ عُمَرَ (١٥٨) (١٥٩)، وَالتَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ» (٥٩٢٠).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٠٣٦)... وَمِنْ طَرُقٍ أُخْرَى عَنْ أَبِي حَازِمٍ (١٢٧٧) (٢٠٩٣) (٥٨١٠).

وَأَمَّا حَدِيثُ عَائِشَةَ:

فَمِنْ طَرِيقِ هَمَّامٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: صَنَعْتُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بُرْدَةً سَوْدَاءَ، فَلَبَسَهَا، فَلَمَّا عَرِقَ فِيهَا وَجَدَ رِيحَ الصُّوفِ، فَقَذَفَهَا. قَالَ: وَأَحْسَبُهُ قَالَ: وَكَانَ تَعَجُّبُهُ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ.

خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ، وَعِنْدَهُ: جَبَّةٌ مِنْ صُوفٍ سَوْدَاءَ<sup>(١)</sup>.

وَخَرَّجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، وَلَفْظُهُ: جِلَّةٌ<sup>(٢)</sup> مِنْ صُوفٍ سَوْدَاءَ، وَعِنْدَهُ أَنَّ الْقَوْلَ فِي آخِرِهِ مِنْ قَوْلِ هَمَّامٍ.

وَخَرَّجَهُ ابْنُ سَعْدٍ، وَعِنْدَهُ: بُرْدٌ سَوْدَاءَ مِنْ صُوفٍ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَاهُ شَبَابَةُ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ أَيْضًا.

وَرَوَاهُ هِشَامُ الدَّسْتَوَائِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفٍ مُرْسَلًا، خَرَّجَهُ مِنْ طَرِيقِ النَّسَائِيِّ<sup>(٤)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، فِي حَدِيثِ غُسْلِ الْجُمُعَةِ، أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَأْتُونَ فِي الْعِبَاءِ، وَيَصِيبُهُمُ الْغَبَارُ فَتَخْرُجُ مِنْهُمْ الرِّيحُ<sup>(٥)</sup>. وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي كِتَابِ الْجُمُعَةِ.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠٧١)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٩٤٨٨) (٩٥٨٢)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١٨٨ / ٤).

(٢) كَتَبَ ابْنُ رَجَبٍ فَوْقَهَا: لَعَلَّهُ جَبَّةٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكَبِيرَةِ» (٣٩٠ / ١).

(٤) أَخْرَجَتْهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٩٥٨٣).

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨٤٧).

وفي «صحيح مسلم» من طريق مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ غداةً وعليه مِرْطٌ مرَّحَلٌ من شعر أسود<sup>(١)</sup>.

وهذا الحديث قد أنكره غير واحد من الأئمة على مصعب<sup>(٢)</sup>.

وروى منصور بن عمار القاضي، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة، عن عائشة قالت: خرج رسول الله ﷺ وقد عقد عباءً بين كتفيه، فلقية أعرابيٌّ فقال: لو لبست غير هذا يا رسول الله! قال: «ويحك إنما ألبس هذا لأقمع به الكبير».

خرَّجه ابن عديٍّ، وقال: هو عن ابن لهيعة غير محفوظ<sup>(٣)</sup>.

وخرَّجه الطبرانيُّ بمعناه، وذكر أنه تفرَّد به منصور عن ابن لهيعة<sup>(٤)</sup>.

وروى سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود وقال: كانت الأنبياء عليهم السلام يلبسون الصوف، ويركبون الحمير، ويحلبون الغنم<sup>(٥)</sup>.

وخرَّجه الحاكم من طريق إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص وأبي عبيدة، عن عبد الله<sup>(٦)</sup>.

وروى معاوية بن يحيى، عن صفوان بن عمرو، عن أبي الزاهرية، عن أبي<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٢٤٢٤).

(٢) كالإمام أحمد: انظر: «الضعفاء الكبير» للعقيلي (١٧٧٥).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (في ترجمة عبد الله بن لهيعة).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٣٢٧).

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (٣٣٧)، ومن طريق أبي إسحاق: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١ / ٤٢٣).

(٦) أخرجه الحاكم (٤ / ١٨٧) موقوفاً وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٧) كذا بخط المصنف رحمه الله، ولعله سبق قلم تكراراً لما قبله لكنه لم يضرب عليه، فإن أبا الزاهرية

يروى عن عبد الله بن عمرو دون واسطة.

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قَالَ: «لقد حجَّ هذا البيتَ اثنانِ وسبعونَ نبياً لباسهم الصُّوفُ»<sup>(١)</sup>.

سئل الإمام أحمد عن هذا الحديث، فاستنكره، وقال: ليس هذا من قبل صفوان؛ كأنه وثقه، ونزعه أن يروي مثل هذا، قال: ومعاوية هو الصَّدْفِيُّ، وكأنه وثقه. قال: وإنما ينبغي أن يكونَ هذا من قِبَلِ أَبِي<sup>(٢)</sup> سنان ذلك، فإنه مُنْكَرُ الحديث، انتهى. وأبو سنان لا ذكر له في إسناده، ولعله من جهة مُعاوية فإنه ضعيف<sup>(٣)</sup>.

وسبق أيضاً في بابِ الرُّخْصَةِ في السُّجُودِ على الثَّوبِ أحاديثُ في المعنى.

وأكثرُ أهلِ العلمِ على الرُّخْصَةِ في لباسِ الصُّوفِ.

وَرُويَ عن كثيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ لبسوه، منهم: عمر، وسَلْمَانُ<sup>(٤)</sup>، وابنُ مَسْعُودٍ<sup>(٥)</sup>، وأبو موسى<sup>(٦)</sup>، وغيرُهم.

(١) هذا مما انفرد بنقله المصنف في كتابه هذا. والله أعلم.

(٢) كذا بخط المصنف رحمه الله وصوابه: «ابن». انظر ما سيأتي.

(٣) ابن سنان رجلان:

- سعيد بن سنان البرجمي، أبو سنان الكوفي.

- سعيد بن سنان الحنفي، أبو مهدي الحمصي. وهو الذي يقصده الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

- والله أعلم.

قال ابن عدي في «الكامل» في ترجمة سعيد بن سنان الحمصي: وعامة ما يرويه، وخاصة عن أبي الزاهرية غير محفوظ، ولو قلت: إنه هو الذي يرويه عن أبي الزاهرية لا غيره جاز ذلك، انتهى.

فيكون مراد الإمام أحمد رحمه الله: أن هذا الحديث يشبه ما يرويه سعيد بن سنان عن أبي الزاهرية، ولا ينبغي لمثل معاوية وصفوان أن يروياه. فلعل الحديث يرجع إلى ابن سنان هذا.

ثم تصحفت «ابن» فقرئت «أبي» والله تعالى أعلم.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٥ / ٢٤٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١ / ٣٤٥).

(٥) انظر: «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٥٤٠٦).

(٦) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤ / ١٠١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤ / ٢٥٤٠٤).



وكرهه ابنُ سيرين، وقيل له: إنَّ قوماً يلبسونَه يقولونَ إِنَّه هَديُّ عيسى، فقال:  
هَديُّ مُحَمَّدٍ أَحَبُّ إلينا مِنْه<sup>(١)</sup>.

والظاهرُ - واللهُ أعلمُ - أَنه إِنما كَرِهَه لِمَن اتَّخَذَه سِعاراً لِلزُّهْدِ وَلِلدِّينِ بِحَيْثُ لَا  
يُفَارِقُه، لَم يَكْرَهُهُ لِمَن يَلْبَسُه لِلحَاجَةِ أحياناً، وَقَدْ كانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَلْبَسُ الصُّوفَ  
تَحْتَ ثِيابِهِ وَيُخْفِيهِ، مِنْهُمْ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ.  
وعن بعضهم - أَظنه الأوزاعي - أَنه سُنَّةٌ فِي السَّفَرِ دُونَ الْحَضَرِ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه نعيم في زياداته على «الزهد» لابن المبارك (ص: ٦٤)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «أخلاق  
النبي ﷺ» (٣٣٠).

(٢) ذكره ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (ص: ١٨٦). وأخرجه الذهبي بسنده إلى الأوزاعي في  
«سير أعلام النبلاء» (٩٦ / ١٧).

[قال الترمذي رحمه الله:

### باب ما جاء في العمامة السوداء

(١٧٣٥) حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، عن حماد بن سلمة، عن أبي الزبير، عن جابر قال:

«دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء»

وفي الباب عن<sup>(١)</sup> عمرو بن حريث، وابن عباس، ورُكَّانَة.

حديث جابر حديث حسن صحيح<sup>(٢)</sup>.

(١٧٣٦)<sup>(٣)</sup> حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، نا يحيى بن محمد المديني،

عن عبد العزيز بن محمد، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان النبي ﷺ إذا اعتَمَّ سَدَلَ عِمَامَتَهُ بين كتفيه.

قال نافع: وكان ابنُ عمر يَسْدِلُ عِمَامَتَهُ بين كتفيه.

قال عبيد الله: ورأيت القاسمَ وسالماً يفعلان ذلك.

هذا حديث حسن غريب.

وفي الباب: عن علي. ولا يصح حديث علي من قبل إسناده<sup>(٤)</sup>.

(١) في تكملة طبعة شاكر، وطبعة بشار عواد زيادة: «عن علي». وقد روى حديث علي جماعة ذكروا العمامة، ولم يذكروا سوداء. وإنما ذكرها عبد الله بن بسر عند ابن عدي في «الكامل»: «ترجمة عبد الله بن بسر». وفيهما أيضاً: «عن عمرو وابن حريث» وهو خطأ.

(٢) وأخرجه مسلم (١٣٥٨).

(٣) لا يوجد هنا عنوان باب في نسخة الكروخي، وفي المطبوعات: «باب في سدل العمامة بين الكتفين».

(٤) زيادة من «سنن الترمذي» (٢٢٥ / ٤).

[٨٣/ب] وفي العِمَامَةِ السَّودَاءِ أَيْضاً مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ التِّرْمِذِيُّ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنْسٍ، وَمَزِيدَةَ الْعَصْرِيِّ.

أَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ:

فَمِنْ طَرِيقِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءٌ».

خَرَّجَهُ ابْنُ مَاجَهَ<sup>(١)</sup>.

وَمُوسَى بْنُ عُبَيْدَةَ لَيْسَ بِالْحَافِظِ.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ:

فَرَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ عَبَّادِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ - يَعْنِي يَوْمَ الْفَتْحِ - وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءٌ وَلِوَاؤُهُ أَسْوَدٌ<sup>(٢)</sup>.

وَأَمَّا حَدِيثُ أَنْسٍ:

فَخَرَّجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ، نَا مُحَمَّدُ بْنُ صُذْرَانَ، ثَنَا عَنبَسَةُ بْنُ سَالِمٍ صَاحِبُ الْأَلْوَاحِ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بَنِي أَنْسٍ، عَنْ أَنْسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَمَمَ بِعِمَامَةٍ سَوْدَاءَ<sup>(٣)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣٥٨٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْوَاقِدِيُّ فِي «الْمَغَازِي» (٨٢٣ - ٨٢٤).

(٣) وَأَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٣٣٨٥)، وَابْنُ عَدِي فِي «الْكَامِلِ» (تَرْجُمَةُ عَنبَسَةَ)، وَأَبُو الشَّيْخِ فِي «أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ» (٣٠٤).

وَأَخْرَجَهُ الضَّيَاءُ الْمَقْدِسِيُّ فِي «الْمَخْتَارَةِ» مِنْ طَرِيقِ الطَّبْرَانِيِّ (٢٢٧١).

## حديث آخر:

أخبرنا محمد بن إسماعيل الأنصاري، أنا إسماعيل بن إبراهيم التَّوْخِي، أنا المفضل بن عقيل بن حيدرة، أنا الخضر بن الحسين بن عبدان، أنا أبو القاسم المصيصي، أنا أبو محمد بن أبي نصر، أنا أبو علي محمد بن هارون، حدثنا أبو قُصَيٍّ<sup>(١)</sup>، ومحمد بن علي بن خلف الصَّرَّار، قالوا: نا هشام بن خالد، نا الوليد بن مسلم، نا الأوزاعي، عن الزُّهري، عن أنس بن مالك، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل مكة وعلى رأسه عِمَامَةٌ سوداء<sup>(٢)</sup>.

غريب، ورواه جُمَحُّ بن القاسم المؤدِّن، عن أبي قُصَيٍّ، بمثله<sup>(٣)</sup>.

(١) هو إسماعيل بن محمد بن إسحاق العُدري.

(٢) إسناده مسلسل بالدمشقيين، حتى أنس رضي الله عنه دخل دمشق.

وقد انفرد به أبو قُصَيٍّ بهذا اللفظ: «عمامة سوداء».

وأخرجه تمام في «فوائده» (ترتيب فوائده تمام ٦٣٤)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»

(٥٤ / ٣١١ - ٣١٢): من طريق محمد بن علي بن خلف الأطروش الصرار لكن بلفظ: أن النبي ﷺ

دخل مكة وعلى رأسه المغفر.

قال الحافظ ابن عساكر:

كذا قال، وهو وهم، وصوابه: الوليد، عن مالك، عن الزهري.

وقال الحافظ ابن حجر في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (٢ / ٦٦٠): فترجَّح أن الوليد دلَّسه. اهـ.

يعني أنه من رواية الوليد، عن الأوزاعي، عن مالك، عن الزهري، عن أنس وهو حديث المغفر.

وهو غطاء للرأس يلبس في الحرب ليقية من بأس السلاح.

(٣) أخرجه الحنائي في الثالث من «فوائده الحنائيات» (٩٦).

وقال: غريب، وإنما يحفظ عن مالك، عن الزهري، عن أنس، أن النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه

المغفر. وأما حديث العمامة السوداء فإنما هو محفوظ من حديث جابر رضي الله عنه.

وذكر الدارقطني، أن عبد الرحمن بن أبي الموالي رواه عن الزهري أيضاً<sup>(١)</sup>.  
قال: ورؤي من وجهين عن مالك، عن الزهري، وكلاهما باطل.

قال: والصحيح ما رواه مالك وغيره، عن الزهري، عن أنس، أن النبي ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر<sup>(٢)</sup>.

وله طريق آخر: من رواية أبي إسحاق الحميسي، - وهو ضعيف -، عن يزيد الرقاشي، عن أنس، أن النبي ﷺ افتتح مكة وعليه عمامة سوداء.  
خرجه ابن عدي<sup>(٣)</sup>.

وأما حديث مزينة:

فخرجه ابن أبي عاصم، نا عمرو بن بشر، نا يحيى بن راشد، نا طالب بن حجير، نا هود العصري، سمعت جدي مزينة يقول: رأيت النبي ﷺ، يعتم بعمامة سوداء<sup>(٤)</sup>.  
وفيه حديث آخر:

من رواية عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الرازي، أخبرني أبي، عن أبيه سعد

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤/ ١٩٠).

(٢) «العلل» للدارقطني (٢٦٠١).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة أبي إسحاق خازم بن الحسين الحميسي، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (٣١١).

قال ابن عدي: وهذه الأحاديث عن يزيد الرقاشي عن أنس، - وإن كان يزيد فيه كلام - فإنها ليست بمحفوظة، وما أظنه يرونها عنه غير أبي إسحاق الحميسي.

قلت: يريد أن الحمل فيها على أبي إسحاق.

(٤) أخرجه ابن السكن من طريق طالب بن حجير، نقله ابن القطان في «بيان الوهم والإيهام»

قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا بُبْخَارِي عَلَى بَغْلَةٍ بِيضَاءَ، عَلَيْهِ عِمَامَةٌ خَزٌّ سَوْدَاءَ فَقَالَ: كَسَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ<sup>(١)</sup>.

وخرَّجَه التِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ التَّفْسِيرِ مِنْ «جَامِعِهِ» هَذَا، وَلَمْ يَذْكُرِ الْخَزَّ<sup>(٢)</sup>.

وَذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «تَارِيخِهِ» وَعِنْدَهُ: قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ: نَرَاهُ ابْنَ خَازِمِ السُّلَمِيِّ<sup>(٣)</sup>.

يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ خَازِمِ السُّلَمِيِّ أَمِيرَ خِرَاسَانَ وَأَحَدَ الْأَبْطَالِ الْمَشْهُورِينَ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: إِنَّ لَهُ صُحْبَةً.

وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْأَزْرَقِ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا بُبْخَارِي مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ خَزٌّ سَوْدَاءَ، وَهُوَ يَقُولُ: كَسَانِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَاسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَازِمٍ<sup>(٤)</sup>.

[٨٤/أ] وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ الْعُمَرِيُّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَوْمَ الْخَنْدَقِ عَلَى صُورَةِ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، عَلَى دَابَّةٍ يُنَاجِي النَّبِيَّ ﷺ، وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ أُسْدَلَهَا عَلَيْهِ، فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «فَإِنَّ ذَاكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَمَرَنِي أَنْ أَخْرُجَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ».

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٤٠٣٥)، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٩٥٦٠).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٣٢١).

(٣) «التَّارِيخُ الْكَبِيرُ» (٦٧ / ٤).

(٤) وَأَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٧ / ٢٨) مِنْ طَرِيقِ الْحَاكِمِ. وَذَكَرَهُ الْمَزِّي فِي «تَهْذِيبِ

الْكَمَالِ» (٤٤٥ / ١٤).

خَرَّجَهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ<sup>(١)</sup>.

ثُمَّ خَرَّجَهُ مِنْ طَرِيقِ رُوحِ بْنِ عُبَادَةَ، نَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ، عَنْ أَخِيهِ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَرْدُونٍ، عَلَيْهِ عِمَامَةٌ قَدْ أَرَخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ، فَسَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «رَأَيْتَهُ؟ ذَاكَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٢)</sup>.

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: لَيْسَ بِالْحَافِظِ، وَقَدْ اخْتَلَفَ عَلَيْهِ فِي إِسْنَادِهِ، وَرَوَاهُ خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْعُمَرِيِّ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ<sup>(٣)</sup>.

وَاخْتَلَفَ عَلَى أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ أَيْضًا فِيهِ، فَرَوَاهُ عَنْهُ الدَّرَاوَزْدِيُّ: عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَائِشَةَ.

وَقِيلَ: عَنِ الدَّرَاوَزْدِيِّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَيَّارٍ<sup>(٤)</sup> أَبِي الْحَكَمِ، عَنْ عَائِشَةَ.

وَقِيلَ: عَنْهُ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَيَّارٍ أَبِي الْحَكَمِ، عَنْ شَهْرِ، عَنْ عَائِشَةَ.

قَالَ الدَّارِقُطْنِيُّ: وَهُوَ أَشْبَهُهَا بِالصَّوَابِ<sup>(٥)</sup>.

وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ أَبِي أُسَامَةَ: عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ سَيَّارٍ، عَنْ حَدَّثِهِ، عَنْ عَائِشَةَ.

وَخَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ طَرِيقِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَهْرَامٍ، أَنَا الدَّرَاوَزْدِيُّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ سَيَّارٍ أَبِي الْحَكَمِ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: رَأَيْتُ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ عِمَامَةٌ حُمْرَاءُ مُرْخِيهَا بَيْنَ كَتْفَيْهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤/ ١٩٣ - ١٩٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٤/ ١٩٤).

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (٤/ ٢٣٥).

(٤) كَتَبْتُ يَسَارًا، ثُمَّ كَتَبْتُ فَوْقَهَا: سَيَّارًا. فِي الْمَوْضِعَيْنِ.

(٥) «الْعِلَلُ» لِلدَّارِقُطْنِيِّ (٣٦٧٨).

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٥٦٢٠).

وفي فضلِ العِمَامَةِ أَيضاً: عن أبي هريرة، ولا يصحُّ.

قَالَ: الخَلَالُ: أَخْبَرَنِي يَوْسُفُ بْنُ مُوسَى قَالَ: سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -، عَنْ شَيْخٍ بَنْصِييْنٍ، يُقَالُ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَعِيمٍ، قِيلَ لَهُ: رَوَى شَيْئاً، عَنْ سَهِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «صَلَاةٌ بِعِمَامَةٍ أَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ صَلَاةً بِغَيْرِ عِمَامَةٍ»، قَالَ: هَذَا كَذَابٌ، هَذَا بَاطِلٌ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى أَحْوَصُ بْنُ حَكِيمٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْعِمَائِمِ فَإِنَّهَا سِيَمَا الْمَلَائِكَةِ، وَأَرْخُوا لَهَا خَلْفَ ظُهُورِكُمْ»<sup>(٥)</sup>، الْأَحْوَصُ: ضَعِيفٌ.

قَالَ أَحْمَدُ فِي رِوَايَةِ أَبِي طَالِبٍ: لَا بَأْسَ بِالْعِمَامَةِ السَّوْدَاءِ فِي الْحَرْبِ وَغَيْرِ الْحَرْبِ، لِبَسَ النَّبِيُّ ﷺ عِمَامَةً سَوْدَاءَ.

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ حَنْبَلٍ: لَا بَأْسَ بِلِبَسِ الْعِمَامَةِ السَّوْدَاءِ، لِبَسَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ عِمَامَةً سَوْدَاءَ، وَعَمَّمَ عَلَيْهَا بِعِمَامَةِ سَوْدَاءَ<sup>(٣)</sup>.

وَمِمَّنْ رُوِيَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَلْبَسُ عِمَامَةً سَوْدَاءَ: عَلِيٌّ<sup>(٤)</sup>، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ<sup>(٥)</sup>،

(١) لَا يَوْجَدُ فِي «الْمُنْتَخَبِ مِنَ الْعِلَلِ لِلْخَلَالِ» لِابْنِ قِدَامَةَ، لَكِنْ فِيهِ تَكْذِيبُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ لِمُحَمَّدِ بْنِ نَعِيمٍ فِي حَدِيثٍ آخَرَ (٣٢).

(٢) أَخْرَجَهُ مِنْ حَدِيثِ عِبَادَةَ: ابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» (تَرْجُمَةُ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيمٍ). وَرَوَاهُ عَنِ الْأَحْوَصِ: عَيْسَى بْنُ يُونُسَ، لَكِنْ مِنْ طَرِيقِ عَيْسَى بْنِ يُونُسَ، عَنْ مَالِكِ بْنِ مَعْمُولٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عَمْرِو مَرْفُوعاً: أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٣٤١٨). فَهَذَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ فِيهِ عِلَلٌ.

(٣) نَقَلَهُمَا دُونَ تَسْمِيَةِ: ابْنِ تَيْمِيَّةٍ فِي «شَرْحِ عِمْدَةِ الْفَقْهِ» (٢/ ٣٩٤). وَتَقَدَّمَ تَخْرِيجَ لِبَسِهِ ﷺ، وَتَعْمِيمِهِ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «الْمُصَنَّفِ» (٢٥٤٥١).

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٢٥٤٦٨).



وأبو الدرداء<sup>(١)</sup>، وابن عمر<sup>(٢)</sup>، وأنس<sup>(٣)</sup>، والحسن بن علي<sup>(٤)</sup>، وابن عباس<sup>(٥)</sup>، وأبو  
أمامة<sup>(٦)</sup>، وواثلة<sup>(٧)</sup>، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ويستحب أن يُرخي خلفه من طرفِ عمامته.

قال أحمد في رواية الأثرم وإبراهيم بن الحارث: ينبغي أن يُرخي خلفه من  
عمامته كما جاء عن ابن عمر<sup>(٨)</sup>.

وممن روي عنه أنه كان يُرخي وراءه من عمامته: علي<sup>(٩)</sup>، وابن عمر<sup>(١٠)</sup>، وابن  
عباس<sup>(١١)</sup>، وأنس<sup>(١٢)</sup>، وابن الزبير كان يرخيها نحواً من ذراع<sup>(١٣)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٦٤).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٦٣ / ٤).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٥).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٧٠).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٤٣ / ٦).

(٦) أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (١٣١٦).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٦٩).

(٨) حديث ابن عمر هو حديث الباب وقد أوردناه من الترمذي.

وقول الإمام أحمد نقله أيضاً ابن تيمية في «شرح العمد» (٢٦٣ / ١).

(٩) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٢٧ / ٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٤٥٣).

(١٠) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٦٣ / ٤).

(١١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣٤٢ / ٦).

(١٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٥).

(١٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٥٦).

وروي [عن عُبَيْدٍ] الله بنِ عمرَ ق[ال]: أخبرني أشياخنا، أنهم رأوا أصحابَ النَّبِيِّ ﷺ يَعْتَمُونَ، ويرخونها تحتَ أكتافهم<sup>(١)</sup>.

وروى جابرُ الجعفيُّ قال: أخبرني مَنْ رأى عَلِيًّا قد اعتَمَّ بعمامةٍ سوداء قد أرخاها من بين يديه ومن خلفه<sup>(٢)</sup>.

وروى شريكٌ، عن محمد بنِ قيسٍ قال: رأيتُ ابنَ عُمَرَ قد أرخى العمامةَ من بين يديه ومن خلفه فلا أدري أيُّهما أطولُ<sup>(٣)</sup>.

وروى عبدةٌ، عن هشامٍ قال: رأيتُ الزُّبَيْرَ مُعْتَمًّا قد أرخى طرفي العمامةِ من بين يديه<sup>(٤)</sup>.

وكرهَ أحمدُ أن يعتَمَّ ولا يُحَنِّكَ بالعمامةِ من تحتِ ذقنه كراهةً شديدةً<sup>(٥)</sup>.

وروي أيضاً كراهةُ ذلك، عن طائفةٍ من الصَّحابةِ منهم عمر<sup>(٦)</sup>، وابنُ عُمَرَ<sup>(٧)</sup>،

(١) ما بين معقوفين خرم في أوراق الأصل، واستدرك من «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٥٤٧٧) وفيه: «بين أكتافهم».

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٨٢).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٧٨).

(٥) تحنيك العمامة: أن يدار منها تحت الحنك كَوْرًا أو كوران.

وانظر كراهة الإمام أحمد لعدم ذلك في «مسائل عبد الله» (١٦٢٩).

(٦) ذكره ابن قدامة في «المغني» (١ / ٣٨١)، ولم يعزه لأحد، وذكره ابن تيمية في «شرح العمدة»

(١ / ٢٦١) وعزاه لأبي حفص العكبري من حديث جعدة بن هيرة أن عمر بن الخطاب.

(٧) لم أظفر بنصه، لكن لعله يستفاد من روايته التحنيك وفعله له، والله أعلم.

وعن طاوس،<sup>(١)</sup> والحسن البصري<sup>(٢)</sup>، وسفيان الثوري، وغير واحد<sup>(٣)</sup>.

وذكر أبو عبيد في «غريبه» حديثاً مرسلاً: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ بِالتَّلْحِي، ونهى عن الاقتعاط، وفسره بذلك<sup>(٤)</sup>.

ورخص فيه إسحاق؛ لما روى وهب بن جرير، عن أبيه، عن يعلى بن حكيم، عن سليمان بن أبي عبد الله قال: [٨٥/ب] أدركت أبناء المهاجرين والأنصار، فكانوا يَعْتَمُونَ ولا يجعلونها تحت الحنك<sup>(٥)</sup>.

وفي رواية: رأيت المهاجرين والأنصار<sup>(٦)</sup>.

وقد أنكره أحمد في رواية الأثرم وغيره قال: هو حديث منكّر، ما أدري أي شيء هو<sup>(٧)</sup>.

وقال في رواية مهنا: سليمان بن أبي عبد الله، لا أدري من أين هو.

وقال: الناس على خلاف هذا الحديث.

وقال في سليمان: لا أعرفه، لم يرو عنه غير يعلى بن حكيم.

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٩٩٧٨) ومن طريقه أخرجه جماعات، وروي من غير طريقه أخرجه عبد الله ابن أحمد عن أبيه في «العلل» (٣٦٩٣).

(٢) ذكره ابن تيمية في «شرح العمدة» (١/ ٢٦١) وعزاه للخلال.

(٣) نقله عن الثوري ومن ذكر قبله: ابن مفلح في «الفروع» (١/ ٢٠٣) وقال: وفي الصحة نظر.

(٤) «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ١٢٠) - ط الهندية.

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه في «مسنده» وفي المطبوع منه (١٥٥٦): «أدركت المهاجرين» ونسب الترخيص إلى إسحاق: ابن تيمية في «شرح العمدة» (١/ ٢٦٢) وعنده كما نقل المصنف، ولعله عنه.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤٨٩) وعنده: «أدركت المهاجرين والأنصار».

(٧) وكذلك قال في رواية الكوسج (٣٤٦٤).

وقال: قد فتنَ النَّاسَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوِيَه بِهَذَا الْحَدِيثِ<sup>(١)</sup>.

وقال حَرْبٌ: سَأَلْتُ إِسْحَاقَ عَنِ الْعِمَامَةِ كَيْفَ يُعْتَمُّ بِهَا؟ قَالَ: إِذَا أَدْخَلَهَا تَحْتَ ذَقْنِهِ جَارَ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ.

قال حَرْبٌ، نا إِسْحَاقُ، نا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُعْتَمُّ عَمَّةَ الْعَرَبِ، لَا يُدْخِلُ تَحْتَ ذَقْنِهِ، وَكُلُّ حَسَنٍ جَمِيلٌ<sup>(٢)</sup>.

وروى ابنُ لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن مرسل<sup>(٣)</sup>: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُعْتَمُّ وَلَا يُرْخِي لِلْعِمَامَةِ عَذْبَةً مِنْ خَلْفِهِ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

(١) انظر: «شرح العمدة» لابن تيمية (١/ ٢٦٢ - ٢٦٣).

(٢) مسائل حرب الكرماني (من كتاب النكاح إلى آخر الكتاب) (٢/ ٨٥٧ - ٨٥٨).

(٣) كذا بخط المصنف: «عن مرسلًا» و«عن» سبق قلم.

(٤) هذا الحديث انفرد المصنف رحمه الله بنقله، ولم أظفر به عند غيره.

## بَابُ مَا جَاءَ فِي كِرَاهِيَةِ خَاتَمِ الذَّهَبِ

[ ١٧٣٧ - ] حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَبِيبٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْخَلَّالُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، قَالُوا: ثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُنَيْنٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّخْتُمِ بِالذَّهَبِ، وَعَنِ لِبَاسِ الْقَسِيِّ، وَعَنِ الْقِرَاءَةِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَعَنِ لِبَاسِ الْمُعْصِفِرِ. هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

[ ١٧٣٨ - ] حَدَّثَنَا يَوْسُفُ بْنُ حَمَّادٍ الْمَعْنِيُّ الْبَصْرِيُّ، نَا عَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي التِّيَّاحِ، ثَنَا حَفْصُ اللَّيْثِيِّ قَالَ: أَشْهَدُ عَلَى عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّهُ حَدَّثَ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ التَّخْتُمِ بِالذَّهَبِ.

وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ، وَابْنِ عُمرَ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَمُعَاوِيَةَ. حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَأَبُو التِّيَّاحِ اسْمُهُ يَزِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ.

\*\*\*

أَمَّا حَدِيثُ عَلِيٍّ - الَّذِي خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ - : فَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ، عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ بِهِ<sup>(١)</sup>، كَمَا خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ. وَقَدْ سَبَقَ ذِكْرُ الْاِخْتِلَافِ فِي إِسْنَادِهِ فِي بَابِ لِبَسِ الْمُعْصِفِرِ بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ.

\*\*\*

وَأَمَّا حَدِيثُ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ الَّذِي خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ أَيْضًا: فَخَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ وَابْنُ حَبَانَ فِي «صَحِيحِهِ»<sup>(٢)</sup>، وَقَدْ سَبَقَ الْحَدِيثُ بِتَمَامِهِ وَذِكْرُ الْاِخْتِلَافِ فِي أَسَانِيدِهِ فِي بَابِ لِبَسِ الْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ لِلرِّجَالِ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٠٧٨) وَمَدَارُ الْحَدِيثِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ.

(٢) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥١٨٧)، وَابْنُ حَبَانَ (٥٤٠٦).

وأبو التَّيَّاحِ ذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ أَنَّ اسْمَهُ يَزِيدُ بْنُ حَمِيدٍ، وَهُوَ الضُّبَعِيُّ الْبَصْرِيُّ، ثِقَةٌ جَلِيلٌ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

\*\*\*

[٨٦/أ] وَأَمَّا حَدِيثُ عَلِيٍّ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ التِّرْمِذِيُّ بِقَوْلِهِ: (وَفِي الْبَابِ عَنْ عَلِيٍّ)، فَأَرَادَ بِذَلِكَ بَقِيَّةَ طَرِيقِ حَدِيثِ عَلِيٍّ غَيْرِ الطَّرِيقِ الَّتِي خَرَّجَهُ مِنْهَا. فَمِنْ ذَلِكَ:

رَوَايَةُ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ هُبَيْرَةَ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، وَعَنِ الْقَسِيِّ، وَعَنِ الْمِثْرَةِ الْحُمْرَاءِ. خَرَّجَهُ أَبُو دَاوُدَ<sup>(١)</sup>.

وخرَّجَه ابنُ ماجَه، مِن طَرِيقِ أَبِي الْأَحْوَصِ، وَلَفْظُهُ: وَعَنِ الْمِثْرَةِ، يَعْنِي الْحُمْرَاءَ<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجَه النسائي من طريق أبي الأحوص، وزكريا، وزهير، كلهم عن أبي إسحاق، به<sup>(٣)</sup>.

وَفِي بَعْضِ أَلْفَاظِهِ: وَعَنِ الْمِثْرَةِ فَقَطْ، وَكَذَا خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي الْأَدَبِ مِنْ «جَامِعِهِ» هَذَا، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو داود (٤٠٤٨) وعنده: «وعن لبس القسي»، «والحمراء» ثابتة في نسخة. وذكرت في حاشية المطبوع.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٥٤).

(٣) أخرجه النسائي (٥١٦٥) (٥١٦٦) (٥١٦٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٨٠٨).

قَالَ النَّسَائِيُّ: وَخَالَفَهُمْ عَمَّارُ بْنُ رَزَيْقٍ، رَوَاهُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنْ حَلَقَةِ الذَّهَبِ.

وخرَّجَه بإسناده وقال: الذي قبله أشبه بالصَّواب<sup>(١)</sup>.

وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: هو غريبٌ من حديثِ أَبِي إِسْحَاقَ<sup>(٢)</sup>.

طريق آخر:

روى مروانُ بنُ معاويةَ وعبدُ الواحدِ، كلاهما [عن<sup>(٣)</sup>] إسماعيلَ بنِ سُمَيْعٍ، عن مالكِ بنِ عميرٍ قال: جاء صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ إِلَى عَلِيٍّ فَقَالَ: إِنَّهَا عَمَّا نَهَاكَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَهَانِي عَنْ حَلَقَةِ الذَّهَبِ، وَلَبَسَ الْحَرِيرَ، وَالْقَسِيَّ، وَالْمِثْرَةَ الْحُمْرَاءَ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

خرَّجَه النَّسَائِيُّ<sup>(٤)</sup>.

وخرَّجَه مِنْ طَرِيقِ إِسْرَائِيلَ، عَنْ إسماعيلَ بنِ سُمَيْعٍ، عَنْ مالكِ بنِ عُمَيْرٍ، عَنْ صَعْصَعَةَ بْنِ صُوحَانَ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيٍّ.. فَذَكَرَهُ<sup>(٥)</sup>.

وقال: حديثُ مروانَ وعبدِ الواحدِ أولى بالصَّوابِ مِنْ حَدِيثِ إِسْرَائِيلَ.

وقال الدَّارَقُطْنِيُّ: رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ فَضِيلٍ، عَنْ إسماعيلَ بنِ سُمَيْعٍ، عَنْ مالكِ بنِ عُمَيْرٍ: سَمِعْتُ صَعْصَعَةَ، عَنْ عَلِيٍّ.

(١) أخرجه النسائي (٥١٦٨).

(٢) «العلل» للدارقطني (٣٨٥).

(٣) سقطت من الأصل، ولا بد منها.

(٤) أخرجه النسائي حديث مروان (٥١٧٠)، وحديث عبد الواحد (٥١٧١). وفيهما: «نهانا».

(٥) أخرجه النسائي (٥١٦٩).

وخالفه عبَّادُ بنُ العَوَّامِ ومَروانُ بنُ مُعاويةَ، فرَوَّاهُ عن إسماعيلَ بنِ سُميعةٍ، عن مالكِ بنِ عُمرٍ، عن عليٍّ.

وكذلك رواه عَمَّارُ الدُّهْنِيُّ، عن مالكِ بنِ عُمرٍ قَالَ: كنت جالساً عند عليٍّ فجاءَ صَعْصَعَةُ بنُ صُوحانَ، وهو الصَّوَابُ<sup>(١)</sup>.

طريقُ آخرُ:

روى أشعثُ، عن ابنِ سيرينَ، عن عبيدةَ، عن عليٍّ قَالَ: نهاني النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه عن القَسِيِّ، والحريِّ، وخاتمِ الذهبِ، وأن أقرأ راکعاً. خرَّجَه النسائيُّ. وقال: خالفه هشامٌ ولم يرفعه<sup>(٢)</sup>.

ثم خرَّجَه من طريقِ هشامٍ، عن ابنِ سيرينَ، عن عبيدةَ، عن عليٍّ قَالَ: نهى عن مِياثِرِ الأرجوانِ، ولبسِ القَسِيِّ، وخاتمِ الذهبِ<sup>(٣)</sup>.

ثم خرَّجَه من طريقِ أيوبَ، عن ابنِ سيرينَ، عن عبيدةَ قَالَ: نهى عن المِياثِرِ الأرجوانِ، وخواتيمِ الذهبِ<sup>(٤)</sup>.

وخرَّجَه أبو داودَ، من طريقِ هشامٍ مقتصرًا على مِياثِرِ الأرجوانِ<sup>(٥)</sup>.

وخرَّجَه الإسماعيليُّ، من طريقِ محمَّدِ بنِ أبانَ، عن عمرانَ بنِ خالدِ الخزاعيِّ، عن محمَّدِ بنِ سيرينَ، عن عبيدةَ، عن عليٍّ، قالَ محمَّدٌ: أحسبه رفعه إلى النبيِّ ﷺ،

(١) «العلل» للدارقطني (٣٨٥).

(٢) أخرجه النسائي (٥١٨٣).

(٣) أخرجه النسائي (٥١٨٤).

(٤) أخرجه النسائي (٥١٨٥).

(٥) أخرجه أبو داود (٤٠٤٧).



فذكره بمعناه، وزاد: قَالَ له: فذكرتُ ذلك عنه ليحيى بن سيرينَ فقال: أو ما سمعتَ بهذا؟ نعم، وعن القميصِ المُكفَّفِ بالديباجِ<sup>(١)</sup>.

[٨٨/ب] طريقُ آخرُ:

روى أبو إسحاق، عن الحارث، عن عليٍّ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَخْتَمِ الذَّهَبَ»<sup>(٢)</sup>.

وقد سبق الكلامُ على إسناده في بابِ لبسِ المُعَصِفِرِ.

طريقُ آخرُ:

روى جابرُ بنُ يزيدَ الجُعْفِيُّ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ نُجَيْيٍّ، عن عليٍّ قَالَ: نهاني رسولُ اللَّهِ ﷺ عن لبسِ خاتمِ الذَّهَبِ، وعن لبسِ الحريرِ والقَسِيِّ، وعن ركوبِ الميائِرِ، وعن الشُّربِ في الفِضَّةِ<sup>(٣)</sup>.

خرَّجَه الإسماعيليُّ، وفي روايةٍ له: وميائِرِ الحُمِرِ<sup>(٤)</sup>.

طريقُ آخرُ:

روى عليُّ بنُ المدينيِّ في كتابِ «العلل»، مِنْ روايةِ أبي بكرٍ الباغنديِّ عنه: حَدَّثَنَا يحيى بن حمَّادٍ، نا أبو عوانة، عن عطاءِ بنِ السَّائبِ، عن أبي جهضمٍ موسى بن سالمٍ: أَنَّ أبا جعفرٍ أَخْبَرَهُمْ، عن أبيه: أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ، عن عليٍّ بنِ أبي

(١) كتاب الإسماعيليِّ مفقود، وانفرد المصنف رحمه الله بذكر هذه الرواية.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٢٤٤).

(٣) تصحَّف في «مقدمة شرح علل الترمذي» (١/ ٢٨٣ - ط / الأردن) إلى: «السُّرَجُ الفضية» انبهت

عليه كيلا يتابع عليه كما فعل بعضهم!

(٤) انفرد بتقله المصنف رحمه الله.

طالب: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَهَاَهُ عَنْ ثَلَاثٍ، - قَالَ: لَا أُدْرِي أَحَاصَةَ أَمْ عَامَّةً لِلْمُسْلِمِينَ، -  
نَهَانِي أَنْ أَتَخَتَّمَ بِالذَّهَبِ، وَنَهَانِي أَنْ أَلْبَسَ الْقَسِيَّ، وَنَهَانِي أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا<sup>(١)</sup>.  
غَرِيبٌ جَدًّا<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجَه النَّسَائِيُّ، فِي «كِتَابِهِ الْكَبِيرِ» مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَمْزَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ  
السَّائِبِ، بِهِ.

وَقَالَ: خَالَفَهُ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، فَرَوَاهُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ عَلِيٍّ مُرْسَلًا، يَعْنِي:  
مُنْقَطِعًا. ثُمَّ خَرَّجَهُ مِنْ طَرِيقِهِ كَذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى عِمْرَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: نَهَانِي  
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتَخَتَّمَ بِالذَّهَبِ، وَأَنْ أَقْرَأَ وَأَنَا رَاكِعٌ، فَلَا أُدْرِي لِي خَاصَّةٌ أَوْ عَامَّةٌ<sup>(٤)</sup>.  
خَرَّجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ، وَعِمْرَانُ فِيهِ ضَعْفٌ، وَقَدْ خَالَفَ أَبُو عَوَانَةَ وَأَبَا حَمْزَةَ.  
طَرِيقٌ آخَرُ:

رَوَى بَشِيرُ بْنُ رِبِيعَةَ، عَنْ رَافِعِ بْنِ سَلَمَةَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ  
ﷺ أَنْ أَتَخَتَّمَ بِخَاتَمٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ أَلْبَسَ قَسِيَّةً، أَوْ أَفْتَرَشَ مِثْرَةً حُمْرَاءَ.  
خَرَّجَهُ الْإِسْمَاعِيلِيُّ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٦٠١) من طريق يحيى بن حماد بنحوه، ولم يذكر  
الذهب، وزاد ذكر الميثرة.

(٢) لتفرد عطاء به.

(٣) أخرجه النسائي (٩٤٩١) (٩٤٩٢).

(٤) انفرد المصنف رحمه الله بنقل لفظه، وأشار الداوقطني في «العلل» (٣٠٧) إلى سنده.

(٥) وأخرجه النسائي في «مسند علي» كما في «تهذيب الكمال» (٤ / ١٦٦). وهو في «فوائد أبي محمد  
الفاكهي» (١٦٤).

## طريق آخر

روى حجاج بن أُرطاة، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ثعلبة بن يزيد، عن عليّ قال: نهينا عن خاتم الذهب، وعن القسّي، وعن الميثرة<sup>(١)</sup>.

ثعلبة بن زيد، قال البخاري: فيه نظر<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عدي:، أراد في سماعه من عليّ، ووافق على ذلك، وقال: لم أر له حديثاً منكراً<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

## وأما حديث ابن عمر:

فمن طريق عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب، وجعل فصّه ممّا يلي باطن كفه، ونقش فيه: محمد رسول الله، فاتخذ الناس مثله، فلمّا رأهم قد اتخذوها رمى به، وقال: لا ألبسه أبداً، ثم اتخذ خاتماً من فضّة، واتخذ الناس خواتيم الفضّة.

قال ابن عمر: فلبس الخاتم بعد النبي ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، حتى وقع من عثمان في بئر أريس.

خرّجه البخاري بهذا اللفظ، وخرّج مسلم بمعناه<sup>(٤)</sup>.

وخرّج مسلم من طريق اللّيث، عن نافع، عن ابن عمر قال: اصطنع رسول الله

(١) أخرجه أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٣٢٣).

(٢) «التاريخ الكبير» للبخاري (١٧٤ / ٢).

(٣) «الكامل» لابن عدي، ترجمة «ثعلبة بن يزيد».

(٤) أخرجه البخاري (٥٨٦٦)، ومسلم (٢٠٩١).

ﷺ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ، فَكَانَ يَجْعَلُ فَصَّهُ فِي بَاطِنِ كَفِّهِ إِذَا لَبَسَهُ، فَصَنَعَ النَّاسُ، ثُمَّ إِنَّهُ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ فَتَزَعَهُ فَقَالَ: «إِنِّي كُنْتُ أَلْبَسُ هَذَا الْخَاتِمَ وَأَجْعَلُ فَصَّهُ مِنْ دَاخِلٍ» فَرَمَى بِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ لَا أَلْبَسُهُ أَبَدًا، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ».

وخرَّجَه مسلمٌ، مِنْ طَرِيقٍ، عَنْ نَافِعٍ، بِنَحْوِهِ.

وَعِنْدَهُ مِنْ رِوَايَةِ عُقْبَةَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ: وَجَعَلَهُ فِي يَدِهِ الْيُمْنَى<sup>(١)</sup>.

وخرَّجَه النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ الْمُعْتَمِرِ<sup>(٢)</sup> بْنِ زِيَادٍ، عَنْ نَافِعٍ، بِهِ، وَذَكَرَ فِي حَدِيثِهِ أَنَّهُ لَبَسَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ رَمَى بِهِ، فَلَا نَدْرِي مَا فَعَلَ<sup>(٣)</sup>.

وخرَّجَه أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ نَافِعٍ، وَقَالَ فِيهِ: فَاتَّخَذَ خَاتِمًا مِنْ فَضَّةٍ، فَكَانَ يَخْتَمُّ بِهِ وَلَا يَلْبَسُهُ<sup>(٤)</sup>.

طَرِيقٌ آخَرُ:

رَوَى مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ ابْنِ عُمرَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَلْبَسُ خَاتِمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَنَبَذَهُ، فَقَالَ: «لَا أَلْبَسُهُ أَبَدًا»، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ. خَرَّجَه الْبُخَارِيُّ<sup>(٥)</sup>.

(١) هذا كله في مسلم (٢٠٩١).

(٢) كذا بخط المصنف، وصوابه: المغيرة بن زياد، وهو البجلي الموصلي، وليس في رجال الستة: المعتمر بن زياد، أو: المعمر بن زياد.

(٣) أخرجه النسائي (٥٢١٧).

(٤) أخرجه النسائي (٥٢١٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥٨٦٧).

[٨٩/أ] طريق آخر:

روى خالد بن أبي بكر، عن سالم، عن أبيه، أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب، ثم نظر إليه في يده، فرمى به، وأعرض عنه<sup>(١)</sup>.

خرجه ابن أبي عاصم، وخالد فيه ضعف.

حديث آخر:

روى يزيد بن أبي زياد، عن الحسن بن سهيل، عن ابن عمر قال: نهى رسول الله ﷺ عن خاتم الذهب.

خرجه ابن ماجه<sup>(٢)</sup>.

طريق آخر:

روى عبد الجبار بن العلاء، عن ابن عيينة، عن عمرو، عن طاوس، عن ابن عمر، أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب، ثم رمى به.

وغير عبد الجبار، يرويه، عن ابن عيينة، عن عمرو، عن طاوس مرسلاً، وهو الصواب، قاله الدارقطني<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرج نحوه عن خالد: الترمذي في «العلل الكبير» (٥٢٧) وقال: سألت محمداً عن هذا الحديث فلم يعرفه، وقال: خالد بن أبي بكر منكر الحديث.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٦٤٣).

(٣) «العلل» للدارقطني (٣٠٤٥).

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ:

فَمِنْ طَرِيقِ شُعْبَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهْيِكَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ نَهَى عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ.  
خَرَّجَاهُ فِي الصَّحِيحِينَ<sup>(١)</sup>.

وخرَّجَه النَّسَائِيُّ، مِنْ طَرِيقِ: حَجَّاجِ بْنِ حَجَّاجٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ بَشِيرِ بْنِ نَهْيِكَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: نَهَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

وَأَمَّا حَدِيثُ مُعَاوِيَةَ:

فَمِنْ طَرِيقِ عُمَرَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ أَبِي حُسَيْنٍ، حَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ - رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ - أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْمَنْبَرِ يَقُولُ: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ لِبَسِ الْحَرِيرِ وَخَاتَمِ الذَّهَبِ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

وَفِي الْبَابِ أَيْضاً مِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ التِّرْمِذِيُّ: عَنْ عُمَرَ، وَأَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ - غَيْرِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ - وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَجَابِرٌ، وَبُرَيْدَةُ، وَأَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَعَائِشَةُ، وَرَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ. وَيُرْوَى عَنْ أَبِي قَتَادَةَ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٥٨٦٤)، ومسلم (٢٠٨٩).

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٧٤).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٨٧٢) ولفظه: «نهى عن لبس الذهب والحريز». و(١٦٩٢٣) ولفظه: «عن حلي الذهب ولبس الحريز».

(٤) «ويروى عن أبي قتادة» جاء في الحاشية، ولم أجد إشارة إلى أي لحق، ولعل هذا الموضع أليق به.

أَمَّا حَدِيثُ عُمَرَ:

فَمِنْ طَرِيقِ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، أَنَا عَمَّارُ بْنُ أَبِي عَمَّارٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى فِي يَدِ رَجُلٍ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «أَلْقِ ذَا» فَأَلْقَاهُ، فَتَخْتَمَ بِخَاتَمٍ مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ: «ذَا شَرُّ مِنْهُ»، فَتَخْتَمَ بِخَاتَمٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَسَكَتَ عَنْهُ.

خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>، وَهُوَ مُنْقَطِعٌ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - بَيْنَ عَمَّارٍ وَعُمَرَ.

وَقَدْ رَوَاهُ مَنْصُورُ بْنُ سُقَيْرٍ الْحَرَّانِيُّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ عَمَّارٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَصَّلَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَمَنْصُورُ بْنُ سُقَيْرٍ<sup>(٣)</sup>، قَالَ الْعُقَيْلِيُّ: فِي حَدِيثِهِ وَهْمٌ، وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ الْمُنْقَطِعَ أَصَحُّ. قَدْ رَوَى هَذَا الْمَعْنَى عَنْ عُمَرَ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ مُوقُوفًا عَلَيْهِ غَيْرَ مَرْفُوعٍ، وَهُوَ أَشْبَهُ<sup>(٤)</sup>.

\*\*\*

[٩٠/ب] وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ:

فَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ وَهَبٍ، أَخْبَرَنِي عُمَرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ بَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ، أَنَّ أَبَا النَّجِيبِ<sup>(٥)</sup> حَدَّثَهُ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ حَدَّثَهُ، أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ نَجْرَانَ، وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «إِنَّكَ جِئْتَنِي وَفِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ». خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ<sup>(٦)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٣٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْعُقَيْلِيُّ فِي «الضَعْفَاءِ» (٤ / ١٩٢).

(٣) وَيُقَالُ: صُقَيْرٌ بِالصَّادِ أَيْضًا.

(٤) مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ وَهَبٍ فِي «الْجَامِعِ» (٥٩٤)، (٥٩٥).

(٥) كَتَبَ الْمَصْنَفَ أَوَّلًا: «الْبَخْتَرِيُّ» ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيْهِ فَكُتِبَ «النَّجِيبُ».

(٦) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥١٨٨).

وخرَّجَه أيضاً مِنْ طريقِ اللَّيْثِ بنِ سَعْدٍ، عن عمرو بنِ الحارثِ بهذا الإسنادِ، ولفظه: قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْبَحْرَيْنِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي يَدِهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَجَبَّةٌ حَرِيرٌ، فَأَلْقَاهُمَا، ثُمَّ سَلَّمَ، فَردَّ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَتَيْتُكَ آفِئَةً فَأَعْرَضْتَ عَنِّي، قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ فِي يَدِكَ جَمْرَةٌ مِنْ نَارٍ»، قَالَ: لَقَدْ جِئْتُ إِذَا بِجَمْرٍ كَثِيرٍ، قَالَ: «إِنَّ مَا جِئْتَ بِهِ لَيْسَ بِأَغْنَى...»<sup>(١)</sup> مِنْ حِجَارَةِ الْحَرَّةِ، وَلَكِنَّهُ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قَالَ: فَمَاذَا أَتَخْتَمُّ؟ قَالَ: «حَلَقَةٌ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ وَرَقٍ، أَوْ صُفْرٍ»<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجَه ابنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» مُخْتَصِراً، وَعِنْدَهُ، عَنْ أَبِي النَّجِيبِ - مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمْرِو، عَنْ بَكْرِ، عَنْ أَبِي النَّجِيبِ مُرْسَلاً مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ أَبِي سَعِيدٍ.

\*\*\*

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ:

فَمِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهِيْعَةَ، عَنْ عِمَارَةَ بنِ غَزِيَّةَ، عَنْ سُمَيٍّ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاَنْطَلَقَ فَلَبَسَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، ثُمَّ جَاءَ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَاَنْطَلَقَ فَتَزَعَّه، وَلَبَسَ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ، فَأَقْرَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ.

خَرَّجَهُ الطَّحَاوِيُّ<sup>(٤)</sup>.

(١) ثمة حرفان فوق الكلمة بخط صغير جداً لم يتبين لي.

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٠٦). وفي المطبوع منه: «بأجزأ عنا».

(٣) أخرجه ابن حبان (٥٤٨٩) لكنه غير مختصراً

(٤) «شرح معاني الآثار» للطحاوي (٤ / ٢٦١).



وَأَمَّا حَدِيثُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو:

فَمِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُؤَمَّلِ، عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّهُ لَبَسَ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّهُ كَرِهَهُ، فَطَرَحَهُ، ثُمَّ لَبَسَ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ، فَقَالَ [١/٩١]: «هَذَا أَخْبَثُ وَأَخْبَثُ»، فَطَرَحَهُ، ثُمَّ لَبَسَ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ، فَسَكَتَ عَنْهُ.

خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(١)</sup>.

طَرِيقٌ آخَرُ:

رَوَى ابْنُ عَجَلَانَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ...، فَذَكَرَ مَعْنَى مَا قَبْلَهُ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي الْخَاتَمِ الْحَدِيدِ: «حِلْيَةُ أَهْلِ النَّارِ».

خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٢)</sup>.

وَخَرَّجَ الطَّبْرَانِيُّ بِهَذَا الْإِسْنَادِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ خَاتَمِ الذَّهَبِ، وَخَاتَمِ الْحَدِيدِ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ:

فَمِنْ طَرِيقِ بَحْرِ السَّقَاءِ، نَا أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى عَلَى رَجُلٍ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَى عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ النَّارِ»، وَرَأَى عَلَيْهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٦٩٧٧).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٦٥١٨) (٦٦٨٠).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٠٧٢).

خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: «مَا لِي أَرَى عَلَيْكَ حِلْيَةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ عَلَيْكُمْ بِالْوَرَقِ». خَرَّجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ، وَبَحَرُ السَّقَاءِ ضَعِيفُ الْحَدِيثِ<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وَأَمَّا حَدِيثُ بَرِيدَةَ:

فَقَدْ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ<sup>(٢)</sup> فِي بَابِ مَفْرَدٍ، وَسَيَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

\*\*\*

وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي ثَعْلَبَةَ:

فَمِنْ طَرِيقِ النُّعْمَانِ بْنِ رَاشِدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُسَنِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ فِي يَدِهِ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَقْرَعُهُ بِقُضَيْبٍ مَعَهُ، فَلَمَّا غَفَلَ النَّبِيُّ ﷺ أَلْقَاهُ، قَالَ: «مَا أَرَانَا إِلَّا قَدْ أَوْجَعْنَاكَ وَأَغْرَمْنَاكَ». خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ<sup>(٣)</sup>.

ثُمَّ خَرَّجَهُ مِنْ طَرِيقِ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو إِدْرِيسَ: أَنَّ رَجُلًا مِمَّنْ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ لَبَسَ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ... نَحْوَهُ.

قَالَ: وَحَدِيثُ يُونُسَ أَوْلَى بِالصَّوَابِ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ<sup>(٤)</sup>.

ثُمَّ خَرَّجَهُ مِنْ طَرِيقِ الْأَوْزَاعِيِّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى عَلَى رَجُلٍ خَاتِماً مِنْ ذَهَبٍ، نَحْوَهُ<sup>(٥)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي «الْكَامِلِ» تَرْجُومَةً بِحَرِّ بْنِ كَنْزِ السَّقَاءِ.

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (١٧٨٥) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٧٧٤٩) (١٧٧٥١)، وَالنَّسَائِيُّ (٥١٩٠).

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥١٩١).

(٥) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ (٥١٩٢).

وَمِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ مُرْسَلًا أَيْضًا<sup>(١)</sup>.  
وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى لَهُ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ مُرْسَلًا، مِنْ غَيْرِ ذِكْرِ  
أَبِي إِدْرِيسَ.

وَقَالَ: الْمَرَاسِيلُ أَشْبَهُ بِالصَّوَابِ<sup>(٢)</sup>.

وَنَقَلَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ فِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ رَاشِدٍ: هُوَ خَطَأٌ،  
إِنَّمَا هُوَ كَمَا رَوَاهُ يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ  
ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه النسائي (٥١٩٣).

(٢) أخرجه النسائي (٥١٩٤).

(٣) «علل الحديث» لابن أبي حاتم (١٤٤٨).

وهنا انقطع شرح هذا الباب مع آخر هذه الصفحة.

[قال الترمذي رحمه الله:

### باب ما جاء في خاتم الفضة

(١٧٣٩) حدثنا قتيبة، وغير واحد، عن عبد الله بن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس قال: كان خاتم النبي ﷺ من ورق، وكان قصه حبشياً. وفي الباب عن ابن عمر، وبريدة. هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه<sup>(١)</sup>.

[٨٩/ب] أمّا حديث أنس: فخرّجه مسلم، من طريق ابن وهب، عن يونس به<sup>(٢)</sup>. وخرّجه أيضاً من طريق طلحة بن يحيى الأنصاري، وسليمان بن بلال، كلاهما عن يونس به، ولفظ حديثهما: لبس رسول الله ﷺ خاتم فضة في يمينه فيه قص حبشي، كان يجعل قصه ممّا يلي كفه<sup>(٣)</sup>.

وكذا رواه يحيى بن نصر بن حاجب، عن يونس<sup>(٤)</sup>.

ورواه عثمان بن عمر<sup>(٥)</sup>، وخارجة بن مصعب<sup>(٦)</sup>، عن يونس، كما رواه عنه ابن وهب، من غير ذكر اليمين<sup>(٧)</sup>.

(١) ترك المصنف رحمه الله بياضاً في أول الصفحة يمكن أن يكتب فيه نص الباب، ويظهر أنه لم يسقط من أول الشرح شيء بحمد الله.

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٩٤).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٩٤).

(٤) أخرجه أبو عوانة في «مسنده» (٩٠٨٦) (٩٠٩٠).

(٥) سيأتي تخريجه.

(٦) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة خارجة بن مصعب السرخسي.

(٧) لم أجد هذا عند غير المصنف رحمه الله.

قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ فِي رَوَاتِهِ: يَعْنِي مِنَ الْحَجَارَةِ السُّودِ.

قَالَ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ «التَّفَرُّدِ»<sup>(١)</sup> بَعْدَ أَنْ خَرَّجَهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ وَهْبٍ: رَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ، عَنْ يُونُسَ، زَادَ فِيهِ: وَنُقِشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَاهُ طَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى الْأَنْصَارِيُّ، عَنْ يُونُسَ، وَزَادَ فِيهِ: فَلَبَسَهُ فِي يَمِينِهِ، فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ [بَيْنَ يَدَيْهِ] <sup>(٣)</sup> زِيَادَةُ عُثْمَانَ، وَطَلْحَةُ بْنُ يَحْيَى، وَهَؤُلَاءِ سَمِعُوا مِنْهُ بِالْحِجَازِ - يَعْنِي عُثْمَانَ وَطَلْحَةَ -، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: يُونُسُ مِنْ ثِقَاتِ أَصْحَابِ الزُّهْرِيِّ نَخَافُ أَنْ يَكُونَ وَهَمٌ فِي هَذَا.

وَقَدْ رُوِيَ حَدِيثُ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَنَسٍ بِسِيَاقٍ أَتَمَّ مِنْ هَذَا.

رَوَاهُ اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّهُ رَأَى فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَاتَمًا مِنْ وَرَقٍ يَوْمًا وَاحِدًا، ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اصْطَنَعُوا الْخَوَاتِيمَ مِنْ وَرَقٍ فَلَبَسُوهَا، فَطَرَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاتَمَهُ، فَطَرَحَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ. خَرَّجَهُ الْبُخَارِيُّ<sup>(٤)</sup>.

وَخَرَّجَهُ مُسْلِمٌ، مِنْ طَرِيقِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ سَعْدٍ، وَزِيَادِ بْنِ سَعْدٍ، كِلَاهُمَا، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، بِهِ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ الْبُخَارِيُّ بَعْدَ أَنْ خَرَّجَهُ مِنْ حَدِيثِ يُونُسَ: تَابَعَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ،

(١) كِتَابُ مَفْقُودٍ لِلْإِمَامِ أَبِي دَاوُدَ. وَهَذَا النُّقْلُ عَنْهُ عَزِيزٌ.

(٢) وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَهَ (٣٦٤١) وَالنَّسَائِيُّ (٥١٩٦) (٥٢٧٧).

(٣) كَلِمَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ لَمْ تَتَضَحَّ قِرَاءَتُهُمَا.

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٨٦٨).

(٥) «صَحِيحُ مُسْلِمٍ» (٢٠٩٣).

وزيادُ بنُ سعدٍ، وشُعيبٌ، عن الزُّهريِّ، وقال ابنُ مُساورٍ<sup>(١)</sup>، عن الزُّهريِّ: أرى: خاتماً مِنْ وَرَقٍ<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو داودَ بعد أن خرَّجَه مِنْ طريقِ إبراهيم بنِ سعدٍ: رواه عن الزُّهريِّ: زيادُ بنُ سعدٍ، وشُعيبٌ، وابنُ مُسافرٍ، كلُّهم قال: مِنْ وَرَقٍ<sup>(٣)</sup>.

وخرج ابنُ أبي عاصمٍ في «كتابِ اللَّباسِ»، نا محمَّدُ بنُ مسكينٍ، نا عبدُ الله بنُ صالحٍ، نا الليثُ، عن عبدِ الرَّحْمَنِ بنِ خالدٍ، عن الزُّهريِّ، عن أنسٍ: أنَّه رأى في إصبعِ رسولِ الله ﷺ خاتماً مِنْ ذهبٍ قال: فاصطنعَ النَّاسُ خواتيمَ مِنْ ذهبٍ فلَبِسوها، فطرحَ رسولُ الله ﷺ خاتمَه، فطرحَ النَّاسُ خواتيمَهم<sup>(٤)</sup>.

وذكر الدَّارِقُطْنِيُّ في «العلل»: أنَّ المحفوظَ عن ابنِ جريجٍ، عن زيادِ بنِ سعدٍ، هو هذا اللَّفْظُ أيضاً، أعني: ذكرَ الخاتمِ مِنْ ذهبٍ<sup>(٥)</sup>.

[٩٠/١] وقال ابنُ عبدِ البرِّ في حديثِ الزُّهريِّ، عن أنسٍ، أنَّه رأى في يدِ النَّبيِّ ﷺ خاتماً مِنْ وَرَقٍ يوماً واحداً.. الحديثُ، قال: رواه عنه إبراهيم بنُ سعدٍ، ويونس، وموسى بنُ عقبة، وابنُ أبي عتيق.

قال: وهذا غلط عند أهل العلم، والمعروفُ أنَّه إنما نبذَ خاتماً مِنْ ذهبٍ لا مِنْ وَرَقٍ<sup>(٦)</sup>.

(١) كذا سبق بخط المصنف رحمه الله، وصوابه: «ابن مسافر» وسيأتي على الصواب.

(٢) عقب الحديث (٥٨٦٨).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢١٨).

(٤) انفرد المصنف رحمه الله بنقله.

(٥) «العلل» للدارقطني (١٢ / ١٧٦).

(٦) «التمهيد» لابن عبد البر (١٠ / ٤٦٧ - ٤٦٨).

وقال البيهقي: يُشبهُ أن يكونَ ذكرُ الورقِ في هذا الحديثِ وهما سبقَ إليه لسانُ الزُّهرِيِّ، فحكَّوه عنه على التَّوَهُّمِ، فسائرُ الرِّوَايَاتِ عن أنسٍ، ثمَّ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةُ عن ابنِ عُمَرَ تدلُّ على أنَّ الذي طرَّحه هو الخاتمُ الذي اتَّخَذَهُ مِنْ ذَهَبٍ، وأنَّ الذي اتَّخَذَهُ مِنْ وَرَقٍ كان في يده حتَّى مات<sup>(١)</sup>.

قال: وذكرُ اليمينِ في الخاتمِ الذي اتَّخَذَهُ مِنْ فضَّةٍ غيرُ مَحْفُوظٍ في سائرِ الرِّوَايَاتِ، وإنَّما هو في الخاتمِ الذي اتَّخَذَهُ مِنْ ذَهَبٍ ثُمَّ طرَّحه<sup>(٢)</sup>، انتهى.  
ولأنَّسٍ أحاديثُ أخرى [.....]<sup>(٣)</sup>، تُذكرُ في مواضعها إن شاء الله.

\*\*\*

وأما حديثُ ابنِ عُمَرَ:

فقد تقدَّم في البابِ الماضي [.....]<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

[وأما حديثُ]<sup>(٥)</sup> بريدة:

فقد خرَّجَه التِّرْمِذِيُّ في بابِ مفردٍ، وسيأتي في موضعه إن شاء الله<sup>(٦)</sup>.  
وقد تقدَّم في البابِ الماضي أحاديثُ مُتَعَدِّدَةٌ في خاتمِ الورقِ أيضاً.

(١) «الجامع في الخاتم» (٢).

(٢) «الجامع في الخاتم» (١).

(٣) طمس في الأصل، لعل تقديره: «عن النبي».

(٤) طمس في الأصل. وقد سبق في الباب الماضي ذكر الحديث وطرقه.

(٥) مطموسة في الأصل، ولعل المثبت هو المراد.

(٦) في باب ما جاء في خاتم الحديد (١٧٨٥). وقال حديث غريب.

وروى عمرُ بنُ شُبَّةٍ في كتابِ «أدبِ الكتَّابِ» له، نا عبدُ اللهِ بنُ رجاءٍ، أنا إسرائيلُ، عن مسلمٍ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كان خاتَمُ النَّبِيِّ ﷺ حلقةً فضَّةً<sup>(١)</sup>.  
حدثنا هارونُ بنُ عُمَرَ، نا عبدُ الملكِ بنُ بُذَيْلٍ، نا شعيبُ صاحبُ الطَّيَالِسَةِ قَالَ: سمعتُ محمَّدَ بنَ سيرينَ يقولُ: سمعتُ أبا هريرةَ يقولُ: رأيتُ خاتمَ النَّبِيِّ ﷺ فضَّةً<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

وقد اختلفَ العلماءُ في لبسِ الخاتمِ مِنْ فضَّةٍ:

فذهبَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَى إِباحَتِهِ.

قَالَ أَحْمَدُ: ليس به بأسٌ<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ أَصْحَابِنَا مَنْ قَالَ: إِنْ كَانَ يَقْصِدُ بِهِ التَّزِينَ فَقَطْ، فَتَرْكُهُ أَوْلَى، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِكَرَاهِيَتِهِ حَيْثُذ.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: يُسْتَحَبُّ لِبْسُهُ، وَهُوَ وَجْهٌ لِأَصْحَابِنَا أَيْضاً<sup>(٤)</sup>.

وَذَكَرَ مَالِكٌ، عَنْ صَدَقَةَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ عَنِ الْخَاتَمِ، قَالَ: الْبَسَهُ وَأَخْبِرِ النَّاسَ أَنِّي أَمَرْتُكَ بِذَلِكَ<sup>(٥)</sup>.

وَخَرَجَ النَّسَائِيُّ مِنْ طَرِيقِ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ صُهَيْبٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ اتَّخَذَ حَلَقَةً مِنْ فَضَّةٍ، وَقَالَ: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصُوغَ عَلَيْهِ فَلْيَفْعَلْ، وَلَا تَنْقُشُوا عَلَى نَقِشِهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) نقل عزيز من كتاب مفقود انفرد به المصنف رحمه الله.

(٢) نقل عزيز من كتاب مفقود انفرد به المصنف رحمه الله.

(٣) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٤ / ١٤٩)، و«الأدب الشرعي والمنح المرعية» لابن مفلح (٣ / ٥٣١).

(٤) وقد أشبع المصنف المسألة في كتابه «أحكام الخواتم».

(٥) «الموطأ» للإمام مالك (٢ / ٩٣٦).

(٦) أخرجه النسائي (٥٢٠٧).



## نُقُولٌ مِنْ «شرح الترمذي» لابن رجب

١- نقل منه المرداوي في «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» (٢/ ٣٨١) مسألة واحدة، قال:

«قال ابن رجب في «شرح الترمذي»: إنما قال أبو إسحاق - يعني: ابن شاقلا - ينوي جمعةً ويتمها أربعاً، وهي جمعة لا ظهر، لكن لما قال: يتمها أربعاً... ظنَّ الأصحاب أنها تكون ظهراً، وإنما هي جمعة.

قال ابن رجب: وأنا وجدتُ له مصنفاً في ذلك، لأن صلاة الجمعة كصلاة العيد، فصلاة العيد إذا فاتته صلاتها أربعاً. انتهى».

٢- ونقل المرداوي في «التحبير شرح التحرير» (٤/ ١٥٢٨):

«وقال ابن رجب في آخر «شرح الترمذي»: وأما ما روي من قول الإمام أحمد: من ادّعى الإجماع فقد كذب! فهو إنما قاله إنكاراً على فقهاء المعتزلة، الذين يدّعون إجماع الناس على ما يقولونه، وكانوا من أقل الناس معرفة بأقوال الصحابة والتابعين».

٣- ونقل المرداوي في «التحبير شرح التحرير» (٧/ ٣٤٨٠) أيضاً:

«قال ابن رجب في آخر «شرح الترمذي»: قال أحمد للميموني: خصلتان ينبغي أن يتهيب الكلام: المجلل والقياس، فمن تكلم في الفقه يجتنبهما، فإني أراهما يحملان الرجل على ما يارغب له عنه. انتهى.

قال ابن رجب: فتنازع أصحابنا في معناه:

فقال بعض المتقدمين والمتأخرين كأبي الخطاب وغيره: هذا يدل على المنع في استعمال القياس في الأحكام الشرعية بالكلية.

وأكثر الأصحاب لم يثبتوا عن أحمد في العمل بالقياس خلافاً، كابن أبي موسى، والقاضي، وابن عقيل، وغيرهم.

قال ابن رجب: وهو الصواب.

ثم منهم من قال: أمر باجتناب القياس، إنما أراد به القياس المخالف للنص. وهذا ضعيف، ولأجل ضعفه حمل أبو الخطاب الرواية على نفي القياس جملة.

قال ابن رجب: والصواب أنه أراد اجتناب العمل بالقياس قبل البحث عن السنن والآثار، وعن القياس قبل إحكام النظر في استجماع شروط صحته، كما يفعله كثير من الفقهاء، ويدل على هذا وجوه...».

قال المرداوي: وذكرها...

\*\*\*



# الذُّلُّ وَالْأَنْكِسَارُ لِلْعَزِيزِ الْجَبَّارِ







مكتبة جامعة الرياض (س)





## بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي أحيا القلوب بذكره، فخشعت لجلاله، وخضعت لعظيم سلطانه، وذلت الجباه لعزته، وانكسرت النفوس لجبروته، والصلاة والسلام على إمام الخاشعين، الهادي إلى الخير، البشير النذير، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فهذه قاعدة نافعة في معنى الخشوع ولوازمه، وأسبابه ومقتضياته، وما يُوصل إليه، من العلم النافع، الذي يُباشر القلوب فيوجب لها السكينة والخشية، والإخبات والتواضع لله والانكسار له.

ذكر فيها المصنف رحمه الله ما يُثمره الخشوع في الصلاة - بأركانها وسننها وهيأتها - وفي الدعاء وآدابه.

والخشوع لا يقتصر على ذلك، فللزكاة أيضاً خشوعها ورؤية مِنَّةِ المنعم سبحانه عند أدائها.

وللصيام خشوعه، والشوق معه في ظمأ الهواجر إلى روضات الجنات ونعيمها ومائها وشرابها.

وللحج خشوعه، فهو مَجْمَعُ العبادات والطاعات، ولكل نسك من مناسكه خشوع، ولكل شعيرة منه فائدة وعائدة من الطواف حول البيت العتيق، واستلام

ركن البيت، ورؤية المقام، وشرب زمزم، والسعي بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، والإفاضة إلى المزدلفة، والمبيت بمنى، ورمي الجمار، ووداع البيت.

وللجهاد في سبيل الله خشوعه وخضوعه لإعلاء كلمة الله جل جلاله، والشوق إلى منازل الشهداء.

وعند أداء كل فريضة، واجتناب كل معصية: خشوع ينتج عن الصدق في تلك الطاعة والإخلاص فيها لله جل جلاله حتى يصير الخشوع صفةً للمؤمن يلازمه ملازمةً للقرب من مولاه.

اللهم فاجعلنا وأهلينا وذرائنا من الخاشعين والخاشعات بمنك وكرمك يا قريب يا مجيب.

\*\*\*

ذكر الكتاب للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥١)، وسماه: «الذل والانكسار»، وذكر له أيضاً: «قاعدة في الخشوع» (ص: ٥٠)، وهما اسمان لمسمى واحد، كما ينطق بذلك حال الكتاب، والله تعالى أعلم.

ونقل عنه السَّفَّاريني، وسماه «الذل والانكسار للعزیز الجبار» في «البحور الزاخرة» (٢/ ٧٥٠)، و«كشف اللثام شرح عمدة الأحكام» (٢/ ٣٥٥)، و«غذاء الألباب» (١/ ٣٣١).

\*\*\*

وقد اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على أربع نسخ خطية:

١- النسخة الأولى: نسخة الباهي في مكتبة شهيد علي باشا، ورمزها (ع).

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٥٤٣)، وتقع في (١٠) لوحات، وجاء في

أولها: «رسالة عملناها في الخشوع وانكسار القلب للرب»، وفي فهرس المجموع بأوله سماها: «مدح الخضوع» ناسخها: العالم الفاضل محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي.

وتاريخ نسخها: ٧ جمادى الأولى سنة ٧٨٧ بمصر، فقد كتبت في حياة المصنف.

٢- النسخة الثانية: نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام، ورمزها (م).

وهي الرسالة الثالثة من المجموع (١٧٤٢)، وجاء العنوان فيها: «الذل والانكسار للعزیز الجبار وهو الله جل جلاله»، وتقع في (٢٢) لوحة (من ٣٨/ ب إلى ٥٩/ أ).

ناسخها: أحمد بن محمد بن خضر القطان، أما تاريخ النسخ، فبعض رسائل المجموع ترجع إلى ٨٥٢. قال الناسخ: «تأليف شيخنا الإمام العالم الفاضل زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي تغمده الله برحمته». فهو من تلاميذ المصنف.

٣- النسخة الثالثة: نسخة شستريتي، ورمزها (ش).

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٣٢٩٢)، وتقع في (١٧) لوحة (من ٨٧/ ب إلى ١٠٣/ أ) مسطرتها: (١٦) سطرًا.

ناسخها: محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري، وتاريخ نسخ رسالة سبقتها في المجموع سنة ٧٩٦؛ أي بعد وفاة المصنف بسنة، وجاء العنوان فيها: «الذل والانكسار للعزیز الجبار» لكن بخط متأخر.

٤ - النسخة الرابعة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (س).

وهي الرسالة الأولى من المجموع (٢٦٧٤)، في (١٢) لوحة، مسطرتها (١٩) سطرًا.

بخط: عبد الله بن إبراهيم بن محمد الربيعي، تاريخ نسخها ١٣ ربيع الأول ١٣٣٣، وهي مصححة ومقابلة.

- ووقفنا على نسخة خامسة وهي: نسخة مكتبة الرياض السعودية.

وهي الرسالة الرابعة من المجموع (٥٢٧ / ٨٦)، وتقع في (٨) لوحات (من ٤٧ / ب إلى ٥٤ / أ)، وجاء العنوان فيها: «كتاب الذل والانكسار للعزیز الجبار».

ولم تتم المقابلة بها لتأخرها.

لم يذكر اسم ناسخها، وتاريخ نسخها: ١٣٣٦، وعليها بلاغات قراءة، وبعض تصحيحات.

\* تنبيه:

طُبِعَ الكتاب في عدد من طبعاته باسم: «الخشوع في الصلاة»، وهو عنوان أخص من حال الكتاب، ومما سماه به ابن عبد الهادي ولا يوجد في ما وقفت عليه من مخطوطات. والله تعالى أعلم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسِّرْ يَا كَرِيمَ

قال الحافظ العلامة زين الدين ابن الشيخ أبي العباس أحمد بن رجب أمد الله في عمره بالبركة، وَرَجَمَ سلفه آمين آمين آمين: هذه رسالة عملناها في الخشوع وانكسار القلب للرب<sup>(١)</sup>.

الحمد لله جابر قلوب المنكسرة قلوبهم من أجله، وغافر ذنوب المستغفرة<sup>(٢)</sup> لذنوبهم بفضله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا شيء كمثله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وخير<sup>(٣)</sup> بين أن يكون ملكاً نبياً أو عبداً رسولاً، فاختار مقام العبودية مع رُسُلِهِ، فكان يقول: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مسكيناً، وَأَمْتِنِي مسكيناً، واحشُرْني في زُمرَةِ المساكين»<sup>(٤)</sup>؛ لشرف هذا المقام وفضله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والمستمسكين من بعدهم بحبِّه.

(١) هذه المقدمة من (ع) وحدها.

(٢) في (س): «المستغفرين».

(٣) في (ع): «وخيره».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٢٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَدَحُ فِي كِتَابِهِ الْمُخْبِتِينَ لَهُ، وَالْمُنْكَسِرِينَ لِعَظَمَتِهِ وَالْخَاضِعِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْخَشِيعِينَ وَالْخَشِيعَاتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَوَصَفَ الْمُؤْمِنِينَ بِالْخُشُوعِ لَهُ فِي أَشْرَفِ عِبَادَاتِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا يُحَافِظُونَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿[المؤمنون: ١-٢].  
وَوَصَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ بِالْخُشُوعِ، حَيْثُ يَكُونُ لَهُمْ كَلَامُهُ سَبْحَانَهُ مَسْمُوعًا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿(١٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وَأَصْلُ الْخُشُوعِ: هُوَ لِينُ الْقَلْبِ، وَرِقَّتُهُ، وَسُكُونُهُ، وَخُضُوعُهُ، وَانْكَسَارُهُ، وَحُرْقَتُهُ، فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ تَبِعَهُ خُشُوعُ جَمِيعِ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ؛ لِأَنَّهَا تَابِعَةٌ لَهُ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ» (١). فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ خَشَعَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالرَّأْسُ وَالْوَجْهُ وَسَائِرُ الْأَعْضَاءِ وَمَا يَنْشَأُ مِنْهَا، حَتَّى الْكَلَامُ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ (٢) فِي الصَّلَاةِ: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعِظَامِي وَعَصْبِي» (٣).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢)، وَمُسْلِمٌ (١٥٩٩) مِنْ حَدِيثِ النِّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) أَشَارَ نَاسِخُ (س) إِلَى وَجُودِ نَسْخَةٍ فِيهَا: «وَسُجُودُهُ».

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٧٧١) وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ (٧٢٩) وَاللَّفْظُ لَهُ. مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسَقَطَ مِنَ النِّسْخِ كُلِّهَا: «وَعَصْبِي»، وَهُوَ لِحَقِّ فِي (س) مُوَافِقٌ لِمَا فِي الْمَصَادِرِ.

وفي رواية: «وما استقلتُ به قَدَمي»<sup>(١)</sup>.

ورأى بعضُ السَّلَفِ رجلاً يعبثُ بيده في صلاته، فقال: «لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَذَا لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ».

وَرَوَى ذَلِكَ عَنْ حُذَيْفَةَ<sup>(٢)</sup>، وسعيد بن المسيب<sup>(٣)</sup>، ويُروى مرفوعاً، لكنَّ بِإِسْنَادٍ لَا يَصِحُّ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الْمَسْعُودِيُّ عَنْ أَبِي سِنَانٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، قَالَ: هُوَ الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَأَنْ تُلَيِّنَ كَتَفَكَ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، وَأَنْ لَا تَلْتَفِتَ فِي صَلَاتِكَ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ عَنْ رَجُلٍ، عَنْ عَلِيٍّ: الْخُشُوعُ خُشُوعُ الْقَلْبِ، وَأَنْ لَا تَلْتَفِتَ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا<sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]، قَالَ: خَائِفُونَ سَاكِنُونَ<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٩٦٠)، وابن حبان (١٩٠١).

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥٠).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٨٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٦٨٥٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣٣٠٨)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥١).

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٨٢٤) و(١٣٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، ونبه المصنف أنه «لا يصح».

(٥) أخرجه وكيع في «الزهد» (٣٢٨)، وابن المبارك في «الزهد» (١١٤٨)، والطبري في «تفسيره» (٩/١٧).

(٦) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٩). وفي (ش) و(س): «وشمالاً».

(٧) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/١٠).



وَقَالَ ابْنُ شَوْذَبٍ: عَنِ الْحَسَنِ: كَانَ الْخُشُوعُ فِي قُلُوبِهِمْ، فَغَضُّوا لَهُ الْبَصَرَ، وَخَفَضُوا لَهُ الْجَنَاحَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ مَنْصُورٌ: عَنْ مُجَاهِدٍ: هُوَ الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ، وَالسُّكُونُ فِي الصَّلَاةِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ لَيْثٌ: عَنْ مُجَاهِدٍ: مِنْ ذَلِكَ خَفَضَ الْجَنَاحَ، وَغَضَّ الْبَصَرَ<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ إِلَى الصَّلَاةِ خَافَ رَبَّهُ أَنْ يَلْتَفِتَ عَنْ يَمِينِهِ أَوْ شِمَالِهِ.

وَقَالَ عَطَاءُ الْخُرَّاسَانِيُّ: الْخُشُوعُ خُشُوعُ الْقَلْبِ وَالطَّرْفِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: هُوَ سُكُونُ الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ<sup>(٥)</sup>.

وَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ هُوَ الْخَوْفُ، وَغَضُّ الْبَصَرِ فِي الصَّلَاةِ<sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي نَجِيحٍ: عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَاثُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾

[الأنبياء: ٩٠]، قَالَ: مُتَوَاضِعِينَ<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧ / ٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١١٤٩)، والطبري في «تفسيره» (١٧ / ٩). وليس عندهما الجملة الأولى منه.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤ / ٣٨٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤٢٣) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

(٤) «تفسير عطاء الخراساني» (٢٧٩) ضمن جزء فيه «تفسير القرآن» برواية أبي جعفر الترمذي.

(٥) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٩٥٣)، والطبري في «تفسيره» (١٧ / ٨).

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١٠ / ٥٥٩)، والذي في الطبري (١٧ / ٩) قوله: الخشوع في القلب.

(٧) هو في «تفسير مجاهد» (ص: ٤٧٤).

وقد وصف الله سبحانه في كتابه الأرض بالخشوع، فقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩]، فاهتزأها وربوها - وهو ارتفاعها - مُزِيلٌ لخشوعها<sup>(١)</sup>.

فدلَّ على أنَّ الخشوع الذي كانت عليه هو سكونها وانخفاضها، وكذلك القلب إذا خشع، فإنه تسكنُ خواطره وإراداته الرديئة التي تنشأ من اتباع الهوى، وينكسر ويخضع لله عز وجل، فيزول بذلك ما كان فيه من البأو<sup>(٢)</sup> والترفع والتعظيم والتكبر، ومتى سكن ذلك في القلب خشعت الأعضاء والجوارح والحركات كلها، حتى الصَّوت.

وقد وصف الله الأصوات بالخشوع في قوله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، فخشوع الأصوات هو سكونها وانخفاضها بعد ارتفاعها.

وكذلك وصف وجوه الكفار وأبصارهم في يوم القيامة بالخشوع، فدلَّ ذلك على دخول الخشوع في هذه الأعضاء كلها.

ومتى تكلف الإنسان تعاطي الخشوع في جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخلوه منه، كان ذلك خشوع نفاق، وهو<sup>(٣)</sup> الذي كان السلف يستعيذون منه.

(١) في (س): «فاهتزأها وربوها هو ارتفاعها، وهو مزيل لخشوعها».

(٢) البأو: الفخر.

(٣) في (س): «وهذا».

كما قال بعضهم: استعيذوا بالله من خُشوعِ النِّفاقِ، قالوا: وما خُشوعُ النِّفاقِ؟ قال: أن ترى الجسدَ خاشعاً. والقلبُ ليس بخاشع<sup>(١)</sup>.

ونظرَ عمرُ رضي الله عنه إلى شابٍّ قد نكَّسَ رأسَه، فقال له: يا هذا! ارفعْ رأسَكَ، فإنَّ الخُشوعَ لا يزيدُ على ما في القلبِ، فمَنْ أظهرَ للنَّاسِ خُشوعاً فوقَ ما في قلبه فإنَّما هو نفاقٌ على نفاقٍ<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه من كلام أبي الدرداء رضي الله عنه: عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٤٣)، وابن أبي شيبه (٣٦٨٦١)، وأحمد بن حنبل في «الزهد» (٧٦٢)، ومن طريقه: البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦٧).

وروي نحوه مرفوعاً من حديث أبي بكر رضي الله عنه: عند الحكيم الترمذي في «نوادير الأصول» (٨٢٣)، (١٣٠٤). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٥٦٨).

وروي هذا المعنى عن جماعة من السلف رضي الله عنهم. (٢) أخرجه الدينوري في «المجالسة» (١٦٩١) (٣١٩١) ولفظه: «فإنما أظهر نفاقاً على نفاق»، ومن طريقه ابن الجوزي في «تلييس إبليس» (ص: ٢٥٨).

\* تنبيه: يُذكر في كتب الأدب: أن عمر رضي الله عنه نظر إلى رجلٍ مُظهِرٍ للنسكِ تماوت، فخفقه بالدرّة، وقال: «لا تُمِتْ علينا ديننا أمانك الله».

فأقدم من ذكره: المبرد في «الكامل» (١٢٢ / ٢)، وذكره أبو موسى المديني في «المجموع المغني» في غريب القرآن والحديث» (٢٤٠ / ٣)، وذكر أيضاً لفظاً آخره: أنه رأى رجلاً يمشي مطاطناً، فقال: «ارفع رأسك فإن الإسلام ليس بمریض».

ولم أجد لهما سنداً فيما رجعت إليه من المصادر. ولكن ذم التماوت أمر مقرر، وهو إظهار التخافت والتضاعف من العبادة والزهد والصوم، وهي صفة المرائي بنسكه الذي يتكلف التزمت وتسكين الأطراف كأنه ميت - انظر: «الفائق» للزمخشري (حزق)، و«النهاية» لابن الأثير (موت) - وورد في ذم التماوت حديث أبي سلمة: (لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحرّقين ولا تماوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أريد أحد منهم على شيء من أمر الله دارت حماليق عينيه كأنه مجنون). أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٥). المتحرّق: المتقبّض.

وأصل الخُشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله عزَّ وجلَّ، ومعرفة عظمته وجلاله وكماله، فمن كان بالله أعرفَ فهو له أخشعُ.

وتفاوتُ القلوبُ في الخُشوعِ بحسبِ تفاوتِ معرفتها لمنْ خشعتْ له، وبحسبِ تفاوتِ مشاهدةِ القلوبِ للصفاتِ المُقتضية للخُشوعِ:

فمنْ خاشعٍ لقوةِ مطالعتهِ لقُربِ الله منْ عبده، وإطلاعه على سرِّه وضميره المُقتضي للاستحياء منْ الله تعالى، ومُراقبته في الحركاتِ والسكناتِ.

ومنْ خاشعٍ لمُطالعتهِ لجلالِ الله وعظمته وكبريائه المُقتضي لهيئته.

ومنْ خاشعٍ لمُطالعتهِ لكماله وجماله المُقتضي للاستغراق في محبته، والشوق إلى لقائه ورؤيته.

ومنْ خاشعٍ لمُطالعتهِ شدةَ بطشه وانتقامه وعقابه المُقتضي للخوفِ منه.

وهو سبحانه وتعالى جابرُ القلوبِ المُنكسرة لأجله، وهو سبحانه وتعالى يتقربُ منْ القلوبِ الخاشعة له، كما يتقربُ ممنْ هو قائمٌ يُناجيه في الصلاة، وممنْ يُعفِّرُ له وجهه في الترابِ بالسُّجودِ.

كما يتقربُ منْ وفده وزُوارِ بيته الواقفينَ بينَ يديه المُتضرِّعينَ إليه في الوقوفِ بعرفة، ويدنو ويأهي بهم الملائكة.

وكما يتقربُ منْ عباده الدَّاعينَ له السَّائلينَ له المُستغفرينَ منْ ذنوبهم بالأسحارِ، ويُجيبُ دُعاءهم، ويُعطِيهم سُؤلهم، ولا جبرَ لانكسارِ العبدِ أعظمُ منْ القُربِ والإجابة<sup>(١)</sup>.

(١) كتب في حاشية (س): «لعلها: والإجابة».

وروى الإمام أحمد في كتاب «الزهد» بإسناده عن عمران القصير قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: أي رب<sup>(١)</sup>! أين أبغيك؟ قال: ابغني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، إني أدنو منهم كل يوم باعاً، ولولا ذلك لانهدموا<sup>(٢)</sup>.

وروى إبراهيم بن الجنيّد في كتاب «المحبة» بإسناده عن جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار قال: قال موسى بن عمران عليه السلام: إلهي أين أبغيك؟ فأوحى الله عز وجل إليه: أن يا موسى! ابغني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، فإني أدنو منهم في كل يوم وليلة<sup>(٣)</sup> باعاً، ولولا ذلك لانهدموا.

قال جعفر: فقلت لمالك بن دينار: كيف المنكسرة قلوبهم؟ فقال: سألت الذي قرأ في الكتب، فقال: سألت الذي سأل عبد الله بن سلام فقال: سألت عبد الله بن سلام عن المنكسرة قلوبهم: ما يعني؟ قال: المنكسرة قلوبهم بحب الله عز وجل عن حب غيره<sup>(٤)</sup>.

وقد جاء في السنة الصحيحة ما يشهد لقرب الله من القلب المنكسر ببلائه، الصابر على قضائه، أو الراضي بذلك؛ كما في «صحيح مسلم» عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدني، قال: يا رب! كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبي فلاناً مرض فلم تعدّه؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟!»<sup>(٥)</sup>.

(١) في (س): «يا رب»، وأشار إلى نسخة موافقة للمثبت.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٩١)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦ / ١٧٧).

(٣) في كتاب «المحبة»: «أدنو منهم كل ليلة باعاً».

(٤) أخرجه أبو إسحاق الختلي وهو إبراهيم بن الجنيّد في «المحبة لله» (٦٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢ / ٣٦٤) مختصراً.

(٥) أخرجه مطولاً مسلم في كتاب البر والصلة (٢٥٦٩).

وروى أبو نعيم من طريق ضمرة، عن ابن شاذب قال: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أتدري لأي شيء اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي<sup>(١)</sup>؟ قال: لا، يا رب، قال: لأنه لم يتواضع لي أحد قط تواضعك<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

[الخشوع هو العلم النافع]

## فصل

وهذا الخشوع هو العلم النافع، وهو أول ما يرفع من العلم:

فخرج النسائي من حديث جبير بن نفير، عن عوف بن مالك: أن رسول الله ﷺ نظر إلى السماء يوماً، فقال: «هذا أوان يرفع العلم»، فقال رجل من الأنصار يقال له: زياد بن ليدي<sup>(٣)</sup>: يا رسول الله! يرفع<sup>(٤)</sup> العلم وقد أثبت ووعته القلوب؟ فقال له رسول الله ﷺ: «إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة»، وذكر له ضلالة اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله عز وجل، قال: فلقيت شذاد بن أوس، فحدثته بحديث عوف بن مالك، فقال: صدق عوف، ألا أخبرك بأول ذلك يرفع؟ قلت: بلى، قال: الخشوع حتى لا ترى خاشعاً<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ع): «وكلامي».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦ / ١٣٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١ / ٥٣). وهو من أخبار أهل الكتاب كما في «تاريخ دمشق» (٦١ / ١٠٠).

(٣) جاء هنا على الصواب. وفي كتاب النسائي: «ليدي بن زياد»، قال ابن حجر في «الإصابة» (٢ / ٤٨٥): «وقع في رواية النسائي: ليدي بن زياد، وهو مقلوب». والقلب ليس من النسائي بل ممن فوقه في السند، ونبه عليه الطحاوي.

(٤) في (ش): «ويرفع» وفي (س): «أيرفع».

(٥) أخرجه النسائي في كتاب العلم من «السنن الكبرى» (٥٨٧٨). والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٣٠١)، وابن حبان (٤٥٧٢).

وخرجه الترمذي من حديث جبير بن نفير، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ بنحوه، وفي آخره: قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء، ولو<sup>(١)</sup> شئت لحدثتك بأول علم يرفع من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع<sup>(٢)</sup> فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً<sup>(٣)</sup>.

وقد قيل: إن رواية النسائي أرجح<sup>(٤)</sup>.

وقد روى سعيد بن بشير، عن قتادة، عن الحسن، عن شداد بن أوس، عن النبي ﷺ قال: «أول ما يرفع من الناس الخشوع»، فذكره<sup>(٥)</sup>.

ورواه أبو بكر بن أبي مريم، عن صمرة بن حبيب مرسلاً<sup>(٦)</sup>.

وروي نحوه عن حذيفة من قوله<sup>(٧)</sup>.

فالعلم النافع هو ما باشر القلوب، فأوجب لها السكينة، والخشية، والإخبات لله عز وجل، والتواضع، والانكسار له.

(١) في (ش): «لو»، وفي الترمذي: «إن شئت».

(٢) في الترمذي: «مسجد جماعة». وفي (ع) و(م): «مسجد الجامع».

(٣) أخرجه الترمذي في العلم (٢٦٥٣) وقال: حديث حسن غريب.

(٤) مدار الطريقين على جبير بن نفير.

(٥) أخرجه الطبراني بهذا الإسناد والتمن في «مسند الشاميين» (٢٦٣٧)، وهو في «المعجم الكبير»

(٧١٨٣) من وجه آخر عن قتادة.

(٦) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٢)، والإمام أحمد في «الزهد» (٢٣٣٦).

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٩٥٤)، والإمام أحمد في «الزهد» (١٠٠٣)، والدولابي في

«الكنى والأسماء» (١٤٢٠).

وإذا لم يُبَاشِرِ القلوبَ ذلكَ مِنَ العلمِ<sup>(١)</sup>، وإنَّما كانَ على اللِّسانِ، فهو حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدمَ، تقومُ على صاحِبِهِ وغيرِهِ، كما قالَ ابنُ مسعودٍ: إِنَّ أَقْوَاماً يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ، فَرَسَخَ فِيهِ نَفْعٌ. خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ<sup>(٢)</sup>.  
وقالَ الحسنُ: العلمُ عِلْمَانِ: عِلْمٌ بِاللِّسَانِ، وَعِلْمٌ بِالْقَلْبِ، فَعِلْمُ الْقَلْبِ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَعِلْمُ اللِّسَانِ هُوَ حُجَّةُ اللهِ على ابنِ آدمَ<sup>(٣)</sup>.

وَرُوِيَ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلاً، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وَرُوِيَ عَنْهُ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعاً<sup>(٥)</sup>، وَعَنْهُ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً<sup>(٦)</sup>، وَلَا يَصِحُّ وَصْلُهُ.

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْعِلْمَ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِينَ مِنْ قَبْلِنَا مَوْجُودٌ بِأَيْدِيهِمْ، وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ مِنْهُ؛ لَمَّا فَقَدُوا<sup>(٧)</sup> الْمَقْصُودَ مِنْهُ، وَهُوَ وَصُولُهُ إِلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى يَجِدُوا حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ بِهِ وَمَنْفَعَتَهُ بِحُصُولِ الْخَشْيَةِ وَالْإِنَابَةِ بِهِ لِقُلُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ تَقَوْمٌ بِهِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ.

ولهذا المعنى وصفَ اللهُ سبحانه وتعالى في كتابه العلماءَ بالخشية؛ كما قالَ

(١) هنا لحق في حاشية (س): «النافع». وفي (م)، و(س): «القلب».

(٢) أخرجه مسلم (٨٢٢).

(٣) أخرجه الدارمي في «السنن» (٣٧٦).

(٤) أخرجه المروزي في زياداته على ابن المبارك في «الزهد» (١١٦١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه»

(٣٥٥٠٢)، والدارمي في «السنن» (٣٧٧) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥٠).

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٥ / ٥٦٨). ومن طريقه: ابن الجوزي في «العلل

المتناهية» (٨٨).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية» (٤٣). وابن الجوزي في

«العلل المتناهية» (٨٩)، وأورده ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١١٥١).

(٧) في (س): «عدموا».



تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَمَنْ هُوَ قَلْبُ عَائِثَةَ الَّتِي سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

ووصف العلماء من أهل الكتاب قبلنا بالخُشوع؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ سُجَّدًا﴾ (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

\*\*\*

## فصل

وقوله تعالى في وصف هؤلاء الذين أوتوا العلم: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩] مدح لمن أوجب له سماع كتاب الله الخُشوع في قلبه. وقال تعالى: ﴿قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٢) اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّتَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٢-٢٣].

ولين القلوب هو زوال قسوتها؛ بحدوث الخُشوع فيها والرقّة. وقد وبّخ الله من لا يخشع قلبه بسماع كتابه وتدبره، قال تعالى ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين. خرّجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وخرّجه غيره، وزاد فيه: فجعل المؤمنون يُعَاتِبُ بعضهم بعضاً<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٣٠٢٧).

(٢) هذه الزيادة لم أجد لها بهذا اللفظ فيما وقفت عليه من طرق هذا الحديث، وإنما ذكرها الثعلبي في =

وخرَجَ ابنُ ماجهٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: لَمْ يَكُنْ بَيْنَ إِسْلَامِهِمْ وَبَيْنَ أَنْ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ - يُعَاتِبُهُمُ اللَّهُ بِهَا - إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ سَمِعَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّالِحِينَ هَذِهِ الْآيَةَ تَتْلَى<sup>(٢)</sup>، فَأَثَرَتْ فِيهِمْ آثَاراً مُتَعَدِّدَةً:

فَمِنْهُمْ مَنْ مَاتَ عِنْدَ ذَلِكَ؛ لَانْصِدَاعِ قَلْبِهِ بِهَا<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْهُمْ مَنْ تَابَ عِنْدَ ذَلِكَ، وَخَرَجَ عَمَّا كَانَ فِيهِ<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ ذَكَرْنَا أَخْبَارَهُمْ فِي كِتَابِ

«الاستغناء بالقرآن»<sup>(٥)</sup>.

= «تفسيره» (٩ / ٢٤٠)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨ / ١٦٧).

وإنما أخرجها أبو يعلى (٥٢٥٦) عن ابن مسعود في هذا الحديث بلفظ: (وأقبل بعضنا على بعض: أي شيء أحدثنا؟ أي شيء صنعنا؟).

(١) أخرجه ابن ماجه في «الزهد» (٤١٩٢). ولم يذكر فيه ابن مسعود، لكن ابن الزبير إنما يرويه عن ابن

مسعود فهي راجعة إلى حديث ابن مسعود وليست حديثاً آخر فتكون من باب الشواهد!

(٢) في (س): «وقد سمعها كثير من الصالحين فبكوا»، وأشار في الحاشية إلى نسخة توافق المثبت.

ومن البكائين عند سماعها: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى يغلبه البكاء.

أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣١ / ١٢٧) من طريق أبي نعيم في «حلية الأولياء» (١ / ٣٠٥).

(٣) من ذلك ما ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٥ / ٤٤) من موت رجلين بعدما سمع كل منهما

هذه الآية.

(٤) وأشهرهم: الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى، وعبد الله ابن المبارك كما في «تاريخ دمشق»

(٣٢ / ٤٠٦) وجعفر بن حرب وكان من رجال السلطان كما في «صفة الصفوة» (٢ / ٤٦٩). ومن

المتأخرين: الشيخ سعد الدين الجبائي رحمه الله تعالى كما في ترجمة إبراهيم بن محمد الجبائي

- من أحفاده - في «خلاصة الأثر» للمحبي (١ / ٣٤).

(٥) وهو الاستغناء بالقرآن في تحصيل العلم والإيمان وذكره المصنف أيضاً في: «نزعة الأسماع»،

ولا نعلم وجوده، وقد اختصره الشيخ بحرق اليماني في كتاب سماه: «ذخيرة الإخوان»، وهذبه وزاد

عليه ابن المبرد يوسف بن عبد الهادي الحنبلي (ت ٩٠٩ هـ) في كتابه «هداية الإنسان إلى الاستغناء =

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

قال أبو عمران الجوني: والله لقد صرف إلينا ربنا في هذا القرآن ما لو صرفه إلى الجبال لحتتها وحنأها<sup>(١)</sup>.

وكان مالك بن دينار يقرأ هذه الآية ثم يقول: أقسم لكم لا يؤمن عبد بهذا القرآن إلا صدع قلبه<sup>(٢)</sup>.

وروي عن الحسن قال: يا ابن آدم! إذا وسوس لك الشيطان بخطيئة أو حدثت بها نفسك فاذكر عند ذلك ما حملك الله من كتابه مما لو حملته الجبال الرواسي لخشعت وتصدعت، أما سمعته يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾؟! [الحشر: ٢١].

فإنما ضرب لك الأمثال لتتفكر فيها، وتعتبر بها، وتزدجر بها عن معاصي الله عز وجل، وأنت يا ابن آدم أحق أن تخشع لذكر الله، وما حملك من كتابه، وآتاك من حكمه؛ لأن عليك الحساب، ولك الجنة أو النار.

وقد كان النبي ﷺ يستعيد بالله من قلب لا يخشع؛ كما في «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم: أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها»<sup>(٤)</sup>.

= بالقرآن». وقد تم تجريد واستخلاص كلام الحافظ ابن رجب من كتاب ابن عبد الهادي هذا، فجاء مجلداً حافلاً، وهو منشور ضمن هذا المجموع في المجلد السابع منه.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣١١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٨٥٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٨).

(٣) لم أجده عند غير المصنف.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

وقَدْ رُوِيَ نَحْوُهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ<sup>(١)</sup>.

وَيُرَوَّى<sup>(٢)</sup> عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: يَا عِيسَى! قَلْبٌ لَا يَخْشَعُ: عَمَلُهُ<sup>(٣)</sup> لَا يَنْفَعُ، وَصَوْتُهُ لَا يُسْمَعُ، وَدُعَاؤُهُ لَا يُرْفَعُ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ أَسَدُ بْنُ مُوسَى فِي كِتَابِ «الْوَرَعِ»<sup>(٥)</sup>: حَدَّثَنَا مَبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ قَالَ: كَانَ الْحَسَنُ يَقُولُ: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَمَّا جَاءَتْهُمْ هَذِهِ الدَّعْوَةُ صَدَّقُوا بِهَا، وَأَفْضَى يَقِينُهَا<sup>(٦)</sup> إِلَى قُلُوبِهِمْ، خَشَعَتْ لَذَلِكَ قُلُوبُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ، كُنْتَ وَاللَّهِ إِذَا رَأَيْتَهُمْ رَأَيْتَ قَوْمًا كَأَنَّهُمْ رَأْيِي عَيْنٍ، فَوَاللَّهِ مَا كَانُوا بِأَهْلٍ جَدَلٍ، وَلَا بَاطِلٍ، وَلَا تَجَلَّى إِلَى كِتَابِ اللَّهِ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ<sup>(٧)</sup>، وَلَكِنْ جَاءَهُمْ عَنِ اللَّهِ أَمْرٌ فَصَدَّقُوا

(١) ومنها: ما أخرجه أبو داود (١٥٤٣)، والنسائي (٥٥٣٦، ٥٥٣٧)، وابن ماجه (٢٥٠) (٣٨٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وما أخرجه الترمذي (٣٤٨٢) وقال: حسن صحيح غريب من هذا الوجه، والنسائي (٥٤٤٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وفيه: «أعوذ بك من هؤلاء الأربع».

وما أخرجه النسائي (٥٤٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

وما أخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٧٣٧) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في (س): «وروي».

(٣) في (س): «علمه».

(٤) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) لم يصلنا من كتب أسد بن موسى الأموي، أسد السنة، المتوفى (٢١٢هـ) رحمه الله إلا كتاب «الزهد»، وأما كتاب «الورع» وكتاب «العبادة» فلم يصل إلينا. والله أعلم.

(٦) في (س): «نفعها» وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٧) في (س) و(م): «تحلَّى»، ولم ترد في مصادر التخريج.

ولعل المعنى على ما أثبتناه أن يكون: ولا ظهر من أعمالهم ما لو عُرض على كتاب الله خالف ما في قلوبهم. وإذا قرئت الكلمة: «تحلَّى» فلعل المعنى أن يكون: ولا تَزَيَّنَ ظاهراً بما في كتاب الله مما =

به، فَنَعَتْهُمْ اللهُ فِي الْقُرْآنِ أَحْسَنَ نَعْتٍ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

قَالَ الْحَسَنُ: الْهَوْنُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: اللَّيْنُ وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ.

قَالَ: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، قَالَ: حُلُمَاءٌ لَا يَجْهَلُونَ، وَإِذَا جُهِلَ عَلَيْهِمْ حَلُمُوا، يُصَاحِبُونَ عِبَادَ اللَّهِ نَهَارَهُمْ بِمَا تَسْمَعُونَ<sup>(١)</sup>. ثُمَّ ذَكَرَ لَيْلَهُمْ خَيْرَ لَيْلٍ، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَمًا﴾ [الفرقان: ٦٤] يَنْتَضِبُونَ لِلَّهِ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَيَفْتَرِشُونَ وُجُوهَهُمْ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا تَجْرِي دُمُوعُهُمْ عَلَى خُدُودِهِمْ فَرَقًا مِنْ رَبِّهِمْ.

قَالَ الْحَسَنُ: لِأَمْرِ مَا أَسْهَرَ لَيْلَهُمْ<sup>(٢)</sup>، وَلِأَمْرِ مَا خَشَعَ لَهُ<sup>(٣)</sup> نَهَارُهُمْ.

قَالَ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] قَالَ: وَكُلُّ شَيْءٍ يُصِيبُ ابْنَ آدَمَ، ثُمَّ يَزُولُ عَنْهُ فَلَيْسَ بِغَرَامٍ، إِنَّمَا الْغَرَامُ اللَّازِمُ لَهُ مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ.

قَالَ: صَدَقَ الْقَوْمُ<sup>(٤)</sup>، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، فَعَمِلُوا وَلَمْ يَتَمَنَّوْا، فَإِيَّاكُمْ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - وَهَذِهِ الْأُمَانِي، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُعْطِ عَبْدًا بِالْأُمْنِيَةِ خَيْرًا قَطُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

= يخالف قلوبهم، والله أعلم.

(١) فِي (ش): «يَسْمَعُونَ»، وَفِي (س): «يَسْتَمْعُونَ»، وَفِي بَعْضِ مَطْبُوعَاتِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ: «تَسْمَعُونَ»، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِمَا فِي «تَفْسِيرِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ» وَ«ابْنِ كَثِيرٍ» وَ«الدَّرِّ الْمُنْثَوْر» وَلَعَلَّهُ هُوَ الصَّوَابُ، فَلِذَا اثْبَتْنَاهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٢) كَذَا جَمِيعُ النُّسخِ، وَفِي نَسْخَةِ أَزْهَرِيَّةِ بَرْقَمِ (١٢٧١٩): «أَسْهَرَهُمْ لَيْلَهُمْ».

(٣) فِي (س): «أَخْشَعَ»، وَفِي الْمَطْبُوعِ: «أَسْهَرُوا لَهُ لَيْلَهُمْ، وَلِأَمْرِ مَا خَشَعُوا لَهُ نَهَارَهُمْ»، وَفِي طَبْعَةِ أُخْرَى: «سَهَرُوا لَيْلَهُمْ» «خَشَعُوا نَهَارَهُمْ».

(٤) فِي (س): «صَدَقَ الْقَوْمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ» وَالْمُثَبِّتُ مُوَافِقٌ لِلْمَصَادِرِ. وَضَبَطْتُ فِي (ع): «صَدَّقَ».

وكان يقول: يا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة<sup>(١)</sup>.

[خشوع الأبدان في أنواع العبادات]

## فصل

وقد شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشئ عن خشوع القلب وذله وانكساره.

[الخشوع في الصلاة]

ومن أعظم ما يظهر فيه خشوع الأبدان لله تعالى من العبادات: الصلاة.

وقد مدح الله تعالى الخاشعين فيها بقوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢].

وقد سبق بعض ما قاله السلف في تفسير الخشوع في الصلاة.

وقال ابن لهيعة: عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبيرة: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي

(١) في (ع) بخط مغاير: «حياة لوعتها». أخرجه عبد بن حميد بطوله كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١١ / ٢٠٨)، وهو في «مختصر قيام الليل للمروزي» (ص: ٤٢) كذلك.

وأخرج مواضع منه، من وجوه عنه:

يحيى بن سلام في «تفسيره» (١ / ٤٨٩)، ومن طريقه: الطبري (١٧ / ٤٩٢).

وأيضاً: ابن المبارك في «الزهد» (١٢٠٦)، ووكيع في «الزهد» (٤١٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف»

(٣٦٣٦٦)، وأحمد في «الزهد» (١٥٨٢) (١٦٥٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢ / ٦٠٤)، وابن أبي

الدنيا في «الحلم» (١٠)، (١٩) وفي «صفة النار» (٢٠٥)، والطبري في «تفسيره» (١٧ / ٤٩٣ - ٤٩٤)،

وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٣٥٧) (١٥٣٦٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٠٩٤).

صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿[المؤمنون: ٢]﴾، يعني: مُتَوَاضِعِينَ، لَا يَعْرِفُ مَنْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلَا مَنْ عَنْ شِمَالِهِ، وَلَا يَلْتَفِتُ مِنَ الْخُشُوعِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ: عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قَالَ: الْقُنُوتُ الرُّكُودُ<sup>(٢)</sup>، وَالْخُشُوعُ غَضُّ الْبَصَرِ، وَخَفْضُ الْجَنَاحِ مِنْ رَهْبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ: وَكَانَ الْعُلَمَاءُ إِذَا قَامَ أَحَدُهُمْ فِي الصَّلَاةِ هَابَ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَشُدَّ نَظْرَهُ، أَوْ يَلْتَفِتَ، أَوْ يَقْلِبَ الْحَصَى، أَوْ يَعْبَثَ بِشَيْءٍ، أَوْ يُحَدِّثَ - يَعْنِي: نَفْسَهُ - بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا نَاسِيًا مَا دَامَ فِي صَلَاتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ مَنْصُورٌ: عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قَالَ: الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ<sup>(٤)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الصَّلَاةُ مَثْنَى مَثْنَى، تَشْهَدُ فِي كُلِّ رَكْعَتَيْنِ<sup>(٥)</sup>، وَتَخْشَعُ، وَتَضَرَّعُ،

(١) أخرجه الثعلبي في «تفسيره» (٧ / ٤٠). وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (١٢ / ٤٧) في تفسير سورة الأحزاب إلى ابن أبي حاتم.

(٢) في (ش) و(م): «الركون» وفي (س): «التؤدة». وفي «الزهد»: «الركوع»، والمثبت من (ع). «الركود» أي: السكون والثبات، وهو الموافق لما في «تفسير الطبري» (٤ / ٣٨١ - ٣٨٣).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٧٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣ / ٢٨٢). وأخرجه جماعة من طرق عن ليث. وفي «الحلية»: «أن يشد نظره» وأثبت كذلك في بعض مطبوعات الكتاب.

(٤) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢١ / ٣٢٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٣ / ٢٨٢).

(٥) في هامش (س): «ركعة»، وهو تصحيف.

وَتَمَسْكَنْ، وَتُقْنِعُ يَدَيْكَ»، يقول: «ترفعهُما إلى ربِّكَ عزَّ وجلَّ وتقول: يا ربَّ! يا ربَّ! ثلاثاً، فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَهِيَ خِدَاجٌ»<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح مسلم» عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما من امرئٍ مُسلمٍ تحضره صلاةٌ مكتوبةٌ، فيُحسِنُ وُضوءَها وخُشوعَها ورُكوعَها إلا كانت كفارةً لِمَا قَبْلَها مِنَ الذُّنُوبِ ما لَمْ تَوْتِ كبيرةً، وذلك الدهر كله»<sup>(٢)</sup>.

[وضع اليدين إحداهما على الأخرى حال القيام]

فَمِمَّا يَظْهَرُ فِيهِ الْخُشُوعُ وَالذُّلُّ وَالانكسارُ مِنْ أَفْعَالِ الصَّلَاةِ: وَضْعُ اليَدَيْنِ إحداهما على الأخرى في حال القيام.

وقد رُوِيَ عَنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْمُرَادِ بِذَلِكَ، فَقَالَ: هُوَ ذُلُّ بَيْنَ يَدَيْ عَزِيزٍ.

قال عليُّ بنُ مُحَمَّدٍ الْمَصْرِيُّ الْوَاعِظُ: ما سمعتُ في العلمِ بأحسنَ مِنْ هَذَا<sup>(٣)</sup>.  
ورُوِيَ عَنِ بَشِيرِ الْحَافِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى قَالَ: أَشْتَهِي مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَنْ أَضَعَ يَدَايَ عَلَى يَدَيْ الصَّلَاةِ، مَا يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَكُونَ قَدْ أَظْهَرْتُ مِنَ الْخُشُوعِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِي<sup>(٤)</sup> مثله<sup>(٥)</sup>.

وروى مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٩٩)، والنسائي في «الكبرى» (٦٩٩)، والترمذي في الصلاة (٣٨٥). ولفظ «فهي خداج» مدرج في هذه الرواية من رواية أخرى للحديث.

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٨).

(٣) أخرجه بنحوه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢١٣) بلفظ: «ذل بين يدي عز».

(٤) «قلبي» سقطت من النسختين، وأثبتت في (م) وحاشية (س). وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد».

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦ / ٥٧٦).



يُخْشِرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ صَنِيعِهِمْ فِي الصَّلَاةِ. وَفَسَّرَهُ بَعْضُ رُؤَاتِهِ فَقَبَضَ شِمَالَهُ بِيَمِينِهِ، وَانْحَنَى هَكَذَا<sup>(١)</sup>.

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ قَالَ: يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هَكَذَا، وَوَضَعَ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى<sup>(٢)</sup>.

وَمُلَاحَظَةُ هَذَا الْمَعْنَى فِي الصَّلَاةِ يُوجِبُ لِلْمُصَلِّي أَنْ يَتَذَكَّرَ وَقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْحِسَابِ.

كَانَ ذُو النُّونِ يَقُولُ فِي وَصْفِ الْعِبَادِ: لَوْ رَأَيْتَ أَحَدَهُمْ وَقَدْ قَامَ إِلَى صَلَاتِهِ، فَلَمَّا وَقَفَ فِي مُحَرَابِهِ، وَاسْتَفْتَحَ كَلَامَ سَيِّدِهِ خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَقَامَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَانْخَلَعَ قَلْبُهُ، وَذَهَلَ عَقْلُهُ. خَرَّجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ<sup>(٣)</sup>.

### [عدم الالتفات]

وَمِنْ ذَلِكَ: إِقْبَالُهُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَدَمُ التَّفَاتِهِ إِلَى غَيْرِهِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: عَدَمُ التَّفَاتِ قَلْبِهِ إِلَى غَيْرِ مَنْ هُوَ مُنَاجٍ لَهُ، وَتَفْرِيقُ الْقَلْبِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

وَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبَسَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ ذَكَرَ فَضْلَ الْوُضُوءِ وَثَوَابَهُ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّا هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ إِلَّا أَنْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) فِي النُّسخ: «بِقَبْضٍ»، وَالْمُثَبَّتُ مِنْ (م)، أَخْرَجَهُ الْمَرْوُزِيُّ فِي «تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ» (٣٣١)، وَالَّذِي فَسَّرَهُ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو النُّضَرِ هَاشِمُ بْنُ الْقَاسِمِ اللَّيْثِيُّ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْمَرْوُزِيُّ فِي «تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ» (٣٣٢).

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٩ / ٣٤٠).

(٤) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٨٣٢) فِي حَدِيثٍ أَوَّلِهِ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يَقْرُبُ وَضُوءَهُ...».

والثاني: عدم الالتفات بالبصر<sup>(١)</sup> يميناً وشمالاً، وقصر النظر على موضع السجود، وهو من لوازم الخشوع للقلب وعدم التفاته.

ولهذا رأى بعض السلف مُصَلِّياً يعبث في صلاته، فقال: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه. وقد سبق ذكره.

وخرج الطبراني من حديث ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يلتفت في صلاته عن يمينه وعن شماله<sup>(٢)</sup>، ثم أنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ٢]، فخشع رسول الله ﷺ فلم يكن يلتفت يمنة ولا يسرة<sup>(٣)</sup>.

ورواه غيره عن ابن سيرين مرسلاً، وهو أصح<sup>(٤)</sup>.

وخرج ابن ماجه من حديث أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كان الناس في عهد النبي ﷺ إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصره موضع قدميه، فتوفي رسول الله ﷺ، فكان أبو بكر، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يعد بصره موضع جبينه، فتوفي أبو بكر، فكان عمر، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي

(١) في (ش) و(س): «بالنظر».

(٢) في (ع) و(ش) و(م): «يساره». والمثبت من (س) موافق لما في الطبراني.

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٠٨٢). وروي مرفوعاً بلفظ آخر عند الحاكم (٣٩٣ / ٢)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٨٣ / ٢).

(٤) ذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٥٥٦ / ١٠) من أخرجه مرسلاً من وجوه عن ابن سيرين، فذكر منهم: سعيد بن منصور، وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، وأبا داود في «مراسيله» (٤٥)، والبيهقي في «الكبرى» (٢٨٣ / ٢)، وهو عند المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٣٧).

لَمْ يَغْدُ بَصْرُ أَحَدِهِمْ مَوْضِعَ الْقِبْلَةِ، وَكَانَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ فَكَانَتْ الْفِتْنَةُ، فَالتَفَتَ النَّاسُ يَمِينًا وَشِمَالًا<sup>(١)</sup>.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْاِلْتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ الْعَبْدِ»<sup>(٢)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والنسائيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَزَالُ اللَّهُ مُقْبِلًا عَلَى الْعَبْدِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا التَفَتَ انصَرَفَ عَنْهُ»<sup>(٣)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ مِنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ الْأَشْعَرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِنَّ، وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهِنَّ، فَذَكَرَ مِنْهَا: وَأْمُرْكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا»<sup>(٤)</sup>.

وَفِي الْمَعْنَى أَحَادِيثُ أُخْرَى مُتَعَدِّدَةٌ.

وَقَالَ عَطَاءٌ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِذَا صَلَّي أَحَدُكُمْ فَلَا يَلْتَفِتْ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، إِنَّ رَبَّهُ أَمَامَهُ، وَإِنَّهُ يُنَاجِيهِ فَلَا يَلْتَفِتْ.

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٤)، وفي (ع) و(م): «فتلفت الناس».

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٢١٥٠٨)، والنسائي في «المساجد» (١١٩٥)، وأبو داود في «الصلاة» (٩٠٦) واللفظ له.

(٤) أخرجه مطولاً الإمام أحمد (١٧١٧٠) واللفظ له، والترمذي في الأدب (٢٨٦٣). وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

وقال عطاء: بلغنا أن الربَّ عزَّ وجلَّ يقول: يا ابن آدم! إلى مَنْ تلتفتُ؟ أنا خيرٌ لكِ ممَّنْ تلتفتُ إليه.

وخرَّجه البزارُ وغيره مرفوعاً<sup>(١)</sup>، والموقوفُ أصحُّ<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو عمران الجونيُّ: أوحى الله عزَّ وجلَّ إلى موسى عليه السَّلامُ: يا موسى! إذا قُمتَ بين يديَّ، فقمْ مقامَ العبدِ الحقيرِ الذَّلِيلِ، وذمَّ نفسَكَ، فهي أولى بالذَّمِّ، وناجني بقلبٍ وجيلٍ، ولسانٍ صادقٍ<sup>(٣)</sup>.

### [الركوع]

ومن ذلك: الرُّكُوعُ، وهو ذلٌّ بظاهر الجسد، ولهذا كانت العربُ تأتفُّ منه ولا تفعله.

حتَّى بايع بعضهم النَّبيَّ ﷺ على أن لا يَخِرَّ إلا قائماً<sup>(٤)</sup>، يعني: أن يسجدَ من غير ركوع. كذلك فسَّره الإمامُ أحمدُ والمحققون من العلماء<sup>(٥)</sup>.

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨].

- 
- (١) زاد في (س): «وموقوفاً» والذين رووه موقوفاً هم غير البزار. وفي (ش) و(س): «بلغنا أن الله».
- (٢) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٢٧٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٤٥٧٢) موقوفاً على أبي هريرة رضي الله عنه، وآخره من كلام عطاء. وأخرجه مرفوعاً: البزار (٩٣٣٢) والعقيلي في «الضعفاء» (١ / ٧٠)، وابن عدي في «الكامل» (٥ / ٨٦).
- (٣) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٤٨)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦ / ٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١ / ١٤٨).
- (٤) أخرج الإمام أحمد في «المسند» (١٥٣١٢)، والنسائي (١٠٨٤) وغيرهما: أن حكيم بن حزام قال: بايعت رسول الله ﷺ على أن لا أخِرَّ إلا قائماً.
- (٥) ذكر ذلك عن الإمام أحمد: ابن قدامة في «المغني» (١٣ / ٢٥٥) في غير مظهره، وهذا التفسير لمعنى الحديث لم يذكره الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١ / ١٩٦).

وتَمَامُ الْخُضُوعِ فِي الرُّكُوعِ: أَنْ يَخْضَعَ الْقَلْبُ لِلَّهِ وَيَذَلَّ لَهُ، فَيَتَمَّ بِذَلِكَ خُضُوعُ الْعَبْدِ بِبَاطِنِهِ وَظَاهِرِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي وَمُخِّي وَعِظَامِي وَعَصْبِي وَمَا اسْتَقَلَّ بِهِ قَدَمِي»<sup>(١)</sup>؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ خُشُوعَهُ فِي رُكُوعِهِ قَدْ حَصَلَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا الْقَلْبُ الَّذِي هُوَ مِلْكُ الْأَعْضَاءِ وَالْجَوَارِحِ، فَإِذَا خَشَعَ الْقَلْبُ خَشَعَتِ الْجَوَارِحُ وَالْأَعْضَاءُ كُلُّهَا تَبَعاً لَهُ وَلِخُشُوعِهِ<sup>(٢)</sup>.

### [السجود]

وَمِنْ ذَلِكَ: السُّجُودُ، وَهُوَ أَعْظَمُ مَا يَظْهَرُ فِيهِ ذُلُّ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَيْثُ جَعَلَ الْعَبْدُ أَشْرَفَ مَا لَهُ مِنَ الْأَعْضَاءِ، وَأَعَزَّهَا عَلَيْهِ، وَأَعْلَاهَا حَقِيقَةً أَوْضَعَ مَا يُمَكِّنُهُ، فَيَضَعُهُ فِي التُّرَابِ مُتَعَفِّراً<sup>(٣)</sup>، وَيُتْبِعُ ذَلِكَ بَانْكَسَارِ الْقَلْبِ، وَتَوَاضِعِهِ، وَخُشُوعِهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

ولِهَذَا كَانَ جَزَاءُ الْمُؤْمِنِ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ أَنْ يَقَرِّبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَإِنْ «أَقْرَبَ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»؛ كَمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

وَالسُّجُودُ أَيْضاً مِمَّا كَانَ يَأْنِفُ مِنْهُ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) تقدم تخريجه في أول الرسالة. وفي المصادر: «وما استقلت».

(٢) في (ع): «تبعاً لخشوعه».

(٣) في (م): «على التراب متعفراً» وفي (س): «معفراً». والعفر: ظاهر تراب الأرض، وعفر الشيء:

إذا مرَّغ في التراب. (مقاييس اللغة) لابن فارس (مادة: عفر). وهو هنا كناية عن كمال الذل

والعبودية لله تعالى.

(٤) أخرجه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان بعضهم يقول: أكره أن أسجد فتعلوني استي<sup>(١)</sup>.

وكان بعضهم يأخذ كفاً من حصي فيرفعه إلى جبهته، ويكتفي بذلك عن السجود<sup>(٢)</sup>.

وإبليس إنما طرده الله عز وجل لما استكبر عن السجود لمن أمره الله بالسجود له.

ولهذا يبكي إذا سجد المؤمن<sup>(٣)</sup>، ويقول: أمر ابن آدم بالسجود ففعل، فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت، فلي النار<sup>(٤)</sup>.

ومن تمام خُشوع العبد لله عز وجل وتواضعه له في ركوعه وسجوده: أنه إذا ذلَّ لربه بالركوع والسجود، ووصف ربه حينئذ بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو، فكأنه يقول: الذَّلُّ والتواضع وضفي، والعلو والعظمة والكبرياء وضفك.

ولهذا شرع للعبد في ركوعه أن يقول: «سبحان ربِّي العظيم»، وفي سجوده: «سبحان ربِّي الأعلى».

(١) أخرج ذلك: ابن عدي في «الكامل» (٤ / ٤٠٥) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣ / ٨٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٤ / ١٦٥).

وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٧٧٦) من وجه آخر، وذكره المصنف في «فتح الباري» (٥ / ٣٠٢) وقال: أخرجه الإمام أحمد بإسناد فيه ضعف.

(٢) كما أخرج البخاري (١٠٦٧)، ومسلم (٥٧٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قرأ (النجم) بمكة، فسجد فيها، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفاً من حصي أو تراب، فرفعه إلى جبهته وقال: يكفيني هذا. والشيخ: هو أمية بن خلف الذي قُتل كافراً، كما في البخاري (٤٨٦٣).

(٣) في (س): «ابن آدم».

(٤) أخرجه مسلم (٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكان النبي ﷺ أحياناً يقول في سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ»<sup>(١)</sup> والجَبَرُوتِ والكِبَرِيَاءِ والعِظَمَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ورُويَ عنه ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَيْلَةً فِي سُجُودِهِ: «أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخِي دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَعَفَّرُ وَجْهِي فِي التُّرَابِ لِسَيِّدِي، وَحُقَّ لَوَجْهِ سَيِّدِي أَنْ تُعَفَّرَ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ»<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْحَسَنُ: إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقُمْ قَائِئِلاً كَمَا أَمَرَكَ اللَّهُ، وَإِيَّاكَ وَالسَّهْوَ وَالِالْتِفَاتَ أَنْ يَنْظُرَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَتَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهِ، وَتَسْأَلَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، وَتَعُوذَ بِهِ مِنَ النَّارِ وَقَلْبِكَ سَاهٍ، لَا تَدْرِي مَا تَقُولُ بِلِسَانِكَ. خَرَّجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمَرْوَزِيُّ<sup>(٤)</sup>.

وروى بإسناده عن عثمان بن أبي دَهْرَشٍ قَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى صَلَاةَ جَهَرَ فِيهَا بِالْقِرَاءَةِ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: «هَلْ أَسْقَطْتُ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ شَيْئاً؟»، قَالُوا: لَا نَدْرِي، فَقَالَ أَبِي بْنُ كَعْبٍ: نَعَمْ، آيَةٌ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُتْلَى عَلَيْهِمْ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَدْرُونَ مَا يُتْلَى مِنْهُ مِمَّا تُرِكَ؟ هَكَذَا خَرَجَتْ عِظَمَةُ اللَّهِ مِنْ قُلُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَشَهِدَتْ أَبْدَانُهُمْ، وَغَابَتْ قُلُوبُهُمْ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ عَبْدٍ عَمَلًا حَتَّى يَشْهَدَ بَقَلْبِهِ مَعَ بَدَنِهِ»<sup>(٥)</sup>.

(١) في (س): «ذِي الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ». وكانت مثبتة في (ش) ثم طُمست. ولا توجد في المصادر.

(٢) أخرجه من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه: أحمد (٢٣٩٨٠)، وأبو داود (٨٦٩)، والترمذي

في «الشماثل» (٣١٤)، والنسائي (١١٣٢) وغيرهم، بتقديم الجبروت على الملكوت.

(٣) أخرجه مطولاً: الطبراني في «الدعاء» (٦٠٦)، والدارقطني في «التزول» (٩٢)، والبيهقي في

«شعب الإيمان» (٣٥٥٧)، وفي «الدعوات الكبير» (٥٣١)، وفي «فضائل الأوقات» (٢٧) واللفظ

له، من حديث عائشة رضي الله عنها. يروى عنها من وجهين. والليلة هي ليلة النصف من شعبان.

(٤) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٤٠).

(٥) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٥٧). وعثمان بن أبي دهرش: تابعي.

والآثارُ في هذا المعنى كثيرةٌ جدًا.

ومرَّ عصامُ بنُ يوسفَ بحاتمِ الأصمِّ وهو يتكلَّمُ في مجلسه، فقال: يا حاتمُ تُحسِنُ تُصَلِّي؟ قال: نعم، قال: كيف تُصَلِّي؟ قال حاتمُ: أقومُ بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخلُ بالنية، وأكبرُ بالعظمة، وأقرأ بالترسل والتفكير، وأركعُ بالخشوع، وأسجدُ بالتواضع، وأجلسُ للتشهد بالتمام، وأسلمُ بالسبيل والسنة، وأسلمُها بالإخلاص إلى الله عزَّ وجلَّ، وأرجعُ على نفسي بالخوف، وأخافُ أن لا يُقبلَ مني، وأحفظُه بالجهدِ إلى الموتِ. قال: تكلَّم، فأنت تُحسِنُ تُصَلِّي<sup>(١)</sup>.

[الخشوع في الدعاء]

## فصل

ومن أنواع العبادات التي يظهرُ فيها الذُّلُّ والخضوعُ<sup>(٢)</sup> لله عزَّ وجلَّ: الدعاءُ.

قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

فيمَّا يظهرُ فيه الذُّلُّ من الدعاء: رفعُ اليدين.

وقد صحَّ عن النبي ﷺ رفعُ يديه في الدعاء في مواطن كثيرة، وأعظمُها في الاستسقاء، فإنه كان يرفعُ فيه يديه حتَّى يرى بياضَ إبطيه<sup>(٣)</sup>، وكذلك كان يجتهدُ في الرفعِ عشيةَ عرفةَ بعرفة<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨ / ٧٤).

(٢) في (س): «الخشوع والذل».

(٣) أخرجه البخاري (١٠٣١)، ومسلم (٨٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) أخرج النسائي (٣٠١١) من حديث أسامة بن زيد قال: كنت رديف النبي ﷺ بعرفات، فرفع يديه يدعو، فمالت به ناقته، فسقط خطامها، فتناول الخطام بإحدى يديه وهو رافع يده الأخرى.



وخرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَدْعُو بِعَرَفَةٍ وَيَدَاهُ إِلَى صَدْرِهِ كَأَسِطَطَعَامِ الْمَسْكِينِ<sup>(١)</sup>.

وَقَدْ كَانَ بَعْضُ الْخَائِفِينَ يَجْلِسُ بِاللَّيْلِ سَاكِتًا مُطَرِّقًا بِرَأْسِهِ<sup>(٢)</sup>، وَيَمْدُ يَدَيْهِ كَحَالِ السَّائِلِ<sup>(٣)</sup>. وَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ صِفَاتِ الذُّلِّ وَإِظْهَارِ الْمُسْكِنَةِ وَالْاِفْتِقَارِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: افْتِقَارُ الْقَلْبِ فِي الدُّعَاءِ، وَانْكَسَارُهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْتِشْعَارُهُ شِدَّةَ الْفَاقَةِ إِلَيْهِ وَالْحَاجَةِ، وَعَلَى قَدْرِ هَذِهِ الْحُرْقَةِ وَالْفَاقَةِ تَكُونُ إِجَابَةُ الدُّعَاءِ.

وَفِي «الْمُسْنَدِ» وَ«التِّرْمِذِيِّ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ»<sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ ذَلِكَ: إِظْهَارُ الذُّلِّ بِاللِّسَانِ فِي نَفْسِ السُّؤَالِ، وَالدُّعَاءِ وَالْإِلْحَاحِ فِيهِ.

قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: كَانَ يُقَالُ: أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْإِلْحَاحُ عَلَى اللَّهِ وَالتَّضَرُّعُ إِلَيْهِ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي «الطَّبْرَانِيِّ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا يَوْمَ عَرَفَةَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَرَى مَكَانِي، وَتَسْمَعُ كَلَامِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعِلَانِيَّتِي، وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ، الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ، الْوَجِلُ الْمُسْتَفِيقُ، الْمُقَرَّرُ الْمُعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمَسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الدَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ» (٢٨٩٢).

(٢) فِي (ع): «رَأْسِهِ».

(٣) ذَكَرَ نَحْوَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مُرَافِقِ الْمُؤَافِقِ» (ص: ٤٩) عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٤٧٩) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاللَّفْظُ لَهُ. وَقَالَ: «غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». أَمَّا حَدِيثُ أَحْمَدَ: فَبَنَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (٦٦٥٥).

(٥) أَخْرَجَهُ الْعَقِيلِيُّ فِي «الضَّعْفَاءِ الْكَبِيرِ» (٤ / ٤٥٢)، وَابِيهَقِي فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (١٠٧٢) وَقَالَ:

هَكَذَا رَوَاهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوْزَاعِيِّ وَهُوَ الصَّحِيحُ.

الخائف الضَّير، مَنْ خَضَعْتَ لَكَ رَقَبَتَهُ، وَذَلَّ لَكَ جَسَدَهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَيْنَاهُ، اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ شَقِيًّا<sup>(١)</sup>، وَكَنْ بِي رَوْوْفًا<sup>(٢)</sup> رَحِيمًا، يَا خَيْرَ الْمُسْؤُولِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ<sup>(٣)</sup>.

وَكَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: بَعْزُكَ وَذُلِّي، وَغِنَاكَ وَفَقْرِي<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ طَاوُسٌ: دَخَلَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ذَاتَ لَيْلَةِ الْحِجْرِ فَصَلَّى، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: عُيِيدُكَ بِفَنَائِكَ، مَسْكِينُكَ بِفَنَائِكَ، فَقِيرُكَ بِفَنَائِكَ، سَائِلُكَ بِفَنَائِكَ. قَالَ طَاوُسٌ: فَحَفِظْتُهِنَّ، فَمَا دَعَوْتُ بِهِنَّ فِي كَرْبٍ إِلَّا فُرِّجَ عَنِّي. خَرَّجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا<sup>(٥)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ بَاكُوهٍ الصُّوفِيُّ بِإِسْنَادٍ لَهُ: أَنَّ بَعْضَ الْعُبَادِ حَجَّ ثَمَانِينَ حَجَّةً عَلَى قَدَمَيْهِ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الطَّوَافِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا حَبِيبِي! يَا حَبِيبِي! وَإِذَا بَهَاتَفٍ يَهْتَفُ بِهِ: لَيْسَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِسْكِينًا حَتَّى تَكُونَ حَبِيبًا! قَالَ: فَغُشِيَ عَلَيَّ، ثُمَّ كُنْتُ بَعْدَ ذَلِكَ أَقُولُ: مِسْكِينُكَ مِسْكِينُكَ، وَأَنَا تَائِبٌ عَنْ قَوْلِ حَبِيبِي<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (س): «لَا تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا».

(٢) فِي (ع) وَ(ش) وَ(م): «بَارَأ رَوْوْفًا» وَلَا تَوْجِدُ الزِّيَادَةَ فِي الْمَصَادِرِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الدُّعَاءِ» (٨٧٧)، وَفِي «الْمَعْجَمِ الصَّغِيرِ» (٦٩٦).

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مِرْآةِ الْمَوَافِقِ» (ص: ٤٩) مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ السَّلَفِ. وَاسْتَحْلَى ابْنُ الْقَيْمِ هَذَا الْقَوْلَ فِي «مَدَارِجِ السَّالِكِينَ» (١ / ٢٠٤).

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْفَرَجِ بَعْدَ الشَّدَةِ» (٦٥). وَابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤١ / ٣٨٠ - ٣٨٢) مِنْ طَرَقٍ. وَفِي (م) وَ(س): «يَصْلِي»، وَ«فَرَجَ اللَّهُ عَنِّي».

(٦) أَخْرَجَهُ السَّلْمِيُّ فِي «الْفَتْوَةِ» (ص: ٢٢ - ٢٣)، وَابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «مِثْرِ الْعَزْمِ السَّاكِنِ» (٢ / ٢١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشِّيرَازِيِّ، وَهُوَ ابْنُ بَاكُوهٍ.

## فصل

خَرَجَ ابْنُ مَاجَةَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ أَحْنِنِي مِسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»<sup>(١)</sup>.

وَخَرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَهُ، وَزَادَ: فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «لَأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ بِأَرْبَعِينَ خَرِيفًا، يَا عَائِشَةُ! لَا تُرْذِي الْمَسْكِينَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، يَا عَائِشَةُ! أَحَبُّي الْمَسَاكِينَ وَقَرِّبِيهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ يُقَرِّبُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَحِبَّ الْمَسَاكِينَ وَأَدْنُو مِنْهُمْ. خَرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي حَدِيثٍ مَعَاذٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي قِصَّةِ الْمَنَامِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ»<sup>(٤)</sup>. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَالْمَرَادُ بِ«الْمَسَاكِينِ» فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَنَحْوِهَا: مَنْ كَانَ قَلْبُهُ مُسْتَكِينًا لِلَّهِ، خَاضِعًا لَهُ خَاشِعًا، وَظَاهِرُهُ كَذَلِكَ، وَأَكْثَرُ مَا يَوْجَدُ ذَلِكَ مَعَ الْفَقْرِ مِنَ الْمَالِ؛ لِأَنَّ الْمَالَ يُطْفِئُ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٤١٢٦).

(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٢٣٥٢) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢١٤١٥)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٥٤٩١)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٦٤٩).

(٤) هُوَ حَدِيثٌ «اِخْتِصَامُ الْمَلَأِ الْأَعْلَى» الَّذِي أَفْرَدَ الْمُصَنِّفُ فِيهِ كِتَابًا سَمَّاهُ: «اِخْتِيَارُ الْأُولَى». وَقَدْ أَخْرَجَهُ مَطُولًا الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢٢١٠٩)، وَالْمَرْوَزِيُّ فِي «مَخْتَصَرِ قِيَامِ اللَّيْلِ» (ص: ٥٥).

وحديث أنسٍ يشهد لهذا إلا أن إسناده ضعيف<sup>(١)</sup>.  
 وخرَجَ النسائيُّ من حديث أبي ذرٍّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ الْفَقْرَ فَقْرُ النَّفْسِ،  
 وَالْغِنَى غِنَى الْقَلْبِ»<sup>(٢)</sup>.

وفي «الصَّحِيحِ» عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا<sup>(٣)</sup> الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ»<sup>(٤)</sup>.  
 ولهذا قَالَ الإمامُ أحمدُ وابنُ عِيْنَةَ وابنُ وَهْبٍ وجماعةٌ مِنَ الْأَثَمَةِ: إِنَّ الْفَقْرَ  
 الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ<sup>(٥)</sup> فَقْرُ النَّفْسِ<sup>(٦)</sup>، فَمَنْ اسْتَكَانَ قَلْبُهُ لِلَّهِ وَخَشَعَ لَهُ فَهُوَ  
 مُسْكِينٌ وَإِنْ كَانَ غَنِيًّا مِنَ الْمَالِ؛ لِأَنَّ اسْتِكَانَةَ الْقَلْبِ لَا تَنْفَكُ عَنِ اسْتِكَانَةِ الْجَوَارِحِ،  
 وَمَنْ خَشَعَ ظَاهِرُهُ وَاسْتَكَانَ قَلْبُهُ لَيْسَ بِخَاشِعٍ وَلَا مُسْتَكِينٍ فَهُوَ جَبَّارٌ.

وفي الحديثِ الَّذِي خَرَّجَهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ فِي طَرِيقٍ وَفِيهِ  
 امْرَأَةٌ، فَقَالَ لَهَا رَجُلٌ: الطَّرِيقُ، فَقَالَتْ: إِنْ شَاءَ أَخَذَ يَمَنَّهُ، وَإِنْ شَاءَ أَخَذَ يَسْرَهُ، فَقَالَ  
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا جَبَّارَةٌ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهَا... يَعْنِي إِنَّهَا مُسْكِينَةٌ،  
 فَقَالَ: «إِنَّ ذَاكَ فِي قَلْبِهَا»<sup>(٧)</sup>.

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٧٨٥)، ولفظه: «إنما الغنى غنى القلب، والفقير فقر القلب».

(٣) في (س): «إن» وليست من لفظ الحديث بل لفظه: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس».

(٤) أخرجه البخاري (٦٤٤٦)، ومسلم (١٠٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) استعاذة النبي ﷺ من الفقر وردت في أحاديث متعددة، منها ما أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٨٠٥٣).

(٦) كلام الإمام أحمد نقله الأثرم في «سؤالاته» (٢٣): «إنما استعاذ النبي ﷺ من فقر القلب». ولم أظفر بنقله عن ابن عينة وابن وهب.

(٧) أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٣١٥) «طبعة الرسالة» من حديث أبي موسى الأشعري =

وقال الحسن: إِنَّ قوماً جعلوا التَّواضَعَ في لباسِهِمْ، والكِبَرَ في قلوبِهِمْ، لبسوا مَدَارِعَ الصُّوفِ، والله لأحدُهُمْ أَشَدُّ كِبَرًا بِمَذَرَعَتِهِ مِنْ صاحبِ السَّرِيرِ بِسَرِيرِهِ، وصاحبِ المِطْرِفِ<sup>(١)</sup> بِمِطْرِفِهِ<sup>(٢)</sup>.

وقد صحَّ عن النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ لُبْسُ الثَّوبِ الْحَسَنِ وَالنَّعْلِ الْحَسَنَ كِبَرًا، وقال: «الكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»<sup>(٣)</sup>.

وهذا تصريحٌ بأنَّ حُسْنَ اللِّبَاسِ لَيْسَ بِكِبَرٍ، وَأَنَّ الكِبَرَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْقَلْبِ، وَهُوَ عَدَمُ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ تَكَبُّراً عَلَيْهِ، وَغَمْطُ النَّاسِ هُوَ احْتِقَارُهُمْ وَازْدِرَائُهُمْ، فَمَنْ كَانَ فِي نَفْسِهِ عَظِيماً بَحِثْ يَحْتَقِرُ النَّاسَ لَا سَتَعِظَامَ نَفْسِهِ، وَيَأْتَفُّ مِنَ الانْقِيَادِ لِلْحَقِّ تَكَبُّراً عَلَيْهِ فَهُوَ الْمَتَكَبِّرُ، وَإِنْ كَانَ ثَوْبُهُ لَيْسَ بِحَسَنِ، وَنَعْلُهُ لَيْسَ بِحَسَنِ.

وَمَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ الْحَسَنَ تَوَاضَعاً لِلَّهِ، أَوْ خَشِيعَةً أَنْ يَقَعَ فِي نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنَ الكِبَرِ، فَقَدْ أَحْسَنَ فِيمَا فَعَلَ، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُ ذَلِكَ<sup>(٤)</sup>.

= رضي الله عنه. وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨١٦٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٩١ / ٦) من حديث أنس رضي الله عنه. وفي (ع) و(س): «إن ذلك في قلبها».

(١) المِطْرِفُ: ثوب من خز مربع ذو أعلام. (مختار الصحاح) للرازي (مادة: طرف).

(٢) والأثر أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٦٩ / ٩)، وابن أبي الدنيا في «الخمول والتواضع» (٦٦) (٧١)، ونحوه عند: الدولابي في «الكنى والأسماء» (١١٦٠).

(٣) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) أخرج أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٢ / ١) أن قرعة قال: رأيت على ابن عمر ثياباً خشنة أو خشبة، فقلت له: يا أبا عبد الرحمن! إني أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناى أن أراه عليك، فإن عليك ثياباً خشنة أو خشبة، فقال: أرنه حتى أنظر إليه، قال: فلمسه بيده، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن، قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أن أكون مختالاً فخوراً، والله لا يحب كل مختار فخور. ثم ساق عدداً من الأخبار المتعلقة بابن عمر وثيابه.

وقول النبي ﷺ في الأنبيانية<sup>(١)</sup> التي لبسها: «إنها ألهمتني أنفاً عن صلاتي»<sup>(٢)</sup> يدلُّ على ذلك.

## فصل

ومما اختاره النبي ﷺ: مقام العبودية على مقام الملك.

وقام بين يديه ﷺ رجل يوم الفتح فارتعد، فقال له: «هون عليك، إني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد»<sup>(٣)</sup>.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن فضيل، عن عمارة، عن أبي زرعة، قال: ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة قال: جلس جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك مهول، فقال جبريل عليه السلام: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم

(١) في (س): «أنبيانيته» وهي بكسر الباء، ويروى بفتحها، يقال: «كساء أنبجاني» منسوب إلى «منبج» المدينة المعروفة، وقيل: إلى موضع اسمه «أنبجان»، وهو كساء يتخذ من الصوف وله خمل ولا علم له. (النهاية) لابن الاثير (١/ ٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٣) و(٥٨١٧)، ومسلم (٥٥٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٣١٢)، والحاكم في «المستدرک» (٣/ ٤٨) من حديث أبي مسعود البدری رضي الله عنه، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٥٤، ١٦٤، ٣٣١، ٣٩١)، والبخاري مختصراً (٣٤٤٥)، ومطولاً (٦٨٣٠) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والإطراء المنهني عنه هنا: هو مجاوزة الشاء بحق واقع إلى مدح بما لا يقع لبشر كما فعلت النصارى بجعل عيسى عليه الصلاة والسلام إلهاً أو ابناً له أو شريكاً له تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَمَّ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جبريلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ، قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ مَرَاثِيلِ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ». خَرَّجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «طَبَقَاتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

وخرَجَ أَيْضاً مِنْ رِوَايَةِ أَبِي مَعْشَرٍ، عَنِ الْمُقْبَرِيِّ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ لَكَ: إِنَّ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَأَشَارَ إِلَيَّ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ضَعُ نَفْسَكَ، فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا». قَالَتْ: فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ لَا يَأْكُلُ مُتَكِنًا، وَيَقُولُ: «أَكُلْ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ، وَأَجْلِسْ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ»<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ مَرَاثِيلِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مَلَكٌ لَمْ يَأْتِهِ قَبْلَهَا وَمَعَهُ جَبْرِيلُ، فَقَالَ الْمَلَكُ وَجَبْرِيلُ صَامِتٌ: إِنَّ رَبَّكَ يُخَيِّرُكَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ نَبِيًّا مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا عَبْدًا، فَنَظَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى جَبْرِيلَ كَالْمُسْتَأْمِرِ<sup>(٤)</sup>، فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنْ تَوَاضَعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَلْ نَبِيًّا عَبْدًا». قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَرَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْكُلْ مِنْذُ قَالَهَا مُتَكِنًا حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا<sup>(٥)</sup>.

وَفِي «الْمُسْنَدِ»<sup>(٦)</sup> وَ«كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ» عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «عَرَضَ

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٧١٦٠).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (١/ ٣٧١) ط دار صادر.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (١/ ٣٨١) ط دار صادر.

(٤) فِي (س): «كَالْمُشَاوِرِ لَهُ»، وَفِي (ع): «كَالْمُسْتَأْمِرِ لَهُ».

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي «الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى» (١/ ٣٨٠) ط دار صادر.

(٦) فِي حَاشِيَةِ (س): «خ: الْمُسْتَدْرَكُ». وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ».

عليَّ ربِّي عزَّ وجلَّ ليجعلَ لي بطحاءَ مكَّةَ ذهباً، فقلتُ: لا يا ربَّ، ولكنَّ أشبعُ يوماً، وأجوعُ يوماً - أو قال: ثلاثاً - أو نحو هذا<sup>(١)</sup>، فإذا جُعتُ تضرَّعتُ إليك وذكرْتُكَ، وإذا شبعْتُ شكرْتُكَ وحَمِدْتُكَ<sup>(٢)</sup>.

قال بعضُ العارفين: مَنْ ادَّعى العبوديَّةَ وله مُرادٌ باقٍ فيه فهو كاذبٌ في دعواه، إنَّما تصحُّ العبوديَّةُ لِمَنْ أفنى مُراداته، وقامَ بِمُرادِ سيِّده، يكونُ اسمُه ما سُمِّيَ به، ونعتهُ ما حُلِّيَ به، إذا دُعِيَ باسمِه أجابَ عن العبوديَّةِ، فلا اسمَ له، ولا رَسَمَ، ولا يُجيبُ إلَّا لِمَنْ يدعوه بعبوديَّةِ سيِّده، وأنشأ يقولُ:

يا عمروُّ ثاري عند زهراء<sup>(٣)</sup>      يعرفُه السَّامعُ والرَّائي  
لا تدعني إلَّا بـ «يا عبدها»      فإنَّه أصدق<sup>(٤)</sup> أسمائي<sup>(٥)</sup>

(١) المثبت موافق لما في الترمذي، وفي (س): «ذلك» وهو موافق لما في «المسند».

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٣٦ (٢٢١٩٠)، والترمذي بعد الحديث (٢٣٤٧) وقال: حديث حسن.

(٣) في بعض المصادر: «أسماء».

(٤) وقد نقله السفاريني في «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (٢ / ٤٧٤) عن المصنف كما هو

المثبت. وهو كذلك في «طبقات الصوفية» للسلمي (ص: ١٩٦). وفي (س): «أشرف» وكذلك أوردته كثير من المصادر.

(٥) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٥) دون البيت الأول، والرافعي في «أماليه» فيما

عزاه له السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٨ / ٢٨٦) من كلام محمد بن إسماعيل أبي عبد الله المغربي الصوفي، المتوفى (سنة ٢٩٩هـ) رحمه الله تعالى.

وهنا تنتهي النسخة الخطية المرموز لها بـ (ع)، وجاء في آخرها: «تمت والحمد لله وحده،

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، على يد فقير رحمة ربه: محمد بن

محمد بن محمد بن عبد الدائم الباهي الحنبلي، عامله الله بلطفه الخفي والجليل، هو وصاحب

ما نقلت منه، ومؤلفه، وجميع إخواننا وأخواتنا وأصحابنا وجميع المسلمين. إنه سميع مجيب. =



غيره:

مَالِي وَلِلْفَقْرِ إِلَى عاجِزٍ      مِثْلِي لَا يَمْلِكُ إِغْنَائِي؟!  
وَأَنَّمَا يَحْسُنُ فَقْرِي إِلَى      مَالِكِ إِسْعَادِي وَإِشْقَائِي  
أَتَيْهُ عُجْباً بَانْتِمَائِي إِلَى      أَبْوَابِهِ إِذْ قُلْتُ: مَوْلَائِي  
لَا تَدْعُنِي إِلَّا بـ «يَا عَبْدَهُ»      فَإِنَّهُ أَشْرَفُ<sup>(١)</sup> أَسْمَائِي<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

= قرئت في يوم السبت بعد الزوال بالقرب من جامع الخطيري سابع جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وسبع مئة أحسن الله تقضيها وبقية العمر في خير وعافية بلا محنة وهو حسبنا ونعم الوكيل.  
والناسخ: من أفاضل الحنابلة بمصر، توفي (سنة ٨٠٢ هـ) رحمه الله تعالى، له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي (٩/ ٢٢٤).

وجامع الخطيري هو بيولاقي في مصر. انظر: «الضوء اللامع» للسخاوي (١١/ ٢٠٠).  
وهنا تنتهي أيضاً النسخة الخطية للمكتبة المحمودية (م). وجاء في آخرها: «آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه، وعلى آل محمد وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. كتبه الفقير إلى الله، الراجي رحمة ربه بمنه وكرمه: أحمد بن محمد بن خضر القطان، عفا الله عنه وعن والديه، وعمّن دعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين، آمين».

وتنتهي كذلك نسخة مكتبة الرياض، وفيها: «آخره والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. حرره كاتبه بعد صلاة العصر ١٧ سنة ١٣٣٦ غفر الله له ولوالديه وإخوانه المسلمين آمين».

(١) بين أسطر (س): «أصدق».

(٢) لم أعر على الأبيات عند غير المصنف رحمه الله. ونقلها عنه السفاريني في «غذاء الألباب» (٢/ ٤٧٤).

(٣) جاء هنا في حاشية (س) اليسرى: «آخره والحمد لله رب العالمين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم». وفي الحاشية اليمنى: «هذا آخر الكتاب، بلغ مقابلة وتصحيحاً حسب الطاقة».

روى الحافظ أبو نعيم في كتاب «أسماء الصحابة»، [والسلمي] (١) في «تاريخ الصوفية» بزيادة كلاهما من طريق الشيخ أبي سليمان الداراني رحمه الله عليه، قال: حدثني علقمة بن سويد بن الحارث الأزدي، عن أبيه، عن جده... (٢)

يذكر وينقل عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: جمعت لك حكمتي في ست كلمات: اعملللدنيا بمقدار قيامك (٣) فيها، واعملللآخرة بمقدار بقائك فيها، واعملللله بمقدار حاجتك إليه، واعملمن المعصية بمقدار ما تطيق من العقوبة، ولا تسأل إلا ممن لا يحتاج إلى أحد، وإذا أردت أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه (٤).

قال إبراهيم الخواص رضي الله عنه: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين (٥).

وقال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه في موعظة له حين سألوه عن قوله تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، وأنا ندعوه فلم يستجب لنا، فقال لهم: عرفتم الله فلم تطيعوه، وقرأتم القرآن فلم تعملوا به، وعرفتم الشيطان ووافقتموه، وادعيتهم حب رسول الله ﷺ وتركتهم سنته، وادعيتهم حب الجنة ولم تعملوا لها، وادعيتهم خوف النار

(١) في (ش): «والنشور»، وفي (س): «والسور»! وهما محرفتان عما أثبتناه، والله أعلم.

(٢) هنا خلل قديم في نسخ هذه الرسالة، فالكلام الآتي لا تعلق له بهذا العزو، وإنما يتعلق بهذا: الحديث الطويل الذي سيذكره المصنف رحمه الله عن وفد الأزد.

(٣) في (ش): «بقائك».

(٤) لم أعر عليه عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠ / ٣٢٧)،

والقشيري في «الرسالة القشيرية» (١ / ١٠٤). وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ٧٠).

وَلَمْ تَنْتَهَوْا عَنِ الذُّنُوبِ، وَقَلْتُمْ: إِنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ وَلَمْ تَسْتَعِدُّوا لَهُ، وَاسْتَغْلُتُمْ بِغُيُوبِ  
غَيْرِكُمْ، وَتَأْكُلُونَ رِزْقَ اللَّهِ وَلَا تَشْكُرُونَ، وَتَدْفِنُونَ مَوْتَاكُمْ وَلَا تَعْتَبِرُونَ<sup>(١)</sup>.

فَنَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُوَفِّقَنَا لِمَا يَرْضِيهِ عَنَّا بِرَحْمَتِهِ، وَيَخْتِمَ لَنَا بِخَيْرٍ، إِنَّهُ هُوَ أَرْحَمُ  
الرَّاحِمِينَ<sup>(٢)</sup>.

<sup>(٣)</sup> لَمَّا وَقَدْ وَقَدُ الْأَزْدِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ الْقَوْمُ؟» قَالُوا: الْمُؤْمِنُونَ يَا  
رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ؟» قَالُوا: خَمْسَةٌ عَشَرَ<sup>(٤)</sup>  
خَصْلَةً: خَمْسُ أَمْرَتْنَا رُسُلَكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَخَمْسُ أَمْرَتْنَا رُسُلَكَ أَنْ نَعْمَلَ بِهَا،  
وَخَمْسُ تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلَّا أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئًا.

قَالَ: «مَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتَكُمْ رُسُلِي أَنْ تُوْمِنُوا بِهَا؟»، قَالُوا: أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ  
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ.

قَالَ: «وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرْتَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا؟»، قَالُوا: أَنْ نَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،  
وَنَقِيمَ الصَّلَاةَ، وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَنُصُومَ رَمَضَانَ، وَنَحْجَّ الْبَيْتَ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا.  
قَالَ: «وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟»، قَالُوا: الشُّكْرُ فِي  
الرِّخَاءِ، وَالصَّبْرُ فِي الْبَلَاءِ، وَالرِّضَى بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَالصَّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللَّقَاءِ،  
وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ بِالْأَعْدَاءِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «حُكَمَاءُ عُلَمَاءُ كَادُوا مِنْ صِدْقِهِمْ<sup>(٥)</sup> أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ، وَأَنَا

(١) أَخْرَجَ نَحْوَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ» (٨ / ١٥).

(٢) فِي حَاشِيَةِ (س): «بَلَّغَ».

(٣) هَذَا الْخَبَرُ يَتَعَلَّقُ بِمَا سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ فِي الصَّفْحَةِ السَّابِقَةِ.

(٤) لَعَلَهُ: خَمْسَ عَشْرَةَ.

(٥) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ش) مُوَافِقُ «لِلْحَلِيَّةِ»، وَفِي (س): «فَقَهُهُمْ». وَهُوَ مُوَافِقُ لِمَا فِي «الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ».

أزیدُکم خمساً، فتتمُّ لکم عشرونَ خَصْلَةً، إنْ کتُمُّ کما تقولونَ، فلا تبینوا ما لا تسکنون، ولا تجمعوا ما لا تأکلون، ولا تنافسوا فیما أنتم [عنه] <sup>(١)</sup> غداً تزولون، واتَّقوا اللهَ الَّذي إِلیه تُرجعون، وعليه تُعرَضون، وارغبوا فیما أنتم إِلیه تنقلبون، وفيه تَخْلُدون». فرجعَ القومُ وقد حَفِظُوا وصیَّةَ رسولِ الله ﷺ وعملوا بها <sup>(٢)</sup>.

والحمدُ لله ربَّ العالمین <sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) ليست في النسخ، وهي في المصادر، ولا بد منها.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩ / ٢٧٩)، وعزاه المصنف كما سبق إلى «أسماء الصحابة» لأبي نعيم، وهو «معرفة الصحابة»، ولم أجده في المطبوع منه، وقد عزاه إلى «معرفة الصحابة» أيضاً: ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧ / ٣٧٠) دار هجر. وأخرجه أبو عبد الرحمن السلمي، ولم أجده في «طبقات الصوفية» ومن طريقه: البيهقي في «الزهد» (٩٧٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١ / ١٩٨ - ٢٠١)، وغيرهم. وليس له إلا هذا الحديث الواحد.

(٣) في (س): «تم بحمد الله وتوفيقه وتيسيره ومنه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً». وقع الفراغ من نسخه عشية يوم الخميس الموافق ثلاثة عشر من ربيع الأول سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة، بقلم الفقير إلى الله عبده عبد الله بن إبراهيم بن محمد الربيعي، غفر الله له ولوالديه ولمن له حق عليه وللمسلمين أجمعين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وفي حاشية (ش): «بلغ [مقابلة] بحسب الطاقة».



أَسْتَشَاقُ نَيْمَ الْأُنْسِ  
مِنْ  
نَفَحَاتِ رِيَاضِ الْقُدْسِ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَزَّ وَكَلَّ

[illegible]

ثم انجلى والصلاح والشفعة امتا خالبا دار الدنيا والدار الآخرة  
فتنازع واشهد ان محمدا عبده ورسوله بعينه منجها بتوحيد الحق  
امناح فوضعا للعبادة وسبيل الكبرياء والصلاح فلم يزل على ابيه عليه  
وسلم يعرف بالحق طهر توحيد الحق في جميع النواحي فحقون الله  
حيث كانت القلوب الفاسية وملحت كل الضلال وبذلك قال الله  
حقا انشروا عن الدروب بعينه اعظم الفضل على الله عليه وعلى  
اله وصحبه ملائكة شياخ الفلاح في علم الصلاح يحيى على الدنيا  
اسما بعد فان الله خلق الخلق لعبادته للعبادة لطيفه  
ودما به وعنه كما قال تعا وما خلقت الجن والانس الا ليعبدني  
وانا افيد سبحانه بعد العبادية ومعرفة ذلك خلق السموات  
والارض وما فيها للاختلاف بها على توحيد وعفته كما تعالى  
الله الذي خلق السما والارض سبع سموات ومن الارض مثلثات  
تنبزل الممسيات لتعلم ان الله على كل شئ قدير وان الله تعالى  
احاط بكل شئ علما وقد علم ان العباد انما اتين على خلقهم  
للعرف والاحتجاب والعبادة وكل من ارض لازم واجب بين الثلاثة

مكتبة شستريتي في إيرلندا (ش)

[illegible][illegible]

مکتبہ برنسٹون (ب)









## بسم الله الرحمن الرحيم

### مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي ابتداءً أحبابه بمحبته، فكانوا أذلةً على من آمن بالله واستقام على شريعته، أعزةً على من كفر به وجحد وجهه بردته، مجاهدين أهل الكفر في سبيله إعلاءً لكلمته، داعين إلى الحق لا يخافون فيه أحداً من بريته.

والصلاة والسلام على من أرسله الله لإرشاد عباده بهدايته، سيدنا محمد المصطفى لرسالته، الهادي إلى الرشاد والداعي إلى جنته، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن تبعهم، وألحقنا بهم في دار كرامته.

أما بعد:

فهذا الكتابُ كتابٌ مجدّدٌ، جمع بين التخلية والتحلية، والتنقية والتزكية، فيه التنبيه على التخلي والنقاء من أباطيل البدع، وفيه التحلي والتزكي بأنوار السنن، فإنّ طولَ الأمد وبعد العهد عن زمان النبوة؛ تحتاج معه الأمة إلى من يجدّد لها أمر دينها في كل قرن، فينفي عن دين الله تحريف الغالين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، ويقيم لها معالم الشرع التي طُمِست، ويشيد مبانيه التي درست.

ولما كانت صلة الخلق بخالقهم محصورة بباب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فلا وصول لأحد من هذه الأمة إلى الله إلا من باب محمد رسول الله، فمن رام باباً غيره أو تسوّر عليه خاب وخسر؛ فلم يفلح ولم ينجح.

وهذا ما حصل لكثير من أهل البدع والأهواء، الذين جنحت بهم بدعهم إلى خلل في تصوراتهم الكلية، وسلوكهم وتصرفاتهم، كان له أثر في طريقة تدينهم، مما أشار إليه المصنف الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى في مقدمة هذا الكتاب.

فذكر بدعة الخوارج التي أثمرت تصوراً دينياً تحيط به دائرة الخوف، ويقذف الناس برجوم الحكم عليهم بالكفر!

وذكر بدعة المرجئة التي أثمرت تصوراً دينياً لا يقوم إلا على عمود الرجاء وحده، مما أدى إلى التهاون في التكليف، وانعدام الحمية للدين!

وذكر بدعة الحلولية التي أثمرت تصوراً دينياً يظن أصحابه بأنفسهم أنهم هم المحببون، وهم لم يحققوا شيئاً من شروط المحبة وعلاماتها ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

فجعل الله اتباع رسوله ﷺ علامة محبته، فمن صدق في الاتباع صدقه الله تعالى في المحبة، ومن لم يكن من أهل الاتباع لم يصح له إطلاق دعوى المحبة.

فَزَعَمَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اِكْتَفَوْا مِنَ الْمَحَبَةِ بِالدَّعْوَى أَنَّهُمْ أَحِبَّابُ اللَّهِ! وَقَدْ سَبَقَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى إِلَى تِلْكَ الدَّعْوَى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨].

\*\*\*

إنَّ تخلية القلب من تلك التصورات الباطلة هو شرط لتحليته بالأصول التي تنبني عليها العبادة التي يقبلها الله جلَّ جلاله ويرضاها ويحبها من عباده، وهي اجتماع: الخوف والرجاء والمحبة في آن واحد، دون خلل في واحد

منها، وبذلك بُعث الأنبياء عليهم السلام، وقامت دلائل الوحي والكتب المنزلّة، وذلك كان حال رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين من بعدهم، وهو حال الأولياء والصالحين من أمته ﷺ.

\*\*\*

لكن تلك المشكلات التي أشار إليها المصنف رحمه الله تعالى - وهو في آخر القرن الثامن - ما تزال قائمة في الأمة، لكن في أثواب جديدة، وأنماط معاصرة زادت في بُعد أصحابها عن حقيقة الدين، وأودت بالبعض في مهاوي الإلحاد، وخرجت بالبعض من الملة، وهم يحسبون أنهم على خير!

\* ففهمُ الدين على أنه مجرد قانون يجب الانضباط به خوف العقوبة الدنيوية أو الآخروية عند ارتكاب المناهي، أو الطمع بالجوائز الآخروية عند تحقيق الأوامر، دون أن يكون لذلك الانضباط أية أسباب من جهة الأمر الناهي سبحانه وسعيٍّ إلى رضاه وقربه والأنس به: أوصل أصحاب ذلك الفهم إلى الجفاء والقسوة والغلظة، والتنفير من الدين، فوقع بعض الناس جرّاء ذلك في الإعراض عن الدين بالكلية - رغم العلم به - مع قسوة القلب عن كل موعظة.

\* وفهمُ الدين على أنه مجرد تصديق قلبي بوجود الله تعالى، وإقرار برسالة النبي ﷺ، وأن مستقر الدين هو القلب، فلا يتعلق بالأعمال الظاهرة: سبب في اجتياح ظاهرة التفلّت من الدين، وعدم الالتزام به في سواد الشعوب المسلمة، والتناقض المروع بين إقامة بعض الشعائر الدينية وأكل أموال الناس بالباطل، أو الوقوع في الفواحش ومقدماتها، أو اعتقاد المفاهيم العالمية المعاصرة التي تناقض الإسلام من كل وجه، ولا يمكن الجمع بينها وبينه بحال.

\* ثم جاءت طامة القول في فهم الدين من لا دينيين، ارتكزوا على كلام الحلولية والاتحادية في المحبة، فتج لديهم أن الدين هو الحب، وأن الإله هو المحبة، زندقة في زندقة! وقالوا بوحدة الأديان التي تهدم كل دين، وتبني لدى أصحابها دين الهوى - لا طهارة فيه، ولا صلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا ستر، ولا كف عن المال الحرام، بل فيه العبودية لغير الله، وفجور وخلاعة وتبرج وانحلال، وأكل أموال الناس بالباطل - ثم يزعمون أن إسلامهم هو المحبة! وأنهم فهموا الإسلام الذي لم يفهمه المسلمون!

﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمِهِ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الباقية: ٢٣].

وللإفاضة في ذلك كله ميدانٌ فسيح لا يتسع له هذا المقام.

فإلى التحلية بعد تلك التخلية، باستنشاق نسيم الأنس مما أورده الحافظ ابن رجب رحمه الله من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة وآثار السلف الصالحين وحكايات الأولياء العارفين من نفحات رياض القدس فحيها.

\*\*\*

قد ذكر هذا الكتاب للحافظ ابن رجب: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)، ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ١٢٤).

ونقل عنه السَّفاريني في «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» (٣/ ١٢٠٣ - ١٥٣٩ - ١٥٥١ - ١٥٨٤ - ١٦٠٢ - ١٦٠٣)، وفي «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (١/ ٤٢).

\*\*\*

وقد اعتمدت في إخراجها على عدة نسخ مخطوطة:

١- النسخة الأولى: نسخة شستربتي، ورمزها (ش).

وهي الكتاب الثاني من المجموع (٣٢٩٢)، ويقع في (٦٤) لوحة (من ١٩/ ب إلى ٨١/ ب)، وهو بخط محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري، وتاريخ انتهاء نسخه: ١١ رجب سنة ٧٩٦، بعد وفاة المصنف بنحو سنة، وقد قوبل على نسخة قرئت على المصنف رحمه الله.

٢- النسخة الثانية: نسخة مكتبة برنستون، ورمزها (ب).

وهي الكتاب الرابع من المجموع (٤١٦١ / يهودا)، ويقع في (٣٧) لوحة (من ٧٨/ ب إلى ١١٥/ أ) مسطرتها: ٢١ سطرًا.

لم يذكر اسم الناسخ، وتاريخ الفراغ من النسخ: ليلة ١٥ من ذي الحجة ٨١٧. والأسقاط فيها كثيرة جدًا.

٣- النسخة الثالثة: النسخة التونسية، ورمزها (ت).

وهي الكتاب الثاني عشر ضمن المجموع (١٥٧) - وقد سبق وصفه في المقدمات -، ويقع في (٢٦) لوحة (من ٧٧/ أ إلى ١٠٢/ أ)، وهي مخرومة الآخر.

فلم يذكر اسم الناسخ، لكن تاريخ نسخ المجموع يرجع إلى سنة ٨٥٢.



٤- النسخة الرابعة: نسخة مكتبة الفاتح في اصطنبول، ورمزها (ف).

وهي الكتاب الرابع عشر ضمن المجموع (٥٣١٨) - وقد سبق وصفه في المقدمات - ويبدو أن أحداً قد انتزع هذا الكتاب من المجموع قبل ترقيمه، فلم يبق منه إلا ورقة واحدة في آخره (١٩٨ / ب).

وناسخ المجموع: هو عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، وتاريخ نسخته سنة ٨٩٣.

٥- النسخة الخامسة: نسخة مكتبة جامعة الرياض، ورمزها (س).

وهي الكتاب الأول من المجموع (١٦٣٧)، ويقع في ٥٢ صفحة. بخط: عبد الله بن إبراهيم الربيعي، وتاريخ الفراغ من نسخته: ٢ من ذي الحجة ١٣٣٣.

٦- النسخة السادسة: نسخة مكتبة البسام، ورمزها (م).

وعليها تملك لعلي بن عبد الله بن عبد الرحمن البسام الحنبلي، وهي في (١٠) أوراق، مخرومة الآخر.

٧- النسخة السابعة: نسخة مكتبة الرياض العامة.

وهي الكتاب قبل الأخير من المجموع (١٦ / ٥٢٧)، ويقع في (١٨) لوحة (من ١٥٢ / ب إلى ١٦٩ / أ) وهو مخروم الآخر.

ليس فيها اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وهي من وقف محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، لكنها متأخرة في أوائل القرن الماضي أو أواخر الذي قبله، فلم نرجع إليها.

٨- النسخة الثامنة: نسخة مكتبة جامعة الرياض.

وهي الكتاب السابع من المجموع (١٨١٧)، ويقع في (٣٧) لوحة (من ٤٤ / ب إلى ٨٠ / أ) وهو بخط عبد المحسن بن عبيد بن عبد المحسن بن عبيد في غرة ربيع الثاني سنة ١٣٦١، ولم نرجع إليها لتأخرها، وعلى حواشيها إلحاقات، وتراجم مختصرة لبعض من ذكر في الكتاب من الأعلام.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

\*\*\*



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَفْوِكَ اللَّهُمَّ<sup>(١)</sup>

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحَدُ شيخ الإسلام والسُّنَّةِ، قَامِعُ  
الْبِدْعَةِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَعُمْدَةُ الْخَلْفِ، أَبُو الْفَرَجِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ  
الْشَّيْخِ الْإِمَامِ الْقُدْوَةِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
وَجَزَاهُ عَنِ الْأُمَّةِ خَيْرًا<sup>(٢)</sup>.

الحمد لله الذي فَتَحَ عَلَى قُلُوبِ أَحِبَّائِهِ مِنْ فَيْحِ مَحَبَّتِهِ، فَعَبَقَ فِيهِمْ نَشْرَهُ  
وَفَاحَ. وَشَرَحَ صُدُورَ أَوْلِيَائِهِ بِنُورِ مَعْرِفَتِهِ، فَأَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورُهُ وَلاَحَ. أَحْيَاهُمْ بَيْنَ  
رَجَائِهِ وَخَشْيَتِهِ، وَغَذَاهُمْ بِوَلَائِهِ<sup>(٣)</sup> وَمَحَبَّتِهِ، فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ السُّرُورِ  
وَالْأَفْرَاحِ. فَسُبْحَانَ مَنْ ذَكَرَهُ قَوْتُ الْقُلُوبِ، وَقُرَّةُ الْعْيُونِ، وَسُرُورُ النُّفُوسِ، وَرُوحُ

(١) في (ب): «كتابُ استنشاقِ نسيمِ الأنسِ من نَفَحَاتِ رِياضِ الْقُدُسِ، تَأَلَّفَ الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَالِمُ  
الْعَلَّامَةُ الْمُحَدِّثُ الْمُتَحَقِّقُ الْفَاضِلُ الزَّاهِدُ الْوَرَعُ، أَفْضَلُ الْمُتَأَخِّرِينَ أَبِي الْفَرَجِ زَيْنِ الدِّينِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الشَّيْخِ الْمُقَرِّي الْفَاضِلِ أَبِي الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَنَوَّرَ  
ضُرْبَهُ. آمِينَ.

كتابُ النَّسِيمِ بِأَنْسِ شَوْقٍ      لِرَوْضِ الْقُدُسِ مَعَ طِيبِ الْمَذَاقِ  
يَرْتَجِي لِفَحْوِ الْأَنْسِ مِنْ      مَعَانٍ لِلْحَبِيبِ مَعَ اسْتِيقَاقِ.

وفي (س): «رَبِّ يَسِّرْ وَأَعِنْ يَا كَرِيمُ» وفي (ب): «رَبِّ يَسِّرْ يَا كَرِيمُ»، وفي (م): «وبه نستعين».

(٢) من قوله: «قال الشيخ الإمام...» إلى هنا من (س) و(م).

(٣) في (س) و(م): «بولايته».

الحياة، وحياء الأرواح. وتبارك الذي من خشيته تتجافى عن المضاجع الجنوب،  
وبرجاء رحمته تنفّس عن نفوس الخائفين الكروب، وبروح محبته تطمئن  
القلوب وترتاح. ما طابت الدنيا إلا بذكره ومعرفته، ولا الآخرة إلا بقربه ورؤيته،  
فلو احتجب عن أهل الجنة لاستغاث أهل الجنة في الجنة كما يستغيث أهل  
النار في النار<sup>(١)</sup>، وأعلنوا بالصياح. كل<sup>(٢)</sup> قلوب تألّهت<sup>(٣)</sup> سواء فهي فاسدة ليس  
لها صلاح. وكل صدور خلّت من هيّته وتقواه فهي ضيقة<sup>(٤)</sup> ليس لها انشراح.  
وكل نفوس أعرضت عن ذكره فهي مظلمة الأرجاء والنواح. ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِثْكَوْفٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ﴾<sup>(٥)</sup>، أحمدّه، ونشر ذكره كلما نشر فاح.  
وأشكره، ومزيده يتجدّد على الشاكرين بالغدو والرواح.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أستمدها سلاحاً على  
الأعداء، فنعمة الجنة ونعم السلاح. وأستعدها مفتاحاً لباب دار البقاء فما للجنة  
سواها مفتاح.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه مفصّحاً بتوحيده أي إفصاح. موضحاً  
لعبده سبيل الهدى كل الإيضاح. فلم يزل ﷺ يُعرّف بالله حتى ظهر توحيده  
في جميع النواح. ويخوف بالله تعالى حتى لانت القلوب القاسية وصلحت كل

(١) هذا من كلام أبي يزيد البسطامي رحمه الله، أخرجه بنحوه أبو نعيم في «الحلية» (١٠ / ٣٤).

(٢) في (س) و(م): «فكل».

(٣) في حاشية (ب) إشارة إلى نسخة: «تعلّت».

(٤) في (ب): «ضعيفة»، وأشار في الحاشية إلى ما يوافق سائر النسخ.

(٥) مقتبس من الآية الكريمة في سورة النور: (٣٥).

الصَّلاح. ويُذَكَّرُ بِآلاءِ الله تعالى حتَّى انشَرَحَتِ القلوبُ بِمَحَبَّتِهِ أعْظَمَ انْشراح<sup>(١)</sup>،  
صَلَّى الله عليه وعلى آله وصَحْبِهِ صلاةٌ تكونُ سببًا للفلاح. فحيَّ على الصَّلَاةِ<sup>(٢)</sup>،  
وحيَّ على الفلاح.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ الله تعالى خَلَقَ الخلقَ وأَوْجَدَهُم لعبادته الجامعة لخشيتِهِ، وَرَجَائِهِ  
وَمَحَبَّتِهِ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(٣)</sup> [الذاريات: ٥٦]،  
وإنَّما يُعْبَدُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ العِلْمِ به ومَعْرِفَتِهِ، فلذلك خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وما  
فيهما للاستدلالِ بهما على تَوْحِيدِهِ وَعَظَمَتِهِ، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ  
سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقد عَلِمَ أَنَّ العِبَادَةَ إِنَّمَا تَبْنِي على ثَلَاثَةِ أَصُولٍ: الخَوْفُ وَالرَّجَاءُ  
وَالْمَحَبَّةُ، وَكُلُّ مِنْهَا فَرَضٌ لَازِمٌ، والْجَمْعُ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ حَتْمٌ وَاجِبٌ، فلهذا كَانَ  
السَّلَفُ يَذُمُّونَ مَنْ تَعَبَّدَ بِوَاحِدٍ مِنْهَا وَأَهْمَلَ الْآخَرَيْنِ، فَإِنَّ بَدَعَ الْخَوَارِجَ وَمَنْ  
أَشَبَّهُهُمْ إِنَّمَا حَدَّثَتْهُ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي الْخَوْفِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْمَحَبَّةِ وَالرَّجَاءِ،  
وَبَدَعَ الْمُرْجِئَةُ نَشَأَتْ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالرَّجَاءِ وَحَدَهُ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْخَوْفِ، وَبَدَعَ  
كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِبَاحَةِ وَالْحُلُولِ مِمَّنْ يُنْسَبُ إِلَى التَّعَبُّدِ نَشَأَتْ مِنْ إِفْرَادِ الْمَحَبَّةِ  
وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

وقد كَثُرَ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ الْمُتَسَيِّينَ إِلَى السُّلُوكِ تَجْرِيدُ الْكَلَامِ فِي الْمَحَبَّةِ،

(١) فِي (ش): «الانْشراح».

(٢) فِي (ش) وَ(ت): «الصَّلاح».

(٣) فِي (ب): «لِيَعْبُدُونِي»، وَهِيَ قِرَاءَةُ يَعْقُوبَ.

وتوسيعُ القولِ فيها بما لا يُساوي على الحقيقةِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ<sup>(١)</sup>؛ إذ هو عارٍ عن الاستدلالِ بالكتابِ والسُّنةِ، وخالٍ من ذِكْرِ كلامٍ مَن سَلَفَ من سَلَفِ الأُمَّةِ وأعيانِ الأُمَّةِ، وإنَّما هو مُجَرَّدُ دعاوي قد تُشْرِفُ بِأَصْحَابِهَا<sup>(٢)</sup> على مَهاوي<sup>(٣)</sup>، ورَبَّما اسْتَشْهَدُوا بِأَشْعَارِ عُشَّاقِ الصُّوَرِ، وفي ذلك ما فيه من عِظَمِ<sup>(٤)</sup> الخطرِ، وقد يحْكُونَ حكاياتِ العُشَّاقِ، وَيُشِيرُونَ إِلَى التَّأْدِبِ بما سَلَكَوه مِنَ الآدَابِ والأَخْلَاقِ، وكلُّ هذا ضَرَرُهُ عَظِيمٌ، وَخَطَرُهُ جَسِيمٌ.

وقد يُكثِرُ ذِكْرَ المَحَبَّةِ وَيُعِيدُهَا وَيُبْدِيهَا مَن هو بَعِيدٌ عَنِ التَّلَبُّسِ بِمُقَدِّمَاتِهَا وَمَبَادِيهَا، وما أَحْسَنَ قَوْلَ ذِي النُّونِ رَحِمَهُ اللهُ وقد ذُكِرَ عِنْدَهُ الكَلَامُ فِي المَحَبَّةِ<sup>(٥)</sup>: اسْكُتُوا عَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَا تَسْمَعُهَا النَّفُوسُ فَتَدَّعِيهَا<sup>(٦)</sup>؛ فَإِنَّ النَّفُوسَ مُمْتَلِئَةٌ مِنَ الْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالْغُرُورِ، وَالْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ<sup>(٧)</sup> يُعْطَ كَلَابِيسِ ثَوْبِي زُورٍ<sup>(٨)</sup>، وَكَثِيرًا مَا تَقْتَرِنُ<sup>(٩)</sup> دَعْوَى المَحَبَّةِ بِالسَّطْحِ وَالْإِدْلَالِ، وما يُنَافِي العُبُودِيَّةَ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. وقد اسْتَخَرْتُ اللهَ تَعَالَى فِي جَمْعِ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَلَامِ أَعْيَانِ

(١) فِي (ب): «بما لا يساوي في الحقيقة مِثْقَالَ ذَرَّةٍ»، وَفِي حَاشِيَتِهَا: «حَبَّة».

(٢) فِي (ش): «بأصحابها»، وَفِي حَاشِيَتِهَا: «فِي الْأَصْلِ: بِأَصْحَابِهَا».

(٣) كَذَا فِي النِّسْخِ: «دعاوي، مهاوي»، وَالْأَوَّلَى: دَعَاوٍ، مَهاوٍ.

(٤) فِي (س) وَ(م): «عَظِيمٌ».

(٥) زَادَ النَّاسِخُ فِي (س) وَ(م): «فَقَالَ».

(٦) نَقَلَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «الرِّسَالَةِ» (٢/ ٤٩٢)، وَذَكَرَهُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي عِدَدٍ مِنْ مَوْلاَفَاتِهِ.

(٧) فِي (ب): «لَا».

(٨) مُقْتَبَسٌ مِنْ حَدِيثِ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٥٢١٩)، وَمُسْلَمٌ (٢١٣٠) مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٩) فِي (ش) وَ(ت): «تَقْتَرِنُ».

سَلَفِ الْأُمَّةِ، وَمَنْ سَلَكَ سَبِيلَهُمْ مِنَ الْعَارِفِينَ الْأُتَمَّةِ فِي مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى،  
وَعَلَامَاتِهَا وَطُرُقِهَا وَلَوَازِمِهَا وَمُقْتَضَيَاتِهَا، وَإِنْ كُنْتُ لَا أَسْتَقْصِي ذَلِكَ كُلَّهُ؛ فَإِنَّهُ  
يَطُولُ جَدًّا، وَإِنَّمَا أَذْكَرُ مِنْهُ أَبْوَابًا أَعَدُّهَا عَدًّا، وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ بَابًا، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ،  
وَهُوَ حَسْبُنَا وَنَعْمَ الْوَكِيلُ.

البَابُ الْأَوَّلُ: فِي لُزُومِ مَحَبَّةِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ وَتَقْدِيمِهَا عَلَى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ  
وَالنَّفُوسِ.

البَابُ الثَّانِي: فِي بَيَانِ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَطَالِبِ وَأَهَمِّهَا سُؤَالَ اللَّهِ مَحَبَّتَهُ عَلَى أَكْمَلِ  
الْوَجْهِ وَأَتَمِّهَا.

البَابُ الثَّلَاثُ: فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُسْتَجَلِبُ بِهَا مَحَبَّةَ رَبِّ الْأَرْيَابِ.

البَابُ الرَّابِعُ: فِي عِلَامَاتِ الْمَحَبَّةِ الصَّادِقَةِ، مِنْ التَّزَامِ طَاعَةِ اللَّهِ، وَالْجِهَادِ فِي  
سَبِيلِهِ، وَاسْتِحْلَاءِ الْمَلَامَةِ فِي ذَلِكَ، وَاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

البَابُ الْخَامِسُ: فِي اسْتِلْذَاقِ الْمُحِبِّينَ بِكَلَامِ مَحْبُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ غَذَاءُ قُلُوبِهِمْ، وَغَايَةُ  
مَطْلُوبِهِمْ.

البَابُ السَّادِسُ: فِي أَنْسِ الْمُحِبِّينَ بِاللَّهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ مَقْصُودٌ مِنَ الدُّنْيَا  
وَالْآخِرَةِ<sup>(١)</sup> سِوَاهُ.

البَابُ السَّابِعُ: فِي سَهْرِ الْمُحِبِّينَ وَخَلَوَتِهِمْ بِمُنَاجَاةِ مَوْلَاهُمْ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْمُبِينِ.

البَابُ الثَّامِنُ: فِي شَوْقِ الْمُحِبِّينَ إِلَى لِقَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

البَابُ التَّاسِعُ: فِي رِضَا الْمُحِبِّينَ بِمُرِّ الْأَقْدَارِ، وَتَنَعُّمِهِمْ بِبِلَاءِ مَنْ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ  
وَيَخْتَارُ.

(١) فِي (س) وَ(م): «وَلَا الْآخِرَةَ».



البابُ العاشرُ: في ذكرِ خَوْفِ الْمُحِبِّينَ الْعَارِفِينَ وَفَضْلِهِ عَلَى خَوْفِ سَائِرِ الْخَائِفِينَ.

البابُ الحادي عشر: في شَرَفِ أَهْلِ الْحُبِّ، وَأَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَعْلَى مَنَازِلِ الْقُرْبِ.

البابُ الثاني عشر: في بُبْدٍ مِنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ وَتَحْقِيقِهِمْ، تَقْوَى بِهِ النُّفُوسُ<sup>(١)</sup> عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ. وَسَمَّيْتُهُ:

### اِسْتِنْشَاقُ نَسِيمِ الْأُنْسِ مِنْ نَفَحَاتِ رِيَاضِ الْقُدْسِ

فَإِنَّ قُلُوبَ الْأَحْبَابِ تَشْتَاقُ بِاسْتِنْشَاقِ نَسِيمِ الْإِقْتِرَابِ، وَقَدْ خَرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ، وَهُوَ ضَعِيفٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعًا: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لِلْجَنَّةِ: طِيبِي لِأَهْلِكَ لِيَزْدَادُوا طِيبًا، فَذَلِكَ الْبَرْدُ الَّذِي يَجِدُهُ النَّاسُ فِي السَّحَرِ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

وَيُرَوَّى بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ<sup>(٣)</sup>، عَنْ مُجَالِدٍ<sup>(٤)</sup>، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ جَنَّةَ عَدْنٍ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَزِينِي،

(١) في (ش)، و(س)، و(م): «قلوب»، وأشير في حاشيتي (ش) و(س) إلى المثبت من (ب) و(ت).

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (٧٥)، وقال: «لم يروه عن الأعمش إلا عمرو بن عبد الغفار تفرد به يوسف بن موسى أبو غسان»، وعن الطبراني: أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٠)، وأخرجه من طريق آخر عن أبي غسان (١٩٩). وعمرو بن عبد الغفار الفقيمي: متروك. وجاء في النسخ: «عمر»، وكتب في (ب): «عمرو» ثم ضرب على الواو والصواب إثباتها.

(٣) في (ب): «ضعيف».

(٤) تصحف في (ب) و(س) إلى: «مجاهد».

فَتَزَيَّنْتُ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: طُوبَى لِمَنْ رَضِيَتْ عَنْهُ، فَأَطْبَقَهَا وَعَلَّقَهَا<sup>(١)</sup>  
بالعرش، فلم يدخلها بعد ذلك إلا الله لا إله غيره، يدخلها كل سحر، فذلك برؤ  
السحر<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجَه الحاكمُ والبيهقيُّ بإسنادٍ جيِّدٍ، عن مُجاهِدٍ<sup>(٣)</sup>، من قوله مُختَصَرًا<sup>(٤)</sup>.  
وأنشد بعضهم:

تَمُرُّ الصَّبَا صَفْحًا بِسَاكِنِ ذِي الْعَصَا      وَتَصْدَعُ<sup>(٥)</sup> قَلْبِي أَنْ يَهْبَّ هُبُوبُهَا  
قَرِيبَةُ عَهْدٍ بِالْحَبِيبِ وَإِنَّمَا      هَوَى كُلِّ نَفْسٍ أَيْنَ<sup>(٦)</sup> حَلَّ حَبِيبُهَا  
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ قَلْبَ الْمُحِبِّ تَحْتَ فَحْمَةِ اللَّيْلِ جَمْرَةٌ كَلَّمَا هَبَّ عَلَيْهِ نَسِيمُ السَّحَرِ  
التَّهَبَ، وَأَنْشَدُوا فِي هَذَا الْمَعْنَى:

يُذَكِّرُنِي مَرُّ النَّسِيمِ عُهْدَكُمْ      فَأَزْدَادُ شَوْقًا كَلَّمَا هَبَّتِ الرِّيحُ  
أَرَانِي إِذَا مَا أَظْلَمَ اللَّيْلُ أَشْرَقَتْ      بِقَلْبِي مِنْ نَارِ الْغَرَامِ مَصَابِيحُ

(١) في (ب): «وغلقتها».

(٢) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٥٣/١٣) من طريق محمد بن مخلد في «فوائده» (٣٤). ولا  
يصح إسناده، ومعناه تفسره الرواية في التعليق الآتي.

(٣) في حاشية (ش): «ينظر». وهو صواب.

(٤) أخرج البيهقي في «البعث والنشور» (٧٧٩) عن الحاكم من حديث مجاهد موقوفاً عليه: «إن الله  
تبارك وتعالى غرس جنات عدن بيده، فلما تكاملت أغلقت، فهي تُفتح كل سحر، فينظر الله تبارك  
وتعالى إليها فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾».

(٥) في (س) و(م): «ويصدع». وهو كذلك في المصادر.

(٦) في حاشية (ش): «أصل: حيث»، وكذلك في (ت) و(س)، والمثبت من (ب) و(ش) و(م).

والبيتان لإبراهيم بن العباس الصولي، كما في «ديوانه» (ص: ١٣٩)، و«ديوان المعاني» لأبي هلال

العسكري (٢٧٤/١).

أُصَلِّي بِذِكْرِكُمْ إِذَا كُنْتُ خَالِيَا      أَلَا إِنَّ تَذْكَارَ الْأَحْبَةِ تَسْبِيحُ  
يَشِخُّ فُؤَادِي أَنْ يُخَامِرَ سِرَّهُ      سِوَاكُمْ وَبَعْضُ الشُّحِّ فِي الْمَرْءِ مَمْدُوحُ  
وَأِنْ لَاحَ بَرْقٌ بِالْغُيُورِ تَقَطَّعَ الْـ      فُؤَادُ عَلَيٍّ وَإِدْبَهُ الْبَانُ وَالشَّيْخُ<sup>(١)</sup>  
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

(١) الأبيات في «المدهش» لابن الجوزي (ص: ٥٠٢) إلا البيت الأخير. وقد ذكره المصنف في «شرح

حديث عمار بن ياسر».

(٢) في حاشية (ب): «بلغ مقابلة».

## الباب الأول

## في لزوم محبة الملك القدوس

## وتقديمها على حب الأموال والأولاد والنفس

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

قال أبو عبد الله محمد بن خفيف الصوفي: سألنا أبو العباس بن سريج بشيراز فقال لنا: محبة الله فرض أو غير فرض؟ قلنا: فرض، قال: ما الدلالة على فرضها؟ فما منا من أتى بشيء يقبل، فرجعنا إليه وسألناه الدليل<sup>(١)</sup> على فرض محبة الله عز وجل؟ فقال: قوله تعالى: ﴿قَدْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ الآية إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، قال: فتواعدهم الله تعالى على تفضيل محبتهم لغيره على محبته ومحبة رسوله، والوعيد لا يقع إلا على فرض لازم، وحتم واجب<sup>(٢)</sup>.

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»<sup>(٣)</sup>.

(١) في (س) و(م): «ما الدليل».

(٢) القصة في «طبقات الشافعية» لابن الصلاح (١/ ١٥٥). وأبو العباس أحمد بن عمر بن سريج من كبار

أئمة الشافعية، المشهورين، توفي سنة (٣٠٦هـ) رحمه الله تعالى. وتصحف في النسخ إلى «ابن سريج».

(٣) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٤).

وفي «الصَّحِيحَيْنِ» أيضًا، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ،  
وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ نَفْسِي، فَقَالَ: «لَا يَا عُمَرُ، حَتَّى أَكُونَ  
أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ»، قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، قَالَ:  
«الآنَ يَا عُمَرُ»<sup>(١)</sup>.

ومعلومٌ أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ إِنَّمَا هِيَ تَابِعَةٌ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإِنَّ الرَّسُولَ  
إِنَّمَا يُحِبُّ مُوَافَقَةَ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ لَهُ وَلَأَمْرٍ بِاللَّهِ بِمَحَبَّتِهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِهِ، فَإِذَا كَانَ لَا يَحْصُلُ  
الْإِيمَانُ إِلَّا بِتَقْدِيمِ مَحَبَّتِهِ عَلَى الْإِنْفُسِ وَالْأَوْلَادِ وَالْآبَاءِ وَالْخَلْقِ كُلِّهِمْ فَمَا الظَّنُّ  
بِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؟<sup>(٢)</sup>!

وذكرَ ابنُ إِسْحَاقَ عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ عُثْمَانَ الْأَخْنَسِيِّ<sup>(٣)</sup>، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ فِي  
خُطْبَتِهِ: «أَحِبُّوا مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ، أَحِبُّوا اللَّهَ مِنْ كُلِّ قُلُوبِكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وقد جعلَ النَّبِيُّ ﷺ تَقْدِيمَ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَلَى مَحَبَّةِ غَيْرِهِمَا مِنْ خِصَالِ  
الْإِيمَانِ، وَمِنْ عِلَامَاتِ وُجُودِ حِلَاوَةِ الْإِيمَانِ فِي الْقُلُوبِ.

ففي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ  
فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٢). ولم يخرجہ مسلم!

(٢) في (ش): «جَلَّ وَعَزَّ».

(٣) في (س) و(م): «ابن الأخنس».

(٤) في (س): (م): «وأحبوا الله». أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥٢٥/٢) من حديث ابن

إسحاق. وهو في «السيرة» لابن هشام (٥٠١/١).

يُحِبُّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ<sup>(١)</sup> فِي النَّارِ<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية النسائي: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ فِي اللَّهِ وَيُبْغِضَ فِي اللَّهِ، وَأَنْ تَوْقَدَ نَارٌ فَيَقَعُ فِيهَا أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا<sup>(٣)</sup>».

وفي «مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ» عَنْ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ تُحَرِّقَ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ، وَأَنْ تُحِبَّ غَيْرَ ذِي نَسَبٍ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ فَقَدْ دَخَلَ حُبُّ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِكَ كَمَا دَخَلَ حُبُّ الْمَاءِ لِلظَّمْآنِ فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ<sup>(٤)</sup>».

وَيُرَوَّى<sup>(٥)</sup> مِنْ حَدِيثِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ، وَلَقِيَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَحَبَّهُمْ، وَمَنْ كَانَ أَمْرُ الْجَاهِلِيَّةِ عِنْدَهُ كَنَارٍ أُجْجَتْ فَأُلْقِيَ فِيهَا؛ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ»، أَوْ قَالَ: «بَلَغَ ذِرْوَةَ الْإِيمَانِ<sup>(٦)</sup>».

(١) في (س) و(م): «يلقى» وهو لفظ إحدى روايات البخاري ومسلم.

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، (٢١)، و(٦٠٤١)، و(٦٩٤١)، ومسلم (٤٣).

(٣) أخرجه النسائي (٤٩٨٧).

(٤) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١٦١٩٤) والقائظ: شديد الحر، وتصحفت هذه الكلمة في

النسخ كلها إلى: «القايض»!

(٥) في (س) و(م): «وروي».

(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٠٦/٢٠).

ومن هذا المعنى أَنَّ الله تعالى قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَهُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۚ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ [المتحنة: ١٠] الآية، فأمر بامتحانهنَّ ليعلم إيمانهنَّ، فكان النبي ﷺ يحلفهنَّ أنهنَّ ما خرجنَّ إلا حبا لله ورسوله، لم يخرجنَّ رغبة في غير ذلك، فيكون ذلك علما بإيمانهنَّ.

قال ابن عباس في هذه الآية: كانت المرأة إذا أتت النبي ﷺ لتسلم حلفها<sup>(١)</sup> بالله ما خرجت من بغض زوج إلا حبا لله ورسوله، وهو موجود في بعض نسخ كتاب الترمذي كذلك<sup>(٢)</sup>.

وخرجه البزار في «مسنده»، وابن جرير، وابن أبي حاتم، ولفظه: حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة بأرض عن أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله<sup>(٣)</sup>.

وخرج إبراهيم بن الجنيد الخثلي في «كتاب المحبة» بإسناد ضعيف، عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا<sup>(٤)</sup>: «الإيمان في قلب الرجل أن يحب الله عز وجل»<sup>(٥)</sup>.

ومن مراسيل الزهري: أَنَّ النبي ﷺ قال: «رأس الإيمان المحبة لله عز وجل».

(١) في (ش) و(ت): «أحلفها».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٠٨)، وقال: حديث غريب.

(٣) في (ب): «ولرسوله» أخرجه البزار - «كشف الأستار» (٢٢٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير»

(٢٢/٥٧٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» للسيوطي (١٤/٤٢٢).

(٤) في (س) و(م): «مرفوعا قال».

(٥) أخرجه الخثلي في «المحبة لله عز وجل» (٩).

وفي الله جلّ وعزّ، وطابع<sup>(١)</sup> الإيمان البرّ والعدل، وتحقيق الإيمان إكرام<sup>(٢)</sup> ذي الدين وذي الشّية<sup>(٣)</sup>.

## فصل

ومحبّة الله سبحانه على درجتين:

إحدهما: فرض لازم، وهي أن يحبّ الله سبحانه محبةً تُوجب له محبةً ما فرضه الله عليه<sup>(٤)</sup>، وبُغض ما حرّمه عليه، ومحبةً رسوله المبلّغ عنه أمره ونهيّه، وتقديم محبّته على النفوس والأهلين أيضًا كما سبق، والرّضا بما بلغه عن الله من<sup>(٥)</sup> الدين، وتلقّي ذلك منه بالرّضا والتّسليم، ومحبة الأنبياء والرّسل والمُتبعين لهم بإحسان جملةً وعمومًا لله عزّ وجلّ، وبُغض الكفار والفجار جملةً وعمومًا لله عزّ وجلّ.

فهذا القدر لا بدّ منه في تمام الإيمان الواجب، ومن أخلّ بشيء منه فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، وكذلك ينقص من محبّته الواجبة بحسب ما أخلّ به من ذلك، فإنّ المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرّمات.

وخرّج أبو نعيم من حديث عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: سمعتُ

(١) في المطبوع من كتاب «المحبة»: «وسنام».

(٢) في (س) و(م): «بإكرام».

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله عز وجل» (١١).

(٤) في (ش) و(ت): «ما فرض عليه»، وفي (ب): «ما فرضه عليه».

(٥) في (ب): «في».



النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ سَالِمًا - يَعْنِي مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ - شَدِيدُ الْحَبِّ لِلَّهِ، لَوْ كَانَ لَا يَخَافُ اللَّهَ مَا عَصَاهُ»، يُشِيرُ إِلَى أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ <sup>(١)</sup> تَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَعْصِيَهُ <sup>(٢)</sup>.

وَذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «غَرِيبِهِ» أَنَّ عُمَرَ قَالَ: نِعَمَ الْعَبْدُ صُهَيْبٌ لَوْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ <sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الْحَسَنُ: ابْنُ آدَمَ! أَحَبَّ اللَّهُ يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تُحِبَّ اللَّهَ حَتَّى تُحِبَّ طَاعَتَهُ <sup>(٤)</sup>.

(١) فِي (ب): «مَحَبَّتُهُ لِلَّهِ».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١/١٧٧).

قَالَ السَّخَاوِيُّ فِي «الْأَجُوبَةِ الْمَرْضِيَّةِ فِيمَا سُئِلَ السَّخَاوِيُّ عَنْهُ مِنَ الْأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ» (٢٦): «وَسَنَدُهُ ضَعِيفٌ». وَفَسَّرَهُ ابْنُ النُّجَّارِ فِي «شَرْحِ الْكُوكَبِ الْمُنِيرِ» (١/٢٧٨): بِأَنْ لَا نَتَقَاءَ الْمَعْصِيَةَ سَبْعِينَ: الْمَحَبَّةَ وَالْخَوْفَ، فَلَوْ انْتَفَى الْخَوْفُ لَمْ تَوْجَدْ الْمَعْصِيَةَ لَوْجُودِ الْآخَرِ، وَهُوَ الْمَحَبَّةُ.

(٣) ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فِي «غَرِيبِ الْحَدِيثِ» (٦٥٤) دُونَ إِسْنَادٍ، وَقَالَ عَقَبَهُ: «الْمَعْنَى وَالْوَجْهَ فِيهِ: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرَادَ أَنْ صُهَيْبًا إِنَّمَا يَطِيعُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُبًّا لَهُ، لَا مَخَافَةَ عِقَابِهِ، يَقُولُ: فَلَوْ لَمْ يَكُنْ عِقَابُ يَخَافُهُ مَا عَصَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا».

وَهَذَا الْحَدِيثُ مِثَالٌ لِلْمَشْهُورِ عِنْدَ النَّحَاةِ بِ (لَوْ الصُّهَيْبِيَّةِ)، وَأُلْفَتْ فِي إِعْرَابِهِ رِسَائِلٌ، وَيَذْكُرُهُ الْأَصُولِيُّونَ وَأَصْحَابُ الْمَعَانِي وَأَهْلُ الْعَرَبِيَّةِ، وَيَرَادُ فِيهِ تَقْرِيرُ الْجَوَابِ وَجَدَ الشَّرْطَ أَوْ فَقِدَ وَلَكِنَّهُ مَعَ فَقْدِهِ أَوَّلَى.

وَقَدْ أَعْيَا الْبَحْثُ عَنْ هَذَا الْأَثَرِ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ - وَلَمْ يَصِلُوا إِلَيْهِ - مِنَ الْمَعَاصِرِينَ لِلْمَصْنَفِ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَهَذَا دَالٌّ عَلَى سَعَةِ إِطْلَاعِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَذَلِكَ ظَفَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَشْكَلِ الْحَدِيثِ» لِابْنِ قَتِيْبَةَ، دُونَ إِسْنَادٍ أَيْضًا، وَنَقَلَ قَوْلَهُ: «أَرَادَ أَنْ صُهَيْبًا يَطِيعُ اللَّهَ حُبًّا لَا لِمَخَافَةِ عِقَابِهِ». نَقَلَهُ السَّخَاوِيُّ فِي «الْأَجُوبَةِ الْمَرْضِيَّةِ» (٢٦).

(٤) أَخْرَجَ الْخُتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ» (٥٧) عَنْ الْحَسَنِ: «مَنْ قَالَ: إِنِّي أَحَبُّ اللَّهَ تَعَالَى فَهُوَ كَاذِبٌ، لَوْ أَحَبَّ اللَّهُ تَعَالَى لَعَمَلُ بِعَمَلِ يَحِبُّهُ اللَّهُ».

وَقَدْ أَوْرَدَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى اللفظَ الَّذِي ذَكَرَهُ هُنَا فِي «جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحُكْمِ» (١/٢١٢)، =

وقال عبد الله بن خبيق: قال رجل لرابعة: إنني أحبك في الله، قالت: فلا تعصي الذي أحببتي له<sup>(١)</sup>.

وسئل ذو النون: متى أحب ربي؟ قال: إذا كان ما يُبغضه عندك أمر من الصبر<sup>(٢)</sup>.

وقال بشر بن السري: ليس من أعلام الحب أن تُحب ما يُبغضه حبيبك<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو يعقوب النهرجوري: كل من ادعى محبة الله عز وجل ولم يوافق الله في أمره فدعواه باطل، وكل مُحِب ليس يخاف الله فهو مغرور<sup>(٤)</sup>.

= وفي «الكلام على كلمة الإخلاص» دون قوله: «ابن آدم».

ووقع في المطبوعات: «قال الحسن بن آدم: ...» وهو غلط في قراءة النص. (ابن آدم) منادى، وليس هو والد الحسن!

(١) عبد الله بن خبيق الأنطاكي الزاهد، صاحب يوسف بن أسباط، المتوفى (٢٦٠هـ) رحمه الله. وتصحف في (س) و(م) والمطبوعات، وما نُقل عنها إلى «عبد الله بن حنيف»! وهو على الصواب في (ش) و(ب) و(ت).

والقصة ذكرها ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٢٨٦/٢) دون عزو إلى ابن خبيق.

وروى الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٧٩) نحوها عن السري السقطي قال: قالت امرأة لرابعة: إنني أحبك في الله. وذكر ذلك أبو حيان التوحيدي في «الصدقة والصديق» (ص: ٢٥٧). والله تعالى أعلم.

وقوله: «تعصي»: هكذا في جميع النسخ، وهي مسألة معروفة في النحو في مبحث (جزم المضارع بحذف حرف العلة)، وفسرها بعضهم بإشباع حركة الحرف الذي قبله، وقيل غير ذلك.

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٦٣/٩ و٣٩٢). والصبر: عصارة نبات مر.

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٠/٨)، (٧/١٠).

(٤) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (٢١٣/١)، و(٣٩٧/٢)، وفي «الكلام على كلمة

الإخلاص».

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مُعَاذٍ: لَيْسَ بِصَادِقٍ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يَحْفَظْ حَدُودَهُ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ رُوَيْمٌ: الْمَحَبَّةُ الْمُوَافَقَةُ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، وَأُنْشَدَ:  
وَلَوْ قُلْتُ لِي: مَتَّ مَتَّ سَمْعًا وَطَاعَةً      وَقُلْتُ لِدَاعِي الْمَوْتِ أَهْلًا وَمَرْحَبًا<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَجِدُ<sup>(٣)</sup> حِلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ،  
وَحَتَّى يَكْرَهُ أَنْ يَرْجَعَ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ، وَلِهَذَا الْمَعْنَى كَانَ الْحُبُّ  
فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ مِنْ أَصُولِ الْإِيمَانِ.

وخرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ  
أَعْطَى اللَّهَ، وَمَنَعَ اللَّهَ، وَأَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ»<sup>(٤)</sup>.

وخرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَزَادَ فِيهِ: «وَأَنْكَحَ اللَّهَ»<sup>(٥)</sup>.

وَفِي لَفْظٍ لَهُ أَيْضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُحِبَّ اللَّهَ،  
وَتُبْغِضَ اللَّهَ، وَتُعْمَلَ لِسَانَكَ فِي ذِكْرِ اللَّهِ»<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٦٧)، وأورده القشيري في «الرسالة القشيرية» (٢/٤٨٨).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٣٠١)، وأورده السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٠)،  
والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/٤٢٩).

(٣) في (ش) و(ت): «ما يجد».

(٤) أخرجه الترمذي (٢٥٢١) من تكملة طبعة شاكر، وقال: «هذا حديث حسن». لكن في مخطوطة  
الكروخي: «هذا حديث منكر».

(٥) مسند الإمام أحمد (١٥٦٣٨) واللفظة المذكورة: «وأنكح الله» ليست مما رواه الترمذي كما يشير  
تصرف الحافظ ابن رجب، وإن كانت موجودة في مطبوعاته، وهي ليست في رواية الكروخي  
المخطوطة بباريس. ورواه أحمد (١٥٦١٧) من وجه آخر، وفيه هذه اللفظة.

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢٢١٣٠) في مسند معاذ بن جبل، وفيه علة فهو حديث معاذ بن أنس السابق.

وخرَجَ أبو داودَ من حديثِ أبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، وَأَعْطَى لِلَّهِ، وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ»<sup>(١)</sup>.

وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ من حديثِ البراءِ بْنِ عازِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنْ أَوْثَقَ عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ»<sup>(٣)</sup>.

وَمِنْ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْجُمُوحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَحِقُّ الْعَبْدُ حَقَّ صَرِيحِ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلَّهِ وَيُبْغِضَ لِلَّهِ، فَإِذَا أَحَبَّ لِلَّهِ، وَأَبْغَضَ لِلَّهِ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ الْوِلَايَةَ مِنَ اللَّهِ، إِنْ أَوْلِيَانِي مِنْ عِبَادِي وَأَحْبَابِي مِنَ خَلْقِي الَّذِينَ يُذَكِّرُونَ بِذِكْرِي وَأُذَكِّرُ بِذِكْرِهِمْ»<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وَرَوَى لَيْثٌ عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ<sup>(٥)</sup> فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّمَا تُنَالُ وِلَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ، لَنْ يَجِدَ

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٥٢).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٥٨٩)، ولفظه: «أفضل الأعمال».

(٣) «مسند الإمام أحمد» (١٨٥٢٤)، وهو جزء من حديث.

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٥٥٤٩) وفي مطبوعة «المسند»: «أحبائي» بدلًا من «أحبابي». وتصحفت

«يحق العبد» إلى «يجد العبد» في المطبوعة.

(٥) رسمت في النسخ: «ووالي».

عَبْدُ طَعَمِ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ  
عَامَّةُ مُوَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا. خَرَّجَهُ ابْنُ  
جَرِيرٍ الطَّبْرِيِّ<sup>(١)</sup>.

وخرَّجَ أيضًا بإسناده عن ابن مسعودٍ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَأَبْغَضَ اللَّهَ، وَأَعْطَى اللَّهَ،  
وَمَنَعَ اللَّهَ فَقَدْ تَوَسَّطَ الْإِيمَانَ<sup>(٢)</sup>.

(١) لم أجده في مظهره من «تفسير الطبري» في تفسير الآية (٦٧) من سورة الزخرف، والآية (٢٢) من  
سورة المجادلة.

والأثر مداره على ليث بن أبي سليم. أخرجه ابن أبي عمر العدني في «الإيمان» (ص ١٢٨) وهو  
أقرب الألفاظ. ورواه من وجوه أخرى عن ليث - وبعضهم ذكر الآيتين -:  
ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠٦٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف»  
(٣٥٩١٥)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٢٢). واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة»  
(١٦٩١).

\* تنبيه:

أخرجه ابن المبارك عن سفيان عن ليث من كلام ابن عباس. وكذلك أخرجه البيهقي من طريق  
علي بن عبد العزيز عن أبي نعيم (الفضل بن دكين) عن سفيان من كلام ابن عباس.  
خالفه الطبراني فرواه في «الكبير» (١٣٥٣٧) عن علي بن عبد العزيز بسنده لكن من كلام ابن عمر!  
ورواه عن الطبراني كذلك: أبو نعيم الأصبهاني في «الحلية» (٣١٢ / ١)، وذكر معه حديثين آخرين  
لابن عمر.

وذكر أبو نعيم أسانيده من ثلاثة وجوه أخر عن ليث وعطف عليها ما روى لفظه من طريق سفيان،  
من كلام ابن عمر وعَلَّقَ أربعة وجوه عقبه عن ليث. ثم قال: «ورواه الأعمش عن مجاهد عن ابن  
عمر نحوه»! والله تعالى أعلم بالصواب.

ورواية الأعمش تشير إلى أن صوابه عن ابن عمر. والله أعلم.

(٢) لم أجده هذا الأثر عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والمعروف في هذا أثر يرويه عبد الله بن ضمرة عن كعب الأحبار قال: «من أقام الصلاة وآتى =

وخرَجَ الحاكمُ من حديثِ عائشةَ رضيَ الله عنها، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «الشُّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»<sup>(١)</sup> على الصِّفَا في اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ، وَأَذْنَاهُ أَنْ تُحِبَّ<sup>(٢)</sup> عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْجَوْرِ وَتُبْغِضَ<sup>(٣)</sup> عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْعَدْلِ، وَهَلِ الدِّينُ إِلَّا الْحُبُّ وَالْبُغْضُ<sup>(٤)</sup>؟ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَفِيمَا قَالَهُ نَظَرٌ<sup>(٥)</sup>.

ففي هذا الحديثِ أَنَّ مَحَبَّةَ مَا يَكْرَهُهُ<sup>(٦)</sup> اللَّهُ وَبُغْضَ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنَ الشُّرْكِ الْخَفِيِّ. وَرَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الْأَصْمَعِيِّ، عَنْ سُفْيَانَ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] قَالَ: لَا يُحِبُّونَ غَيْرِي<sup>(٧)</sup>.

= الزكاة وسمع وأطاع فقد توسط الايمان، ومن أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل

الإيمان»، أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٤٨٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٣١/٦)، وغيرهما.

(١) في حاشية (س) وفي (م): «الذر»، وهو المثبت في مطبوعة «المستدرک» الهندية.

(٢) في (ش) و(ت): «يُحِب».

(٣) في (ش) و(ت): «يُبْغِض».

(٤) في (س) و(م): «في الله والبغض في الله».

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٩١/٢). وفي سنده: عبد الأعلى بن أعين. قال الدارقطني في

«العلل» (٣٥٣٩): «وعبد الأعلى بن أعين ضعيف الحديث، والحديث غير ثابت». وقال العقيلي

في «الضعفاء الكبير» (٦٠/٣): «ولا يتابع عليه، ولا يُعرف إلا به، وعبد الأعلى بن أعين هذا حدث

عن يحيى بن أبي كثير بغير حديث منكر لا أصل له».

(٦) في (س) و(م): «يبغضه».

(٧) لم أجده من طريق الأصمعي. وإنما وجدته من طريق الأشجعي عن سفیان. أخرجه الختلي في

«المحبة لله عز وجل» (٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٩٦/٣). ولفظه كالمثبت من (س)

و(م) و(ب). وأخرجه الطبري (٣٥٠/١٧) من وجه آخر عن سفیان ولفظه: «لا يخافون غيري».

ووقع في (ش) و(ت): «لا تشركوا بي شيئاً» قال: لا تحبوا غيري.

وحيثُ لا يكْمُلُ التَّوْحِيدُ الْوَاجِبُ إِلَّا بِمَحَبَّةٍ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ، وَبُغْضٍ مَا يُبْغِضُهُ اللَّهُ، وكذلك لا يَتِمُّ الْإِيمَانُ الْوَاجِبُ إِلَّا بِذَلِكَ، وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ الْإِخْلَالَ بِبَعْضِ الْوَاجِبَاتِ، وَارْتِكَابَ بَعْضِ الْمُحَرَّمَاتِ يَنْقُصُ بِهِ الْإِيمَانُ الْوَاجِبُ بِحَسَبِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ» الْحَدِيثُ (١).

وَرَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ طَرِيقِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، قَالَ: مَنْ أَصْبَحَ وَأَكْبَرَ هَمَّهُ غَيْرُ اللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ (٢).

وَقَدْ رُوِيَ هَذَا مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِأَسَانِيدَ ضَعِيفَةٍ (٣).

فَهَذِهِ الدَّرَجَةُ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ فَرَضٌ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَهِيَ دَرَجَةُ الْمُقْتَصِدِينَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ.

الدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: دَرَجَةُ السَّابِقِينَ الْمُقَرَّبِينَ، وَهِيَ أَنْ تَرْتَقِيَ الْمَحَبَّةُ (٤) إِلَى مَحَبَّةٍ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ مِنْ نَوَافِلِ الطَّاعَاتِ، وَكَرَاهَةِ مَا يَكْرَهُهُ مِنْ دَقَائِقِ الْمَكْرُوهَاتِ، وَإِلَى الرِّضَا بِمَا يُقَدَّرُ وَيَقْضِيهِ مِمَّا يُؤْلِمُ النَّفْسَ مِنَ الْمُصِيبَاتِ (٥)، وَهَذَا فَضْلٌ مُسْتَحَبٌّ مَدْرُوبٌ إِلَيْهِ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٤٧٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (٦٧٨٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (١٧٨).

(٣) عِنْدَ الْخُتْلِيِّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (٣٨)، وَأَبِي نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٤٨/٣).

(٤) فِي (ب) وَ(م): «يَرْتَقِي الْمَحَبَّ».

(٥) فِي (س) وَ(م): «الْمَصَائِبِ».

إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحَبَّهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي <sup>(١)</sup> لَا أُعِذُّنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ <sup>(٢)</sup>.

وقد رُوِيَ هذا المعنى عن النَّبِيِّ ﷺ من حديث علي بن أبي طالب <sup>(٣)</sup>، وابن عباس <sup>(٤)</sup>، وأبي أمامة <sup>(٥)</sup>، وعائشة <sup>(٦)</sup>، رضي الله عنهم بأسانيد فيها نظر.

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده عن سُهِيلِ أَخِي حَزْمٍ قَالَ: بَلَغَنِي عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ قَيْسٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحَبُّتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حُبًّا سَهْلَ عَلَيَّ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَرَضَانِي بِكُلِّ قَضِيَّةٍ، فَمَا أَبَالِي مَعَ حُبِّي إِيَّاهُ مَا أَصْبَحْتُ عَلَيْهِ وَمَا أُمْسَيْتُ <sup>(٧)</sup>.

قَالَ <sup>(٨)</sup> إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ التَّمِيمِيُّ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعَابِدٍ: أَوْصِنِي، أَوْ عِظْنِي، فَقَالَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَغْلَبُ عَلَى قَلْبِكَ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ مَا أَجِدُ شَيْئًا أَنْفَعَ لِلْمُحِبِّ عِنْدَ حَبِيبِهِ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي مُحَبَّتِهِ، وَهَلْ

(١) في (ش) و(ت): «استعاذني».

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢). وفي (س): «عن قبض نفس المؤمن». واللفظة الزائدة للشرح وليست من الحديث.

(٣) أخرجه الإسماعيلي في «مسند علي»، كما ذكر المصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٣٣٢/٢).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢٧١٩).

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٨٨٠).

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٢٦١٩٣)، والطبراني في «الأوسط» (٩٣٥٢).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٧١).

(٨) في (س) و(م): «وقال».



تَدْرِي مَا ذَلِكَ؟ أَنْ لَا يَعْلَمَ شَيْئًا فِيهِ رِضَاهُ إِلَّا أَتَاهُ، وَلَا يَعْلَمَ شَيْئًا فِيهِ سَخَطُهُ إِلَّا اجْتَنَبَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْزِلُ الْمَحْبُوبُ<sup>(١)</sup> مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَنَازِلَ الْمَحَبَّةِ، قَالَ: فَصَرَخَ<sup>(٢)</sup> الْعَابِدُ وَالسَّائِلُ وَسَقَطَا<sup>(٣)</sup>.

فَقَدْ تَبَيَّنَ بِمَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ مُحَبَّةَ اللَّهِ إِذَا صَدَقَتْ أَوْجَبَتْ مُحَبَّةَ طَاعَتِهِ وَامْتِثَالِهَا، وَبُغْضَ مَعْصِيَتِهِ وَاجْتِنَابَهَا، وَقَدْ يَقَعُ الْمُحِبُّ أحيانًا فِي تَفْرِيطٍ فِي بَعْضِ الْمَأْمُورَاتِ، وَارْتِكَابِ بَعْضِ<sup>(٤)</sup> الْمَحْظُورَاتِ، ثُمَّ يَرْجِعُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَلَامَةِ، وَيَنْزِعُ عَنْ ذَلِكَ وَيَتَذَكَّرُكَ بِالتَّوْبَةِ.

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» أَنَّ رَجُلًا كَانَ يُؤْتَى بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَدْ شَرِبَ الْخَمْرَ، فَقَالَ رَجُلٌ: اللَّهُمَّ الْعَنَّهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَلْعَنَهُ؛ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قَالَ: التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَإِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبُهُ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (ش): «الْمَحْبُوب»، وَفِي (ت) مَعَ الضَّبْطِ: «يُنْزَلُ الْمَحْبُوب».

(٢) فِي (ب) وَ(م): «وُخْرِجَ» تَصْغِيرٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْخُتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٥٠).

(٤) فِي (س): «لِبَعْضٍ». وَفِي (م): «بَعْضُ مُحَرَّمَاتِ الْمَحْظُورَاتِ».

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٦٧٨٠) وَلَفْظُهُ: «لَا تَلْعَنُوهُ فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ: أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ».

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَعْدِ فِي «مُسْنَدِهِ» (١٧٥٦)، وَعَنْهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّوْبَةِ» (١٨٣).

وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٣١٨/٤) مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الشَّعْبِيِّ.

وَرُوِيَ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي سَعِيدٍ بِأَسَانِيدٍ فِيهَا كَلَامٌ.

وَذَكَرَ الْمُصَنِّفُ طَرَفَهُ الْآخَرَ فِي «الْكَلَامِ عَلَى كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ».

وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: إن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من حبه إذا أحبه أن يقول<sup>(١)</sup>: اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك<sup>(٢)</sup>.

والمُرَاد من هذا أن الله تعالى إذا أحب عبداً و<sup>(٣)</sup>قدَّر عليه بعض الذنوب فإنه يُقدِّر له الخلاص منها بما يمحوها، من توبة أو عمل صالح، أو مصائب مكفرة، كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «أذنب عبد ذنباً فقال: ربِّ إني<sup>(٤)</sup> عملت ذنباً فاغفر<sup>(٥)</sup> لي»، فذكر الحديث إلى أن قال: «فليعمل ما شاء»<sup>(٦)</sup>.

والمُرَاد ما دام على هذا كلما عمل ذنباً اعترف به، وندم عليه، واستغفر منه، فأما مع الإصرار عليه فلا، وكذلك المحبة الصادقة الصحيحة تمنع من الإصرار على الذنوب، وعدم الاستحياء من علام الغيوب، وما أحسن قول بعضهم:

تَعْصِي الإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ      هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ شَنِيعُ  
لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ      إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ<sup>(٧)</sup>

(١) في (س) و(م): «يقول له».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٤١)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (١٧٠/٣).

(٣) في (ب): «أو» سبق قلم.

(٤) في (س) و(م): «أي رب».

(٥) في (ش) و(ت): «فاغفره».

(٦) ذكره المصنف مختصراً، والحديث بتمامه في البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) هذان البيتان مما يكثر جداً التمثل بهما. ونسباً إلى كثير من القائلين، فنسباً لذي الرمة، ولأبي العتاهية، ولابن المبارك، وللشافعي، وللمحمود الوراق، وتمثل بهما كثير من الأكابر. والشرط الثاني من البيت الأول ذكر بالفاظ متعددة.

## الباب الثاني

### في بيان أن من أعظم المطالب وأهمها

### سؤال الله تعالى محبته على أكمل الوجوه وأتمها

رَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَتَانِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ» يَعْنِي فِي الْمَنَامِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ فِي آخِرِهِ: «قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَتَوَفَّنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ، وَأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ<sup>(١)</sup> يُقَرِّبُ<sup>(٢)</sup> إِلَى حُبِّكَ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ فَادْرُسُوهَا، ثُمَّ<sup>(٣)</sup> تَعَلَّمُوهَا»<sup>(٤)</sup>، خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ، وَخَرَّجَهُ الْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ.

وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «وَحُبَّ عَمَلٍ يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ»<sup>(٥)</sup>.

وَخَرَّجَ الْبَزَّازُ وَالطَّبْرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ<sup>(٦)</sup>.

وَخَرَّجَ الْبَزَّازُ بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ، عَنِ ابْنِ عَمْرٍو عَنِ النَّبِيِّ ﷺ نَحْوَهُ، وَفِي

(١) فِي (س): «كُلْ عَمَلٍ». وَلَيْسَ الزِّيَادَةُ مِنَ الْحَدِيثِ.

(٢) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ش) وَ(ت) وَ(م) مُوَافَقًا لِلتِّرْمِذِيِّ، وَفِي (ب) وَ(س): «يُقَرِّبُنِي» مُوَافَقًا لِلْمُسْنَدِ.

(٣) الْمَثْبُوتُ مِنْ (ش) وَ(ب) مُوَافَقًا لِلتِّرْمِذِيِّ، وَفِي (س) وَ(م): «وَتَعَلَّمُوهَا» مُوَافَقًا لِلْمُسْنَدِ.

(٤) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٢١٠٩)، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٢٣٥)، وَالْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (١/٥٢١). وَقَدْ أَفْرَدَهُ

الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِشْرَاحِ فِي «إِخْتِيَارِ الْأَوَّلَى فِي شَرْحِ حَدِيثِ اخْتِصَامِ الْمَلَأِ الْأَعْلَى».

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الدَّعَاءِ» (١٤١٧) مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٦) أَخْرَجَهُ الْبَزَّازُ (٤١٧٢)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الدَّعَاءِ» (١٤١٧)، وَالْحَاكِمُ (١/٥٢٧) وَقَالَ: «صَحِيحٌ

عَلَى شَرْطِ الْبَخَارِيِّ».

حديثه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ حَبِّكَ»<sup>(١)</sup>، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ<sup>(٢)</sup> إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبِي، حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّ لَن يُصِيبَنِي إِلَّا مَا كَتَبْتَ لِي، وَرَضَّيْنِي بِمَا قَسَمْتَ لِي»<sup>(٣)</sup>.

وخرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي، وَمَنْ الْمَاءِ الْبَارِدِ»، قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ دَاوُدَ وَتَحَدَّثَ<sup>(٤)</sup> عَنْهُ قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ أَعْبَدَ الْبَشَرِ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ غَرِيبٌ<sup>(٥)</sup>.

وخرَجَ التِّرْمِذِيُّ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْخَطَمِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يَنْفَعُنِي حُبُّهُ عِنْدَكَ، اللَّهُمَّ مَا رَزَقْتَنِي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ قُوَّةً لِي فِيمَا تُحِبُّ، اللَّهُمَّ وَمَا زَوَيْتَ عَنِّي مِمَّا أُحِبُّ فَاجْعَلْهُ فَرَاغًا لِي فِيمَا تُحِبُّ»، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ<sup>(٦)</sup>.

وخرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا وَغَيْرُهُ، مِنْ رَوَايَةِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنِ الْهَيْثَمِ بْنِ

(١) المثبت من (ش) و(ب) و(ت)، وفي (س) و(م): «من يحبك»، وفي مطبوعة «مسند البزار» أشار محققه إلى طمس في الأصل، واختصر الحديث في «كشف الأستار» (٣/ ١٤).

(٢) في (س) و(م): «إني أسألك».

(٣) «مسند البزار» (٥٣٨٥).

(٤) في (ش): «أو تحدث»، ولا يوجد حرف العطف في الترمذي.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٩٠)، والحاكم (٤٣٣/٢) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه». وتعقب الذهبي على الحاكم فيه نظر، والله أعلم.

(٦) أخرجه الترمذي (٣٤٩١).

مالك الطائي، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، واجْعَلْ خَشْيَتَكَ أَخَوْفَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي، واقطع عني حاجات الدنيا بالشَّوقِ إلى لقاءِكَ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا من دنياهم<sup>(١)</sup> فأقر عيني من عبادتِكَ»، وهذا مُرْسَلٌ<sup>(٢)</sup>.

وخرَجَ ابنُ أبي الدنيا أيضًا، من رواية أبي بُرْدَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عَمَرَ، فسمِعْتُهُ حِينَ سَجَدَ<sup>(٣)</sup> يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ، وَخَوْفَكَ أَخَوْفَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي<sup>(٤)</sup>.

وخرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ، وَلَفْظُهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ وَأُخْشَى عِنْدِي<sup>(٥)</sup>. وَصَحَّ مِنْ رِوَايَةِ نَافِعٍ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ كَانَ يَدْعُو عَلَى الصَّافَا وَالْمُرْوَةِ وَفِي مَنَاسِكَهِ فَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِمَّنْ يُحِبُّكَ، وَيُحِبُّ مَلَائِكَتَكَ، وَيُحِبُّ رُسُلَكَ، وَيُحِبُّ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ حَبِّبْنِي إِلَيْكَ، وَإِلَى مَلَائِكَتِكَ، وَإِلَى رُسُلِكَ، وَإِلَى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ، فِي دُعَاءٍ لَهُ كَثِيرٌ<sup>(٦)</sup>.

وَرَوَى إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ فِي «كِتَابِ الْمَحَبَّةِ» لَهُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ<sup>(٧)</sup> أَبِي الزَّاهِرِيَّةِ

(١) فِي (س) وَ(م)، وَنَسَخَةٌ فِي (ش): «بَدْنِيَاهُمْ».

(٢) أَخْرَجَهُ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ: أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢٨٢/٨)، وَأَخْرَجَهُ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا: يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ الْهَادِي فِي «الْتِهَايَةِ فِي اتِّصَالِ الرِّوَايَةِ» (٤٤٩).

(٣) فِي (س) وَ(م): «يَسْجُد».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ أَيْضًا فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٥٨/٣١).

(٥) «حَلِيَّةُ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٠٤/١).

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٠٨/١).

(٧) فِي (س): «إِلَى».

قَالَ: كَانَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أَحِبَّائِكَ<sup>(١)</sup>؛ فَإِنَّكَ إِذَا أَحَبَبْتَ عَبْدًا غَفَرْتَ ذَنْبَهُ وَإِنْ كَانَ عَظِيمًا، وَقَبِلْتَ عَمَلَهُ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا<sup>(٢)</sup>.

وَبِإِسْنَادِهِ عَنْ صَالِحِ بْنِ مِشْمَارٍ قَالَ: بَلَّغْنَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ دَاوُدَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: إِنَّ رَبِّي جَلَّ وَعَزَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ لَتَسْأَلَهُ حَاجَةً، قَالَ سُلَيْمَانُ: فَإِنِّي أَسْأَلُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَ قَلْبِي يُحِبُّهُ كَمَا كَانَ قَلْبُ أَبِي دَاوُدَ يُحِبُّهُ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ قَلْبِي يَخْشَاهُ كَمَا كَانَ قَلْبُ أَبِي دَاوُدَ يَخْشَاهُ، فَقَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَرْسَلْتُ إِلَى عَبْدِي لِيَسْأَلَنِي حَاجَةً فَكَأَنْتَ حَاجَتُهُ إِلَيَّ أَنْ أَجْعَلَ قَلْبَهُ يُحِبُّنِي وَأَجْعَلَ قَلْبَهُ يَخْشَانِي، وَعَزَّتِي لِأَكْرَمَنَّهُ، فَوَهَبَ لَهُ مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٣٩ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَكَابٍ ﴿ [ص: ٣٩ - ٤٠] <sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ سَلَامِ بْنِ مَسْكِينٍ قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ اْمَلَأْ قُلُوبَنَا إِيمَانًا بِكَ، وَيَقِينًا بِكَ، وَمَعُونَةً، وَمَعْرِفَةً بِكَ<sup>(٤)</sup>، وَتَصَدِيقًا لَكَ، وَحُبًّا لَكَ، وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ<sup>(٥)</sup>.  
وَعَنْ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ أَرْكَانًا قَوِيَّةً عَلَى عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ جَوَارِحَ مُسَارِعَةٍ إِلَى طَاعَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ هِمَمًا مُتَعَلِّقَةً بِمَحَبَّتِكَ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (ب) وَ (س) وَ (م): «أَحِبَّاءِكَ».

(٢) «الْمَحَبَّة» (٢٥٤). وَهَذَا مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ.

(٣) «الْمَحَبَّة» (٧٩). وَهُوَ مِنَ الْأَخْبَارِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) فِي (ش) وَ (ت): «وَمَعْرِفَةً بِكَ، وَمَعْرِفَةً لَكَ»، وَفِي (ب): «وَمَعُونَةً بِكَ وَمَعْرِفَةً لَكَ»، وَفِي (س):

«وَمَعْرِفَةً بِكَ وَمَعْرِفَةً». وَالْمُثْبِتُ كَمَا فِي (م)، وَهُوَ الْمَوْافِقُ لِلْمَصْدَرِ.

(٥) «الْمَحَبَّة» (٨٦).

(٦) «الْمَحَبَّة» (٨٧).

وعن مَرْثِدِ أَبِي عامِرٍ، عن الحسنِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضي الله عنهما، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مَحَبَّةَ لَكَ تَقْطَعُ بِهَا عَنِّي مَحَبَّاتِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا، وَارْزُقْنِي مَحَبَّةَ لَكَ تَجْمَعُ لِي بِهَا خَيْرَ الْآخِرَةِ وَنَعِيمِهَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَحَبَّتَكَ آثَرَ الْأَشْيَاءِ عِنْدِي وَأَقْرَبَهَا لِعَيْنِي، وَاجْعَلْنِي أَحَبَّكَ حُبَّ الرَّاعِبِينَ فِي مَحَبَّتِكَ حُبًّا لَا يُخَالِطُهُ حُبٌّ هُوَ<sup>(١)</sup> أَعْلَى مِنْهُ فِي صَدْرِي، وَلَا أَكْثَرُ مِنْهُ فِي نَفْسِي، حَتَّى يَشْتَغَلَ قَلْبِي بِهِ عَنِ السُّرُورِ بغيرِهِ، حَتَّى يَكْمُلَ لِي بِهِ عِنْدَكَ الثَّوَابُ غَدًا فِي أَعْلَى مَنَازِلِ الْمُحِبِّينَ لَكَ يَا كَرِيمُ.

قَالَ: وَكَانَ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْبَيْتِ وَكَانَ يَدْعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ فِي آخِرِ كَلَامِهِ وَيَبْكِي<sup>(٢)</sup>.  
وعن عُقْبَةَ بْنِ فَضَالَةَ، قَالَ: كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْخَوَاصُّ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ بَعْدَ مَا كَبَّرَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبًّا لَكَ، وَحُبًّا لَطَاعَتِكَ، وَحُبًّا لِمُطِيعِكَ<sup>(٣)</sup>، وَحُبًّا لِأَوْلِيَائِكَ، وَحُبًّا لِأَهْلِ مَحَبَّتِكَ وَخُدَّامِكَ<sup>(٤)</sup>، اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي حُبًّا تَرْفَعُنِي بِهِ عِنْدَكَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الْعُلَى، فِي مَنَازِلِ الْمُحِبِّينَ لَكَ، قَالَ: وَكَانَ يَبْكِي حَتَّى يَكَادَ يَهْمُدُ، وَكَانَ قَدْ كَبَّرَ جَدًّا<sup>(٥)</sup>.

وعن أَبِي صَخْرٍ، عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَرْسَلَ يَوْمًا إِلَيْهِ وَعُمَرُ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، آيَةُ أَسْهَرَتْ نِيَّ الْبَارِحَةَ<sup>(٦)</sup>، قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمَا هِيَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ؟ قَالَ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿لَوْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ لَفَسَدُوا﴾ [المائدة: ٥٤]، قَالَ مُحَمَّدٌ: إِنَّمَا

(١) كتب ناسخ (س) وناسخ (م): «هوى»!

(٢) رضي الله عنه. «المحبة» (٨٤).

(٣) في (ب) و(س): «لمطيعك».

(٤) في (س): «وخدمتك».

(٥) رحمه الله تعالى. «المحبة» (٨٥).

(٦) في (س) و(م): «إنه أسهرتني البارحة آية».

عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الْوَلَاةَ مِنْ قُرَيْشٍ، ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾<sup>(١)</sup> عَنْ الْحَقِّ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، وَهُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، قَالَ عَمْرُ: يَا لَيْتَنِي وَإِيَّاكَ مِنْهُمْ، قَالَ: آمِينَ<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ سَدَقَةَ أَبِي مُهْلَهْلٍ قَالَ: أَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ: أَتُحِبُّ اللَّهَ؟ فَقُلْتُ: إِي وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنِّي لِأُحِبُّهُ، وَأُحِبُّ طَاعَتَهُ، قَالَ: أَفَلَا تُنَادِيهِ نِدَاءَ أَوْلِيَائِهِ؟ قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: قُلْ: نَبِّهْنِي إِلَهِي لِلخَطَرِ الْعَظِيمِ مِنْ مُحِبَّتِكَ يَا بَارِي النَّسَمِ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ: ثَنَا أَبُو قُرَّةَ، ثَنَا حُمَيْدُ بْنُ قَائِدٍ، قَالَ: كَانَ بَعْضُ التَّابِعِينَ يَقُولُ: إِلَهِي أَعْطَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَكَ، فَكَيْفَ تَحْرِمُنِي وَأَنَا أَسْأَلُكَ؟ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تُسَكِّنَ عَظَمَتَكَ قَلْبِي<sup>(٤)</sup>، وَأَنْ تَسْقِيَنِي شَرْبَةً مِنْ كَأْسِ حُبِّكَ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ أَحْمَدُ: وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ مَرْيَمَ أُمِّ عِيسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، اللَّهُمَّ املأ قلبي بك فرحاً، وغش وجهي منك الحياة. وَكَانَ مِنْ دُعَاءِ بَعْضِ التَّابِعِينَ: اللَّهُمَّ املأ قلبي بخوفك وخشيتك وأحبه بحُبِّكَ وَذِكْرِكَ<sup>(٦)</sup>.

(١) «المحبة» لابن الجنيدي الختلي (٢٢٩). وفي (ت): «وهم أهل اليمن» تصحيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٧٠) ويستدرك من هنا الخرم الواقع في مطبوعته.

(٣) في (ب) و(ت) و(س) و(م): «في قلبي».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٨٦/١٠).

وقوله: «ثنا حميد بن قائد» لا توجد في «الحلية»، وإنما القول لأبي قرة. ولم أظفر بحميد بن قائد.

(٥) في حاشية (ت) و(س): «بلغ». والأثران أخرجهما ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢١/٧٠)،

وأخرج الثاني أبو نعيم في «الحلية» (١٨٦/١٠).



### الباب الثالث

#### في بيان الأسباب التي يُستجَلَبُ<sup>(١)</sup> بها محبة ربِّ الأرباب

فمن ذلك معرفة نِعَمِهِ على عباده، وقد جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها، وهذا الكلامُ مَرْوِيٌّ عن ابنِ مسعودٍ، وَرَوِيَ عنه مرفوعاً، ولا يصحُّ<sup>(٢)</sup>.

قال بعضهم: إذا كانتِ القلوبُ جُبِلَتِ على حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إليها فواعجباً لِمَنْ لا يرى مُحْسِناً غيرَ الله، كيف لا يميلُ بِكُلِّيَّتِهِ إليه؟!<sup>(٣)</sup>

(١) في (س) و(م): «تُستجلب».

(٢) قال مُهنّا: سألت أحمد ويحيى عن قول الناس: «جُبِلَتِ القلوبُ على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها؟» فقالا: ليس له أصل، وهو موضوع. (كما في «المنتخب من العلل للخلال»، لابن قدامة ٢٤). وقال أبو حاتم الرازي: «هذا حديث منكر، وكان ابن أخت عبد الرزاق يكذب». - يعني رواه عن عبد الرزاق - (كما في «علل الحديث» لابن أبي حاتم) (٢٥٢٣).

والحديث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/٢٨٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «أمثال الحديث» (١٦٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٧٣) موقوفاً، وأخرجه ابن عدي (٢/٢٨٦)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/١٢١)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٥٩٩) (٦٠٠) مرفوعاً.

وقد سئل الإمام السخاوي عن هذا الحديث، فقال: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، بل ولا عن ابن مسعود، بل ولا عن الأعمش، كما صرح به بعض الحفاظ». وأطال في نقد طرقه ووجوهه. انظر: «الأجوبة المرضية فيما سئل السخاوي عنه من الأحاديث النبوية» (١/٣٧٠ - ٣٧٧).

(٣) قاله أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز رحمه الله. أخرجه السلمي في «طبقات الصوفية»، في ترجمته (٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/٤٥٦)، ومن طرقهم ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥/١٣٨).

قال ابن كثير في ترجمة الخراز من «البداية والنهاية»، وفيات سنة (٢٧٧)، وذكر كلامه: «وهذا الحديث ليس بصحيح، ولكن كلامه عليه من أحسن ما يكون».

وقال بعض السلف: ذكّر النعم<sup>(١)</sup> يُورث الحبّ لله عزّ وجلّ<sup>(٢)</sup>.

قال الفضيل: أوحى الله إلى داود عليه السلام: أحبني<sup>(٣)</sup>، وأحبّ من يحبني، وحبّني إلى خلقي<sup>(٤)</sup> عبادي، قال: يا ربّ هذا أحبّك، وأحبّ من يحبّك، فكيف أحبّك إلى عبادك؟ قال: تذكّرني ولا تذكّر مني إلّا حسناً<sup>(٥)</sup>.

ويروى عن كعب قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام: يا موسى أتحبّ أن تُحبّك جتّي<sup>(٦)</sup> وملائكتي، وما ذرأت من الجنّ والإنس؟ قال: نعم يا ربّ، قال: حبّني إلى خلقي، قال: كيف أحبّك إلى عبادك<sup>(٧)</sup>؟ قال: ذكّرهم آلائي ونعمائي؛ فإنّهم لا يذكرون مني إلّا كلّ حسنة<sup>(٨)</sup>.

وعن أبي عبد الله الجدليّ قال<sup>(٩)</sup>: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: يا

= وقال في ترجمة أبي علي الدقاق، وفيات سنة (٤١٢) وذكر هذا الكلام منسوباً إليه: «كلامه على هذا الحديث جيد، والحديث لا يصح بالكلية».

(١) في (ب) و(س): «النعم».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (٣) (١٢٦)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢١)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦ / ٣٣٤). مما سمعه عبد العزيز بن عمير الخراساني الزاهد من أبي سليمان الواسطي رحمهما الله تعالى.

(٣) في (ب): «أحبني».

(٤) سقطت اللفظة من (ب) و(س) و(م)، وكتبت في (ت) ثم ضرب عليها.

(٥) لم أجده عن الفضيل، وإنما أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣٩٥) عن عبد الله بن الحارث نحوه. وأخرج الختلي في «المحبة» (١٢٤) عن أبي فزارة نحوه.

(٦) في (س): «أحبتي». وهو وهم.

(٧) في (س) و(م): «خلقك».

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢ / ٣٢) ضمن أثر طويل.

(٩) في حاشية (ش): «قف على هذا الكلام البديع إلى آخره».

داودُ أَحِبَّنِي<sup>(١)</sup>، وَأَحَبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَحَبَّبَنِي إِلَى النَّاسِ، قَالَ: يَا رَبُّ أُحِبُّكَ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكَ، فَكَيْفَ أُحِبُّكَ إِلَى النَّاسِ؟ قَالَ: تُذَكِّرُهُمْ آلَائِي وَنِعْمَائِي، فَلَا يَذْكُرُونَ مِنِّي إِلَّا حَسَنًا<sup>(٢)</sup>.

وَبُرَوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَحِبُّوا اللَّهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَحِبُّوا نَبِيَّ اللَّهِ<sup>(٣)</sup>، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي لِحُبِّي»، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُوجُودٌ فِي بَعْضِ نُسَخِ «كِتَابِ التِّرْمِذِيِّ»<sup>(٤)</sup>.

وَالْحُبُّ عَلَى النِّعَمِ مِنْ جُمْلَةِ شُكْرِ الْمُتَنِعِمِ، وَهُوَ وَاجِبٌ عَلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ: إِنَّ الشُّكْرَ يَكُونُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالْجَوَارِحِ.

وَمِنْ الْأَسْبَابِ أَيْضًا مَعْرِفَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي جَعْفَرٍ: سَمِعْتُ عُتْبَةَ الْغُلَامَ يَقُولُ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطَاعَهُ، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَهُ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ<sup>(٥)</sup>، وَمَنْ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ فَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ: فَطُوبَاهُ<sup>(٦)</sup> وَطُوبَاهُ حَتَّى خَرَّ سَاقِطًا<sup>(٧)</sup> مَغْشِيًا عَلَيْهِ، خَرَّجَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ<sup>(٨)</sup>.

(١) فِي (ت) وَ(س): «أَحِبَّنِي».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ فِي «الْخُطْبِ وَالْمَوَاعِظِ» (٦٠). وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ» (٣٧٤)، وَالْخُتْلَى فِي «الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (١٢٥) وَغَيْرِهِمْ.

(٣) فِي (ت): «يَغْذُوكُمْ بِهِ مِنْ نِعْمَةٍ»، وَفِي (س) وَ(م): «لِحُبِّ».

(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٧٨٩)، وَقَالَ: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ لِنَمَانِعِهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ».

(٥) فِي (ش): «وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ تَعَالَى أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ».

(٦) فِي (ب) وَ(س) وَ(م): «وَطُوبَاهُ».

(٧) فِي حَاشِيَةِ (س) إِشَارَةٌ إِلَى نَسَخَةِ: «سَاجِدًا».

(٨) فِي «الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» (٢١٠) وَعِنْدَهُ: «وَأَطُوبَاهُ»، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٢٣٦/٦).

وقال بُذَيْلُ بْنُ مَيْسَرَةَ: مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ أَحَبَّهُ، وَمَنْ عَرَفَ الدُّنْيَا زَهَدَ فِيهَا، خَرَّجَهُ  
الإمامُ أحمدُ وغيرُه<sup>(١)</sup>.

ومن أعظم أسباب المعرفة الخاصة التَّفَكُّرُ في ملكوتِ السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ  
وما خلقَ اللهُ من شيءٍ.

قالَ الجوزْجانيُّ: ثنا<sup>(٢)</sup> صاحبُ لي عن جعفرِ بنِ سُلَيْمانَ قالَ: كُنَّا نَكُونُ عِنْدَ  
مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ عَشِيَّةَ جُمُعَةٍ، فَكَانَ يَجِيءُ خَلِيفَةُ الْعَبْدِيِّ بَعْدَ الْعَصْرِ فَيَأْخُذُ بَعْضَادَتِي  
الْبَابِ فَيَقُولُ: يَا أَبَا يَحْيَى، عَلَيْكَ السَّلَامُ. يَا أَبَا يَحْيَى، لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُعْبَدْ  
إِلَّا عَنْ رُؤْيَةٍ مَا عَبْدَهُ أَحَدٌ؛ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ<sup>(٣)</sup>، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنِينَ تَفَكَّرُوا فِي مَجِيءِ  
هَذَا اللَّيْلِ إِذَا جَاءَ فَطَبَّقَ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَلَأَ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَحَى سُلْطَانَ النَّهَارِ، وَتَفَكَّرُوا  
فِي مَجِيءِ هَذَا النَّهَارِ إِذَا جَاءَ فَمَلَأَ كُلُّ شَيْءٍ، وَطَبَّقَ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَحَى سُلْطَانَ اللَّيْلِ،  
وَتَفَكَّرُوا فِي السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَتَفَكَّرُوا فِي الْفُلْكِ الَّتِي  
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَتَفَكَّرُوا فِي مَجِيءِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ  
الْمُؤْمِنُونَ يَتَفَكَّرُونَ فِيمَا خَلَقَ لَهُمْ رَبُّهُمْ حَتَّى أَيْقَنْتَ قُلُوبَهُمْ، وَحَتَّى كَانُوا عِبَادَ اللَّهِ  
عَنْ رُؤْيَةٍ<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَ شَمِيطُ بْنُ عَجْلَانَ يَقُولُ: دَلَّنَا رَبُّنَا عَلَى نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَإِنَّكَ

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٨٢٣)، والختلي في «المحبة» (٣٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠٨/٣). ولم أجده في «الزهد» لأحمد بن حنبل.

(٢) في (س) و(م): «حدثني».

(٣) في (س) و(م): «لأنه لا تدركه الأبصار».

(٤) وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٣/٦) عن أبي الشيخ في «العظمة» (٦٣) بسنده إلى

خليفة العبدي.

رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴿ [الأعراف: ٥٤، ويونس: ٣] الآية. انتهى<sup>(١)</sup>.

وفي القرآن شيءٌ كثيرٌ من التذكيرِ بآياتِ الله الدالةِ على عظمته وقدرته، وجلاله<sup>(٢)</sup> وكماله وكبريائه، ورأفته ورحمته، وبطشه وقهره وانتقامه، إلى غيرِ ذلك من صفاته العلى<sup>(٣)</sup>، وأسمائه الحسنَى، والندبِ إلى التفكُّرِ في مصنوعاتِ الدالةِ على كماله، فإنَّ القلوبَ مفطورةٌ على محبةِ الكمالِ، ولا كمالَ على الحقيقةِ إلا له سبحانه وتعالى، ولهذا كان السلفُ يُفضِّلُون التفكُّرَ على نوافلِ البدنِ.

ورُوِيَ ذلك عن ابنِ المُسيَّبِ والحسن<sup>(٤)</sup>.

وقال عمرُ بنُ عبد العزيزٍ رضي الله عنه: الفِكرةُ في نِعَمِ الله أفضلُ العبادةِ<sup>(٥)</sup>.

وقال عُبَيْدُ الله<sup>(٦)</sup> بنُ مُحَمَّدٍ التَّيْمِيُّ: أفضلُ النَّوافِلِ طولُ الفِكرِ<sup>(٧)</sup><sup>(٨)</sup>.

وكان أكثرَ عملٍ أبي الدرداءِ رضي الله عنه الاعتبارُ والتفكُّرُ<sup>(٩)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٣١/٣).

(٢) هنا تنتهي القطعة الموجودة لدينا من النسخة (م).

(٣) هكذا رسمت في النسخ، موافقة لرسم المصحف، ويجوز رسمها هكذا: العُلا.

(٤) انظر كلام سعيد بن المسيب رحمه الله في «الزهد» لأبي داود (٤١٤)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم

(١/٣٤٩)، وكلام الحسن البصري رحمه الله في «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٦٣٧١)، و«الزهد»

لأحمد بن حنبل (١٥٤٧)، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٢٧١/٦).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/٣١٤).

(٦) في (س): «عبد الله».

(٧) في (س): «الفكرة». وفي حاشية (ش): «قف على ما ذكر».

(٨) لم أظفر بمن أخرج هذا الأثر. وقد ذكره المصنف في «تفسير الفاتحة».

(٩) سُئِلَتْ أم الدرداء: ما كان أفضل عمل أبي الدرداء رضي الله عنهما؟ فقالت: التفكير. أخرجه =

وكلام الإمام أحمد<sup>(١)</sup> يدل على مثل هذا أيضًا<sup>(٢)</sup>.  
وقال ذو النون: تُنال المعرفة بثلاث، بالنظر في الأمور كيف دبرها، وفي  
المقادير كيف قدرها، وفي الخلائق كيف خلقها<sup>(٣)</sup>.  
وسئل أبو سليمان الداراني: بأي شيء تُنال معرفته<sup>(٤)</sup>؟ قال: بطاعته، قيل: فبأي  
شيء تُنال طاعته؟ قال: به. انتهى<sup>(٥)</sup>.  
وكلما قويت معرفة العبد بالله قويت محبته له ومحبته لطاعته، وحصلت له لذة  
العبادات من الذكر وغيره على قدر ذلك<sup>(٦)</sup>.  
وقد روى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن ابن عمر<sup>(٧)</sup> رضي الله عنهما قال: أخبرني

= أبو الشيخ في «العظمة» (٤٥)، وأخرج ابن المبارك في «الزهد» (٩٤٩) من كلام أبي الدرداء  
رضي الله عنه: «وتفكر ساعة خير من قيام ليلة». وهو مروي عنه من وجوه في كتب الزهد.  
(١) في (ش) و(ب): «وكلام أحمد».

(٢) نقل مثنى بن جامع عنه في رجل أكل فشيع وأكثر الصلاة والصيام، ورجل أقل الأكل فقلّت نوافله  
وكان أكثر فكرة، أيهما أفضل؟ فذكر ما جاء في الفكر: «تفكر ساعة خير من قيام ليلة»، قال: فرأيت  
هذه عنده أكثر - يعني: التفكر -.

نقله المصنف رحمه الله في «القواعد» (ص: ٢٢) ط الخانجي، وهو في «طبقات الحنابلة» لابن أبي  
يعلى (٣٣٧/١) ط الفقي.

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/٣٣٩).

(٤) في (س): «معرفة الله».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/٢٧٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/٥٢٣)، وابن عساكر  
في «تاريخ دمشق» (٢٢/٣٤٦)، (٣٤/١٢٦).

(٦) في حاشية (ش): «قف على ما ذكر إلى آخره».

(٧) هكذا في النسخ، وهكذا وقع للمصنف رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/٥٢٠).  
والصواب: أنه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُحِبُّ الذِّكْرَ كَمَا تُحِبُّ الْحَمَامَةُ وَكُرْهًا، وَلَهُمْ أَسْرَعُ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ مِنَ الْإِبِلِ إِلَى وَرْدِهَا يَوْمَ ظَمَائِهَا<sup>(١)</sup>.

وعن مالك بن دينارٍ قَالَ: مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup>.

وعنه قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ، أَيُّهَا الصَّدِيقُونَ، تَنَعَّمُوا بِذِكْرِي فِي الدُّنْيَا فَإِنَّهُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ وَفِي الْآخِرَةِ جَزَاءٌ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ الْحِكْمَةِ: أَيُّهَا الصَّدِيقُونَ، افْرَحُوا بِي، وَتَنَعَّمُوا بِذِكْرِي<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ مُسْلِمٌ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ: مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ<sup>(٥)</sup> بِشَيْءٍ فِي صُدُورِهِمْ أَلَذَّ مِنْ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَحَبَّةِ أَهْلِ ذِكْرِهِ<sup>(٦)</sup>.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ غَسَّانٍ قَرَأْتُ فِي زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَحِبُّوا اللَّهَ يَا صَدِيقِيهِ، افْرَحُوا أَيُّهَا الصَّدِيقُونَ بِاللَّهِ، وَتَنَعَّمُوا بِذِكْرِهِ<sup>(٧)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ الْحَكِيمُ التِّرْمِذِيُّ فِي «نَوَادِرِ الْأُصُولِ» (١/ ١٥٤) ط: عميرة، وابن أبي الدنيا - ولم أجده في أجزائه المطبوعة - وإنما ذكر إسناده ابن حجر في «نزهة السامعين» في رواية الصحابة عن التابعين» (٢٥).

(٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَمِنْ طَرِيقِهِ الْبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٦٩٢) بِهَذَا اللَّفْظِ وَأَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢/ ٣٥٨) مِنْ طَرِيقِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بِلَفْظٍ: «مَا تَنَعَّمُ الْمُتَنَعِّمُونَ...».

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٢/ ٣٥٨). وَآخِرُهُ: «... جَزَاءٌ عَظِيمٌ».

(٤) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ» (١٠٦).

(٥) فِي (ب) وَ(س): «الْمَتَّقُونَ». وَأَشِيرُ إِلَى نَسْخِهِ فِي حَاشِيَةِ (ت).

(٦) لَمْ أَجِدْهُ بِهَذَا اللَّفْظِ، وَإِنَّمَا أَخْرَجَ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٢/ ٢٩٤) عَنْ مُسْلِمِ بْنِ يَسَارٍ: «مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ الْخُلُوةِ بِمَنَاجَاةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».

(٧) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ لِلَّهِ» (١٥٧).

وقال أحمد بن أبي الحواري: عن أبي جعفر الرقي: ما فرح أحد بغير الله إلا بالغفلة عن الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

قال: وأخبرنا<sup>(٢)</sup> محمود عمّن أخبره قال: رأيت بالبصرة رجلاً كثير الدُّؤوب قليل الطَّعم جيّد البدن، فقلت له: أراك كثير الدُّؤوب قليل الطَّعم جيّد البدن، قال: ذلك من فرحي بحُبِّ الله عز وجل، إذا ذكرتُ أنه ربِّي وأنا عبده لم يمنع<sup>(٣)</sup> بدني أن يصلح<sup>(٤)</sup>.

وقال الفضل الرقاشي: والله لو جُمع للعابدين جميع لذاذات الدنيا بحذافيرها لكان امتيهاً لهم أنفسهم لله بطاعته ألدّ وأحلى عندهم من ذلك كله<sup>(٥)</sup>.

وقال إبراهيم بن أدهم: أعلى الدرجات أن يكون ذكرُ الله عندك أحلى من العسل، وأشهى من الماء العذب الصافي عند العطشان في اليوم الصائف<sup>(٦)</sup>.

وقال زهير البابي<sup>(٧)</sup>: إنَّ لله عبادةً ذكرُوه فخرَجَتْ نفوسُهم إعظاماً واشتياقاً، وقوماً ذكرُوه فوجِلَتْ قلوبُهم فرَقاً وهيبةً له، فلو أُحرقُوا بالنارِ لم يجدُوا مسَّ النارِ،

(١) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠٠).

(٢) في (س): «وحدثنا».

(٣) في «كتاب المحبة»: «لم يمتنع».

(٤) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٦٠).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠٩).

(٦) ذكره المصنف بسياق أطول في «جامع العلوم والحكم» (١٣٣/١) ولم أظفر به عن إبراهيم بن

أدهم، وفي معناه: كلام لشقيق بن إبراهيم البلخي، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦٦/٨).

(٧) تصحف في (س) إلى: «البامي»، وتصحف في حاشيتها إلى «اليامي».



وآخَرُونَ ذَكَرُوهُ فِي الشِّتَاءِ وَبَرِدِهِ فَارْفَضُوا عَرَقًا<sup>(١)</sup> مِنْ خَوْفِهِ، وَقَوْمًا ذَكَرُوهُ فَحَالَتْ أَلْوَانُهُمْ غَيْرًا، وَقَوْمًا ذَكَرُوهُ فَجَفَّتْ أَعْيُنُهُمْ سَهْرًا<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو حفص النِّسابوريُّ إذا ذَكَرَ اللهَ تَغَيَّرَتْ عَلَيْهِ حَالُهُ، حَتَّى كَانَ يَرَى ذَلِكَ مِنْهُ جَمِيعُ مَنْ حَضَرَهُ<sup>(٣)</sup> ففَعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: مَا أَبْعَدَ ذِكْرَنَا مِنْ ذِكْرِ الْمُحَقِّقِينَ، فَمَا أَظُنُّ مُحَقَّقًا<sup>(٤)</sup> يَذْكُرُ اللهَ مِنْ<sup>(٥)</sup> غَيْرِ غَفْلَةٍ ثُمَّ يَبْقَى بَعْدَ ذَلِكَ حَيًّا إِلَّا الْأَنْبِيَاءَ؛ فَإِنَّهُمْ أُيِّدُوا بِقُوَّةِ النُّبُوَّةِ، وَخَوَاصُّ الْأَوْلِيَاءِ بِقُوَّةِ وَلَايَتِهِمْ<sup>(٦)</sup>.

وَمَعَ هَذَا كُلَّهُ فَلَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ لِتَبَيَّنَ أَنَّ الْأَمْرَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، وَلِهَذَا يَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِذَا كُشِفَتْ لَهُمُ الْحُجُبُ وَرَأَوْهُ مُعَايَنَةً قَالُوا: «سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ»<sup>(٧)</sup>.

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً فِي السَّمَاءِ قِيَامًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ تَرْعُدُ فَرَائِصُهُمْ مِنْ مَخَافَتِهِ، مَا مِنْهُمْ مَلَكٌ تَقَطَّرُ مِنْ عَيْنَيْهِ دَمْعَةٌ إِلَّا وَقَعَتْ عَلَى مَلِكٍ يُسَبِّحُ، وَاللَّهُ

(١) أي: سَالَ عَرَقُهُمْ.

(٢) أَخْرَجَهُ الدِّينُورِيُّ فِي «الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ» (١٧٦٣) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا. وَأَخْرَجَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ (٢٧٦٩). وَمَا فِي بَعْضِ الْمَطْبُوعَاتِ: «أَلْوَانُهُمْ غَيْرًا» تَصْحِيفٌ.

(٣) فِي (ب) وَ(ت): «حَضَر».

(٤) فِي (ب): «أَنْ مُحَقَّقًا».

(٥) فِي (ب): «عَنْ».

(٦) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٣١٢/٢).

(٧) أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي «الْمُسْتَدْرَكِ» (٥٨٦/٤) مِنْ حَدِيثِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَخْرُجْ.

لَكِنْ فِيهِ: أَنَّ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ عِنْدَ وَضْعِ الْمِيزَانِ، لَا مِنْ قَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عِنْدَ دُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ.

ملائكةٌ سُجودًا منذُ خلقَ الله السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَمْ يَرْفَعُوا رُؤُوسَهُمْ وَلَا يَرْفَعُونَهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَصُفُوفًا لَمْ يَتَفَرَّقُوا عَنْ مَقَامِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ تَجَلَّى لَهُمْ رَبُّكَ عِزًّا وَجَلًّا، فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَقَالُوا: سُبْحَانَكَ مَا عَبْدُكَ كَمَا يَنْبَغِي لَكَ، خَرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا، وَالْأَجَرِيُّ مَرْفُوعًا<sup>(١)</sup>.

وَرُويَ نَحْوُهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مُرْسَلٍ<sup>(٢)</sup>.

وَرُويَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مَوْقُوفًا<sup>(٣)</sup> نَحْوُهُ أَيْضًا<sup>(٤)</sup>.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ عِزًّا وَجَلًّا تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُحَمِّدُونَكَ، وَيُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا»<sup>(٥)</sup>. وَذَكَرَ بَقِيَّةَ الْحَدِيثِ.

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الرَّقَّةِ وَالْبَكَاءِ» (١٠٥). مِنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ أُرْطَاةَ مَرْفُوعًا مَرْسَلًا. وَأَبُو

الشَّيْخِ فِي «الْعِظْمَةِ» (٥١٥) -.. وَأَخْرَجَ الْأَجَرِيُّ فِي «الشَّرِيعَةِ» (٨٩٥) حَدِيثَ سَلْمَانَ السَّابِقِ.

(٢) فِي (س): «مَرْسَلًا». أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ الْمُرُوزِيُّ فِي «تَعْظِيمِ قَدْرِ الصَّلَاةِ» (٢٥٨) مِنْ مَرَاثِيلِ الْحَسَنِ.

(٣) فِي (ب) وَ(س): «مَرْفُوعًا»!

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ بَطَّةَ فِي «الْإِبَانَةِ الْكُبْرَى» (٣٣).

(٥) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦٤٠٨) وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ (٢٦٨٩).

وإذا كان مخلوقٌ يقولُ في مخلوقٍ:

وكنْتُ أَرَى أَنْ قَدْ تَنَاهَى بِي الْهَوَى  
إِلَى غَايَةٍ مَا فَوْقَهَا لِي مَطْلَبُ  
فَلَمَّا تَلَاَقَيْنَا وَعَايَنْتُ حُسْنَهَا  
تَيَقَّنْتُ أَنِّي إِنَّمَا كُنْتُ الْعَبُّ<sup>(١)</sup>  
فكيفَ بِالخَالِقِ الْمَلِكِ الْحَقِّ الْعَظِيمِ؟ الَّذِي لَا يُقَدَّرُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَا يُحِيطُ خَلْقُهُ  
بِهِ عِلْمًا، وَلَا يُحْصُونَ ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ كَمَا أَتَى عَلَى نَفْسِهِ.

### فصل

وَمِنَ الْأَسْبَابِ الْجَالِبَةِ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُعَامَلَةُ اللَّهِ بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ  
وَمُخَالَفَةِ الْهَوَى؛ فَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبٌ لِنَفْضِ<sup>(٢)</sup> اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ وَأَنْ يَمْنَحَهُ مَحَبَّتَهُ.

قَالَ بَشْرُ الْحَافِي: قَالَ فَتَحَ الْمَوْصِلِيُّ: مَنْ أَدَامَ النَّظَرَ بَقَلْبِهِ وَرَّثَهُ ذَلِكَ الْفَرَحَ  
بِالْمَحْبُوبِ، وَمَنْ آثَرَهُ عَلَى هَوَاهُ وَرَّثَهُ ذَلِكَ حَبَهُ إِيَّاهُ، وَمَنْ اشْتَأَقَ إِلَيْهِ وَزَهَدَ فِيمَا سِوَاهُ  
وَرَعَى حَقَّهُ وَخَافَهُ بِالْغَيْبِ وَرَّثَهُ ذَلِكَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ. خَرَّجَهُ أَبُو نَعِيمٍ وَغَيْرُهُ<sup>(٣)</sup>.  
وَيُقَالُ: إِنَّ سَرِيًّا السَّقَطِيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ كَانَ لَهُ دُكَّانٌ فَاحْتَرَقَ السُّوقُ الَّذِي كَانَ فِيهِ  
الدُّكَّانُ<sup>(٤)</sup> وَلَمْ يَحْتَرِقْ دُكَّانُهُ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، ثُمَّ تَفَكَّرَ فِي ذَلِكَ فَرَأَى  
أَنَّهُ قَدْ سُرَّ بِعَطْبِ النَّاسِ وَسَلَامَتِهِ، فَتَصَدَّقَ بِمَا فِي دُكَّانِهِ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ ذَلِكَ وَرَقَّاهُ إِلَى  
دَرَجَةِ الْمَحَبَّةِ<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكره أبو بكر محمد بن داود الظاهري في كتابه «الزهرة» (ص: ٢٧٤) لبعض أهل عصره. وعجز  
البيت الأول عنده: إلى غاية ما بعدها لي مذهب، وصدر البيت الثاني: فلما تفرقتا تذكرت ما مضى...  
(٢) في (س): «الفضل».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩٢).

(٤) في (ب) و(س): «دكانه».

(٥) رواها الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٦٠).

وسئِلَ مرّةً عن حاله فأنشد:

مَنْ لَمْ يَيْتِ وَالْحُبُّ حَشْوُ فُؤَادِهِ      لَمْ يَذِرْ كَيْفَ تَقَتُّتِ الْأَكْبَادُ<sup>(١)</sup>  
وَبَلَغَ مِنْ أَمْرِهِ أَنَّهُ لَمَّا مَرَضَ رُفِعَ مَاؤُهُ إِلَى طَيْبٍ<sup>(٢)</sup>، فَلَمَّا رَأَى الطَّيِّبُ قَالَ: هَذَا  
عَاشِقٌ، فَصُعِقَ حَامِلُ الْمَاءِ وَغُشِيَ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

وَنَظَرُوا إِلَى جَسَدِهِ مَرَّةً وَكَأَنَّهُ سَقِيمٌ مُضْنَى، فَقَالَ: لَوْ شِئْتُ أَنْ أَقُولَ: هَذَا كُلُّهُ  
مِنْ مَحَبَّتِهِ لَقُلْتُ<sup>(٤)</sup>.

وَسُئِلَ الْمُرْتَعِشُ: بِمِ تَنَالُ الْمَحَبَّةَ؟ قَالَ: بِمُؤَالَاةِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمُعَادَاةِ  
أَعْدَائِهِ، وَأَصْلُهُ الْمُوَافَقَةُ<sup>(٥)</sup>.

وَمَنْ أَعْظَمَ مَا تُسَبِّحُ بِهِ الْمَحَبَّةُ: كَثَرَةُ الذِّكْرِ مَعَ الْحُضُورِ.

قَالَ ذُو النُّونِ: مَنْ شَغَلَ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ بِالذِّكْرِ قَذَفَ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ نَوْرَ الْإِشْتِيَاقِ  
إِلَيْهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١١٩/١٠). لكن في كتاب «من اسمه عمرو من الشعراء» (٢٠٥) لابن الجراح: نسبته إلى عمرو بن أحمد بن بديل النامي، أبي السري مع بيتين قبله. وصدّره:

«مَنْ لَمْ يَيْتِ وَالْبَيْنُ يَصْدَعُ قَلْبَهُ»

(٢) في (س): «الطيب».

(٣) القصة ذكرها عن الجنيد الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣٣٨/٤) ط دار المعرفة. وابن الجوزي في «التبصرة» (ص: ٥٠٠)، و«المدّش» (ص: ٥٠٠).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٧٣/١٠)، وعنه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٦٥/١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨٨/٢٠).

(٥) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» في ترجمة أبي محمد عبد الله بن محمد المرتعش النيسابوري.

(٦) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٧٨/٩).

وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يُقال: من علامة المحبة لله دوام الذكر بالقلب واللسان، وقلما وَلَعَ المرءُ بذكر الله عزَّ وجلَّ إلا أفادَ منه حبَّ الله عز وجل<sup>(١)</sup>.

ومما يُستَجَلَبُ به المحبة: تلاوة القرآن بالتدبر والتفكير، ولا سيما الآيات المتضمنة للأسماء والصفات والأفعال الباهرات، ومحبة ذلك يستوجبُ به العبدُ محبةَ الله<sup>(٢)</sup> ومحبةَ الله له.

وفي «الصحيحين» عن أنس، أن رجلاً كان يُصلي بهم ويختِمُ قراءته ب: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، فأمر النبي ﷺ أن يُسأل عن ذلك، فقال: إنها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يُحِبُّه»<sup>(٣)</sup>.

ومن أسباب المحبة تذكُّر ما وردَ في الكتاب والسنة من رؤية أهل الجنة لربهم وزيارتهم له، واجتماعهم يومَ المزيد، فإن ذلك يستجلبُ<sup>(٤)</sup> المحبة الخاصة.

وقد أشار إلى ذلك الحسن. قال دَلَّهم عن الحسن: أوصيكم بتقوى الله عزَّ وجلَّ، وإدمان التفكير؛ فإنه مفتاحٌ خلال الخير كله، وبه يخصُّ الله كلَّ مُوفِّقٍ، واعلموا أن خيرَ ما ظفَرَ<sup>(٥)</sup> به مُدركٌ من تفكير: مُخالصة<sup>(٦)</sup> الله، وشربُ بكأسِ حُبِّه. وإنَّ أحبَّاء الله هم الذين ظفروا بطيب الحياة، وذاقوا لذة نعيمها بما وصلوا إليه

(١) قاله إبراهيم بن الجنيد الختلي في «المحبة» (ص: ١٠٥).

(٢) في (ت): «محبه لله».

(٣) لفظ هذا الحديث أخرجه البخاري (٧٣٧٥)، ومسلم (٨١٣) لكن من حديث عائشة رضي الله عنها. أما حديث أنس، فقد علقه البخاري بعد حديث (٧٧٤) بلفظ آخر.

(٤) في (ب) و(ت) و(س): «يستجلب به»، وفي (س): «بالتاء».

(٥) في (س): «ظفرتم».

(٦) في (س): «بخالصة».

من مُناجاة حبيبهم، وما وجدوا من حلاوة حُبِّه في قلوبهم، ولا سيَّما إذا خطرَ على بالٍ أحدهم ذكرُ مُشافهته، وكشفِ سُتورِ الحُجُبِ عنه في المَقامِ الأمينِ، والسُّرورِ الدَّائمِ، وأراهم جلاله، وأسمَعَهُمْ لَذَّةَ<sup>(١)</sup> منطِقِه، وردَّ عليهم جوابَ ما ناجَّوه به أيَّامَ حياتهم؛ إذ قلوبُهم به مشغوفةٌ، وإذ مودَّتُهُم إليه معطوفةٌ، وإذ هم له مؤثرون، وإليه مُنقَطِعُونَ، فليُسِّرَ<sup>(٢)</sup> المُصَفُّونَ له وُدَّهُم بالمنظرِ العجيبِ بالحبيبِ، فوالله ما أراه يُحِلُّ لعاقِلٍ، ولا يجمُلُ به أن يستوعبه سوى حبِّ الله عزَّ وجلَّ. خرَّجه ابنُ أبي الدنيا وغيرُه<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) في (س): «الذيد».

(٢) في (ب) و(س): «فليُسِّرَ».

(٣) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة». وفي حاشية (ت): «بلغ» ولم أجد هذا الأثر فيما وقفت عليه من أجزاء ابن أبي الدنيا، ولم أجدّه عند غير المصنف رحمه الله.

## الباب الرابع

### في علامات المحبة الصادقة

### من التزام طاعة الله تعالى والجهاد في سبيله واستحلاء الملامة في ذلك واتّباع رسوله

قال الله جلّ وعلا: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمَةً ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]: فوصف الله سبحانه المحبين له بخمسة أوصاف:

أحدها: الذلّة<sup>(١)</sup> على المؤمنين، والمراد لين الجانب، وخفض الجناح، والرحمة والرفّة للمؤمنين، كما قال تعالى لرسوله: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، ووصف أصحابه بمثل ذلك في قوله: ﴿ثُمَّ حَمَّذُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وهذا يرجع إلى أن المحبين لله يحبون أحبّاءه ويعودون عليهم بالعطف والرفّة والرحمة، وقد سبق في الباب الأول بيان ذلك.

الثاني: العزّة على الكافرين، والمراد: الشدّة والغلظة عليهم، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وهذا يرجع إلى أن المحبين له يغيضون أعداءه، وذلك من لوازم المحبة الصادقة كما سبق تقريره أيضًا.

الثالث: الجهاد في سبيله<sup>(٢)</sup>، وهو مجاهدة أعدائه باليد واللّسان، وذلك أيضًا

(١) في (ش) و(ت): «أذلة».

(٢) في (س): «سبيل الله».

من تمام مُعاداة أعداء الله الذي تستلزمه<sup>(١)</sup> المحبة، وأيضاً فالجهاد في سبيل الله فيه دعاء الخلق إلى الله تعالى وردهم إلى بابهِ بالقهر لهم والغلبة، كما قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

قال مُجاهدٌ وغيره: يعني كُنْتُمْ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ<sup>(٢)</sup>. فخير الناس للناس أنفعهم لهم، ولا نفع أعظم من الدعاء إلى التوحيد والطاعة، والنهي عن الشرك والمعصية. وسئل الحسن عن رجلٍ له أُمٌّ فاجرة، فقال: يُقَيِّدُها فما وصلها بشيءٍ أعظم من أن يكفَّها عن معاصي الله عزَّ وجلَّ<sup>(٣)</sup>.

قال إبراهيم بن أدهم: سمعتُ رجلين من الزهاد يقول أحدهما للآخر: يا أخي، ما ورث أهل المحبة من محبتهم؟ قال: فأجابه الآخر: ورثوا النظر بنور الله، والعطف على أهل معاصي الله، قال: فقلتُ له: كيف يعطف على قوم قد خالفوا أمر<sup>(٤)</sup> محبوبهم؟ فقال: مقت أعمالهم وعطف عليهم؛ ليزيلهم بالمواعظ عن فعالهم، وأشفق على أبدانهم من النار، لا يكون المؤمن مؤمناً حقاً حتى يرضى للناس ما يرضاه<sup>(٥)</sup> لنفسه<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ب): «تستلزم».

(٢) «تفسير مجاهد» (ص: ٢٥٧).

(٣) أخرجه الحسين بن حرب في «البر والصلة» (٢٠٣) وكانت هذه المسألة أول ما ذكر به الحسن رحمه الله.

(٤) في (ش) و(ت): «مسرة».

(٥) في (ب): «يرضى». موافقاً لما في «الحلية».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨ / ٢٥) وعنده: «ما ورث أهل المحبة من محبوبهم»؟



الرَّابِعُ: أَنَّهُمْ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةً لَائِمًا، وَالْمُرَادُ أَنَّهُمْ يَجْتَهِدُونَ فِيمَا يَرْضَى بِهِ اللَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَلَا يُبَالُونَ بِلَوْمٍ<sup>(١)</sup> مَن لَامَهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْهُ إِذَا كَانَ فِيهِ رِضَا رَبِّهِمْ.

وهذا من علامات المحبة الصادقة، أَنَّ الْمُحِبَّ يَشْتَغِلُ بِمَا يَرْضَى بِهِ حَبِيبُهُ وَمَوْلَاهُ، وَيَسْتَوِي عِنْدَهُ مَنْ حَمِدَهُ فِي ذَلِكَ أَوْ لَامَهُ، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ بَعْضُهُمْ: وَقَفَ الْهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي أَجْدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً حَبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيُلْمَنِي الْيَوْمَ<sup>(٢)</sup>

الخَامِسُ: مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ، وَهُوَ طَاعَتُهُ وَاتِّبَاعُهُ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

قَالَ مُبَارَكُ بْنُ فَضَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ: كَانَ نَاسٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نُحِبُّ رَبَّنَا حُبًّا شَدِيدًا، فَأَحَبَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَ لِحُبِّهِ عِلْمًا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١]<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بَيْنَ مُحِبَّتِهِ وَمُحِبَّةِ رَسُولِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤].

وكَذَلِكَ وَرَدَ فِي السُّنَّةِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ جَدًّا قَدْ سَبَقَ ذِكْرُ بَعْضِهَا.

وَالْمُرَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ إِلَّا مِنْ طَرِيقِ رَسُولِهِ ﷺ بِاتِّبَاعِهِ وَطَاعَتِهِ،

(١) فِي (س): «بِلَوْمَةٍ».

(٢) الْبَيْتَانِ لِأَبِي الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَزِينٍ، انْظُرْ: «الشَّعْرُ وَالشَّعْرَاءُ» لِابْنِ قَتِيْبَةَ (٢/ ٨٣٢) وَغَيْرِهِ مِنْ دَوَاوِينِ الْأَدَبِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْخُتْلِي فِي «الْمُحِبَّةِ» (٦٢)، وَأَخْرَجَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنِ الْحَسَنِ: الطَّبْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ»

كما قال الجنيد وغيره من العارفين: الطُّرُقُ إلى الله مسدودةٌ إلا مَنْ اقتفى أثرَ الرسولِ ﷺ<sup>(١)</sup>.

وكلامُ أئمةِ العارفينَ في هذا البابِ كثيرٌ جدًا.

قال إبراهيم بن الجنيد: يُقالُ: علامةُ المُحبِّ على صدقِ الحبِّ ستُّ خصالٍ: أحدها: دوامُ الذِّكرِ بقلبه بالسُّرورِ بمولاه.

والثانية: أثرُهُ<sup>(٢)</sup> محبةٌ سيِّده على محبةِ نفسه ومحبةِ الخلائق، يبدأ بمحبةِ مولاه قبلَ محبةِ نفسه ومحبةِ الخلائق.

والثالثة: الأنسُ به، والاستِثقالُ لكلِّ قاطعٍ يقطعُ عنه، أو شاغلٍ يشغله عنه.

والرابعة: الشَّوْقُ إلى لقائه، والنَّظَرُ إلى وجهه.

والخامسة: الرِّضا عنه في كلِّ شديدةٍ وضُرٍّ ينزلُ به.

والسادسة: اتِّباعُ رسوله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

ومحبةُ الرسولِ ﷺ على درجتين:

إحداهما: فرضٌ، وهي المحبةُ التي تقتضي قَبولَ ما جاء به<sup>(٤)</sup> من عندِ الله،

وتلقَّيه بالمحبةِ والتَّعظيمِ، والرِّضا به والتَّسليمِ<sup>(٥)</sup>، وعدمَ طلبِ الهدى من غيرِ طريقه

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/٢٥٧).

(٢) هكذا في جميع النسخ، وفي حاشية (س): «لعلها: إثاره». والأثر: الاسم من الإيثارة.

(٣) «المحبة»، لإبراهيم الختلي، ابن الجنيد (١٦٢).

(٤) في (س): «ما جاء به الرسول».

(٥) في (س): «والرضا والتعظيم والتسليم».

بالكَلِيَّةِ، ثُمَّ حُسْنَ الْإِتِّبَاعِ لَهُ فِيمَا بَلَغَهُ عَنْ رَبِّهِ مِنْ تَصَدِيقِهِ فِي كُلِّ مَا أُخْبِرَ<sup>(١)</sup>، وَطَاعَتَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ، وَالْإِنْتِهَاءِ عَمَّا نَهَى عَنْهُ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ، وَنُصْرَةِ دِينِهِ، وَالْجِهَادَ لِمَنْ خَالَفَهُ بِحَسَبِ الْقُدْرَةِ، فَهَذَا الْقَدْرُ لَا يَدُّ مِنْهُ، وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِدُونِهِ.

وَالدَّرَجَةُ الثَّانِيَةُ: فَضْلٌ، وَهِيَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَقْتَضِي حُسْنَ التَّأْسِّي بِهِ، وَتَحْقِيقَ الْاِقْتِدَاءِ بِسُنَّتِهِ فِي أَخْلَاقِهِ وَآدَابِهِ، وَنَوَافِلِهِ وَتَطَوُّعَاتِهِ، وَأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَلِبَاسِهِ، وَحُسْنَ مُعَاشَرَتِهِ لِأَزْوَاجِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آدَابِهِ الْكَامِلَةِ، وَأَخْلَاقِهِ الطَّاهِرَةِ<sup>(٢)</sup>، وَالْاعْتِنَاءَ بِمَعْرِفَةِ سِيرَتِهِ وَأَيَّامِهِ، وَاهْتِزَازِ الْقَلْبِ عِنْدَ ذِكْرِهِ وَتَصَوُّرِهِ، وَكَثْرَةَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ؛ لِإِمَّا سَكَنَ فِي الْقَلْبِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَعْظِيمِهِ وَتَوْقِيرِهِ، وَمَحَبَّةِ اسْتِمَاعِ<sup>(٣)</sup> كَلَامِهِ، وَإِثَارِهِ عَلَى كَلَامِ غَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَمَنْ أَعْظَمَ ذَلِكَ الْاِقْتِدَاءُ بِهِ فِي زُهْدِهِ فِي الدُّنْيَا، وَالْاجْتِرَاءُ بِالسَّيْرِ مِنْهَا، وَرَغْبَتُهُ فِي الْآخِرَةِ.

قَالَ سَهْلُ التُّسْتَرِي: مِنْ عِلَامَةِ<sup>(٤)</sup> حُبِّ اللَّهِ: حُبُّ الْقُرْآنِ، وَعِلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ الْقُرْآنِ: حُبُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَعِلَامَةُ حُبِّ النَّبِيِّ ﷺ: حُبُّ السُّنَّةِ، وَعِلَامَةُ حُبِّ السُّنَّةِ: حُبُّ الْآخِرَةِ، وَمِنْ عِلَامَةِ<sup>(٥)</sup> حُبِّ الْآخِرَةِ: بُغْضُ الدُّنْيَا، وَعِلَامَةُ بُغْضِ الدُّنْيَا: أَنْ لَا يَأْخُذَ مِنْهَا إِلَّا زَادًا يُبْلَغُهُ<sup>(٦)</sup> إِلَى الْآخِرَةِ<sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (ب): «أُخْبِرَ بِهِ».

(٢) فِي (ب): «الظَّاهِرَةُ».

(٣) فِي (ب): «سَمَاعٌ».

(٤) فِي (س): «مِنْ عِلَامَاتٍ».

(٥) فِي (ش) وَ(ت): «وَمِنْ عِلَامَاتٍ» وَفِي «قُوتِ الْقُلُوبِ»: «وَعِلَامَةُ».

(٦) فِي «قُوتِ الْقُلُوبِ»: «وَيُبْلَغُهُ».

(٧) ذَكَرَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي «قُوتِ الْقُلُوبِ» فِي ذِكْرِ أَحْكَامِ الْمَحَبَّةِ (٢/٨٨).

## فصل

وقد ذكرنا في الباب الأول أن محبة الله عز وجل الواجبة تقتضي محبة ما أوجب من الطاعات وامتنالها، وكراهة ما كره<sup>(١)</sup> من المحرمات واجتنابها، وأن محبة المستحبة<sup>(٢)</sup> تقتضي محبة التقرب إليه بالنوافل، والورع عن دقائق المكروهات. والمحبة الواجبة تقتضي أيضا مخالفة الهوى، وإيثار ما يحبه الله ويرضاه على ما تشتهي النفس وتهواه.

فإذا تمكنت المحبة في القلب وامتلاً القلب منها أخرجت<sup>(٣)</sup> من القلب محبة كل ما يكرهه الله، فلم يبق في القلب سوى محبة الله ومحبة ما يحبه، فلم تنبعث الجوارح إلا إلى الطاعات التي تقتضي التقرب إلى الله، وصارت النفس حينئذ مطمئنة.

والى هذا<sup>(٤)</sup> الإشارة في الحديث الإلهي: «إذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»<sup>(٥)</sup>، وقد سبق ذكره.

وروى إبراهيم بن الجنيد بإسناده عن فرقد السبخي، قال: قرأت في بعض الكتب: من أحب الله تعالى لم يكن شيء عنده أثر من هواه، ومن أحب الدنيا لم يكن شيء عنده أثر من هوى نفسه، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد، ولن<sup>(٦)</sup> يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل، يحبونه ويحبون ذكره، ويحبونه إلى خلقه،

(١) في (ب) و(س): «كرهه».

(٢) في (ب): «المستحبة».

(٣) في (ب): «خرجت».

(٤) في (ب): «هذه».

(٥) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) في (س): «ولم»، وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

وَيَمْشُونَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالنَّصَائِحِ، وَيَخَافُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ تَبْدُو الْفَضَائِحُ، أُولَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاءُؤُهُ وَأَهْلُ صِفْوَتِهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا رَاحَةَ لَهُمْ دُونَ لِقَائِهِ <sup>(١)</sup>.

وعن ثور بن يزيد <sup>(٢)</sup> قَالَ: نَظَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ وَحْدَانِيٌّ مُتَنَبِّذٌ، فَقَالَ: مَا لَكَ وَحْدَانِيٌّ؟ قَالَ: عَادَيْتُ الْخَلْقَ فَيْكَ، قَالَ: أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ مُحِبِّي أَنْ تَعْطِفَ عَلَى عِبَادِي، وَتَأْخُذَ عَلَيْهِمْ <sup>(٣)</sup> بِالْفَضْلِ، هُنَالِكَ أَكْتُبُكَ مِنْ أَوْلِيَائِي، وَمِنْ أَحِبَّائِي، فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ كَتَبْتُكَ فِي دِيْوَانِ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ <sup>(٤)</sup>.

وعن عبيد الله بن محمد التيمي قَالَ: سَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ عَنْ بَعْضِ أَوْلِيَاكَ الصُّخَّامِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ عَلَى الْمَخَافَةِ قَدْ يُغَيِّرُهُ الرَّجَاءُ، وَالْعَمَلَ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَا يَدْخُلُهُ الْفُتُورُ <sup>(٥)</sup>.

وعن عبد الله بن أبي نوح قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا مِنَ الْعُبَادِ يَقُولُ فِي كَلَامِهِ: إِذَا سَيِّمَ الْبَطَّالُونَ مِنْ بَطَالَتِهِمْ فَلَنْ يَسَامَ مُحِبُّوكَ مِنْ مُنَاجَاتِكَ وَذِكْرِكَ <sup>(٦)</sup>.

وعن أبي جعفر المَحَوَّلِيِّ، قَالَ: وَلِيُّ اللَّهِ الْمُحِبُّ اللَّهُ لَا يَخْلُو قَلْبُهُ مِنْ ذِكْرِ رَبِّهِ، وَلَا يَسَامُ مِنْ خِدْمَتِهِ، فَإِذَا أَعْرَضَ أَعْرَضَ عَنْهُ، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَى اللَّهِ أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ <sup>(٧)</sup> بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ <sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٥).

(٢) في (س): «زيد» تصحيف.

(٣) في (ب): «عنهم».

(٤) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٢٤٨).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٣٧).

(٦) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة». والقول أخرجه الختلي في «المحبة» (١٤١).

(٧) في (ب): «أقبل عليه».

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٧٠).

وعن مسلم أبي عبد الله قال: مَنْ أَحَبَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أَثَرَهُ هَوَى الله عَزَّ وَجَلَّ عَلَى<sup>(١)</sup> مَحَبَّةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ خَشِيَ اللهَ تَعَالَى خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَاتٍ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَنْزِلَةِ كُلِّ خَيْرٍ بَيْنَ خَوْفٍ وَشَفَقَةٍ، وَطَاعَةٍ وَمَحَبَّةٍ<sup>(٢)</sup>.

وعن الفضيل بن عياض، قال: الحبُّ أَفْضَلُ مِنَ الْخَوْفِ، أَلَا تَرَى إِذَا كَانَ لَكَ عَبْدَانِ أَحَدُهُمَا يُحِبُّكَ وَالْآخَرُ يَخَافُكَ، فَالَّذِي يُحِبُّكَ مِنْهُمَا يَنْصَحُكَ شَاهِدًا كُنْتَ أَوْ غَائِبًا بِحُبِّهِ إِيَّاكَ، وَالَّذِي يَخَافُكَ عَسَى أَنْ يَنْصَحَكَ إِذَا شَهِدْتَ لِمَا يَخَافُ، وَيَغُشُّكَ إِذَا غَبْتَ وَلَمْ يَنْصَحَكَ<sup>(٣)</sup>.

وعن سعيد بن عمران بن زُرَّارَةَ قَالَ: سَمِعْتُ كِلَابَ بْنَ جُرَيْجٍ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الطُّفَاوَةِ<sup>(٤)</sup> وَهُوَ يُوصِيهِ بِطَرَائِقِ الْبِرِّ، فَقَالَ لَهُ فِيمَا يَقُولُ:

وَكُنْ لِرَبِّكَ ذَا بِرٍّ لَتُخْدَمَهُ إِنَّ الْمُحِبِّينَ لِلْأَحْبَابِ خُدَّامٌ  
قَالَ: فَصَاحَ الطُّفَاوِيُّ صِيحَةً فَسَقَطَ<sup>(٥)</sup> مَغْشِيًّا عَلَيْهِ<sup>(٦)</sup>.

وعن أبي عبد الرحمن المغازلي قَالَ: لَا يُعْطَى طَرِيقَ الْمَحَبَّةِ غَافِلٌ وَلَا سَاهٍ<sup>(٧)</sup>، الْمُحِبُّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ طَائِرُ الْقَلْبِ كَثِيرُ الذِّكْرِ، مُتَسَبِّبٌ إِلَى رِضْوَانِهِ بِكُلِّ

(١) في (س): «على هوى».

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٣٤).

(٣) أخرجه الختلي في «المحبة» (٩٦).

(٤) في (ش) و(ت): «من أهل الطُّفَاوَةِ». وفي حاشية (ب): «صوابه: الطُّفَاة». وهذه النسبة إلى بني

أعصر بن سعد بن قيس عيلان، وأمه طفاوة بنت جرم ابن ريان.

(٥) في (س): «فخر».

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٢٨).

(٧) تصحفت في (ش) إلى: «شاهن».

سَبِيلٍ يَقْدَرُ عَلَيْهَا<sup>(١)</sup> مِنَ الْوَسَائِلِ وَالنَّوَافِلِ ذَوْبًا ذَوْبًا، وَشَوْقًا شَوْقًا<sup>(٢)</sup>.

وعن مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ، قَالَ: مَا يَكَادُ يَمَلُّ الْقُرْبَةَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُحِبُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَكَادُ يَسْأَمُ مِنْ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ نَعِيمٍ الْمَوْصِلِيُّ: إِنَّ الْقَلْبَ الَّذِي يُحِبُّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، يُحِبُّ التَّعَبَ وَالتَّصَبَّ لِلَّهِ، إِنَّهُ لَنْ يُنَالَ حُبُّ اللَّهِ بِالرَّاحَةِ<sup>(٤)</sup>.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ<sup>(٥)</sup> أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِبَعْضِ الْعَارِفِينَ<sup>(٦)</sup>: أَوْصِنِي، قَالَ: اقْتَنِ<sup>(٧)</sup> فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَوَصَّلْ إِلَى اللَّهِ بِالْحَسَنَاتِ؛ فَإِنِّي لَمْ أَرْ شَيْئًا قَطُّ أَرْضَى لِلسَّيِّدِ مِمَّا يُحِبُّ، فَبَادِرْ<sup>(٨)</sup> مَحَبَّتَهُ يُسْرِعْ فِي مَحَبَّتِكَ، ثُمَّ بَكَى، فَقَالَ لَهُ: زِدْنِي رَحْمَكَ<sup>(٩)</sup> اللَّهُ، قَالَ: الصَّبْرُ عَلَى مَحَبَّةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ رَأْسُ كُلِّ بَرٍّ، أَوْ قَالَ: كُلُّ خَيْرٍ<sup>(١٠)</sup>.

وَاجْتَمَعَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ، وَقَاسِمُ الْجَوْعِيِّ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّالِحِينَ بَعْدَ

(١) فِي (ب): «سَبَبٌ قَدَرُ عَلَيْهَا».

(٢) فِي حَاشِيَةِ (س): «وَسَوْمًا سَوْمًا» وَلَا وَجْهَ لَهُ، وَجَاءَتْ: «ذَوْبًا» مَهْمَلَةً فِي (ب) وَ(س) «ذَوْبًا»، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي «الْمَحَبَّة» لِلخَتَلِيِّ (٣٥).

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٢١).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَنِيدِ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٢٩)، وَلَيْسَ فِي الْمَطْبُوعِ ذِكْرَ مُحَمَّدِ بْنِ نَعِيمٍ الْمَوْصِلِيِّ.

(٥) فِي حَاشِيَةِ (ش): «قَفَّ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ إِلَى آخِرِهِ».

(٦) فِي (ب): «الْعَابِدِينَ».

(٧) تَصَحَّفَتْ فِي (س) إِلَى: «أَفْش».

(٨) فِي (س): «فَبَادِرْ فِي».

(٩) فِي (ب): «يَرْحَمُكَ».

(١٠) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الصَّبْرِ وَالثَّوَابِ عَلَيْهِ» (١٨٢)، وَهُوَ سُؤَالٌ مِنْ قُرَةِ النَّحَاتِ لِعَابِدٍ مِنْ أَهْلِ الْأُرْدُنِّ مِمَّنْ كَانَ يَأْوِي جِبَالَهَا.

صلاة العتمة، وقد خرّجوا من المسجد إلى بيت رجل قد دعاهم إلى طعام صنعه لهم، فأنشدهم رجل قبل دخول الباب<sup>(١)</sup>:

علامة صدق المستخفين بالحب      بلوغهم المجهود في طاعة الرب  
وتحصيل طيب القوت من مجتنائِهِ      وإن كان ذاك القوت في مرتقى صعب

فلم يزل يُرَدِّدُهُ وهم قيامٌ حتّى أذن مؤذنُ الفجر، ورجعوا إلى المسجد، وقد رويت<sup>(٢)</sup> بيتان آخران مع هذين البيتين، وهما:

وإمساكُ سوء اللَّفْظِ عن ولدِ جنسِهِم      وإن ظلمُوا فالعفو<sup>(٣)</sup> من ذاك بالخطبِ<sup>(٤)</sup>  
أولئك بالرحمنِ قرّت عُيُونُهُم      وحلّوا من الإخلاصِ بالمنزلِ الرَّحْبِ<sup>(٥)</sup>

وقال مُضَرُّ: اجتمعنا ليلةً على الساحلِ ومعنا مسلمٌ أبو عبدِ الله، فقال رجلٌ من الأزدِ:

ما للمُحِبِّ سِوَى إرادةِ حُبِّهِ      إنَّ المُحِبَّ بِكُلِّ بَرٍّ يضرَعُ<sup>(٦)</sup>  
قال: فبكى مسلمٌ حتّى خَشِيتُ والله أن يموت. خرّجه ابنُ أبي الدنيا<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ب): «الدار»، وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٢) هكذا في النسخ.

(٣) في حاشية (س): «بالعفو».

(٤) في «المحبة»: «فالعفو من ذلك الخطب».

(٥) أورد الشعر كله ابن الجندب الخليلي في «المحبة» (١٦٠) دون القصة، وأخرج القصة دون البيتين

الأخيرين: ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٢٤/٦).

(٦) في حاشية (س): لعله: «يصدع». ولا حاجة إليه.

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقعة والبكاء» (١٢١).



## البَابُ الْخَامِسُ

### فِي اسْتِلْذَاذِ الْمُحِبِّينَ بِكَلَامِ مَحْبُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ غِذَاءُ قُلُوبِهِمْ وَغَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ

خَرَجَ ابْنُ مَاجَهَ<sup>(١)</sup> مِنْ رِوَايَةِ مُوسَى بْنِ عُبَيْدَةَ، عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ الْأَدْرِعِ السُّلَمِيِّ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ قِرَاءَةً عَالِيَةً، فَمَاتَ بِالْمَدِينَةِ، فَحَمَلُوا نَعْشَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْفُقُوا بِهِ رَفَقَ اللَّهُ بِهِ، إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»، قَالَ: وَحَضَرَ حُفْرَتَهُ، فَقَالَ: «أَوْسِعُوا لَهُ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ»، فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ حَزِنْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَجَلٌ، إِنَّهُ كَانَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَرَوَى أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: لَا يَسْأَلُ عَبْدٌ عَنْ نَفْسِهِ إِلَّا الْقُرْآنَ، فَإِنْ كَانَ يُحِبُّ الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ<sup>(٣)</sup>.  
وَرَوَاهُ الْحَرْبِيُّ مَالِكٌ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي الْأَحْوَصِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ مَرْفُوعًا: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُحِبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلْيَقْرَأْ فِي الْمُصْحَفِ»<sup>(٤)</sup>، وَالْمَوْقُوفُ أَصَحُّ.  
وَرَوَيْنَا<sup>(٥)</sup> مِنْ طَرِيقِ سَلَمَةَ بْنِ كُهَيْلٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ

(١) زاد في (س): «والترمذي» وهذا خطأ ظاهر، فالترمذي لم يخرج به.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٥٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٠٩٧)، وأخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٥٢)، وابن الجعد في «مسنده» (١٩٥٦)، والطبراني (٨٦٥٧)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠١٧).

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (ترجمة الحر بن مالك)، وابن المقرئ في «معجمه» (٤٩٨)، وأبو

نعيم في «الحلية» (٢٠٩/٧) وقال: «غريب تفرد به الحر بن مالك»، والبيهقي في «شعب الإيمان»

(٢٠٢٧). قال ابن عدي والبيهقي: منكر.

(٥) في (س): «ورويناه».

قَالَ: مَنْ كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَعْرِضْ نَفْسَهُ عَلَى الْقُرْآنِ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّمَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَهُوَ يُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزِيِّ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: لَا تَبْلُغُوا ذِرْوَةَ هَذَا الْأَمْرِ حَتَّى لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ أَحَبَّ الْقُرْآنَ فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزِيِّ: وَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَفْصٍ يَذْكُرُ عَنْ عُروَةَ الرَّقِّيِّ قَالَ: حُبُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: حُبُّ الْقُرْآنِ، وَحُبُّ رَسُولِهِ ﷺ: الْعَمَلُ بِسُنَّتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَرَّازُ: مَنْ أَحَبَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحَبَّ كَلَامَهُ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ تِلَاوَتِهِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّيُّ<sup>(٥)</sup>: قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ الْقُرْآنِ<sup>(٦)</sup>.

قَالَ<sup>(٧)</sup>: وَرَوَيْنَا عَنْ أَبِي ثُرَابٍ النَّخَشَبِيِّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ:

لَا تُخْدَعَنَّ فَلِلْمُحِبِّ دَلَائِلُ وَلَدَيْهِ مِنْ تُحَفِ الْحَبِيبِ وَسَائِلُ

(١) أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» (١٢٥)، وهو في أمالي ابن سمعون الواعظ (١٧١). وفي حاشية (ش): «قف على هذا الكلام البديع».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٢٧١ - ٣٠٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤٠٧).

(٣) أخرجه الخليلي في «المحبة» (١٩٧).

(٤) نقله المصنف رحمه الله أيضاً في «نزهة الأسماع».

(٥) في حاشية (س): «بلغ».

(٦) «قوت القلوب» (٢/ ٨٨) وقد سبق ذكره بتمامه.

(٧) أي: أبو طالب المكي.

منها تَنَعَّمْهُ بِمُرِّ بَلَاءِهِ      وسروره في كل ما هو فاعِلُ  
فالمنعُ منه عطيةٌ مقبولةٌ      والفقْرُ إكرامٌ وبرٌّ عاجِلُ  
ومن الدلائل أن يرى من عَزَمَهُ      طوعَ الحبيبِ وإن أَلَحَّ<sup>(١)</sup> العاذِلُ  
ومن الدلائل أن يرى مُتَبَسِّمًا      والقلبُ فيه من الحبيبِ بلايِلُ  
ومن الدلائل أن يرى مُتَفَهِّمًا      لكلامٍ<sup>(٢)</sup> مَنْ يحظى لديه السَّائِلُ  
ومن الدلائل أن يرى مُتَقَشِّفًا      مُتَحَفِّظًا في كل ما هو قَائِلُ<sup>(٣)</sup>

وقال أبو طالب: حدَّثونا عن بعض المريدين قال: وجدتُ حلاوةَ المُناجاةِ في  
شِدَّةٍ<sup>(٤)</sup> الإرادةِ فأدْمَنْتُ على قراءةِ القرآنِ ليلاً ونهاراً، ثمَّ لَحِقْتَنِي<sup>(٥)</sup> فترةٌ، فانْقَطَعَتْ  
عن التلاوةِ فسمِعتُ قائلاً يقولُ في المنامِ:

إِنْ كُنْتَ تَزْعُمُ حُبِّي      فَلِمَ جَفَوْتَ كِتَابِي  
أَمَا تَدَبَّرْتَ مَا فِيهِ      مِنْ لَطِيفِ عِتَابِي

قال: فانتبهتُ وقد أُشْرِبَ قلبي محبةَ القرآنِ، فعَاوَدْتُ إلى حالِي الأولى<sup>(٦)</sup>.

(١) في (ب): «ألح به».

(٢) في (ب): «بكلام».

(٣) «قوت القلوب»، لأبي طالب المكي (١٠٣/٢).

(٤) سقطت اللفظة من (ب)، والتي تليها من (ت). وتصحفت في (س) إلى: «سر الإرادات». وشدة

الإرادة: هي حال حدة الإقبال والتعبد والانقطاع إلى الله سبحانه وتعالى.

(٥) في (س): «لحقني».

(٦) في (ب): «الأول». وفي حاشية (ت): «بلغ» وذكر القصة: أبو طالب المكي في «قوت القلوب»

(١٠٥/١)، (٨٨/٢)، والموضع الثاني أقرب لما ذكره المصنف هنا. وأورد القصة ابن العديم في

«بغية الطلب في تاريخ حلب» (٦٠٩/٢) بسنده إلى أحمد بن جعفر الأرتاحي، وهو الذي سمع

ذلك من شيخ كبير بأولاس - حصن على ساحل بحر الشام قرب طرسوس - رحمهم الله.

## الباب السادس

### في أنس المحبين بالله، وأنه ليس لهم مقصود من الدنيا والآخرة سواه

ثَبَّتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» وَالسُّنَنِ وَالْمُسَانِيدِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٌ أَنَّ جَبْرِيلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِحْسَانِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»<sup>(١)</sup>.

قَالَ بَعْضُ الْعَارِفَاتِ<sup>(٢)</sup> مِنَ السَّلَفِ: مَنْ عَمِلَ لِلَّهِ عَلَى الْمُشَاهَدَةِ فَهُوَ عَارِفٌ، وَمَنْ عَمِلَ عَلَى مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ فَهُوَ مُخْلِصٌ<sup>(٣)</sup>.  
فهذان مقامان:

أحدهما: الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مُشَاهَدَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ، واطِّلَاعِهِ عَلَيْهِ، وَقُرْبِهِ مِنْهُ، فَإِذَا اسْتَحْضَرَ الْعَبْدُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ وَعَمِلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ فَهُوَ مُخْلِصٌ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ اسْتِحْضَارَهُ ذَلِكَ فِي عَمَلِهِ<sup>(٤)</sup> يَمْنَعُهُ مِنَ الِاتِّفَاتِ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ بِالْعَمَلِ.

وَالثَّانِي: الْمَعْرِفَةُ الَّتِي تَسْتَلِزُّ الْمَحَبَّةَ الْخَاصَّةَ، وَهُوَ<sup>(٥)</sup> أَنْ يَعْمَلَ الْعَبْدُ عَلَى

(١) هو أول حديث في «صحيح مسلم» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) في (ش) و(ت) و(س): «العارفين».

(٣) هو من كلام فاطمة النيسابورية، المتوفاة (٢٢٣هـ) رحمها الله تعالى. نقله ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/٣١٥).

(٤) في (س): «علمه».

(٥) في (ب): «وهي».

مُشَاهِدَةِ اللَّهِ بِقَلْبِهِ<sup>(١)</sup>، وهو أن يتنور قلبه بنور الإيمان، وتنفذ بصيرته في العرفان حتى يصير الغيب عنده كالعيان، وهذا هو مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، ويتفاوت أهل هذا المقام فيه بحسب قوة نفوذ البصائر.

وقد فسّر طائفة من العلماء المثل الأعلى المذكور في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧] بهذا، ومثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥] الآية، وقد فسرها أبي بن كعب وغيره من السلف بأن المراد مثل نور الله في قلب المؤمن<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا حديث حارثة المشهور لما قال للنبي ﷺ: وكأنني أنظر إلى عرش ربّي بارزاً، وكأنني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها، وإلى أهل النار يتعاوون فيها، فقال النبي ﷺ: «عرفت فالزّم، عبد نور الله الإيمان في قلبه»، وهذا الحديث روي مُرسلاً<sup>(٣)</sup>، وروى مُسنّداً مُتصلاً<sup>(٤)</sup>، لكن من وجوه ضعيفة.

وخطب عروة إلى ابن عمر ابنته وهما في الطواف فلم يُجبه بشيء، ثم رآه بعد ذلك فاعتذر إليه، وقال: كنا في الطواف نتخايل الله بين أعيننا، خرّجه أبو نعيم وغيره<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ش) و(ت): «مشاهدته بقلبه».

(٢) هذا تفسير المشكاة: روى ابن أبي حاتم (١٤٥٦١)، والطبري (٣٠٢/١٧) من طريق أبي العالية عن أبي بن كعب: «مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال: «مثل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة. قال: المشكاة صدره، والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره، والزجاجة قلبه».

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٤)، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣١٠٦٤) من وجه آخر.

(٤) أخرجه عبد بن حميد (٤٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٦٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٠٧).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٠٩/١)، فأين من هذا من يتشاغلون عن طوافهم بالأبنية المتطاولة، أو بأجهزة الاتصال بالخلق والانقطاع عن الخالق، وغير ذلك مما استجد في آخر الزمان؟!

ويتولّد من هذين المقامين للعارفين مقام الحياء من الله عزّ وجلّ، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك في حديث بهز بن حكيم عن أبيه، عن جدّه، أنّه سُئل عن كشف العورة خاليًا فقال: «الله أحقّ أن يُستَحيا منه»<sup>(١)</sup>.

وقد ندب النبي ﷺ إلى دوام استحضار معية الله وقُربه، وإلى الحياء منه بذلك في غير حديث، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١] الآية.

وخرّج البزار من حديث عبد الله بن معاوية الغاضريّ، أنّ رجلاً قال: يا رسول الله، ما تزكية المرء نفسه؟ قال: «أنّ يعلم»<sup>(٢)</sup> أنّ الله معه حيث كان»<sup>(٣)</sup>.

وخرّج الطبراني من حديث عبادة بن الصّامت، عن النبي ﷺ قال: «أفضل الإيمان أن تعلم أنّ الله معك حيث كنت»<sup>(٤)</sup>.

وبإسناد فيه نظر من حديث أبي أمامة، عن النبي ﷺ: «ثلاثة في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه، رجلٌ حيثُ توجهَ عليمٌ أنّ الله تعالى معه...»<sup>(٥)</sup>.

(١) علقه البخاري قبل حديث (٢٧٨)، وأخرجه أحمد (٢٠٠٣٤)، وأصحاب السنن.

(٢) في (ش) و(ت): «قال: يعلم» وهو موافق لبعض المصادر، والمثبت من (ب) و(س) موافق لبعضها.

(٣) لم أجده في «مسند البزار»، وأخرجه ابن أبي عاصم في «الأحاديث والمثنوي» (١٠٦٢)، والطبراني في «الصغير» (٥٥٥)، والبيهقي في «الشعب» (٣٠٢٦).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٨٧٩٦) وفي «مسند الشاميين» (٣٠٥ / ١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٢٤ / ٦). وغيرهما.

(٥) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٩٣٥) وتتمته: «... ورجل دعت امرأته إلى نفسها فتركها من خشية الله، ورجل أحب بجلال الله عز وجل».

ومن حديث سعيد بن يزيد الأزدي، أنه قال للنبي ﷺ: «أوصني، قال: «أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من صالحٍ قومك»<sup>(١)</sup>.  
ورؤينا<sup>(٢)</sup> بإسناد فيه ضعف من حديث أبي أمامة، أن النبي ﷺ قال: «استحي<sup>(٣)</sup> من الله استحياءك من رجلين من صالحٍ عشيرتك، هما معك لا يفارقانك»<sup>(٤)</sup>.  
وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

كأن رقيباً منك يرعى خواطري	وأخر يرعى ناظري ولساني
فما أبصرت عيناى بعدك منظرًا	لغيرك إلا قلت: قد رَمَقاني
ولا بدرت من في بعدك لفظَةً	لغيرك إلا قلت: قد سَمِعاني
ولا خطرَت من ذكرٍ غيرك خطرَةً	على القلب إلا عرجا بعناني
إذا ما تسلى القاعدون عن الهوى	بذكرٍ فلانٍ أو كلامٍ فلانٍ
وجدتُ الذي يسلي <sup>(٥)</sup> سواي يشوقني	إلى قُربكم حتى أملَّ مكاني
وإخوانٍ صدقٍ قد سيئمتُ لقاءهم	وغَضَضْتُ طرفي عنهم ولساني
وما البُغْضُ أسلى <sup>(٦)</sup> عنهم غيرَ أنني	أراك على كلِّ الجِهاَتِ تراني <sup>(٧)</sup>

(١) في (ش) و(ت): «أن تستحي من الله كما تستحي رجلاً صالحاً من صالح قومك». والحديث أخرجه أحمد في «الزهد» (٢٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٥٥٣٩). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٣٤٣)، والضياء المقدسي في «المختارة» (١٠٩٩).

(٢) في (ت) و(س): «ورؤينا».

(٣) في (ش) و(ت): «استحي»، وفي «الكامل»: «استحي».

(٤) أخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة جعفر بن الزبير (٣٦٥ / ٢)، وأشار البيهقي إلى ضعفه في «الشعب» (٧٣٤٣).

(٥) في (ش) و(ت): «يسلا»، وفي (ب): «يسلو»، وفي (س): «يشكي»، وفي حاشيتها: المبت.

(٦) وفي (ب): «أسلوا».

(٧) قال المصنف ابن رجب رحمه الله في آخر «كشف الكربة»: «ولأبي عبادة البحرني في هذا المعنى =

ويتولّد من ذلك أيضًا: الأنس بالله، والخلوة لمُناجاته وذكره، واستنشاق ما يشغل عنه من مُخالطة الناس والاشتغال بهم.

وقد صحّ عن النبي ﷺ أنّه قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يُصَلِّي فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ»، أو: «رَبُّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ»<sup>(١)</sup>.

وأنّه قال: «إِنَّ اللَّهَ قَبْلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث الحارث الأشعري، عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لَوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث أبي هريرة، وأبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتُهُ»<sup>(٤)</sup>.

وصحّ من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ<sup>(٥)</sup> ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، فَإِنْ<sup>(٦)</sup> ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ

= أبيات حسنة، لكنه أساء بقولها في مخلوق، وقد أصلحت منها كلمات حتى استقامت على الطريقة. فذكرها. ونسب الأبيات للبحري: التنوخي في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» (١٤٥/٦). ولم أجد لها في ديوان البحري. ونسب الجرجاني البيت الأول في كتابه «الوساطة بين المتنبّي وخصومه» (ص: ٢١٨) إلى محمد بن داود.

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥) واللفظ له، ومسلم (٥٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧١٧٠)، و(١٧٨٠٠) في ضمن حديث طويل، والترمذي (٢٨٦٣) (٢٨٦٤) وقال: «حسن صحيح غريب».

(٤) علقه البخاري قبل حديث (٧٥٢٤) عن أبي هريرة. وأخرجه من حديثه: الإمام أحمد (١٠٩٦٨)، وابن ماجه (٣٧٩٢). وأخرجه الحاكم (٤٦٩/١) من حديث أبي الدرداء.

(٥) في (ش) و(ب): «مع».

(٦) في (ش): «فإذا».



ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شَبْرًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرُولَةً»<sup>(١)</sup>.

وَيُرَوَّى<sup>(٢)</sup> بِإِسْنَادٍ فِيهِ نَظَرٌ، عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعًا: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَنْ يُحَدِّثَ رَبَّهُ فَلْيَقْرَأْ»<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ ثَوْرُ بْنُ يَزِيدَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَةِ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ كَلِّمُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَكَلِّمُوا النَّاسَ قَلِيلًا، قَالُوا: كَيْفَ نُكَلِّمُ اللَّهَ كَثِيرًا؟ قَالَ: اخْلُؤُوا بِمُنَاجَاتِهِ، اخْلُؤُوا بِدُعَائِهِ، خَرَّجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ<sup>(٤)</sup>.

وَالتَّوْرَةُ اسْمُ جَنْسٍ لِلْكِتَابِ الْمُتَقَدِّمَةِ كُلِّهَا، وَتُسَمَّى أَيْضًا إِنْجِيلًا وَقِرَآنًا.

وَخَرَّجَ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ<sup>(٥)</sup> عَنْ رِيَّاحٍ<sup>(٦)</sup> قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا رَجُلٌ يُصَلِّي كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ حَتَّى أَقْعَدَ مِنْ رَجُلَيْهِ، فَكَانَ يُصَلِّي جَالِسًا أَلْفَ رَكْعَةٍ، فَإِذَا صَلَّى الْعَصْرَ احْتَبَى فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَيَقُولُ: عَجِبْتُ لِلْخَلْقَةِ كَيْفَ أَنْسَتُ بِسِوَاكَ، بَلْ عَجِبْتُ لِلْخَلْقَةِ كَيْفَ اسْتَنَارَتْ قُلُوبُهَا بِذِكْرِ سِوَاكَ<sup>(٧)</sup>.

وَرُوِّنَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُسَامَةَ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ النَّضْرِ الْحَارِثِيِّ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٧٤٠٥)، وَمُسْلِمٌ (٢٦٧٥).

(٢) فِي (س): «وَرُوِّنَا».

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادٍ» (٨/١٦٥).

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/٩٤) (٦/١٩٥).

(٥) فِي (س): «بِإِسْنَادٍ فِيهِ ضَعْفٌ».

(٦) وَهُوَ رِيَّاحُ بْنُ عَمْرِو الْقَيْسِيِّ، الْمَتَخَشَعُ الْبُكَاءِ، الْمَتَضَرِّعُ الدَّعَاءَ.

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حُلِيِّ الْأَوْلِيَاءِ» (٦/١٩٥). وَفِي (ش) وَ(ت): «اسْتَنَارَتْ قُلُوبُهُمْ».

فرايته كأنه ينقبض، فقلت: كأنك تكره أن تؤتى، قال: أجل، قلت: أو ما تستوحش؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني<sup>(١)</sup>.

وقال بكر المزنني: من مثلك يا ابن آدم خلّي بينك وبين المحراب والماء، كلما شئت دخلت على الله عز وجل، ليس بينك وبينه ترجمان. خرّجه عبد الله بن الإمام أحمد<sup>(٢)</sup>.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده، عن شميّط بن عجلان قال: إن الله تعالى وسّم الدنيا بالوحشة ليكون أنس المطيعين<sup>(٣)</sup> به<sup>(٤)</sup>.

وعن حبيب أبي محمد: أنه كان يخلو في بيته ثم يقول: من لم تقر عينه بك فلا قرّت، ومن لم يأنس بك فلا أنس<sup>(٥)</sup>.

وعن زكريّا بن عديّ قال: سمعتُ عابداً باليمن يقول: سرور المؤمن ولدته في الخلوة بمناجاة سيّده عز وجل<sup>(٦)</sup>.

وعن أحمد بن أبي الحواريّ قال: حدّثني أبو عبد الرحمن الأزديّ قال: مررتُ برجلٍ ببسروتٍ مُدليّ الرّجلين في البحرٍ يُكبّرُ فقلتُ له: يا شابُّ، ما لك جالسٌ وحدك؟ قال: اتّق الله ولا تقلّ إلا حقاً، ما كنتُ قطّ وحدي منذُ ولدتني أمّي، إنّ معي ربّي عز وجل حيثُما كنتُ، ومعّي ملكان يحفظان عليّ، وشيطانٌ ما<sup>(٧)</sup>

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢١٧/٨).

(٢) في زوائده على «الزهد» (١٧٥٢).

(٣) في حاشية (س): «المطيعين أو المنقطعين»، وفي (ب): «المنقطعين». وهو خطأ.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٣٠/٣) ولعل من ذكره غيره اقتبس من كلامه.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٠٣).

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٤٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٤٤).

(٧) في (ب): «لا».

يُفَارِقُنِي، فَإِذَا عَرَضَتْ لِي حَاجَةٌ إِلَى رَبِّي سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا بِقَلْبِي فَجَاءَنِي بِهَا<sup>(١)</sup>.

وعن إبراهيم بن أدهم قال: اتَّخَذَ اللهُ صَاحِبًا وَدَعَ النَّاسَ جَانِبًا<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الواحد بن زيد قال: كَانَ أَصْحَابُ غَزْوَانَ يَقُولُونَ لَهُ: مَا يَمْنَعُكَ  
عَنْ مُجَالَسَةِ إِخْوَانِكَ؟ فَيَكِي وَيَقُولُ: إِنِّي أَصَبْتُ رَاحَةَ قَلْبِي فِي مُجَالَسَةِ مَنْ لَدَيْهِ  
حَاجَتِي<sup>(٣)</sup>.

وعن مسلم بن يسار قال: مَا تَلَذَّذَ الْمُتَلَذِّذُونَ بِمِثْلِ الْخُلُوةِ بِمُنَاجَاةِ اللهِ عَزَّ  
وَجَلَّ<sup>(٤)</sup>.

وعن عبد العزيز<sup>(٥)</sup> الرَّاسِبِيُّ، وَكَانَتْ رَابِعُهُ تُسَمِّيهِ سَيِّدَ الْعَابِدِينَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: مَا  
بَقِيَ مِمَّا تَلَذَّذُ بِهِ؟ قَالَ: سِرْدَابٌ أَخْلُو بِهِ فِيهِ<sup>(٦)</sup>.

وعن مسلم العابد قال: لَوْلَا الْجَمَاعَةُ - يَعْنِي الصَّلَاةَ فِي الْجَمْعِ - مَا خَرَجْتُ مِنْ  
بَابِي أَبَدًا حَتَّى أَمُوتَ.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٩)، و«العزلة والانفراد» (١٥١)، وابن عساكر في «تاريخ  
دمشق» (٦٧/٦١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧١)، وذكره أبو نعيم في «الحلية» (٣٧٣/٧).  
وأخرجه ابن منده في «مسند إبراهيم بن أدهم الزاهد» (ص: ٤٨)، وفيه قصة لإبراهيم مع أبي جعفر.  
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٧٨).

(٤) أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمراثي» (٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية»  
(٢٩٤/٢).

(٥) في (ب) و(س): «عبد العزيز بن سليمان».

(٦) في (س): «أخلو بربي»، وفي المصادر: «أخلو فيه». أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد»  
(١٨٢) والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٦١).

وقال: ما يجدُ المُطيعونَ لله لذةً في الدنيا أحلى من الخلوة بمُناجاة سيدهم، ولا أحسبُ لهم في الآخرة من عظيمِ الثوابِ أكبرَ في صُدُورِهِم وألذَّ في قُلُوبِهِم من النظرِ إليه، ثمَّ غُشيَ عليه<sup>(١)</sup>.

وعن شُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى مَالِكِ بْنِ مِغُولٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَيْتِهِ وَحَدَّه فَقُلْتُ: أَلَا تَسْتَوْحِشُ؟ قَالَ: وَيَسْتَوْحِشُ مَعَ اللَّهِ أَحَدٌ؟<sup>(٢)</sup>.

وعن يحيى بن سعيدٍ قَالَ: قَالَ نَصْرُ بْنُ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ وَكَانَ مِنَ الْحُكَمَاءِ: لَمْ نَجِدْ شَيْئًا أَبْلَغَ مِنَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا مِنْ ثَبَاتِ حُزْنِ الْآخِرَةِ فِي قَلْبِ الْعَبْدِ، وَمَنْ ثَبَّتَ ذَلِكَ فِي قَلْبِهِ آتَسَهُ بِالْوَحْدَةِ، فَأَنَسَ بِهَا وَاسْتَوْحَشَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ. فَأَوَّلُ مَا يَهْيِجُ مِنْ حُبِّ الْخُلُوةِ طَلَبُ الْعَبْدِ الْإِخْلَاصَ وَالصَّدْقَ فِي جَمِيعِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ، فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، وَيَهْيِجُ مِنْهَا الزُّهْدُ فِي مَعْرِفَةِ النَّاسِ وَالْأُنْسِ بِاللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَيَهْيِجُ مِنْهَا الْوَحْشَةُ مِنَ النَّاسِ وَالْإِسْتِثْقَالُ لِكَلَامِهِمْ<sup>(٣)</sup>، وَالْأُنْسُ بِكَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>(٤)</sup>.

وُيُرَوَّى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدَهَمَ قَالَ: أَعْلَى الدَّرَجَاتِ أَنْ تَنْقَطِعَ إِلَى رَبِّكَ وَتَسْتَأْنِسَ إِلَيْهِ بِقَلْبِكَ وَعَقْلِكَ وَجَمِيعِ جَوَارِحِكَ، حَتَّى لَا تَرْجُوَ إِلَّا رَبَّكَ، وَلَا تَخَافَ إِلَّا ذَنْبَكَ، وَتَرْسَخَ مُحَبَّتُهُ فِي قَلْبِكَ، حَتَّى لَا تُؤَثِّرَ عَلَيْهَا شَيْئًا<sup>(٥)</sup>، فَإِذَا كُنْتَ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (١٩٠)، لكن في المطبوع منه: «سلمة العابد». وفي (س): «من النظر إلى الله».

(٢) في (س): «أويستوحش»؟. أخرجه جعفر الخلدي في «الفوائد والزهد والرقائق والمرائي» (١٨)، وابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٥٢)، والخطابي في «العزلة» (ص ١٦).

(٣) في (ش) و(ب): «بكلامهم».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «العزلة والانفراد» (٢٠٨) مطوَّلاً، وما هنا مختصر.

(٥) في (س): «شيئاً عليه».

كذلك لم تُبالِ في برِّ كنتَ أو في بحرٍ، أو في سهلٍ أو في جبلٍ، وكان شوقك بقاء الحبيب شوق الظَّمآنِ إلى الماءِ الباردِ، وشوق الجائعِ إلى الطَّعامِ الطَّيِّبِ، ويكونَ ذكرُ الله عزَّ وجلَّ عندَكَ أحلى من العسلِ، وأشهى من الماءِ العذبِ الصَّافي عند العطشانِ في اليومِ الصَّائفِ<sup>(١)</sup>.

وقال الفضيل: طوبى لمن استوحش من النَّاسِ، وكان الله أنيسه<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو سليمان: لا آتسني الله إلَّا به أبداً<sup>(٣)</sup>.

وقال رجلٌ لمعروفٍ الكرخي: أوصني، قال: توكلْ على الله حتَّى يكونَ جليستَكَ وأنيسَكَ، وموضعَ شكواكَ، وأكثرَ ذكرِ الموتِ حتَّى لا يكونَ لك جليسٌ غيره، واعلم أنَّ الشِّفاءَ لما نزلَ بك كتمانُه، وأنَّ النَّاسَ لا ينفعونكَ ولا يضرونكَ، ولا يعطونكَ ولا يمنعونكَ<sup>(٤)</sup>.

وقال سعيدُ بنُ عثمان: سمعتُ ذا النُّونِ يقولُ: من علامة<sup>(٥)</sup> المُحبِّ لله تركُ كلِّ ما يشغله عن الله، حتَّى يكونَ الشُّغلُ بالله وحده.

ثمَّ قال: إنَّ من علامة<sup>(٦)</sup> المُحبِّينَ لله أن لا يأنسوا بسواه، ولا يستوحشوا معه.

(١) ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/١٣٣).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/١٠٨).

(٣) أورده الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٣/١٠١ - ط دار المعرفة)، وذكره المصنف أيضاً في

«جامع العلوم والحكم» (١/١٣٤)، وفي «شرح حديث: إن أغبط أوليائي».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التوكل على الله» (٣٧).

(٥) في (س): «علامات».

(٦) في (س): «علامات».

ثُمَّ قَالَ: إِذَا سَكَنَ حُبُّ اللَّهِ الْقَلْبَ أَنَسَ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَجَلٌ فِي صَدُورِ الْعَارِفِينَ  
مَنْ أَنْ يُحِبُّوا سِوَاهُ<sup>(١)</sup>.

وَكَانَتْ رَابِعَةً<sup>(٢)</sup> تُنَشِّدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي      وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي  
فَالْجِسْمُ مِنِّي لِلْجَلِيسِ مُؤَانِسٌ      وَحَبِيبُ قَلْبِي فِي الْفُؤَادِ أَنِيسِي<sup>(٣)</sup>  
وَرُؤْيَى بَعْضِ الْعَارِفِينَ يُصَلِّي فِي مَكَانٍ وَحْدَهُ، فَلَمَّا سَلَّمَ قِيلَ لَهُ: مَا مَعَكَ مُؤْنِسٌ؟  
قَالَ: بَلَى، قِيلَ لَهُ: أَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: أَمَامِي وَخَلْفِي وَمَعِي، وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي  
وَفَوْقِي، قِيلَ لَهُ: مَعَكَ زَادٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْإِخْلَاصُ، قِيلَ لَهُ: أَمَا تَسْتَوْحِشُ وَحْدَكَ<sup>(٤)</sup>؟  
قَالَ: إِنَّ الْأُنْسَ بِاللَّهِ قَطَعَ عَنِّي كُلَّ وَحْشَةٍ، حَتَّى لَوْ كُنْتُ بَيْنَ السَّبَاعِ مَا خِفْتُهَا<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في «الزهد والرقائق» (٧٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧/٤١٧).

(٢) في (س) وحدها: «رابعة العدوية».

(٣) أخرجه ابن المقرئ في «معجمه» (٧٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٨/٦٩). وعند ابن  
المقرئ أنها العدوية، وعند ابن عساكر هي الشامية.

قال الذهبي رحمه الله تعالى في «سير أعلام النبلاء» (٨/٢٤٢-٢٤٣): «قال أبو سعيد بن الأعرابي:  
أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما  
قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

وَلَقَدْ جَعَلْتُكَ فِي الْفُؤَادِ مُحَدَّثِي      وَأَبْحَثُ جِسْمِي مَنْ أَرَادَ جُلُوسِي

فَنَسَبَهَا بَعْضُهُمْ إِلَى الْحُلُولِ بِنِصْفِ الْبَيْتِ، وَإِلَى الْإِبَاحَةِ بِنِصْفِهِ.

قلت: فهذا غلو وجهل، ولعل من نسبها إلى ذلك مباحي حلولي، ليجتنب بها على كفره، كاحتجاجهم  
بخبر: «كنت سمعه الذي يسمع به».

(٤) في (س): «في وحدتك».

(٥) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ١٤١-١٤٢) والرائي هو إبراهيم بن المهلب السائح...

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: عَجِبْتُ لِمَنْ عَرَفَ الطَّرِيقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَيْفَ يَعْيشُ مَعَ غَيْرِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَأَنبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لِلَّهِ﴾ [الزمر: ٥٤] <sup>(١)</sup>.

وَلَوْ اسْتَقْصَيْنَا مَا فِي هَذَا الْبَابِ مِنَ الْأَثَارِ <sup>(٢)</sup> لَطَالَ الْكِتَابُ جَدًّا.

وَمَنْ الْأَنْسِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: الْأَنْسُ بِكَلَامِهِ وَذِكْرِهِ، وَالْأَنْسُ بِالْعِلْمِ النَّافِعِ الَّذِي بَلَغَهُ رَسُولُهُ ﷺ عَنْهُ.

رَوَى أَبُو نُعَيْمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ذِي النَّوْنِ قَالَ: الْأَنْسُ بِاللَّهِ نَوْرٌ سَاطِعٌ، وَالْأَنْسُ بِالنَّاسِ <sup>(٣)</sup> عَمٌّ وَاقِعٌ، قِيلَ لَذِي النَّوْنِ: مَا الْأَنْسُ بِاللَّهِ؟ قَالَ: الْعِلْمُ وَالْقُرْآنُ <sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ كَلَامِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَّاضٍ: كَفَى بِاللَّهِ مُحِبًّا، وَبِالْقُرْآنِ مُؤْنِسًا، وَبِالْمَوْتِ وَاعِظًا، اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبًا، وَدَعَى النَّاسَ جَانِبًا <sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَسْتَأْنِسْ بِالْقُرْآنِ فَلَا آتَسَ اللَّهُ وَحِشَتَهُ <sup>(٦)</sup>.

وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَنْسٍ مَرْفُوعًا: «عَلَامَةُ حُبِّ اللَّهِ حُبُّ ذِكْرِهِ، وَعَلَامَةُ بُغْضِ اللَّهِ بُغْضُ ذِكْرِهِ»، مِنْ طَرِيقَيْنِ غَيْرِ صَحِيحَيْنِ <sup>(٧)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٣٦٤ / ١٠)، وَهُوَ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَوْلَدِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) (س): «مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْأَثَارِ».

(٣) فِي (ب): «بِالْخَلْقِ».

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَةِ» (٣٧٧ / ٩).

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي «مَعْجَمِهِ» (١٦٨٩)، وَالْخَطَّابِيُّ فِي «الْعَزَلَةِ» (ص: ١٨)، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «الشَّعْبِ» (٤٤٩).

(٦) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْعَزَلَةِ وَالْإِنْفِرَادِ» (٥٤).

(٧) أَخْرَجَهُمَا ابْنُ بَيْهَقٍ فِي «شُعْبِ الْإِيمَانِ» (٤٠٦) وَذَكَرَ أَنَّ فِي الْإِسْنَادِ ضَعْفًا، وَأَنَّهُ رُوِيَ مِنْ وَجْهِ آخَرٍ ضَعِيفٍ. وَأَحَدُ طَرِيقَيْهِ فِي «مَعْجَمِ ابْنِ الْمُقْرَى» (٩٤٤).

وكان فتح الموصلي يقول: المَحِبُّ لله لا يجدُ مع حُبِّ الله عزَّ وجلَّ للدُّنيا لذة، ولا يغفلُ عن ذكرِ الله عزَّ وجلَّ طرفة<sup>(١)</sup>. خرَّجه إبراهيم بنُ الجنيد<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجَ أيضًا بإسناده عن الربيع بن أنس، عن بعض أصحابه قال: علامةُ حُبِّ الله كثرةُ ذكره، فإنَّكَ لن تُحِبَّ شيئًا إلَّا أكثرتَ ذكره، وعلامةُ الدِّين الإخلاصُ لله عزَّ وجلَّ، وعلامةُ العلمِ خشيةُ الله عزَّ وجلَّ، وعلامةُ الشُّكرِ الرِّضا بقضاءِ الله عزَّ وجلَّ، والتَّسليمُ لقدره<sup>(٣)</sup>.

ومما ينشأ من معرفةِ الله عزَّ وجلَّ ومحَبَّته الاكتفاءُ به، والاستغناءُ به عن خلقه.

ومنه قولُ أحمد بن عاصم الأنطاكي: مَنْ عَرَفَ الله عزَّ وجلَّ اكتفى به، ومَنْ لم يعرفه اكتفى بخلقِه دونه، فطالَ غمُّه وكثُرَت شكايتُه، ومَنْ أَحَبَّ الله لم يَكُنْ في قلبه فضلٌ<sup>(٤)</sup> لحبِّ أحدٍ، ولو أرادَ لم يترك<sup>(٥)</sup>.

ومنه قولُ أبي علي<sup>(٦)</sup> الكاتب: إذا انقطعَ العبدُ إلى الله بالكُلِّيَّةِ فأوَّلُ ما يُفِيده الله الاستغناءُ به عمَّن سِواه<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ب) و(س) زيد: «عين»، ولا توجد في (ش) و(ت)، ولا في «المحبة».

(٢) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٨).

(٣) في (س): «للقدر». وأخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٣٢).

(٤) في (ب) و(س): «فضلة».

(٥) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٣٣).

(٦) في (ش) و(ت) و(س): «قول علي بن» وهو غلط.

(٧) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (٧٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء»



ومنه قولُ بعضِ العارفين: مَنْ لَزِمَ الْبَابَ أُثْبِتَ فِي الْخَدَمِ، وَمَنْ اسْتَغْنَى بِاللَّهِ أَمِنَ مِنَ الْعَدَمِ<sup>(١)</sup>.

وفي بعضِ الإسرائيليات: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ابْنِ آدَمَ، اطْلُبْنِي تَجِدُنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتِكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ<sup>(٢)</sup>.

ولبعضهم:

لَقَدْ<sup>(٣)</sup> كُنْتُ أَخْشَى الْفَقْرَ حَتَّى وَجَدْتُكُمْ وَأَنْشَدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ بَشَّارٍ الزَّاهِدُ:

تَنْقُضِي الدُّنْيَا وَتَفْنِي      وَالْفَتَى فِيهَا مُعْنَى  
لَيْسَ فِي الدُّنْيَا نَعِيمٌ      لَا وَلَا عِيشٌ مُهْنًا  
يَا غَنِيًّا بِالْذَّنَانِي      رِ مُجِبُّ اللَّهِ أَغْنَى<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٦ / ٣٠١) من كلام أبي صالح الزاهد المتعبد الذي كان ينسب إليه مسجد خارج الباب الشرقي بدمشق، الذي نزل فيه المقداسة أولاً عند قدومهم دمشق، وانتقلوا منه إلى سفح قاسيون.

(٢) لم أجده إلا عند ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٨ / ٥٢)، وأكثر ابن القيم من ذكره في عدد من كتبه، وذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤ / ٤٢)، (٧ / ٤٢٦).

(٣) في (ب) و(س): «وكم».

(٤) في (ب): «أخشى».

(٥) في (س): «أدل المفلسين عليكم». والبيت ملحق في (ش) و(ب) وفي صلب (ت) و(س). ولم أجده لغير المصنف، ومنه نقله السفاريني في «البحور الزاهرة في علوم الآخرة» (٣ / ٥٧٠).

(٦) ذكره بسنده إلى ابن بشار: أبو موسى المدني في «اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف» (٣٩). وفي حاشية (س): «محب الله عنك أو منك أغنى».

## فصل

وهمم العارفين المحبين متعلقة من الآخرة برؤية الله تعالى والنظر إلى وجهه في دار كرامته والقرب منه، وقد سبق قول مسلم العابد في ذلك.

وقال عبد الواحد بن زيد عن الحسن: لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم يوم القيامة لماتوا<sup>(١)</sup>.

وفي رواية عنه قال: لذابت أنفسهم<sup>(٢)</sup>.

وقال إبراهيم الصائغ: ما يسرني<sup>(٣)</sup> أن لي نصف الجنة بالرؤية، ثم تلا: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوءُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. خرجه ابن أبي حاتم<sup>(٤)</sup>.

وروى ابن منده بإسناده عن عبد الله بن وهب قال: لو خيئت بين دخول الجنة والنظر إلى ربي عز وجل لا خيئت النظر إليه سبحانه وتعالى<sup>(٥)</sup>.

وقال غزوان الرقاشي في قوله تعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥] قال: ما يسرني بحظي من المزيد الدنيا جميعها. خرجه الإمام أحمد رضي الله عنه<sup>(٦)</sup>.

وخرج أيضًا بإسناده عن حبيب أبي محمد قال: لأن أكون في صحراء ليس علي إلا ظلة<sup>(٧)</sup> وأنا جازلربي عز وجل أحب إلي من جنتكم هذه<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٥٩/٢).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» (٤٨٦) (١٠٧٢) (١١٣٣) والأجري في «الشرعية» (٥٧١).

(٣) في (س): «سرني».

(٤) وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٨٠٧).

(٥) أخرجه ابن منده في «التوحيد» (٩٠٠).

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (١١٤٩).

(٧) في (س): «ظلمة». تصحيف.

(٨) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٥٣/٦) من طريق عبد الله بن الإمام أحمد عن هارون بن =

وقوله: «من جنتكم هذه»: تويخ لمن تعلق همته<sup>(١)</sup> من العباد بأنواع نعيم الجنة المتعلق بالمخلوقات فيها مقتصرًا على ذلك، ولهذا كان أبو سليمان يقول: الدنيا عند الله أقل من جناح بعوضة، فما قيمة جناح بعوضة حتى يزهد فيها؟ إنما الزهد في الجنة وحور العين وكل نعيم خلقه الله ويخلقه حتى لا يرى الله في قلبك غيره<sup>(٢)</sup>. وكان يقول: أهل المعرفة دعاؤهم غير دعاء الناس، وهمهم من الآخرة غير همهم الناس<sup>(٣)</sup>.

وسئل عن أقرب ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى فبكى، وقال: مثلي يسأل عن هذا؟ أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى أن يطلع على قلبك وأنت لا تريد من الدنيا والآخرة غيره<sup>(٤)</sup>.

وقال: لو لم يكن لأهل المعرفة إلا هذه الآية الواحدة لاكتفوا بها: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِرُ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿[القيامة: ٢٣]﴾<sup>(٥)</sup>.

معروف وسمعه عبد الله من أبيه عنه أيضاً، عن ضمرة، عن ابن شوذب، عن حبيب أبي محمد.

= -ولم أجده في «الزهد»-

وهارون هو شيخ للإمام أحمد ولابنه عبد الله، ثقة، خير، من رجال الصحيحين. وضمرة بن ربيعة الرملي: ثقة. وعبد الله بن شوذب: ثقة. وحبيب هو أبو محمد حبيب بن محمد العجمي البصري من الزهاد المشهود لهم بالخير.

وهذا الكلام منه محمول على معنى صحيح ذكره المصنف رحمه الله تعالى. والمخاطب به هم أهل المجاهدة من العباد لا عامة الناس. فأما حمله على معانٍ باطلة ثم الإنكار على قائله وعلى ناقله؛ فهو إلى الاعتساف أقرب منه إلى الإنصاف.

(١) في (ب): «همه».

(٢) أخرجه الخطيب في «الزهد والرقائق» (٦٠)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٣/٣٤).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٦/٩).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٦/٩).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٦٤/٩).

وقال: أي شيء أراد أهل المعرفة؟ ما أرادوا كلهم إلا ما سأل موسى عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وذكر ابن أبي الدنيا بإسناده، عن مسمع بن عاصم قال: اختلف العابدون عندنا في الولاية، فتكلموا في ذلك بكلام كثير<sup>(٢)</sup>، واجتمعوا على أن يأتوا امرأة من بني عدي يقال لها أمة الجليل بنت عمرو، وكانت منقطعة جدًا من طول الاجتهاد، فاتوها فعرضوا عليها اختلافهم وما قالوا، فقالت: ساعات الولي ساعات شغل عن الدنيا، ليس للولي المستحق في الدنيا من حاجة، ثم أقبلت على كلاب بن جري فقالت: من أخبرك أو حدثك أن وليه له هم غيره فلا تصدقه. قال مسمع: فما كنت أسمع إلا التصايح<sup>(٣)</sup> من نواحي البيت<sup>(٤)</sup>.

وروى إبراهيم بن الجنيد، عن محمد بن الحسين قال: حدثني حكيم بن جعفر قال: قال ضيغم<sup>(٥)</sup> لكلاب: إن حبه شغل قلوب مريديه عن التلذذ بمحبة غيره، فليس لهم مع حبه لذة تداني محبته، ولا يأملون<sup>(٦)</sup> في الآخرة من كرامة الثواب أكثر<sup>(٧)</sup> عندهم من النظر إلى وجهه، قال: فسقط كلاب عند ذلك مغشيًا عليه<sup>(٨)</sup>.

وروى بإسناده عن عبد العزيز بن سليمان العابد أنه كان يقول في كلامه:

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٦٤)، يريد سؤاله: «قال رب أرني أنظر إليك».

(٢) في (س): «كلامًا كثيرًا».

(٣) في (ب) و(س): «التصارخ».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٧).

(٥) تصحف في (ش) إلى: «طعيم».

(٦) في (ش): «يؤملون»، وفي (س): «يكون».

(٧) في (س): «أكبر».

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٦٨)، والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٤١).

أَنْتَ أَيُّهَا الْمُحِبُّ تَزْعُمُ أَنَّ مُحَبَّتَكَ لِلَّهِ تَحْقِيقٌ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ كُنْتَ كَذَلِكَ لَصَافَتْ عَلَيْكَ الْأَرْضُ بِرُحْبِهَا حَتَّى تَصِلَ إِلَى رِضَا حَبِيبِكَ وَالْإِلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ فِي دَارِ كِبْرِيَاءِهِ وَعِزِّهِ.

قَالَ: وَلَقَدْ كَانَ إِذَا أَخَذَ فِي هَذَا النَّعْتِ سَمِعَتْ التَّصَارِيخَ<sup>(١)</sup> مِنْ نَوَاحِي الْمَسْجِدِ<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ حَبِيبُ الْفَارَسِيِّ لِيَزِيدَ الرَّقَاشِيُّ: بِأَيِّ شَيْءٍ تَقَرُّ عَيُونُ الْعَابِدِينَ فِي الدُّنْيَا؟ وَبِأَيِّ شَيْءٍ تَقَرُّ عَيُونُهُمْ فِي الْآخِرَةِ؟ فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي تَقَرُّ بِهِ عَيُونُهُمْ فِي الدُّنْيَا فَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا أَقَرَّ لِعَيُونِ الْعَابِدِينَ مِنَ التَّهَجُّدِ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ، وَأَمَّا الَّذِي تَقَرُّ بِهِ عَيُونُهُمْ<sup>(٣)</sup> فِي الْآخِرَةِ فَمَا أَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الْجَنَانِ وَسُرُورِهَا أَلَدَّ عِنْدَ الْعَابِدِينَ وَلَا أَقَرَّ لِعَيُونِهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى ذِي الْكِبْرِيَاءِ الْعَظِيمِ، إِذَا رُفِعَتْ تِلْكَ الْحُجُبُ وَتَجَلَّى لَهُمُ الْكَرِيمُ، فَصَاحَ حَبِيبٌ عِنْدَ ذَلِكَ صَبِيحَةً وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ الْمَوْفِقِ كَثِيرًا مَا يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعْبُدُكَ خَوْفًا مِنْ نَارِكَ فَعَذِّبْنِي بِهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَعْبُدُكَ شَوْقًا إِلَى جَنَّتِكَ فَاحْرِمْنِيهَا، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي أَتَمَّا أَعْبُدُكَ حُبًّا مَنِّي لَكَ وَشَوْقًا إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ فَأَبْخَنِهِ وَاصْنَعْ بِي مَا شِئْتَ<sup>(٥)</sup>.

(١) فِي (ب) وَ(س): «التَّصَارِيخُ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٤٩).

(٣) فِي (ب): «أَعْيُنُهُمْ»، وَفِي (س): «أَعْيُنُهُمْ بِهِ».

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «التَّهَجُّدِ» (٣٥٠).

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي يَعْلَى فِي «طَبَقَاتِ الْحَنْبَلَةِ» فِي تَرْجُمَةِ عَلِيِّ بْنِ الْمَوْفِقِ (١/ ٢٣١ طَبْعَةُ الْفَقْهِيِّ). وَهُوَ مِنْ حَالِ انْبِسَاطِهِ فِي الْحَجِّ، قَالَ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «شَرْحِ حَدِيثِ: لِيَكِ اللَّهُمَّ لِيَكِ»: «لَمَّا غَلَبَ الشَّوْقُ عَلَى قُلُوبِ الْمُحِبِّينَ اسْتَرْوَحُوا إِلَى مِثْلِ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ، وَمَا تَخْفِي صُدُورَهُمْ أَكْبَرُ».

وكانت رُقيّة الموصليّة تقول: إِنِّي لِأَحِبُّ رَبِّي حُبًّا شَدِيدًا، فلو أَمَرَ بِي <sup>(١)</sup> إِلَى النَّارِ لَمَا وَجَدْتُ لِلنَّارِ حَرًّا مَعَ حُبِّهِ، وَلَوْ أَمَرَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ لَمَا وَجَدْتُ لِلْجَنَّةِ لَذَّةً مَعَ حُبِّهِ <sup>(٢)</sup>؛ لِأَنَّ حُبَّهُ هُوَ الْغَالِبُ عَلَيَّ <sup>(٣)</sup>.

وكانت تقول: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، لَوْ أَنَّكَ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابِكَ كُلِّهِ لَكَانَ مَا فَاتَنِي مِنْ قُرْبِكَ أَعْظَمَ عِنْدِي مِنَ الْعَذَابِ، وَلَوْ نَعَّمْتَنِي بِنَعِيمِ الْجَنَّةِ كُلِّهِ لَكَانَتْ لَذَّةُ حُبِّكَ فِي قَلْبِي أَكْثَرَ <sup>(٤)</sup>.

وَمِنْ كَلَامِ ذِي النُّونِ: مَا طَابَتْ الدُّنْيَا إِلَّا بِذِكْرِهِ، وَلَا طَابَتْ الْآخِرَةُ إِلَّا بِعَفْوِهِ، وَلَا طَابَتْ الْجَنَّةُ إِلَّا بِرُؤْيَيْهِ <sup>(٥)</sup>.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزْمِيِّ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى الْمَوْصِلِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ نَافِعًا وَكَانَ مِنْ عُبَادِ الْجَزِيرَةِ يَقُولُ: لَيْتَ رَبِّي جَعَلَ ثَوَابِي مِنْ عَمَلِي نَظْرَةً مِنِّْي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لِي: يَا نَافِعُ كُنْ ثَرَابًا <sup>(٦)</sup>.

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى يَقُولُ الْقَائِلُ:

وَحُزْمَةِ الْوُدِّ مَالِي عَنْكُمْ عَوَضٌ      وَلَيْسَ لِي فِي سِوَاكُمْ سَادَتِي غَرَضٌ  
وَلَقَدْ شَرَطْتُ عَلَى قَوْمٍ صَحْبَتَهُمُ <sup>(٧)</sup>      بِأَنَّ قَلْبِي لَكُمْ مِنْ دُونِهِمْ وَرَضُوا <sup>(٨)</sup>

(١) فِي (ب): «بِي رَبِّي».

(٢) فِي (ش) وَ(ت): «مَحَبَّتِهِ».

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٢/٣٥٨).

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٢/٣٥٨).

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٩/٣٧٢).

(٦) لَمْ أَجِدْهُ، وَذَكَرَهُ الْمُصَنِّفُ مُخْتَصِرًا فِي «شَرْحِ حَدِيثِ لَيْكَ اللَّهُمَّ لَيْكَ».

(٧) فِي (ب): «مَحَبَّتَهُمْ»، وَفِي الْحَاشِيَةِ: «لَعَلَّهُ أَحْبَبَهُمْ».

(٨) فِي (ت): «فَرَضُوا».

وَمِنْ حَدِيثِي بَكُمْ<sup>(١)</sup> قَالُوا بِهِ مَرَضٌ  
فَقُلْتُ: لَا زَالَ عَنِّي ذَلِكَ الْمَرَضُ<sup>(٢)</sup>  
وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ:  
يَا حَبِيبَ الْقُلُوبِ مَا<sup>(٣)</sup> لِي سِوَاكَ  
أَنْتَ سُؤْلِي وَمُنِيِّي وَسُرُورِي  
يَا مُرَادِي وَسَيِّدِي وَاعْتِمَادِي  
لَيْسَ سُؤْلِي مِنَ الْجَنَانِ نَعِيمٌ  
غَيْرَ أَنِّي أُرِيدُهَا لِأَرَاكَ<sup>(٤)</sup>

\*\*\*

(١) في (ش) و(ت): «بهم».

(٢) الأبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن أبي الصقر الشافعي الواسطي، المتوفى (٤٩٨هـ) رحمه الله، وهي مما يُتغنى به، ذكرها العماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٤/٣١٦-٣١٧).

(٣) في (ب) و(ت) و(س): «من».

(٤) مما سمعه محمد بن المبارك الصوري من عياس المجنون رحمه الله في جبل لبنان، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/١٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/٤٥٨). والقصة في «عقلاء المجانين» لابن حبيب (٤٥٩).

وفي حاشية (ت): «بلغ».

## الباب السابع

في سهر المحبين وخلوتهم<sup>(١)</sup> بمناجاة مولاهم الملك الحق المبين

قال الله تعالى: ﴿تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وأشرف الطمع طمع أهل المحبة في رؤية مولاهم وقربه وجواره.

وروى أبو نعيم بإسناده عن حسين بن زياد قال: أخذ فضيل بن عياض بيدي فقال: يا حسين ينزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول: كذب من ادعى محبتي إذا<sup>(٢)</sup> جنّه الليل نام عني، أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه، ها أنا ذا مُطْلَعٌ على أحبائي، إذا جنّهم الليل مثلت نفسي بين أعينهم فخطبوني على المشاهدة، وكلّموني على حضوري<sup>(٣)</sup>، غدا أقر أعين أحبائي في جناني<sup>(٤)</sup>.

وروي من وجه آخر، وفيه: جعلت أبصارهم في قلوبهم، ومثلت نفسي بين أعينهم<sup>(٥)</sup>.

وروى أبو نعيم بإسناده عن أحمد بن أبي الحواري قال: دخلت على أبي سليمان فرأيتُه يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: ويحك يا أحمد، إذا جنّ الليل وخلا كل حبيب بحبيبه افتَرَشَ أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على

(١) في (ش) و(ت): «وخلوتهم».

(٢) في (س): «فإذا».

(٣) وهذا أعلى مقامي الإحسان، أن تعبد الله كأنك تراه، وانظر: «فتح الباري» للمصنف (١/ ٢١٤).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٩).

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (١٣٢).



خُدُودِهِمْ، أَشْرَفَ الْجَلِيلُ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَالَ: بَعَيْنِي مَنْ تَلَذَّذَ بِكَلَامِي، وَاسْتَرَوَحَ إِلَى مُنَاجَاتِي، وَإِنِّي مُطَّلَعٌ عَلَيْهِمْ فِي خَلَوَاتِهِمْ أَسْمَعُ أَنِينَهُمْ، وَأَرَى بُكَاءَهُمْ وَحَنِينَهُمْ، يَا جَبْرِيلُ نَادِ فِيهِمْ: مَا هَذَا الْبُكَاءُ الَّذِي أَرَاهُ فِيكُمْ؟ هَلْ <sup>(١)</sup> خَبَّرَكُمْ مُخَبِّرٌ أَنَّ حَبِيبًا يُعَذِّبُ أَحِبَّاءَهُ بِالنَّارِ؟ بَلْ كَيْفَ يَجْمُلُ أَنْ أُعَذِّبَ قَوْمًا إِذَا جَنَّهُمُ اللَّيْلُ تَمَلَّقُونِي؟ فَبِي حَلَفْتُ إِذَا وَرَدُّوا الْقِيَامَةَ عَلَيَّ أَنْ أُسْفِرَ لَهُمْ عَنْ وَجْهِ، وَأَمْنَحُهُمْ رِياضَ قُدْسِي <sup>(٢)</sup>.

وَرُويَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِيِّ، عَنْ أَبِي سُلَيْمَانَ، وَفِي أَوَّلِهَا زِيَادَةٌ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فيَقُولُ: كَذَبَ مَنْ ادَّعَى مُحَبَّتِي فَإِذَا <sup>(٣)</sup> جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي، كَيْفَ يَنَامُ حَبِيبٌ <sup>(٤)</sup> عَنْ حَبِيبِهِ وَأَنَا الْمُطَّلَعُ عَلَيْهِ؟ إِذَا قَامُوا جَعَلْتُ أَبْصَارَهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ فَكَلَّمُونِي عَلَى الْمُخَاطَبَةِ <sup>(٥)</sup>. وَذَكَرَ الْبَاقِي بِمَعْنَى مَا تَقَدَّمَ مُخْتَصَرًا.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ أَيْضًا بِإِسْنَادِهِ عَنْ ذِي النُّونِ أَنَّهُ قَالَ: لَوْ رَأَيْتَ أَحَدَهُمْ وَقَدْ قَامَ إِلَى صَلَاتِهِ وَقَرَأَتْهُ، فَلَمَّا وَقَفَ فِي مُحَرَابِهِ وَاسْتَفْتَحَ كَلَامَ سَيِّدِهِ خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ أَنَّ ذَلِكَ الْمَقَامَ هُوَ الْمَقَامُ الَّذِي يَقُومُ فِيهِ <sup>(٦)</sup> النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَانْخَلَعَ قَلْبُهُ، وَذَهَلَ

(١) فِي (س): «مَنْكُمْ، وَهَل».

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٠/١٦) مَطْوَلًا، وَبَعْضُ الْأَفَافِ هُنَا، لَا تَوْجِدُ ثَمَّةَ.

(٣) فِي (ش): «إِذَا».

(٤) فِي (ب): «مُحِب».

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٣٤/١٣٨).

(٦) فِي (ب) وَ(س): «يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ».

عقله، فقلوبهم في ملكوت السماوات مُعلّقة، وأبدانهم بين يدي الخالق عارية، وهمومهم بالفكر دائمة<sup>(١)</sup>.

وبإسناده عن ذي النون أيضًا أنه قال في وصفهم: يتلذذون بكلام الرحمن، ينوحون به على أنفسهم نوح الحمام، فرحين في خلواتهم، لا تفتّر لهم جارحة في الخلوات، ولا يستريح لهم قدم تحت ستور الظلمات<sup>(٢)</sup>.

ومن طريق<sup>(٣)</sup> إسحاق السلولي قال: حدّثني أم سعيد بن علقمة، وكانت طائفة، قالت: كان بيننا وبين داود الطائي جدار قصير، فكنّْتُ أسمعُ حنينه عامّة الليل لا يهدأ، ولربّما<sup>(٤)</sup> سمعته يقول في جوف الليل: اللهم همك عطل عليّ الهموم، وحالف بيني وبين الشهاد، وشوقي إلى النظر إليك وضع<sup>(٥)</sup> مني اللذات والشهوات، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب، قالت: وربّما ترنّم في السحر بشيء من القرآن، فأرى أن جميع نعيم الدنيا جمع في ترنّمه تلك الساعة، قالت: وكان يكون في الدار وحده، وكان لا يُصبح؛ أي: لا يُسرج<sup>(٦)</sup>.

وروى الحافظ أبو الفرج بإسناده عن الربيع قال: بتُّ أنا ومحمّد بن المنكدر وثابت البناني عند ريحانة المجنونة بالأبلّة، فقامت [أول<sup>(٧)</sup> الليل، وهي تقول:

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٣٩/٩). وفي حاشية (ت) عند قوله: «عارية»: «لعله قائمة».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٨٥/٩).

(٣) في (س): «طريق إلى».

(٤) في (ب): «وكثيرًا ما».

(٥) في (ب): «أوثق». وفي «الحلية»: «منع».

(٦) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣٥٦/٧).

(٧) ما بين معقوفين من «صفة الصفوة» (٢٦٦/٢) ولا بدّ منه.

قَامَ الْمُحِبُّ إِلَى الْمُؤَمِّلِ قَوْمَةً      كَادَ الْفُؤَادُ مِنَ الشَّرُورِ يَطِيرُ

فَلَمَّا كَانَ جَوْفُ اللَّيْلِ سَمِعْتُهَا تَقُولُ أَيْضًا:

لَا تَأْنَسَنَّ بَمَنْ تُوَحِّشُكَ نَظَرُتُهُ      فُتَمْنَعَنَّ مِنَ التَّذْكَارِ فِي الظُّلَمِ  
وَاجْهَدْ وَكِدَّ وَكُنْ فِي اللَّيْلِ ذَا شَجَنِ      يَسْقِيكَ كَأْسَ وِدَادِ الْعِزِّ وَالْكَرَمِ

قَالَ: ثُمَّ نَادَتْ: وَاحْزَنَاهُ! وَاسْلُبَاهُ! فَقُلْتُ: مِمَّذَا؟ فَقَالَتْ:

ذَهَبَ الظَّلَامُ بِأُنْسِهِ وَبِإِلْفِهِ      لَيْتَ الظَّلَامَ بِأُنْسِهِ يَتَجَدَّدُ<sup>(١)</sup>

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْهَذَلِيِّ قَالَ: كَانَتْ عَجُوزٌ  
فِي عَبْدِ الْقَيْسِ مُتَعَبِّدَةً، فَكَانَ<sup>(٢)</sup> إِذَا جَاءَ اللَّيْلُ تَحَزَّمَتْ ثُمَّ قَامَتْ إِلَى الْمَحْرَابِ،  
وَكَانَتْ تَقُولُ: الْمُحِبُّ لَا يَسْأَمُ مِنْ خِدْمَةِ حَبِيبِهِ<sup>(٣)</sup>.

وُسُئِلَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ عَنْ حَالِهِ، فَأَنْشَدَ:

مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْحُبُّ حَشُوْ فُؤَادِهِ      لَمْ يَذَرْ كَيْفَ تَفُتَّتِ الْأَكْبَادُ<sup>(٤)</sup>

وَرَوَيْنَا مِنْ طَرِيقِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ قَالَ: قِيلَ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ:  
يُرَوَّى عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ كَانَ قَدْ أَدْرَكَ الْأَوْزَاعِيَّ وَسُفْيَانَ أَنَّهُ سُئِلَ: مَتَى تَقَعُ  
الْفِرَاسَةُ عَلَى الْغَائِبِ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ مُجِبًّا لِمَا أَحَبَّ اللَّهُ مُبْغِضًا لِمَا أَبْغَضَ اللَّهُ وَقَعَتْ  
فِرَاسَتُهُ عَلَى الْغَائِبِ، فَقَالَ يَحْيَى:

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/٢٦٦).

(٢) فِي (س) وَحْدَهَا: «فَكَانَتْ».

(٣) لَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا أَخْرَجَهُ الْخُتْلِي فِي «الْمَحَبَّة» (١٢٩).

(٤) تَقْدِمُ فِي أَوَاخِرِ الْبَابِ الثَّالِثِ.

كُلُّ مَحْبُوبٍ سِوَى اللَّهِ سَرَفٌ      وَهُمُومٌ وَغُمُومٌ وَأَسَفٌ  
 كُلُّ مَحْبُوبٍ فَمِنْهُ خَلَفٌ      مَا خَلَا الرَّحْمَنَ مَا مِنْهُ خَلَفٌ  
 إِنَّ لِلْحُـسْبِ دِلَالَاتٍ إِذَا      ظَهَرَتْ مِنْ صَاحِبِ الْحَبِّ عُرْفُ  
 صَاحِبِ الْحَبِّ حَزِينٌ قَلْبُهُ      دَائِمُ الْغُصَّةِ مَهْمُومٌ<sup>(١)</sup> دَنِفٌ  
 هَمُّهُ فِي اللَّهِ لَا فِي غَيْرِهِ      ذَاهِبُ الْعَقْلِ وَبِاللَّهِ كَلِيفٌ  
 أَشْعَتْ الرَّأْسَ خَمِصٌ بَطْنُهُ      أَصْفَرُ الْوَجْنَةِ<sup>(٢)</sup> وَالطَّرْفُ ذَرِفٌ  
 دَائِمُ التَّذْكِيرِ<sup>(٣)</sup> مِنْ حُبِّ الَّذِي      حُبُّهُ غَايَةٌ غَايَاتِ الشَّرَفِ  
 فَإِذَا أَمْعَنَ فِي الْحَبِّ لَهُ      وَعَلَاهُ الشَّوْقُ مِنْ دَاءٍ كَشَفِ  
 بَاشَرَ الْمُحْرَابَ يَشْكُو بَثُّهُ      وَأَمَامَ اللَّهِ مَوْلَاهُ وَقَفِ  
 قَائِمًا قَدَامَهُ مُنْتَصِبًا      لِهَجًّا يَتْلُو بَايَاتِ الصُّحُفِ  
 رَاكِعًا طَوْرًا وَطَوْرًا سَاجِدًا      بَاكِيًا وَالدَّمْعُ فِي الْأَرْضِ يَكِفِ  
 أَوْرَدَ الْقَلْبَ عَلَى الْحَبِّ<sup>(٤)</sup> الَّذِي      فِيهِ حُبُّ اللَّهِ حَقًّا فَعَرَفِ  
 ثُمَّ جَالَتْ كَفُّهُ فِي شَجَرٍ      يُنْبِتُ الْحَبَّ فَسَمَّى وَاقْتَطَفِ  
 إِنَّ ذَا الْحَبِّ لَمَنْ يُعْنَى بِهِ      لَا بَدَارِ ذَاتٍ لَهُوَ وَطُرَفِ  
 لَا وَلَا الْفِرْدَوْسُ لَا يَأْلُفُهَا      لَا وَلَا الْحَوْرَاءُ مِنْ فَوْقِ غُرَفِ<sup>(٥)</sup>

(١) فِي حَاشِيَةِ (س): «مَغْمُومٌ». وَفِي «الزَّهْدِ»: «مَحْزُونٌ».

(٢) فِي حَاشِيَةِ (ش) وَ(س): «الْغُرَّةُ»، وَفِي حَاشِيَةِ (س): «الْوَجْه».

(٣) فِي حَاشِيَةِ (س): «أَوْ: لِلتَّذْكَار».

(٤) الْحَبِّ: وَعَاءُ الْمَاءِ.

(٥) أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي «الزَّهْدِ وَالرَّقَائِقِ» (٢٢). وَأَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (٢٣٧) مِنْ

وَرَوَى أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ بِإِسْنَادٍ عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ قَالَ: أَنَشَدَنِي  
بَعْضُ النَّاسِ:

تَشَاغَلَ قَوْمٌ بِدُنْيَاهُمْ	وَقَوْمٌ تَخَلَّوْا لَمَوْلَاهُمْ <sup>(١)</sup>
فَالزَمَهُمْ بَابَ مَرْضَاتِهِ	وَعَنْ سَائِرِ الْخَلْقِ أَغْنَاهُمْ
فَمَا يَعْرِفُونَ سِوَى حُبِّهِ	وَطَاعَتِهِ طُولَ مَحْيَاهُمْ
يُصَفُّونَ بِاللَّيْلِ أَقْدَامَهُمْ	وَعَيْنُ الْمُهَيِّمِ تَرَعَاهُمْ
فَطَوْرًا يُنَاجُونَهُ سُجَّدًا	وَيَكُونُ طَوْرًا خَطَايَاهُمْ
إِذَا فَكَّروا فِي الَّذِي أَسْلَفُوا	أَذَابَ الْقُلُوبِ وَأَبْكَاهُمْ
وَإِنْ يَسْكُنِ الْخَوْفُ لِأَذْوَابِهِ	وَبَاحُوا إِلَيْهِ بِشُكْوَاهُمْ
وَأَضْحَوْا صِيَامًا عَلَى جَهْدِهِمْ	تَبَارَكَ مَنْ هُوَ قَوَاهُمْ
هُمْ الْقَوْمُ أَعْطَوْا مَلِيكَ الْمُلُو	لِ صِدْقَ الْقُلُوبِ فَوَالَاهُمْ
هُمْ الْمُجْتَبَوْنَ بَنِيَاتِهِمْ	أَرَادُوا رِضَاهُ فَأَعْطَاهُمْ
وَأَسْكَنَهُمْ فِي فَرَادَيْسِهِ	وَأَعْلَى الْمَنَازِلِ بَوَاهُمْ
فَنَالُوا الْمُرَادَ وَفَازُوا بِهِ	فَطُوبَى لَهُمْ ثُمَّ طُوبَاهُمْ <sup>(٢)</sup>

قَرَأْتُ بِخَطِّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ صَابِرٍ السُّلَمِيِّ، أَنَشَدَنَا أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ  
مُحَمَّدٍ بْنِ عَقِيلٍ الشَّهْرَزُورِيُّ لِبَعْضِهِمْ:

(١) فِي (ب): «بِمَوْلَاهُمْ».

(٢) ذَكَرَ الْبَيْهَقِيُّ الْأَوْلَانُ فِي تَرْجُمَةِ أَبِي الْوَفَاءِ الْقَزْوِينِيِّ مِنْ «التَّدْوِينِ فِي أَخْبَارِ قَزْوِينَ» (٢٠١ / ٤) مِنْ  
إِنْشَادِهِ وَلَمْ أَظْفَرْ بِرَوَايَةِ أَبِي مُوسَى الْمَدِينِيِّ.

قليلُ العزاءِ كثيرُ الندَمِ	طويلُ النحيبِ على ما اجترَمِ
جرى دَمْعُهُ فبَكَى جَفْنُهُ	وصارَ البُكاءُ بَدَمْعٍ ودَمِ
يخافُ البياتَ بهجمِ المماتِ	وفقدَ الحياةَ بضُرِّ السَّقَمِ
ويُخَفِي محبَّةَ رَبِّ العُلَى	فَتُظْهِرُ أنفاسُهُ ما كَتَمَ <sup>(١)</sup>
وأسبَلَ من طَرْفِهِ عَبرَةً	على الصَّخْنِ من خَدِّهِ فانسَجَمَ
وباتَ محارِبَ <sup>(٢)</sup> محرابِهِ	ولمَّا تَزُلْ <sup>(٣)</sup> قَدَمٌ عن قَدَمِ
فلمَّا تَفَتَّتْ <sup>(٤)</sup> أحشاؤُهُ	من الشَّوقِ رَقَّ عليه الأَلَمُ
وَكَمَ ليلةٍ رامَ فيها المنامَ	فصاحَ به حُبُّهُ لا تَنَمَ
وناحَ على جَسَدٍ ناجِلِ	أطالَ التَّحوُّلَ به فانْهَدَمَ
أَنابَ إلى الله مُسْتَغْفِرًا	وصارَ له من أعزِّ الخَدَمِ <sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(١) في (س): «ما اكتم».

(٢) في (ب): «يحارب».

(٣) في (ش) و(ت): «يزل».

(٤) وتصحفت في (ش) و(ب).

(٥) في هامش (س): «بلغ». وعبد الله بن أحمد بن علي بن صابر السلمي، توفي سنة (٤٩٣) رحمه الله، وتوفي الشهرزوري سنة (٤٩٤) رحمه الله. ولم أجد هذه الأبيات في مصدر آخر.

## الباب الثامن

### في ذكر شوق المحبين إلى لقاء رب العالمين

الشوق إلى لقاء الله درجة عالية رفيعة تنشأ من قوة محبة الله عز وجل، وقد كان النبي ﷺ يسأل الله هذه الدرجة.

خرَجَ الإمام أحمد وابن حبان في «صحيحه» والحاكم من حديث عمارة بن ياسر أن النبي ﷺ كان يدعو بهذا الدعاء: «اللَّهُمَّ بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق، أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَكَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الْغَضَبِ وَالرَّضَا، وَالْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقُطُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَا، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، فِي<sup>(١)</sup> غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيِّنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وخرَجَ الطبراني نحوه من حديث فضالة بن عبيد، عن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>.

وخرَجَ الإمام أحمد والحاكم عن زيد بن ثابت، أن النبي ﷺ علمه دعاء، وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم، وفيه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَا»<sup>(٤)</sup>، وبرد العيش

(١) في (ش) و(ت): «من».

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٨٣٢٥)، وابن حبان (١٩٧١)، والحاكم في «المستدرک» (٥٢٤ / ١) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٣) في «الأوسط» (٦٠٩١)، وفي «الكبير» ١٨ (٨٢٥).

(٤) في (ش) و(ب) و(ت): «الرضا بالقدر»، والمثبت من (س) هو الموافق للمصادر.

بعد الموت، ولذة النظر في وجهك، وشوقاً إلى لقاءك، من غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مُضلة»<sup>(١)</sup>.

وإنما قال: «من غير ضراء مُضرة، ولا فتنة مُضلة» والله أعلم؛ لأن محبة لقاء الله وهو محبة الموت تصدُر غالباً إمّا عن ضراء مُضرة، وهي ضراء الدنيا، وقد نُهي عن تمَنّي الموت حينئذٍ، وإمّا عن فتنة مُضلة، وهي خشية الفتن في الدين، وهو غير منهّي عنه في هذه الحال، والمسؤول هاهنا الشوق إلى لقاء الله الناشئ عن غير هذين الأمرين، بل عن محض المحبة.

وقد دلّ قوله تعالى في حق اليهود: ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤] على أن من كان على حالة حسنة من الاستعداد للقاء الله فإنه يتمنى لقاء الله ويحبّه، وأنه لا يكره ذلك إلا من هو مريب في أمره، ولهذا قال: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٩٥]، ثم قال: ﴿وَلَجَدْنَاهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوٰةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍهُم مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ﴾ [البقرة: ٩٦] فذمهم على حرصهم على الحياة في الدنيا.

وفي «مسند الإمام أحمد»، عن النبي ﷺ قال: «لا يتمنى<sup>(٢)</sup> الموت إلا من وثق بعمله»<sup>(٣)</sup>.

وقد كان كثير من السلف الصالح يتمنون الموت شوقاً إلى لقاء الله عز وجل.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢١٦٦٦)، والحاكم (٥١٦/١) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) في (س): «يتمنين».

(٣) أخرجه باطول من هذا الإمام أحمد (٨٦٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



وكان أبو الدرداء يقول: أُحِبُّ الموتَ اشتياقًا إلى ربِّي، وأُحِبُّ الفقرَ تواضعًا لربِّي، وأُحِبُّ المَرَضَ تكفيرًا لخطيئتي<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن زياد: اجتمع رجال من الأخيار، أو قال من العلماء والعُباد، وذكروا الموتَ، فقال بعضهم: لو أنه أتاني آتٍ، أو ملك الموتِ فقال: أيُّكم سبق إلى هذا العمودِ فوضع عليه يده<sup>(٢)</sup> لَمَاتَ لِرَجَوْتُ أَنْ لا يسبقني إليه أحدٌ منكم شوقًا إلى لقاء الله عزَّ وجلَّ<sup>(٣)</sup>.

وقال عبد الله بن زكريا: لو خُيِّرْتُ بين أن أُعَمَّرَ<sup>(٤)</sup> مائة سنة<sup>(٥)</sup> في طاعة الله أو أن أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعتِي هذه؛ لاخترْتُ أن أُقبَضَ في يومي هذا أو في ساعتِي هذه؛ شوقًا إلى الله، وإلى رسوله، وإلى الصالحين من عباده<sup>(٦)</sup>.

وكان أبو عبد ربِّ الزاهد يقول: لو أنه قيل: مَنْ مَسَّ هذا العمودَ ماتَ<sup>(٧)</sup> لسرَّني أن أقومَ إليه شوقًا إلى<sup>(٨)</sup> الله ورسوله<sup>(٩)</sup>.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/٢١٧).

(٢) في (ب) و(س): «يده عليه».

(٣) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/١١٢).

(٤) في (س): «أعیش».

(٥) في (ش) و(ت): «مئة سنة من ذي قبل».

(٦) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله هنا.

(٧) في (ش) و(ت) و(س): «لمات».

(٨) في (ب) و(س): «إلى لقاء».

(٩) أخرجه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٢/٤١٨ طبعة العراق). وأبو زرعة الدمشقي في

«تاريخه» (ص: ٣٤٩)، وغيرهم.

وقال أبو عنبه الخولاني: كان إخوانكم لقاء الله أحب إليهم من الشَّهْد<sup>(١)</sup>.

قال سُفيان: كان بالكوفة رجلٌ مُتَعَبِّدٌ من هَمْدان، فكان يقول: ما تطيبُ نفسي لنفسي بالموتِ إلَّا إذا ذَكَرْتُ لقاءَ الله عزَّ وجلَّ، فإنِّي أجِدُ نفسي عندَ ذلك تطيبُ بالموتِ لِمَا ترَجُّو في لقاءِ الله عزَّ وجلَّ من البركةِ والسُّرورِ<sup>(٢)</sup>.

قال: وذكرُوا عنه أَنَّهُ كان يقول: إذا ذَكَرْتُ القُدومَ على الله كنتُ أشَدَّ اشتِياقًا إلى الموتِ مِنَ الظَّمآنِ الشَّدِيدِ ظَمْؤُهُ، في اليومِ الحارِّ الشَّدِيدِ حرِّه، إلى الشَّرابِ الباردِ الشَّدِيدِ برْدِهِ<sup>(٣)</sup>.

وقال رباحُ القيسي: أَتَيْتُ الأبرَدَ بْنَ ضَرارٍ فقال لي: يا رباحُ، هل طالتْ بِكَ اللَّيالي والأَيَّامُ؟ قلتُ<sup>(٤)</sup> له: بِمَ؟ قال: بالشَّوقِ إلى لقاءِ الله، قال: فَسَكَتُ، وأَتَيْتُ رابِعَةً فذَكَرْتُ ذلكَ لها، قال: فَسَمِعْتُ تخريقَ قَمِيصِها من وراءِ ثوبِها وهي تقول: لكنِّي نَعَمَ<sup>(٥)</sup>.

وقال عبيدُ الله<sup>(٦)</sup> بنُ مُحَمَّدٍ التَّيمي: سَمِعْتُ امرأةً من المُتَعَبِّداتِ تقول: والله لقد سِئِمْتُ مِنَ الحَيَاةِ، حتَّى لو وَجَدْتُ الموتَ يُباعُ لاشتريتُه شوقًا إلى الله<sup>(٧)</sup>، وَحَبًّا

(١) تصحف في نسخنا (عنبه) إلى (عنبه). وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٢٤) وفي «الجهاد» (١٢٨).

(٢) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله هنا.

(٣) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله، وذكره أيضاً في «شرح حديث ليك»، وفي «لطائف المعارف» (ص: ٥١١).

(٤) في (س): «فقلت».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩٣/٦) مطولاً.

(٦) في (ش) و(ت): «عبد الله».

(٧) في (س): «لقاء الله».

للقائه، قال: فقلتُ لها: أفعلى ثقة أنتِ من عمليكِ؟ قالت: لا، ولكن لحبي إياه، وحسن ظني به، أفتراه يُعذِّبني وأنا أُحِبُّه<sup>(١)</sup>؟!

وقال سلمة العوصي: إني لمُشتاقٌ إلى الموتِ منذ أربعين سنةً، منذُ فارقْتُ الحسنَ بنَ صالح، قيلَ له: ولم؟ قال: لو لم يشتَقِ العاقلُ<sup>(٢)</sup> إلا إلى لقائه عزَّ وجلَّ لكانَ ينبغي له أن يشتاقَ<sup>(٣)</sup>.

وكان أبو عبد الله النُّباجيُّ يقولُ في مُناجاتِهِ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنِّي<sup>(٤)</sup> لو خيَّرَ تَنِي بَيْنَ أَنْ تَكُونَ لي الدُّنْيَا مِنْذُ خُلِقْتُ أَتَنَعَّمُ فِيهَا حَلالًا، وَلَا أَسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَيْنَ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي السَّاعَةَ، لَاخْتَرْتُ أَنْ تَخْرُجَ نَفْسِي السَّاعَةَ، ثُمَّ قَالَ: أَمَا<sup>(٥)</sup> تُحِبُّ أَنْ تَلْقَى مَنْ تُطِيعُ<sup>(٦)</sup>؟ وَصَحِبَ رَجُلٌ الْفَتْحَ بْنَ شَخْرَفَ ثَلَاثِينَ سَنَةً، قَالَ: فَلَمْ أَرَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ إِلَّا مَرَّةً<sup>(٧)</sup>، رَفَعَ رَأْسَهُ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ<sup>(٨)</sup>، وَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: قَدْ طَالَ شَوْقِي إِلَيْكَ، فَعَجَّلْ قُدُومِي عَلَيْكَ<sup>(٩)</sup>.

(١) ذكره الغزالي في «الإحياء» (في آخر كتاب المحبة) (٤/ ٣٦١).

(٢) في (ب) و(س): «العاقل».

(٣) أخرجه المزي في «تهذيب الكمال» (١١/ ٢٩٧) بسنده إليه.

(٤) في (ب) و(س): «أنتك».

(٥) في (س): «ألا».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المتمين» (٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣١١)، وفي مطبوعتهما:

«الساجي» تصحيفاً من «النُّباجي»<sup>١</sup> وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢١/ ١٩ - ٢٠).

(٧) في (س): «مرة واحدة».

(٨) في (ب): «عينه».

(٩) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٥١١).

وقال فتح الموصلي في يوم عيد أضحى: قد تقرب المتقربون بقرابهم، وأنا أتقرب إليك بطول حزني، يا محبوب، كم تتركني في أزقة الدنيا محزوناً؟ ثم غشي عليه، وحمل فدفن بعد ثلاث، رحمه الله<sup>(١)</sup>.

فهذا حال من غلب عليه الشوق والرجاء، فأما من غلب عليه الخوف فإنه بخلاف ذلك، ولا يتمنى الموت، بل يستعظمه حتى يكاد يتصدع قلبه من ذكره.

وقال المؤلف رحمه الله: وقد نازع أبو سليمان الداراني من كان يتمنى الموت شوقاً<sup>(٢)</sup> إلى لقاء الله، وخالفهم في ذلك، وقال: لو أعلم أن الأمر كما تقولون لأحببت أن نفسي تخرج الساعة، ولكن كيف بانقطاع الطاعة والحبس في البرزخ، وإنما نلقاه بعد البعث.

قال أحمد بن أبي الحواري: فهو في الدنيا أحرى أن يلقاه؛ يعني بالذكر.

فأبو سليمان وصاحبه أحمد بن أبي الحواري رحمهما الله تعالى يقولان: ما يجد<sup>(٣)</sup> العارفون المحبون في الدنيا من حلاوة الطاعة ولذة المعاملة واستنارة القلوب وتقربها<sup>(٤)</sup> من علام الغيوب أكمل مما يحصل لهم في البرزخ قبل البعث؛ فإنه لا يمكن رؤية الله تعالى بالأبصار إلا في يوم القيامة، وقد جاء في حديث: «إن يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى الله عز وجل»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» (ص: ٢٢٢)، وهو في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٥٦).

(٢) في (ب): «خوفاً».

(٣) في (ب) و(س): «يجده».

(٤) في (ب) و(س): «وتقربها».

(٥) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (١٧٥)، وابن النحاس في «رؤية الله» (١١)، وابن الدقاق في

«مجلس في الرؤية» (٦)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٧٢). ومداره على أحمد بن يحيى بن =

وَأَمَّا الْأَوَّلُونَ<sup>(١)</sup> فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَ فِي ذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: قَدْ يَحْصُلُ لِلْمُحِبِّينَ<sup>(٢)</sup> فِي الْبَرَزِخِ اتِّصَالٌ وَقُرْبٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرُؤْيَا الْأَرْوَاحِ<sup>(٣)</sup>، فَيَكُونُ ذَلِكَ أَكْمَلَ مِنَ الْحَاصِلِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْعَمَلِ، كَمَا أَنَّ نَعِيمَ الْبَرَزِخِ بِالْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَكْمَلَ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا أَيْضًا.

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا»<sup>(٤)</sup>، وَهَذَا يَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ سُبْحَانَهُ تَحْصُلُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

وَقَدْ رُوِيَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ الْأَحْلَامِيَّةِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مَا يَطُولُ ذِكْرُهُ، وَاتَّفَقَ<sup>(٥)</sup> الْعَارِفُونَ كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ مَا يَحْصُلُ بَعْدَ الْبَعْثِ لِلْعَارِفِينَ الْمُحِبِّينَ أَكْمَلُ مِمَّا يَحْصُلُ لِقُلُوبِهِمْ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ غَايَةَ الْحَاصِلِ لِلْقُلُوبِ فِي الدُّنْيَا هُوَ تَجَلِّي أَنْوَارِ الْإِيمَانِ فِي الْقَلْبِ حَتَّى يَصِيرَ الْغَيْبُ كَأَنَّهُ شَهَادَةٌ.

وَمَنْ قَالَ: إِنَّ الْأَرْوَاحَ وَالْقُلُوبَ تُكَافِحُ ذَاتَ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الدُّنْيَا عَيَانًا فَهُوَ غَالِطٌ، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَثْبُتْ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلنَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ، كَمَا ذَكَرَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

= خَالِدُ بْنُ حَيَّانَ الرَّقِّيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وَهُوَ ضَيْقُ الْمَخْرَجِ جَدًّا، وَالتَّفَرُّدُ فِيهِ نَازِلٌ، وَفِي مَخْرَجِهِ ضَعْفٌ.

(١) فِي (س): «الْأَكْثَرُونَ». وَقَدْ كُتِبَتْ أَوَّلًا فِي (ش)، ثُمَّ ضُرِبَ عَلَيْهَا: وَكُتِبَ: الْأَوَّلُونَ وَصُحِّحَ عَلَيْهَا.

(٢) فِي حَاشِيَةِ (ش): لَفْظَةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ إِشَارَةٌ إِلَى نَسْخَةٍ، وَلَعَلَّهَا: «الْمُحِبِّينَ».

(٣) فِي (س): «وَرُؤْيَا الْأَرْوَاحِ».

(٤) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْكَبَرِيِّ» (٧٧١٦) مِنْ حَدِيثِ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ بِنَحْوِ هَذَا اللَّفْظِ.

(٥) فِي (س): «وَقَدْ اتَّفَقَ».

وصنّف بعضهم مُصنِّفاً سمّاه: «تفضيلُ العباداتِ على نعيمِ الجنّاتِ»<sup>(١)</sup>، وأشار إلى أن العباداتِ<sup>(٢)</sup> حقُّ الرّبِّ، وأنَّ النّعيمَ حظُّ النّفسِ، وكأنّه ظنَّ أن لا نعيمَ في الجنّةِ إلا التّمتّعُ بالمخلوقاتِ فيها، وهو غلطٌ عظيمٌ، فإنَّ أعلى نعيمِ الجنّةِ ما يحصلُ فيها من معرفةِ الله سبحانه ومُشاهدته، فإنَّ علمَ اليقينِ يصيرُ هناكَ عينَ اليقينِ، وتتجدّدُ معرفةٌ عظيمةٌ لم تكنُ موجودةً قبلَ ذاكَ، بل ولم تخطرُ على قلبِ بشرٍ قطُّ.

وكذلك توحيدُ أهلِ الجنّةِ ودوامُ ذِكْرِهِم هو من أكملِ لذّاتهم، ولذلك يُلهَمُونَ التّسبيحَ كما يُلهَمُونَ النّفسَ<sup>(٣)</sup>.

قال ابنُ عُيَيْنَةَ: «لا إلهَ إلا الله» لأهلِ الجنّةِ كالماءِ الباردِ لأهلِ الدُّنيا<sup>(٤)</sup>. وكذلك ترنّمُهُم بالقرآنِ وسماعُهُم له<sup>(٥)</sup>، وأعلاه سَماعُهُ من الله عزَّ وجلَّ، فأين هذا من تلاوةِ أهلِ الدُّنيا وذِكْرِهِم؟ وأمّا سائرُ العباداتِ فما كانَ منها فيه مشقّةٌ على الأبدانِ فإنَّ أهلَ الجنّةِ قد أُسْقِطَ ذلكَ عنهم، وكذلك ما فيه نوعٌ ذلٍّ وخضوعٍ كالسُّجودِ ونحوه.

وأما ما في العباداتِ من النّعيمِ الحاصلِ بها لأهلِ المعرفةِ في الدُّنيا فإنّه يحصلُ

(١) هو العلامة أبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي الحنبلي، المتوفى سنة (٥١٣ هـ) رحمه الله تعالى. ولا أعلم لهذا الكتاب وجوداً اليوم.

(٢) في (س): «العبادة».

(٣) كما في «صحيح مسلم» (٢٨٣٥) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٨٢)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٨١). وعندهم: «لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

(٥) في (ب): «وسماعه».

لهم في الجنة أضعافاً مع راحة الجسد من مشقة التكليف<sup>(١)</sup> التي في الدنيا، فتجتمع لهم راحة القلب والبدن على أكمل الوجوه، وهذا مثل الصلاة، فإن العارفين في الدنيا إنما يتنعمون بما فيها من المناجاة وآثار القرب، وما يرد عليهم من الواردات<sup>(٢)</sup> في تلاوة الكتاب، ونحو ذلك من نعيم القلوب<sup>(٣)</sup>، وربما يستغرقون به عن الشعور بتعب الأبدان، فهذا القدر الذي حصل لهم به النعيم<sup>(٤)</sup> في الدنيا يتزايد في الجنة بلا ريب لا سيما في أوقات الصلوات، فإن أكملهم من ينظر إلى وجه الله عز وجل كل يوم مرتين بكرة وعشيّاً في وقت صلاة الصبح وصلاة العصر كما جاء في حديث ابن عمر مرفوعاً وموقوفاً<sup>(٥)</sup>.

والى ذلك أشار النبي ﷺ بالمحافظة على هاتين الصلاتين عقيب ذكره رؤيته الربّ سبحانه وتعالى في حديث جرير البجلي<sup>(٦)</sup>.

فالنّعيم الحاصل لأهل الجنة بالرؤية والمُخاطبة في هذين الوقتين أكمل ممّا كان حاصلاً لهم في الدنيا، وكذلك صلاة الجمعة؛ فإنهم يجتمعون في وقتها في يوم المزيد، ويتجلى لهم سبحانه ويحاضرون مُحاضرةً، وكذلك في العيدين، فهذا

(١) في (س): «التكليف».

(٢) في (ش) و(ت): «الموارد».

(٣) في (ش) و(ت): «القلب».

(٤) في (ت) و(س): «التنعم».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (٤٦٢٣) من حديث ابن عمر مرفوعاً: «وإن أفضلهم منزلة لينظر في وجه الله تعالى كل يوم مرتين»، وعند الترمذي (٢٥٥٣): «وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية... وذكر الترمذي من رواه عن ابن عمر موقوفاً».

(٦) في قوله ﷺ: «فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا...» أخرجه البخاري (٥٥٤) (٥٧٣) (٤٨٥١) (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

أَكْمَلُ مِمَّا يَحْصُلُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فِي صَلَاتِهِمْ<sup>(١)</sup> مِنْ آثَارِ الْقُرْبِ وَحَلَاوَةِ الْمُنَاجَاةِ  
مَعَ<sup>(٢)</sup> رَاحَةِ الْبَدَنِ وَنَعِيمِهِ أَيْضًا.

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ أَكْمَلُ مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا مُطْلَقًا، وَسَوَاءٌ فِي ذَلِكَ نَعِيمُ  
الْأَبْدَانِ بِالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجَمَاعِ وَنَعِيمُ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ بِالْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ  
وَالْقُرْبِ وَالْإِتِّصَالِ وَالْأَنْسِ وَالْمُشَاهَدَةِ.

وظَهَرَ بِهَذَا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ [النمل: ٨٩، القصص: ٢٨]  
هُوَ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى تَأْوِيلٍ وَلَا تَكْلُفٍ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُفَسِّرِينَ  
فَسَّرُوا الْحَسَنَةَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَالْجَزَاءَ عَلَيْهَا بِالْجَنَّةِ، ثُمَّ اسْتَشْكَلُوا تَفْضِيلَ الْجَنَّةِ  
عَلَى التَّوْحِيدِ<sup>(٣)</sup>.

وَبِمَا ذَكَرْنَاهُ يَزُولُ الْإِشْكَالُ، وَتَبَيَّنَ أَنَّ التَّوْحِيدَ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ أَكْمَلُ مِنْ  
التَّوْحِيدِ الَّذِي فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ جَزَاءٌ لَهُ، وَكَذَلِكَ الْمَعْرِفَةُ وَالْمَحَبَّةُ وَالشَّوْقُ أَيْضًا،  
فَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ أَحَادِيثِ يَوْمِ الْمَزِيدِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا إِلَى شَيْءٍ أَشَوْقَ مِنْهُمْ إِلَى  
يَوْمِ الْجُمُعَةِ<sup>(٤)</sup>.

وَشَبِيهٌ بِهَذَا: الْغَلْطُ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْعَارِفِينَ لَا يَشْتَاقُونَ  
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَهُ بِقُلُوبِهِمْ حَاضِرًا، وَتُبَاشِرُ قُلُوبُهُمْ أَنْوَارَهُ،  
وَيَتَجَلَّى لَهَا فَيَسْتَأْنِسُونَ بِهِ، وَيَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ.

(١) فِي حَاشِيَةِ (ش) وَ(ت): «خَلَوَاتِهِمْ».

(٢) فِي (ب): «مِنْ».

(٣) يَنْظُرُ: تَفْسِيرُ «مِفْتَاحِ الْغَيْبِ»، فَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْإِشْكَالَ، وَالْجَوَابَ عَلَيْهِ.

(٤) كَمَا فِي حَدِيثِ طَوِيلٍ أَخْرَجَهُ الْبَزَارُ (٧٥٢٧)، وَأَبُو يَعْلَى (٤٢٢٨)، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي «الْأَوْسَطِ»

(٢٠٨٤) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وَجْهِهِ عَنْهُ.



وهذا وإن كان قد نُقِلَ عن بعضِ السَّلَفِ الْمُتَقَدِّمِينَ فهو أيضًا غَلَطٌ، ولعلَّه صدرَ من قائله في حالِ استغراقه في مُشاهدةٍ ما شاهَدَه فَظَنَّ أَنَّهُ ليس وراءَ ذلك مطلبٌ، وهذا كما قال بعضهم: إِنَّهُ تمرُّ بي أوقاتٌ أقولُ: إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ في مثلِ ما أنا فيه إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ<sup>(١)</sup>.

ومعلومٌ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ في أَضعافٍ<sup>(٢)</sup> ما هو فيه مِنَ النَّعِيمِ وَاللَّذَّةِ، ولكنَّه استعْظَمَ<sup>(٣)</sup> ما حَصَلَ لَهُ مِنَ النَّعِيمِ فَظَنَّ<sup>(٤)</sup> أَنَّهُ ليس وراءَه شيءٌ، وعندَ التَّحْقِيقِ يَتَبَيَّنُ أَنَّ ما حَصَلَ في الدُّنْيَا لِلْقُلُوبِ من تَجَلِّي أنوارِ الإِيمانِ يَدُلُّ على عَظَمَةِ ما يَحْصُلُ في الْجَنَّةِ، وليس بينهما نِسْبَةٌ فيَتَزَايَدُ بِذلك الشَّوْقُ إلى ما وراءَه، ولهذا<sup>(٥)</sup> كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْأَلُ رَبَّهُ الشَّوْقَ إلى لِقائِهِ<sup>(٦)</sup>، مع أَنَّهُ أَكْمَلَ الخَلْقِ مُشاهدةً ومعرفةً، وكانَ يَقُولُ في الوِصَالِ: «إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»<sup>(٧)</sup>، وَيُشِيرُ إلى ما يَتَجَلَّى لِقَلْبِهِ من آثارِ القُرْبِ والأُنْسِ مِمَّا يُقَوِّيه وَيُغْذِيهِ وَيُغْنِيهِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، كما قالَ القائلُ:

(١) أصل الكلام لعابد من أهل طرسوس، وهو أبو سليمان المغربي كما ذكر ذلك ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٢٣/٢) طبعة دار الحديث، وهذا اللفظ الذي هنا أورده ابن تيمية رحمه الله في كلامه، كما في «مجموع الفتاوى» (٦٤٧/١٠)، لكن ابن كثير رحمه الله ذكره في «البداية والنهاية» (سنة ٢٠٥) في ترجمة أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى، ونسبه إليه.

(٢) في (ت) و(س): «أضعاف أضعاف».

(٣) في (ب) و(س): «لما استعظم».

(٤) في (س): «ظن».

(٥) في حاشية (س): «ولقد».

(٦) كما في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه الذي تقدم في أول الباب الثامن.

(٧) كما في حديث أنس رضي الله عنه عند البخاري (٧٢٤١)، ومسلم (١١٠٤).

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الشراب<sup>(١)</sup> وتلهيها عن الزاد<sup>(٢)</sup> ولم يزل أئمة العارفين يثبتون<sup>(٣)</sup> الشوق، ويخبرون به عن أنفسهم. قال عبد الواحد بن زيد<sup>(٤)</sup>: يا إخواناه، ألا تبكون شوقاً إلى الله جلّ وعزّ؟ ألا إنه من بكى شوقاً إلى سيّده لم يحرمه النظر إليه<sup>(٥)</sup>.

وقال صالح المري: بلغني عن كعب أنه كان يقول: من بكى اشتياقاً إلى الله جلّ وعزّ أباحه النظر إليه تبارك وتعالى<sup>(٦)</sup>.

قال حبيب بن عبيد: كان دليجة إذا مشى طاشت قدماه من العبادة، ف قيل له: ما شأنك؟ قال: الشوق، ف قيل له: أبشر فإن الأمير قد بعث إلى سرح المسلمين ليأذن لهم، فيقول: ليس شوقي إلى ذلك، إن شوقي إلى من يحثها<sup>(٧)</sup>.

قال عثمان بن صخر العتكي: طوبى لمحبّي الربّ عزّ وجلّ، الذين عبدوه بالفرح والسُرور، والأنس والطمانية، فصاروا الصّفوة من الخلق، والخاصّة من البريّة، يحنّون إليه حين الولهان، ويشتاقون إليه شوق من لا صبر لهم عنه، قد كسروا بالخوف، ورؤخوا بالظفر<sup>(٨)</sup>.

(١) في (ش) و(ت): «الطعام» وفي المصادر: «الرتوع».

(٢) البيت لإدريس بن أبي حفصة، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية في «ديوان المعاني» لأبي هلال العسكري (٦٣/١)، «الحماسة البصرية» (١٥٧/١).

(٣) كذا في النسخ، لكن لعله: «يثبتون».

(٤) في (ش): «زياد» وهو خطأ.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقّة والبكاء» (٢٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٠/٦).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقّة والبكاء» (٢٠).

(٧) أخرجه أبو داود في «الزهد» (٣٩٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠٢/٦).

(٨) أخرجه الختلي في «المحبة» (٦١).

وكان أبو عبدة الخواص يمشي في الأسواق ويضرب على صدره ويقول:  
واشوقاهُ إلى من يراني ولا أراه<sup>(١)</sup>.

وكانت امرأة من العابدات<sup>(٢)</sup> بمكة لا تزال تصرخ وتقول: أوليس عجباً<sup>(٣)</sup> أن  
أكون حية بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تطفأ  
حتى أصير إلى الطبيب الذي بيده<sup>(٤)</sup> برء دائي وشفائي<sup>(٥)</sup>!

وقال ذو النون: إن المؤمن إذا آمن بالله واستحكَمَ إيمانه خاف الله، فإذا خاف الله  
تولدت من الخوف هبة الله، فإذا سكنَ درجة الهبة دامت طاعته لربه، فإذا أطاع  
تولد من الطاعة الرجاء، فإذا سكنَ درجة الرجاء تولدت من الرجاء المحبة، فإذا  
استحكمت معاني المحبة في قلبه سكنَ بعدها درجة الشوق، فإذا اشتاق أذاه الشوق  
إلى الأنس بالله، فإذا أنس بالله اطمأن إلى الله، فإذا اطمأن إلى الله كان ليله في نعيم،  
ونهاره في نعيم، وسره في نعيم، وعلايته في نعيم. انتهى<sup>(٦)</sup>.

ولا ريب أن الشوق يقتضي القلق، لكن قد يمنح الله بعض أهله ما يسكن قلقهم  
من الأنس به، والطمأنينة إليه، كما أشار ذو النون إليه رحمه الله.

وعن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قال: قلت يوماً: اللهم إن كنت أعطيت أحداً

(١) أخرجه الخليلي في «المحبة» (٢٥٨)، وذكره ابن الجوزي في «المدحش» (ص: ٤٠٧).

(٢) في (س): «المتعبدات».

(٣) في (ب): «عجباً».

(٤) في (س): «عنده».

(٥) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٥١).

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٥٩).

مَنْ الْمُحِبِّينَ لَكَ مَا سَكَنْتَ<sup>(١)</sup> بِهِ قُلُوبَهُمْ قَبْلَ لِقَائِكَ فَأَعْطِنِي ذَلِكَ، فَلَقَدْ أَضَرَّ بِي الْقَلْقُ، قَالَ: فَرَأَيْتَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي النَّوْمِ، فَوَقَّفَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَمَا اسْتَحْيَيْتَ مِنِّي تَسْأَلُنِي أَنْ أُعْطِيكَ مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ قَبْلَ لِقَائِي؟ وَهَلْ يَسْكُنُ قَلْبُ الْمُشْتَاقِ إِلَى غَيْرِ حَبِيبِهِ؟ أَمْ هَلْ يَسْتَرِيحُ الْمُحِبُّ إِلَى غَيْرِ مَنْ اشْتَاقَ<sup>(٢)</sup> إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَبِّ تَهْتُ فِي حَبِّكَ فَلَمْ أَذِرْ مَا أَقُولُ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ قَائِلًا يَقُولُ: مَنْ يَحْضُرُ؟ مَنْ يَحْضُرُ؟ فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: أَمَا تَرَى الْقَائِمَ الَّذِي يَخْطُبُ النَّاسَ وَيُخَبِّرُهُمْ عَنْ أَعْلَى مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ؟ فَأَدْرِكُ<sup>(٤)</sup> فَلَعَلَّكَ تَلْحَقُهُ وَتَسْمَعُ كَلَامَهُ قَبْلَ انْصِرَافِهِ، فَأَتَيْتُهُ فَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ وَهُوَ يَقُولُ:

مَا نَالَ عَبْدٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مَنَزَلَةً      أَعْلَى مِنَ الشَّوْقِ إِنَّ الشَّوْقَ مَحْمُودٌ

ثُمَّ سَلَّمَ وَنَزَلَ، فَقُلْتُ لِرَجُلٍ إِلَى جَانِبِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: أَمَا تَعْرِفُهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: هَذَا دَاوُدُ الطَّائِيُّ، فَعَجِبْتُ فِي مَنَامِي مِنْهُ، فَقَالَ: أَتَعْجَبُ مِمَّا رَأَيْتَ؟ وَاللَّهِ لِلَّذِي<sup>(٥)</sup> عِنْدَ اللَّهِ لِدَاوُدَ مِنَ الزُّلْفَى أَكْثَرُ مِنْ هَذَا وَأَكْثَرُ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (س): «اسكنت».

(٢) فِي (ب): «يشتاق».

(٣) ذَكَرَهُ أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي فِي «قُوتِ الْقُلُوبِ» (٢/ ١٠٠)، وَأَخْرَجَهُ السَّرَاجُ الْقَارِي فِي «مِصَارِعِ الْعِشَاقِ» (١/ ٢٧٨).

(٤) فِي (س): «فأدركه».

(٥) فِي (ب): «الذي»، وَفِي (ش): «إن الذي».

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٧/ ٣٦٠).

ومما قيل في وصف المشتاقين:

أَنْ<sup>(١)</sup> مَنْ الشَّوْقِ فَلَوْلَا دَمْعُهُ  
أَحْرَقَ مَا بَيْنَ الْعَذِيبِ وَالنَّقَا  
وَاسْتَعَرَتْ أَنْفَاسُهُ وَإِنَّمَا  
تَلَهَّبُ<sup>(٢)</sup> الْأَنْفَاسُ مِنْ حَرِّ الْجَوَى  
مَرُّوا عَلَى وَادِي الْغَضَا فَقَلَّبُوا  
مَنْ الْجَوَى قَلْبِي عَلَى جَمْرِ الْغَضَا<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

(١) في (س): «أئن» وهو خطأ.

(٢) في (ب) و(س): «تلتهب».

(٣) لم أجد الأبيات عند غير المصنف، وقد أوردها أيضاً في «شرح حديث عمار بن ياسر». وفي حاشية

(ش): «بلغ مقابلة».

## الباب التاسع

في رضا المحبين بمر الأقدار،  
وتنعمهم ببلاء من يخلق ما يشاء ويختار

قد تقدم أن النبي ﷺ كان يقول في دعائه: «أَسْأَلُكَ<sup>(١)</sup> الرِّضَا بعدَ القضا، وبرَدَ العيش بعدَ الموت، ولذَّةَ النَّظَرِ إلى وجهك، والشَّوقَ إلى لقائك»<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجَ الترمذيُّ من حديث أنسٍ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابتلاهم، فَمَنْ رَضِيَ فَله الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَله السَّخَطُ»<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى جَعْفَرُ بْنُ بَرْقَانَ، عن يزيد بن الأصم<sup>(٤)</sup>، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ مُقْبِلًا وعليه إهابٌ كبشٍ قد تنطَّق<sup>(٥)</sup> به، فقال النبي ﷺ: «انظروا إلى هذا الرجل الذي قد نورَ الله قلبه، لقد رأيتُه بينَ أبوينِ يَغْذُوَانِهِ<sup>(٦)</sup> بأطيبِ الطَّعامِ والشَّرَابِ، فدعاهُ حُبُّ الله ورسوله إلى ما تروُنَ». خرَّجَه الإسماعيليُّ في مُسنَدِ عُمَرَ، وأبو نُعَيْمٍ في «الحلية»<sup>(٧)</sup>.

(١) زاد في (س): «اللهم إني».

(٢) سبق تخريجه في أول الباب الثامن.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وقال: «حسن غريب من هذا الوجه».

(٤) إنما رواه جعفر بن برقان عن ميمون بن مهران، عن يزيد بن الأصم.

(٥) في (س): «تمنطق».

(٦) في (س): «يغذونه».

(٧) كتاب الإسماعيلي لا أعلم عن وجوده شيئاً، وقد ذكر ابن كثير في «مسند الفاروق» (٩٨٤) هذا الحديث من رواية الإسماعيلي، وقال: «فيه غرابة وانقطاع». وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠٨/١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٧٩).

وقد رُويَ من وجهٍ آخرٍ مُرسلاً<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ الرَّحْبِيُّ - وفيه ضَعْفٌ<sup>(٢)</sup> - عن عِكْرَمَةَ، عن ابنِ عَبَّاسٍ،  
عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِلَّا الْفَقْرُ<sup>(٣)</sup> أَسْرَعُ إِلَيْهِ مِنْ جَرِيَةِ  
السَّيْلِ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ عَلَى وَجْهِهِ، [وَالْفَقْرُ أَسْرَعُ إِلَى مَنْ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَسْرَعُ  
مِنْ جَرِيَةِ السَّيْلِ عَلَى وَجْهِهِ]<sup>(٤)</sup>، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَلْيُعِدِّ لِلْبَلَاءِ تَجْفَافًا»، وَإِنَّمَا  
يَعْنِي الصَّبْرَ<sup>(٥)</sup>.

وقد رُويَ معنى هذا الحديثِ من وُجُوهِ مُتَعَدِّدَةٍ، وَلَكِنْ لَيْسَ فِي أَكْثَرِهَا سِوَى  
ذِكْرِ حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ<sup>(٦)</sup>.

قَالَ مُوسَى بْنُ وَرْدَانَ: لَمَّا احْتَضَرَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ جَعَلَ يَقُولُ:  
اخْنُقْ خَنْقَكَ فَوَعِزَّتِكَ إِنِّي أُحِبُّكَ<sup>(٧)</sup>.

وَقَالَ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَنَمٍ، عَنْ حَدِيثِ الْحَارِثِ بْنِ

(١) لم أقف عليه.

(٢) ولقبه: (حنش)، وكذلك جاء في أسانيد هذا الحديث.

(٣) في (س): «والفقر».

(٤) ما بين معقوفين لا يوجد في (ب) ولا في البيهقي وابن عساكر.

(٥) أخرجه بهذا اللفظ والسياق كله: أبو القاسم الحلبي في «جزئه» (٥).

وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١١٩/٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨٥/٦) دون  
الزيادة التي بين معقوفين.

(٦) ومنها حديث عبد الله بن مغفل رضي الله عنه عند الترمذي (٢٣٥٠).

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٦٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»

عميرة أن مُعَاذًا نَزَعَ نَزْعًا لَمْ يَنْزَعْهُ أَحَدٌ، فَكَانَ كُلَّمَا أَفَاقَ مِنْ غَمْرَةٍ فَتَحَ طَرَفَهُ، ثُمَّ قَالَ: اخْنُقْنِي خَنْقَكَ فَوْعَزَتِكَ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكَ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ حَسَّانَ: إِنَّ حُذِيفَةَ لَمَّا نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ قَالَ: هَذِهِ آخِرُ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي أُحِبُّكَ، فَبَارِكْ لِي فِي لِقَائِكَ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرَّازِيُّ: صَحِبْتُ الْفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا رَأَيْتُهُ ضَاحِكًا وَلَا مُتَبَسِّمًا إِلَّا يَوْمَ مَاتَ ابْنُهُ عَلِيٌّ، فَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَحَبُّ أَمْرًا فَأَحْبَبْتُ مَا أَحَبَّ اللَّهُ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ مَرْدُؤِيَّةُ: سَمِعْتُ الْفُضَيْلَ يَقُولُ: دَرَجَةُ الرِّضَا عِنْدَ اللَّهِ دَرَجَةُ الْمُقَرَّبِينَ، لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ إِلَّا رَوْحٌ وَرِيحَانٌ<sup>(٤)</sup>.

قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: أَحَقُّ النَّاسِ بِالرِّضَا عِنْدَ اللَّهِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّبَاجِيُّ: سَأَلَ رَجُلٌ فَضَيْلًا بْنَ عِيَاضٍ فَقَالَ: مَتَى يَلُغُ الرَّجُلُ غَايَتَهُ مِنْ حُبِّ اللَّهِ تَعَالَى؟ فَقَالَ لَهُ الْفُضَيْلُ: إِذَا كَانَ عَطَاؤُهُ وَمَنْعُهُ إِيَّاكَ عِنْدَكَ سَوَاءً فَقَدْ بَلَغْتَ الْغَايَةَ مِنْ حُبِّهِ<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (٢٦٧١) في ضمن سياق طويل.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩٧/١٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٠/٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨٣/٤٨).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩٧/٨).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٤/٨) والسماع: عبد الصمد بن يزيد.

(٦) في (ب) و(س): «حب الله». أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١١٣/٨).



وذكر أبو القاسم الدمشقي الحافظ في «تاريخه» بإسناده، عن أبي شعيب قال: سألت إبراهيم بن أدهم الصُّحْبَةَ إلى مكة، قال لي: على شريطةٍ على<sup>(١)</sup> أنك لا تنظرُ إلا لله وبالله، فشرطتُ له ذلك على نفسي، فخرجتُ معه، فبينما<sup>(٢)</sup> نحن في الطَّوافِ فإذا أنا بـغلامٍ قد افتتنَ النَّاسُ به لحُسْنِهِ وجمالِهِ، فجعلَ إبراهيمُ يُدِيمُ النَّظَرَ إليه، فلما أطالَ ذلك قُلْتُ: يا أبا إسحاق، أليسَ شرَّطتَ عليَّ أن لا أنظرَ إلا لله وبالله<sup>(٣)</sup>؟ قال: بلى، قُلْتُ: فإنِّي أراك تُدِيمُ النَّظَرَ إلى هذا الغلامِ، فقال: إنَّ هذا ابني وولدي، وهؤلاءِ غِلْماني وخدمتي الذين معه، ولولا شيءٌ لقبلته، ولكنَّ انطلقَ فسلمَ عليه مني، قال: فمَضَيْتُ إليه وسَلَّمْتُ عليه من والدِهِ، فجاءَ إلى والدِهِ فسلمَ عليه، ثمَّ صرَفَهُ معَ الخدمِ، فقال: ارجعْ انتظرْ أيَّ شيءٍ يُرادُ بك، فأنشأ يقولُ:

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرًّا فِي هَوَاكَ      وَأَيَّمْتُ الْعِيَالَ لَكِي أَرَاكَ  
فَلَوْ قَطَعْتُ فِي الْحَبِّ إِرْبًا      لَمَا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ<sup>(٤)</sup>

ورَوَى ابنُ أبي الدنيا بإسناده عن عبد الواحد بن زيد قال: خرجتُ إلى ناحيةِ الْخُرَيْبَةِ<sup>(٥)</sup> فإذا إنسانٌ أسودٌ مجذومٌ، قد تقطعتُ كلُّ جارحةٍ له بالجُذامِ، وعمي وأقعد، وإذا صبيانٌ يرمونه بالحجارة حتَّى دَمَوْا وجهَهُ<sup>(٦)</sup>، فرأيتُهُ يُحرِّكُ شَفْتَيْهِ، فدَنَوْتُ منه لَأَسْمَعَ ما يقولُ، فإذا هو يقولُ: يا سيدي إنَّكَ لتَعْلَمُ أنَّكَ لو قرَضْتَ

(١) في (س): «عليك».

(٢) في (ب): «فبينما».

(٣) في (ت): «تنظر»، وفي (س): «تنظر إلا بالله والله».

(٤) أخرجه أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي في «تاريخ دمشق» (٦/٣٠٦).

(٥) موضع بالبصرة.

(٦) في (س): «ورأسه»، وضرب عليها في (ش)، وهي لحق في (ت). ولا توجد في المصدر.

لحمي بالمقاريضي، ونشرت عظامي بالمناشير ما ازددت لك إلا حُبًّا، فاصنع بي ما شئت<sup>(١)</sup>.

وعن الأوزاعي قال: حدّثني بعض الحكماء قال: رأيت رجلاً قد ذهبَت يداهُ ورجلاه، وهو يقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ حمداً يُوافي محامدَ خَلْقِكَ كَفَضْلِكَ على سائرِ خَلْقِكَ؛ إذ فَضَّلْتَنِي على كثيرٍ ممَّنْ خَلَقْتَ تَفْضِيلاً، فَقُلْتُ له: على أَيِّ نعمةٍ تَحْمَدُ؟ فَقَالَ: أليسَ قد تَرَى ما صَنَعَ بي؟ قَالَ: قُلْتُ: بلى، قَالَ: فوالله لو أَنَّ اللهَ صَبَّ عليَّ السَّمَاءَ<sup>(٢)</sup> نَارًا فَأَحْرَقْتَنِي، وَأَمَرَ الْجِبَالَ فَدَمَّرْتَنِي، وَأَمَرَ الْبَحَارَ فَغَرَّقْتَنِي، وَأَمَرَ الْأَرْضَ فَخَسَفَتْ بي، ما ازددتُ له إلا حُبًّا، وما ازددتُ له إلا شُكْرًا<sup>(٣)</sup>.

وعن بكر بن خنيس قال: مررتُ بمجذومٍ وهو يقول: وعزَّتِكَ وجلالِكَ لو قَطَعْتَنِي بالبلاءِ قطعاً ما ازددتُ لك إلا حُبًّا<sup>(٤)</sup>.

وفي هذا المعنى يقول بعضهم:

لو قَطَعْتَنِي الْغَرَامُ إِزْبًا إِزْبًا      ما ازددتُ على الْمَلَامِ إِلَّا حُبًّا

لا زِلْتُ بِكُمْ أَسِيرَ وَجِدٍ صَبًّا      حتَّى أَقْضِي على هَوَاكُمُ نَحْبًا<sup>(٥)</sup>

ورَوَى أبو العباس بن مَسْرُوقٍ بإسناده عن خَلْفِ البرزالي<sup>(٦)</sup> أَنَّهُ أُتِيَ بِمَجْذُومٍ

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١١٦).

(٢) في (س): «من السماء» وليس في المصدر.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٩٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٤ / ٥١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٩٣).

(٥) ذكرهما ابن الجوزي في «المدھش» (ص: ١٨٢).

(٦) في (س) و(ب): «البراز»، وفي حاشية (س): «البروالي». والله أعلم بصوابه.

ذَاهِبِ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ أَعْمَى، فَجَعَلَهُ مَعَ الْمَجْذُومِينَ وَغَفَلَ عَنْهُ، ثُمَّ ذَكَرَهُ، فَقَالَ<sup>(١)</sup>:  
يَا هَذَا، غَفَلْتُ عَنْكَ، فَقَالَ: حَبِيبِي وَمَنْ أَنَا أُحِبُّهُ فَقَدْ أَحَاطَتْ مَحَبَّتُهُ بِأَحْشَائِي فَلَا  
أَجِدُ لِمَا أَنَا فِيهِ مِنْ أَلَمٍ مَعَ مَحَبَّتِهِ لَا يَغْفُلُ عَنِّي، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي نَسِيتُكَ، قَالَ: إِنَّ لِي  
مَنْ يَذْكُرُنِي، وَكَيْفَ لَا يَذْكُرُ الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ وَهُوَ نُصِبَ عَيْنِهِ<sup>(٢)</sup> تَائَهُ الْعَقْلُ وَاللُّبُّ<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ بُنَانِ الْحَمَالِ قَالَ: لَيْسَ يَتَحَقَّقُ فِي  
الْحَبِّ حَتَّى يَتَلَذَّذَ بِالْبَلَاءِ فِي الْحَبِّ كَمَا يَتَلَذَّذُ الْأَغْيَارُ بِأَسْبَابِ النَّعْمِ<sup>(٤)</sup>.

وَكَانَ عَبْدُ الصَّمَدِ الزَّاهِدُ يَقُولُ: أَوْجَدَهُمْ فِي تَعْذِيهِ عَذُوبَةً. يُشِيرُ إِلَى صَبْرِهِمْ  
عَلَى الضَّرِّ وَالْفَقْرِ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْعَارِفَاتِ: مَا النَّعِيمُ إِلَّا الْأَنْسُ بِاللَّهِ وَالْمُوَافَقَةُ لِتَدْبِيرِهِ<sup>(٦)</sup>.

وَشَكَرَ رَجُلٌ إِلَى فَضِيلِ الْفَقْرِ فَقَالَ فَضِيلٌ: أُمْدُبِّرَا غَيْرَ اللَّهِ تُرِيدُ<sup>(٧)</sup>.

وَقَالَتْ رَابِعَةٌ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِذَا قَضَى لَهُمْ شَيْئًا لَمْ يَتَسَخَّطُوهُ<sup>(٨)(٩)</sup>.

(١) فِي (س): «فَقَالَ لَهُ».

(٢) فِي (ش) وَ(س): «عَيْنِهِ».

(٣) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (١/٥٦٥) وَلَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِهِ، إِذْ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ أَبِي  
الْعَبَّاسِ بْنِ مَسْرُوقٍ.

(٤) أَخْرَجَهُ السُّلَمِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ» فِي تَرْجُمَةِ بَنَانٍ فِي الطَّبَقَةِ الثَّالِثَةِ (ص: ٢٢٦).

(٥) مِمَّا نَقَلَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (١/٥٥٤) عَنْ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ عَقِيلٍ.

(٦) هِيَ مُؤْمِنَةٌ بِنْتُ بَهْلُولِ الدَّمَشْقِيَّةِ رَحِمَهَا اللَّهُ. أَخْرَجَهُ الْخَطِيبُ فِي «تَارِيخِ بَغْدَادَ» (١٢/٥٠١)، وَابْنُ  
عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٧٠/١٢٨).

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/٩٣).

(٨) فِي (ش) وَ(ت) وَ(س): «يَتَسَخَّطُوهُ».

(٩) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الرِّضَا عَنْ اللَّهِ بِقَضَائِهِ» (٢١).

وقال يحيى بن مُعَاذٍ: لو أَحْبَبْتَ رَبَّكَ ثُمَّ جَوَّعَكَ وَأَعْرَاكَ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ تَحْتَمِلَهُ  
وتكْتَمَهُ عَنِ الْخَلْقِ، فَقَدْ يَحْتَمِلُ الْمُحِبُّ<sup>(١)</sup> لِحَبِيبِهِ الْأَذَى، فَكَيْفَ وَأَنْتَ تَشْكُوهُ فِيمَا  
لَمْ يَصْنَعْهُ بِكَ<sup>(٢)</sup>؟

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

وَيَقْبُحُ مِنْ سِوَاكَ الْفِعْلُ عِنْدِي      وَتَفَعَّلَهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ<sup>(٣)</sup>

وقد تقدَّمَ ما أنشده أبو تُرَابٍ النَّخَشَبِيُّ وهو:

لَا تُخْذَعَنَّ فَلِلْمُحِبِّ دَلَائِلُ      وَلَدَيْهِ مِنْ تُخَفِ الْحَبِيبِ وَسَائِلُ  
مِنْهَا تَنْعُمُهُ بِمُرِّ بَلَائِهِ      وَسُرُورُهُ فِي كُلِّ مَا هُوَ فَاعِلُ  
فَالْمَنْعُ مِنْهُ عَطِيَّةٌ مَقْبُولَةٌ      وَالْفَقْرُ إِكْرَامٌ وَبِرٌّ عَاجِلُ<sup>(٤)</sup>

وكانَ فَتْحُ الْمَوْصِلِيِّ يَجْمَعُ عِيَالَهُ فِي لِيَالِي الشَّتَاءِ وَيَقُولُ بِكِسَائِهِ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ  
يَقُولُ: اللَّهُمَّ أَفْقَرْتُنِي وَأَفْقَرْتَ عِيَالِي، وَجَوَّعْتَنِي وَجَوَّعْتَ عِيَالِي، وَأَعْرَيْتَنِي وَأَعْرَيْتَ  
عِيَالِي، بِأَيِّ وَسِيلَةٍ تَوَسَّلْتُهَا إِلَيْكَ؟ وَإِنَّمَا تَفْعَلُ هَذَا بِأَوْلِيَائِكَ وَأَحْبَابِكَ، فَهَلْ أَنَا مِنْهُمْ  
حَتَّى أَفْرَحَ<sup>(٥)</sup>؟

(١) في (س) و(ب): «الحبيب»، وفي حاشية (س) ما يوافق المثبت.

(٢) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله تعالى، وقد أورده أيضاً في «الاعتباس من مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس».

(٣) نسبه الراغب الأصبهاني في «محاضرات الأدباء» (٥٤/٢) للمتنبّي، وفي «محاضرات الأدباء»

(١/٥٣١) أنشده الشبلي لفلانة الطبرانية تغني به، وهو من شعر أبي نواس بنحوه.

(٤) سبق في آخر الباب الخامس.

(٥) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/٣٥٩).

ودخل ليلةً إلى أهله وهو صائمٌ فلم يجدَ عندهم عشاءً<sup>(١)</sup> ولا ما يُسرِّجونَ به،  
فجلسَ يبكي من الفرح، ويقولُ: إلهي مثلي يتركُ بلا عشاءٍ ولا سراجٍ، بأيِّ يدٍ كانتَ  
مني؟ فما زالَ يبكي إلى الصَّباحِ رحمَه الله<sup>(٢)</sup>.

وُروى عن الفضيل بن عياضٍ نحو هذا أيضاً<sup>(٣) (٤)</sup>.

وكانَ عليُّ بنُ بابويه<sup>(٥)</sup> الصُّوفيُّ في الطَّوافِ فهجَمَتِ القرامِطةُ على النَّاسِ  
فقتلُوهم فأخذته السُّيُوفُ فلما وقعَ تمثَّلَ بهذا البيتِ:

تَرَى الْمُحِبِّينَ صَرَعَى فِي دِيَارِهِمْ      كَفْتِيَةِ الْكَهْفِ لَا يَدْرُونَ كَمْ لِبِشُوا<sup>(٦)</sup>  
وَاسْتَشْهَدَ لِبَعْضِ السَّلَفِ وَلَدٌ فِي الْجِهَادِ، فَجَاءَ النَّاسُ يُعْزُوْنَهُ بِهِ<sup>(٨)</sup>، فَبَكَى  
وَقَالَ: مَا أَبْكِي عَلَى مَوْتِهِ، إِنَّمَا أَبْكِي كَيْفَ كَانَ رِضَاهُ عَنِ اللَّهِ حِينَ أَخَذَتْهُ السُّيُوفُ<sup>(٩)</sup>.

(١) في (س): «شيئاً»، وفي الحاشية ما يوافق المتن.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٦٤٦).

(٣) في (ش) و(ت): «مثل هذا».

(٤) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٢٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»  
(٤٨/٤٩٥).

(٥) في حاشية (ب): «بابويه. نسخة» والصواب المثبت.

(٦) في (س): «ما» وفي الحاشية ما يوافق المثبت.

(٧) وكان ذلك سنة (٣١٧)، والخبر ذكره ابن الجوزي في «اللبات عند الممات» (ص: ١٧٥).

(٨) «به» سقطت من (ش).

(٩) ذكره المصنف في عدد من كتبه: «اختيار الأولي» و«الاقتباس»، و«شرح حديث ليك». وذكر  
ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٧٣)، والبيهقي في «الشعب» (٩٦٤٥) نحو هذه  
القصة من رواية أبي عبد الرحمن الجرجاني: أنه ذهب ليعزي رجلاً وقد قتلت الترك ابنه،  
فبكى... القصة.

وفي هذا المعنى يقول القائل:

إِنْ كَانَ سُكَّانُ الْغَضَا      رَضُوا بِقَتْلِي فَرَضَا  
وَاللَّهِ لَا كُنْتُ لِمَا يَهْ      سَوَى الْحَبِيبِ مُبْغِضَا  
صِرْتُ لَهُمْ عَبْدًا وَمَا      لِلْعَبْدِ أَنْ يَعْتَرِضَا<sup>(١)</sup>

### فصل

ومما يستحليه المُحِبُّونَ لله اختيارُهم الدَّلَّ لهم على الشَّرَفِ، والخُمُولَ على الشُّهْرَةِ.

قَالَ مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا<sup>(٢)</sup> فَأَحَبَّ أَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ مَكَانَهُ<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِئِيِّ: مَنْ عَبْدَ اللَّهِ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَى خِدْمَتَهُ  
سِوَى مَحْبُوبِهِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ ذُو النُّونِ: كُلُّ مُطِيعٍ مُسْتَأْنَسٍ، وَكُلُّ عَاصٍ مُسْتَوْحِشٍ، وَكُلُّ مُحِبٍّ ذَلِيلٌ،  
وَكُلُّ خَائِفٍ هَارِبٌ، وَكُلُّ رَاجٍ طَالِبٌ<sup>(٥)</sup>.

(١) نقل الأبيات ابن الجوزي في «المدح» (ص: ٢٧٧)، والعماد الأصبهاني في «خريدة القصر» (٦٦/٣) وهي من قصيدة لأبي عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب، البارع النحوي الشاعر، المتوفى سنة (٥٢٤) رحمه الله.

(٢) في (ب): «ما أحبَّ الله عبدًا»، والصواب المثبت.

(٣) أخرجه ابن العديم في «بغية الطلب في تاريخ حلب» (٥١٨/٣) من طريق ابن أبي الدنيا.

(٤) أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» في ترجمته من الطبقة الأولى (ص: ٩٤).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٦/٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤٨٥) وذكر أنه مما وجدته مكتوباً على صخرة بيت المقدس.

وكان بشرٌ يقولُ في دُعائه: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ الدُّلَّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْعِزِّ، وَأَنَّ الْفَقْرَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْغِنَى، وَأَنِّي لَا أُؤَثِّرُ عَلَى حُبِّكَ شَيْئًا، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ الْبُكَاءُ فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ هَذَا هَاهُنَا لَمْ أَتَكَلَّمُ<sup>(١)</sup>.

وَسُئِلَ يَوْسُفُ بْنُ الْحُسَيْنِ: مَا بَالُ الْمُحِبِّينَ يَتَلَذَّذُونَ بِالذُّلِّ فِي الْمَحَبَّةِ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

ذُلُّ الْفَتَى فِي الْحَبِّ مَكْرُمَةٌ      وَخُضُوعُهُ لِحَبِيبِهِ شَرَفٌ<sup>(٢)</sup>

وفي هذا المعنى يقولُ القائلُ:

مَسَاكِينُ أَهْلِ الْحَبِّ حَتَّى قُبُورُهُمْ      عَلَيْهَا تَرَابُ الدُّلِّ بَيْنَ الْمَقَابِرِ<sup>(٣)</sup>  
ويقولُ الآخرُ:

الْعِزُّ ذُلِّي فَلَا تُلْمَنِي      مَا تَبْتَغِي يَا عَذُولُ مِنِّي<sup>(٤)</sup>

قَالَ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: عَنْ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِلَهِي أَيْنَ أَبْغَيْكَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى ابْغِنِي عِنْدَ الْمُكْسِرَةِ قُلُوبُهُمْ<sup>(٥)</sup>؛ فَإِنِّي أَدْنُو مِنْهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ بَاعًا، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَانْهَدَمُوا.

(١) أخرجه الذهبي بسنده في «سير أعلام النبلاء» (١٠/٤٧٣).

(٢) هو في «تاريخ دمشق» لابن عساكر، انظر: «مختصر ابن منظور» (٢٨/٧٦).

(٣) استشهد به الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، ولم يُنسب إلى قائل. وهو في ديوان الشعر المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص: ٢٨) وفيه: «مساكين أهل الفقر».

وانظر: «مصارع العشاق» للسراج القارئ (١/١٣٠).

(٤) في (ب) و(س): «يا عذولي مني». ولم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٥) زاد في (ب): «من أجلي».

قال جعفر بن سليمان: فقلتُ لمالك: كيف المُنكسرةُ قلوبُهم؟ فقال: سألتُ الذي قرأ في الكتُب، فقال: سألتُ الذي سأل عبدَ الله بنَ سلامٍ عن المُنكسرةِ قلوبُهم ما يعني؟ قال: المُنكسرةُ قلوبُهم بحُبِّ الله عزَّ وجلَّ عن حُبِّ غيره. خرَّجه إبراهيمُ بنُ الجنيد<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة لله عز وجل» (٦٩).



## البَابُ الْعَاشِرُ

## فِي ذِكْرِ خَوْفِ الْمُحِبِّينَ الْعَارِفِينَ وَفَضْلِهِ عَلَى خَوْفِ سَائِرِ الْخَائِفِينَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْفُجَّارِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِذٍ لَمَّحُجُونَ﴾ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٦) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿[المطففين: ١٤ - ١٧]، فَوَصَّفَهُمْ بِأَنْ كَسَبَهُمْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَالرَّانُ هُوَ مَا يَعْلُو الْقَلْبَ (١) مِنْ الذُّنُوبِ مِنْ ظُلْمَةِ الْمَعَاصِي وَقَسَوْتِهَا، ثُمَّ ذَكَرَ جَزَاءَهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

الْحِجَابُ عَنْ رَبِّهِمْ، ثُمَّ صِلِيُّ الْجَحِيمِ، ثُمَّ التَّوْبِيخُ، فَأَعْظَمَ عَذَابِ أَهْلِ النَّارِ حِجَابَهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ.

وَلَمَّا كَانَتْ قُلُوبُهُمْ فِي الدُّنْيَا مُظْلِمَةً قَاسِيَةً لَا يَصِلُ إِلَيْهَا شَيْءٌ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ وَحَقَائِقِ الْعِرْفَانِ كَانَ جَزَاؤُهُمْ عَلَى ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ حِجَابَهُمْ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّحْمَنِ. قَالَ (٢) بَعْضُ الْعَارِفِينَ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا عَرَفَهُ بِقَدْرِ تَعَرُّفِهِ إِلَيْهِ، وَتَجَلَّى لَهُ فِي الْآخِرَةِ بِقَدْرِ مَعْرِفَتِهِ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا، فَرَأَاهُ (٣) فِي الدُّنْيَا رُؤْيَا الْأَسْرَارِ وَيَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ رُؤْيَا الْأَبْصَارِ، فَمَنْ لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا بَسْرَهُ (٤) لَا يَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ بَعَيْنَهُ. انْتَهَى (٥).

فَخَوْفُ الْعَارِفِينَ فِي الدُّنْيَا مِنْ احْتِجَابِهِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ (٦)، وَفِي الْآخِرَةِ مِنْ احْتِجَابِهِ عَنْ أَبْصَارِهِمْ وَتَوَاطُرِهِمْ.

(١) فِي (س): «عَلَى الْقَلْبِ».

(٢) فِي (ب): «وَقَالَ».

(٣) فِي (س): «فَرَأَاهُ».

(٤) فِي (س): «بَسْرَهُ لِسَرِهِ» وَهُوَ تَكَرُّارٌ لَا مَعْنَى لَهُ.

(٥) لَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٦) فِي (ب): «أَبْصَارِهِمْ»، وَهُوَ سَبْقُ قَلَمٍ.

وكتب الأوزاعي إلى أخ له: أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه وأن يكون آخر عهدك به، والسلام<sup>(١)</sup>.

كان<sup>(٢)</sup> عتبة الغلام يبكي بالليل ويقول: قطع ذكر العرض على الله أوصال المحبين، ثم يحشرج البكاء حشرجة الموت، ويقول: تراك مولاي تعذب محبيك<sup>(٣)</sup> وأنت الحي الكريم<sup>(٤)</sup>؟

وبات ليلة بالساحل قائماً يردد هذه الكلمات لا يزيد عليها ويبكي حتى أصبح: إن تعذبني فإنني محب لك، وإن ترحمني فإنني محب لك<sup>(٥)</sup>.

وكان كهمس يقول في الليل: أتراك معذبي<sup>(٦)</sup> وأنت قرّة عيني يا حبيب قلباه<sup>(٧)</sup>. وكان أبو سليمان يبكي ويقول: لئن طابنني بذنوبي لأطالبته بعفوه، ولئن طابنني بيخلي لأطالبته بجوده، ولئن أدخلني النار لأخبرن أهل النار أنني كنت أحبه<sup>(٨)</sup>. وأخذ بعض الشعراء هذا المعنى<sup>(٩)</sup> فقال:

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (٤٤١)، وفي «كلام الليالي والأيام» (٣٩).

(٢) في (س): «وكان».

(٣) في (س): «محبك».

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٣٥/٦).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢١١)، وابن أبي الدنيا في «الرقّة والبكاء» (٢٣٠)، والبيهقي في

«شعب الإيمان» (٤٧٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٣٤/٦).

(٦) في (س): «تعذبني».

(٧) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢١٣/٦).

(٨) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢٥٥/٩) بنحوه، مما سمع منه في خلوته لا في محضر الناس.

(٩) في (ب) و(س): «وأخذ هذا المعنى بعض [الشعراء] المتأخرين فقال».

وَحَقِّكَ لَوْ أَدْخَلْتَنِي النَّارَ قُلْتُ لِدَّ لَذِينَ بِهَا قَدْ كُنْتُ مَمَّنْ يُحِبُّهُ<sup>(١)</sup>  
وَأَيَّةُ حُبِّ الصَّبِّ أَنْ يَغْذُبَ الْأَسَى إِذَا كَانَ مَنْ يَهْوَى عَلَيْهِ يَصُبُّهُ<sup>(٢)</sup>

كَانَ<sup>(٣)</sup> بَعْضُ الْمُحِبِّينَ عِنْدَ قَوْمٍ يَبْكُونَ مِنَ الْخَوْفِ، فَأَنْشَدَ:

كُلُّهُمْ يَعْْبُدُونَكَ مِنْ خَوْفِ نَارٍ<sup>(٤)</sup> وَيَرَوْنَ النَّجَاةَ فَضْلاً جَزِيلاً  
أَوْ بَأْنَ يَسْكُنُوا الْجِنَانَ فَيُعْطُوا رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِهَا سَلْسِيباً  
لَيْسَ لِي فِي الْجِنَانِ وَالنَّارِ رَأْيٌ أَنَا لَا أَبْتَغِي بِحُبِّي بَدِيلاً  
فَقِيلَ لَهُ: لَوْ طَرَدَكَ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ؟ فَقَالَ:

أَنَا إِنْ لَمْ أَجِدْ مِنَ الْحَبِّ وَضْلاً رُمْتُ فِي النَّارِ مَنَزِلاً وَمَقِيلاً  
ثُمَّ أَرَعَجْتُ أَهْلَهَا بِنْدَائِي بُكْرَةً فِي عِرَاصِهَا وَأَصِيلاً  
مَعَشَرَ الْمُشْرِكِينَ نُوحُوا عَلَى مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ يُحِبُّ الْجَلِيلَ  
لَمْ يَكُنْ فِي الَّذِي ادَّعَاهُ مُحِقّاً فَجَزَاهُ بِهِ الْعَذَابَ الطَّوِيلَ<sup>(٥)</sup>  
وَقَدْ سَبَقَ قَوْلُ رَقِيَّةَ الْمَوْصِلِيَّةِ: إِلَهِي وَسَيِّدِي وَمَوْلَايَ، لَوْ أَنَّكَ عَذَّبْتَنِي بِعَذَابِكَ  
كُلَّهُ كَانَ مَا فَاتَنِي مِنْ قُرْبِكَ أَعْظَمَ عِنْدِي مِنَ الْعَذَابِ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (س): «أَحْبَهُ».

(٢) الْبَيْتَانِ مِنْ آيَاتِ ذِكْرِهَا ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي «دَرْءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» (١/١٦١) وَنَسَبَهَا إِلَى ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ الْبَغْدَادِيِّ الْمَعْتَزَلِيِّ الشَّيْعِيِّ.

(٣) فِي (س): «وَكَانَ».

(٤) فِي (ش) وَ(ت): «كُلُّهُمْ يَعْْبُدُوكَ مِنْ خَوْفِ نَارِكَ».

(٥) ذَكَرَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي «صِفَةِ الصَّفْوَةِ» (٢/٤٥٠) مِنْ قَوْلِ شَابٍ فِي مَجْلِسِ ذِي النَّوْنِ. وَعِنْدَهُ: «كُلُّهُمْ يَعْْبُدُونَ...».

(٦) فِي أَوَاخِرِ الْبَابِ السَّادِسِ.

وقال ذو النون: خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي<sup>(١)</sup>.  
كان<sup>(٢)</sup> الشبلي يهيج في داره وينشد:

على بُعدك لا يصب      رُمن عادته القرب  
ولا يقوى على حجب      لك من تيمه الحب  
فإن لم ترك العين      فقد أبصرك القلب<sup>(٣)</sup>

### فصل

ومما يخافه العارفون: فوات الرضا عنهم، وإن وجدوا العفو<sup>(٤)</sup> أو ترك العقوبة، فالرضا<sup>(٥)</sup> أحب إليهم من نعيم الجنة كله مع الإعراض وعدم التقريب والزلفى، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَسْكِنَ طَيْبَةً فِي جَنَّتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] يعني: أكبر من نعيم الجنة.

وفي «الصحيح» عن النبي ﷺ قال: «إن الله يقول لأهل الجنة: ألا أعطيتكم أفضل من ذلك؟ قالوا: وما أفضل من ذلك؟ قال: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً»<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/٣٧٧)، والغزالي في «إحياء علوم الدين» في كتاب الخوف والرجاء، بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف.

(٢) في (س): «وكان».

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٦/٥٦٣)، ومن طريقه ابن الجوزي في «المتنظم» (١٤/٥١)، وأخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (١/١٧٢).

(٤) في (ب): «وإن وجد العفو».

(٥) في (س): «فإن الرضا».

(٦) أخرجه البخاري (٦٥٤٩) (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وَكَانَ مُطَرَّفٌ يَقُولُ: اللَّهُمَّ ارْضَ عَنَّا، فَإِنْ لَمْ تَرْضَ عَنَّا فَاعْفُ عَنَّا<sup>(١)</sup>.  
وَرُئِيَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَنَامِ، فَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: غَفَرَ لِي وَأَعْرَضَ عَنِّي وَعَنْ  
جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَمْ يَعْمَلُوا بِعِلْمِهِمْ<sup>(٢)</sup>.  
فَالْمُحِبُّونَ الْعَارِفُونَ يَخَافُونَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ، وَإِنَّمَا يَسْأَلُونَ الرَّضَا مِنْ  
أَوَّلِ الْأَمْرِ.

قَالَ الْفُضَيْلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ سَأَلَ اللَّهَ رِضْوَانَهُ فَقَدْ سَأَلَهُ عَظِيمًا<sup>(٣)</sup>.  
وَقَالَ: لَوْ أُخْبِرْتُ عَنْ جَبْرِيلَ وَإِسْرَافِيلَ بِشِدَّةِ اجْتِهَادٍ مَا عَجِبْتُ، وَكَانَ ذَلِكَ قَلِيلًا  
عِنْدَمَا يَطْلُبُونَ، أَتَدْرُونَ أَيَّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ وَأَيَّ شَيْءٍ يُرِيدُونَ؟ رِضَا<sup>(٤)</sup> رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٥)</sup>.  
قَالَ<sup>(٦)</sup> جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ: قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ: وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا جَمَعَ  
الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ لِي: يَا مَالِكُ، فَأَقُولُ: لَيْلِكَ، فَيَأْذَنُ لِي أَنْ أَسْجُدَ بَيْنَ يَدَيْهِ  
سَجْدَةً، فَأَعْرِفَ أَنَّهُ قَدْ رَضِيَ عَنِّي، فَيَقُولُ: يَا مَالِكُ، كُنِ الْيَوْمَ ثَرَاءًا<sup>(٧)</sup>.  
وَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبُسْرِيُّ<sup>(٨)</sup> يَقُولُ: مَا غَمِّي وَلَا أَسْفِي إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي مِمَّنْ عَفَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (١٣٣٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٧/٢) وغيرهما.

(٢) وذكره المصنف في الكلام على حديث شداد بن أوس.

(٣) لم أجده عن الفضيل، وإنما هو من قول الربيع بن أبي راشد لأبي ذر عمر بن ذر. أخرجه ابن أبي  
خيثمة في «تاريخه» السفر الثالث (٥٨)، وأبو أحمد الحاكم في «الأسامي والكنى» (٢١٣/٣).

وأبو نعيم في «الحلية» (١١٢/٥) (٧٦/٥).

(٤) في (ب) و(س): «يريدون رضا».

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩٨/٨).

(٦) في (س): «وقال».

(٧) أخرجه الخثلي في «الديباج» (٢٤)، وابن أبي الدنيا في «المتنبي» (٣٣).

(٨) في (س): «التستري».

عنه، فقيل له: أليس الخلق على العفو تذابحوا<sup>(١)</sup>؟ فقال: أجل، ولكن أي شيء أقبح بشيخ مثلي يوقف غداً بين يدي الله عز وجل فيقال له: شيخ<sup>(٢)</sup> سوء كنت، اذهب فقد عفوْتُ عنكَ، أنا أُملي في الله أن يهبَ لي كلَّ مَنْ أَحْبَبَنِي<sup>(٣)</sup>.

ومما يشتدُّ قلقُ العارفينَ منه الحياءُ من الله عز وجلَّ عندَ الوقوفِ بينَ يديه.

قال بعضهم: ما يُمَرُّ<sup>(٤)</sup> بي أشدُّ من الحياءِ من الله عز وجلَّ<sup>(٥)</sup>.

وقال الحسنُ: لو لم نبكْ إلَّا للحياءِ<sup>(٦)</sup> من ذلك المَقامِ لكانَ ينبغي لنا أن نبكي فَنطيلَ البكاءَ<sup>(٧)</sup>.

وكانَ الفضيلُ رحمه الله يقولُ: واسوأُتاهُ منك وإن عفوْتُ<sup>(٨)</sup>.

قالَ أحمدُ بنُ أبي الحواريِّ: سمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ حَاتِمٍ أبا جعفرٍ قالَ: قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ: لو خيَّرْتُ بينَ أنْ أبعثَ فأدخلَ الجنةَ وبينَ أنْ لا أبعثَ لاخترْتُ أنْ لا أبعثَ، قالَ: فقلتُ لمُحمَّدٍ: هذا من الحياءِ؟ قالَ: نعم<sup>(٩)</sup>.

(١) في (س): «بذا نجوا»، وهو تصحيف.

(٢) في (س): «يا شيخ».

(٣) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤٢ / ٦٦)، وذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٩٣ / ٢).

(٤) في (ش) و(ت) و(س): «مر».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٨٦) من كلام إسماعيل بن داود المسحلي رحمه الله.

(٦) في (ب): «تبك إلا من الحياء».

(٧) نقله المصنف من رواية ابن المنادي، في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَأَنَّمَا يُخَشَى اللَّهُ مِنَ عِبَادِهِ الَّذِينَ هَلَلُوا﴾.

(٨) ذكره ابن الجوزي في «مثير الغرام الساكن» (ص: ١٩١). ونُقل أيضاً عن غير الفضيل بن عياض عند ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٨)، وفي «مثير الغرام» (٢٧٠).

(٩) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨٤ / ٨).

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ: وَسَمِعْتُ مَضَاءَ بْنَ عَيْسَى يَقُولُ: كَانَ بَعْضُ التَّابِعِينَ يَقُولُ: لَأَنْ يُؤْمَرَ بِي مِنَ الْجَنَّةِ إِلَى النَّارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقِفَ<sup>(١)</sup> بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى فَيَسْأَلَنِي ثُمَّ يَأْمُرَ بِي إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَبَا سُلَيْمَانَ فَقَالَ: بَلْ نَقِفُ بِالْمَوْقِفِ فَتَقْرُبُهُ أَعْيُنُنَا<sup>(٢)</sup>.

وَالِى قَوْلِ أَبِي سُلَيْمَانَ ذَهَبَ أَبُو يَزِيدَ وَغَيْرُهُ مِنَ الْمُحْبِّينَ، وَإِلَى قَوْلِ الْفَضِيلِ ذَهَبَ حُذَيْفَةُ الْمَرْعَشِيُّ، فَإِنَّهُ قَالَ: لَوْ نَزَلَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُخْبِرُنِي<sup>(٣)</sup> أَنِّي لَا أَرَى النَّارَ بَعَيْنِي وَأَنِّي أَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ إِلَّا أَنِّي أَقِفُ بَيْنَ يَدَي رَبِّي ثُمَّ أَصِيرُ<sup>(٤)</sup> إِلَى الْجَنَّةِ لَقُلْتُ: لَا أُرِيدُ الْجَنَّةَ، وَلَا أَقِفُ ذَلِكَ الْمَوْقِفَ<sup>(٥)</sup>.

وَرُوِيَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ مَعْنَى ذَلِكَ أَيْضًا<sup>(٦)</sup>.

وَرُوِيَ أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ لَمَّا احْتَضَرَ بَكَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ؟ قَالَ: مَا لِي لَا أَجْزَعُ؟ وَمَنْ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنِّي؟ وَاللَّهِ لَوْ أُتِيتُ بِالْمَغْفِرَةِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِأَهْمَنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ مِمَّا قَدْ صَنَعْتُ، إِنَّ الرَّجُلَ لِيَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ الذَّنْبُ الصَّغِيرُ فَيَعْفُو عَنْهُ، وَلَا يَزَالُ مُسْتَحْيَا مِنْهُ<sup>(٧)</sup>.

قَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا شَيْخٌ عَلَى

(١) فِي (س): «أَوْقِف».

(٢) لَمْ أَجِدْهُ عِنْدَ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ. وَذَكَرَهُ أَيْضًا فِي «شَرْحِ حَدِيثِ شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ، وَفِيهِ: «لَوْ أَمَرَ بِي مِنَ الْمَوْقِفِ إِلَى النَّارِ» وَهَذَا أَصُوبٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٣) فِي (س): «يُخْبِرُنِي»، وَهِيَ فِي (ب) مُحْتَمَلَةٌ.

(٤) فِي (ش) وَ(ت): «ثُمَّ إِنِّي أَصِيرُ».

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٨/٢٦٨).

(٦) فَيُبْحَثُ عَنْهُ.

(٧) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٢/١٠٣).

أمر، ثم ألقَ عنها، فلما احتُضِرَ أغميَ عليه، ثم أفاق فقال: إنِّي رأيتُ كأنِّي ميتٌ وكأنَّ آتياً أتاني فانطلقَ بي إلى الله عزَّ وجلَّ حتَّى وقفَ بي دونَ الحجابِ، فكأنَّه<sup>(١)</sup> أرادني على الدُّخولِ، فتداخَلني الحياءُ والخوفُ، وكأنَّه يقولُ: ما هو إلَّا الدُّخولُ عليه عزَّ وجلَّ أو دخولُ النارِ، قال: فكأنِّي اخترتُ دُخولَ النارِ للذي أصابني منَ الحياءِ، قال: فانطلقَ بي، ثمَّ إنَّه عُرِجَ بي وقيلَ له: انطلقْ به إلى الجنَّةِ<sup>(٢)</sup>.

وروي عن أبي حامد الخَلْقانيَّ أنَّه أنشدَ الإمامَ أحمدَ هذينَ البيتينَ:

إذا ما قالَ لي ربِّي      أما استحييتَ تعصيني

وتُخفي الذَّنْبَ من خَلْقِي      وبالعصيانِ تأتيَنِي

فأمره الإمامُ أحمدُ بإعادتهما عليه، فأعادهما عليه، فدخَلَ أحمدُ دارَه وجعلَ يُردِّدُهما ويبكي<sup>(٣)</sup>.

وأنشدَ بعضهم:

يا حسرةَ العاصينَ عندَ معادِهِم      هذا وإنَّ قَدِمُوا على الجناتِ

لو لم يَكُنْ إلَّا الحياءُ منَ الذي      سترَ القبيحَ لأعظموا<sup>(٤)</sup> الحسراتِ<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

(١) في (ش): «وكانه».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٣١٥).

(٣) أخرجه ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ٢٠٢).

(٤) في (ب): «لأعظم»، وفي (س): «لكان أعظم».

(٥) ذكر ابن الجوزي هذين البيتين مع اختلاف في بعض كلماته في «المدھش» (ص: ٢٠٦).



## البَابُ الحَادِي عَشَرَ

### فِي شَرَفِ أَهْلِ الْحَبِّ، وَأَنَّ لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَعْلَى مَنَازِلِ الْقُرْبِ

فِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ<sup>(١)</sup>: «مَا أَعَدَدْتُ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعَدَدْتُ لَهَا مِنْ كَبِيرِ صَلَاةٍ وَلَا صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَأَنْتَ<sup>(٢)</sup> مَعَ مَنْ أُحِبِّتَ»<sup>(٣)</sup>. وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ، قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ أَنَسٌ: فَفَرَّخْنَا يَوْمَئِذٍ<sup>(٤)</sup> فَرَحًا شَدِيدًا<sup>(٥)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرَّخْنَا بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَرَحًا أَشَدَّ مِنْ قَوْلِهِ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أُحِبِّتَ»، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِأَعْمَالِهِمْ<sup>(٦)</sup>. قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: يَكْفِي الْمُحِبِّينَ شَرَفًا هَذِهِ الْمَعِيَّةُ<sup>(٧)</sup>.

وَقَدْ قَدَّمْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ<sup>(٨)</sup> أَنَّ مُحَبَّةَ اللَّهِ الْوَاجِبَةَ تَسْتَلِزُّ امْتِثَالَ طَاعَتِهِ وَاجْتِنَابَ مَعْصِيَتِهِ، وَكَذَلِكَ مُحَبَّةُ الرَّسُولِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

(١) فِي (ب): «فَقَالَ».

(٢) فِي (ب) وَ(س): «أَنْتَ».

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٦١٧١، ٧١٥٣) وَمُسْلِمٌ (٢٦٣٩).

(٤) فِي (ش): «يَوْمَئِذٍ بِذَلِكَ».

(٥) أَخْرَجَهَا الْبُخَارِيُّ (٦١٦٧).

(٦) أَخْرَجَهَا مُسْلِمٌ (٢٦٣٩).

(٧) لَمْ أَظْفَرْ بِقَائِلِهِ.

(٨) فِي (س): «هَذَا الْكِتَابُ».

فالمحبة الصحيحة لهم تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم، وإن عجز عن بلوغ غايته، كما قال أنس رضي الله عنه، ولهذا قال السائل للنبي ﷺ: ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، فدل على أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه، ولم يأت بأزيد من ذلك.

قال عبيد بن عمير: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، الرجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلاً، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلاً، ويحب الذاكرين ولا يذكر إلا قليلاً، ويحب المتصدقين ولا يتصدق إلا قليلاً، ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلاً، وهو في ذلك يحب الله ورسوله، قال: «هو يوم القيامة مع من أحب»<sup>(١)</sup>.

وقال أبو سالم الجيشاني<sup>(٢)</sup>: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنني أرى الرجل الجواد<sup>(٣)</sup> فأحب الجود وفي بخل، وأرى الرجل الحسن الخلق فأحب حسن الخلق وفي خلق<sup>(٤)</sup> سيء، وأرى الرجل الجريء فأحب الجراءة وفي جبن، قال: «أنت مع من أحببت»<sup>(٥)</sup>.

قال الحسن: ابن آدم لا تغتر بقول من يقول: المرء مع من أحب؛ إنه من أحب قوماً اتبع آثارهم، ولن تلحق بالآبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم، وتقتدي بسنتهم<sup>(٦)</sup>،

(١) أخرجه المروزي في «حديث سفيان بن عيينة» (١٣)، وهناد في «الزهد» (٤٨١)، وابن قدامة في «المتحابين في الله» (٧، ٨). وعبيد بن عمير الليثي هو قاص أهل مكة، مخضرم وقيل له صحبة.

(٢) وهو تابعي روى عن الصحابة، وتصحف في (ت) و(س) إلى: «الجوشاني».

(٣) هنا ينتهي الموجود من النسخة (ت).

(٤) في (س): «وخلقي».

(٥) هذا الحديث مما تفرد بنقله هذا الكتاب، وهو مرسل، ولم أجده في مصدر من المصادر.

(٦) في (س): «بسنتهم».

وَتُصْبِحَ وَتُمْسِي وَأَنْتَ عَلَى مِنْهَاجِهِمْ<sup>(١)</sup>، حَرِيصًا عَلَى أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَتَسْلُكَ سَبِيلَهُمْ، وَتَأْخُذَ طَرِيقَهُمْ، وَإِنْ كُنْتَ مُقْصِرًا فِي الْعَمَلِ، فَإِنَّمَا مِلَاكُ الْأَمْرِ أَنْ تَكُونَ عَلَى اسْتِقَامَةٍ، أَمَا رَأَيْتَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَأَهْلَ الْأَهْوَاءِ الْمُرْدِيَةِ؟ يُحِبُّونَ أَنْبِيََاءَهُمْ وَلَيْسُوا مَعَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ خَالَفُوهُمْ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَسَلَكُوا<sup>(٢)</sup> غَيْرَ طَرِيقَهُمْ، فَصَارَ مَوْرِدُهُمُ النَّارَ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ<sup>(٣)</sup>.

وَفِي «مُسْنَدِ الْبَزَارِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنِّي لَا أَعْرِفُ نَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيََاءَ وَلَا شُهَدَاءَ يَغِيبُ عَنْهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ بِمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ وَيُحِبُّونَهُ إِلَى خَلْقِهِ، يَأْمُرُونَهُمْ بِطَاعَةِ اللَّهِ، فَإِذَا أَطَاعُوا اللَّهَ أَحَبَّهُمُ اللَّهُ»<sup>(٤)</sup>.  
وَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجَنْبِلِ نَحْوَهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ مَرْفُوعًا<sup>(٥)</sup>.

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: لَمَّا وُضِعَ عِثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ فِي قَبْرِهِ قَالَتْ امْرَأَتُهُ: هَنِيئًا لَكَ أبا السَّائِبِ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا عَلِمْتُكَ بِذَلِكَ؟» قَالَتْ: كَانَ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَصُومُ النَّهَارَ وَيُصَلِّي<sup>(٦)</sup> اللَّيْلَ، قَالَ: «بِحَسْبِكَ»<sup>(٧)</sup> لَوْ قُلْتُ: كَانَ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ<sup>(٨)</sup>.

(١) فِي (س): «مَنَاهِجُهُمْ».

(٢) فِي (س): «وَسُلُوكُ».

(٣) أوردته الغزالي في آداب الألفة من «إحياء علوم الدين»، وقال: «وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك [أي المحبة] من غير موافقة في بعض الأعمال أو كلها لا ينفع.

وحديث: «المرء مع من أحب» مشهور بل متواتر. وكلام الحسن عزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٩٩) إلى العسكري.

(٤) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٥٣٠).

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (١٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٥).

(٦) فِي (ش): «وَيَقُومُ».

(٧) فِي (س): «فَحَسْبُكَ».

(٨) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٣٧٠ - ط الخانجي)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء»

(٧٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠٦). وهو مرسل.

قَالَ<sup>(١)</sup> عُبَّةُ الْغَلَامِ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ أَحَبَّهُ، وَمَنْ أَحَبَّ اللَّهَ أَطَاعَهُ، وَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ، وَمَنْ أَسْكَنَهُ فِي جِوَارِهِ فَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُكْرِّرُهَا وَيَقُولُ: وَطُوبَاهُ وَطُوبَاهُ، حَتَّى خَرَّ سَاقِطًا مَغْشِيًّا عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

قَالَ فَرَقْدُ السَّبْخِيِّ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ: الْمُحِبُّ لِلَّهِ تَعَالَى أَمِيرٌ مُؤَمَّرٌ عَلَى الْأُمَرَاءِ، زُمرته أَوَّلُ الزُّمَرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَجْلِسُهُ أَقْرَبُ الْمَجَالِسِ فِيمَا هُنَاكَ. خَرَّجَهُمَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْجُنَيْدِ<sup>(٣)</sup>.

وخرَّجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قَالَ أَزْمِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيُّ رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَكْثَرُهُمْ لِي ذِكْرًا، الَّذِينَ يَسْتَغْلُونَ بِذِكْرِي عَنْ ذِكْرِ الْخَلَائِقِ، الَّذِينَ لَا تَعْرِضُ لَهُمْ وَسَاوِسُ الْعِبَادِ، وَلَا يُحَدِّثُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْبَقَاءِ، الَّذِينَ إِذَا عَرَضَ لَهُمْ عَيْشُ الدُّنْيَا قَلَوْهُ، وَإِذَا زُوي<sup>(٤)</sup> عَنْهُمْ سُرُّوا بِذَلِكَ، أُولَئِكَ<sup>(٥)</sup> أَبْحَثُ لَهُمْ<sup>(٦)</sup> مَحَبَّتِي، وَأَعْطَيْتُهُمْ فَوْقَ غَايَاتِهِمْ<sup>(٧)</sup>.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيزِيِّ: حَدَّثَنَا رَبَاحٌ<sup>(٨)</sup>، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سُلَيْمَانَ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ أَبِي الصَّبَاحِ<sup>(٩)</sup> فِي قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَذُوقْ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾

(١) فِي (س): «وَقَالَ».

(٢) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ فِي الْبَابِ الثَّلَاثِ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجُنَيْدِ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٣٥).

(٤) فِي (ب): «أَزْوِي».

(٥) فِي (س): «فَأُولَئِكَ».

(٦) فِي الْمَصَادِرِ: «أَنْحِلُهُمْ».

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْأَوْلِيَاءِ» (١٠٦)، وَمِنْ طَرِيقِهِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٨ / ٣٠).

(٨) رَبَاحٌ بِالْبَاءِ. ذَكَرَهُ ابْنُ مَكُولَا فِي «الْإِكْمَالِ» (٤ / ١٠).

(٩) هَكَذَا فِي نَسَخِنَا، وَجَاءَ فِي «الْجَرَحِ وَالْتَعْدِيلِ» لِابْنِ أَبِي حَاتِمٍ (٨ / ١٤٧) «مُوسَى بْنُ أَبِي كَثِيرٍ =

[البقرة: ٢٤٣، يونس: ٦٠، غافر: ٦١] قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يُؤْتَى بِأَهْلِ وَلَايَةِ اللَّهِ، فَيَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ:

فَيُؤْتَى بِرَجُلٍ مِنْهُمْ مِنَ الصَّنْفِ الْأَوَّلِ فَيَقُولُ: عَبْدِي، لِمَاذَا عَمِلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَأَشْجَارَهَا، وَثَمَارَهَا وَأَنْهَارَهَا، وَحُورَهَا وَنَعِيمَهَا، وَمَا أَعَدَدْتَ لِأَهْلِ طَاعَتِكَ فِيهَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي شَوْقًا إِلَيْهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: عَبْدِي إِنَّمَا عَمِلْتَ لِلْجَنَّةِ، هَذِهِ الْجَنَّةُ فَادْخُلْهَا، وَمَنْ فَضَّلِي عَلَيْكَ أَنْ أَعْتَقَكَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَدْخُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ الْجَنَّةَ.

قَالَ: ثُمَّ يُؤْتَى بِالصَّنْفِ الثَّانِي بِرَجُلٍ مِنْهُمْ<sup>(١)</sup> فَيَقُولُ: عَبْدِي لِمَاذَا عَمِلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ خَلَقْتَ نَارًا، وَخَلَقْتَ سِلَاسِلَهَا وَأَغْلَالَهَا، وَسَعِيرَهَا وَسُمُومَهَا، وَيَحْمُومَهَا<sup>(٢)</sup> وَمَا أَعَدَدْتَ لِأَعْدَائِكَ فِيهَا وَأَهْلِ مَعْصِيَتِكَ، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي خَوْفًا مِنْهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَبْدِي إِنَّمَا عَمِلْتَ ذَلِكَ خَوْفًا مِنَ النَّارِ فَإِنِّي قَدْ أَعْتَقْتُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ فَضَّلِي عَلَيْكَ أَنْ أُدْخِلَكَ جَنَّتِي<sup>(٣)</sup>، فَيَدْخُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ الْجَنَّةَ.

ثُمَّ يُؤْتَى بِرَجُلٍ مِنَ الصَّنْفِ الثَّالِثِ، فَيَقُولُ: عَبْدِي لِمَاذَا عَمِلْتَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ<sup>(٤)</sup> حُبًّا لَكَ وَشَوْقًا إِلَيْكَ، وَعِزَّتِكَ<sup>(٥)</sup> لَقَدْ أَسْهَرْتُ لَيْلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي شَوْقًا إِلَيْكَ وَحُبًّا

= الأنصاري، واسم أبي كثير: الصباح، وكنية موسى: أبو الصباح. وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: كوفي محله الصدق. فعلى هذا يكون التصويب: (حدثنا موسى بن الصباح)، أو: (حدثنا موسى أبو الصباح).

(١) في (ب) و(س): «برجل من الصنف الثاني».

(٢) في (ش): «وحميمها».

(٣) في (ش): «إلى جنتي»، وفي (س): «الجنة».

(٤) في (ب) و(س): «عملت».

(٥) في (س): «وعزتكَ وجلالك».

لَكَ<sup>(١)</sup>، فيقول تبارك وتعالى: عبدي، إنما عمِلْتَ حُبًّا لِي وَشَوْقًا إِلَيَّ<sup>(٢)</sup>، فيتجَلَّى له الرَّبُّ تبارك وتعالى، ويقول: ها أنا ذا، انظرْ إِلَيَّ، ثمَّ يقول: من فضلي عليك أن أعتِقَكَ مِنَ النَّارِ وَأُبَحِّكَ جَنَّتِي<sup>(٣)</sup>، وَأَزِيرَكَ مَلَائِكَتِي، وَأُسَلِّمَ عَلَيْكَ بِنَفْسِي، فَيَدْخُلُ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ الْجَنَّةَ. خَرَّجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»<sup>(٤)</sup>.

وخرَّجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «كِتَابِ الْجُوعِ»، مِنْ طَرِيقِ إِسْحَاقَ بْنِ نُوحٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ: يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أَقْوَامٌ<sup>(٥)</sup> خَلَّتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَشَهَوَاتِهَا، تَكَادُ أَنْوَارُهُمْ تَلْحَقُ بِأَنْوَارِ الْأَنْبِيَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كُلَّمَا نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَهْلُ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ وَالْجَمْعِ الْعَظِيمِ كَادَتْ أَبْصَارُهُمْ تَذْهَبُ مِنَ النُّورِ الَّذِي بَوْجُوهِهِمْ، قِيلَ: بِمَ بَلَغُوا ذَلِكَ؟ قَالَ: بِحُبِّهِمْ لِلَّهِ، وَاتِّبَاعِ مَسَرَّتِهِ، جَوَّعُوا لَهُ أَنْفُسَهُمْ لِيَقِيَهَا مِنَ الْجُوعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ الْجُوعِ الْأَكْبَرِ، وَأَظْمَأُوا لَهُ أَنْفُسَهُمْ لِيَنَالُوا حَلَاوَةَ الرِّيِّ مِنْ فَضْلِهِ يَوْمَ الْعَطَشِ الْأَكْبَرِ، وَأَهْمَلُوا لَهُ الْعِيُونَ رَجَاءً أَنْ يُنِيرَ لَهُمْ غَدًا فِي ظُلَمٍ<sup>(٦)</sup> الْقِيَامَةِ، وَزَكَّوْا أَبْدَانَهُمْ بِتَرْكِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ شَوْقًا إِلَى النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، أُولَئِكَ الْآمِنُونَ يَوْمَ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ<sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (س): «وَحِبًّا إِلَيْكَ».

(٢) فِي (س): «شَوْقًا لِي وَحِبًّا لِي».

(٣) فِي (س): «وَأَمْنَحُكَ الْجَنَّةَ».

(٤) وَهُوَ مِنَ الْقِسْمِ الْمَفْقُودِ مِنْهُ، وَذَكَرَهُ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ (سُورَةُ يُوسُفَ). وَوَقَعَ فِيهِ: عَنْ مُوسَى بْنِ

صَالِحِ بْنِ الصَّبَّاحِ. وَلَا رَجُلَ بِهَذَا الْأِسْمِ وَالنِّسْبِ فِي الْمَصَادِرِ.

(٥) فِي (ب): «قَوْمٌ».

(٦) فِي (ب): «ظُلْمَةٌ».

(٧) لَعَلَّهُ فِي الْقِسْمِ الْمَخْرُومِ مِنَ النُّسخَةِ الَّتِي طُبِعَ عَنْهَا كِتَابُ «الْجُوعِ» لِابْنِ أَبِي الدُّنْيَا.

ومن طريق إسحاق بن نوح، عن رجلٍ من السَّكاسِكِ، عن عبدِ الله بنِ صُمْرَةَ، عن كَعْبٍ قَالَ: إِنِّي لَأَجِدُ نَعْتَ قَوْمٍ يَكُونُونَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِمَنْزِلَةِ الرَّهْبَانِيَّةِ، قُلُوبُهُمْ نَوْرٌ، وَأَفْوَاهُهُمْ نَوْرٌ، تَنْطِقُ أَلْسِنَتُهُمْ بِنُورِ الْحِكْمَةِ، تَعْجَبُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ اجْتِهَادِهِمْ وَاتِّصَالِهِمْ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَيْنَا مِنْ رِوَايَةِ أَحْمَدَ بْنِ الْفَتْحِ قَالَ: رَأَيْتُ بَشَرَ بْنَ الْحَارِثِ فِي مَنَامِي، فَقُلْتُ لَهُ: مَا فَعَلَ مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ؟ فَحَرَّكَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: هِيَاتِ، حَالَتْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْحُجُبُ، إِنَّ مَعْرُوفًا لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ شَوْقًا إِلَى جَنَّتِهِ، وَلَا خَوْفًا مِنْ نَارِهِ، وَإِنَّمَا عَبْدُهُ شَوْقًا إِلَيْهِ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرَّقِيعِ<sup>(٢)</sup> الْأَعْلَى<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْمٍ: حَدَّثْتُ عَنْ الْمُهَلَّبِيِّ، قَالَ الْأَنْصَارِيُّ<sup>(٤)</sup>: رَأَيْتُ مَعْرُوفًا الْكَرْخِيَّ فِي النَّوْمِ كَأَنَّهُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: مَلَائِكَتِي، مَنْ هَذَا؟ فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: أَنْتَ أَعْلَمُ، هَذَا مَعْرُوفُ الْكَرْخِيِّ، قَدْ سَكِرَ مِنْ حُبِّكَ، لَا يَفِيْقُ إِلَّا بِلِقَائِكَ<sup>(٥)</sup>.

وَفِي الْبَابِ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ طَوِيلٌ، وَهُوَ حَسَنُ الْمَتَنِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَصِحُّ، تَرَكْنَا ذِكْرَهُ لَذَلِكَ.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ بَشَّارٍ الْخُرَاسَانِيُّ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدَهَمَ يَقُولُ: بُؤْسًا لِأَهْلِ النَّارِ، لَوْ نَظَرُوا إِلَى زُورِ الرَّحْمَنِ، وَقَدْ حُمِلُوا عَلَى النَّجَائِبِ يُزْفُونَهُمْ إِلَى اللَّهِ زَفًا، وَحُشِرُوا وَفْدًا، وَقَدْ نُصِبَتْ لَهُمِ الْمَنَابِرُ، وَوُضِعَتْ لَهُمِ الْكَرَاسِيُّ، وَقَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمِ

(١) أَخْرَجَهُ الشَّجَرِيُّ (تَرْتِيبُ الْأَمَالِيِّ الْخَمِيسِيَّةِ ١/ ٣٧٥). وَفِيهِ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُمْرَةَ».

(٢) فِي (س): «الرَّقِيقُ».

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٠/ ٢٢٤). وَالرَّقِيعُ: السَّمَاءُ.

(٤) فِي (ب): «الْأَنْصَارِيُّ قَالَ».

(٥) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحَلِيَّةِ» (٨/ ٣٦٦).

الجليلُ جلَّ جلاله بوجهه الكريم<sup>(١)</sup> ليسرُّهم وهو يقول لهم: إليَّ عبادي إليَّ عبادي، إليَّ أوليائي المُطيعين، إليَّ أحبابي المُشتاقين، إليَّ أصفياي المحزونين، ها أنا ذا فاعرفوني، مَنْ كان منكم مُشتاقاً أو مُحبّاً أو مُتملّقاً فليستمتع بالنظرِ إلى وجهي الكريم، فوعزّتي وجلالي لأفرّحنكم بجواري، ولأسرّنكم بقربي، ولأبيحنكم<sup>(٢)</sup> كرامتي، من الغُرُفات تُشرِفون، وتكثّون على الأسرّة فتتملّكون، تُقيمون في دارِ المُقامة أبداً لا تظعنون، وتأمّنون فلا تخافون، تصحّون فلا تسقمون<sup>(٣)</sup>، تنعمون في رَغَدِ العيش لا تموتون، وتُعانقون الحورَ الحسان<sup>(٤)</sup> فلا تملّون ولا تسأمون، كلّوا واشربوا هنيئاً<sup>(٥)</sup>، وتنعموا كثيراً بما أنحلّت الأبدان، وأنهكتم الأجساد، ولزمتهم الصّيام، وسهرتم بالليل والناس نيام<sup>(٦)</sup>.

قال: وسمِعته يقول: لا تُنال جنّته إلّا بطاعته، ولا تُنال ولايته إلّا بمحبّته، ولا تُنال مرّضائه إلّا بتركِ معصيته، والله قد أعدَّ المغفرةَ للأوابين، وأعدَّ الرَّحمةَ للتّوابين، وأعدَّ الجنّةَ للخائفين، وأعدَّ رؤيته للمُشتاقين، وأعدَّ الحورَ للمُطيعين<sup>(٧)</sup>.

\*\*\*

(١) «الكريم» من (ش) وحدها.

(٢) في (ش): «ولأمنحكم»، وفي حاشية (س): «أمنحكم».

(٣) في (ش): «فلا تسأمون» وكتب الناسخ تحت الفاء واواً.

(٤) في (ش): «الحور العين الحسان».

(٥) زاد في حاشية (س): «بما كنتم تعملون»، وليست في المصدر.

(٦) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧/٨)، وهو في «مشيخة ابن البخاري» (٢٦٧/٢).

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢٤/٨).



## الباب الثاني عشر

### في نَبَذِ مَنْ كَلَامِ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ وَتَحْقِيقِهِمْ تَقْوَى بِهِ الْقُلُوبُ عَلَى سُلُوكِ طَرِيقِهِمْ

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] قَالَ: يَقُولُ: الْحَبِيبُ. خَرَّجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ أَوْ غَيْرِهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي قِصَّةِ الْإِسْرَاءِ الطَّوِيلَةِ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى، قَالَ: فَيَتَغَشَّاهَا<sup>(٢)</sup> نُورُ الْخَالِقِ، وَغَشِيَّتُهَا الْمَلَائِكَةُ مِثْلَ الْغُرَبَانِ حِينَ يَقَعْنَ عَلَى الشَّجَرَةِ مِنْ حُبِّ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ<sup>(٣)</sup>.

قَالَ الْجَوْزْجَانِيُّ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، أَنَّ مُعَاوِيَةَ حَدَّثَهُ عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَيْسَرَةَ<sup>(٤)</sup> أَنَّهُ<sup>(٥)</sup> سَمِعَ أُمَّ<sup>(٦)</sup> الدَّرْدَاءِ تَقُولُ: لَمَّا أَهْبَطَ اللَّهُ آدَمَ إِلَى الْأَرْضِ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ أَحْبَبْنِي وَحَبَّبْنِي إِلَى خَلْقِي<sup>(٧)</sup>، وَلَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ إِلَّا بِي، وَلَكِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ أَعْتُكَ عَلَيْهِ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَخُذْ بِهِ اللَّذَّةَ وَالنَّظْرَةَ وَقُرَّةَ الْعَيْنِ وَالطَّمَأْنِينَةَ<sup>(٨)</sup>.

(١) ذكره البخاري معلقاً قبل (٧٤١٨) وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٢٤/٢٨٣).

(٢) في (ب): «فيغشاه»، وفي (س): «فغشاه».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٤/٤٣٢).

(٤) في حاشية (س): «ميمون».

(٥) «أنه» لم تكتب في (ش) و(ب)، ومثلها يلفظ وإن لم يكتب.

(٦) في (س): كتب معها: «أي الدرداء».

(٧) «إلى خلقي» ثابتة في (س)، ومضروب عليها في (ش)، ولا توجد في (ب).

(٨) «النظرة» كذا في النسخ، ولعلها: «النصرة». وجاء في (ش): «الاطمأنينة». وهذا الأثر لم أظفر به

وقال خُلَيْدُ الْعَصْرِيِّ: يَا إِخْوَتَاهُ، هَلْ مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ لَا<sup>(١)</sup> يُحِبُّ أَنْ يَلْقَى حَبِيبَهُ؟  
أَلَا فَاجِبُوا رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ، وَسِيرُوا إِلَيْهِ سِيرًا كَرِيمًا. خَرَّجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ<sup>(٢)</sup>.

وخرَّجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ<sup>(٣)</sup>، وفي روايةٍ له: فَاجِبُوا اللَّهَ، وَسِيرُوا إِلَيْهِ سِيرًا جَمِيلًا، لَا مُصْعِدًا وَلَا مُمِيلًا<sup>(٤)</sup>.

وخرَّجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا مِنْ طَرِيقِ ابْنِ لَهْيَعَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيُّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَ بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْمَوْتُ قَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ: إِنِّي مُوصِيكَ بِحُبِّ اللَّهِ وَحُبِّ طَاعَتِهِ وَخَوْفِ اللَّهِ وَخَوْفِ مَعْصِيَتِهِ، وَإِنَّكَ إِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكْرَهُ الْمَوْتَ مَتَى أَتَاكَ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي الْخَوَارِيِّ: حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ الْخُرَّاسَانِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَجِيحٍ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ الْكَنْدِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْبَصْرَةِ إِلَى طَاوُسٍ لِيَسْمَعَ مِنْهُ، فَوَافَاهُ مَرِيضًا، فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ<sup>(٦)</sup>: وَاللَّهِ مَا أَبْكِي عَلَى قَرَابَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَلَا عَلَى دُنْيَا جِئْتُ أَطْلُبُهَا مِنْكَ، وَلَكِنْ عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي جِئْتُ أَطْلُبُ<sup>(٧)</sup> مِنْكَ يَفُوتُنِي، فَقَالَ لَهُ طَاوُسٌ: إِنِّي مُوصِيكَ بِثَلَاثِ كَلِمَاتٍ، إِنْ حَفِظْتَهُنَّ عَلِمْتَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَعِلْمَ مَا كَانَ، وَعِلْمَ مَا يَكُونُ: خَفِ اللَّهَ حَتَّى لَا يَكُونَ عِنْدَكَ شَيْءٌ

(١) في (ش) و(ب): «إلا». كما في «الحلية»، والمثبت من (س) موافق لما في «الزهد».

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (١٣١٤)، والختلي في «المحبة» (١٨٨).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٣٢)، والختلي في «المحبة» (١٣٠).

(٤) لفظ: «لا مصعداً ولا مميلاً» لم أجده عند غير المصنف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣١١).

(٦) في (ش): «فقال».

(٧) في (س): «أطلبه».

أخوفَ منه، وارْجُ اللهَ حتَّى لا يكونَ عندَكَ شيءٌ أرجى منه، وأحبُّ اللهَ حتَّى لا يكونَ شيءٌ أحبَّ إليكَ منه، فإذا فعلتَ ذلكَ علِمْتَ علَمَ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ<sup>(١)</sup>، وعلِمَ ما كانَ، وعلِمَ ما يكونُ، فقالَ: لا جرَمَ لا سألتُ أحداً بعدَكَ عن شيءٍ ما بقيتُ<sup>(٢)</sup>.

وعن إبراهيمَ بنِ الأشعثِ قالَ: سَمِعْتُ الفُضَيْلَ بنَ عياضٍ يقولُ: مرَّ عيسى عليه السَّلامُ بثلاثةٍ مِنَ النَّاسِ نَحَلَتْ أبدانَهُم<sup>(٣)</sup>، وتغيَّرتُ ألوانُهُم، فقالَ: ما الذي بَلَغَ بكم ما أرى؟ قالُوا: الخوفُ مِنَ النَّيرانِ<sup>(٤)</sup>، قالَ: مخلوقاً خِفْتُم، وحقُّ على الله أن يؤمِّنَ الخائفَ.

ثمَّ جاوزَهُم إلى ثلاثةٍ أُخَرَ فإذا هم أَشدُّ تغيُّراً وأنحَلُ أجساماً، فقالَ: ما الذي بَلَغكم<sup>(٥)</sup> ما أرى؟ قالُوا: الشَّوْقُ إلى الجنَّةِ، قالَ: مخلوقاً اشتَقْتُم، وحقُّ على الله أن يُعْطِيَكُم ما رَجَوْتُم.

ثمَّ جاوزَهُم إلى ثلاثةٍ أُخَرَ، فإذا هم أَشدُّ تغيُّراً، وأنحَلُ أجساماً، كأنَّ على وُجُوهِهم المَرايا مِنَ النُّورِ، فقالَ: ما الذي بَلَغكم إلى<sup>(٦)</sup> ما أرى؟ قالُوا: حُبُّ الله، قالَ: أنْتُم المُقَرَّبُونَ، أنْتُم المُقَرَّبُونَ، أنْتُم المُقَرَّبُونَ<sup>(٧)</sup>.

ورَوَى إبراهيمُ بنُ الجُنَيْدِ بإسنادِهِ عن مُحَمَّدِ بنِ كَعْبٍ قالَ: أوحى اللهُ إلى

(١) في (س): «وعلم الآخِرِينَ».

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٤ / ٢١) (٤٠٧ / ٢٣).

(٣) في (س): «أجسامهم».

(٤) في (ب): «النار».

(٥) في (س): «بلغ بكم».

(٦) في (س): «بلغ بكم».

(٧) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧ / ١٠). لكن من كلام إسحاق بن خلف، ولا ذكر للفضيل فيه!

مُوسَى عليه السَّلامُ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُحِبَّنِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِي كَحُبِّهِ إِيَّايَ<sup>(١)</sup>.  
وعن أَبِي حَازِمٍ الْقَيْسَارِيُّ قَالَ: مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: يَا عِيسَى، الْحَقُّ وَالْحَقُّ  
أَقُولُ إِنَّي أَحَبُّ إِلَى عَبْدِي مِنْ نَفْسِهِ الَّتِي بَيْنَ جَنَبَيْهِ<sup>(٢)</sup>.

وعن ابْنِ عُيَيْنَةَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ الْيَمَامِيُّ، قَالَ: نَظَرْنَا فَلَمْ نَجِدْ  
شَيْئًا يَتَلَذَّذُ بِهِ الْمُتَلَذِّذُونَ أَفْضَلَ مِنْ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَطَلَبَ مَرْضَاتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وعن سَعِيدِ بْنِ عَامِرٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ لَيْثٍ، عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ قَالَ: كَانَ حَكِيمٌ مِنْ  
حَزَامٍ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ وَيَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نِعَمَ الرَّبِّ، وَنِعَمَ الْإِلَهِ، أُحِبُّهُ وَأُخْشَاهُ<sup>(٤)</sup>.

وعن بَكْرِ الْمُزَنِيِّ قَالَ: مَا فَاقَ أَبُو بَكْرٍ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ بِصَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ،  
وَلَكِنْ بِشَيْءٍ كَانَ<sup>(٥)</sup> فِي قَلْبِهِ<sup>(٦)</sup>.

قَالَ إِبْرَاهِيمُ: بَلَغَنِي عَنْ ابْنِ عُلَيَّةَ<sup>(٧)</sup> أَنَّهُ قَالَ فِي عَقِبِ<sup>(٨)</sup> هَذَا الْحَدِيثِ: الَّذِي كَانَ  
فِي قَلْبِهِ الْحُبُّ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالنَّصِيحَةُ فِي خَلْقِهِ<sup>(٩)</sup>.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سُفْيَانَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ، أَخْبَرَنِي  
بَعْضُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ قَالَ: لَمَّا اسْتَقْضِيَ سَوَارٌ بِالْبَصْرَةِ كَتَبَ إِلَيْهِ أَخٌ لَهُ كَانَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ

(١) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٦٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٥٩).

(٣) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٦٧).

(٤) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (١٣٦).

(٥) فِي (س): «بَشْيءٍ وَقَر».

(٦) أَخْرَجَهُ الْخَتْلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (١٤٢).

(٧) فِي (ش): «عَيْنَةُ».

(٨) فِي (س): «عَقِيب».

(٩) إِبْرَاهِيمُ هُوَ الْخَتْلِيُّ مُؤَلِّفُ كِتَابِ «الْمَحَبَّة»، وَقَوْلُهُ فِيهِ (١٤٤). وَفِي (ش): «الْخَلْقَةُ».

معه، وكان ببعض الثُّغُورِ: أَمَا بَعْدُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ التَّقْوَى عِوَضًا مِنْ كُلِّ فَائِتٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَجْعَلْ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا يَكُونُ عِوَضًا مِنَ التَّقْوَى، فَإِنَّ التَّقْوَى عَقْدَةُ كُلِّ عَاقِلٍ مُسْتَبْصِرٍ، إِلَيْهَا يَسْتَرْوِجُ، وَبِهَا يَسْتَنْ، وَلَمْ يَظْفَرْ أَحَدٌ فِي عَاجِلِ هَذِهِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ بِمِثْلِ مَا ظَفَرَ بِهِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، الَّذِينَ شَرِبُوا بِكَأْسِ حُبِّهِ، فَكَانَتْ قَرَّةٌ أَعْيُنُهُمْ فِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ <sup>(١)</sup> أَعْمَلُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَسِيمِ الْأَدَبِ، وَرَاضُوا <sup>(٢)</sup> رِيَاضَةَ الْأَصْحَابِ الصَّادِقِينَ، فَطَلَّقُوهَا عَنْ فُضُولِ الشَّهَوَاتِ، وَأَلْزَمُوهَا الْقُوتَ الْمُقْلَقَ <sup>(٣)</sup>، وَجَعَلُوا الْجُوعَ وَالْعَطَشَ شِعَارًا لَهَا بُرْهَةً مِنَ الزَّمَانِ، حَتَّى انْقَادَتْ وَأَذَعَنْتْ وَعَزَفَتْ لَهُمْ عَنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، فَلَمَّا ظَعَنَ حُبُّ فُضُولِ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَزَايَلَتْهَا أَهْوَاؤُهُمْ، وَانْقَطَعَتْ أَمَانِيهِمْ، وَصَارَتْ الْآخِرَةُ نُصَبَ أَعْيُنِهِمْ وَمُنْتَهَى أَمَلِهِمْ: وَرَثَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ نَوْرَ الْحِكْمَةِ، وَقَلَّدَهَا قَلَائِدَ الْعِصْمَةِ، وَجَعَلَهُمْ دُعَاءَ لِمَعَالِمِ الدِّينِ، يَلْمُونَ مِنْهُ الشَّعْثَ، وَيَشْعَبُونَ مِنْهُ الصَّدْعَ <sup>(٤)</sup>. لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى جَاءَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَوْعِدٌ <sup>(٥)</sup> صَادِقٌ، اخْتَصَّ بِهِ الْعَامِلِينَ لَهُ وَالْعَالِمِينَ بِهِ، دُونَ مَنْ سِوَاهُمْ، فَإِذَا سَرَّكَ أَنْ تَسْمَعَ صِفَةَ الْأَبْرَارِ الْأَتْقِيَاءِ فِصْفَةَ هَؤُلَاءِ فَاسْتَمِعْ <sup>(٦)</sup>، وَشَمَائِلَهُمُ الطَّيِّبَةَ فَاتَّبِعْ، وَإِيَّاكَ يَا سَوَّارَ وَبْنِيَّاتِ الطَّرِيقِ، وَالسَّلَامُ <sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (س): «وَلَكِنَّهُمْ».

(٢) فِي (س): «وَأَرَاضُوهَا».

(٣) فِي الْمَصَادِرِ: «الْمُعْلَقُ».

(٤) فِي (ش): «وَيَشْعَبُونَ مِنْهُ الضَّرْعُ» أَوْ خَطَأً.

(٥) فِي (س): «مَوْعِدٌ».

(٦) فِي (ب): «فَاسْمَعْ».

(٧) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْفَنَاءِ وَالتَّعَفُّفِ» (ص: ٦٠)، وَالْمَطْبُوعَةُ مَجْرَدَةٌ غَيْرُ مُسْتَدَّةٍ. وَأَخْرَجَهُ

أَبُو بَكْرٍ الْمُرُودِيُّ فِي «أَخْبَارِ الشُّيُوخِ وَأَخْلَاقِهِمْ» (١٣١) مِنْ طَرِيقٍ آخَرَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ.

وخرَجَ أبو نُعَيْمٍ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ بَرَّةَ، عَنِ الْحَسَنِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]، قَالَ: النَّفْسُ الْمُؤْمِنَةُ اطمَأَنَّتْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاطْمَأَنَّ اللَّهُ<sup>(١)</sup> إِلَيْهَا، وَأَحَبَّتْ لِقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهَا، وَرَضِيَتْ عَنِ اللَّهِ، وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا<sup>(٢)</sup>، فَأَمَرَ بِقَبْضِ رُوحِهَا، فَغَفَرَ لَهَا وَأَدْخَلَهَا الْجَنَّةَ، وَجَعَلَهَا مِنْ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ<sup>(٣)</sup>.  
وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ مِسْمَعٍ بْنِ عَاصِمٍ، عَنْ نُعَيْمِ بْنِ صَبِيحٍ السَّعْدِيِّ، قَالَ: هِمَمُ الْأَبْرَارِ مُتَّصِلَةٌ بِمَحَبَّةِ الرَّحْمَنِ<sup>(٤)</sup>، وَقُلُوبُهُمْ تَنْظُرُ إِلَى مَوَاضِعِ الْعِزِّ مِنَ الْآخِرَةِ بِنُورِ أَبْصَارِهِمْ<sup>(٥)</sup>.

قَالَ مِسْمَعٌ: وَسَمِعْتُ<sup>(٦)</sup> عَابِدًا مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ يَقُولُ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ: قُرَّةَ عَيْنِي وَسُرُورَ قَلْبِي، مَا الَّذِي أَسْقَطَنِي مِنْ عَيْنِكَ يَا مَانِحَ الْعِصْمِ؟ ثُمَّ صَرَخَ وَبَكَى، ثُمَّ نَادَى: طُوبَى لِقُلُوبٍ مَلَأَتْهَا خَشْيَتُكَ، وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا مَحَبَّتُكَ، فَمَحَبَّتُكَ مَانِعَةٌ لَهَا مِنْ كُلِّ لَذَّةٍ غَيْرِ مُنَاجَاتِكَ، وَالْاجْتِهَادِ فِي خِدْمَتِكَ، وَخَشْيَتِكَ قَاطِعَةٌ لَهَا عَنْ سَبِيلِ كُلِّ مَعْصِيَةٍ خَوْفًا لِحُلُولِ سَخَطِكَ، ثُمَّ بَكَى، وَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، ابْكُوا عَلَى فَوْتِ خَيْرِ الْآخِرَةِ حَيْثُ لَا رَجْعَةَ وَلَا حِيلَةَ<sup>(٧)</sup>.

(١) فِي (ش): «وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهَا».

(٢) فِي (ش): «وَرَضِيَ عَنْهَا». وَكَذَلِكَ «وَأَحَبَّ لِقَاءَهَا».

(٣) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي «حَلِيةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٢٩٩/٦). وَأَخْرَجَهُ كَذَلِكَ: الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٧٥).

(٤) فِي (ش): «الْجَبَّارُ»!

(٥) لَمْ أَجِدْهُ فِيمَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَجْزَاءِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا، لَكِنْ أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (٢٣٤) مِنْ

كَلَامِ حَكِيمٍ مِنْ حُكَمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ. قَالَ الْغَزِي فِي «حَسَنِ التَّنْبِيهِ» (٤٤٦/٣): وَقَدْ ذَكَرَ هَذَا الْأَثَرُ عَنْ

نُعَيْمِ بْنِ صَبِيحٍ السَّعْدِيِّ قَالَ: «وَكَانَ يَعِدُ مِنْ حُكَمَاءِ بَنِي تَمِيمٍ».

(٦) فِي (س): «وَقَالَ مِسْمَعٌ: سَمِعْتُ».

(٧) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّةِ» (١٨٠).

وبإسناده عن أيوب بن خُوَيط، عن قَتَادَةَ، قَالَ: كَانَ فِي جُفْرَةِ عَتِيبٍ<sup>(١)</sup> شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ: مَسُورُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَكَانَ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَ الْقُرْآنَ مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: سَيِّدُ الْأَعْمَالِ التَّقْوَى، ثُمَّ الْبَذْلُ، ثُمَّ بَعْدَ الْبَذْلِ الشُّكْرُ، ثُمَّ بَعْدَ الشُّكْرِ الرِّضَا، ثُمَّ بَعْدَ الرِّضَا التَّعْظِيمُ، ثُمَّ بَعْدَ التَّعْظِيمِ الْحُبُّ لِلَّهِ، وَالْإِجْلَالُ لَهُ<sup>(٢)</sup>.

\*\*\*

وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ دَرَجَةَ الْحُبِّ الْمُسْتَحَبَّةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ تَتَأَخَّرُ<sup>(٣)</sup> عَنْ دَرَجَةِ الشُّكْرِ وَالرِّضَا وَالتَّعْظِيمِ وَالْبَذْلِ، فَأَمَّا الْوَاجِبَةُ فَإِنَّهَا دَاخِلَةٌ<sup>(٤)</sup> فِي التَّقْوَى كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ، وَكَذَلِكَ كَانَ السَّلَفُ يُقَدِّمُونَ دَرَجَةَ الْخَوْفِ عَلَى الشُّوقِ، كَمَا رَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ وَاقِدِ الْعَابِدِ مَوْلَى أُمِّ الْبَنِينِ قَالَ: قَالَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعُبَادِ: مَا<sup>(٥)</sup> رَأَيْتُ الْقُلُوبَ جُلِيَتْ بِشَيْءٍ أَنْقَى جَلَاءَ مِنْهَا<sup>(٦)</sup> بِالْخَوْفِ، قُلْتُ: فَالشُّوقُ؟ قَالَ: قَدْ يَشْتَاقُ وَصَدَى الرَّيْنِ عَلَى قَلْبِهِ<sup>(٧)</sup>. قَالَ: وَالرَّيْنُ يَعْنِي الذَّنْبَ عَلَى الذَّنْبِ.

وَكَذَلِكَ كَانَتْ حَالَةُ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، كَالْحَسَنِ وَسُفْيَانَ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ يَظْهَرُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفُ وَلَوْازِمُهُ، وَيَكْثُرُ كَلَامُهُمْ فِيهِ، وَيَقُلُّ كَلَامُهُمْ فِي الْمَحَبَّةِ وَظُهُورِ آثَارِهَا عَلَيْهِمْ أَيْضًا، حَتَّى حَذَرَ طَوَائِفُ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِمَّنْ يُكْثِرُ دَعْوَى الشُّوقِ وَالْمَحَبَّةِ بَغَيْرِ

(١) محلة بالبصرة.

(٢) لم أظفر به عند غير المصنف.

(٣) فِي (ب) وَ(س): «متأخرة».

(٤) فِي (س): «تدخل».

(٥) فِي (س): «قلما».

(٦) فِي (ب): «من جلائها».

(٧) لم أجده فيما وقفت عليه من أجزاء ابن أبي الدنيا.

خوفٍ لما ظهرَ منهم من الشَّطْحِ والدَّعاوي، بل والإباحة والحلول، وغير ذلك من المَفاسِدِ، والله سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

ولهذا كان أبو عبد الله بنُ الجلاء - وهو من كبار العارفين - إذا سُئِلَ عن المحبة قال: أنا ما لي وللکلام في المحبة أنا أريدُ أن أتعلَّم التَّوبَةَ<sup>(١)</sup>.

ويُقال: إنَّ أوَّلَ مَنْ أظهرَ الكلامَ في المحبة والشَّوقِ وجمعَ الهمةَ وصفاءِ الذِّكرِ<sup>(٢)</sup> وتكلَّم به على رؤوسِ النَّاسِ أبو حمزة<sup>(٣)</sup> الصُّوفيُّ، وكان من أعيانِ العارفين أيضًا، وكان يجتمعُ بالإمام أحمدَ كثيرًا، وكان أحمدُ يسأله ويقولُ له: ما تقولُ يا صوفيُّ<sup>(٤)</sup>؟ رضيَ الله عنهم أجمعين<sup>(٥)</sup>.

وكان عبَّادُ البصرة بعدَ طبقةِ الحَسَنِ وأصحابِهِ، كعبدِ الواحدِ بنِ زید، وأصحابِهِ كعتبةَ وضيغمٍ وغيرهما، تظهرُ منهم المحبةُ كثيرًا مع شدَّةِ الخوفِ أيضًا، وكذلك رابعةً، وكذلك الفضيلُ وداودُ الطَّائِي وغيرهما.

قال إبراهيمُ بنُ الجُنَيْدِ: حدَّثني عبدُ الرَّحِيمِ بنُ يحيى الرَّمْلِيُّ، قال: حدَّثني عثمانُ بنُ عمارَةَ قال: قال عتبةُ: مَنْ سَكَنَ حُبَّهُ قلبه لم يجدْ حرًّا ولا بردًا. قال

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣١٤/١٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨٧/٦)، (٩٢).

(٢) في (س): «الفكر»، وفي الحاشية كالمثبت.

(٣) في (ب): «الحمزة».

(٤) ذكره السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٢٧)، والقشيري في «الرسالة» (١٠٧/١). وأخرجه

الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٢/٢٧٥)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/٢٦٨)،

وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١/٢٥٥، ٢٥٦). وعلق ابن أبي يعلى عليه بقوله: «قلت أنا: أراد

والله أعلم بسؤاله إن أصاب أقره عليه وإن أخطأ بينه له».

(٥) الدعاء من (س) وحدها.



عَبْدُ الرَّحِيمِ: يَعْنِي مَنْ سَكَنَ حُبُّ اللَّهِ قَلْبَهُ شَغْلَهُ حَتَّى لَا يَعْرِفَ الْحَرَّ مِنَ الْبَرْدِ، وَلَا الْحُلُوَّ مِنَ الْحَامِضِ، وَلَا الْحَارَّ مِنَ الْبَارِدِ<sup>(١)</sup>.

وَقَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: كَانَ عُتْبَةُ يَجِيءُ إِلَى الْمَسْجِدِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَقَدْ أَخَذَ النَّاسُ الظِّلَّ، فَيَقُومُ عَلَى الْحَصَى، وَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ الطَّوِيلَةَ، قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ: مَا أَرَاهُ يَعْقِلُ بَحْرَهُ<sup>(٢)</sup>.

وَسَمِعَ عُتْبَةُ قَائِلًا يَقُولُ:

سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَاءِ      إِنَّ الْمُحِبَّ لَفِي عَنَاءٍ

فَقَالَ عُتْبَةُ: صَدَقْتَ<sup>(٣)</sup> وَاللَّهِ، وَغُشِيَ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَالَ ضَيْغَمٌ يَوْمًا لِمَوْلَى لَهُ: مَنَعَنِي وَاللَّهُ حُبُّ اللَّهِ مِنَ الْإِشْتِغَالِ بِحُبِّ غَيْرِهِ، ثُمَّ سَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ<sup>(٥)</sup>.

وَكَانَ كَلَابُ بْنُ جُرَيْجٍ الْعَابِدُ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَالَطَ قَلْبِي مِنْ مُحِبَّتِكَ أَمْرٌ<sup>(٦)</sup> يَكِلُ لِسَانِي عَمَّا أَجِدُ مِنْهُ فِي نَفْسِي<sup>(٧)</sup>.

وَقَدِمَتْ شَعْوَانَةُ الْعَابِدَةُ وَزَوْجُهَا مَكَّةَ، فَجَعَلَا يَطُوفَانِ وَيُصَلِّيَانِ، فَإِذَا كَلَّ أَوْ أَعْيَا<sup>(٨)</sup>

(١) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (١٦٦ - ١٦٧).

(٢) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّة» (٢٣٤ / ٦).

(٣) فِي (ب): «صَدَقَ».

(٤) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «الْحَلِيَّة» (٢٣٦ / ٦)، وَالْبَيْتُ مِنْ قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لِأَبِي الْعَتَاهِيَةِ، أَنْشَدَهَا بِسَنَدِهِ:

السَّراجُ الْقَارِئُ فِي «مِصَارِعِ الْعِشَاقِ» (١١٩ / ٢).

(٥) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٢٣).

(٦) فِي حَاشِيَةِ (س): «مَا».

(٧) أَخْرَجَهُ الْخَتَلِيُّ فِي «الْمَحَبَّة» (٥٠).

(٨) فِي (س): «كَلَا وَأَعْيَا».

جَلَسَ وَجَلَسَتْ خَلْفَهُ، فيقولُ هو في جُلوسِهِ: أنا العَطْشَانُ من حُبِّكَ لا<sup>(١)</sup> أَرَوَى، وتقولُ هي بالفارسيَّة: يا سيِّدي، أَنبَتَ لكلِّ داءٍ دواءً في الجبالِ، ودواءُ المُحِبِّينَ في الجبالِ لم يَنْبُتْ<sup>(٢)</sup>.

ودخلوا على عابدٍ بالبصرة وهو يَجُودُ بنفسِهِ وهو يقولُ: أنا عَطْشَانُ لم أَرَوْ مِنْ حُبِّ رَبِّي، وجائعٌ لم أَشْبِعْ من حُبِّ رَبِّي<sup>(٣)</sup>.

وقال المُعافَى بنُ عِمْرانَ: كَلَّمْتُ فَتَحًا المَوْصِلِيَّ يومًا في شيءٍ، فقالَ: لم تتركِ المحبَّةَ لله في قلوبِ أوليائِهِ مَوْضِعًا لمحبةٍ غيرِهِ<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو مَعْمَرٍ: نظَرْتُ رابعةً إلى رِياحِ القَيْسِيَّ يومًا وهو يُقْبِلُ صَبِيًّا صَغِيرًا من أَهْلِهِ، فقالتُ: أَتُحِبُّهُ يا رِياحُ؟ قالَ: نَعَمْ، قالتُ: ما كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ في قَلْبِكَ مَوْضِعًا فارِغًا لمحبةٍ سِوَاهِ، فخرَّ رِياحٌ مَغْشِيًّا عليه، ثُمَّ أَفاقَ وهو يَمْسَحُ العَرَقَ عن وَجْهِهِ وهو يقولُ: رَحْمَةُ جَعَلَهَا اللهُ في قُلُوبِ عِبَادِهِ لِلأَطْفالِ<sup>(٥)</sup>.

وقال حُذَيْفَةُ المَرَعَشِيُّ: رأيتُ رجُلًا بالرَّقَّةِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ صَبِيَّانِ يَلْعَبَانِ وَيَقْتَتِلَانِ، وهو مُتَشَاغِلٌ بهما يَزْجُرُهُما وَبَيْنَهُمَا<sup>(٦)</sup>، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَحْسِبُكَ تُحِبُّهُمَا، قالَ: لا والله ما<sup>(٧)</sup> أُحِبُّهُمَا، ولكنْ أَرَحُمُهُمَا، وما أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٨)</sup>.

(١) في (س): «ولا».

(٢) أخرجه السراج القارئ في «مصارع العشاق» (٢٧٦/١).

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١٥٩).

(٤) لم أظفر به عند غير المصنف.

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة» (٢٣٦)، ومن طريقه: أبو نعيم في «الحلية» (١٩٥/٦).

(٦) في (ب): «فزجرهما ونهاهما».

(٧) في (ش): «لا».

(٨) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٦١/٢). وأخرج نحوه أبو نعيم في «حلية الأولياء»

(٢٧٠/٨) مختصراً.

ثُمَّ اتَّسَعَ الْكَلَامُ فِي الْمَحَبَّةِ مِنْ زَمَنِ أَبِي سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيِّ وَأَصْحَابِهِ بِالشَّامِ،  
كَأَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْخَوَارِثِيِّ، وَقَاسِمِ الْجَوْعِيِّ، وَكَانَ قَاسِمُ الْجَوْعِيِّ يَقُولُ: شَبَعَ الْأَوْلِيَاءُ  
بِالْمَحَبَّةِ عَنِ الْجَوْعِ، فَفَقَدُوا لَذَاذَةَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالشَّهَوَاتِ وَلَذَاتِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُمْ  
تَلَذَّذُوا بِلَذَّةِ لَيْسَ فَوْقَهَا لَذَّةٌ، فَقَطَّعَهُمْ عَنْ كُلِّ لَذَّةٍ<sup>(١)</sup>.

وَبِالْعِرَاقِ فِي زَمَنِ السَّرِيِّ وَأَصْحَابِهِ كَالْجُنَيْدِ وَأَصْحَابِهِ. وَبِمِصْرَ فِي زَمَنِ ذِي  
النُّونِ وَأَقْرَانِهِ.

وَكَانَ بَعْضُ مَنْ يُذَكَّرُ بِالْمَحَبَّةِ رَبِّمَا حَصَلَ لَهُ وَسْوسَةٌ وَنَوْعٌ تَغْيِيرِ عَقْلٍ كَسَعْدُونَ  
وَسَمْنُونَ.

وَكَانَ سَمْنُونَ شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ، رَبِّمَا حَصَلَ لَهُ نَوْعٌ وَسْوسَةٌ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا  
فِي الْمَحَبَّةِ فَاصْطَفَقَتْ قَنَادِيلُ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَكْسَرَتْ<sup>(٢)</sup>، وَإِنَّهُ تَكَلَّمَ يَوْمًا فِيهَا فَجَاءَ  
طَائِرٌ فَضْرَبَ<sup>(٣)</sup> بِمِنْقَارِهِ الْأَرْضَ حَتَّى مَاتَ<sup>(٤)</sup>.

وَكَذَلِكَ كَانَ رَبِّمَا حَصَلَ لِلشُّبْلِيِّ نَوْعٌ تَغْيِيرِ<sup>(٥)</sup>.

وَمِمَّا يُنْسَبُ مِنَ الشُّعْرِ إِلَى بَعْضِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ:

هَجَرْتُ الْوَرَى<sup>(٦)</sup> فِي حُبِّ مَنْ جَادَ بِالنَّعَمِ وَعَفْتُ الْكَرَى شَوْقًا إِلَيْهِ فَلَمْ أَنْمِ

(١) فِي (س): «فَقَطَّعَتْهُمْ» أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٩/٣٢٢)، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ  
دِمَشْقَ» (٤٩/٢٢٢).

(٢) ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «رِسَالَتِهِ» (٢/٤٩١)، وَاللَّفْظُ الَّذِي أَوْرَدَهُ الْمُصَنِّفُ يَوْجَدُ بَعِيْنَهُ فِي «الْإِسْتِقَامَةِ»  
لِابْنِ تَيْمِيَّةٍ (٢/٩٠).

(٣) فِي (س): «يَضْرِبُ».

(٤) أَخْرَجَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «رِسَالَتِهِ» (٢/٤٩١).

(٥) مِنْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «رِسَالَتِهِ» (٢/٤٩١).

(٦) فِي (ش): «الْكَرَى» وَفِي حَاشِيَتِهَا كَالْمُثْبِتِ.

وموّهتُ دَهري بالجنونِ عنِ الورى      لأكُتَمَ ما بي من هواهُ فما انكُتَمَ  
فلَمّا رأيتُ الشَّوقَ والحبَّ بائحًا      كَشَفْتُ قِناعي ثُمَّ قُلْتُ نَعَمْ نَعَمْ  
فإن قيلَ مجنونٌ فقد<sup>(١)</sup> جَنَنِي الهوى      وإن قيلَ مُسقامٌ فما بي من سَقَمٍ  
وحقُّ الهوى والحبِّ والعهدِ بيننا      وحُرمةُ رُوحِ الأنسِ في حِنْدِسِ الظُّلَمِ  
لقد لآمَنِي الواشُونَ فيكَ جَهالةً      فقلتُ لَطَرْفي أوضَحِ العُذْرَ فاحتَشَمَ  
فعاتبَهُم طَرْفي بغيرِ تكلُّمٍ      وأخبرَهُم أَنَّ الهوى يُورِثُ السَّقَمَ  
فبالحلمِ يا ذا المَنِّ لا تُبِعِدَنِّي      وقَرَّبَ مَزاري منك يا بارِئَ النَّسَمِ<sup>(٢)</sup>  
وكانَ بعضُ هؤلاءِ يقولُ: إذا بِكَ لَم أَجَنَّ يا حَبِيبِي فِيمَنْ؟<sup>(٣)</sup>

ومن هؤلاءِ مَنْ كانَ يُسَمَّى مجنونًا كسَعِدُونَ وغيره، ويُسمَّونَ عُقلاءَ المجانين،  
وكانتْ أقوالُهم وأحوالُهم<sup>(٤)</sup> محفوظةً غالبًا، ويصدُرُ منهم منَ الكلامِ الحَسَنِ  
شيءٌ كثيرٌ، وقد غلِطَ طوائفُ منَ المُتأخِّرينَ في أمرِهِم فظَنُّوا أَنَّ حالَهُم هو غايةُ  
الكمالِ، وأنَّ العقلاءَ كلَّهُم منَ العلماءِ بالله والعمالِ لله مُقَصِّرونَ عن درجتِهِم، وهذا  
خطأٌ قبيحٌ جدًّا.

ثمَّ أدخَلُوا في طبقتِهِم مَنْ ليسَ منهم منَ المجانينَ الذينَ لا حكمةَ لَدِيهِم، ولا  
ظَهَرَ شيءٌ منَ الأحوالِ الصَّحيحةِ عليهِم، وإنَّما يظهَرُ منهم مخالفةُ الشَّريعةِ بالأعمالِ

(١) في (س): «فقل».

(٢) ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٣٩٨/٢) عن شاب رآه أبو الجوال المغربي ببيت المقدس.

(٣) القائل شيان من المتعبدين في جبل لبنان والناقل هو ذو النون، في قصة ذكرها ابن الجوزي في

«صفة الصفوة» (٤٧١/٢)، وأخرجها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٩٢/٢٠، ٩٣).

(٤) في (س): «وأفعالهم».

والأقوال الشنيعة، ولكن أحسنوا الظن بهم لما يظهر من بعضهم من الإخبار بالمغيبات في بعض الأحيان مما قد يظهر<sup>(١)</sup> أكثر منه من الرهبان والكهّان.

ونشأ بهذا السبب اعتقاد أن الأولياء لهم طريقة غير طريقة الأنبياء، وأنهم واقفون مع الحقيقة، ولا يتقيّدون بالشريعة، إلى غير ذلك من أنواع الضلال والبدع الفظيعة.

ووجد بعض من كان في صدره التّفافُ كامناً من أنواع الحلوليّة والإباحيّة سبيلاً إلى إظهار ما في نفوسهم، فعظّم الخطبُ بذلك، واشرب التّفافُ.

ولو سمع بذلك أئمة الطريق العارِفون بالله كالجُنيد ومن قبله لجاهدوا في الله حق جهاده في إنكار هذه العظائم، ولن تخلو الأرض من قائم لله بحججه، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقد ورد حديث: «إن أكثر أهل الجنة البله»، وله طريقان ضعيفان، أحدهما مُسنَد من حديث أنس<sup>(٢)</sup>، والآخر مُرسَل من مراسيل عمر بن عبد العزيز. وقد رواه أحمد بن أبي الحواري بإسناده إلى عمر مُرسلاً، ثم قال مُفسراً له:

(١) في (ب) و(س): «ظهر».

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (٦٣٣٩) من طريق سلامة بن روح، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس، وقال: «وسلامة كان ابن أخي عقيل بن خالد، ولم يتابع على حديث أكثر أهل الجنة البله، على أنه لو صحَّ كان له معنى». وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٩٨٢)، وقال: «فذكرت هذا الحديث لأحمد بن أبي عمران، فقال: معناه معنى صحيح. والبله المرادون فيه هم البله عن محارم الله عز وجل لا من سواهم ممن به نقص العقل بالبله».

قال ابن عدي في «الكامل» في ترجمة سلامة بن روح بعد أن روى الحديث من طريقه: «وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر لم يروه عن عقيل غير سلامة هذا».

البُلهُ عن الشرِّ، وأعلى عليّين لأولي الألباب<sup>(١)</sup>، يُشيرُ بذلك إلى<sup>(٢)</sup> أنَّ درجةَ العقلاءِ أكملُ وأعلى من درجةِ هؤلاء، ويبيِّن أنَّ المرادَ البلهُ عن الشرِّ الذين لا يعرفونه من شدَّةِ سلامةِ صدورهم، وإنَّما يعرفونَ الخيرَ فقط.

وكذلك روي تفسيره عن الأوزاعي، قال إسحاق بن راهويه في «مسنده»: حَدَّثَنَا بَقِيَّةُ بْنُ الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ، عَنْ أَبِي يَزِيدَ الْغَوْثِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَكْثَرُ أُمَّتِي دُخُولًا الْجَنَّةِ الْبُلْهُ»، قَالَ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ عَنِ الْبُلْهِ، قَالَ: الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْخَيْرَ، وَلَا يَعْرِفُونَ الشَّرَّ، وَهَذَا مُرْسَلٌ أَيْضًا<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: سَأَلْتُ مَالَكًا عَنْ تَفْسِيرِ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلْهُ»، فَقَالَ: الْبُلْهُ مِثْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كَانَ أَبْلَهَ فِي مَعَاصِي اللَّهِ، فَطِنًا فِيمَا يُرْضِي اللَّهَ، مُسَارِعًا إِلَى مَا يُرْضِي اللَّهَ، بَطِيئًا عَنْ مُحَارِمِ اللَّهِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ، رَوَاهُ الْحَسَنُ بْنُ حَبِيبٍ الدَّمَشْقِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ ابْنِ أَخِي ابْنِ وَهْبٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن الكلابي الدمشقي في «أحاديثه» (مخطوط) من طريق أحمد بن أبي الحواري من مراسيل عمر بن عبد العزيز. وأخرج المعافى بن عمران الموصلي مثله في «الزهد» (١٠٦) من مراسيل محمد بن المنكدر مرفوعاً.

(٢) في (س): «يشير إلى».

(٣) أبو يزيد الغوثي تابعي، وهذا الأثر المرسل في القسم المفقود من «مسند إسحاق بن راهويه».

(٤) تقدم هذا في (ب) على الفقرة التي قبله، ولم أظفر بمصدر ذكر هذا عن ابن وهب غير المصنف.

وقد لخص المصنف رحمه الله تعالى تاريخ مذهب المحبة لدى العباد والمنقطعين إلى الله جلَّ جلاله، ويبيِّن بعباراته وإشاراته كيف بدأ الانحراف بعدهم في هذا الباب، ويحسن هنا إكمال هذا التلخيص بذكر وفیات من ذكرهم من أكابر الأمة رضي الله عنهم:

فأولهم: الإمام التابعي الجليل الحسن بن يسار البصري، المتوفى سنة (١١٠).

## فصل

### وَلَنُخْتِمَ الْكِتَابَ بِكَلِمَاتٍ جَوَامِعَ مِنْ أَمْرِ الْمَحَبَّةِ

#### وَأَبْيَاتٍ رِقَائِقَ مُتَضَمِّنَةٍ لَهَا

رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «كِتَابِ الزُّهْدِ» بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رَبِّ مَنْ أَهْلَكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُكَ الَّذِينَ تَظْلُمُهُمْ فِي ظِلِّ عَرْشِكَ؟ قَالَ: هُمُ الْبَرِيَّةُ أَيْدِيهِمْ، الطَّاهِرَةُ قُلُوبُهُمْ، الَّذِينَ يَتَحَابُّونَ بِجَلَالِي،

= وبعده: عبد الواحد بن زيد البصري، توفي بعد (١٥٠) وقيل (١٧٧)، وعتبة الغلام بن أبان البصري، الشهيد في قتال الروم بعد (١٦١)، وداود بن نصير الطائي المتوفى (١٦٢)، ورابعة بنت إسماعيل العدوية البصرية، المتوفاة سنة (١٨٠)، وضيعم بن مالك الراسبي البصري المتوفى (١٨٠)، والفضيل بن عياض المتوفى (١٨٧) رحمهم الله تعالى.

وهؤلاء كلهم بصريون، إلا داود فهو كوفي، والفضيل، وكانوا في زمن الأئمة أبي عمرو عبد الرحمن الأوزاعي المتوفى (١٥٧) بالشام، وسفيان بن سعيد الثوري الكوفي المتوفى (١٦١)، ومالك بن أنس المتوفى (١٧٩) بالمدينة على ساكنها الصلاة والسلام، رضي الله عنهم.

وبعدهم: أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني المتوفى (٢١٥)، وأحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون الثعلبي الكوفي ثم الدمشقي المتوفى سنة (٢٣٠)، وقاسم بن عثمان الجوعي الدمشقي المتوفى (٢٤٨)، وذو النون ثوبان بن إبراهيم المصري المتوفى (٢٤٥)، وسعدون أبو عطاء البصري المتوفى بعد (٢٥٠)، والسري بن المغلس السقطي البغدادي المتوفى (٢٥٣)، وأبو حمزة محمد بن إبراهيم البغدادي الصوفي المتوفى (٢٦٩) رحمهم الله تعالى أجمعين.

وهؤلاء من أمصار شتى، وكانوا في زمن الإمام أحمد بن حنبل المتوفى ببغداد (٢٤١) رضي الله عنه. ثم بعدهم: سمنون بن حمزة الخواص البصري المتوفى (٢٩٨)، وسيد الطائفة الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي المتوفى (٢٩٨) وأبو بكر دُلف بن جعفر الشبلي السامرائي المتوفى سنة (٣٣٤). رحمهم الله تعالى أجمعين. جمعنا الله بهم أجمعين في دار كرامته مستشقين نسيم الأنس مع نفحات رياض القدس، ونحن نحبهم في الله، مع بُعد الزمان وتفاوت الدرجة، لكنَّ المرء مع من أحب.

الذين إذا ذُكِرْتُ ذُكِرُوا بي، وإذا ذُكِرُوا ذُكِرْتُ بذكرهم، الذين يُسَبِّغُونَ الوُضوءَ في المَكَارِهِ، وَيُنْبِئُونَ إلى ذكري كما تُنْبِئُ النُّسُورُ إلى وُكُورِهَا، وَيَكْلَفُونَ بِحُبِّي كما يَكْلَفُ الصَّبِيُّ بِحُبِّ النَّاسِ، وَيَغْضَبُونَ لِمَحَارِمِي إذا اسْتُحِلَّتْ كما يَغْضَبُ النَّمْرُ إذا حَرَبَ<sup>(١)</sup>.

وفي «كتاب المحبة» لإبراهيم بن الجُنَيْد، عن أحمد بن مخلد الخراساني قال: قال الله عز وجل: أَلَا قَدْ طَالَ شَوْقُ الْأَبْرَارِ إلى لِقَائِي، وَأَنَا إِلَيْهِمْ أَشَدُّ شَوْقًا، وَمَا شَوْقُ الْمُشْتَاقِينَ إِلَيَّ إِلَّا بِفَضْلِ شَوْقِي إِلَيْهِمْ، أَلَا مَنْ طَلَبَنِي وَجَدَنِي، وَمَنْ طَلَبَ غَيْرِي لَمْ يَجِدَنِي، وَمَنْ ذَا الَّذِي أَقْبَلَ إِلَيَّ فَلَمْ<sup>(٢)</sup> أَقْبَلْ إِلَيْهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي تَوَكَّلَ عَلَيَّ فَلَمْ أَكْفِهِ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي دَعَانِي فَلَمْ أُجِبْهُ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي سَأَلَنِي فَلَمْ أُعْطِهِ<sup>(٣)</sup>؟

قال أحمد بن أبي الحواري: حَدَّثَنَا عَمْرُ بْنُ سَلَمَةَ السَّرَّاجُ<sup>(٤)</sup>، عن أبي جعفر المصيري، قال: قال الله عز وجل: يَا مَعْشَرَ الْمُتَوَجِّهِينَ إِلَيَّ بِحُبِّي، مَا ضَرَّكُمْ مَا فَاتَكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِذَا كُنْتُ لَكُمْ حَظًّا؟ وَمَا ضَرَّكُمْ مَنْ عَادَاكُمْ إِذَا كُنْتُ لَكُمْ سِلْمًا<sup>(٥)</sup>؟

(١) أخرجه الإمام أحمد في «الزهد» (٣٨٩)، وابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٣٧)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٤١/٦١) من حديث عطاء.

وَحَرَبَ النَّمْرُ: شدة غضبه. وتصحفت الكلمة في (ش) إلى: «ضرب».

(٢) في (ش): «ولم».

(٣) أخرجه ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (٢٥٦).

(٤) زاد ناسخ (س) وهما: «عن أبي جعفر السراج».

(٥) هذا من الكتب السابقة، والأثر أخرجه تمام في «قوائده» كما في «الروض البسام» (١٦٢٣)، وأبو طاهر المخلص في «المخلصيات» (٢١٤١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٩/١٠). وذكره ابن الجنيد الختلي في «المحبة» (١١٢).



وفي هذا المعنى يقول القائل:

هَنِيئًا لِمَنْ أَمَسَى <sup>(١)</sup> وَأَنْتَ حَبِيبُهُ  
وَطُوبَى لَصَبٍّ أَنْتَ سَاكِنُ سِرِّهِ  
وَمَا ضَرَّ صَبًّا أَنْ يَبِيتَ وَمَالُهُ  
وَمَنْ تَكُ رَاضٍ عَنْهُ فِي طَيِّ غَيْبِهِ  
فِيَا عَلَّةً فِي الصَّدْرِ أَنْتَ شِفَاؤُهَا  
عَبِيدُكَ فِي بَابِ الرَّجَا مُتَضَرِّعٌ  
بَعِيدٌ عَنِ الْأَوْطَانِ يَكِي بِذَلَّةِ  
تَصَدَّقْ عَلَى مَنْ ضَاعَ مِنْهُ زَمَانُهُ  
غَدَا خَاسِرًا فَالْعَارُ يَكْفِيهِ وَالْعَنَا

وَمِمَّا أَنْشَدَهُ أَبُو يَزِيدَ <sup>(٣)</sup> الْحِرَانِي <sup>(٤)</sup> مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ:

مُحِبٌّ نَفَى مَا التَّدَّنُ مِنْ غَمَضِهِ الْفِكْرُ  
وَبَاتَ يُرَاعِي أَنْجَمًا بَعْدَ أَنْجُمٍ  
وَيُخْدِمُ مَوْلَاهُ بِالطَّفِ خِدْمَةً  
بِهِ وَبِمَنْ سَاوَاهُ فِي الزُّهْدِ وَالتَّقَى  
فَأَعْقَبَهُ ضَرًّا فَأَنْهَكَهُ الضُّرُّ  
وِيرَعَدُ مِنْ خَوْفٍ إِلَى أَنْ بَدَا الْفَجْرُ  
وَيُسْعِدُهُ فِي حُسْنِ خِدْمَتِهِ الصَّبْرُ  
إِذَا الْجَدْبُ عَمَّ الْأَرْضَ يُسْتَنْزِلُ الْقَطْرُ

(١) في (س): «أضحى».

(٢) الأبيات لمحمود بن القاسم ابن أبي البدر الملحى الواعظ الواسطي، المتوفى (٧٤٤) رحمه الله.

والأبيات في ترجمته في «قوات الوفيات» لابن شاعر الكتبي (١٠٨/٤).

(٣) في (ب): «أبو زيد»، وفي (س): «أحمد بن يزيد» وفي حاشيتها ما يوافق المثبت.

(٤) هكذا مهملة، وتحتمل أن تكون: «البحراني» وأن تكون: «النجراني» ولم تتبين لي.

مُجِبُّ خَلا بِالْحُبِّ خُلُوةً وَاجِدٌ  
يَقُولُ بِذَلِكَ الْحُبِّ يَا مُتَهَيِّ الْمُنَى  
فَلَا تُخْزِنِي يَا رَبِّ وَارْحَمْ تَضَرُّعِي  
وَقَدْ خِفْتُ مِنْ يَوْمِ الْمَعَادِ مَخَافَةً  
بِفَضْلِكَ زِدْنِي مِنْكَ قُرْبًا وَأَدِينِي  
شِفَائِي سَقَامِي<sup>(١)</sup> فِي الْهَوَى هُوَ قَاتِلِي  
وَفِي كِبِدِي مِمَّا أَقَاسِي مِنَ الْهَوَى  
غَزَا الْحُبُّ قَلْبِي قَاصِدًا بِجُيُوشِهِ  
وَحَقِّكَ<sup>(٢)</sup> لَا أَنْسَاكَ مَا دُمْتُ بَاقِيًا  
وَأَنْشَدْتُ بَعْضَ الْعَارِفَاتِ:

أَجِبُّكَ حُبِّينِ حُبِّ الْوِدَادِ  
فَأَمَّا الَّذِي هُوَ حُبُّ الْوِدَادِ  
وَأَمَّا الَّذِي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ  
فَمَا الْحَمْدُ فِي ذَا وَلَا ذَاكَ لِي  
وَحُبًّا لَأَنَّكَ أَهْلٌ لَذَاكَ  
فَحُبُّ شُغِلْتُ بِهِ عَنْ سِوَاكَ  
فَكَشَفَكَ لِلْحُجُبِ حَتَّى أَرَاكَ  
وَلَكِنْ لَكَ الْحَمْدُ فِي ذَا وَذَاكَ<sup>(٣)</sup>

(١) فِي (س): «مقامي» تصحيف.

(٢) فِي حَاشِيَةِ (ش): «لوعات نسخة».

(٣) فِي (ب) وَ(س): «قَسْرًا».

(٤) فِي (ب): «وَحَبْكَ» تصحيف.

(٥) لَمْ أَظْفَرْ بِالْأَبْيَاتِ عِنْدَ غَيْرِ الْمُصَنِّفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٦) مِمَّا سَمِعَهُ ذُو النُّونِ مِنْ جَارِيَةٍ بِالسَّاحِلِ قَالَتْ الْآيَاتُ ثُمَّ مَاتَتْ رَحِمَهَا اللَّهُ. أَخْرَجَهُ السَّرَاجُ الْقَارِي فِي «مِصَارِعِ الْعِشَاقِ» (١/ ٢٧٥).

وَأَنْشَدَتْ أُخْرَى مِنْهُنَّ:

حَبِيبٌ لَيْسَ يَعدُّ لَهُ حَبِيبٌ  
حَبِيبٌ غَابَ عَن بَصْرِي وَشَخْصِي  
وَأَنْشَدَ بَعْضُ الْمُحِبِّينَ:

أَعَمَّيْتُ عَيْنِي عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا  
إِذَا ذَكَرْتُكَ وَافَى مُقَلَّتِي أَرْقُ  
وَمَا تَطَابَقَتِ الْأَجْفَانُ عَنْ سِنَةِ  
أَرْحَمِ حَشَاشَةٍ نَفْسٍ فِيكَ قَدْ تَلَفَتْ  
وَلَوْ مَضَى الْكُلُّ مِنِّي لَمْ يَكُنْ عَجَبًا  
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

وَاللَّهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَلَا غَرَبَتْ  
وَلَا هَمَمْتُ بِشَرْبِ الْمَاءِ مِنْ عَطَشٍ  
إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَاسِي  
إِلَّا رَأَيْتُ خَيَالًا مِنْكَ فِي الْكَاسِ<sup>(٦)</sup>

(١) في (س): «لا».

(٢) هما لرابعة بنت إسماعيل الشامية زوج أحمد بن أبي الحواري رحمهما الله. والبيتان في ترجمتها من «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١١٥/٦٩).

(٣) هذه الأبيات الثلاثة مما سمعه ذو النون المصري من عابد بجبل اللكام، ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٤٦٧/٢).

(٤) في (ب): «الممات».

(٥) هذان البيتان لأبي علي محمد بن أحمد الروذباري، ذكرهما الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٨٣/٢) بتقديم البيت الأخير على الذي قبله.

(٦) مما سمعه الهجويري من درويش في جبال أذربيجان كما في «كشف المحجوب» له (ص: ٦٥٨). =

ولبعضهم:

ساكنٌ في القلبِ يعمُرُهُ      لستُ أنساهُ فأذكُرُهُ  
غابَ عن سَمْعِي وَعَن بَصَرِي      فسَوَّيْتُ القلبَ تُبْصِرُهُ<sup>(١)</sup>  
وأنشد آخرُ منهم:

مَنْ عَامَلَ اللَّهَ بِتَقْوَاهُ      وَكَانَ فِي الْخُلُوعِ يَرَعَاهُ  
سَقَاهُ كَأْسًا مِنْ صَفَا حُبِّهِ      يُسْلِيهِ عَنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ  
فأَبْعَدَ الْخَلْقَ وَأَقْصَاهُمْ      وَانْفَرَدَ الْعَبْدُ بِمَوْلَاهُ<sup>(٢)</sup>  
وأنشد بعضهم:

أَنْتَ تَدْرِي يَا حَبِيبِي      مَنْ حَبِيبِي أَنْتَ تَدْرِي  
وَنُحُولُ الْجِسْمِ وَالْدَّم      عِزُّ يَبُوحَانَ بَسِيرِي  
يَا عَزِيزِي قَدْ كَتَمْتُ الـ      حَبًّا حَتَّى ضَاقَ صَدْرِي<sup>(٣)</sup>  
وأنشد بعضهم:

= وذكره ابن الزوزني في «حماسة الظرفاء» (٨٩/٢) ولم ينسبه، وابن الجوزي في «المدح» (ص: ٢٢٢) ولم ينسبه لأحد، وكذلك المستعصي في «الدر الفريد» (١٠/٢٢١).

(١) ذكر نحو هذين البيتين عن الجنيد: القشيري في «الرسالة» (٤٧٢/٢)، وذكره ابن الجوزي في «التبصرة» (٦٢/١).

(٢) مما سمعه ذو النون من شاب في طريقه إلى الحج. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٧٦/١٠)، ونسبه أبو بكر بن العربي في «المسالك» (٣٢٠/٣) إلى سعدون المجنون.

(٣) مما سمعه ذو النون المصري من جارية متعلقة بأستار الكعبة، ذكره ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (٢٤/٢).

أَبَى الْحُبُّ أَنْ يَخْفَى وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَبَا  
إِذَا اشْتَدَّ شَوْقِي هَامَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ وَإِنْ رُمْتُ قَرَبًا مِنْ حَبِيبِي تَقَرَّبَا  
وَيَبْدُو فَأَفْتَى ثُمَّ أَحْيَا بِهِ لَهُ<sup>(١)</sup> فَيُسْعِدُنِي حَتَّى أَلْذَّ وَأَطْرَبَا<sup>(٢)</sup>  
سُئِلَ إِبْرَاهِيمُ الْقَصَّارُ: هَلْ يُبْدِي الْمُحِبُّ حُبَّهُ<sup>(٣)</sup>؟ أَوْ هَلْ يَنْطِقُ بِهِ؟ أَوْ هَلْ يُطِيقُ  
كِتْمَانَهُ؟ فَمَثَّلَ بِهِذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

ظَفَرْتُكُمْ بِكِتْمَانِ اللِّسَانِ فَمَنْ لَكُمْ بِكِتْمَانِ عَيْنِ دَمْعِهَا الدَّهْرَ يَذْرِفُ  
حَمَلْتُمْ<sup>(٤)</sup> جِبَالَ الْحُبِّ فَوْقِي وَإِنِّي لَأَعْجِزُ عَنْ حَمْلِ الْقَمِيصِ وَأَضْعُفُ<sup>(٥)</sup>  
وَمِنْ كَلَامِ يَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ الرَّازِي: لَوْ سَمِعَ الْخَلَائِقُ صَوْتَ النِّيَاحَةِ عَلَى الدُّنْيَا  
فِي الْغَيْبِ مِنْ أَلْسِنَةِ الْفَنَاءِ لَتَسَاقَطَتِ الْقُلُوبُ مِنْهُمْ حُزْنًا، وَلَوْ رَأَتْ الْعُقُولُ بَعْيُونَ  
الْإِيمَانِ نُزْهَةَ الْجَنَّةِ لَذَابَتِ النُّفُوسُ شَوْقًا، وَلَوْ أَدْرَكَتِ الْقُلُوبُ كُنْهَ الْمَحَبَّةِ لَخَالَقَهَا  
لِتَخَلَّعَتْ مَفَاصِلُهَا وَلَهَا، وَلَطَارَتِ الْأَرْوَاحُ إِلَيْهِ مِنْ أَبْدَانِهَا دَهْشًا، فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْفَلَ  
الْخَلِيقَةَ عَنْ كُنْهِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَأَلْهَاهُمْ بِالْوَصْفِ عَنْ حَقَائِقِ هَذِهِ الْأَنْبَاءِ<sup>(٦)</sup>.

(١) فِي (س): «بِقُرْبِهِ».

(٢) مِمَّا سَمِعَهُ الْجَنِيدُ مِنْ جَارِيَةِ تَطُوفٍ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ، فِي قِصَّةِ أَخْرِاجِهَا ابْنَ الْجُوزِيِّ فِي «مَثِيرِ الْعَزْمِ  
السَّاكِنِ إِلَى أَشْرَفِ الْأَمَاكِنِ» (١٢/٢).

(٣) فِي (ب): «الْحُبُّ».

(٤) فِي (س): «حَمَلْتُ».

(٥) أَخْرَجَهُ السَّلْمِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الصُّوفِيَّةِ» (ص: ٤٥)، وَأَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٠/٣٥٤).

وَهُنَا تَنْتَهِي النُّسخَةُ (س).

(٦) أَخْرَجَهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَةِ الْأَوْلِيَاءِ» (١٠/٥٦ - ٥٧)، وَذَكَرَهُ ابْنُ الْجُوزِيِّ فِي «التَّبَصُّرَةِ» (٢/٦١)،

و«صِفَةُ الصَّفْوَةِ» (٢/٢٩٤).

(١) ومما أنشدَه بعضهم:

أَرْوَحُ وَقَدْ خَتَمْتُ عَلَى فُؤَادِي      بِحُبِّكَ <sup>(٢)</sup> أَنْ يَحُلَّ بِهِ سِوَاكَ  
فَلَوْ أَنِّي اسْتَطَعْتُ غَضَضْتُ طَرْفِي      فَلَمْ أَبْصُرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكَ  
أُحِبُّكَ لَا يَبْغِضِي بَلْ بَكُلِّي      وَإِنْ لَمْ يَبْقِ حُبُّكَ لِي حَرَاكَ  
وَيَقْبَحُ مِنْ سِوَاكَ الْفَعْلُ عِنْدِي      وَتَفَعَّلْهُ فَيَحْسُنُ مِنْكَ ذَاكَ  
وَفِي الْأَحْبَابِ مَخْصُوصٌ بَوَاجِدٍ      وَآخِرُ يَدَّعِي مَعَهُ اشْتِرَاكَ  
إِذَا اشْتَبَهَتْ <sup>(٣)</sup> دَمُوعٌ فِي خُدُودٍ      تَيَّنَ <sup>(٤)</sup> مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى  
فَأَمَّا مَنْ بَكَى فَيَذُوبُ وَجَدًّا      وَيَنْطِقُ بِالْهَوَى مَنْ قَدْ تَشَاكَى <sup>(٥)</sup>

تَمَّ الْكِتَابُ بِحَمْدِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ <sup>(٦)</sup>

(١) هنا يبدأ ما يوجد في مجموع مكتبة فاتح!!

(٢) في (ش): «بقلبي» وفي حاشيتها كالمثبت.

(٣) في نسخة (الفاتح): «اشتبكت».

(٤) في (ش): «تباين».

(٥) الأبيات للمتنبي من قصيدة طويلة، وهي في «ديوانه» بشرح العكبري (٢/ ٣٨٥ - ٣٩٧) قالها في

أبي شجاع عضد الدولة، وليس منها البيت الثالث فهو لأبي نواس، والرابع سبق تخريجه في الباب

التاسع من هذا الكتاب، والسابع لم يذكره سوى ابن الجوزي في «المدھش» (ص: ٥٠٢)، وكان

المصنف أخذ جملة الأبيات منه وقد ذكره في «شرح حديث ليبيك» و«كلمة الإخلاص».

(٦) في حاشية (ش): «بلغ مقابلة بنسخة قرئت على المصنف رحمه الله تعالى فصَحَّ...».

وجاء بعد ذلك في (ش):

«مسألة كشف الرأس للقاضي بدر الدين القدسي تغمده الله برحمته. كتبها العبد الفقير إلى الله تعالى، =

= خادِم الفقراء، وتراب أرجلهم: محمد بن عبد الله بن عمران الحنبلي القادري غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، ولمن قرأ فيه، ودعا له بالمغفرة ولجميع المسلمين وذلك بتاريخ حادي عشر من شهر رجب الفرد سنة ستة وتسعين وسبع مئة.

ومنه يستفاد تاريخ نسخ كتابنا هذا.

وفي خاتمة (ب): «والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين. ووافق الفراغ منه في ليلة تُسفرُ صبيحتها عن يوم الاثنين المبارك خامس عشر ذي الحجة الحرام سنة سبع عشرة [وثمان مئة] وصلى الله على محمد، والحمد لله وحده» (وما بين معكوفين وضعته من عندي وفي مكانه كلمة لم تتبين لي قراءتها).

وفي خاتمة (نسخة الفاتح): «تم الكتاب بحمد الله وعونه صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا».

وفي خاتمة (س): «تم الكتاب بحمد الله وعونه وإحسانه وطوله، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم، وذلك بقلم عبده عبد الله بن إبراهيم الربيعي في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة سنة ١٣٣٣».

تَسْلِيَةُ نُفُوسِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ  
عَنْ  
فَقْدِ الْأَطْفَالِ









## بسم الله الرحمن الرحيم مقدمة التحقيق

الحمد لله موفي الأجر للصابرين، ومجزل الجزاء للشاكرين، وصلى الله على  
الرحمة المهداة، والنعمة المُسداة، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن  
اهتدى بهداه.

أما بعد:

فهذه تعزية نبوية شريفة، لكل من فقد طفله من هذه الأمة المرحومة، وما  
أكثر ما كان الناس يفقدون أطفالهم وأولادهم، في طفولتهم ومراهقتهم، حيث لم  
تكن وسائل الطب موفرة في تلك الأزمان وفرتها الآن. كما أنَّ شناعة الحروبِ  
وفظاعتها لم تكن أبداً كما هي عليه الآن، فتلك الحضارة المادية غير المؤمنة  
بالله بأيدي من لا يخاف الله ولا يرجو اليوم الآخر ليس لديها أخلاق الحرب  
فهي تقصف وتدمر وتضرب بقذائفها وصواريخها وقنابلها، لا تفرق بين مقاتل  
وغير مقاتل، ولا تفرق بين صغير ولا كبير، ولا تفرق بين رجل وامرأة وطفل  
ورضيع ووليد.

مما صار الناس يرونه ويشاهدونه رأي العين من الإجرام والتكليل على مرأى  
ومسمع من العالم كله.

وفي هذا الحديث الشريف الذي شرحه الإمام الحافظ ابن رجب تسليية وأيما  
تسليية، وتعزية وأيما تعزية لمن فقد طفلاً أو أطفالاً هم فلذة كبده ومهجة فؤاده، وما  
أكثر أولئك اليوم تحت رحى الحروب الظالمة الجائرة.

اللهم فأبدل عسر هذه الأمة يسراً، واكشف عنها هذه الغمة، وأرها في أعدائها  
شفاء صدورها وارحم شهداءها وأنزل الصبر وأجزل الثواب لكل من فقد أحبابه  
أو أطفاله أو أهله أو ماله.

\*\*\*

ذكر هذا الكتاب للمصنف: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٥٠)،  
وسماه: «تسليّة نفوس النساء والرجال والأطفال».  
ورواه الروداني في «صلة الخلف» (ص: ١٦٤)، وسماه: «تسليّة نفوس النساء  
والرجال عن فقد الأطفال».

\*\*\*

اعتمدت في إخراج هذه الرسالة على نسختين خطيتين:  
النسخة الأولى: النسخة التونسية، ورمزها (ت).  
وهي الرسالة التاسعة من المجموع (١٥٧) وتقع في (٤) لوحات، من  
(٦٧ / ب إلى ٧٠ / ب).  
ولم يذكر اسم ناسخها، وتاريخ نسخ المجموع يرجع إلى سنة ٨٥٢.  
النسخة الثانية: نسخة مكتبة الفاتح، ورمزها (ف).  
وهي الرسالة الرابعة عشرة من المجموع (٥٣١٨) وتقع في (٧) لوحات،  
(من ١٨٢ / أ إلى ١٨٨ / أ).

وناسخ المجموع: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي.  
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كتبه

**محمد مجير الخطيب الحسني**

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ رَبِّ يَسَّرْ يَا كَرِيمُ

الحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه

أجمعين<sup>(١)</sup>.

وبعد:

ففي «الصَّحِيحِينَ»، مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ  
النَّبِيُّ ﷺ: غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرَّجَالَ، فَاجْعَلْ لَنَا يَوْمًا مِنْ نَفْسِكَ، فَوَاعِدْهُمْ يَوْمًا،  
لَقِيَهُنَّ فِيهِ فَوَعِظَهُنَّ وَأَمَرَهُنَّ، فَكَانَ فِيمَا قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تَقْدُمُ ثَلَاثَةَ مِنْ  
وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ»<sup>(٢)</sup>.

هذا يدلُّ على أَنَّ مَجَالِسَ النَّبِيِّ ﷺ لِلْفَقْهِ فِي الدِّينِ وَالتَّذْكِيرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ لَمْ  
يَكُنِ النِّسَاءُ يَحْضُرْنَهَا مَعَ الرِّجَالِ، وَإِنَّمَا كُنَّ يَشْهَدْنَ الصَّلَاةَ فِي مُؤَخَّرِ الْمَسَاجِدِ<sup>(٣)</sup>

(١) في (ت): «وصلواته على سيدنا محمد». وقد وصف ناسخها المؤلف بشيخنا.

(٢) أخرجه البخاري في عدة مواضع (١٠١) (١٢٤٩)، ومسلم (٢٦٣٣).

(٣) روى البخاري في باب صلاة النساء خلف الرجال (٨٧٠) عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان

رسول الله ﷺ إذا سلَّم قام النساء حين يقضي تسليمه، ويمكث هو في مقامه يسيراً قبل أن يقوم. قال

[الزهري]: نرى والله أعلم أن ذلك كان لكي ينصرف النساء قبل أن يدركهن الرجال.

فهذا يقتضي أن صف النساء ليس مقدماً على صف الرجال ولا مساوياً له بل هو متأخر عنه. =

ليلاً<sup>(١)</sup>، ثُمَّ يَنْصَرِفْنَ عَاجِلًا<sup>(٢)</sup>، وَكُنَّ يَشْهَدْنَ الْعِيدِينَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مُنْفِرَاتٍ عَنِ الرِّجَالِ مِنْ وَرَائِهِمْ<sup>(٣)</sup>، وَلِهَذَا لَمَّا خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ الْعِيدِ رَأَى أَنَّهُ لَمْ يُسْمِعِ النِّسَاءَ، فَلَمَّا فَرَغَ جَاءَ وَمَعَهُ بِلَالٌ إِلَى النِّسَاءِ، فَوَعَّظَهُنَّ وَذَكَرَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ<sup>(٤)</sup>، وَأَجْلَسَ الرِّجَالَ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ مَوْعِظَةِ النِّسَاءِ<sup>(٥)</sup>.

وَأَصْلُ هَذَا أَنَّ اخْتِلَاطَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ فِي الْمَجَالِسِ بَدْعٌ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ<sup>(٦)</sup>، فَلِذَلِكَ قَالَ لَهُ النِّسَاءُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! غَلَبْنَا عَلَيْكَ الرِّجَالَ.

= وفي «صحيح مسلم» (٤٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها».

(١) روى البخاري (٨٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «إذا استأذنكم نساؤكم بالليل إلى المسجد فأذنوا لهن».

(٢) كما في حديث أم سلمة رضي الله عنها السابق.

وأخرج البخاري في باب سرعة انصراف النساء من الصبح وقلة مُقَامِهِنَّ فِي الْمَسْجِدِ، مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (٨٧٢): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَصْلِي الصُّبْحَ بَغْلَسَ فَيَنْصَرِفْنَ نِسَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يُعْرِفْنَ مِنَ الْغَلَسِ، أَوْ لَا يَعْرِفُ بَعْضُهُنَّ بَعْضًا.

(٣) كما في حديث ابن عباس في البخاري (٩٧٩)، ومسلم (٨٨٤) ولفظه: «قال: فنزل نبي الله ﷺ كأنني أنظر إليه حين يُجْلِسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشْقُفُهُمْ حَتَّى جَاءَ النِّسَاءَ وَمَعَهُ بِلَالٌ ...».

(٤) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة منها: (١٤٤٩)، ومسلم (٨٨٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) وذلك من قول ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين: «كأنني أنظر إليه حين يُجْلِسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشْقُفُهُمْ، حَتَّى جَاءَ النِّسَاءَ ...».

(٦) قال الحسن رحمه الله تعالى فيما أخرجه الخلال من رواية ضمرة عن ابن شَوَّاذٍ عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ إِمَامَنَا يَقْصُصُ، فَيَجْتَمِعُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، فَيَرْفَعُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِالْإِدْعَاءِ، فَقَالَ الْحَسَنُ: إِنْ رَفَعَ الْأَصْوَاتُ بِالْإِدْعَاءِ لِبَدْعَةٍ، وَإِنْ مَدَّ الْأَيْدِيَ بِالْإِدْعَاءِ لِبَدْعَةٍ، وَإِنْ اجْتَمَعَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ لِبَدْعَةٍ. =

وقد رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النِّسَاءَ قُلْنَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا لَا نَقْدِرُ عَلَى أَنْ نُجَالِسَكَ فِي مَجْلِسِكَ، قَدْ غَلَبَنَا عَلَيْهِ الرِّجَالُ، فَوَاعِدْنَا مَوْعِدًا نَأْتِيكَ، قَالَ: «مَوْعِدُكُمْ بَيْتُ فُلَانَةٍ»، فَأَتَاهُنَّ فَحَدَّثَهُنَّ<sup>(١)</sup>.

وقد أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُبَلِّغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَأَنْ يُعَلِّمَ الْجَمِيعَ، كَمَا قَالَ لَهُ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهنَّ﴾<sup>(٢)</sup> الْآيَةُ [الأحزاب: ٥٩].

وَقَالَ: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ الْآيَةُ [النور: ٣١].

فَامْتَثِلْ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَوَعَدَهُنَّ مَجْلِسًا خَاصًّا لَهُنَّ فِي بَيْتِ امْرَأَةٍ، وَلَعَلَّ تِلْكَ الْمَرْأَةَ كَانَتْ مِنْ أَزْوَاجِهِ أَوْ مُحَارِمِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِحَقِيقَةِ ذَلِكَ.

ثُمَّ وَقَى بِمَوْعِدِهِ لَهُنَّ، فَأَتَاهُنَّ فِي يَوْمٍ مَوْعِدِهِنَّ فَوَعَّظَهُنَّ، وَأَمَرَهُنَّ وَنَهَاَهُنَّ، وَرَغَّبَهُنَّ وَرَهَّبَهُنَّ، وَكَانَ مِنْ جُمْلَةٍ مَا بَشَّرَهُنَّ بِهِ أَنْ قَالَ لَهُنَّ: «مَا مِنْكُمْ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنْ وَلَدِهَا إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَيْنِ؟ قَالَ: «وَاثْنَيْنِ»<sup>(٣)</sup>.

وَلَيْسَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْتَ»، وَعُمُومُهُ يَدْخُلُ فِيهِ مَنْ بَلَغَ الْحِنْتَ وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ، وَالْمُصِيبَةُ بِمَنْ بَلَغَ أَعْظَمُ وَأَشَقُّ عَلَى النَّفُوسِ، وَالْمُصِيبَةُ بِمَنْ لَمْ يَبْلُغْ أَهْوَنُ وَأَخَفٌ.

= ذكره ابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٦٢)، وعزاه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» للخلال (١٥٢/٢).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٧٣٥٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٤٨)، وعندهما: «بيت فلان». وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٥٨٦٧)، وابن حبان (٢٩٤١) وعندهما: «بيت فلانة».

(٢) تقدم تخريجه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.



وقد جاء تقييده في حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»، خرّجاه في الصحيحين<sup>(١)</sup>.

والمراد بالحنث: الإثم، والمعنى: أنه لم يجز عليه الإثم ببلوغه العمر الذي يكتب عليه الإثم فيه، وهو بلوغ الحُلُم، وعلل بفضل رحمة الله تعالى إياهم، يعني أن الله يرحم أطفال المسلمين رحمة تامة، حتى تفضل عنهم، فيدخل آباؤهم في فضل تلك الرحمة، وهذا مما يستدل به على أن أطفال المسلمين في الجنة.

وقد قال الإمام أحمد: ليس فيهم اختلاف أنهم في الجنة<sup>(٢)</sup>، وضعف ما روي مما يخالف ذلك، وقال أيضاً: وأحد يشك أنهم في الجنة؟! قال: وإنما اختلفوا في أطفال المشركين.

وقال أيضاً: هو يرجى لأبويه، فكيف يشك فيه<sup>(٣)</sup>؟ يعني أنه يرجى لأبويه دخول الجنة بسببه فكيف يشك فيه؟ وكذلك نص الشافعي على أن أطفال المؤمنين في الجنة<sup>(٤)</sup>.

وروي ذلك عن علي<sup>(٥)</sup>، وابن مسعود<sup>(٦)</sup>، وابن عباس<sup>(٧)</sup>، وكعب<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه عن أنس مرفوعاً البخاري (١٢٤٨) (١٣٨١)، وليس هو في مسلم، وإنما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٦٣٤)، وأخرجه البخاري كذلك أيضاً (١٠٢) (١٢٥٠) ويحتمل الرفع والوقف والله أعلم، فلعل المصنف لم يذكره لذلك، والله أعلم.

(٢) «الجامع»، للخلال (١٤).

(٣) «الجامع»، للخلال (١٦).

(٤) «الأم» للإمام الشافعي (٢٧٤/٣).

(٥) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٥).

(٦) في الأثر الآتي.

(٧) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٨).

(٨) في الأثر الآتي.

وخرَجَ ابنُ أبي حاتمٍ، عن ابنِ مسعودٍ قال: أرواحُ ولدانِ المؤمنينَ في أجوافِ عصافيرَ تسرَحُ في الجنةِ حيثُ شاءت، فتأوي إلى قناديلَ مُعلَّقةٍ في العرشِ<sup>(١)</sup>.

وخرَجَ البيهقيُّ من روايةِ ابنِ عباسٍ، عن كعبٍ نحوه<sup>(٢)</sup>.

وفي «صحيحِ مُسلمٍ» عن أبي هريرةَ، أنَّ رجلاً قال له: مات لي ابنانِ، فما أنت مُحدِّثي عن رسولِ الله ﷺ بحديثٍ تُطِيبُ به أنفسنا عن موتانا؟ فقال: نعم، «صغارُهُم دَعَامِيصُ الجنةِ يَتَلَقَّى أَحَدُهُم أَبَاهُ - أو قال: أبويهِ - فَيَأْخُذُ بَثْوِيهِ - أو قال: بيده - كما أَخَذُ أَنَا بِصَنْفَةِ ثَوْبِكَ، فلا يَتَنَاهَى - أو قال: يَتَهَي - حتَّى يُدْخِلَهُ اللهُ وَأَبَاهُ<sup>(٣)</sup> الجنةِ»<sup>(٤)</sup>.

وخرَجَ النسائيُّ، من حديثِ أبي هريرةَ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «ما مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ لهما ثلاثَةُ أولادٍ، لم يَبْلُغُوا الحِنْثَ، إِلَّا أَدْخَلَهُما اللهُ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمُ الجنةَ، قالَ تعالى<sup>(٥)</sup> لهم: ادْخُلُوا الجنةَ، فيقولون: حتَّى يَدْخُلَ أبوانا، فيقالَ لهم: ادْخُلُوا الجنةَ أنتم وأباؤُكم»<sup>(٦)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجَهٍ من حديثِ معاذٍ عن النَّبِيِّ ﷺ قال:

(١) ذكره ابن كثير بسنده ومنتَه عن ابن أبي حاتم في تفسير (غافر: ٤٦).

(٢) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٩).

(٣) تصحفت في (ف) إلى: «ولياه».

(٤) الدعاميص: مفردة دعووس: دُويَّة صغيرة تكون في الماء. والصنفة: طرف الثوب. أخرجه مسلم

(٢٦٣٥).

(٥) كذا في النسختين، وصوابه في «النسائي»: «يقال».

(٦) أخرجه النسائي (١٨٧٦).

«والذي نفسي بيده، إِنَّ السَّقَطَ لَيَجْرُ أُمَّهُ بِسَرِّهِ»<sup>(١)</sup> إلى الجنة إذا احتسبته»<sup>(٢)</sup>.  
وخرَجَ الإمامُ أحمدُ وابنُ ماجه أيضاً، من حديثِ عُبَيْدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَمِيِّ، سمعتُ  
رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «ما من مُسْلِمٍ يموتُ له ثلاثةٌ من الولدِ لم يَبْلُغُوا الحِنْتَ إِلَّا  
تَلَقَّوهُ مِنْ أَبْوَابِ الجنةِ الثَّمَانِيَةِ، مِنْ أَيَّهَا شَاءَ دَخَلَ»<sup>(٣)</sup>.

وفي روايةٍ للإمامِ أحمدَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الجنةَ  
فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيَأْبُونَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَا لِي  
أَرَاهُمْ مُحْبِطِينَ»<sup>(٤)</sup>؟ ادْخُلُوا الجنةَ فيقولون: يَا رَبِّ، آبَاؤُنَا فيقول: ادْخُلُوا الجنةَ أنتم  
وآبَاؤُكُمْ»<sup>(٥)</sup>.

ورَوَى الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ نَحْوَهُ، وَزَادَ فِيهِ: إِنَّهُ يَقَالُ لَهُمْ فِي الْمَرَّةِ الرَّابِعَةِ:  
«ادْخُلُوا وَوَالِدَيْكُمْ مَعَكُمْ، فَيُثَبُّ كُلُّ طِفْلٍ إِلَى أَبِيهِ، فَيَأْخُذُونَ بِأَيْدِيهِمْ، فَيَدْخُلُونَهُمْ  
الجنةَ، فَهُمْ أَعْرَفُ بِآبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَوْلَادِكُمُ الَّذِينَ فِي بُيُوتِكُمْ»<sup>(٦)</sup>.

وخرَجَ الإمامُ أحمدُ والنَّسَائِيُّ مِنْ رِوَايَةِ قُرَّةَ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ  
ابْنٌ لَهُ، فَقَالَ لَهُ: «أَتُحِبُّهُ؟» قَالَ: أَحَبُّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَمَاتَ، فَفَقَدَهُ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ:

(١) في حاشية (ت) و(ف): «سرره: جمع سره». قلت: وهذا خطأ فالسرر بالفتح وبالضم: هو ما تقطعه  
القابلة، وأما السرة فهي ما يبقى بعد القطع.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢٢٠٩٠)، وابن ماجه (١٦٠٩).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١٧٦٤٤) و(١٧٦٣٩)، وابن ماجه (١٦٠٤).

(٤) المحبطين: الممتنع امتناع طلبة لا امتناع إباء. كما في «النهاية».

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٦٩٧١) عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

(٦) في حاشية (ت): «بلغ». ذكره بتمامه المنبجي في «تسلية أهل المصائب» (ص: ٩١) وعزاه لابن

«أَمَّا يَسْرُكَ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ عِنْدَهَا يَسْعَى لِيَفْتَحَ لَكَ؟» زَادَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: فَقَالَ رَجُلٌ: أَلَهُ (١) خَاصَّةٌ أَمْ لِكُلِّنَا؟ قَالَ: «بَلْ لِكُلِّكُمْ» (٢).

وخرَجَ الطَّبْرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ نَحْوَهُ، وَلَكِنْ قَالَ فِيهِ: فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ مَا تَرْضَى أَنْ يَكُونَ ابْنُكَ مَعَ ابْنِي إِبْرَاهِيمَ يُلَاعِبُهُ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ؟» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ (٣).

وَفِي الْمَعْنَى أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ يَرْجُونَ ذَلِكَ عِنْدَ مَوْتِهِمْ، كَمَا رُوِيَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَكَتْ أُمُّ ذَرٍّ، فَقَالَ لَهَا: أَبْشِرِي وَلَا تَبْكِي، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَمُوتُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ وَلَدَانِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَيَصْبِرَانِ وَيَحْتَسِبَانِ فَيَرِيَانِ النَّارَ أَبَدًا»، وَقَدْ مَاتَ لَنَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ (٤).

وَالْحَدِيثُ الَّذِي قَبْلَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أَطْفَالَ الْمُؤْمِنِينَ يَلْعَبُونَ تَحْتَ ظِلِّ الْعَرْشِ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُمْ دَعَامِصُ الْجَنَّةِ، وَالْدُّعْمُوصُ: دَوِيَّةٌ صَغِيرَةٌ تَكُونُ فِي الْمَاءِ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يَتَرَبَّوْنَ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، وَيَغْتَمِسُونَ فِيهَا، وَفِي رَوَايَةٍ: يَتَقَمِّسُونَ فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، يَعْنِي: يَلْعَبُونَ فِيهَا (٥).

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَزَوْجَتُهُ سَارَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

(١) فِي (ف): «لَهُ».

(٢) أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١٥٥٩٥) (٢٠٣٦٥)، وَالنَّسَائِيُّ (١٨٧٠).

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٤٠٩٦).

(٤) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَانَ (٦٦٧١)، وَالْحَاكِمُ (٣/ ٣٤٥) فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ مِنْ رَوَايَةِ أُمِّ ذَرٍّ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمَا:

«وَقَدْ مَاتَ لَنَا ثَلَاثَةٌ مِنَ الْوَلَدِ»، وَإِنَّمَا ذَكَرَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْإِسْتِيعَابِ» مِنْ رَوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ...

(٥) وَفِي «النِّهَايَةِ» لِابْنِ الْأَثِيرِ: قَمَسَهُ فِي الْمَاءِ فَانْقَمَسَ، أَيِ غَمَسَهُ وَغَطَّهُ. وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ ذَكَرَهَا الْحَافِظُ

أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ فِي «الْمَجْمُوعِ الْمَغِيثِ» (١/ ٦٥٩).

وخرَجَ ابنُ جَبَّانَ في «صحيحه» والحاكمُ من حديثِ أبي هُرَيْرَةَ، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «ذَرَارِيُّ الْمُؤْمِنِينَ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

وخرَجَه الإمامُ أحمدُ مع نوعِ شَكٍّ في رَفْعِهِ ووَاقَفَهُ على أبي هُرَيْرَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَرُوِيَ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عن أبي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً وَمَوْقُوفاً: «أَوْلَادُ الْمُسْلِمِينَ فِي جَبَلٍ فِي الْجَنَّةِ يَكْفُلُهُمْ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دُفِعُوا إِلَى آبَائِهِمْ» خَرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ مَرْفُوعاً<sup>(٣)</sup>.

وَيَشْهَدُ لَذَلِكَ مَا فِي «صحيح البخاري» عن سَمُرَةَ بِنِ جُنْدَبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ»، فَذَكَرَ حَدِيثاً طَوِيلاً، وَفِيهِ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ فَسَّرَاهُ لَهُ، وَأَنَّهُمَا جَبْرِيْلُ وَمِيكَائِيْلُ، وَأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةٍ مَا رَأَى رَجُلًا طَوِيلاً فِي رَوْضَةٍ، وَحَوْلَهُ وَلَدَانُ، وَقَالَا لَهُ: الرَّجُلُ الطَّوِيلُ فِي الرَّوْضَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَالْوِلْدَانُ حَوْلَهُ كُلُّ مَوْلُودٍ مَاتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: «وَأَوْلَادُ الْمُشْرِكِينَ»<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُمْ يَرْضَعُونَ مِنْ شَجَرَةٍ طُوبَى.

رَوَى<sup>(٥)</sup> ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِإِسْنَادِهِ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا طُوبَى، ضُرُوعُ كُلِّهَا، تُرَضِعُ صَبِيَّانَ أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ سِقْطَ الْمَرْأَةِ يَكُونُ

(١) أخرجه ابن حبان (٧٤٤٦)، والحاكم (٣٧٠/٢) وصححه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٨٣٢٤).

(٣) أخرجه البيهقي في «القضاء والقدر» (٦٣٤)، وفي «البعث والنشور» (٧٧٤) عن الحاكم في

«المستدرک» (٣٨٤/١). وأما موقوفاً: فأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٥) في (ف): «وروى».

في [نهرٍ من] أنهارِ [الجنة] يتقلبُ فيه حتَّى يومِ القيامةِ، فَيُبْعَثُ ابنُ أربعينَ سَنَةٍ<sup>(١)</sup>. كذا قال!

وفي حديثِ المقدامِ بنِ مَعْدِي كَرَبِ المرفوعِ: «إِنَّ ما بينَ السَّقَطِ وَالْهَرَمِ يُعْثَوْنَ أَبْنَاءَ ثَلَاثِينَ سَنَةً»<sup>(٢)</sup> وفي رواية: «أَبْنَاءُ ثَلَاثِ (٣) وَثَلَاثِينَ»<sup>(٤)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِإِسْنَادِهِ عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يُقَالُ لَهَا طُوبَى، كُلُّهَا ضُرُوعٌ، فَمَنْ مَاتَ مِنَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ يَرْضَعُونَ، يَرْضَعُ مِنْ طُوبَى، وَحَاضِنُهُمْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٥)</sup>.

وَرَوَى الْخَلَّالُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً لَهَا ضُرُوعٌ كَضُرُوعِ الْبَقَرِ، يَغْذَى بِهِ وَلَدَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَسْتَنُونَ كَاسَتَيْنِ الْبَكَارَةِ<sup>(٦)</sup>.

وَبَعْضُ الْأَطْفَالِ لَهُ مُرْضِعٌ فِي الْجَنَّةِ، مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ لَمَّا مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُفْطَمَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٧)</sup> تَكْمِلُ

(١) نقله ابن كثير في تفسير سورة الرعد (٢٩) عن ابن أبي حاتم. وهو من المفقود منه، وما بين معقوفين مما نقله ابن كثير.

(٢) أخرجه البغوي في «معجم الصحابة» (٢١٢٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٩٣/٦٠).

(٣) في (ف): «ثلاثة».

(٤) أخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٥٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٩٩٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٨٥/٦٠).

(٥) عزاه السيوطي في «شرح الصدور» (٢٤) إلى «كتاب العزاء» لابن أبي الدنيا.

(٦) ورواه يحيى بن معين، وهو في «تاريخه» رواية الدوري (٢٠٥٠). والبكارة: صغار الإبل. وذكره المصنف في الباب التاسع من «أحوال القبور».

(٧) أخرجه البخاري (١٣٨٢) من حديث البراء رضي الله عنه.

رَضَاعَهُ، وفي رواية: «ظُثْرًا»<sup>(١)</sup> وفي رواية: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعَيْنِ يُكْمِلَانِ رَضَاعَهُ فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وكان النَّبِيُّ ﷺ قد حَضَرَهُ وهو يكيد<sup>(٣)</sup> بنفسه، فدمعت عيناه ﷺ، وقال: «تدمعُ العينُ ويحزنُ القلبُ، ولا نقولُ إِلَّا ما يُرضي الرَّبَّ، واللهُ يا إبراهيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ»<sup>(٤)</sup>.

وفي رواية: «ولو لا أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ ووَعْدٌ صِدْقٌ، وَأَنَّهَا سَبِيلُ مَأْتِيَةٍ، وَأَنَّ آخِرَنَا سَيَلَحِقُ بِأَوَّلِنَا لَحْزَنًا عَلَيْكَ حُزْنًا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا»<sup>(٥)</sup>.

وروى ابنُ أبي الدنيا في كتابِ «العزاء» مِنْ حَدِيثِ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَزَى رَجُلًا عَلَى ابْنِهِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، وَكَانَ ابْنِي قَدْ أَجْزَأَ عَنَّا، فَقَالَ: أُيْسِرُكَ أَنَّ ابْنَكَ قَدْ نُشِرَ لَكَ، أَوْ يَتَلَقَّاكَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ بِالْكَأْسِ؟ قَالَ: مَنْ لِي بِذَلِكَ<sup>(٦)</sup> يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «اللَّهُ لَكَ بِهِ، وَلِكُلِّ مُسْلِمٍ مَاتَ لَهُ وَلَدٌ فِي الْإِسْلَامِ»<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٧) من حديث البراء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (٢٣١٦) ولفظه: «وإن له لظئرين تكملان رضاعه في الجنة».

(٣) أي يجود بنفسه.

(٤) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥) واللفظ له، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١١٥)، والبخاري (١٠٠١) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٦) في (ت): «بذلك».

(٧) وذكره السيوطي في «فضل الجلد عند فقد الولد»، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

وبإسناده عن عبيد بن عمير قال: إذا كان يوم القيامة خرج ولدان المسلم من الجنة، بأيديهم الشراب، فيقول الناس: اسقونا اسقونا، فيقولون: أبونا أبونا، حتى السقط مُحْبِطًا بباب الجنة يقول: لا أدخل حتى يدخل أبوي<sup>(١)</sup>.

وفي المعنى حديث مرفوع من رواية ابن عمر، لكن إسناده لا يصح. وهو باطل، قاله أبو حاتم الرازي<sup>(٢)</sup>.

وفي المعنى رؤيا إبراهيم الحربي المشهورة، حتى صار يتمنى موت ابنه، ومات قبل البلوغ<sup>(٣)</sup>.

وروى البيهقي بإسناده عن ابن شاذب أن رجلاً كان له ابن لم يبلغ الحلم، فأرسل إلى قومه: إن لي إليكم حاجة، إنني أريد أن أدعو على ابني هذا أن يقبضه الله وتؤمنون، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أنه رأى في نومه كأن الناس جُمِعوا إلى القيامة، فأصاب الناس عطش شديد، فإذا الولدان قد خرجوا من الجنة معهم الأباريق، فأبصرت ابن أخ لي، فقلت: يا فلان! اسقني، قال: يا عم! إننا لا نسقي إلا الآباء، قال: فأحييت أن يجعل الله ولدي هذا فرطاً لي، فدعا وأمنوا، فلم يلبث الغلام إلا يسيراً حتى مات<sup>(٤)</sup>.

وفي أكثر الأحاديث ذكر الثلاثة والاثنين، وفي بعضها: وأظن لو قلنا: وواحد؟ لقال: وواحد، خرجه أحمد من حديث جابر<sup>(٥)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في «فضل الجلد عند فقد الولد» وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

(٢) علل الحديث، لابن أبي حاتم (٢١٥٦)، وأوله: «يجمع الله أطفال أمة محمد ﷺ يوم القيامة في حياض تحت العرش...».

(٣) رواها الخطيب البغدادي في ترجمته من «تاريخ بغداد»، وهو صاحب كتاب «غريب الحديث».

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٣٠٩).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (١٤٢٨٥).



وقد جاء ذكر الواحد في حديث خرّجه الترمذي وغيره، من حديث ابن مسعود مرفوعاً: «مَنْ قَدَّمَ ثَلَاثَةً لَمْ يَبْلُغُوا الْجَنَّةَ كَانُوا لَهُ حِصْنًا حَصِينًا»، فقال أبو ذر: قَدَّمْتُ اثْنَيْنِ، فقال: «وَاثْنَيْنِ»، فقال أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: قَدَّمْتُ وَاحِدًا، قال: «وَوَاحِدًا، وَلَكِنْ إِنَّمَا ذَاكَ عِنْدَ الصَّدَمَةِ الْأُولَى»<sup>(١)</sup>.

وفي الترمذي، عن ابن عباس، عن النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ فَرَطَانِ مِنْ أُمَّتِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِمُ الْجَنَّةَ»، فقالت عائشة: وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قال: «وَمَنْ كَانَ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِي، يَا مَوْفَّقَةُ» قالت: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ مِنْ أُمَّتِكَ؟ قال: «فَأَنَا فَرَطُ أُمَّتِي، لَنْ يُصَابُوا بِمِثْلِي»<sup>(٢)</sup>.

ويشهد له قوله ﷺ في آخر خطبة خطبها: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»<sup>(٣)</sup> يشير إلى أَنَّهُ يَتَقَدَّمُهُمْ وَيَسْبِقُهُمْ إِلَى الْحَوْضِ وَيَنْتَظِرُهُمْ عِنْدَهُ.

وفي حديث مرسل خرّجه ابن أبي الدنيا: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يُقَدِّمْ فَرَطًا لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلَّا تَصْرِيدًا»، فقيل: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْفَرَطُ؟ قال: الْوَلَدُ، وَوَلَدُ الْوَلَدِ، وَالْأَخُ يُوَاحِيهِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَطٌ فَأَنَا لَهُ فَرَطٌ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (١٠٦١)، وقال: غريب.

(٢) أخرجه الترمذي (١٠٦٢)، وقال: غريب.

(٣) روي هذا اللفظ عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم منهم ابن مسعود، وأبو هريرة، وأبو سعيد، وجابر، وابن عباس وغيرهم، في الصحيحين وغيرهما. انظر حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه في البخاري (١٣٤٤).

(٤) تصريدًا: التصريد: السقي دون الري، فكان نعيمه في الجنة أقل من غيره. وأما تفسير «تصريدًا» أي قليلًا، فلا أراه يتضح به معنى لأن مجرد الدخول لا يحتمل الكثرة والقلة. انظر: «المجموع المغني» لأبي موسى المديني. و«النهاية» لابن الأثير. مادة (صدر). والحديث لعله في «العزاء» وهو مفقود. وروى نحوه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٤٥) من حديث سهل بن حنيف مرفوعاً.

وفي حديث عبد الرحمن بن سُمرة في ذكر المنام الطويل عن النبي ﷺ: «ورأيت رجلاً من أمّتي خفت ميزانه، فجاءته أفرأطه الصغار فتقلّوا ميزانه»<sup>(١)</sup>.

وعن داود بن أبي هند قال: رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، وكأن الناس يدعون للحساب فقدّمت إلى الميزان، فوضعت حسناتي في كفة، وسيئاتي في كفة، فرجحت السيئات على الحسنات، فبينما أنا كذلك مغموم إذ أتيت بشيء كالمنديل أو كالخِرقة البيضاء فوضعت في حسناتي<sup>(٢)</sup>، فقيل لي: تدري ما هذا؟ قلت: لا، قال: سقط كان لك، قلت: إنّه قد كانت لي صبيّة ابنة لي، فقيل لي: تيك ليست لك، لأنك كنت تمنى موتها<sup>(٣)</sup>.

وفي هذا إشارة إلى أن الميزان إنما يتقلّ بما يتقلّ على النفوس من المصائب ويشقّ، فأما ما لا يتقلّ عليها ولا يشقّ كمن يتمنى موته من أولاده فلا يتقلّ به الميزان. قال زيد بن أسلم: مات ابن لداود عليه السلام، فحزن عليه حزناً شديداً، فأوحى الله إليه: بماذا كنت مفتديّه؟ قال: بطلاع الأرض ذهباً، قال: فأوحى الله إليه: إن لك عندي من الأجر بحساب ذلك.

وفي رواية: قال: يا داود! ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: كان يعدل عندي ملء الأرض ذهباً، قال: فلك يوم القيامة عندي ملء الأرض ثواباً<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه ابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٢٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»

(٣٤/ ٤٠٧) وليس عندهما: «الصغار». وجاء في (ت) تعليقا هنا من أحد المطالعين في الكتاب:

«ورأيت رجلاً من أمّتي قد قصدوا به إلى النار، فجاءته دمعته التي بكى من خشية [الله فاستنقذته من ذلك].»

(٢) أي: «فرجحت على السيئات» وسقطت من نسخنا وهي في المصدر.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «تسليّة أهل المصائب» للمنجي (ص: ٩٢).

(٤) الرواية الثانية أخرجهما عبد الرزاق في «الجامع عن معمر» (٢٠١٤١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» =

سَبْحَانَ مَنْ لَا يُحْصِي الْعِبَادُ نِعَمَهُ، وَرُبَّمَا كَانَتْ نِعَمُهُ فِيمَا يَسُوءُ أَكْثَرَ مِنْ نِعَمِهِ  
فِيمَا يَسُرُّ، كَمَا قِيلَ:

إِذَا مَسَّ السَّرَّاءَ عَمَّ سُرُورُهَا      وَإِنْ مَسَّ الضَّرَّاءَ أَعْقَبَهَا الْأَجْرُ  
وَمَا فِيهِمَا إِلَّا لَهُ فِيهِ نِعْمَةٌ<sup>(١)</sup>      تَضِيقُ بِهَا الْأَوْهَامُ وَالْبَرُّْ وَالْبَحْرُ<sup>(٢)</sup>  
لَمَّا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ دَارَانِ: دَارٌ يَرْتَحِلُ مِنْهَا، وَدَارٌ يَنْتَقِلُ إِلَيْهَا وَيُقِيمُ بِهَا؛ أَمْرُهُ أَنْ  
يَنْقُلَ مِنْ دَارٍ ارْتِحَالِهِ إِلَى دَارٍ إِقَامَتِهِ لِيَعْمُرَهَا مِنْ بَعْضِ مَا أَعْطَاهُ فِي دَارِ ارْتِحَالِهِ،  
وَرُبَّمَا أَخَذَ مِنْهُ كَرَهَا مَا يَعْمُرُ بِهِ دَارَ إِقَامَتِهِ، وَيُكْمَلُ لَهُ بِهِ عِمَارَتَهَا وَإِصْلَاحَهَا،  
وَيَقْدُمُ لَهُ إِلَيْهَا مَا يُحِبُّ مِنْ أَهْلِ وَمَالٍ وَوَلَدٍ، يَسْبِقُونَهُ إِلَيْهَا، لِيَقْدُمَ عَلَى مَا يُحِبُّ  
مِنْ مَالٍ وَأَهْلِ وَوَلَدٍ، وَإِنْ كَانَ الْمُؤْمِنُ لَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ، فَمَا فَرَّقَ إِلَّا لِيَجْمَعَ، وَلَا  
أَخَذَ إِلَّا لِيَرُدَّ، وَلَا سَلَبَ إِلَّا لِيَهَبَ، وَلَا اسْتَرَدَّ الْعَوَارِيَّ إِلَّا لِيَرُدَّهَا تَمْلِيكَاً ثَابِتاً لَا  
اسْتِرْجَاعَ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ.

وَفِي مَرَاسِيلِ الْحَسَنِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَأَنْ أَمُوتَ قَبْلَ أَخِي  
أَحَبُّ إِلَيَّ، فَقَالَ: لَأَنْ يَكُونَ لَكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ. قَالَ الْحَسَنُ: عَلِمُوا أَنَّ  
مَا لَهُمْ مِنْ أَهَالِيهِمْ مَا قَدَّمُوا أَمَانَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

= (٩٣٠٨). أَمَّا الرِّوَايَةُ الْأُولَى فَلَمْ أَجِدْهَا، فَلَعَلَّهَا فِي «الزَّهْدِ» لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَلَيْسَتْ فِي الْمَطْبُوعِ مِنْهُ  
كَمَا عَزَا إِلَيْهِ السِّيُوطِيُّ هَذَا الْأَثَرُ فِي «فَضْلِ الْجِلْدِ عِنْدَ فَقْدِ الْوَلَدِ».

(١) جَاءَ فَوْقَهَا بِخَطٍ دَقِيقٍ فِي (ت) وَ(ف): «مَنَّةٌ» وَهِيَ الْأَغْلَبُ فِي الْمَصَادِرِ.

(٢) الْبَيْتَانِ لِمَحْمُودِ الْوَرَّاقِ، مِنْ أَيْبَاتِ أَنْشَدَهَا لَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الشُّكْرِ» (٨٣).

(٣) لَمْ أَظْفَرْ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُرْسَلِ، ثُمَّ قَوْلُ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ غَيْرِ الْمَصْنُفِ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وكذا قال عمرُ بنُ عبدِ العزيز<sup>(١)</sup> وغيره، ويشهدُ له حديثُ: «الرَّقُوبُ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ وَلَدًا»<sup>(٢)</sup>.

سبحان مَنْ<sup>(٣)</sup> أنعمَ على عباده بما خَوَّلَهُمْ مِنَ المَالِ والوَلَدِ، ثُمَّ استرجَعَ بعضَ ذلك منهم كرهاً وعَوَّضَهُم الصَّلَاةَ والرَّحْمَةَ والهدى، وذلك أَفْضَلُ ممَّا أَخَذَ، كما قيلَ:

عَظِيَّتُهُ إِذَا أُعْطِيَ سُرُورٌ      وَإِنْ أَخَذَ الَّذِي أُعْطِيَ أَثَابَا

فَأَيُّ النِّعْمَتَيْنِ أَجَلُّ قَدْرًا      وَأَحْمَدُ فِي عَوَاقِبِهَا مَآبَا<sup>(٤)</sup>

أَنْعَمَتُهُ الَّتِي جَاءَتْ بِكُرْهِه      أَمْ الْآخَرَى الَّتِي جَلَبَتْ ثَوَابَا

بَلِ الْآخَرَى وَإِنْ نَزَلَتْ بِضُرٍّ<sup>(٥)</sup>      أَجَلُّ لِفَقْدِ مَنْ صَبَرَ احْتِسَابَا<sup>(٦)</sup>

آخِرُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَصَلَّى اللهُ<sup>(٧)</sup> عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمْ  
تسليمًا كثيرًا.

\*\*\*

(١) قال لولده: لأن تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك، أخرجه أبو الحسن المدائني في «التعازي» (٢٠)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (١٥٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٠٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. وأصل الرقوب: من لا يعيش له ولد.  
(٣) سقط من (ت).

(٤) في حاشية (ت) و(ف): «إيابًا. نسخة».

(٥) في حاشية (ت): «بكره. نسخة».

(٦) أنشدها الخرائطي لمحمود الوراق في «فضيلة الشكر لله على نعمته» (٣٤). مع بعض اختلاف في الألفاظ.

(٧) في (ت): «وصلواته».



